

4285

المترجم من العربية

(بحث في تاريخ وادي النيل، ومعبودات قدماء
المصريين، واللغة المصرية القديمة، بمنهج عربي جديد)

الدكتور عاكلي فهمي خشمي

(أستاذ الفلسفة وتفسير الحضارة - جامعة الفاتح - طرابلس)

المجلد الأول



General Organization of the Alexan-
dria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

دار الإفاق الجديدة

الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان

الطبعة الأولى : 1990

رقم الايداع القانوني بدار الكتب الوطنية بنغازي : 956 /90

رقم الايداع القانوني بالخزانة العامة بالرباط : 1071 /90

حقوق هذه الطبعة محفوظة

لدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان - مصراته

ودار الأفاق الجديدة - الدار البيضاء

الصف وأشغال المختبر : دار الخطابي

الطبع : مطبعة إفريقيا الشرق

الاهداء

إلى روح ابن منظور محمد بن مكرم الأنصاري ، الأفريقي
الطرابلسي ، المصري . . العربي .
ردًا لبعض فضله في حفظ (لسان العرب) .
وإلى روح أحمد كمال . . أول من رأى بعين اليقين عروبة لغة
القديمة وحضارة وادي النيل .
وإلى المؤمنين بانتماهم الأزلي إلى أمتهم العظيمة الواحدة من
مصر ، وفي الوطن العربي الكبير ، ليزدادوا مع إيمانهم .
أقدم هذا الكتاب .
كما أقدمه إلى الذين في قلوبهم مرض من دعاة الفرعونية . . .
حتى يتبين لهم الحق .

مقدمة

بدت المسألة وكأنها حقيقة ثابتة، مسلّمة لا تقبل الجدل؛ حضارة مصر «الفرعونية» التي ظهرت وازدهرت في وادي النيل منذ آلاف السنين، كانت حضارة لا صلة لها بما جاورها عن شمال وعن يمين. تلك المدنيّة العظيمة، معلّمة البشرية، مفخرة الشرق والانسانية جمعاء، لم تكن لها أية علاقة في جذورها وفروعها بالأقوام المحيطة بها على الاطلاق. هي في لغتها ودينها، في علومها وفنونها وآدابها، في نظم حكمها وتراثها العظيم وتاريخها الطويل المديد، نبتت في وادي النيل ونمت على ضفافه، ثم اندثرت، سنة الله في كل شيء، دون أن يكون لها مع جيرانها وشيعة إلا وشيعة الصراع العسكري والتدافع بين الجيوش، غالبية أو مغلوبة، غازية أو مغزوة... ولا شيء غير هذا!

هكذا صورت لنا حضارة وادي النيل القديمة، ورسخت الصورة في الأذهان حتى باتت مناقشة هذه «البدئية» أمراً يبعث على السخرية والهزاء. وعلى هذا الأساس قامت (الدعوة الفرعونية) في مصر واكتسبت أنصارها بسبب من الجهل أو التجهيل المتعمد الذي كانت له براعة في الداخل والخارج.. وقد ارتدت هذه الدعوة رداء المعرفة والعلم، واختفت حول حجب من الألغاز والأحاجي، وتستررت بما زعم أنه تاريخ مصر القديم، يكتبه الأغرّاب والمتغربون ويقرأه عامة الناس، ويدرسه الطلاب في المدارس والجامعات، فيقبل على علته ويتسرّب إلى النفوس والأذهان والأفئدة. أليس هذا هو «العلم»؟ ألم يكتب هذا «التاريخ» علماء متخصصون دارسون باحثون؟!

الحقيقة التي ينبغي ألا تنكر هي أن أهل الغرب الأوروبيين هم الذين كشفوا أسرار الكتابة المصرية القديمة (الهيروغليفية) على يد الفرنسي «شامبليون» Champollion والأنجليزي «يونغ» Young في النصف الأول من القرن التاسع عشر، وكذلك رموز الكتابة الهيروغليفية (الكهنوتية) والسديموطيقية (الشعبية). وتوالت من بعد الدراسات والبحوث المتواصلة في مختلف المجالات المتعلقة بآثار مصر وتاريخها ولغتها. وقد ساعدت سيطرة الاستعمار الغربي على مصر وبقية أقطار الوطن العربي أعداداً لا تحصى من علمائه وباحثيه على مزيد من الكشف عن الآثار المصرية في مختلف صورها وأشكالها، ويسرت لهم الانفراد بدراسة الحضارة المصرية القديمة انفراداً يكاد يكون كاملاً. ولا يمكن حصر ما كتب عن مصر القديمة من مؤلفات في شتى اللغات الأوروبية، ولا ما سطر من بحوث ودراسات، أو صدر من دوريات، أو عقد من ندوات ومؤتمرات واجتماعات ومناقشات. فهذا بحر زاخر لا يبلغ أحد مداه، وليس لأواجه حد ولا غاية. ولم ينته البحث في هذا المجال، ويبدو أنه لن ينتهي أبداً.

وإذا كان من العدل أن نشكّر لعلماء أوزوبيا جهدهم ونحمد لهم صبرهم ونشيد بكثير مما قدموه ونكبر حماسة العديد منهم، بل وعشقهم لتاريخ مصر وحضارتها، فإن من الصواب ملاحظة أن لمتحواذهم على التاريخ وسيطرتهم على ميادين البحث فيه أدى إلى نتائج بالغة الخطر، منها أولاً أن الكتابة في هذا الميدان كانت في الغالب الأعم باللغات الأوروبية مما أدى إلى حصر معرفته في أصل تلك اللغات أو في من يحسن لغة منها غير لغته هو، وكان أشد الضرر وقوع على العرب، أولنقل على عامة القارئين بالعربية وحدها. فإذا ما صدر كتاب، أو دراسة، بالعربية في الموضوع كانت الترجمة واضحة والنقل جلياً عن المصادر الأوروبية. ولقد بلغ من سيطرة اللغات الأوروبية على البحث في تاريخ مصر وحضارتها حد أن المجلة الرسمية التي تصدر عن هيئة الآثار المصرية في القاهرة تنشر البحوث فيها باللغات الأوروبية، وبأقلام دارسين عرب، حتى يومنا هذا. وقد اعتبر تقديم ملخص قصير بالعربية لبعض ما ينشر من دراسات في هذه المجلة «ثورة» جديرة بالتقدير والاعجاب!

من هذه النتائج، ثانياً، أن علماء الغرب للأسف مهما بلغ من «موضوعيتهم» لم يكونوا بقادرين على التجرد الكامل من الهوى. فهم بشر ذوو نوازع وأغراض، يتبعون أوطاناً كان - ولا يزال - لها مآرب وأهداف. ولم يكن من اليسير الفصل بين الأهداف الاستعمارية والغايات العلمية، فكان هؤلاء العلماء منحاكين - تلقائياً - لفكرة بذاتها مؤداها فصل مصر، تاريخاً وحضارة وثقافة وأصولاً، عما يحيط بها من جيرانها. العرب. ويبدو هذا الاتجاه واضحاً عند العلماء الانكليز والفرنسيين بالذات، لأن دولتيهما كانتا تستعمران الوطن العربي، وتعملان على تقسيمه وتفثيته لتتحقق سياسة: «فرق تسد» مما هو معروف مشهور. يثبت هذا أن ما يسمى «المدرسة الألمانية» كانت تتخذ مساراً آخر مخالفاً يقول بوحدة تاريخ مصر والوطن العربي، والسبب - فيما نرى - راجع إلى أن ألمانيا لم تكن ذات مستعمرات في المنطقة فلم يكن لعلمائها غاية سياسية ترتدى لبوس العلم، وبذا كانت دراساتهم تنصب على ربط حضارة مصر بجيرانها واللغة المصرية بما أسموه (اللغات السامية).

فإذا افترضنا حسن النية والبعد عن الهوى كانت ثالثة النتائج، أعني جهل الغربيين باللغة العربية، أولنقل جهل أغلب هؤلاء الغربيين بها. فالحق أن الكثرة الوافرة ممن اهتموا باللغة المصرية القديمة لم يكونوا يحسنون العربية، وإن ادعى بعضهم معرفته بها. وهم قد يتكلمون لغة التخاطب العربية المعاصرة، أولغة الصحف، أو حتى اللهجة العامية الدارجة، لكنهم لم يكونوا ليحيطوا علماً بلغة الشعر الجاهلي مثلاً أولغة الأدب العربي القديم. فمن فعل ذلك من المستشرقين كان اهتمامه مقصوراً على الشعر والأدب بعيداً عن اللغة المصرية، فلا تمكنه المقارنة واستخلاص النتائج. فإذا وجدنا من اهتم بمقارنة المصرية بما يدعونه (اللغات السامية) كانت مقارنته مبنية على معرفته بالعبرية أصلاً فإن أغلب هؤلاء من اليهود، وقد يعرجون على العربية إذا تبحروا فيها، كما فعل «فرانز كاليس» Franz Calice أو «امبير» Ember مثلاً، ولكن دون أن تتيسر لهم الاحاطة الكاملة.

هناك أيضاً نتيجة أخرى لاستحواذ الأوروبيين على الدراسات المصرية تكمن في أنهم في مجال دراساتهم للغة المصرية وفكهم رموز الهيروغليفية وجهوها وجهة تتفق مع نمط كتابتهم وأصوات

لغاتهم، فكان أن قلبوا أشكال هذه الرموز وعكسوها صورةً ومساواةً. فالرموز الهيروغليفية تضي عادة من اليمين إلى اليسار، وأحياناً من أعلى إلى أسفل، فكان لا بد لكي تسهل قراءتها من أن يؤولوا مسار الكتابة لتصبح من اليسار إلى اليمين وتبع هذا عكس صور الرموز بالطبع. نحن إذن نقرأ الهيروغليفية مقلوبة، كما نقرأ التاريخ مقلوباً هو الآخر!

ليس هذا فحسب، بل كان ثمة نتيجة خامسة نجدها في مجال النقحرة، أي النقل الحرفي للرموز الهيروغليفية إلى الحروف اللاتينية. إذ من المعلوم أن المصرية تحتوي على أصوات لا توجد في اللغات الأوروبية، من مثل العين والحاء والحاء والقاف، مما لا مقابل له في الألف باء اللاتينية، فكان كل باحث منهم يستنبط رمزاً من اللاتينية يضيف تحته نقطة أو خطأً يشير به إلى الصوت المعني. ومن هنا جاء الاختلاف في العلامات كما يلاحظ القارئ من الجدول المخصص لهذه الغاية. ومضوا فافتراضوا أن المصرية لا تحتوي على أصوات نجدها في العربية من مثل الضاد والطاء، فوضعوا بدلاً منها الدال أو التاء، ودرجت القراءات على هذه الصورة حتى رسخت، وهي قد لا تكون كذلك. وزادوا على ذلك أن افترضوا تحريكاً للصوامت، إذ المصرية كبقية العروبيات تعتمد الصوامت، وأكثرها من الصائتة مساوقة للغات الأوروبية دون دليل على وجود هذا الصوت في المصرية، فيحركون kmt (وهو اسم لمصر) مثلاً ليقرأ kemet، ولم أجد من قرأه kamt اتساقاً مع العربية.

والخلاصة أن علماء الغرب «أورّبوا» اللغة المصرية وحرفوها بشكل جعلها تبدو بعيدة كل البعد عن أخواتها اللغات العروبية، والعربية بصفة خاصة، منفصلة عما حولها، حتى أصبح العرب أنفسهم مقتنعين بأن هذه اللغة، التي سرت تسميتها خطأً (الهيروغليفية)، لا صلة لها بالعربية، باعتبارها تمثل «الحضارة الفرعونية» الغربية. ولا جدال في أن وراء هذا الاتجاه غايات استعمارية مخططة أن لنا أن ننتبه إليها وإلى خطورتها على مستقبل الوطن العربي والأمة العربية كلها. وأذكر هنا مثلاً آخذة عن من ينسب له فضل فك رموز الكتابة الهيروغليفية، أعني «شامبليون»؛ إذ تقرّر المصادر الأولى التي كتبت عن عزمه على فك هذه الرموز أنه تعلم العربية وأتقنها، إلى جانب القبطية، لكي يصل إلى فهم ألفاظ اللغة المصرية بعد قراءة رموزها. ثم تأتي الكتابات التالية لتتجاهل هذه الحقيقة تماماً وتغفل ذكرها. حتى يحسب المرء أن «شامبليون» كان يوحى إليه وحياً دون سابق علم بلغة أخرى يقارن بها اللغة المصرية. وهذه صورة واحدة فقط من صور التعمية وإخفاء الحقائق متعمدة ومدروسة.

فماذا عن العلماء العرب؟

لا نضيف جديداً إذا قلنا إن الباحثين العرب لم يكونوا سوى تلاميذ للعلماء الأجانب في ميدان الدراسات المصرية. هذه حقيقة بينة بذاتها، ومن الطبيعي أن يتبع التلميذ خط الأستاذ، إلا في القليل النادر. وقد غطت الفكرة القائلة بانفصال الحضارة المصرية عما جاورها أغلب الدراسات والبحوث، ولم أر من جرد نفسه وكرس حياته للربط بين اللغة المصرية والعربية في بحث كامل سوى تلك البداية الجريئة الرائدة، والمؤودة أيضاً، على يد أحمد كمال الذي يجد القارئ حديثاً عنه فيما يلي من الصفحات. ثم أذكر محاولة أخرى للأستاذ الدكتور عبد العزيز صالح في كتاب (حضارة

مصر القديمة وآثارها) في فصل قصير عقده بعنوان «مصر القديمة بين جيرانها في الجنس واللغة» (ص 12-29) استعرض فيه مذاهب علماء المصريات في صلة اللغة المصرية بـ«السامية» من جهة و«الحامية» من جهة أخرى، وقدم بعض ألفاظ مقارنة بالعربية وأخواتها (الساميات) وأخرى مقارنة بالليبية وأخواتها (الحاميات) - كما يقول. وإذا كان الدكتور عبد العزيز صالح أشار إلى وحدة اللغات السامية والحامية) وانبثاقها من جذع واحد (نسميه نحن : العروبية) فهو لم يلتفت إلى عروبية اللغة الليبية المقارن بها وكذلك البجاوية والغالية والصومالية، ولم يقدم المكافئ العربي لها جميعها، وهو أمر من السهل تقديمه. لكن عذر الأستاذ الباحث أن كتابه لم يكن للحدث عن اللغة، بل كان مكرساً للنظر في نشأة الحضارة المصرية الأولى، ثم تطورها التاريخي، مع تحليلات موسعة عن «المصريين الأوائل» حتى بداية الألف الثانية قبل الميلاد. والملاحظ في هذا الكتاب القيم أن الدكتور عبد العزيز صالح كان حائراً ما بين ما يحس به هو شخصياً من صلة اللغة المصرية بالعربية وأخواتها، وله ملاحظات مفيدة في هذا الباب سواء من حيث المفردات أو قواعد النحو، وما يراه في المراجع التي استعان بها من اتجاه فصلي مسيطر. ويبدو هذا في حديثه عن تكوين مصر السكاني، إذ نراه من جهة يذهب إلى أن سكان وادي النيل الأوائل جاءوا من شرقه وغربه عبر فترات من التاريخ معمنة في القدم وفي العصور التاريخية أيضاً، ثم نجده من جهة أخرى يدافع عن «أصالة» الحضارة المصرية وتفرداها بل وتميزها بشكل يصل إلى حد «الشوفينية» القاتلة.

كتاب آخر أذكره هنا كان للمرحوم الأستاذ محمد عزة دروزة بعنوان عروبية مصر في القديم والحديث . . أوقبل الاسلام وبعده. ولا بد أن نحمد للأستاذ دروزة غيرته العربية وحماسه القومية، ومن الواجب الإشادة بهذا العمل الموجه أساساً ضد الموجة الفرعونية. وهو كتاب مكثف يحوي معلومات غزيرة كتبت بأسلوب حماسي مبعثه الإحساس بضرورة التصدي لأراجيف دعاة الإقليمية وأسائدتهم، ولكنه استند - خاصة فيما يتعلق بتاريخ مصر القديم - إلى كتب مترجمة أو تأليف في التاريخ المجرد، إذ يبدو أنه لم يقرأ مؤلفات في لغات أخرى غير العربية. صحيح أن الأستاذ دروزة قرأ، واستخلص، وربط بين الأقوال واستنتج نتائج مهمة، لكن السرد التاريخي كان الغالب على عمله. وهو لم يتعرض لمقارنة لغوية قط، واكتفى بإيراد أقوال العلماء القائلين بوحدة المصريين وجيرانهم من شرق وغرب وحدة سلالية.

ولا أعلم، في مجال اللغة، من كتب بتفصيل عميق سوى الأستاذ الدكتور عبد المحسن بكير الذي ألف كتاباً بالعربية عن (قواعد اللغة المصرية في عصرها الذهبي) وآخر بالانكليزية عنوانه (Notes on Late Egyptian Grammar). ويبدو ميل الدكتور بكير إلى الربط ما بين قواعد المصرية والعربية واضحاً في كتابه الأخير. غير أنه لم يخصص دراسة مقارنة بذاتها بين اللغتين⁽¹⁾، وإن كان

(1) زرت الأستاذ بكير في بيته بالقاهرة في شهر يناير 1990 م. وهو في شيخوخته ومرضه. وقد أن من في حديثه عن الصلة بين المصرية والعربية وكرر مراراً أن هناك دوافع استعمارية مريبة وجهت الدراسات المصرية وجهة تبعدها عن العربية وأخواتها. قال إنه أحس هذا من أستاذه «غاردنر» Gardiner وسواه. قال أيضاً إنه يتمنى لو تفرغ علماء العرب المتخصصون في المصريات لدراسة العلاقة بين اللغتين وسوف يندهشون حين يدركون عمق هذه العلاقة ومتانتها وإنه حزين لأنه لم يجد الوقت ولا العافية ليقدم هو شخصياً بمثل هذا العمل المهم.

ما قدمه من إشارات وتحليلات وموازنات عظيم الفائدة للغاية .

وقد تكون هناك دراسات تفصيلية تنشر في الدوريات والمطبوعات المتخصصة بأفلام بعض العلماء العرب في مجال المقارنة بين المصرية والعربية، في مختلف المجالات، بيد أنها لم تتبلور بعد في تيار واضح مدعم بالحجة والبرهان . فهي دراسات تقدم على استحياء وبتردد كبير . وقد يكون مثيراً للاستغراب ومبعثاً للدهشة أن أذكر أن عدداً وفيراً ممن قابلت من المهتمين بالمصريات في القاهرة، وأساتذة آخرين، كانوا «يحدروني» من خطر السير في خط المقاربة بين المصرية والعربية . كانوا صادقين في تحذيرهم، يخشون شيئاً من مصدر ما قد يؤدي إلى أذى عظيم، بل أذى شخصي بالغ، وضربوا أمثلة لما يقولون .

فما مصدر هذا الخطر يا ترى ؟ إلى هذا الحد وصل الأمر ؟ ومن صاحب المصلحة فيه ؟ في ظني أن الاجابة تترك للقارئ الحصيف .

أحب - بعد هذا - أن تعرف قصتي مع الدراسات المصرية، واللغة المصرية ؟
فليكن . . .

كان ذلك في سنة 1977 م . وكنت يومها مشغولاً بمتابعة ما ذكر عن العثور على آثار ونقوش ليبية ومصرية وكنعانية وغيرها في أنحاء متفرقة من القارة الأمريكية، في كتاب بعنوان «أمريكا قبل الميلاد» America B.C مؤلفه النيوزيلندي الأصل «باري فل» Barry Fell . فسعيت إلى مقابلته في مدينة «بوسطن» إذ كان هو آنذاك أستاذاً بجامعة «هارفارد» . وفي «نيويورك» ابتعت نسخة من «كتاب الأموات» نشرة «والس بدج» W. Budge الذي ستردد اسمه كثيراً، فيما يلي من الصفحات . وقد وضعت (كتاب الأموات) جانباً واهتمت بدراسة النقوش الليبية⁽²⁾ المكتشفة على طول شمال أفريقيا لمقارنتها بما قيل إنه وجد في القارة الأمريكية . وفي أثناء بحثي كنت أعثر، بين الحين والآخر، على مقارنات بين اللغتين الليبية والمصرية، ولم يكن يخطر لي أن ثمة صلة بين اللغتين واللغة العربية على الاطلاق . وذات يوم تناولت نسخة (كتاب الأموات) أتمعن في صورها الهيروغليفية البالغة الدقة والجمال، وأقرأ ما وضع تحتها من أحرف لاتينية ترمز إلى هذه الصور، كما أقرأ الترجمة الانكليزية تحت الثنتين . وفجأة لاحظت وجود الحروف اللاتينية sbh (س ب ح) في أحد النصوص وترجمت إلى الانكليزية Call, pray . أليست هي «سبج» العربية ؛ ثم كلمة dua (دوا) بنفس المعنى تقريباً . أليست هي «دعا» العربية ؟ حتى أحصيت ما يزيد عن عشر كلمات تمكن مقارنتها بالعربية . حينذاك قررت النظر في هذه (الهيروغليفية) وعزمت على دراستها بقدر ما يتسع الوقت وتمكن الطاقة . وهكذا قضيت السنوات الثلاث التالية في تتبع كل ما تصل إليه يداي من مصادر ومراجع تتعلق باللغة المصرية، ولم تكن في بلدي على وفرة . عندها صممت على متابعة الدرس والتمحيص، فتفرغت سنة كاملة أمضيتها في جامعة لندن حيث تيسر لي الاطلاع على عدد كبير من المراجع والكتب والاتصال بدوريات المصريين وجمعياتها، وانصرفت تماماً إلى الموضوع الذي اتضح لي صورته بمضي الأيام : اللغة المصرية ليست إلا فرعاً من اللغة العروبية الأم، لها أوثق الصلات بالعربية في قديمها وحديثها .

(2) تعرف باسم اللوبية في الكتابات الفرنسية lybique وقد تسمى النوميديية Numidian كذلك .

كيف ؟

كيف يمكن للغة ماتت منذ مئات السنين واندثرت من الاستعمال أن تكون ذات صلة بلغة حية يتحدثها أهلها اليوم ؟

أما أن اللغة المصرية اندثرت فهذا غير صحيح ، فهي لا تزال في ابنتها المسماة «القبطية» ، وهي لغة الكنيسة في مصر ، محرفة - هذا صحيح ، وتكتب بحروف مقتبسة من اليونانية بإضافات منقولة عن الهيروغليفية - وهذا صحيح أيضاً . لكن العمود الفقري للقبطية هو اللغة المصرية القديمة ، مع اقتراضات ودخيل كثير . وعلى هذا الأساس فإن القبطية تمكن مقارنتها ، ومقاربتها ، بالعربية طبقاً لمقارنة اللغة الأم ، المصرية ، بها . وهي لا تزال في ألفاظ (عامية) متداولة ليس في مصر وحدها بل في أقطار عربية أخرى مما يراه القارىء في ثنايا هذه الدراسة . ليس هذا فحسب ، بل إن ثمة ألفاظاً ومفردات مصرية في اللغات الأوروبية ، كالانكليزية مثلاً ، تسربت عن طريق اليونانية واللاتينية ، أو لنقل إنها ألفاظ «عروبية» موجودة في المصرية والعربية معاً ، وكل ما في الأمر هو أن الباحثين صرفوا اهتمامهم إلى المفردات المصرية ربما جهلاً بالعربية . . . أو تجاهلاً مقصوداً .

هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى فإن علماء اللغات يتفقون على أن اللغة العربية التي نستعملها نحن العرب اليوم والتي أكتب بها الآن هي أقدم اللغات على وجه الأرض وأعتقها تاريخياً ، ومع ذلك فهي لغة «حديثة» جداً ، أعني لغة «حية» تواكب أحدث اللغات في العالم . وبذا فإن لفظاً ما نستعمله في حديثنا يمكن أن نجد مقابله في المصرية ، لأن هذا اللفظ استمر في الحياة دون توقف منذ قديم الزمان حتى يومنا هذا . . . وهو أمر مدهش تفسيره عند أغلب الباحثين يكمن في استمرار القرآن الكريم كتاباً مقدساً لغالبية العرب المسلمين مما حفظ اللغة العربية التي نزل بها منذ أكثر من أربعة عشر قرناً في هيكلها العام ، مفردات وصرفاً ونحواً .

على أننا قد نصادف في المصرية ألفاظاً لا يتيسر المكافء العربي لها ، وقد تكون هذه الألفاظ مما مات وبطل استعماله في العربية مما يدعى «المهمل» ، فلم تورده المعاجم . أو قد تكون تبدلت صورتها بحكم التطور اللفظي مما أبعدها عن الأصل حتى خفي . أو لعل معناها تغير طبقاً لقانون تطور الدلالة حتى ينأى عن الدلالة الأولى ، وقد يصبح من الأضداد . أو أن ترجمة المعنى إلى اللغات الأوروبية التي ننقل عنها ترجمة غير دقيقة أو خاطئة مما هو كثير الحدوث . وأخيراً فإن فوق كل ذي علم عليم ؛ إذ لا يمكن لفرد - كائناً من كان - أن يحيط بمفردات اللغة العربية كلها ، كما لا يمكن لأي معجم مهما بلغت ضخامته أن يشمل ألفاظ هذه اللغة جذوراً ومشتقات بحيث لا يغرب عنه لفظ ولا تشرد كلمة . فلا بد ، على هذا الأساس ، أن تتضافر جهود العلماء العرب ليكمل كل منهم سواه ويسد نقصه وينبئ ما غمض عليه أو جهله ، في مجال المقارنة بين اللغتين . فإذا أعوزت المقارنة ، رغم الجهد ، فإن ثمة مصدراً آخر يجب الانتباه إليه ، أعني لغات الوطن العربي القديمة المسجلة والتي كشف النقاب عنها عبر القرنين الماضيين ، من مثل البابلية ، والعربية الجنوبية ، والكنعانية ، وفروعها ولهجاتها . وهي معين دافق يمكن العثور عن سبيله على الألفاظ المهملة في العربية ومقارنتها بالمصرية ، لتعاصر هذه اللغات كما هو معروف . فإن لم يكن هذا فإن في اللهجات الباقية ، من آرامية

(سريانية) وليبية (بربرية) ومهرية (حضرية) وحتى حبشية (أثيوبية) وتشعباتها مجاًلاً خصباً يمكن الركون إليه لاكتشاف قرب المصرية من هذه اللغات العروبية كلها .

فما شأن هذا الكتاب الذي أقدمه للقارئ العربي اليوم، ولماذا (آلهة مصر العربية) ؟
فلأعترف منذ البداية أنه لم يكن عملاً يسيراً على الإطلاق أن ألقى بنفسني في خضم متلاطم مثل خضم المصريين فأجدني بين تيار وتيار، وموج وموج، في بحر لا ساحل له ولا حد . ولكن الدافع كان أقوى من أن يقاوم، وكان لا بد أن يتقدم المرء بما يراه الحق والصواب في مواجهة دعوى سادت الأذهان وسيطرت على العقول، عزلاً لمصر عن أخواتها وفضلاً لحضارتها العظيمة عن أهلها، وهي الحضارة العروبية النشأة والأصول، العربية اللغة واللسان، من حقي - باعتباري مواطناً عربياً - أن أفخر بها وأعتز ومن واجبي أن أشيد بها وأكبر، إذ هي حضارة أنتمي إليها وتنتمي إلي . . . تماماً كحضارة الرافدين أو الشام أو الجزيرة أو الشمال الأفريقي . . . كلها حضارات عروبية علمت الانسان في القديم القديم ونشرت نورها الفياض على أرض الله الواسعة من بعد .

وقد يكون في هذا الكتاب رد على أباطيل كثيرة وأراجيف عديدة نادت بها - للأسف - في أرض الكنانة ذاتها أقلام تكتب بالعربية وألسنة تنطق بها، غير أن الهوى أعماها عن واضح الحق وأبعدها عن الصراط المستقيم . وقد يكون بداية لمن يأتي من بعد من العلماء الباحثين فيكملون ما بدأت، ويسدون ما في عملي من ثغرات، ويزيدون على ما قدمت . . . حتى تجلي الصورة وينتقش الغبش .

هذا الكتاب ليس تاريخاً لمصر، فثمة مئات من الكتب في هذا التاريخ . وليست الغاية منه تتبع سير الحضارة المصرية في مختلف ميادينها، فهناك عدد لا يحصى مما سطر في هذا الموضوع . وهو لا يرمي إلى هدف تعليمي أو تثقيفي . ولكنه كتاب غايته إثارة قضايا معينة في صلب الحضارة المصرية، أعني في آلهتها المعبودة وفي لغتها، ويخلص إلى قضية القضايا : عروبية هذه الحضارة الخالصة .

من هنا تخيرت أن أكتب بتفصيل في بابين ؛ أولهما الآلهة المصرية، وثانيهما اللغة المصرية القديمة . وقد نهجت في دراسة الآلهة منهج التركيز على أسمائها كما وردت في التراث الديني المصري، وما يكافئها في العربية، مع تفصيلات تتطلبها الدراسة مما يستوجب الايضاح والبيان . واخترت لهذا نحو المائة من أسماء المعبودات المصرية، وبعضاً مما يتصل بعالم الديانة من تسميات، معتمداً على ترجمتها إلى الانكليزية أو الفرنسية لأقوم بإعادتها إلى العربية كما يجب أن تكون . وقدمت لكل منها بمقدمة قصيرة تعطي فكرة ملخصة عن كنهها . وتوسعت في التحليل وضرب الأمثلة وتقديم الشواهد من العربية، أو أخواتها، محاولةً للبيان بالدليل الذي لا يدحض . لذا فإن القارئ لن يجد بحثاً في الديانة المصرية ومعتقداتها إلا بقدر ما يتصل باسم المعبود الذي ندرس . أما في مجال اللغة فقد اهتمت جداً بمقارنة قواعد المصرية بقواعد العربية، ذلك لأن ثمة حجة غريبة تقول إنه لا عبرة بتماثل الألفاظ والمفردات بين اللغات، إذ قد «تقترض» لغة من أخرى بحكم اختلاط أو تمازج لأسباب كثيرة، والمهم أن تكون قواعد اللغتين على صلة فيثبت بهذا اشتراكهما في الأصل والتطور .

فليكن إذن ما قدمته في هذا الباب حجة أخرى تضاف إلى حجج الحقيقة الراسخة في عروبة مصر منذ البداية .

هذا هو إذن عماد هذه الدراسة وجوهرها . بيد أنه لم يكن بُد من مقدمات توضح للقارئ ما سيقراه . فتحدثت عن نشأة سكان وادي النيل الأوائل ، أو تكوين مصر السكاني ، وملاحظات عن الأقوام المحيطة المجاورة ، في الجزء الأول ، كما تحدثت عن ملاحظات عامة حول اللغة ، يجدها القارئ في مواطنها من هذا الكتاب . وهنا ينبغي التنبيه إلى أن هذه الدراسة كتبت على مدى عشر سنوات كاملة ، بدءاً من سنة 1980 م . ومن هنا جاء هذا التنوع في تناول بعض الفصول ، إثارة لملاحظات كانت تعدل في أثناء قراءاتي ، لكن ما يربطها جميعها هدفٌ واحدٌ وغاية واحدة . فحين كتبت فصلة عن «الهكسوس» مثلاً كانت لا تهمني سوى فكرة واحدة تتصل بأسم «الهكسوس» وتحليله الذي جر إلى اسم عاصمتهم «هواره» وصلتها بقبيلة هواره (البربرية) المعروفة . وهكذا في عدد آخر من المقالات . وفي تصوري أن هذا هو الأسلوب السليم لاعادة «قراءة» التاريخ إذا أردنا إعادة «كتابة» هذا التاريخ الذي شوه عمداً وعن سابق قصد وإصرار .

قد يلاحظ القارئ تفصيلاً كبيراً في جزئيات صغيرة ، وكثيراً جداً من الهوامش والتعليقات والشرح المساعد ، فليعلم أن هذا باعته أولاً تيسير الأمر على القارئ العام الذي لا صلة له بالموضوع ولا معرفة سابقة لديه بما يقرأ ، وباعته ثانياً إرضاء القارئ المتخصص المغرم بذكر المصادر والمراجع . أما الباعث الثالث فهو أن الحديث المعمم وإطلاق الأحكام دون دليل دفاعاً عن عروبة الحضارة المصرية القديمة لا يقبل قطعاً إلا بإظهار الشواهد وعرض الأمثلة المكافئة ، أي الحججة العلمية الثابتة . وقد يلاحظ القارئ الذي مضى في القراءة حتى نهاية الكتاب أن شرحاً لكلمة أو توضيحاً لجملة قد تكرر ، وكان هذا حتى لا يضطر إلى مراجعة ما تقدم والعودة إلى موطن آخر ذكرت فيه من قبل ، فإن اللغة المصرية - لا ريب - شيء جديد عند القارئ العام وهو محتاج إلى التذكير ، فإن الذاكرة تخون والنسيان أمر طبيعي عند كل إنسان . وهو سيرى أنني حرصت على إثبات عدد كبير من الكلمات الانكليزية التي نقلت عنها معاني المفردات المصرية لمكافأتها بالعربية ، وذلك حرصاً على أمانة النقل وحتى يجد من يبغي تتبع المسألة واستقصاءها الأمر مبسوطاً أمامه في المصادر المنقولة عنها - وهي لا تزال في اللغات الأوروبية ولا توجد في العربية إلا نادراً جداً . وفي هذا الجانب واجهتني مشكلة من مشاكل النقل عن الفرنجة تكمن في عدم اتفاهم على المقابل من الأحرف اللاتينية للرموز الهيروغليفية التي تسهل مقابلتها بالحروف العربية . إذ نجد الهمزة عند بعضهم (A) ، وعند الآخر (3) ، والياء تكتب : (i), (ī), (j), (y)â ، والقاف : q, k . والخاء : h, kh . والذال : d, t . والشين : š, sh . وهكذا مما خصصنا له جدولاً في موطنه . وقد استعملت هذه الرموز كما جاءت في مصادرها . ولعل يوماً يأتي نستعمل فيه الأحرف العربية وحدها بصورة متفق عليها بإذن الله .

هذا الكتاب يأتي في أجزاء ثلاثة يحمل كل منها عنواناً :

الجزء الأول بعنوان (البداية) يحوي 16 مقالةً أو بحثاً هي في الواقع عبارة عن (فصول تمهيدية) لا بد منها تهيء القارئ لما يأتي من بعد . والملاحظ أن هذه المقالات لم يقصد بها أن تكون

تأريخاً (أكاديمياً) - وإن اتبعت المنهج العلمي بالطبع - ولكنها تتحدث عن «قضايا» تثيرها لاعادة النظر في ما اعتبر مسلمات من قبل. وهي بهذا تضع القارىء أمام تفكير جديد وموقف مختلف فيما يتصل بحضارة وادي النيل وما يحيط به من «جيران» هم في الحقيقة أهل أقربون.

الجزء الثاني بعنوان (الغاية) . . يأتي بعد أن تهبأ القارىء للمشاركة في فهم تحليل أسماء المعبودات المصرية تحليلاً يعيدها إلى عروبته الأولى، ولإدراك أبعاد هذه الأسماء ودلالاتها، مع مقدمات توضيحية وتفصيلات يأخذنا إليها الحديث المرتبط ببعضه ببعض.

الجزء الثالث بعنوان (الدراية). والمقصود هنا معرفة وحدة اللغتين المصرية والعربية على أساس (وحدة القواعد). ويجيء هذا الجزء وقد تابع القارىء ما سبق وأصبح على استعداد لمناقشة التفصيلات اللغوية القواعدية، النحوية والصرفية. ويتبع هذا الجزء ملحقات لمقارنة بعض المفردات القواعدية، تعمدت اختيارها من رجلين كانا لا يسلمان بعروبية لغة مصر القديمة، هما الأستاذ «بدج» والأستاذ «غاردرن» اللذان استفدت من مؤلفاتها عظيم الفائدة.

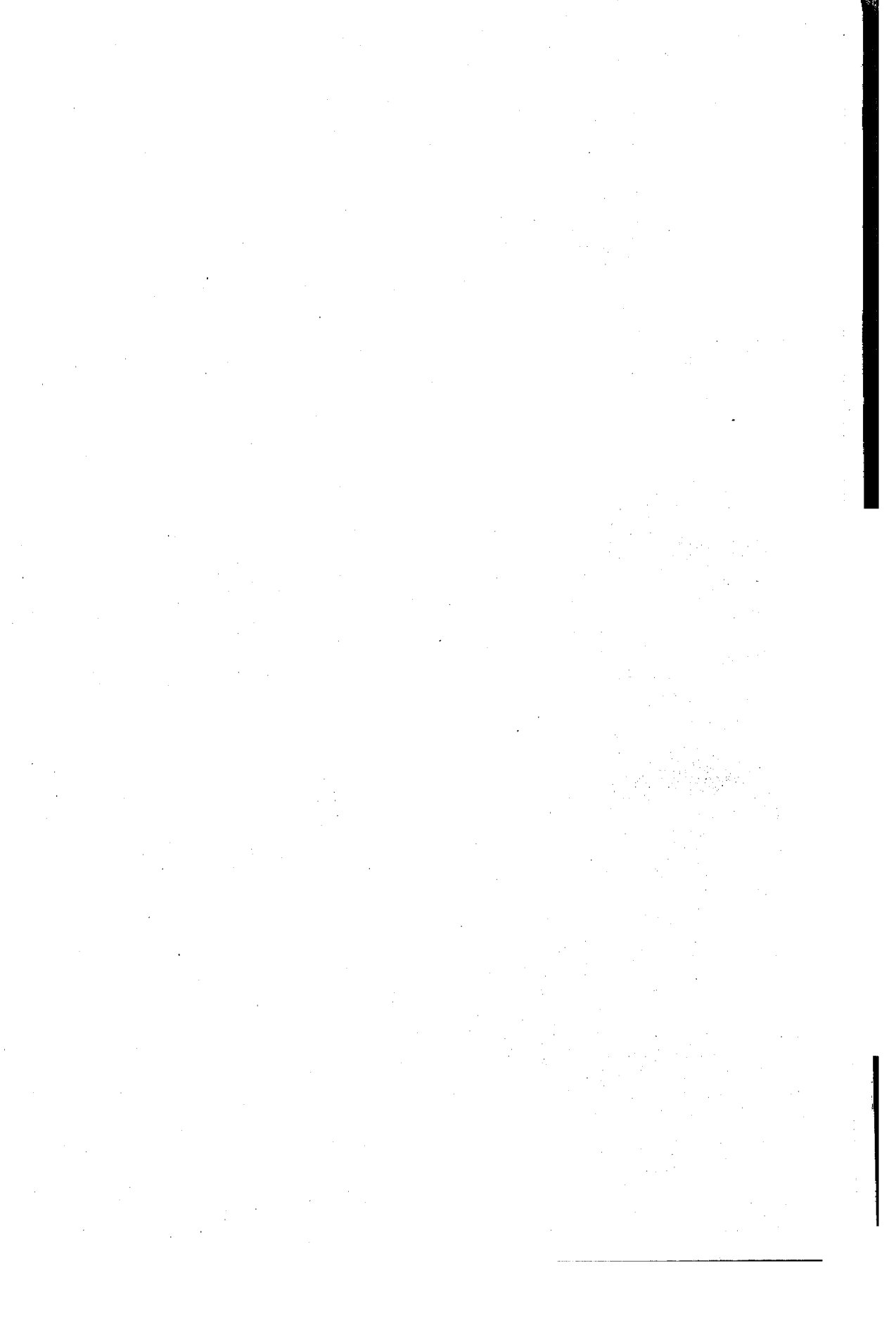
أخيراً أقول إن هذه المقدمة كان يمكن أن تكون أطول مما هي عليه، وأكثر إسهاباً في ذكر الأقوال ومناقشتها، وإن ثمة قضايا كثيرة للغاية لا تزال في حاجة إلى درس وتفصيل. ولكنني أحسب أن في مثل هذا الكتاب مجموعة من الاجابات عن بعض الأسئلة، ليست بالضرورة إجابات شافية أو نهائية، ويكفيها أن تثير في الأذهان أسئلة أخرى سيأتي من يجيب عنها بقدر أوفر من العلم مما لدي، وهو جد يسير. ولست أدعي أن الصواب كان حليفي في جميع تحليلاتي وتعليقاتي، ولا أزمع أنني أحطت بكل شيء علماء. بيد أنها محاولة مني، أرجو أن تتبعها محاولات من علماء عرب آخرين، بمنهج عروبي مبدع في جيل الشباب من يأخذ به، فننزع عن عقولنا وأبصارنا الغشاوة التي أسدلتها «أساتذتنا» علماء الغرب رداً من الزمان طال.

وختاماً أود أن أتوجه بالشكر العميق لكل من أعانني في أثناء بحثي، وهم كثيرون، أخص بالذكر منهم الأستاذ علي مصطفى المصراطي الذي أمدني بعدد كبير من المراجع العربية، والدكتورة علية شريف (هيئة الآثار المصرية - القاهرة) التي مكنتني من فرص لقاءٍ وأحاديث مهمة في المرحلة الأخيرة من إعداد هذا الكتاب، وابنتي هند التي سهرت معي ليالٍ طويلة وأسهمت بقدر كبير في مراجعة النتائج التي كنت أصل إليها وتحملت هي والأنسة سلمة عبد الجبار (قسم التفسير - جامعة الفاتح) عبء نقل وتبويض فصول كثيرة. والشكر موجه أيضاً إلى زوجتي التي هيأت لي حياة عائلية ساعدتني على إنجاز ما بدأت. ثم إلى الأصدقاء في (مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية - جامعة لندن) وخاصة الأستاذ الدكتور «زيور زاندي» من قسم التاريخ، والأصدقاء في (جمعية الدراسات المصرية) في لندن. وإلى كل من أعانني برأي، أو فكرة، أو مرجع. . أو كلمة تشجيع.

مصراطة

(ليبيا)

1990.1.15 م.



الرموز الهيروغليفية

ترد في ثنايا صفحات هذا الكتاب مجموعة من الرموز في الكتابة المصرية القديمة شرحناها في موطنها، وهذه لوحة لها باعتبارها «حروفاً» أو رموزاً هجائية، مأخوذة من الأستاذ «غاردنر» (Egyptian Grammar, p. 27) مقارنةً بما عند سواه من العلماء، مع المقابل العربي :

الرمز الهيروغليفي	عند «غاردنر»	عند آخرين	المقابل العربي	ملاحظات
	,	a, 'a	ع، أ	ألف مهموزة، أو همزة مفتوحة
	i	á, ĩ	إ، إ (مرفقة)، ي	ألف مكسورة أو همزة وصل، أو ياء
	y	i, ĩ, ĩ	ي	ياء النسبة أو التثنية غالباً
	c	ā	ع	
	w	u, ũ	و	
	b	b	ب	
	p	p	ب	باء مهموسة
	f	f	ف	
	m	m	م	
	n	n	ن	
	r		ر	
	h	h	هـ	
	ḥ	ḥ, h	ح	
	ḫ	kh	خ	
	ḫ	kha	خ	صوت ما بين الحاء والحاء المعجمة
	s	ś, z	س، ص، ز	
	š	sh	ش	
	k	q	ق، ك، كـ	قاف، أو قاف معقودة
	k	č	ك، (كاف مكشكشة)	
	g	k, ġ	ج، (جيم معطشة)	جيم مجهورة أو معطشة
	t		ت	
	ṯ	th, dj, tj	ث، ت	ثاء مثلثة، أو ثنائية بنطق المغاربة
	d	t	د	
	d	tch, t',	ذ، تش، ح	
	d	dj, tj, ts	ط، ص، ض	

ملاحظة :

لا توجد في الألف باء العربية في الأصل : (ب، ك، كـ، ت، ج). وهي متدعة لمقابلة بعض الأصوات في الحرف اللاتيني. ولسنا على ثقة من أن نقحرات العلماء الغربيين للرموز الهيروغليفية صحيحة كلها بدليل اختلافهم فيما بينهم في هذه النقحرات.

تنبیه

تأتي في هذا البحث تعبيرات هذا بيانها :

الهيروغليزية : الكتابة المصرية القديمة .

المصرية : اللغة المصرية القديمة .

اللهجة المصرية، أو المصرية الدارجة : اللغة اليومية المعاصرة في مصر .

الليبيون : سكان شمال أفريقيا القدماء (= اللوبيون، في بعض المراجع) .

الليبية : اللغة الليبية القديمة (lybique - في المراجع الفرنسية خاصة) .

اللهجة الليبية، أو الليبية الدارجة : اللغة اليومية المعاصرة في «ليبيا» اليوم .

سوريا، سوري : بلاد الشام، شامي، على الإطلاق .

الجبالية، الجبيلية : لهجة في الشمال الأفريقي (= البربرية، الأمازيغية) .

العربية : العربية الشمالية، لغة الحجاز، أو العربية العدنانية، وهي الفصحى .

العروبية : لغات الوطن العربي القديمة، في بلاد الرافدين والشام والجزيرة وجزء من شرق أفريقيا

ووادي النيل والشمال الأفريقي .

النقحرة : «نقل حرفي» (عن : منير البعلبكي في «المورد») = Transliteration .

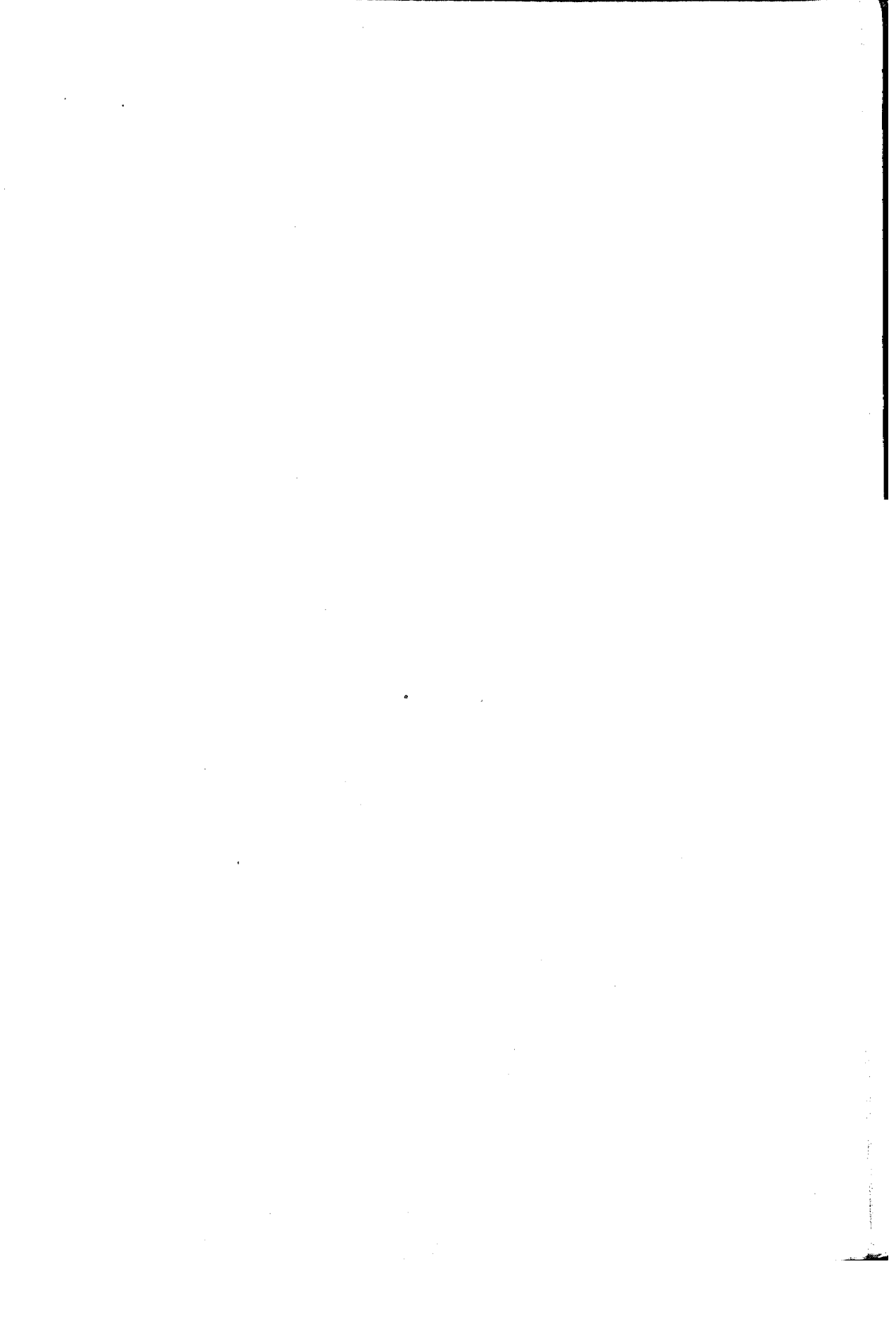
اللغة : (في بعض الأحيان، وخاصة في العروبيات) اللهجة .

الجزء الأول
البدائية

Handwritten text, possibly a signature or name, appearing in two lines. The first line is faint and illegible. The second line is also faint and illegible.

فصول تمهيدية

- 23 انغرب والشرق .. يلتقيان
- 41 قصة الخلق المصرية
- 65 الغرب شرق، والشرق غرب
- 73 عن «الليبو» و«العريبو»
- 85 عن «الهكسوس» .. وعن «هواة»
- 97 بحثاً عن فرعون العربي
- 113 هل المصرية لغة «أفريقية» ؟
- 131 هل المصرية لغة «خاصة» ؟
- 153 الأصول العربية لأسماء رموز الهجاء الهيروغليفية
- 167 العرب والهيروغليفية
- 195 الوليد بن مصعب
- 201 الثور المسافر !
- 205 كلاب «أنتف» الأربعة
- 209 أسماء ملوك طيبة المدهشة
- 225 أسماء مصر العربية
- 241 والأرض الحمراء



الغرب والشرق.. يلتقيان

في البوتقة العظيمة

أوائل العشرينات من هذا القرن، بدأ الاهتمام بدراسة المواقع الأثرية التي خلفها إنسان ما قبل التاريخ في ما يسمى (الصحراء الليبية) من مستوطنات وفخاريات وتصاوير على صخور المرتفعات. وتوالت البعثات بعد هذا في مختلف التخصصات مكونة مجالات واسعة للتنقيب والبحث تدور في أغلبها حول نشأة الحضارة الانسانية الأولى في (الصحراء) وعلاقتها بحضارة وادي النيل⁽¹⁾.

كان من أوائل البعثات تلك التي قام بها مجموعة علماء من بينهم «أوليفر ميرز» Oliver Myers و«هانز ونكلر» Hans Winkler ما بين عامي 1937 - 1938 م. إلى منطقة جبل العوينات والجلف الكبير. وكان هدف «ميرز» دراسة بقايا المستوطنات البشرية هناك ومحاوله معرفة أثرها في سكان «أرمنت» إبان الأسرة الرابعة. أما غاية «ونكلر» فكانت دراسة التصاوير القديمة المنقوشة على صخور جبل العوينات. وقد توصل «ميرز» إلى نتائج مهمة منها: التلليل القاطع على حدوث تغيرات خطيرة في مناخ الصحراء، وبالتالي حدوث خلخلة سكانية. ومنها: إثبات حدوث تغيرات اقتصادية، كما في الرعي، والزراعة التي ظهرت في الصحراء قبل أن تظهر في وادي النيل⁽²⁾.

أما «ونكلر» فقد ألف كتاباً عن تصاوير الصخور سنة 1938 م قال فيه:

«إن هذه التصاوير تحل بقدر ما محل السجلات المكتوبة، إذ لا نفهم منها مختلف الادراكات الفنية فحسب بل قد نحصل منها أيضاً على معلومات قيمة عن الثياب والأسلحة، والصيد، والملاحة، والحيوانات البرية والمستأنسة، ويمكننا أحياناً أن نستخلص منها أفكاراً عن المعتقدات الدينية والمؤسسات الاجتماعية للذين سطروا هذه التصاوير»⁽³⁾.

(1) من أهم الدراسات المركزة في هذا الموضوع:

The Sahara and the Nile Quaternary environments and prehistoric occupation in North Africa, Balkema, Rotterdam, 1980.

وهو مجلد في حوالي 600 صفحة بأقلام عدد من المختصين المعروفين أحاطت بحوثهم بجوانب الموضوع المختلفة.

M. A. Hoffman ; Egypt Before the Pharaohs, p. 232 (2)

(3) المصدر السابق، ص 233.

ومن هذه الدراسات التي استعرضها «هوفمان» بتفصيل استخلص :

«لقد شرع الآثاريون العاملون في قفار الصحراء الواسعة الآن فقط في تجميع قصة العلاقات الحضارية الحقيقية بين (الأرض الحمراء) و(الأرض السوداء)⁽⁴⁾. فالآن، على الأقل، يبدو كما لو أن ثورة إنتاج الطعام حدثت في (الأرض الحمراء) قروناً متطاولة، إن لم تكن ألف سنة كاملة، قبل أن تنفذ إلى منخفضات النيل الخصيبة. وبذا فإن أوليات التقدم [الحضاري] صارت معكوسة وكان (الهمج)⁽⁵⁾ هم موجة المستقبل. ويظهر أن رعاة الصحراء الذين طالما حقر الكتاب المصريون القدماء أعقابهم، ويا للعجب، هم الذين جاءوا بثورة العصر الحجري الجديد إلى أفريقيا، وربما - بطريقة غير مباشرة - هم الذين وضعوا أسس المدنيّة المصرية. إن العالم... قلب رأساً على عقب»⁽⁶⁾.

كان «ميرز» و«وينكلر» وأمثالهما يتابعون أستاذهم «فلنדרز بيتري» F. Petrie عالم المصريات الذائع الصيت، وهو من قضى عمره الذي قارب التسعين عاماً مستكشفاً، وكاشفاً، وباحثاً ودارساً للآثار المصرية، وخلص إلى أن سكان الوادي تكونوا أساساً من مهاجرين من (الصحراء) جاءوا على دفعات متوالية، كل دفعة تزحم التي قبلها في ما قبل التاريخ، بل حتى في العصور التاريخية المسجلة. ولم يعد أحد من أساتذة المصريات يناقش في صواب هذا المذهب، وإن اختلفوا في التفاصيل وتحديد تواريخ موجات الهجرة التقريبية وهو أمر طبيعي؛ إذ نحن نتعامل هنا مع مسألة تخضع للمقارنة والاستنباط وليس مع مسجلات مسطرة، اللهم عدا ما سجلته النقوش من أحداث بعد اختراع الكتابة بالطبع⁽⁷⁾.

(4) أي الصحراء (دشرت) dšrt ومصر (كمت) kmt . (أنظر تحليل الكلمتين في موضعها من هذه الدراسة).

(5) أي أهل الصحراء كما كانوا ينعنون في النقوش المصرية.

(6) المصدر السابق، ص 239.

(7) كانت الصحراء الليبية منذ ما سمي (الجفاف العظيم) أي منذ حوالي 20.000 سنة ترسل موجات أو «نبضات» من المهاجرين ليس إلى مصر شرقاً فحسب بل إلى جبال الأطلس التي انحسر عنها الجليد غرباً، ثم إلى شبه جزيرة إيبيريا شمالاً حتى بريطانيا (قارن Whishaw ; Atlantis in Andaluca). ويقول الأستاذ «لويس سبنس» L. Spence في كتابه The Mysteries of Britain، إن الديانة، السحرية (الدرويدية) Druidism في الجزر البريطانية هي ذاتها (ديانة أوزيريس) في مصر - أي ديانة عبادة الموتى - التي خرجت من الصحراء مع المهاجرين شرقاً وغرباً، وإن تلوّنت بطابع البيئة المحلية. وقد ورد في (تاريخ كمبردج القديم) ما نصه: «هناك عدد قليل من سلسلة مخلفات الجاهج في إسبانيا والبرتغال يقال إن بعضها يائل في مقاييسه تلك الجاهج الموجودة في (نقادة) بمصر في عصر ما قبل الأسرات. ويبدو أن هذا الدليل الهيكلي يثبت المقترحات المؤسسة على دليل أثري أن شبه جزيرة إيبيريا كانت نقطة دخول لأقوام العصر الحجري الحديث من شمال أفريقيا، وهي الأقوام التي تحركت كذلك نحو أعالي وادي النيل في أزمنة ما قبل الأسرات». (The Cambridge Ancient History, Vol. I, part I, p. 168). وقد تتبع الأستاذ «سيرجي» Sergi في كتابه المميز «جنس البحر المتوسط» The Mediterranean Race هذه الهجرات وانتشارها في أصقاع بعيدة. أنظر كذلك: D. Clark ; The Prehistory of Africa, pp. 207-212 الذي درس الهجرات الليبية القديمة إلى وادي النيل وشرق أفريقيا وغربها.

المثير للاهتمام أن «وينكلر» الذي درس رسوم الصحراء غرب وادي النيل وربط بين مخلفيها وسكان الوادي هو ذاته الذي ركز اهتمامه على رسوم أخرى شرقي النيل، بينه وبين البحر الأحمر. وهي تتكون في أغلبها من صور مراكب، أو قوارب، على صخور جبال (الصحراء الشرقية). من الذي رسم هذه التصاوير؟ ما الذي تفعله القوارب في الصحراء يا ترى؟ وكان التفسير الوحيد المقنع أنها مخلفات من أسياهم «الغزاة الشرقيين»، جاءوا - في رأيه - إلى الوادي من بلاد الرافدين. وقد ناقش «هوفمان» هذه المسألة وحاول نقض رأي «وينكلر» بالقول إن رسوم القوارب هذه لا توجد شرقي النيل فحسب، بل هي كذلك في غربه⁽⁸⁾.

وليس المهم أن يكون هؤلاء «الغزاة» جاءوا من الرافدين أو من شبه الجزيرة⁽⁹⁾، غير أن رسوم القوارب ذاتها غربي النيل تدل على أن القادمين من الشرق انزاحوا غرباً ليمتزجوا بالقادمين من (الصحراء) بعدئذ. وهو ما حدث بعد ذلك كثيراً حين كان الوافدون من شبه الجزيرة العربية إلى الوادي يمضون غرباً. حتى يصلوا أمواج المحيط الأطلسي، كما جرى في (تغريبة بني هلال) مثلاً. والعكس صحيح؛ إذ كانت القبائل «الليبية» منذ قديم الزمان تتجه شرقاً، فبعضها يستقر في الوادي - شماله وجنوبه - وبعضها يمعن في تشريقه حتى يختلط مع قبائل شبه جزيرة سيناء⁽¹⁰⁾.

في سنة 1970م. أثار الباحث المعروف في ما قبل تاريخ شمال أفريقيا الأستاذ «ماكبرني» Mc. Burney زوبعة من النقاش حول بحث ألقاه في مؤتمر عقد بجامعة لندن عن العلاقات «الحامية - السامية» حين تعرض لنشأة ما يسمى «إنسان قفصة» حوالي الألف العاشرة قبل الميلاد. وكانت خلاصة الجدل الذي شارك فيه جملة من كبار الباحثين (أمثال: Vycichl, Garbini, Merce Cohen, Tucker, Isserlin, Crossland) أن التغير المناخي والتشكل الحضاري الذي مر به (الصحراء الليبية) تزامن مع ذلك الذي حدث في (الصحراء العربية)، وأن الهجرة إلى وادي النيل كانت تأتيه من الشرق والغرب على دفعات متتالية مما جعل هذا الوادي بوتقة انصهار كبرى⁽¹¹⁾.

هذا الانصهار الذي كان منذ بدء التاريخ هو الذي جعل باحثاً شهيراً كالأستاذ «آرثر إيفانز» Arthur Evans المكتشف الفعلي لحضارة «كريت» يعبر عن الأثر (الليبي - المصري) Egypto-Libyan

(8) Hoffman ; Egypt Before The Pharaohs, pp. 234-246 .

(9) من المستبعد أن تقطع هذه القوارب البدائية المسافة من الخليج العربي إلى البحر الأحمر لتصل إلى وادي النيل. والتفسير المقبول أن (الغزاة) خرجوا من الجزيرة وعبروا البحر الأحمر إلى النيل في إحدى موجات الهجرة الكثيرة.

(10) يتحدث العلماء كثيراً عن أصل من يسمونهم (الساميين)، ولم يتفقوا على رأي قاطع في الأمر. غير أن ثمة من يرى أن (الساميين) كانوا أساساً في شمال أفريقيا ومنها انطلقوا عبر التاريخ إلى الشرق. (أنظر: طه باقر، في مجلد «ليبيا عبر التاريخ»، ومحمد عطية الأبراشي: الآداب السامية، أغناطيوس غويدي؛ محاضرات في تاريخ اليمن والجزيرة العربية قبل الإسلام، ترجمة إبراهيم السامرائي).

(11) أنظر: Mc Burney, The Archaeological Context of The Hamitic Languages in North Africa, in «Hamito-Semitic» Mouton, 1975, pp. 495-515.

سفي في أساس الحضارة «المنوية»⁽¹²⁾ باعتبار أن سكان غربي الدلتا الذين أثروا في هذه الحضارة كانوا كتلة واحدة من «المصريين» و«الليبيين». وليس هنا مجال مناقشة أسس الحضارة «المنوية» أو «الكريتية»⁽¹³⁾، بيد أن «إيفانز» يربط ما بين هذه الأسس وحضارة الرافدين في مثل قوله :

«إن تكرر ظهور رمز «نث» الربة الليبية، على نوع من الاسطوانات التي كانت شائعة قبل الأسرة الأولى، يجب أن يعتبر رابطاً لها بالدلتا الغربية. ومن جهة أخرى فإن التماثل القريب بين أنواع الاسطوانات المصرية المبكرة والأسطوانات الكلدانية Chaldean البدائية يميل إلى إظهار أن هذا الشكل من الأختام اتخذ سبيله في البداية إلى وادي النيل من الجانب الآسيوي»⁽¹⁴⁾.

لكن ما يشد الانتباه أن من يسميهم الأستاذ «إيفانز» (الليبيين - المصريون) هم أنفسهم الذين يدعوهم الأستاذ «هول» (الليبيين - الساميين) Semito - Libyans في كتابه عن «التاريخ القديم للشرق الأدنى»⁽¹⁵⁾. وهو يسمي الطبقة الأولى من سكان الدلتا مرة «الساميين» Semites وأخرى «الليبيين - الساميين» Semito - Libyans وثالثة «الساميين - المصريين» Egyptian - semites. أما جنوب الوادي (الصعيد) فقد جاء سكانه الأولون، في رأيه، من الصومال وبلاد «الغالا» Gallas، وهم انتموا إلى «الجنس الحامي» Hamitic Race ويضيف : «وهو الجنس الذي قد ينتسب إلى العرب الجنوبيين» (ص : 86).

هذه الجملة الأخيرة ذات دلالة خاصة ؛ إذ أن التفرقة بين ما يسمى (الجنس السامي) و(الجنس الحامي) باتت تفرقة لا معنى لها. فقد ثبت بالأدلة العلمية، لغوية وسلافية وأثرية، أنها من جنس واحد في الأصل ولم يعد ثمة من يضع حدوداً فاصلة بين (الجنسين)، حتى أن علماء اللغات والباحثين في تطورها وعلاقاتها صاروا يتحدثون عن اللغة «الحامية/ السامية» أو «السامية/ الحامية» حين تبيينوا الصلات الوثيقة بين الفرعين. نحن نسمي هذا المصطلح المركب : «اللغة العروبية الأولى» شاملة لغات الوطن العربي المعروف الآن بما فيه لغات شرق أفريقيا. أما للغات «الزنوجية»، التي كانت تحسب ضمن اللغات الحامية، فهي قسم آخر يكاد يكون منفصلاً وإن ظهرت فيه بقوة آثار «عروبية» (حامية/ سامية)⁽¹⁶⁾.

12) نسبة إلى Minos صاحب قصر «كنوسوس» في كريت. اسم ملك (أو ملوك). جذره «م ن» mn. قارن اسم موحد القطرين في وادي النيل «م ن» mn (mina/mene(s)) عرف في الترجمات العربية بـ «ميناء». ومعناه : القوي. قارن الجذر العربي «متن» = القوة.

13) يذهب أنيس فريجة (ملاحم وأساطير من أوغاريت) إلى أن اسم «كريت» قد يكون جاء من اسم البطل الكنعاني «ك رت» ← كارت/كريت (على وزن : فاعل، فعيل). وهذا غير مستبعد. إنه الامتزاج الحضاري منذ القديم.

14) A. Evans ; Scripta Minoa, Oxford, 1909, Vol. I, p. 121.

15) H. R. Hall ; The Ancient History of The Near East, pp. 85 - 97.

16) يعلّق (هول) على هذه المسألة في هامش ص 87 من كتابه المذكور قائلًا :

«لعل العنصر (السامي) في اللغة المصرية القديمة راجع ببساطة إلى العلاقة الأصلية بين الألسنة (الحامية) =

ومرة أخرى يذكر «هول» التشابه الكبير، بل التماثل، بين بدايات الحضارة المصرية وحضارة الرافدين .

«قد يقال إن علم الآثار لا ينفي وجود عنصر (سامي) مبكر حتى في مصر العليا (الصعيد)، ما دامت هذه التشابهات بين بعض المواد المبكرة في الحضارة المصرية والبابلية باقية دون تغير. مواد من مثل أسطوانات الأختام، رؤوس الصولجانات، وأسلوب بناء جدر الأجر المسطحة، المتشابه في البلدين (مصر والرافدين). وقد افترض أن اختراع الأجر نفسه جاء إلى مصر من بلاد الرافدين». وإذا قيل إن هذا كله جاء من «السومريين»، وهم غير (ساميين)، فإن وجود (الساميين) في الرافدين قبل «السومريين» يلغي هذا الاعتراض⁽¹⁷⁾، ثم يمضي الأستاذ «هول» في تبيان أوجه الشبه بين نتاج الحضارتين المصرية والبابلية، وما قبلها، وما بعدها، بتفصيل كبير، سواء في نتاج الحضارة المادي من طراز بناء ومخلفات أثرية، أو في المعتقدات والأفكار الدينية الكبرى، وفي الزراعة كذلك «حتى لقد قيل إن معرفة القمح جاءت إلى مصر من بلاد الرافدين»، إلى جانب الأثر «الفلسطيني» - كما يسميه - أي أثر عرب فلسطين الأقدمين⁽¹⁸⁾.

ولا نرى أن نغرق القارئ في تفصيلات الأدلة وتدقيقات المقارنة، ويكفي أن نعرف أن الأستاذ «هول» يجعل سكان الدلتا الأقدم هم «الساميين الأول» Proto-Semites، وهم من يسميهم أحياناً «الليبيين/الساميين» Semito-Libyans في الشمال، أما في الجنوب (الصعيد) فخلاصة كلامه أن السكان الأول جاءوا من الصومال وشرق أفريقيا «وهم ليسوا زنجياً أو حتى متزنجين» (They were not negroes or even negroid). وكل ما يمكننا فعله أن نسميهم «حاميين» (ص: 90) وهم لا شك يحملون شهماً كبيراً بأهل جنوب الجزيرة العربية، أي اليمن. (نفس المصدر والصفحة).

ويتحدث الأستاذ «بريستيد» Breasted عن مصر وتكوينها السكاني الأول :

«ينتسب أجداد القوم الذين سنتحدث عنهم [يعني المصريين القدماء] إلى الليبيين أو الشمال أفريقيين من جهة وإلى شعوب أفريقيا الشرقية من جهة أخرى وهم الشعوب المعروفة الآن باسم قبائل الغالا والصومال والبجاة. وقد طبع غزو رُحّل آسيا (الساميين) وادي النيل وشخصيته الأساسية بشكل لا يخطئه النظر في لغة الشعب الأفريقي هناك. وتوشي أقدم طبقة تحتية في اللغة المصرية مما وصلنا بهذا الأصل المختلط بوضوح. فهي في حين لا تزال ملونة بسوابق أفريقية فإن هذه اللغة (سامية) في تركيبها. بل هي نتاج (سامي) كامل كما يلاحظ في أقدم أمثلتها المحفوظة لدينا.

== (السامية) لولا حقيقة أن (سامية) اللغة المصرية تبدو أقوى كثيراً من (حاميتها) وعليه فإننا حين نعثر على دليل سكاني دقيق في مصر السفلى لا نملك إلا ترجيح أن العنصر (السامي) في المصرية جاء من (الساميين).

(17) هذا الرأي يقرره «ألبرايت» Albright في مقالة في : The Cambridge Ancient History .

(18) أنظر ص 88-90 من المصدر السابق. وعن التشابه ما بين آثار الانسان الأول في فلسطين والجبل الأخضر بليبيا أنظر دراسة «ماكبرني» Mc Burney عن (العصر الحجري في شمال أفريقيا). The Stone Age in North Africa .

غير أن امتزاج الليبيين والأفريقيين الشرقيين بأقوام وادي النيل استمر طويلاً حتى العصور التاريخية، ويمكن تتبع الأمر، في حالة الليبيين، في الوثائق التاريخية العتيقة مدة ثلاثة آلاف عام أو تزيد. أما الهجرة (السامية) من آسيا، ولها أمثلة يمكن أن تلاحظ أيضاً في العصر التاريخي، فقد جرت في عهد سحيق يتجاوز أبعد مدى لأفقنا التاريخي. ولن نقدر أبداً على أن نحدد متى أو عن أية سبل، يقيناً، حدثت هذه الهجرات، رغم أن أكثر السبل احتمالاً هو ذلك الذي اتخذته هجرات مماثلة من صحارى الجزيرة العربية في الأزمنة التاريخية، أي برزخ السويس، الذي جاء عن سبيله الفتح الاسلامي إلى البلاد⁽¹⁹⁾.

وعلى الرغم من اعتراف الأستاذ «بريستيد» بأثر اللغة (السامية) التي جاء بها النازحون من آسيا إلى وادي النيل، «وهو أثر لا يُجحد في أهل وادي النيل القدماء» - كما يقول - فهو يرى ألا أثر لهم في الديانة المصرية (ص : 26). وهذا رأي يدحضه الواقع بالطبع. ثم يمضي قائلاً :

«إن الصلات الملاحظة في ميدان اللغة ثابتة فيما يتعلق بالليبيين، كما هو الحال كذلك فيما يتصل بالمنتجات التي قاومت الزمن من الحضارة العتيقة مثل الفخاريات التي تشبه كثيراً الفخاريات التي لا يزال يصنعها الليبيون الجبالية»⁽²⁰⁾.

ويختم الأستاذ «بريستيد» بالحديث عن «البتتين» Punites أو «الصوماليين» وأثرهم في وادي النيل، ولكنه يقول :

«إن الفكرة التي أتبعها بعض المؤرخين حيناً من الزمان أن المصري كان من أصل أفريقي زنجي مرفوضة الآن، ومن الواضح أنه على الأكثر، ربما صبغ قليلاً بدم زنجي بالإضافة إلى العناصر السلالية الأخرى التي ذكرت من قبل» (نفس المصدر والصفحة).

في كتابه عن آثار «نقادة» و«البلاص» يفصل المكتشف عالم المصريات الأستاذ «بيترى»⁽²¹⁾ Petrie الحديث عن نظريته القائلة بقدوم من أسماهم «الجنس الجديد» New Race إلى جنوب مصر في زمن جعله ما بين سنة 3300/3000 قبل الميلاد. وهو يدافع عن نظريته بحرارة وبجملة هائلة من المقارنات والأدلة الأثرية المتمثلة غالباً في الفخاريات وأشكالها ورسومها، وفي شكل الذقن ومقاييس الجماجم... إلخ. والذي يهمنى هنا أن الأستاذ «بيترى» يرى الأثر الليبي جلياً في هذه الهجرة، أو الاكتساح، ليس في مجال الفخاريات وزخرفتها مما يبدو شبهها الكبير بين مكتشفات «نقادة» وما في جبال الأطلس الجزائرية فقط، بل حتى في أشكال الوشم المكتشفة في مقبرة (سيتي الأول) وجماجم رؤساء القبائل الليبية في عهد (رسميس الثالث)... إلخ.

(19) J. H. Breasted ; a History of Egypt, p. 25 - 26

(20) Libyan Kabyles . لترجم عادة «القبائلية» وهو خطأ ؛ إذ النسبة للجبال (جبال الأطلس) وليس للقبائل (جمع قبيلة) التي لا معنى لها.

(21) Flinders Petrie ; Nagada and Ballas, Bernard Quaritch, London 1896

هذا (الجنس الجديد) - يقول الأستاذ «بيتري» - ليس من أثرٍ للزوجة فيه، وهو لم يأت من الجنوب، بدليل عدم اكتساحه لجنوب الوادي، فلم يبق إلا الواحات التي كانت نقطة استراحة وانطلاق لشعب جاء من المغرب ليهبط وادي النيل. يقول :

«إن الغزوات الليبية غير المستبعدة شيء نفهمه عبر التاريخ المصري. ولنبدأ بالقول إن المصريين) أنفسهم تشكلوا في غالبيتهم من مهاجرين ليبيين. . . ولعل الأفكار الليبية دخلت بشكل واسع في الديانة والحضارة المصريتين. «نيث» معروفة باعتبارها ربة ليبية، وتاجها هو الذي يشكل الجزء الأسفل من التاج المزدوج [للقطرين]، أما أن يكون هذا هو التاج الليبي فأمر تؤكده قيمته الصوتية؛ إذ إلى جانب حرف (ن) هناك القيمة الصوتية «بت» التي تتبادل والشعار الملكي الآخر، النحلة. ولذا فإن التاج والشعار الملكيين يسميان «بت» (ب أ ت). ويقول «هيرودوت» إن الليبيين كانوا يسمون ملكهم «باتوس» Battus في لغتهم⁽²²⁾. هنا إذن أحد التاجين ونصف اللقب الملكي عرف بأنه ليبي. وفي الأزمنة التاريخية نرى علامة القواس أو الجندي نفسها على أقدم القبور تمثل رجالاً ليبيا. وقد خدم شعب «التمحو» في الواحات في حروب «بيي» الأول، وهاجمهم «مرنر» (م ر ن. رع) Merenre و«أستيسن» Usertesen. وأن لهم يداً في الأسرة الثامنة عشرة تظهره تسمية ابنة «أحمس» Aahmes : «أميرة التمحو». وفي الأسرة التاسعة عشرة احتل الليبيون الجانب الغربي من الدلتا برمتها حتى مصر الوسطى وطمحوها إلى ابتلاع البلاد بأكملها لولا أن ردهم جهد جهيد بقيادة (مرنبتاح) Mernptah. وبعد ذلك بقليل دخلوا البلاد ثانية وأجلوا، مع حلفائهم، على يد (رمسيس الثالث). بعدها بقليل نجحوا في تأسيس الأسرة الثانية والعشرين التي كان يدعى أمراؤها (زعماء المشوش). ثم جاءت الأسرة السادسة والعشرين التي من المرجح أنها كانت تنسب إليهم⁽²³⁾. وقد توالى هجرات الليبيين، إلى مصر، أو غزواتهم لها، عبر التاريخ حتى جاءت «الأسرة الفاطمية» من تونس لتؤسس فيها أزهي دول القرون الوسطى - كما يعبر (بيتري).

المشكلة التي واجهت الأستاذ «بيتري» تكمن في أن ما استند إليه من آثار فخارية وتصاوير تتشابه وما عثر عليه في «نقادة» بوادي النيل، وفي شمال أفريقيا، بل في اسبانيا وجزر ما يسمى الآن «مايوركا» الكبرى والصغرى، والأهم من هذا كله أنها تشابه ما بقي من آثار «العموريين» في بلاد الشام!

يقول : «تبقى مسألة الصلات بين (الجنس الجديد) والعموريين لنعالجها. إن التشابهات أقرب من أن تكون عارضة، وهي تقوي رأياً قُدم منذ مدة طويلة. فقد كان العموريون شعباً أبيض كالليبيين، وسحنتهم على الآثار المصرية متماثلة، وكان كلا الشعبين من بناء الأضرحة الحجرية العظام. وعلى هذه الأسس اقترح الأستاذ «سايس» Sayce أنها فرعان من الجنس ذاته. . . هنا إذن

(22) أنظر للمؤلف مقالة «الباطش» في كتابه (بحثاً عن فرعون العربي) - الدار العربية للكتاب 1984 م.

(23) المصدر السابق، ص 63 - 64.

حل لتطابق الفخار والرسم العموريين مع مخلفات (الجنس الجديد) ؛ إنها قسمان من نفس الأصل . . . بل حتى لعله من الجائز أن الغزو العموري لبلاد الشام كان جزءاً من الحركة ذاتها في اتجاه الشرق كما هو غزو (الجنس الجديد) لمصر»⁽²⁴⁾.

ويختتم الأستاذ «بيتري» فيما يتعلق بهذه النقطة قائلاً :

«نستخلص إذن أن في (الجنس الجديد) نرى فرعاً من نفس السلالة الليبية هو الذي أنشأ القوة العمورية، وأن لدينا في مخلفاته مثلاً حضارة جنوب البحر الأبيض المتوسط في بداية عصر استعمال المعادن حوالي سنة 3200 ق.م. . . باختصار ؛ لقد كشفنا الغطاء عن قسم من حضارة البحر المتوسط، حفظتها لنا مؤرخة تربة مصر»⁽²⁴⁾.

هذا التشابه في السحنة والمظهر الذي أشار إليه «بيتري» بين الليبيين والعموريين لاحظته الدارسون كثيراً ما بين الليبيين والآسيويين، كما هو تعبيرهم، وهم حاروا في تعليقه، أو حار بعضهم على الأقل. من ذلك مثلاً ما يذكره «وليام وارد» W. Ward في كتابه عن علاقات مصر ببلاد شرق البحر المتوسط⁽²⁵⁾ عند حديثه عن رسم يمثل إحدى حملات الفرعون «نب حبت رع» Nebhepetre عثر عليه في منطقة (الجبليين). وفيه يظهر الفرعون وهو يضرب أسيراً بينما ركع ثلاثة أسرى آخرين في انتظار دورهم في العقاب، وقد كتب إلى جانب كل منهم بالقلم الهيروغليفي نسبه أو (جنسيته) :

(1) «س ت و» (نوبي/نوبيون). (2) «س ث ت» (آسيوي/آسيويون).

(3) «ث ح ن ي و» («تحنو» = ليبي/لوبيون).

ويعلق «وارد» بقوله :

«وعلى كلِّ فإن الشكل الذي يمثل (الآسيويين) هو نفسه الذي يمثل (الليبيين) بما في ذلك الريشة على الرأس التي تلازم الأخيرين عادةً، ولا يوجد ملمح من الملامح الخاصة بالتصوير المصري للآسيويين»⁽²⁶⁾.

ثم يحاول التعليل :

«لعل هذا النص يشير إلى القبائل المحيطة بمصر من الجنوب والشرق والغرب، فيكون (الآسيويون) هنا هم قبائل من شرق الدلتا. وقد يقترح المرء خطأً من المصور إذ رسم شخصين متطابقين حيث كان واجباً أن يرسم شكلين مختلفين، غير أن هذا لا يبدو ممكناً حدوثه في معبد ملكي»⁽²⁶⁾.

لقد رد «وارد» على نفسه في مسألة «الخطأ الفني» هذه ؛ إذ لا خطأ هنا ولا سهو، بل تعتمد الرسام وضع الأنساب بوضوح كامل حتى لا يأتي أحد من بعد فيفسر رسمه على هواه : نوبيون،

24) المصدر السابق، ص 64.

25) W. Ward ; Egypt and the East Mediterranean World, American University of Beirut, 1971

26) المصدر السابق، ص 61.

آسيويون، ليبيون (تحنو). ولعل ما دفع الرسام إلى وضع هذه الكلمات بالهيروغليفية احساسه هو ذاته بـ«التطابق» بين أهل ما شرق الدلتا حتى «سيناء» والجزيرة وما كان غربها لما يعرف الآن باسم «ليبيا». . فميز بينهما بالكتابة عمداً.

بيد أن مسألة التطابق بين المشرق والمغرب، بين ما كان شرقي الوادي إلى الخليج والرافدين، وما كان غربيه حتى المحيط الأطلسي، كانت ظاهرة استرعت انتباه الباحثين وحاول كل منهم تفسيرها حسب منطلقه، أو حسبها ارتأى. وتبدو هذه الظاهرة بجلاء في الأسماء الليبية القديمة التي حفظتها لنا الآثار المصرية. فقد أورد الفرعون «مرنبتاح» في لوح انتصاراته الحربية جملة من أسماء الزعماء الليبيين، كما فعل «رمسيس الثالث» من بعد. وتعرض لتحليلها الأستاذ «أوريك بيتس» مقارناً إياها بما يسميه «اللغة البربرية». لكننا حين نمعن فيها النظر نجدها أسماء عروبية (بل عربية) واضحة حتى مع التسليم بصحة تحليلاته⁽²⁷⁾.

كذلك انتبه الأستاذ «بيتري» إلى ما دعاه «مشرقية» أسماء فراعين الأسرة الثانية والعشرين (شيشنق وخلفائه) : «إن الأسماء الملكية [لهذه الأسرة] مشرقية في أساسها وليست مغربية»⁽²⁸⁾ حتى ليذهب إلى القول : «يجب علينا أن نبحث عن مغامر بابلي أو فارسي في خدمة ملوك [مدينة] «تانيت» للوصول إلى أصل هذه الأسرة»⁽²⁸⁾.

أما الأستاذ «بروغش» Brugsch فيبني على أساس تطابق أسماء فراعين الأسرة الثانية والعشرين مع الأسماء المعروفة عند الآشوريين دليلاً على أن هذه الأسرة آشورية الأصل، وأن مؤسسها «شيشنق الأول» ليس إلا حفيداً لملك آشوري آخر غزا مصر وقتل فرعونها، ثم أخرج المصريون الغزاة الآشوريين ودمروا كل ما تركوه من آثار وكتابات، ولم تبق إلا لوحة واحدة قرأها «بروغش» كما حلاله وحشا فراغاتها بجمل من عنده لتوائم نظريته في النشأة الآشورية للأسرة الثانية والعشرين.

من المسلم به قطعاً أن هذه الأسرة المكتوب تاريخها جيداً على مخلفاتها الأثرية في جنوب الوادي وشماله هي أسرة ذات أرومة ليبية سيطر أبناؤها تدريجياً، بعد فشل ما عرف بـ(الغزو الليبي العظيم) أيام «مرنبتاح» و«رمسيس الثالث»، على مقاليد كهانة آمون ثم مقاليد الحكم بعد ذلك واستمرت حوالي 200 سنة. أما (مشرقية) أسماء فراعينها، بل عربيتها إن شئت، فتفسيرها المنطقي الوحيد تلك الوحدة الحضارية واللغوية بين مشرق الوطن العربي ومغربه منذ أقدم الأزمنة، مما يتبدى في مجالات الحياة المختلفة ويرفض أغلب الباحثين الغربيين الاعتراف به وإن برز من خلال دراساتهم دون أن يدروا، فيمضون إلى تفسيرات وتعليقات غريبة. ومصر، أو وادي النيل، كان هو بوتقة

. O. Bates ; The Eastern Libyans, p. 80 (27)

. Petrie ; a History of Egypt, Vol. III, p. 232 (28)

(29) أنظر : Henry Brugsch ; History of Egypt under the Pharaohs, John Murray, London 1879 . ولاحظ أن

«بروغش» كتب منذ ما يزيد عن قرن بعقد من الزمان .

(30) أحدث مؤلف عن الأسرة الثانية والعشرين راجع :

. K. A. Kitchen ; The Third Intermediate Period in Egypt, Aris an Philips Ltd, London 1973

انصهار شعوب هذا الوطن، كما سبق القول. وهذا هو سبب التشابه والتماثل أو ما شئت من مظاهر القرب بين مكونات شعوبه، أو قبائله⁽³¹⁾.

لنقرأ قليلاً مما يقول «موراي» وهو يرد «العرب» و«الليبيين» إلى أرومة واحدة بعد حدوث الجفاف العظيم الذي مر بالصحراويين في الجزيرة وشمال أفريقيا :

«إلى حين تمام هذا الجفاف، القديم في الزمان بحسب المقاييس المألوفة، المتأخر فعلاً في تاريخ الجنس البشري الطويل، لا بد أن شمال أفريقيا بأجمعه وشبه الجزيرة العربية كونا أرض رعي أو كلاً عظيمة كان يجول فوقها بكثافة أسر رحالة من الصيادين والرعاة يتبعون مهاطل الغيث، مثلما كانت تفعل الحيوانات التي يرعونها أو يقتلون»⁽³²⁾.

وحتى في هذه المرحلة المبكرة كان طبيعياً أن تنقسم هذه المجموعات البشرية إلى فئات قد تسمى بعدئذ : شعوباً بحكم التنوع البيئي، ما بين سهل وجبل وساحل بحر وأن تتنوع الثقافة المحلية. لكن أغلب جماجمهم [سكان الصحراويين] تبين عن شكل طولي بالغ، ولغاتهم الباقية حتى اليوم هي من نفس العائلة (الحامية)، ومن بينها تبدو اللغة (السامية)، على أهميتها، ليست إلا مجموعة معينة متأخرة.

ومع تزايد الجفاف التدريجي أصبحت تحركاتهم الجماعية محدودة شيئاً فشيئاً، وشرعت القبائل في التحول إلى سلالات جنسية. وفي حين شحذت قسوة الظروف التي كانوا يجيئون في ظلها مهاراتهم فإن الجماعات الأكثر تقدماً التي استقرت في وديان الأنهار الخصبة... سرعان ما شرعت في الزراعة.

جماعتان سلايتان بدأتا في التكوّن : (العرب) المعزولون ما بين النيل والفرات... و(الليبيون) في الصحراء⁽³³⁾.

الأستاذ «موراي» إذن يجعل (العرب) و(الليبيين) من أصل واحد، فرعين من جذع واحد⁽³⁴⁾،

31 ينقل محمد عزة دروزة كذلك مجموعة نقول من مؤلفين آخرين تقول بالرأي نفسه (عروبة مصر في القديم والحديث، ص 12-17).

32 G. W. Murray ; The Sons of Ismael (a study of the Egyptian beduin), London, 1935, pp. 9 - 10.

33 نفس المصدر، ص 10.

34 يبدو أنه كان لدى قبيلة «المرمريدي» Marmaridae الليبية القديمة - وكان موقعها في شرقي ليبيا الآن - شعور بالانتماء إلى الجزيرة العربية، إذ يذكر «أغرويتاس» Agroetas في (الشدرات) Fragmenta جداهم الأول «مارمريس ابن العرب» «Marmaris son of Arabs» ويعلل «بيتس» Bates هذا بالقول إن قبيلة «المرمريدي» ربما شمت في العصور المتأخرة بعض الرحل (الساميين) من سيناء أو الجزيرة العربية (B The Eastern Libyans, p. 54, note). وهذا تفسير يقدم نصف الحقيقة فقط؛ إذ الاعتراف بقدم بعض (الساميين) من سيناء والجزيرة في «عصر متأخر» (لاحظ أن «أغرويتاس» كتب في العصر الروماني) يتبعه الاعتراف بإمكانية وصولهم في «عصر متقدم»، كما أن «بعض» الرحل (الساميين) لا يمكن أن يجعلوا قبيلة «المرمريدي» كلها تنتسب إلى «العرب»، بل ينبغي أن يكون جلهم على الأقل، إن لم يكن كلهم، يحسون بهذا النسب.

وحتى اللغة (السامية) يجعلها منبثقة من نفس جذع اللغة (الحامية)⁽³⁵⁾. ونكرر أننا نسمي هذه اللغة الأم : اللغة العروبية. وكانت موجات الهجرة إلى وادي النيل تأتي من الغرب والشرق. وربما من الجنوب، أي ممن يسمون (النوبيين) أو (الأنثوبيين) أو حتى (الصوماليين). ولنا عن هؤلاء (الجنوبيين) كلمة.

يقول «موراي» :

«في أزمنة مختلفة تدفق الليبيون على وادي النيل من الجبل الأخضر في برقة، وتملك النوبيون تلال رادفور والشلالات، في حين تبعت موجة إثر أخرى أختها من الأنثوبيين متجهة إلى الشمال الغربي من جبال الحبشة. وكل هؤلاء سلاسل شمال أفريقية حتى إن مازجها دم غريب ولم تؤد غاراتهم وغزواتهم [للوادي] إلا إلى قليل من الفروق الحضارية والجسدية»⁽³⁶⁾.

فكيف هذا يا ترى؟ إذا سلمنا بوحدة الأصول المصرية والليبية فكيف الأمر بالنسبة للجنوبيين القادمين من جبال الحبشة وتلال دارفور؟ أليسوا «أفريقيين» منفصلين عن سواهم؟

أما أنهم «أفريقيون» فنعم. وكذلك لبيو الشمال الأفريقي، وأهل مصر. ولكنهم - بالقطع - ليسوا «زنوجا»، وإن خالطهم دم زنجي كما هو متوقع بالطبع. إنهم في الواقع يشاركون (العرب) و(الليبيين)، أي أهل الجزيرة وأهل الشمال الأفريقي، في وحدة الأصل ووحدة اللغة (تسمى الآن : اللغة الحامية في بعض المناطق، ولا ننس أن لغة الحبشة تعتبر لغة «سامية»). هذه المشاركة ترجع إلى زمن قديم جداً، بل موغل في القدم. هم - باختصار - في الأصل كانوا مهاجرين من الصحراويين العربية والليبية استقر بعضهم المقام في منطقة دارفور غربي السودان، ومضى بعضهم إلى منطقة الحبشة والصومال (القرن الأفريقي) حين غادروا الصحراء الليبية، حيث التقوا هناك بمهاجرين من شبه الجزيرة العربية عن طريق باب المندب. فلما مضى الزمان واستقر الأمر في وادي النيل رغوا في الانتقال إليه... وكانت تلك الموجات «النوبية» التي ذكرنا.

في كتابه (ما قبل تاريخ أفريقيا) يتحدث الأستاذ «دزموند كلارك» عن هجرة لبيو الصحراء إلى غرب أفريقيا وشرقها فيقول :

«إنها صورة مختلفة على الجانب الشرقي من القارة حيث استقرت شعوب رعوية منذ مدة طويلة في القرن الأفريقي وشرق أفريقيا. ومستوطنات المزارعين القرويين، من العصر الحجري

(35) يذهب «إرمان» (A. Erman ; Agyptische Grammatik) من ناحية إلى أن ما يسمى (البربرية) هي اللغة (السامية الأم) proto-Semitic ، كما يرى من ناحية أخرى أن (البربرية) ولمجات النوبة (البشارية والبيجاوية) «ذات أصل عربي بعيد» (Bates ; The Eastern Libyans, p. 73). ويعترض «بيتس» على هذا المذهب بحجج باللغة الوهن، إذ أن الدراسات اللغوية المقارنة تثبت الآن بما لا يدع مجالاً للشك أن (البربرية) لغة عروبية صريحة، وتحتوي في الوقت نفسه قدراً كبيراً من مفردات اللغات العروبية الأقدم، كالأكادية والكتنانية وحتى السومرية.

(36) نفس المصدر، ص 11.

الحديث أساساً وإن استعملوا شيئاً من النحاس وربما زرعوا غلالاً، معروفة في سهول شمال شرق أثيوبيا حيث تبين الحضارة المادية صلات بشعوب المجموعة السلافية (ج) التي انتقلت إلى داخل النوبة من الصحراء الغربية حوالي سنة 2500 ق. م. فلو كانت هي الشعوب ذاتها، كما يظهر من رسومات الصخور في أجزاء أثيوبيا الشرقية والصومال، فإنهم «ليبيون» - والكلمة (ليبيون) مستعملة هنا عمداً - من الغرب، كانوا يملكون قطعاناً من الأبقار طويلة القرون غير ذات سنام وهي الظاهرة في آثار أساليب الفن عند أهل الصحراء الشرقية.

ولعل أيضاً من الشمال الأفريقي إلى الصحراء في الألف الأولى ق. م. أعان كذلك على تحويل بعض مجتمعات العصر الحجري الحديث إلى الانتقال جنوباً. فطرق العربات التي تشق الصحراء إلى منحى نهر النيجر تتميز بنقوش ورسوم لعربات خفيفة ذات عجلتين تجرها الخيول. إنها ترتبط بالقرمنت Garamantes والفاروسي Pharusii الذين عرفهم بعد القرن الخامس الميلادي عن طريق الكتاب القدامى. وقد استعملت هذه العربات لاكتساح سكان الكهوف في الصحراء، وتوثق مناظر أخرى في رسوم الصخور المتأخرة اجتياح رعاة العصر الحجري الحديث من قبل مهاجرين مقاتلين مستعملين للمعادن - هل هم أسلاف (البربر) ياترى؟ وبالمناسبة: هذه العربات هي أول برهان غير مباشر على التجارة عبر الصحراء - وما توجي به من احتمالات تتصل بالطرق وليس، بالطبع، بما يمكنها أن تحمله.

هذه التحركات السكانية التي جاءت ببعض رعاة الصحراء إلى وادي النيل وأثيوبيا، وربما حولت آخرين منهم جنوباً من حوض تشاد إلى أفريقيا الوسطى ثم انحداراً عبر البلاد الأكثر جفافاً إلى السودان الجنوبي وشمال أوغندا، ثم إلى مراعي الجرف في كينيا وشمال تنزانيا، هذه التحركات من المرجح كذلك أن يكون سببها بقدر ما ذلك الجفاف المتسارع في الصحراء بعد سنة 2500 ق. م. . . .

بنهاية الألف الأولى ق. م.، إن لم يكن أبكر من ذلك، كان الأفارقة - البحر متوسطيون [أي أهل شمال أفريقيا]، ولعلمهم هم ذاتهم أسلاف الجماعات النيلية، أصحاب الغنم والبقر، يحتلون الجرف القاري في شرق أفريقيا⁽³⁷⁾.

لم يكن الأستاذ «كلارك» أول من تحدث عن هجرة الليبيين من صحرائهم إلى منطقة شرق أفريقيا، فقد سبقه إلى هذا القول الأستاذ «سيرجي» Sergi في كتابه المعروف (جنس البحر المتوسط)، الذي نشره أواخر القرن التاسع عشر بالاطالنية ثم ترجم إلى الأنكليزية⁽³⁸⁾. وفيه قسم

37 J. Desmond Clark ; The Prehistory of Africa, Thames and Hudson, London, 1970, pp. 206 - 208

38 كان «سيرجي» أستاذ علم الانسان، بجامعة روما. وفي كتابه هذا يذهب إلى أن أهل أوروبا جميعاً - بما فيهم الجرمان والاسكندنافيةون وغيرهم - ليسوا من الجنس الأري، بل هم جميعاً من جنس أسباه (جنس البحر المتوسط) نشأ في شمال أفريقيا وانتشر عبر أيبيريا في أوروبا كما امتد في القارة الأفريقية شرقاً وجنوباً. وهو كتاب بالغ الأثر لو ألفه واحد من أهلنا لاتهم بشئ التهم (1) نشر بالاطالنية في روما سنة 1897 م. ونشرت ترجمته الأنكليزية بعد ذلك. أنظر :

G. Sergi ; The Mediterranean Race (a study of The Origion of the European Peoples), Walter Scott, London

. 1901

(الحاميين) إلى فرعين نشأ من أصل واحد، هو الصحراء الليبية قبل جفافها، فرع شرقي ويضم : المصريين، والنوبيين، والبجاة، والدناكلة، والغالاً، والصوماليين، والمساوي . إلخ. وفرع غربي يشمل : الجبيلية، والتبو والفلاتة، وسكان جزر الكناري .

وحين يقسم «موراي» بطون «البجاة» إلى أربع : العباددة، البشارية، الهدنداوة، وبني عامر - ويذكر أن البشارية والهدنداوة «يتحدثون لغة (حامية) قريبة من اللغة التي يتحدثها المساي في شرق أفريقيا، والشلوخ في المغرب والغوانش في جزر الكناري والهنتوت في جنوب أفريقيا»⁽³⁹⁾ فهو لا يعلم أن لغات هؤلاء جميعاً ليست إلا فروعاً من «العروبية» التي يسمونها (الحامية/ السامية) - وهي تلتقي مع العربية والمصرية في الأساس⁽⁴⁰⁾ .

هذا إذن هو تكوين مصر السكاني منذ البداية . كانت أرض الدلتا سباحاً ومستنقعات لا تسكن وما يسمى الآن الصحراء، غرباً وشرقاً وجنوباً، معشوشبة مطيرة . فلما جفت المراعي (الصحراوية) كان أن جفت في الوقت ذاته منطقة الدلتا وتراكم الطمي فيها مكوناً أرضاً صالحة للزراعة والحياة، وتحدد - بقدر ما - مجرى وادي النيل ذاته . فكان من الطبيعي أن يهاجر (الصحراويون) من الوطن القديم الذي بدأ يقفر إلى الوطن الجديد الذي شرع يتشكل من

The Sons of Ismael, p. 12 (39)

(40) لفائدة القارئ نورد هنا بعض الملاحظات : فاسم «التبو» الذي يطلق الآن على سكان شمال تشاد وجبال «تبستي» (لاحظ الجذر «تب» في «تبستي») مختصر فيما نرى من «أثيوبيا» Aetheopiae وهي كلمة يونانية معناها الحرفي (المحترق وجوههم من أثر الشمس)، كثيرا ما يرددها هيرودوت في (تاريخه) عند حديثه عن قبائل جنوب ليبيا، وهو لا يقصد قطعاً «أثيوبيا» الحالية التي كانت تسمى (بلاد الحبش) أو (الحبشة) - والأصل في التسمية يرجع إلى معبود عربي جنوبي نقله المهاجرون العرب من اليمن إلى تلك البلاد وهو المعبود (ح ب س) أو (ح ب ش) . وفي اللهجة الليبية لدينا كلمة «بتي» ومعناها : الأسمر، أو بالتحديد : الخلاسي من والدين أحدهما أبيض والأخر أسود . والأرجح أنها مقولوب «بتي» < «تبوي» (تباوي) نسبة إلى «التبو» .

أما كلمة «غوانش» guanche التي تطلق على سكان جزر الكناري الأصليين (وهم في الأساس مهاجرون من شمال أفريقيا، لغة وحروف كتابتهم تعود إليه) فهي تحريف لكلمة «جنس» (الجنس) GNS والجيم هنا غير معطشة (قاهرية) أطلقها القوم على أنفسهم باعتبارهم «الجنس البشري الحقيقي والأرقى من سواه» . وهذه قاعدة معروفة ؛ أن يسمى كل شعب نفسه بما يوحي بتميزه عن غيره بينما هذا «الغير» (الأغيار) همج متوحشون . تبقى الإشارة إلى لغة «الهنتوت» وهي تسمية أطلقها المستعمرون الهولنديون على أهل البلاد التي احتلوها بمعنى : المتلعثم - عربيتها : «متهته» . أما هذا الشعب فيسمى نفسه «البانتو» Bantu ومعنى الكلمة : «الشعب الأصلي» أو «الأرقى» = البشر الحقيقيون (1) .

وقد بات من المسلم به اليوم أن لغة شلوخ المغرب وأهل جزر الكناري لغة عروبية قديمة باعد الزمان والمكان - في الظاهر - بينها وبين عربية الحجاز . أما أن تتحدث قبائل المساي في شرق أفريقيا وأهل النوبة ذات اللغة فالأمر راجع إلى الهجرات القديمة من شمال أفريقيا - كما سبق القول - ومن جنوب الجزيرة العربية، كما هو معروف، إلى تلك المناطق . والمعروف أيضا أن لهجة «المهرة» في جنوب الجزيرة اليوم تطابق إلى حد كبير لهجة أهل الشمال الأفريقي . وهذا أمر يستحق الاهتمام والانتباه ويستوجب دراسات مقارنة واسعة لكي تثبت بشكل قاطع ونهائي وحدة هذه الكتلة البشرية منذ بدء التاريخ، أو منذ درج الانسان على هذه الأرض .

مجموعات بشرية كانت في الأصل مجموعة واحدة، تفرعت، ثم التقت من جديد. ومن امتع ما نقرأ وما يلخص لنا بدايات مصر الحضارية، ذلك الفصل الذي كتبه الأستاذ «دونالد ماكنزي» بعنوان (فجر المدنيّة) في كتابه عن (الخرافة والأسطورة المصرية)⁽⁴¹⁾، نقتطف منه شيئاً في هذا الفصل. قال :

«في العصر السحيقة الغابرة حين ذاب الغطاء الجليدي في شمال أوروبا كان وادي النيل عبارة عن مستنقع تنمو فيه نباتات غابية مثلها هو الحال في الدلتا. كان المطر يسقط في موسمه ومجري المياه تتدفق من المرتفعات، وكانت السهول، التي هي الآن قفار جرداء، أرضاً معشبة. وكان بدائيو العصر الحجري المبكر بصطادون ويرعون هنالك، ولا تزال الأدوات الصوانية التي نحوتها وهذبوها بشكل غير متقن توجد في كهوف الجبال وعلى سطح الصحراء ومطمورة في الطين اللزج المنحدر من المرتفعات».

وفي وقت ما ظهر شعب أكثر تطوراً. وبعد أن مضت قرون طويلة تقاسم القوم الوادي فيما بينهم، وكان عددهم يزداد وقبائلهم تتشعب. وهكذا تكونت عدة ممالك مستقلة. وحين أصبحت (الحكومة) في النهاية مركزية بعد التوحيد صارت هذه الممالك مقاطعات كان لكل منها عاصمتها بإلهها المسيطر ونظامها الديني المحلي. وقد تسبب تداخل الشعوب تداخلاً في المعتقدات الدينية، واكتسب كل إله خصائص إله آخر دون فقدانه هويته فقداناً كاملاً.

جاء المستوطنون الأوائل من شمال أفريقيا الذي كانت تعمره قبائل من الجنس المتوسطي، كانوا ذوي بشرة بيضاء ورؤوس مستطيلة صغيرة وأجسام نحيلة وأنوف مستقيمة وعيون سوداء وشعر أسود. كانوا في شرق الدلتا هم (قدماء المصريين) Archaic Egyptians. أما في الدلتا الغربية وعلى طول الساحل فقد عرفوا باسم (الليبيين). وفيما كان عددهم يتزايد ويعيشون حياة رغدة انتشرت شعوب المتوسط هذه بعيداً عن مركز نشأتها الأولى في شمال أفريقيا؛ فكانت هجرتها إلى الجنوب، في النوبة، حيث تقابلت هذه القبائل السواحة في صراع ضد مجموعات من رجال الغابات (Bushmen) الذين امتزجوا بهم آخر الأمر. وتبع هذا تداخل مع الزواج الأطول قامه في أزمنة تلت. وهكذا كانت نشأة (شعب النوبة).

هذا بالنسبة لهجرة أهل الصحراء الليبية إلى مصر والنوبة، وأما هجرتهم إلى أوروبا فهو يرى أن تحول فائض السلالة المتوسطية كان نحو الشمال أكثر منه نحو الجنوب. وهم انداحوا نحو الشرق وصبوا في فلسطين وآسيا الصغرى. وهم كانوا (الفينيقيين) الأول الذين اختلطوا به (الساميين)، وهم كانوا (الحثيين) الذين امتزجوا بالمغول والأرمنيين «ذوي الرؤوس العريضة». وبناتلاقهم إلى إيطاليا واليونان عرفهم التاريخ باسم (الايطاليين) Italici و(قدماء الاغريق) Ligurians, Pelasgians. . . إلى آخره. وهم أسسوا مدنيّة عظيمة في «كريت» حيث تأتي الأدلة على استقرارهم منذ عشرة آلاف عام قبل الميلاد.

. Donal A. Mackenzie ; Egyptian Myth and Legend, Bell Publishing Company, New York 1978. pp.30-44 (41)

توالى قرون عديدة وظهرت مدنيّة جديدة في مصر السفلى (الدلتا). استقرت هناك قبائل من المشرق، وأدخلت فنوناً جديدة وأنماط حياة ومعتقدات جديدة. بدأ الناس في زراعة الأرض بعد فيضان النيل وغلوا الشعير والقمح. كان عصر «أوزيريس» و«إيزيس». وظهر شعب سيطر في مصر العليا (الصعيد)، جاء من جزيرة العرب أو عبرها، استوعب ثقافة من مدنيّة عتيقة لا يمكن تعيين موقعها ذات صلة بالبابليين الأقدمين. وقد عبروا البحر الأحمر ودخلوا وادي النيل عبر الصحراء أو عبر مرتفعات الحبشة. وكان هؤلاء الغزاة هم عبدة «حورس» (الصقر) ولكنهم اعتنقوا أيضاً المعتقدات الدينية للقوم الذين اختلطوا بهم، بما في ذلك عبادة رب الغلال [الصحراوي]. «أوزيريس».

بعد فتح «الفيوم» يظهر (الليبيون) شعباً مهيمناً في مصر السفلى. كانت عاصمتهم في (سائيس) كرسي معبودتهم «نيث» Neith. وتعكس صفات هذه المعبودة طبيعة حضارة عابديها. كان شعارها درعاً وسهمين، وقد صورت بوجه أخضر ويدين خضراوين، إذ كانت «روح الأرض» التي أمدت بالعطاء جماعات الشعب الرعوي، ورسم مغزل على جسدها ليشير إلى أنها منحت النساء مهارتهن في النسيج.

وقد انتصر «ميناء» على (الليبيين) في الحرب ووسع مملكته إلى سواحل البحر المتوسط، ثم اتخذ لنفسه، في حضور جيوشه المحشودة، تاج مصر السفلى الأحمر. ويبدو كذلك أنه قن استيلاءه على العرش بأن اقترن بالأميرة «نث - حتب» Neith-hotep (نيث تستريح) وهي أميرة من بيت (سائيس) الملكي. ويعتقد أن الذكرى السلالية لفتح مصر السفلى تنعكس في الرواية الأسطورية عن «حورس» وانتصاره على «ست». وتقول إحدى الروايات إن «حورس» غلب «ست» وقدمه إلى «إيزيس» مغلولاً في الأصفاد، غير أنها امتنعت عن الانتقام لموت زوجها «أوزيريس» وأطلقت سراح «ست». . . فحطم «حورس» في سورة غضبه التاج من فوق رأسها. وقد شد هذا بصورة خاصة إلى الظروف التي قادت إلى هزيمة (الليبيين) إذ يقول (بيتري) Petrie معلقاً: «لا يمكننا بسهولة اجتناب قراءة تواريخ عداوات الأرباب باعتبارها صراعات عبّادها».

وكان (الليبيون) على الدوام شعباً مشاغباً على (الفراعنة) الذين لم تكن قبضتهم على المقاطعة الغربية للدلتا مؤكدة أبداً. وقد سعى «ميناء» إلى كسر شوكتهم بأن أخذ في الأسر ما لا يقل عن 120.000 أسير، وكانت غنائه تتضمن كذلك أربعمئة ألف ثور، ومليوناً وأربعمئة وعشرين ألف عنز. ولم يكن تحويل السكان هذا بمثل هذا العدد الكبير من أهل الشمال بدون تأثيره في الشكل الجسدي لأهل وادي النيل. وكانت الفروق في التكوين بين الشمال والجنوب واضحة قبل الفتح، أما بعد اتحاد المملكتين فقد اقترب تكوين الطبقات الحاكمة من مصر العليا كثيراً من نمط تكوين أهل الدلتا. ومن الواضح أن المدنية الوطنية المحلية التي ازدهرت في وادي النيل لأكثر من أربعين قرناً دانت بالكثير لعطاء وعبقريّة الجنس المتوسطي الذي نَمى حضارة حيثما حطت رحاله.

ويميضي «ماكنزي» في حديثه ليقول :

إن إسهام شمال الدلتا في حضارة الأسرات لم يكن غير ذي شأن ؛ فالواقع أنه لا يمكن ادعاء المبالغة فيه . لقد كانت مدينة الدلتا متطورة جداً قبل (الفتح) وكان القوم يستعملون الكتابة الطولية المستقيمة Linear Script تماثل نظم (كريت) و(بحر إيجيه)، وكذلك الحروف التي ظهرت بعد ذلك في (كاريا) Caria وأسبانيا . وقد يمكن تتبع بداياتها الأولى، ربما في تلك العلامات الفجة التي نحتها الرواد من العصر الحجري المتأخر في أوروبا الغربية على الأحجار الاسطوانية (dolmens) الفرنسية⁽⁴²⁾ . وتبين الحروف (الفينيقية) أن تجار البحر الكبير (المتوسط) فيما تلا من الزمان بسطوا هذا النظام ونشروه بعيداً وعلى أوسع نطاق . إن أبجديتنا، على هذا الأساس، كانت منذ زمان سحيق شمال - أفريقية في أساسها .

ويتحدث عن ديانة وادي النيل فيقول :

لا ريب في أن ديانة (هيراكليوبوليس) الكبرى متأثرة أشد التأثر بلاهوت عبّاد الشمس، ويبدو أنها تأثرت أيضاً بمعتقدات (مفيس) . كان المعبود الرئيسي هو «حرشف» الذي يحمل شبهها بـ «بتاح تانن» أقوى من شبهه بـ «حورس» . كان هو الأب العظيم، خالق نفسه، الذي كان رأسه في السماوات بينما استقرت قدماه على الأرض، في حين كانت روحه النور الذي يفيض على العالم . كان يتنفس من منخرية الرياح الشمالية الباعثة الحياة في كل شيء . إن «الريح» و«النفس» و«الروح» كانت في اعتقاد شعوب بدائية كثيرة شيئاً واحداً . فكان «حرشف» إذن مصدر الحياة الكونية . فهو باعتبارها «رب الريح» يشبه المعبود الجنوبي «خنومو» الذي كان يدعى أيضاً «كنف»، وهي كلمة مصرية تعني «الريح»⁽⁴³⁾ ، «النفس»، «الروح» - هواء الحياة . وفي العبرية «نَفْش» (rouch, nephesh) وفي العربية : نفس، روح - لها نفس الدلالة .

وقد أدخل جميع (الأباء العظام) - مثل : حرشف، بتاح، خنومو في «أوزيريس» . وكان «حرشف» هيراكليوبوليس يسمى «هو من على الرمل» وهي إحدى صور «أوزيريس» الذي يدعى :

42) يذهب «ماكنزي» إلى أن المهاجرين من الصحراء، على دفعات مع فترات جفافها، مضى فريق منهم شرقاً إلى وادي النيل في حين أن «الهجرة نحو الغرب في اتجاه المغرب (مراكش) أدت إلى تداخل على فترات مع قبائل الجبال الشرق، حتى أن السلالة التي دخلت اسبانيا عبر جبل طارق انتشرت عبر أوروبا الغربية وهم من عرف أهلها في التاريخ باسم (الايبيريين) Iberians . وقد تقابل هؤلاء واختلطوا بالقبائل المتفرقة على طول شاطئ اليونان . وفي حركتهم نحو الشمال عن طريق وديان الأنهار في فرنسا عبر (الأيبيرون) إلى بريطانيا مستوعبين المستوطنين الأسبق منهم الذين نجوا من صدام الصراع . وكان هؤلاء هم أهل العصر الحجري المتأخر» (ص 30 - 32) .

هذا الرأي القائل بتكوين سكان أوروبا الأوائل من عناصر شمال أفريقية تردد كثيرا لدى عدد من الباحثين، منهم (سرجي) Sergi و«سينيس» Spence . وقد خصصت الأستاذة «ويشو» Whishaw كتاباً ضخماً بعنوان Atlantis in An-dalucia (أطلنتيس في الأندلس) عن هذا الموضوع مدعماً بالمقارنات، والكشوف، ودراسة النقوش العتيقة على الصخور في الأندلس، ومواقع من فرنسا .

43) في معجم اللغة المصرية «خ ن ف» بالحاء = نفس، استنشق . قارن العربية : خنفس، نف، أنف .

الرب الذي على الرمل . وكان «حرفش» يصور في العادة بصورة رجل رأسه رأس كبش ، يلبس التاج الأبيض ذا الريش تعلوه هالتان (الشمس والقمر) وحيّتان بهالات على رأسيهما⁽⁴⁴⁾ . وقد اعتبره (بلوتارخ) رمز «القوة والشجاعة» ، وهو تصور يتمشى مع السمعة العسكرية على الأقل لبعض ملوك (هيراكليوبوليس) الذين عاشوا في الأزمنة العصبية ذات القلاقل⁽⁴⁵⁾ .

«حرفش» وغيره من المعبودات المصرية ، أو «الآباء العظام» كما يعبر (ماكنزي) ، ما كانوا في حقيقة الأمر إلا معبودات وردت إلى وادي النيل مع أهلها القادمين من الشرق ومن الغرب منذ ما يسمى (ما قبل التاريخ) أي قبل بدء التدوين بتوصل الانسان إلى فن الكتابة ليسجل أهم ما يراه جديراً بالتسجيل . وكان (ما قبل تاريخ) وادي النيل عبارة عن موجات متوالية تأتي إليه فتستقر ، وقد تقاتل من سبقها من المهاجرين ، وقد تنتصر أو تنهزم ، لكن النتيجة في النهاية اختلاط عظيم بين مجموعات من البشر يجمعها رابط بالغ القدم منذ أن سعى الانسان على أرض هذا الوطن الكبير .

أما ما يعرف باسم «التاريخ» ذاته ، أي المسجل المدون ، فهو معروف ؛ إذ يبدو أنه نشأت (مملكة) واحدة على طول الوادي في البداية - لوحدة المهاجرين أصلاً - ثم ما لبثت أن انقسمت إلى مملكتين ، شمالية وجنوبية . ولعل دفعة جديدة من أهل الجزيرة دعمت الجنوبيين حتى شعروا بالقوة الطاغية للزحف على الشمال ، ففعلوا بقيادة «ميناء» (نعر - من) معيداً توحيد «القطريين» حيث يبدأ عصر الأسرات . وهنا نجد «هجرات» أخرى تتوالى ؛ من مثل هجرة «الهكسوس» أوائل الألف الثانية ق. م . ، ثم «هجرة» لبيية جديدة في القرن الثالث عشر ق. م . ، مضيفتين دماً جديداً إلى الدماء السابقة ، وهما الهجرتان اللتان تتحدث عنها النقوش المصرية كثيراً ، إلى جانب عمليات «تسلل» دائمة ومستمرة كانت ملحوظة في تاريخ وادي النيل من شرق وغرب .

وفي تاريخ مصر الطويل كثيراً ما تختلط الأسطورة بالواقع ، أو أن الأسطورة المضخمة ، أو المحرفة ، تبنى على واقع تنسى تفاصيله وتضيع صورته . وهذا ما نلاحظه في (تاريخ «مانيشو») المؤرخ المصري الذي كتب في القرن الثالث ق. م . وحفظت لنا شذرات مما كتب في مؤلفات مؤرخين آخرين من عصره ، بعضها شوه عمداً كما عند اليهودي «يوسفوس» ، كما نلاحظه في كتابات الاخباريين الاسلاميين أيضاً . و«مانيشو» - مثله مثل المسعودي وابن خلدون والهمداني والواقدي وغيرهم - يبدأ «التاريخ» عنده ببداية الخليفة ذاتها ، أي بداية وجود الانسان على هذه الأرض . وإذا كان «مانيشو» ينطلق من «حكم الأرباب» أو «الآلهة الحاكمة» التي عاشت في مصر القديمة جداً قبل أن يتولى «الانسان» الأمر ، فإن الاخباريين الاسلاميين يبدأون بأدم أبي الخليفة حتى العصر الذي عاشوا فيه . غير أن علم التاريخ استفاد عظيم الفائدة من شيء جديد لم يكن ميسوراً من قبل ، أعني فك رموز اللغات القديمة وإمكانية قراءتها ، وفي مقدمتها الرموز الهيروغليفية ، ثم بقية لغات الوطن العربي . وبهذا أمكنت المقارنة العلمية على ضوء الكشوفات الأثرية وبتطور «علم الآثار»

(44) لمزيد من المعلومات والتفصيل عن المعبود «حرفش» ارجع إلى مقالة الكاتب بعنوان : من عهد سيدنا حرفش ، في كتابه : بحثا عن فرعون العربي .

(45) يقصد ملوك الأسرة الثانية والعشرين (الشاشقة) المنحدرين من قبائل «المشوش» الليبية .

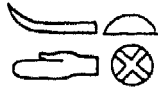
(الأركيولوجيا) وما أدى إليه من قراءة جديدة للتاريخ . ومع هذا فإنه لا يمكن إغفال روايات «الأسطورة» وأهمية دلالتها في تكوين وعي الشعوب بذاتها وبالآخرين، كما لا يمكن إغفال روايات التراث الشعبي ورفضها تماماً، إذ هي تمثل دون شك دلالات بالغة الأهمية ربما أدت إلى فوائد جلية إذا ما درست بعناية وتدقيق بمنهج علمي مقارن .

فكيف نظر «المصريون» القدماء إلى أجناس البشر الأخرى المحيطة بهم ؟ ماذا أسموهم بعد أن استقروا هم في الوادي وكونوا مجموعة مترابطة تحرص على ذاتها وتشعر بالتميز عن غيرها ؟ هذه هي «قصة الخلق المصرية» كما تصورها في أساطيرهم، في ما اصطلاح على تسميته بـ«قصص الخلق المصرية» التي تتنوع وتتعدد في تفاصيلها وقد تختلف بحسب العصور.

في ما يلي إحدى هذه القصص التي نعرضها مع ملاحظتين :

الأولى : أنه رغم «أسطورية» هذه القصة فهي تشير إلى وحدة الأجناس البشرية في أصلها البعيد، إذ ترجع كلها إلى أصل واحد ومنشأ واحد . . . إلى الخالق «رع» في أقسامها الأربعة . كل ما في الأمر هو أن أحد هذه الأقسام تميز عن بقيتها . أو لعله «فُضِّل» عليها، أو «اختير» - فهو من «المصطفين» .

والثانية : أن عرضنا يقوم على التحليل اللغوي لأسماء هذه الأجناس في اللغة المصرية، وهو المنهج الذي يسود هذا الكتاب كما هو غاية وضعه أساساً . ذلك لأن فكرة انفصال الحضارة المصرية عما يحيط بها هي التي أدت إلى (الدعوة الفرعونية) التي قامت على القول بانفصال اللغة المصرية وانعدام صلتها بسواها من اللغات العروبية . . وسوف يثبت للقارئ بطلان هذه المقولة وزيفها . دعنا ننظر في الأمر .



قصة الخلق المصرية

والأجناس الأربعة

تحكي إحدى أساطير الخلق المصرية أن إله الشمس «رع» بكى، فخلق الجنس البشري من دموعه المتساقطة، وكان البشر ينقسمون إلى أربعة أقسام: المصريين (رم ث) والليبيين (ت م ح و)، والأمم، والزنوج (ن ح س و) وسمى «المصريون» أنفسهم (رم ث) (البشر الحقيقيون) وهي تسمية تعتمد على التشابه اللفظي بين (رم ث) بمعنى «بشر» و«رم ي ت» بمعنى «دموع» (Budge ; The Eg.Gods, p. 8, The Eg. Heaven and Hell, p. 146).

نمضي، دون الدخول في التفاصيل الدينية والأسطورية، إلى تحليل الكلمات التي تحتويها قصة الخلق هذه:

(1) «رم ث» $rm\bar{t}$: بشر. (2) «رم ي ت» $rmyt$: دمع. (3) «ت م ح و» $tmhw$: ليبون. (4) «أم و» amw : ما شرق مصر. (5) «ن ح س و» $nhs w$: زنوج.

ونلاحظ أن قدماء المصريين كانوا مثل أي شعب آخر ظهر في التاريخ، يحسبون ما عداهم «برابرة» همجاً غير متحضرين. إذ هم «البشر» بمعنى الكلمة وأما ما عداهم فمجرد «مخلوقات بشرية»، ومن هنا كانت «رم ث» تعني البشر عموماً، لكنها تعني «المصريين» بالتحديد.

ويجدر بنا أن ننبه القارئ إلى أن القراءة «رم ث» بوجود الميم قراءة درج عليها بعض العلماء للرمز الهيروغليفي \overline{rm} والذي يجب أن يقرأ «رث» $r\bar{t}$ (أنظر: Gardiner ; Eg. Gr., p. 618. Budge ; an Eg. Hier. Dict. p. 435-6).

وقد قرأ «فولكنر» (a Con. Dict. of M. Eg. pp. 149-50) الرمز \overline{rm} (مع وجود المحدد؛ صورة إنسان) على شكل «رم ث» $rm\bar{t}$ رابطاً بينه وبين الرمز \overline{rm} الذي يقرأ «رم ث» (ناس، بشر) وكذلك \overline{rm} التي وردت في (نصوص الأهرام) المتأخرة نسبياً (قارن كذلك: Budge ; an Eg. Hier. Dict. p. 425-6. أيضا: Budge ; Egyptian Language, p. 101, : 210).

وفي ظننا أن خلطاً ما وقع. ففي النصوص المصرية المتقدمة على (نصوص الأهرام) توجد الكلمة في صورة «رث» بدون وجود حرف الميم، ثم أضيفت الميم في بضع حالات. فإن لم تكن خطأ من الكاتب، فالمسألة في رأينا لا تتعدى الخلط بين تسمية «البشر» «رث» وفكرة خلقهم من

دموع «رم ي ث» الإله «رع» حسب الأسطورة. فكان المزج اللفظي بين الكلمتين في صورة «رم ث» مما أدى إلى خلط العلماء بعدئذ بين «رث» و«رم ث» فجعلوهما بمعنى واحد. لكن الأمر الموثوق به للغاية أن البشر (وربما يقصد أهل مصر خاصة) يدعون «رث» \neq وليس «رم ث».

هذه المقدمة التوضيحية كان لا بد منها (وليراجع القارئ معجم «بدج»، صفحة 6 - 435 لتثبت من صحة القراءة: «رث» وليس «رم ث»). ذلك لكي تتضح لنا الصورة فيما يلي من التحليل.

نلاحظ أولاً أن «رث» \neq تأتي بمعنى «إنسان» (مفرد) كما تأتي بمعنى «أناس، بشر» (جمع). وفي حالة المفرد تُرسم صورة رجل محدداً الأفراد، فإذا قصد الجمع رسمت صورة رجل وامرأة دلالة الجمع. والمثير للانتباه أن «رث» لا تلحقها واو الجماعة، إذ لا توجد «رث و» \neq \neq \neq قط في معجم اللغة المصرية. وواو الجمع - كما نعرف - في المصرية، كالعربية تماماً، ترد كثيراً جداً في حالة الجمع. فلماذا انتفت في «رث»؟

انتفت، كما نذهب، لأن المقصود معنى آخر غير الذي ترجمه العلماء بكلمات: بشر، ناس، الجنس البشري، ونحوها.

فالمعنى في المصرية شيء مثل: الأصل، الأساس، الأول - في حالة أفراد. والمقصود سكان وادي النيل، الذين هم - حسبنا سبق - في نظر أنفسهم: «الأصل والأساس الأول». ما عداهم من «البشر» مجرد برابرة وهمج تطلق عليه أسماء أخرى كما سنرى. وهذا ما شرحه «بدج» وغيره من علماء المصريات. ولم يتجهوا إلى دلالة «رث» العميقة لأنهم صرفوا أنظارهم عن مقارنة المصرية بالعربية لفظاً ودلالة.

إذا كانت الفكرة اتضحت للقارئ فإن المكافئ العربي للمصرية «رث» هو «رَس» (وقد تعاقبت الاء المثلثة والسين، كما تعاقب الآن في لهجة عرب مصر المحدثين بالضبط)⁽¹⁾.

فما معنى «الرَس» في العربية؟

يقول ابن منظور:

«في حديث ابن الأكوخ: إن المشركين رأسونا للصلح وابتدأونا به... معناه: فاتحونا، من قولهم: بلغني رَسٌ من خبر أي: أوَّله»

والرَس: ابتداء الشيء.

والرسيس: الشيء الثابت.

ورسَّ وأرسَّ: دخل وثبت». (اللسان، مادة: رسس).

فالرَسُّ إذن يفيد البداية، والمفتتح، والأولية، والثبات، أي «الأصلية» (الأولية والتجذُّر = البداية والثبات). وهو ما قصده المصريون الأول من إطلاق «رث» على أنفسهم.

(1) يبدلون الاء سيناً فيقولون: أساس = اثاث، سلاسة = ثلاثة، سُم = نُم، كُسِير عَزَّة = كُثِير عَزَّة، مَسَل = مَسَل، مَسَلًا = مثلاً. إلخ. وحتى في نطق عرب مصر للانكليزية يلقبون الاء سيناً.

هل من المناسب في هذا المقام أن نذكر «أصحاب الرّس» الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم مرتين مقرونين بقوم نوح وعاد وثمرود من الأقسام القديمة ؟

﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ (الفرقان/38).

﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرّسِّ وَثَمُودٌ﴾ (ق/12).

وقد اختلف علماء التفسير في هذه «الرّس»، ما بين كونها بئراً لطائفة من ثمود دفنوا فيها نبيهم، وكونها دياراً لثمود، أو قرية باليهامة، «ويروى أنهم كذبوا نبيهم ورأسه في بئر أي دسّوه فيها حتى مات (!)» (اللسان).

وهذا تفسير تخريجي لفظي محض لا يثبت. والأصوب القول بأن «أصحاب الرّس» قوم عاصروا عاداً وثمروداً وليسوا من عاد أو ثمود، بدليل ذكرهم معهم منفصلين وإن اقترنوا بهم، وبدليل قوله تعالى ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ أي أزمته أو أجيالاً وأمماً.

في المصرية يُسمى شعب جنوبي مصر «رس ي و» (rsyw = جنوبيون). والمفرد «رس ي» (rsy جنوبي) و«رس و» (rsw . والجنوب) «رس» (rs . وقد ترجمت «رس» ومشتقاتها بأنها تعني «الجنوب» - أو: الصعيد - بحسب ما فهمه العلماء الغربيون. فلم لا تكون هي «رَس» العربية بالمعاني التي تفيدها ومنها «أصحاب الرّس» أي «الرّسّيون» (المصرية «رس ي و» (rsyw) ؟ !

إننا نعرف أن قوم الصعيد (الجنوب) عاصروا قوم عاد وثمرود، بل لعلمهم عاصروا قوم نوح نفسه، منذ قديم الزمان، وذكرهم منفصلين عن عاد وثمرود يعني انفصلاً مكانياً، بدليل اقترانهم جميعاً في الآيتين ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ - أي في أزمنة طويلة سحيقة.

هذا هو التفسير الذي نعرضه، ولا يمتنع معه أن تكون «رس» هي «رث» بتعاقب السين والثاء، بل إن هذا يؤدي ما نذهب إليه ؛ إذ من الواضح أن «رث» (= المصريين = الخلق الأصلي) كانت تطلق على سكان الجنوب، في مقابل «ت م ح و» (tmhw وهم سكان الشمال - كما يتضح بعد قليل). الجنوب إذن «رث» وهو «رَس». . . والمعنى واحد.

هل ثبت هذا القول في تعاقب الحروف وثبات المعنى ؟ في العربية - كما رأينا - دلت مادة «رسمس» (ثنائياً : رس) على «الثبات» (= الأصالة/ الجذرية) كذلك تفعل مادة «رز» (ثنائياً «رز») :

«رَزُّ الشَّيْءِ فِي الْأَرْضِ فِي الْحَائِطِ يَرِزُهُ رَزًّا فَارْتَزُّ : أَثْبَتَهُ فِثْبَتَهُ . وَالرَّزُّ كُلُّ شَيْءٍ ثَبَّتَهُ فِي الشَّيْءِ . . . إلخ». (اللسان).

وكذلك تفعل مادة «رصاص» : (ثنائياً «رصاص») :

«رَصَّ» البنيانَ يَرِصُّهُ رِصًّا : حَكَمَهُ وَجَمَعَهُ .

وفي التنزيل : ﴿كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوعٌ﴾ .

وفي هذا معنى الثبات، كما في «الرّصص» الذي هو «الرّصاص» مشتق من ذلك لتداخل
أجزائه، وثباتها وصلابتها.

أهذا يكفي؟

فلنرد الحديث إلى جهة أخرى :

ففي الأنكليزية هناك كلمة Race التي يعرفها (معجم أكسفورد) الاشتقاقي Ox. Con. Dict. بأنها تعني : «مجموعة أشخاص أو حيوانات أو نباتات ترتبط بأصل مشترك»، إلى جانب تعريفات أخرى قريبة من هذا المعنى أهمها الدلالة على الأمة المشتركة الأرومة، وأي قسم كبير من المخلوقات أو جماعة من الأفراد يربطهم ملمح ما. كما أن race تعني كذلك : جذر، أصل. وهي دخلت الأنكليزية من الفرنسية، وهذه أخذت عن الإيطالية Razza «وأصلها مجهول» (كذا) (2).

إن الجهل بمنشأ race (ومثيلاتها في غير الأنكليزية) وكيف ومتى دخلت أوروبا يجعلنا نميل إلى أنها من العربية «رس» (المصرية : «رس»، «رث») - فإن هذا أقرب الاحتمالات، خاصة أنها لم توجد في السنسكريتية أو غيرها مما يسمى اللغات الآرية. ولا بد أن ندعم هذا الترجيح بما يجعله مؤكداً تماماً.

نحن نعرف أن اللاتينية تطورت في شبه الجزيرة الإيطالية. لكنها كانت مسبوقة بلغة أخرى هي اللغة الأتروسكية Etruscan، وهي لغة شعب ذي حضارة طمرت إلا بقايا قليلة ونقوش اهتم بها العلماء وتتبعوها كثيراً وحاولوا الكشف عن أصولها ومن أين جاء أهلها.

ومنذ ما يقرب من مائة عام كتب عالم أمريكي يدعى «برنتون» Brinton مقالة خطيرة عن اللغة الأتروسكية ذهب فيها إلى ما خلاصته أن الأتروسكيين لبييون هاجروا من شمال أفريقيا واستقروا في إيطاليا ونمت حضارة لهم هناك. وقد عقد فصلاً متمماً عن أسماء الآلهة الأتروسكية والليبية القديمة، وفصلاً آخر عن الصلات اللغوية بين الفريقين (3).

مرت عقود الأعوام، وفي عام 1980 م. كتب باحث آخر هو الأستاذ «مايكل غرانت» كتاباً عن الأتروسكيين وكانوا عنده - في خلاصة القول - ينحدرون من أصل كنعاني (4).

وليس مهماً الدخول في تفاصيل هذا الموضوع، فإن له مجال بحث آخر. لكن لنقرأ ما يقوله «غرانت» :

«ما يمكن الآن اعتباره جلياً، على كل حال، هو أن اللغة الأتروسكية، رغم دخول كلمات إيطالية ولاينية وكلمات مستعارة وأسماء يونانية فيها عبر القرون، لم تكن تنتمي إلى عائلة اللغات

(2) ليعد القارئ إلى أي معجم انكليزي أو فرنسي ويتتبع المشتقات التي انبثقت عن race هذه، وهي كثيرة جداً. و«الأصل» واحداً

(3) D. Brinton ; on Etruscan and Libyan Names, Proceedings of American Philos. Society, 1889

(4) M. Grant ; The Etruscans, Weidenfeld and Nicolson, London, 1980

الهند - أوروبية التي تنتمي إليها الألسن المذكورة . . . إن الأتروسكية كانت لغة أصلها غير هند - أوروبي . . . وعندما أعلن (ديونيسيوس الهاليكارناسي Dionysius of Hallicarnassus في القرن الأول قبل الميلاد أن الأتروسكية لم تكن تشبه اللغات المعروفة [لديه] فلعله كان على صواب تام» .
وبهنا ما يختم به «غرانت» هذه الفقرة من كتابه بقوله :

«لقد أعانت هذه العزلة اللغوية الأتروسكيين على الشعور بأنهم كانوا متميزين يكونون وحدة أو أمة منفصلة وهي ما دعوها (رُسْنَا) Rosna أو «رُسْنِيَا» Rosnea ، وقد نقحروها اليونانيون : «رَسْنَا» Rasenna .»

ولسنا نحب أن ندخل القارىء في متاهات بحث مفصل ، ليس هذا مجاله ، وإن كانت تجدر الإشارة، مرة أخرى، إلى أن جميع أمم الأرض، بدون استثناء، كانت تعتبر نفسها «الجنس المميز» أو «الشعب المختار» وما عداها همج وبرابرة . وواضح أن الأتروسكيين لم يشذوا عن القاعدة، فكانوا يعتبرون أنفسهم جنساً مميزاً يفقون وحدهم أمة منفصلة متميزة هي «رسنا» .

لقد قال «برنتون» إن الأتروسكيين «ليبيون» . . منذ حوالي مائة سنة ، وقال «غرانت» - في آخر بحث عنهم - إنهم «كنعانيون» . وذلك على أساس اللغة المقارنة .

فات الأستاذين الكبيرين أن اللغة الليبية والكنعانية مشتركتان في كونهما لغتين عروبيتين ، نشأتا من مصدر واحد، وهذا هو السبب في أن الأتروسكية كانت قاسماً مشتركاً بينهما . فهي لغة عروبية كذلك ، سواء جاء أهلها إلى إيطاليا من شمال أفريقيا (برنتون) أو جاءوها من أرض الشام (غرانت) .

هذا هو السبب أيضاً في أن القائمة التي أوردها «برنتون» للكلمات الأتروسكية مقارنة بالليبية تنطبق تماماً على العربية بالضبط، كذلك ما جاء به «غرانت» من مفردات أتروسكية مكافئاً لها بالكنعانية يتطابق مع العربية أيضاً .

فإذا نظرنا إلى كلمة «رسنا» وجدنا جذرها «رس» العربية - المصرية . ودلالاتها واضحة : «الشعب المميز، الأصيل، الأصل، أمة هي الأصل الثابت (رس) وما عداها مجرد همج» . وهذا ما يطابق «رث» المصرية، كما رأيت، والتي هي في السوق ذاته «رس» (الجنوب/المصريون الأصلاء/أصحاب الرُّس) .

فإذا كان الجذر في «رسنا» هو «رس» فمن أين جاءت «نا» هنا ؟

فلنلاحظ اختلاف النقحرة في الحروف اللاتينية : Rosana, Rosna - وعند اليونان Rasenna . وهذا يعني أن الجذر هو (Rs + n) بدون وضع الحركات . ولنا هنا أن نقول، باعتبار الأتروسكية لغة عروبية (وقد ثبت أنها ليست هندو - أوروبية على الاطلاق) إن «رس ن» هذه مكونة من :

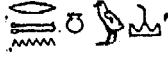
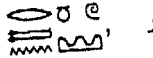
(1) الجذر «رس» = أساس، عرق، جنس = Race .

(2) + «ن» = نون النسبة للجماعة المتكلمة في العربية والكنعانية معاً . فهي - في العربية

الحديثة : «رَسْنَا» أي : عَرَفْنَا وجنسنا الرئيسي . لفظة مركبة صارت علماً⁽⁵⁾ .

فإن لم تكن هذه فهي إذن من تنوين «رس» . والتنوين الذي كان أصلاً للتعريف يأتي في آخر الكلمة (ع ر ب ن = العرب / الأعراب . رك ب ن = الركب ، الجمال - مثلاً⁽⁶⁾) ظاهرة معروفة في اللغات العروبية ، وأخذته اليونانية كذلك ، ومنها ظهر في الأنكليزية والفرنسية والاسبانية والايطالية . فإذا قلنا بتنوين «رس» في الأصل لوجب أن تكتب بنون ظاهرة في آخرها «رس ن» RSN تعريف «رس» (باعتبار «رس ن» = الرس) أي : الشعب⁽⁷⁾ الأصلي ، الأساسي ، الثابت ، الفعلي . فلما جاء اليونان نقحروا⁽⁸⁾ الحروف الصوامت إلى Rasenna ، كما نقحروها العلماء من بعد إلى : Rosnea, Rosena . والأصل : RSN .

هناك رأي آخر قد يكون صواباً ؛ ذلك باعتبار الكلمة «رس ن» (RSN) هنا كلمة واحدة (رغم أن جذرها الثنائي هو «رس») دالة على الثبات والأصالة . ولنا أن نقارنها بالعربية «رسن» ، وتبدل السين صاداً «رص ن» كما تبدل زايًا «رز ن»⁽⁹⁾ والمعنى واحد في جميع الأحوال هو معنى «رس» و«رز» و«رص» = الثبات والأصالة وهو ما يكافيء المصرية «رث» .

فلنراجع «رث» المصرية مرة أخرى فنجد منها : «رث ن و» RINW  و 

فإذا سألنا علماء المصريات ما «رث ن و» هذه كان الجواب أنها عنت في النصوص المصرية «جزءاً من بلاد الشام» . (a part of Syria) بحسب قول «فولكنر» (صفحة 150) ومعجم «بدج» (صفحة 436) . ويضيف «بدج» أن في المصرية : «رث ن و . ح رت» Rtnwhrt (بلاد الشام العليا) و«رث ن و . ق رت» Rtnw.qrt (بلاد الشام السفلى) . (عربيتها : «رث ن و» الحرّة / الحرّية = العليا . و«رث ن و» الغور/ الغورة ، أو الخور/ الخورة ، أو «رث ن و» القارة ، القارة = المنخفضة ، السفلى) .

وما دام المصريون فرّقوا بين «الشام العليا = ح رت» و«الشام السفلى = ق رت» وقبل كل منها كلمة «رث ن و» فلا بد إذن أن تكون هذه تعني بلاد الشام كلها ، أو على الأقل ساحل الشام .

(5) في الايطالية نفسها شيء شبيه بهذا الأمر ، ونقارن هنا - للتسهيل - باسم المنظمة الصقلية المشهورة cosa nostra (قزبيتنا) - فهي (عند ترجمتها إلى العربية) لفظة مركبة من «قضية + نا» - صارت اسم علم تُطلَق على جماعة بعينها .

(6) أنظر : غابوتشان = التعريف والتشكير ، ترجمة : د . جعفر دك الباب .

(7) في التراث العبراني تأتي كلمة «الشعب» والمقصود «شعب إسرائيل» (المختار) في التصور اليهودي ، حتى إن لم يضاف إلى كلمة «الشعب» شيء آخر .

(8) الرسن والرصن (للدابة) : ما ثبت به . ورجل رصين ورزين : ثابت .

(9) (نقحس أي : نقل حرفياً . و(النقحرة) = النقل الحرفي Transliteration)

تستعمل race للأعراق البشرية، وتقابلها الفرنسية racine، والألمانية wuzzel⁽¹¹⁾، والإيطالية radi- ce والأسبانية raiz. . إلخ. ويقول (معجم أسكفوردي) الاشتقاقي إنها ترجع إلى اللاتينية radix بمعنى «جذر»، ولعله لم ينتبه إلى أن هذه تعود إلى العربية «رس»، المصرية «رث». ولك أن تضيف ما شئت في هذا الباب حتى تصل إلى كلمة radish (فجل) وهي من الفرنسية القديمة، radis التي تعود إلى اللاتينية radicem، وهذه من radix (= رَس) أي : جذر (ا).

ويمكنك، وأنت واثق كل الثقة، أن تقرن radish (فجل) ب radical (التي «عرّبناها» : راديكالي !) فهي مركبة من radi (جذر = رس / رث) بإبدال السين دالاً كما أبدلت ثاءً في المصرية، وزيناً وصاداً أيضاً في العربية، ملحق بها cal- (أداة النسبة أو الصفة في الانكليزية).

أما وقد رأينا «جذرية» هذه المنقولات الأوروبية عن العروبية، فيحسن بنا أن نعود إلى «رس» الموضوع. . أعني بدايته الأولى.

وقد ذكرنا أن ثمة خلطاً بين «رث» (بشر) و«رم ي ت» (دمع)، فكان أن كتبت الأولى أحيانا «رم ث» وقرئت كذلك، ليحدث الجناس اللفظي بين الكلمتين وهو ما أغرم به المصريون الأقدمون نتيجة الفكرة الأسطورية في الخلق من دموع «رع» حين بكى حزناً على مصير العالم. وقد تكون «رث» أيضاً تعني «بكى» هي الأخرى في الأصل. وهنا نرجع إلى الجذر في العربية «رثا» :

«رثي فلانٌ فلاناً يرثيه رثياً ومرثيةً إذا بكاه بعد موته . . . ورثوت الميت أيضاً إذا بكيته وعدادت محاسنه وكذلك إذا نظمت فيه شعراً» (اللسان).

ومن الواضح تطور الدلالة في «رثا» من مجرد البكاء وتهاطل الدمع إلى المدح وتعدد محاسن الميت. . . تطور المعنوي المجرد من الحسي الملموس.

وقريبٌ من هذا ما في مادة «رثن» :

الرثنان : المطر غير المتتابع، المتقطع (كالدمع).

وأرض مرثئة ومرثمة ومرثونة، أصابها رثنان ورثام. (لاحظ أن «رثم» مقلوب «رمث»).

وقد ورد في مادة «رثم» شيء شبيه بهذا ؛ فهو سيلان الدم من الأنف، و«رثم» : دمي.

في بعض النصوص المصرية وردت «رت» بدلاً من «رث» r t (قارن معجم «بدج» صفحة 435) بتعاقب الشاء والتاء. والمعاني هي ذاتها. وقارن «بدج» كلمة «رت» (رث، بشر، الجنس البشري) بـ «رث» r t (ناس، شعب، الجنس البشري) من جهة، وقارن بينها وبين القبطية «رمي» rome من جهة أخرى، كما أورد (في صفحة 4 - 423) الجذر «رم» rm ومنه :

«رم و» r m u : ناس، بشر، الجنس البشري. («رم م و» - كذلك).

(11) الأقرب أن تكون الألمانية wuzzel ذات صلة بالعربية «أصل».

«رم» rm : إنسان .
 «رم» rm : يبكي ، يتحبب . («رم م» كذلك) ؛
 «رم ي» rmy : يبكي
 «رم ت» و«رم ي ت» rmt, rmyt : دموع .

إلى جانب مشتقات أخرى كثيرة - تختلف دلالاتها في الهيروغليفية باختلاف المحدد .

وفي مكافأتنا للمصرية «رث» rt وجدنا العربية «رثا» (بكي) ، «رثن» (مطر) وكذلك «رثم» (مقلوب «رم ث») تدل على المطر وسيلان الدم . فهل نجد مقابلاً للجذر «رم» rm (الذي يفيد «الدمع» و«البكاء» الذي تنحدر فيه الدموع) ؟
 فلننظر . . .

في مادة «رمي» يقول ابن منظور :

«الرميُّ : قطع صغار من السحاب . . . سحابة عظيمة القطر شديدة الوقع . . . الرميُّ : السقيُّ وهي السحابة العظيمة القطر . وقال مُلَيِّح الهذلي في الرميِّ السحاب :
 حنين البياني هاجه بعد سلوة * وميض رمي آخر الليل معرق

وقال أبو جندب الهذلي ، وجمعه أرمية :

هنالك لو دعوت أتاك منهم * رجال مثل أرمية الحميم

والحميم : مطر الصيف ، ويكون عظيم القطر شديد الوقع .

في مجال أسطورة الخلق المصرية يمكن استخلاص أن «الرمي» (السحاب العظيم القطر الشديد الوقع) هو ذاته «رم ي» rmy (دمع الإله «رع» باعتبار المطر الغزير الواقع من السماء دموع الرب الباكي تهطل مدراراً فتتحول القطرات إلى بشر (رم ث) يدبون على الأرض ديبياً⁽¹²⁾ .

هذا استنتاج . أما الاستنتاج الآخر فيكمن في تتبع الجذر الثنائي «رم» . ما الذي يحدث إذا أضيف إليه حروف أخرى ؟
 لنقرأ :

«الرمج : إلقاء الطائر سحجاً ، أي ذرقه» (وهذا يشبه سقوط الدمع من العين) .

«الرَّمح : . . . جاء كأن عينيه في رَمحين - وذلك من الخوف والفرق وشدة النظر ، وقد يكون ذلك من الغضب أيضاً» . (لاحظ علاقة العين بالرَّمح) .

«الرمد : وجع العين وانتفاخها» .

«الرمز : ورمزته المرأة بعينها : غمزته .

وجارية رمّاة : غمّاة . وقيل لها : رمّاة - لأنها ترمز بعينها» .

«الرمش : تفتل في الشفر وحمرة في الجفن مع ماء يسيل» . (قارن : رمش ، رموش) .

(12) يذكرنا هذا بالتصور الأسطوري عند بعض الفرق الاسلامية المؤمنة برجعة علي (كرم الله وجهه) وأنه حي في السماء ، الرعد صوته والبرق لمعان سيفه ، ولعل المطر دموعه .

«الرمص : في العين كالغمص - وهو قذئ تقذف به . . . وهو البياض الذي تلفظه العين ويجتمع في زوايا الأجفان» .

«الرمع : التحرك . تحرك الأنف من الغضب» (وعند البكاء) .

«الرمق : . . . رمقه يرمقه رمقاً ورامقه : نظر إليه . . . ورمق ترميقاً : أدام النظر . . . ورجل

يرموق : ضعيف البصر» .

من هذا نرى أن الجذر الثنائي «رم» في العربية يؤدي ، بإضافة حرف ثالث ، إلى جملة دلالات

مرتبطة بالعين في مختلف أحوالها⁽¹³⁾ ارتباط الرمز الميروغليفي 𐤓𐤌 المحدد للجذر «رم» rm في

المصرية بمشتقاته الدالة على البكاء وذرف الدموع (أنظر : «معجم بدج» - صفحة 424) - كما

نحصل على دلالة سقوط المطر من «رمي» ، وسائل الطائر من «رمج» ، والقذف السائل من العين

من «رمص» .

أخيراً . . نكرر ما ذكرناه من وجود جناس أو طباق بين «رث» (خلق/بشر) و«رث»

(بكى/دمع) من جهة (قارن العربية : رثا = بكى . رس = رث/أصل) و«رم ي ت» (دمع .

العربية : رمي) من جهة أخرى . وترد «رث» rt المصرية أيضاً «رت» rt .

كذلك في العربية يبدو أن هناك تطابقاً في المعنى والدلالة بين «رثا» و«رمي» وإن لم يوضح في

المعاجم بها في الكفاية . فقد ورد :

«وأنشد للحارث يذكر جبلاً وارتفاعه :

مكفهرًا على الحوادث لا ير * توه للدهر مؤيد صمًا

. . . قال أبو عبيد : معنى «لا تروه» : لا ترميه .

. . . ورتوت : رميت . والرتوة : رمية سهم» . (اللسان، مادة : رثا) .

فكأنما البشر عند خلقهم كانوا «رُثوًا» (= رَميًا) من «رثوات» (= رميات) دموع «رع» (=

رمي) تناثروا من عينه وتحذروا قطرات على الأرض يسعون ، حسب الأسطورة المصرية - وذلك ما في

اللغة المصرية : «رث/رت» = بشر (ثم خصت المصريين باعتبارهم البشر الحقيقيين ، الأضلاء ،

الأول) وصارت ، في بعض الكتابات المتأخرة ، «رم ث» ، «رم ت» لتطابق «رم ي ت» (دموع)

حبا في الجنس اللفظي . . وقد طابق هذا ذاك ، ولم تبق حاجة إلى مزيد بيان .

هذه إذن هي نشأة التسمية التي أطلقها المصريون القدماء على أنفسهم وارتضوها ، بينما

أطلقت الجماعات المحيطة بوادي النيل على سكانه تسميات أخرى تدرس في موطنها . وأطلق

المصريون على هذه الجماعات من الشمال والجنوب والشرق أسماء أن الأوان للحديث عنها فيما يلي من

الصفحات⁽¹⁴⁾ .

(13) فكرة «خلق» البشر من دموع «رع» تعني أنهم خلقوا من «عينه» . لنتنبه هنا إلى لغة الفلسفة في كلمة «تعين»

(= الوجود) .

(14) من الواضح أن هذه التسميات كانت قبل توحيد القطرين (الدلتا والصعيد) بدليل تخصيص الشماليين (والمقصود

الليبيون الذين عمروا الدلتا بعد جفاف الصحراء وهجرتهم منها) . أما لبيو الصحراء فقد عرفوا في النقوش المصرية

باسم «رب و» RBW الذين سبى الحديث عنهم .

ت ء م ح Ta meḥ

ت م ح و Temḥu

تطلق كلمة «ت م ح و» Tmḥw على الليبيين سكان الدلتا في القديم قبل توحيد القطرين (الدلتا والصعيد) على يد «نارمر» (ميناء) حوالي سنة 3200 ق. م. وهي تسمية تتردد في كتب التاريخ كثيراً (أنظر مثلاً : O. Bates ; The Eastern Libyans) وقد جُعلوا في أسطورة الخلق المصرية أحد الأجناس البشرية الثلاثة، سوى المصريين، وهم : «التمحو» و«الأمو» و«النحسو».

هذا الاسم مكوّن في أساسه من مقطعين :

«ت ء» Ta : أرض، بلاد. (العربية : طَيْة، طَاة، طاعة).

«م ح» mḥ : شمال، جهة الشمال.

+ «و» w : واو الجمع.

وفي «معجم بدج» (صفحة 816) : «ت ء م ح» Ta mḥ : (بلاد الشمال، الدلتا). وفيه (صفحة 837) : «ت م ح و» Tmḥw : (الليبيون). و : «ت م ح ي ت» Tmḥy.t : (ربة الأرض الحمراء) أو «الصحراء» = ربة ليبيا).

ومن الجلي أن المقطعين «ت ء» Ta (أرض) و«م ح و» mḥ(w) (شمال/شاليون) قد أدجما في كلمة واحدة هي «ت م ح و» Tmḥ(w) ونسبت إليها «ربة ليبيا» «ت م ح ي ت» Tmḥ(y.t). وليست «ت م ح» Tmḥ هي الجذر، بل الجذر هو «م ح» mḥ (= شمال) (أنظر «غاردنر» (Eg. Gr. p 599).

تحت الجذر «م ح» في المصرية نجد كلمات كثيرة تدل على «الشمال». من ذلك مثلاً :

«م ح ت» mḥt : ربة الشمال.

«م ح ي ت» mḥyt : بلاد الشمال، الدلتا، شمالي.

«م ح ت ي و» mḥtyw : القبائل الشمالية.

«م ح و ت» mḥwt : ربح الشمال.

كما أن هذا الجذر «م ح» mḥ يدل على الماء الغزير والفيضان والمطر الدافق (لارتباط الدلتا بالماء الغزير، والمطر النادر في الجنوب) :

«م ح ي» mḥy : فيضان، غمر.

«م ح ي ت» mḥyt : فيضان، عاصفة ممطرة، ماء كثير، غمر.

«م ح ي ت» mḥyt : ربة الفيضان.

«م ح و ي و» mḥwyw : الفيضان الذي أهلك الجنس البشري.

(قارن «معجم بدج» ص 316 وما بعدها)

فما هو المكافئ العربي الذي يؤدي المعاني ذاتها التي يؤديها الجذر «م ح» في المصرية ؟
إنه الجذر «محا». وفيه جاء :

«المحوة : المطرة، تمحو الجذب ؛ عن ابن الأعرابي . وأصبحت الأرض محوةً واحدة إذا تغطى وجهها بالماء حتى كأنها محيت . وتركتُ الأرض محوةً واحدة إذا طبقتها المطر . وفي (المحكم) : إذا جيّدت كلها . . . ومحوة اسم للدُّبور لأنها تمحو الأثر . . . وقيل : هي الشَّمال . قال الأصمعي وغيره : من أسماء الشمال : محوة ، غير مصروفة . قال ابن السُّكَّيت : هَبَّتْ محوة اسم الشمال ، معرفة . وأنشد :

قد بكرتُ محوةً بالعجاج * فدمرت بقية الرجاج

وقيل : هو الجنوب . وقال غيره : سميت الشَّمال محوةً لأنها تمحو السحاب وتذهب به . ومحوة : ريح الشمال لأنها تذهب بالسحاب ، وهي معرفة لا تنصرف ولا تدخلها ألف ولا م . قال ابن بري : أنكر علي بن حمزة اختصاص المحوة بالشمال بكونها تقشع السحاب وتذهب به . قال : وهذا موجود في الجنوب . . .

ومحوة : اسم موضع بغير ألف ولا م . وفي (المحكم) : والمحو اسم بلد . قالت الخنساء :

لتجر الحوادث بعد الفتى الـ * مغادر بالحو أزالها .

ولا أحسب أن ثمة نصاً يبيِّن عن التطابق التام بين دلالات «م ح» المصرية و«محا» العربية أوضح من هذا النص . فهو جامع مانع لكل مشتقات «م ح» ومعانيها التي تفيد : الماء الغزير ، مطراً وفيضانا ، والشَّمال .

والمدهش فعلاً أن تكون «محوة» معرفة غير مصروفة ولا تدخلها ألف ولا م⁽¹⁵⁾ . . . كأنها اسم علم . والشئ نفسه في المصرية . والأبعث على الدهشة أن تكون «محوة» اسم موضع بغير ألف ولا م ، وأن تكون «المحو» اسم بلد . والأكثر إثارة للدهشة هذا الاختلاف في اعتبار «محوة» مرة ريح «الشمال» وأخرى ريح «الجنوب» . وإذا كان الاختلاف وقع في ريح «الدُّبور» وريح «الصبا» أيضاً ، إلا أنه ذو دلالة هنا بالذات ؛ فكتب التاريخ تتحدث عن «التمحو» ليس باعتبارهم أهل «الشمال» فقط بل هم لبيبو «الجنوب» أيضاً⁽¹⁶⁾ . ويبدو أن هذه القبائل ، أو القبيلة ، الليبية كانت في الجنوب (غربي الصعيد) ثم انتقلت إلى الشمال حيث عاشت في الدلتا في التاريخ القديم - فصارت الدلتا تسمى «ت م ح و» Ta-m h w (أرض المحو . حرفياً : طية محو = طية المحو) ، ثم أدغمت «ت م ح و» (طية) في «م ح و» m h w (الشمال) فكانت «ت م ح و» T m h w . وهو الاسم الذي عرفت به القبائل الليبية في هذا الموضع أو البلد⁽¹⁷⁾ . وهم القسم الأول من أقسام البشر الثلاثة ، عدا المصريين ، كما تصوّرتهم أسطورة الخلق . ويبقى قسمان آخران : «العامو» (أو : الأمو) و«النحسو» وعنهما مايلي من حديث :

(15) هذا في بعض الأقوال . وقد أدخل ابن منظور أداة التعريف في (المحوة) و(المحو) .

(16) أنظر في هذه المسألة : Oric Bates ; The Eastern Libyans

(17) بعض الكتاب العرب حاول تعريب الكلمة فجعلوها «طمحو» (1) .

«ع أم و» |  | Aamu

«أم و» .  | Amu

|  | Amtit

القسم الثاني من البشر، غير سكان وادي النيل . وترد في النصوص المصرية في صورة «ع م و»
°m w (مفردها : «ع م» °m) و«ع م و» °amw (مفردها «ع م» °am) . والمقصود البشر الذين
كانوا شرقي وادي النيل . وهي تترجم إلى الأنكليزية asiatics (آسيويون) أو semites (ساميون) .
نقرأ في معجم «فولكنر» (An Eg. Con. Dict., p. 38) : «ع م» °a m : آسيوي (رجل آسيوي) .
«ع م ت» °a m t : آسيوية (امرأة آسيوية) .

وفي معجم «بدج» (an Eg. Hir. Dict. p. III) :

«ع م» °a m : آسيوي ، بدوي من الصحراء الشرقية .

«ع م و» °a m w : رعاة ، بدو ، رُحُل ، فلاحون .

«ع م ي ت» °a m y t : امرأة آسيوية .

«ع م و» °a m w : روح «العامو» في «دوت» (طوى) .

ثم :

«ع م» °a m : حيوان ، بهيمة .

وفي نفس المعجم (صفحة 122) :

«ع م م و» °m a m w : شعب آسيوي .

وفي (صفحة 6) :

«أم و» a m w : أحد آلهة الفجر .

يذهب الأستاذ «إمبير» (Ember ; Egypto-sem. Stud ; 10.B) إلى أن ثمة إبدالاً في كلمة
«ع م» °a m ؛ الهمزة مبدلة من الراء ، مما يحدث كثيراً ويضرب أمثلة لذلك ، والميم مبدلة من الباء ،
وهو أمر كثير الحدوث عند مقابلة المصرية بما يسميه (السامية) - ويضرب أمثلة لذلك أيضاً⁽¹⁸⁾ .

18) من أمثلة إبدال الراء همزة : ك م (كرم = عنب) ، ق م ب (قرب / قراب / قرية = وعاء) ، ي م ق (يرق = أخضر) ،
پ م (فَر = طار، هرب) ، ق م ع (قرقر / قرقور = قارب طويل) .
ومن أمثلة إبدال الباء ميماً : د م (دبر = خلف) ، ك م (كبر = نما) . وهذه أبدلت فيها الراء همزة والباء ميماً .
وهناك : ج م ه (جبه / جهة = جبين) ، و م (وشب = خلط) ، خ م (خنب / خلب = سرق) ، ت م (طلب
= سأل) .

وبحسب رأي الأستاذ «إمبير» فإن «ع م» am على هذا الأساس تقابل «ع ر ب» (r b) التي تنفذ في اللغات العروبية أصلاً : بدو، رُحَل، أهل الصحراء⁽¹⁹⁾.

وهذا ممكن تجيزه كثرة الابدال في اللغة المصرية نفسها، وبينها وبين العربية. ولكن لم نأخذ الأمر ببساطة أكبر فنقول إن «ع م» هي «ع م» وإن الهمزة بين العين والميم مزيدة؟ وهناك عدد لا يكاد يحصى من الكلمات تضاف فيه الهمزة في المصرية وتكون محذوفة أو هي مدة بالألف أو بالواو أو بالياء عند المكافأة بالعربية (من ذلك مثلاً : «و ع ح ت» = واحة . «ب ع س ت» = بسطة (هرة) . «ب ع ق ، ب ع ك» : فاق (زيت) . «ب ع ق س» = بقص / فقس . «ح ع ت» : حيط (بيت) «خ ع ب ع س» = قبس . «خ ع ر» : خار (صوت الثور) . «س ع ب» = صَب، سبب . «ش ع ق» : زق (كيس / وعاء) . «ك ع ب» : كبو (حرق البخور) . «ق ع ق ع» : قاق (صياح الطائر) . . . (الخ).

وفي العربية نفسها تهمز بعض اللهجات ما لا يهمز عادة⁽²⁰⁾ وقد تحذف الهمزة، فنقول : بير = بئر، فار = فأر، باس = بأس، فاس = فأس، ذيب = ذئب . . . وهلم جراً .

فإن قلنا إن «ع م» هي «ع م» كنا على صواب . وهنا نطلق لننظر في «عم» العربية فنجدها تؤدي إلى عدد كبير من المشتقات، حين تثلث، تدل على القوة في مجموعها : عمّت : قسر . رجل عميت : جرى . العمثل : الضخم الثقيل . العميثل : الضخم الشديد العريض . عمّد : طال، ومنها : العماد، العمود ؛ السند الطويل . عمّر : العمر : الحياة (قوة) . العمش : ما فيه صلاح البدن . عمّق : العمق : ما بعد من الأطراف . (ومن هذه الأخيرة : عمّلق - التي سنعود إليها بعد قليل) . عمّل : العمل فيه معنى القوة والنشاط ؛ اليعملة والعمّلة : الناقة النجيبة الفارسة القوية، العامل : والوالي / الحاكم (القوي) . حتى نصل إلى «عمم» .

(19) للأستاذ عبد الحق فاضل رأي لطيف في التوحيد بين كلمتي «عربي» و«أرمي» (أرامي - كما هو شائع) في اللفظ والدلالة على أساس تعاقب العين والهمزة من جهة والباء والميم من جهة أخرى . ويضرب مثلاً تعاقب الباء والميم كلمة «مكة» التي جاءت «بكة» أيضاً في القرآن الكريم . وقد أخذ عليه الدكتور إبراهيم السامرائي هذا الرأي وحمل عليه حملة ظالمة سفّه فيها ما ذهب إليه الباحث، تحت ستار الأكاديمية العلمية المزوّقة . فلو نظر الدكتور السامرائي إلى ما ذكره «إمبير» (وهو أستاذ أكاديمي كبير لا يطعن أحد في علمه بالألسن والألسنيات) لرأى أنه كان أمعن من الأستاذ فاضل، فقد جعل «ع م» المصرية «ع ر ب» بينما اكتفى الأستاذ فاضل بأن جعل «أرم» في صيغة «ع ر ب» - وكلاهما قريب بعضهما من بعض . وقد تختلف مع الأستاذ فاضل في مقابلته، فإن «أرم» تعني «جبل» و«الأرميين» = الجليليين . ولكن البحث لا يروّد عليه بمثل ما فعل الدكتور السامرائي على كل حال . (أنظر : فاضل ؛ مغامرات لغوية، صفحة 99) .

(20) جاء في مادة «رثا» في (اللسان) : «وامرأة رثاءة وورثاية . . . وكذلك القول في سقاة وسقاية وما أشبهها . قال ابن السكيت : ربما خرجت بهم فصاحتهم إلى أن يهمزوا ما ليس بهموز، قالوا : رثأت الميت ولبأت بالحج وحلأت السويق لتحلته، إنما هو من الخلاوة» . بل قالوا : الثأر بدلاً من الثأر، والعالم، والناس، بدلاً من العالم والناس .

في مادة «عمم» («ثنائيتها عم») نجد :

العم : أخو الأب (المعنى الأصلي : المساند، القوي).

العمامة : ما يوضع على الرأس (مجازاً : العمام تيجان العرب، وإذا سَوَّد الرجل قيل : عُمم).
العميم : الطويل من الرجال والنبات.

نخلة عم، ونخلة عميمة : طويلة تامّة⁽²¹⁾. وكل ما اجتمع وكثر فهو عميم.

العمم : عظم الخلق، الجسم التام. واعتم النبات : اكتهل، وتمَّ خلقه، إلى آخر ما يرد في هذه المادة من معاني الطول والتمام... فلتراجع. ومنها تصريفات : عُمم، عَمَم، اعتمام، وجارية عميمة وعمماء. وكلها بمعاني الطول والجسامة.

ونفس ما يفيد الجذر الثنائي «عم» وثلاثيه «عمم» يفيد رباعيه «عملق». ومنه : «العملاق : الطويل، والجمع : عماليق، وعمالقة، وعمالق، بغير ياء. وعملق وعملق وعملاق : أسماء. والعمالقة من عاد؛ وهم بنو عملاق. قال الأزهري : عملاق أبو العمالقة، وهم الجبابرة الذي كانوا بالشام على عهد موسى عليه السلام». (اللسان، مادة : عملق).

هؤلاء «العمالقة» الذين كانوا بالشام على عهد موسى عليه السلام - أي أواخر القرن الثالث عشر ق. م. والذين هم من عاد - أي من العرب البائدة - هم أنفسهم الذين قاتلهم بنو إسرائيل وأسموهم «العناقيم» أي «العناقيين» أي الضخام الطوال، الجبابرة، العماليق. وقائدهم في الأسطورة الإسرائيلية «عوج بن عنق» أو «بن عناق» ومعنى الاسم : القائد أو الرئيس⁽²²⁾ الطويل (أو ابن الطويل).

والذي يهمننا هنا أن الجذور «عمم» و«عملق» و«عنق» تؤدي معنىً واحداً، وأنا قرأنا في التاريخ أن «العناقيين» (العناقيم) هم أنفسهم الذين كانوا يسمون في الجزيرة العربية «العماليق»

(21) في المصرية نجد لها في صورة «إءم» am «إءم» و «إءم ت» iam t (مؤنثة) = نخلة، شجرة نخيل (معجم «بدج» صفحة 20).

ويُسمى سكان سيوة في المصرية «إءم ت ي و» iamtyw. وقد تكون الباء للنسبة والواو للجمع والياء لتأنيث «إءم». فإن لم تكن التسمية نسبة إلى النخل «عم» الذي يكثر في سيوة، فإن «إءم» هي «عم» بالمعاني التي نتعرض لها في هذا البحث، وبذا تستوي تسمية «بدو» شرق مصر مع تسمية «بدو» غربها تماماً.

في ليبيا - حتى الآن - يُسمى النخل الطويل «عامي» والواحدة «عامية»، وكذلك بلحه ورطبه وقمره (بلح «عامي»، ورطب عامي). وقد لفت نظري الحديث المنسوب إلى النبي ﷺ الذي يقول فيه «أكرموا عمّتكم النخلة».

ويقول ابن منظور : «سماها عمّة للمشاكله في أنها إذا قطع رأسها يبست كما إذا قطع رأس الإنسان مات (1)» (وهذا تفسير ينطبق على «رأس» أي كائن ولا يخص الإنسان). قال : «وقيل : لأن النخل خلق من طينة آدم عليه السلام». (وهذا تفسير خرافي بالطبع لا أساس له من الصحة، متهافت سقيم). وأضاف : «(قال) ابن الأعرابي : عمّ إذا طوّل، وعمّ إذا طال». ونرى أن هذا هو معنى : «عمتكم» النخلة - أي طويلتكم، أو شجرتكم الطويلة أو بالتحديد : «نخلتكم» الطويلة. اللهجة الليبية : «عاميتكم (عامية) وفي المصرية «إءم ت» (لعلها أصلاً «ءم ت» صارت «إءم ت» ثم «إءم ت»).

(22) نذهب إلى أن «عوج» صارت في اليونانية agos, ag = رئيس، قائد.

هاجروا منها إلى الشام واستقروا فيها - وفي فلسطين بالذات - فلما جاء بنو إسرائيل وجدوهم فيها فقاتلوهم وأسموهم «العناقيم» (ترجمة عبرانية للعربية «عماليق»).

فما الذي نفهمه ؟

يمكننا أن نفهم - بوضوح - أن شعب الجزيرة (وما هو شرقي مصر عموماً) كان يسمى عند العرب «عماليق» أو «عمالقة»، وعند العبرانيين «عناقيم» (عناقين، ومادة «عنق» العربية تؤدي نفس المعنى) وعند المصريين «عامو» - أو بدقة أكبر «ع م و» ^{c a m w} (لاحظ أن الواو في آخر الكلمة للجمع تقوم مقام «يم» في العبرية و«ين» في العربية المتطورة).

فهل نقنع بهذه النتيجة ؟

إن الألفاظ تتطور دلالتها وتتنوع - وهذا قانون لغوي معروف - ولكن يظل ثمة خيط رفيع يربطها بعضها ببعض. خذ الجذر العربي «عم» مثلاً (ثنائياً، ومنه «عمم») تجده يؤدي، إلى جانب ما ذكرنا، إلى كلمة «عامّة» (خلاف «الخاصّة»). ويفسر ابن منظور نشأتها تفسيراً يتفق مع مفهوم عصره، نقلاً عن ثعلب، فهي «سميت بذلك لأنها تعمم بالشر». ولم ينتبه إلى قوله: «العُمَمُ: العامّة، اسم للجمع».

والواقع أن العامّة (العمم - في صيغة الجمع) انبثقت من «عمم» بمعنى: كثر واجتمع و... عمّ. فهي الأغلبية الغالبة والكثرة الوافرة. ومفردتها بصيغة النسبة «عامي» التي تجمع على «عوام»... ويجوز - قياساً - جمعها على «عاميين». (صورتها في المصرية «ع م و»).

في العربية يقال: «رجل عمّي ورجل قصريّ». فالعمّي: العام، والقصري: الخاص.

وقد نقرأ قصري: قصري - بفتح القاف: فتكون النسبة إلى القصر (المدينة) ويكون المعنى: العمّي: البدوي (من ليس مدنياً) والقصري هو من سكن القصر (المدينة)⁽²³⁾.

من جهة أخرى تطورت دلالة «عامي» إلى معنى الجهل وعدم المعرفة وربما الجهالة، بحكم كثرة «العوام» الغالبة واقتصار «= قصر» المعرفة على أهل المدينة والحضر، فصارت دلالتها أوسع وأشمل، حوت قسماً من أهل المدينة أنفسهم أو القسم الأكبر منهم، أعني «عامّة» الناس و«عوامهم» (أو: عاميهم) الجاهلين. ثم دلت على الجهل بالقراءة والكتابة، في مواجهة «الخاصّة»⁽²⁴⁾ الذين أسعدهم الحظ، أو المكانة أو الثروة، بمعرفتها. فكانت «العامي» تعني ذاك الذي لا يقرأ ولا

(23) قارن: «برجوازي»، من الفرنسية bourgeoisie صفة من bourge (جذرها BRG وهي العربية: «برج» = قصر، مدينة).

(24) لاحظ صلة «الخاصّة» بـ«الخصّ» وهو «البيت» الذي صارت في بعض اللغات الأوربية Casa.

يكتب. وقد احتفظ الجذر «عمم» هنا بصلته بمعنى الجهل في جذريه الثلاثين الآخرين : «عمه» و «عمي» اللذين وردا في القرآن الكريم بمعنى الجهل، أو العمى المعنوي⁽²⁵⁾.

وعند المقارنة باللغات العروبية الأخرى نجد في الكنعانية : «ع م» بمعنى «شعب» (فريجة ؛ ملاحم . . صفحة 647). وهي ذاتها «ع م» و «ع م م» أي : «أناس» (Gordon ; Ug. Handbook, p. 257) أما في الأكادية فنجدها في الجذر «أم م» (بتعاقب العين والهمزة) ومنه : أماتو ammātū : قوة (= عملاقة). (Weir, p. 19) كما أن منه «أمو» umū : ناس، شعب (Arnolt ; p. 54).

فإذا يحدث لو أبدلنا العين في العربية «عمم» إلى همزة لتتكون «أمم» (جذرها الثنائي «أم») ؟
سوف نقرأ في هذه المادة :

الأمّة والإمّة : الدين (فيه معنى القوة)

الإمّة : النعمة.

الأمّة : الملك.

أم القوم : رئيسهم. وكذلك الإمام⁽²⁶⁾ : القائد.

حتى نصل إلى «الأمّة» أي الجماعة الواحدة، وهم «الناس» أو «الشعب» ونحوها.

من نفس الجذر «أمم» تخرج كلمة «أمّي» أي الذي لا يكتب⁽²⁷⁾، وقد فسرت بأنها تعني المنسوب إلى ما عليه جبلته «أمه»، أي لا يكتب. وكانت الكتابة في العرب من أهل الطائف تعلموها من رجل من أهل الحيرة، وأخذها أهل الحيرة عن أهل الأنبار (يعني : النبط. وصحيح أن الكتابة العربية تطورت عن النبطية). قال الزجاج : الأمّي الذي على خِلقة الأمّة لم يتعلم الكتاب فهو على جبلته . . . وفي الحديث : بعثت إلى أمّة أمّية (اللسان).

25 ﴿الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون﴾. البقرة/15 ﴿مَنْ يُضِلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ الأعراف/186 ﴿فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها﴾. الأنعام/104. ﴿فعميت عليهم الأنبياء يومئذ فهم لا يتساءلون﴾. القصص/66 ﴿وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى﴾. فصلت/17.

وتجمع «عمي» على «عمون/عمين» : ﴿بل هم في شك منها بل هم منها عمون﴾ النحل/66. ﴿وأغرقتنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوماً عمين﴾ الأعراف/64 و«أعمى» على «عميان» : ﴿والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صُماً وعمياناً﴾. الفرقان/73.

وعلى «عمي» : ﴿أفأنت تهدي العمى ولو كانوا لا يبصرون﴾. يونس/43.

26 فارن القرآن الكريم : ﴿ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين﴾. القصص/5 أي نجعلهم سادة.

27 لا يقال : الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب، بل الذي لا يكتب فقط. ذلك لأن «القراءة» (قرأ، يقرأ، إقرأ) من جذر آخر بمعنى : رفع صوته، صاح. و«الأمي» يستطيع أن «يقرأ» (يرفع صوته بالقراءة لما حفظ مثلاً دون أن يستطيع الكتابة).

هنا تتمزج المسائل . لكن الثابت أن ثمة صلة قوية بين «أمة» (شعب) و«أمية» (الجهل بالكتابة) . و«أمة» في الأكادية هي «أمو» (قارن في العربية : أمة = أم) . وهي «ع م ت» الكنعانية (عامّة) وهي «ع م و» المصرية .

« قيل للعرب الأميون لأن الكتابة فيهم عزيزة » .

وهذا هو التطور الأخير لدلالة «أمي» . وقد ورد في القرآن الكريم : ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ الْأُمِّيَّ﴾ . الأعراف/157 .
﴿فَأَمِينُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ﴾ . الأعراف/158 .

وقد أخذت صفة «الأمي» بمعنى الذي يجهل الكتابة، استناداً إلى قوله تعالى :

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيًّا﴾ البقرة/78 .

و«الكتاب» هنا بمعنى «الكتابة» وليس المقصود الكتاب التوراة أو الانجيل وما سبق من كتب الرسل . ولكن هذا لا يمنع أن تكون «أمي» نسبة إلى تسمية أطلقت على شعب ما، يسمون «الأميين» . وقد ورد في الكتاب العزيز :

﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ﴾ آل عمران/20 .

و«الكتاب» الذي أوتوه (أعطوه) هنا - فيما نرى - مقصود به التوراة والانجيل ، أي اليهود والنصارى (قارن : ﴿آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ ، ﴿آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ﴾ ، ﴿آتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ ، ﴿آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَلِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ ، ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾ ، ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ واليهود خاصة باعتبارهم كانوا مجتمعاً معروفاً ، عرقياً ودينياً ، في المدينة على وجه الخصوص والحجاز عامة .

كما ورد :

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ . (الجمعة/2) .
﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ . (آل عمران/75) .

وكلمة «الأميين» هنا تميز فريقاً معيناً من البشر عن اليهود ، الذين كانوا يدعون غيرهم «أوميم» أي «الأمم»⁽²⁸⁾ - كما تعرب - وهي مقابلة للعربية «أميين» («-يم» في العبرانية = «-يين» في العربية ، علامة الجمع) . كما أن «قويم» تطلق على غير اليهود (الشعب/ الشعب المختار) وترجم إلى «أقوام» . ونرى أن هذه الترجمة غير موفقة فإن «قويم» جمع «قوي» في العبرانية ، وهي تقابل

28) الانكليزية gentiles وأصلها اللغوي genes - عربيتها : جنس ← أجناس . أصبحت علماً . هذا غير مستغرب ، فإن الاسم الذي يطلق على أهل جزر الكناري الأصليين (وهم لبيو اللغة والكتابة) هو guanche (بمعنى : قوم ، جنس) وهو تحريف لـ«جنس» العربية .

العربية «قويّ». وقد أطلق العبرانيون «قوييم» على من حاربوهم في فلسطين فهي بمعنى «الأقوياء» (= عناقيم/عناقين) مما يعيدنا مرة أخرى إلى معنى القوة في «أوميم» (الأميين) كما وجدنا معناها في الجذر العربي «أم/أمم».

«الأميون» إذن تسمية، أو اسم علم، والأسماء عبارة عن صفات أصلاً، نشأتها الأولى بمعنى «الأقوياء» (العماليق/العماقية/الطوال/العُمم/العاميون) وفيها معنى السيادة والعزة (أمة/إمام/أئمة). جذرها «أم/أمم»، وهو نفس الجذر «عم/عمم» - وفيه معنى الكثرة والوفرة، الكثرة الغالبة (عمم/عام/عميم/عم، يعمّ عامة. الكنعانية «عم م ت» = ناس، بشر كثيرون، الغالبية العظمى).

وقد تطورت الدلالة إلى معنى عدم المعرفة (عامي/عامة) صفة ألصقت بغير أهل المدينة، أي أهل الصحراء، البدو غير العارفين بالكتابة. وهي في المصرية «عم م و» ^oam w.

إن كانت القضية اتضحت في ذهن القارئ فإن النتيجة هي القول بأن «عم م و» هي بالضبط «الأميون» = العرب.

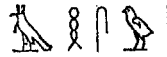
هل نمضي شوطاً أبعد؟

لقد جمعت المصرية في كلمة واحدة بين «عم» ^om و«أم» ^am (وقد رأينا أنها تفيدان المعاني ذاتها) فأسمت ما ترجمه «بدج» (المعجم، صفحة 122): «شعب آسيوي» an asiatic people فقالت: «عم م - أم م و» ^oM-am w.

ونكافئها: عامة الأم/عموم الأمة = «عامة الأميين».

وفي المصرية أيضاً:

«أم م و» ^am w أحد آلهة الفجر (معجم «بدج» صفحة 6). و«الفجر» كما تعرف - حتماً - يأتي من المشرق، أي من بلاد «الأمو» أو «العمو» (أمم/عمم) - فنسب إليها؛ «أمي» أو «عامي» - فلم لا يكون «أمي»؟ لقد كان فجراً عربياً... ولا يزال!

ن ح س و |  | Nehesu

هذا هو القسم الثالث من البشر، عدا المصريين، حسب أسطورة الخلق. و«ن ح س و» nhsw أيضاً هم القبائل السودانية في عالم «د و ت» (طوى). ويترجمها «غاردرنر» (Eg. Gr., p. 513): زنوج، سود.

ترجع هذه التسمية إلى الجذر «نحس» دون ريب - وهو يفيد السواد: «النحاس، بضم النون: الدخان الذي لا لهب فيه. وفي التنزيل: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمْ شَوَاطِئُ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٍ فَلَا تَنْتَصِرُونَ﴾... قال: النحاس: الدخان. قال الجعدي:

يضيء كضوء السراج السليبي * ط لم يجعل الله فيه نحاسا .
قال الأزهرى : وهو قول جميع المفسرين . وقال أبو حنيفة : النحاس : الدخان الذي يعلو
وتضعف حرارته ويخلص من اللهب . . .

والنحاس ، بفتح النون : ضرب من الصُّفْر والآنية شديد الحمرة . . . ابن بزرج : يقولون :
النُّحاس ، بالضم ، الصُّفْر نفسه ، والنُّحاس ، بالكسر ، دخانه . وغيره يقول للدخان : نُحاس»
(اللسان ، مادة : نحس) .

هذا هو «النُّحاس» في معناه الأصلي : الدخان = الأسود . والمقصود هنا «السودان» ، جنوب
مصر . وقد يكون «النُّحاس» شديد الحمرة ، وهو ما ينطبق على أهل شمال السودان الممتزجة أعراقهم
بين الزنج والعرب ، فهم إلى الحمرة أميل منهم إلى السواد . ولا ضرورة لتتبع مادة «نحس» واستعمالها
المجازي . . . كنايةً فليفعل القارىء . . . إن أراد .

وهذا السياق يذكّرنا بلفظة وردت في قاموس اللغة المصرية مرتبطة به ، هي كلمة «دن ق»
أو «دن ج» dng وتعني «قزم» (معجم «بدج» صفحة 883) تليها dng بمعنى «قصور» ،
«نقص» (لاحظ أن «قصور» و«قصر» من جذر واحد : قَصَرَ) .

وقد يكون المقابل العربي الجذر «زنج» بتعاقب الدال والزاي (بقراءة الكلمة «دن ج»)
«والزُّنج والزُّنج (لاحظ كسر الزاي وفتحها مما يرجح الإبدال الذي أشرنا إليه) جيل من السودان ،
وهم الزنوج» . (اللسان) .

لكننا نجد أن الجذر الثنائي «دن» في العربية إذا ثلث أعطى معنى القِصَر (القزمية) والقصور
(النقص) أو معنى الذلة والانكسار . فالجذور الثلاثية : دنح ، دنخ ، دنغ ، دنق - كلها تفيد هذا
المعنى . وكذلك حين يرُبع : دنفس ، دنقس . وهناك : دنب ، دنم = قصير . «والمرأة القصيرة :
دنقصة» .

وهناك «دنقة» . و«الدنقة : حبة سوداء مستديرة» .

وهذا ما يذكرنا بها في اللهجة الليبية : «دنقة» danga التي تعطي معنى «دنق» dng المصرية .

هذا جائز . . . وليس ثمة ما يمنع أن تكون هذه الكلمة تطابق اسم قبائل «الدُنْكَا» (دُنْقا)
في السودان الجنوبي (Dinka كما أخذناها عن الأوروبيين) . فإذا نطقنا الحرف g في dng جيماً قاهرية
كانت d(a)n g(a) أو dinka - d(l)n g(a) (بتعاقب k, g) ، ووجدنا الأمر يطابق بعضه بعضاً سواء من
حيث اللون (الدنقة : حبة سوداء مستديرة) أو القِصَر أو القصور . ولا ننس كلمة «دانق» العربية
التي كانت تدل على «أقل» وأصغر وحدة نقود عند مقارنتها بالدرهم والدينار ، وتُجمع على «دوانق»
و«دوانيق»⁽²⁹⁾ .

(29) بدأ يثبت أن «دانق» عربية وليست فارسية كما هو الاعتقاد الشائع .

فإذا نطقت الجيم في المصرية d n g جيماً معطشة (ge) وجدناها في اللهجة الليبية في كلمة «دنجال» dinjāl ومعناها بالضبط «قزم» وتجمع على «دناجيل». وقد زيدت اللام في «دنج» فكانت «دنجل» - مما يحدث كثيراً في العربية (عمث - عمثل، عطب - عطل، عقب - عقبيل . . . إلخ). ومنها الفعل «يدنجل» أي يمشي على الأرض قصيراً كمشيئة القزم (وتطلق على مشي الأطفال الصغار الأجسام عادة).

هل هناك صلة بين ما ذكرناه وبين اسم منطقة «دنقلة» أو «دنكلة» في السودان ؟

جائز. فقد كانت «دنقلة» على نهر النيل عاصمة مملكة مزدهرة قبيل الفتح الاسلامي وبعده، في بلاد النوبة. وكما ترجع «دنجال» في اللهجة الليبية إلى «دنجل - دنج» فإن «دنقلة» تعود إلى «دنقل - دنق»، والدلالة واحدة ولا فرق إلا في اختلاف نطق الحرف g في d n g وإبداله معروف.

بمناسبة ذكر «النوبة»، يُرجع كثير من الباحثين اسم هذه البلاد إلى المصرية «ن ب» nb (= ذهب) إذ كان الذهب يأتي من بلاد النوبة بكميات كبيرة على مدى التاريخ القديم، فسميت به. وفي اللغة النوبية، التي تحوي عدداً كبيراً من المفردات المصرية القديمة، يسمى «الذهب» حتى الآن «نَب» nab. (متولى بدر؛ اللغة النوبية، صفحة 5، 19، 125). ولا تزال هذه الكلمة موجودة في أسماء بعض المواقع؛ ففي شمال السودان هناك: «نُوبًا»، «نُوبًا» وأصلها في المصرية «ت. ن ب» Ta. n b (أرض الذهب). (نفس المصدر، صفحة 33). وفي مصر: «كوم أمبو» (شمال أسوان) بمعنى: مرتفع أمبو. من «أمبي» Ombi التي هي تحريف لاسمها القديم «ن ب ي ت» nby t (الذهبية). (معجم «فولكنر»، صفحة 125).

والواقع أن الجذر «ن ب» nb في المصرية ذو مشتقات كثيرة منها ما يدل على مرتفع الأرض، أو الشرف المادي والمعنوي، ومنها ما يدل على ارتفاع ألسنة النيران، كما يسمى «السيد» (الشريف، الرفيع) كذلك «ن ب». ونلاحظ أن جملة المشتقات من هذا الجذر تفيد الارتفاع، مادة ومعنى. ويبدو أن «ن ب» (بمعنى: ذهب) ومشتقاتها جاءت من «ن ب» (بمعنى: لهب النار الأحمر الساطع المرتفع) (قارن العربية: لهب/ ذهب - بتعاقب اللام والذال المعجمة التي تنطق «ذهب» دون إعجام). فماذا عن العربية ؟

هناك: «نبأ»: ارتفع. «النبأ»: الصوت. نَبَأَ: أخبر (ارتفع صوته). ومنها: النبيء: المخبر، المتكلم. والنبيء - وقيل إنه مشتق من النبأوة وهي الشيء المرتفع. وهناك: «نَب»: ارتفع صوته. وَنَبَّ: تكبَّرَ (ترَفَّع).

وكذلك: «نبت» (ارتفاع النبات على الأرض)، «نبح»: صاح بصوت مرتفع، ومثلها: «نبخ». ومن «نبح»: النبخاء: الأرض المرتفعة. وفي الكلام: «النبر»: ارتفاع الصوت (ومنه «النبر» الذي يقف عليه الخطيب مرتفعاً رافعاً صوته). و«النبس»: الكلام (ارتفاع الصوت)، و«النبص»: الصوت. و«النبط»: ارتفاع الماء من البئر، وكذلك «نبح» ومثلها «نبخ» (بالمعنى المادي، والمجرد: نبح = برز وظهر بين أقرانه). و«النبكة»: الأكمة والرابية. وتفيد «نبل» معنى

«نبت» أي كان ذكياً (لاحظ أن الذكاء ذو صلة بـ «ذكاء» = الشمس / الالتهاب، التوقد، الارتفاع. ومن ذلك : أدكى النار، أي أوقدها وزاد في لهيها). و«نبت» : قام (ارتفع) وعلا ذكره. حتى تصل إلى «نبو» : النبوة : الارتفاع، وهي النبوة. والنبي : ما ارتفع من الأرض. والنبي : العلم من أعلام الأرض (المرتفع). وفي الحديث : لا تصلوا على النبي - أي على الأرض المرتفعة المحدودة. وفي هذه المادة «نبو» من الدلالات ما يقابل «ن ب» المصرية تماماً.

وقد يجب القارئ الاستزادة في هذا الباب، فنأخذُه إلى مادة «نبت» وفيها ورد إلى جانب معنى الارتفاع :

«والنبيط والنَّبَطُ، كالحبيش والحيش في التقدير : جيلٌ ينزلون السواد. وفي (المحكم) : ينزلون سواد العراق، وهم الأنباط والنسب إليهم نبطي. وفي (الصحاح) : ينزلون بالبطائح بين العراقيين. . . رجل نَبْطِي وَنَبَاطِي وَنَبَاطٍ مثل يماني ويمني ويمني ويمني». إلى آخر ما جاء تحت هذه المادة في (اللسان).

وينبغي ألا نفهم من هذا أن «النبت» اسم خاص أطلق على من ينزلون «سواد» العراق، أو البطائح بين العراقيين، فإن في بقية المادة ما يشير إلى أن «النبت» تعبير أطلق على من كان غير عربي قح بإجمال. ولا ننس أن «النبطيين» (أو «الأنباط» أو حتى «النبت» - بالإنكليزية Nabatians) كانوا عرباً أقاموا حضارة معروفة في ما يسمى «البتراء» (من Petro(s) اليونانية = حجر، صخر. وعربيتها : سلع)⁽³⁰⁾ - وهم الذين تطور من حرفهم القلم العربي الذي نستعمله اليوم. ويبدو أن كلمة «النبت» كانت عامة حتى لقد استعملت في موقع لا يتوقع، فقد ذكر البكري في كتابه (المسالك والممالك) عند حديثه عن مدينة أجدابية في صحراء سرت أنها «مدينة كبيرة في الصحراء، أرضها صفا (= صخر وأبارها منقورة في الصفا (الصخر) . . . وأهلها ذوو يسار أكثرهم أنباط»⁽³¹⁾.

المثير أن يضيف ابن منظور في مادة «نبت» :
«وعِلُّكُ الأنباط هو الكامان المذاب يُجْعَلُ لزوقاً للجرح».

فما هو هذا «الكامان» ؟

(30) الأرجح عندنا أن «النبت» (= النبطيين، الأنباط) سُموا كذلك لأنهم سكان مرتفعات صخرية، تماماً كما سميت «النبوة» (= نوبت/ن ب ت = ن ب ط). وليس لأنهم كانوا «يستنبطون الماء بواسطة الأبار» كما هو شائع بين أغلب الكتاب.

(31) أنظر : نجم وعباس ؛ ليبيا في كتب الرحلات، صفحة 29. وقد أثبت المحققان كلمة «أنباط» على شكل «أقباط» بالقاف بدلاً من النون وفعلاً الشيء نفسه في نقلهما النص ذاته من كتاب (الاستبصار) - ص 58. ولا يستقيم أن يوصف أهل أجدابية بأنهم «أقباط» بل الصواب أن يوصفوا بأنهم «أنباط» مما يتفق وسيق بقية الجملة : « . . . وبها نبذ من صحراء لواتة». فكان «الأنباط» هنا تعني أن «عامة» أهل أجدابية «وسوادها» لم يكونوا من صحراء الأصول المتميزة وقتها، بل هم مزيج عام . . . إلا أن بها نبذاً من صحراء لواتة . . . كما قال.

إننا نرجح، ما دام وصف بأنه «علك» الأنباط، أنه ما نسميه الآن «الصمغ العربي» وهو الذي يخرج من أشجار الصمغ الشهيرة به منطقة شمال السودان، أي بلاد «الأنباط». (علك الأنباط = علك النوبة). أما اسمه فهو «الكامان».. وعندنا أنه من المصرية التي نقرأ في قاموسها :

«ق م إي ت» q miyt : صمغ عربي .

«ق م إي» q miy : سائل يُعد من مادة الصمغ العربي .

ق م إي . ت . ن . ت . ع ن ت ي : q miy.t.nt.ānty : صمغ شجر المر.

«ق م إي» q amiy : نبات زيتي .

«ق م إي» q amiy : دهان، ضرب من اللزوق .

(أنظر : معجم «بدج»، صفحة 771، 763، 802).

والجذر في هذه المشتقات هو «ق م» q m (كما ورد بنفس المعنى : «ج م» g m - بدج، صفحة 802). وقد أخذته اليونانية بالكاف فكان فيها «كومي» Kommi ونقلته اللاتينية في صورة gummi ، فكان في الفرنسية القديمة gomme وفي الأنكليزية gum (صمغ، علك/مطاط). وفي عصرنا هذا يسمى العلك الذي يمضغ في الانكليزية : gum أو Chewing-gum (وتدمج الكلمتان Chewingum) وفي الفرنسية⁽³²⁾ gomme a macher وفي الألمانية Kaugummi وفي الإيطالية Gomme da masticare وفي السويدية Tugummi وفي اليديّة (لغة يهود أوروبا الشرقية) Koygume . والأصل فيها جميعاً المصرية : g m/qm = صمغ، لبان، علك . وقد أبدلت q وg في العربية كافاً كما فعلت اليونانية (Kommi) فكانت في العربية «كم» ومنها «الكمان» الذي هو «علك النبط» (أي : كمان النبط — كم النبط = المصرية : «ق م . ن ب . ت» q m . n b . t)⁽³³⁾ .

أما وقد عدنا إلى «نبط» من جديد، فهل نسمى مملكة (أو بالأحرى : ممالك) «نباتا» Nabata - وهي النقحرة الأوروبية للعربية «نبط» - التي نشأت حوالي 1600 ق.م . واستمرت حتى 308 ق.م . وكان لها صلات وعلاقات مع المصريين والليبيين في التاريخ القديم، كما كان لها صولات وجولات ؟ أليست هي مملكة «نبط» بذاتها ؟

وليس مجالنا دراسة التاريخ هنا، فلنحدده بدراسة الألفاظ والمفردات . وقد ذكرنا أن بعض الباحثين قالوا إن «النوبة» (نبطة ؟) سميت كذلك لأن الذهب (في المصرية «ن ب») كان يأتي منها . لكنني لم أعثر، في ما بين يدي من مصادر ومراجع، على اسم بلد النوبة بالتحديد في الجذر «ن ب» ومشتقاته . وقد يكون ما أشير إليه من مسألة «الذهب» صحيحاً، فعربية «ن ب» (ذهب) هنا من

³² تُترجم الفرنسية macher والاطالية masticare (فارق : mastica = لبان عمت) والانكليزية masticate إلى اللاتينية mastichum وهذه من اليونانية mastikhé ، وهذه في العربية «مصطكى» (اللهجة الليبية : مستكة) . ونرجعها كلها إلى العربية «مَضَغ»، «يمضغ»، «مَضُغ» ← «مَضَغَة»/«مَضِغَة» .

³³ يسمى شجر الصمغ في السودان اليوم : شجر «الدوم» (جذرها : «دم») ألا تكون الدال هنا إبدالاً للالف في المصرية، كما أبدلت في اليونانية كافاً وفي اللاتينية جيماً . . إلخ ؟

الجذر العربي الثنائي «نب» الذي سبق بيان ثلاثياته التي تؤدي إلى معنى الارتفاع والعلو ورفع الشيء مادياً ومعنوياً - وقيمة «الذهب» العالية معروفة منذ القديم . وقد تقابل «ن ب» العربية «هب» - بإبدال اللام نوناً وسقوط الهاء - بمعنى ألسنة النار المرتفعة (المصرية «ن ب» أيضاً = هب) بالإضافة إلى لونه الشبيه باللهب (قارن : أبو هب = الأحمر الوجه) . ولا يمنع هذا من أن تكون تسمية «النوبة» جاءت من أنها أرض مرتفعة عالية (المصرية «ت ء . ن ب» = ta.nb = الأرض المرتفعة . عربيتها : الطية النابية أو : الطية النبية/ النبيثة) . ولا جدال في ارتفاع أرض النوبة - التي ينحدر منها النيل - على أرض مصر .

ومهما يكن الأمر، فإن المسألة هنا مجرد تخريج ، ولا أجد نصاً قديماً مصرياً يحدد بالضبط لماذا سميت «النوبة» كذلك - فهي في المصرية تسمى : «إء ح س» iaħs و«ك ش ت» kšt و«إك ش» i k š (كوش) وليس في الجذر «ن ب» ومشتقاته ما يدل على بلد بعينه . ولعل تسمية «النوبة» جاءت متأخرة بمعنى «بلاد الذهب» أو «الأرض المرتفعة» يقابل كليهما في المصرية «ت ء . ن ب» Ta.nb (ومنها اسم الموقع في شمال السودان : تَنُوبًا، تَيْنُوبًا، ثم صارت «نوبا» ← نوبة ← النوبة) . وهي العربية : نبط (= نبت) .



الغرب شرق.. والشرق غرب

حتى بعد توحيد القطرين ظلت مملكتنا الشمال (الدلتا) والجنوب (الصعيد) تتمتعان بشيء من الإدارة المحلية شبه الذاتية، وكانت مصر الموحدة تنقسم إلى مجموعة من الأقاليم (تشبه البلديات) أو «المحافظات» في نظمننا المعاصرة) لكل منها اسمها وشعارها الدال عليها.

وكانت «الدلتا» تنقسم إلى إقليمين رئيسيين، غربي وشرقي، يضم كل منهما جملة من «المقاطعات»⁽¹⁾، يسمى الأول منها: «إ م ن ت» imnt والثاني «إ أ ب ت» iabt. وإليك تحليل كل منهما:


(1) «إ م ن ت»: الدلتا الغربية، ثم صارت الكلمة تطلق على «الغرب» عموماً - أي ليبيا - كما تعني (جهة الغرب) في مقابل (جهة الشرق). ولما كان المصريون القدماء يعتقدون أن الأرواح عندما تفارق أجسادها تضي ناحية الغرب، وهي في عمومها صحراء، فقد تطورت الكلمة لتعني «أرض الأموات» (الأمين؟ أرض الأمن والطمأنينة والسكون؟). وكان تعبير «ب أ و - إ م ن ت» Baw-imnt يعني «أرواح الغرب» = الأرواح الميتة (الغارية)⁽²⁾. في الوقت نفسه دلت «إ م ن» imn على الجانب الأيمن، ما ضاد الشمال، كما دلت على الوصول، الاستقرار، الراحة... إلخ. وهي ذاتها جذر اسم المعبود الذي نعرفه بصيغة «أمون» (= الخفي). وفي «معجم بدج» (ص 51-54) هذه الدلالات كلها، ومشتقاتها الكثيرة. فما هو السر في الجمع بين هذه الدلالات؟

السر، ببساطة، يكمن في أن المصري القديم كان في تحديده للجهات الأربع يتجه صوب منبع النيل الذي يقده، فما كان يواجهه فهو «ر س و» rsw (= الجنوب) وما كان وراء ظهره فهو «م ح و» mh w (الشمال) وما كان عن يساره فهو «إ أ ب ت» iabt (الشرق) وما كان عن يمينه فهو «إ م ن ت» imnt (الغرب)⁽³⁾. وعربي الجزيرة كان يتجه صوب مطلع الشمس، فما كان عن يمينه فهو «اليمن» وما كان عن شماله فهو «الشام» (تحولت بالترخيم إلى: الشام، ولاحظ الجمع «شام»

- (1) تسمى في اليونانية nome وفي المصرية «ح س ب» hsp. قارن العربية: «حزب» جزأ، قطع ← مقاطعة. وفي اللهجة المصرية المعاصرة: «عزبة» = مزرعة، حقل كبير، منطقة زراعية. وتطلق «عزبة» على «القرية» كذلك.
- (2) أنظر التفصيل في: Moret; the Nile Civilization ص 73 وما بعدها.
- (3) راجع تحليل «ر س و» و«م ح و» في (قصة الخلق المصرية) في ما سبق.

وهو ضد «اليمن» إذ كان التبرك باليمين منذ القديم⁽⁴⁾. ومن الواضح أن «اليمن» سمي يمناً إذ جاء في جهة «اليمين» (وهو في الواقع في الجنوب). بينما سمي «الشرق» كذلك لأن الشمس تشرق منه، و«الغرب» سمي غرباً لغروبها فيه.

الياء في «اليمن» و«اليمين» تبدو وكأنها مقلوبة عن الهمزة في «أمن» ومنها «الأمان» و«الأمن» = الطمأنينة، الراحة، الاطمئنان. وفي «الأمن» معنى بلوغ الغاية والاستقرار⁽⁵⁾، كما أن في «أمن» معنى الاخفاء والستر (الايهان).

لاحظ أن التاء في «إ م ن ت» المصرية للتأنيث. الأصل المذكر هو «إ م ن»، والهمزة المكسورة هي في الواقع صوت شبيه بالياء غير المشبعة ترسم في المبروغليفية  وكثير من علماء المصريات يرسمها هكذا (i) وليس (i) كما يفعل «بدج». وسهل انقلابها إلى ياء - كما حدث في العربية بالضبط. فهي «ي م ن ت» = الغرب، ليبيا. فهي «اليمنة»، «اليمنة». «اليمن» بالضبط.

(2) «إ أ ب ت»: في معجم «بدج» (ص 18 - 19) تأتي هذه القائمة:

«إ أ ب ي» iaby : اليسار، الناحية اليسرى.


«إ أ ب ي ت» iaby.t : يد «رع» اليسرى.

«إ أ ب ت» iab.t : الشرق. والصفة: «إ أ ب ت ي» = iabty = شرقي.

«إ أ ب ت» iab.t : الريح الشرقية (في اللهجة الليبية المعاصرة: شرقي).

«إ أ ب ت ت» iabtt : ناحية الشرق.

ونرى من هذا أن «إ أ ب» iab تعني: الشرق، كما تعني: جهة اليسار، أو الشمال (بكسر الشين). ويقارنها «بدج» بالقبطية (ieib(t) بمعنى «شرقي»). وقد ذكرنا أن «إ أ ب ت» (مؤنثة) أطلقت في النصوص المصرية على مقاطعات شرقي الدلتا، لكنها ما لبثت أن صارت تعني «شرقي» دون تخصيص. ومن الثابت أنها كلمة قديمة جداً وجدت في (نصوص الأهرام) كما وجدت في مخلفات الأسرة الخامسة⁽⁶⁾: «إ أ ب ت» iabt وتظهر في كل المشتقات المتصلة بكلمة «شرق»

و«يمين» (أنظر مثلاً: معجم بدج - ص: 18).  áab-t

لتحليل هذه الكلمة:

التاء في هذه الكلمة للتأنيث، ويبدو أنها تستعمل للدلالة على الجماعة كذلك⁽⁷⁾. الأصل هو

(4) قارن الشيء نفسه في الانكليزية: (right) = يمين، صواب، والفرنسية: (droit) = يمين، صواب، شرعي، حق.

وفي القرآن الكريم «أصحاب الميمنة» هم الأخيار، بينما نجد «أصحاب المشأمة» هم الأشرار.

(5) قارن القرآن الكريم: «فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلَغَهُ مَأْمَنَهُ» (التوبة، 6).

(6) أنظر Moret, the Nile Civilization, pp. 77-79، وقارن: Champollion; Principes Généraux de l'écriture Sacrée،

Egyptienne, p. 97.

(7) قارن اللهجة: الصيادة، جمع صياد / الحدادة، جمع حدّاد / الحوَّاتة، جمع حوَّات، الحبّازة، جمع حبّاز. وفي الفصحى: النقال، الرحالة، الجواله - جمع: نقال، رحال، جوال (صيغة: فعّال / فعّالة). وهناك: السابلة، جمع سابل: عابر السبيل. قارن: العرب البائدة، العاربة، المستعربة. الصفة هنا تبدو مفردة مؤنثة مع أنها صفة للجمع والمفروض أن تتبعه. وقارن كذلك: المعتزلة، الباطنية، النابتة. إلخ

«إ أ ب» iab . وقد لاحظنا أن الهمزة المكسورة في المصرية مبدلة أحياناً كثيرة من الهمزة المفتوحة (قارن : «إ م ن» = أمن . وقارن اللهجة المعاصرة : إَنْتَ ، إِنْتِ ، إِنْتِمْ = أَنْتَ ، أَنْتِ ، أَنْتُمْ) . فهي إذن «أ أ ب» aab بهمزتين مفتوحتين⁽⁸⁾ .

أما الهمزة الأولى فهي مبدلة من العين (أ = ع) وهي لغة معروفة أن تبدل العين همزة ، وكثيراً ما يحدث هذا في المصرية ، فنجد : «ك أ ب» = كعب ، «إ ن ق» (حضن) = عَنَق ، «ج م أ» (ضَمَّ) = جمع ، وغير هذا كثير . (أنظر Ember ; 3, D) بل كثيراً ما تسقط هذه العين تماماً (قارن الحديث عن «ر ب و» r b w) . والعربية تبدل العين همزة⁽⁹⁾ في أحوال كثيرة ، ومن ذلك مثلاً كلمة لصيقة بما نبحث فيه ، إذ يقال «الأربان» لغة في «العربان» ، و«الأربون» لغة في «العربون» (اللسان ، مادة «أرب») . وأما الهمزة الثانية فهي مبدلة من الراء ، ويقدم الأستاذ «امير» (Ember ; 3, B) خمسين كلمة أبدلت فيها الراء في العربية همزة في المصرية ، من مثل :

«ب أك» = بَرَكَ ، «ش أع» = شَرَعَ (بدأ) .
«ج أم» = جَرْمٌ ، «ق أ ق أ» = قرقر > قرقور (سفينة طويلة) .
«و أخ» = ورخ (قمص) «ع أ ب» = غرب (نوع من الشجى)⁽¹⁰⁾ .

على هذا الأساس فإن كلمة «إ أ ب» iab تحلل كما يلي :

$$(1) \quad | \text{أ} = (a^\circ) \text{ع} .$$

$$(2) \quad \text{أ} = \text{ر} (r^\circ a) .$$

$$(3) \quad \text{الباء (b) أصيلة} .$$

«إ أ ب» iab = ع ر ب «r b» .

«إ أ ب ت» iabt «عربت» / «عربة» — عروبة (الواو هنا حرف صائت لا يوجد في المصرية ذات الصوامت) .

بذا فإن هذه الكلمة التي تبدو في البداية غريبة تتضح أمامنا مستعملة في نصوص من أقدم الآثار المصرية هي «عربت/عروية» أو «العربية»⁽¹¹⁾ (أي بلاد العرب = الجزيرة) ما كان «شرقي»

(8) يؤيد ما نذهب إليه أن «شاميليون» يقرأ الكلمة بشكلين : iebt, eibt ويقارنها بالقبطية في هاتين الصورتين (Principes Généraux... p. 97) .

ويقدر Lacau أن «إ» (= i, y, a, t) تبدل من الهمزة المفتوحة «أ» (= a, ʔ) في كثير من الحالات . أنظر مؤلفه - Etudes d'Égyptologie , pp. 29-41 .

(9) هذا ما يسمى (عننة تميم) ، أنظر : أحمد تيمور : لهجات العرب . وفي الأكاديمية عادة تقرأ الهمزة عيناً لمكافئتها إياها .

(10) عن إسدال الراء همزة في المصرية قارن كذلك P. Locau ; Etudes d'Égyptologie , p. 13 حيث يقدم أمثلة منها : «ك أم» (عنب) = كرم ، «ق أ ب» (جوف) = قرب > قراب ، «ع ي أ» (حمار) = عين ، «ب ك أ» (صباح) = بكر > بكورة / بكور .

(11) في الانكليزية اليوم Arabia = (الجزيرة) العربية . وفي الفرنسية : l'arabie (= العربية) . وفي اللغات الأوروبية المعاصرة الناقلة عن اللاتينية : Arabia Felix تترجم : «العربية السعيدة» = اليَمَن ، (واليَمَن من اليَمَن = السعادة) وقولنا «اليمن السعيد / أو السعيدة» تكرار لا معنى له .

مصر، فصارت تعني الشرق عموماً - وهذا تفسير العلماء الأعاجم - كما تعني جهة اليسار في مقابل «إ م ن ت» = اليمين، اليَمَن (= الغرب).

ولا غرابة. فلا يزال وادي «عَرَبَة» في فلسطين حتى يومنا هذا، وهو وادي العرب أو العروبة، أي: العربان.
هذا هو التفسير المنطقي الذي نراه.

إضافة:

يذكر الأستاذ «موريه» أن من ضمن مقاطعات الدلتا الشرقية «إ ب ت» إقليمياً مسيطراً يسمى Anzti (والرسم منقول بشكله الذي أورده) يسمي باسم مدينة تَسَامِت مدينة «سا» (سائيس = صبا الحجر) تدعى Anzti كذلك، وقد سميت المدينة بهذا الاسم ذكرى لزعيم قديم آله يسمى أيضاً Anzti. قال: «وزعيم هذه المملكة (الاقليم/ المدينة) «أنزتي» يمثل مظهراً شخصياً للغاية. فهو الوحيد من بين شعارات الأقاليم الذي له صورة بشرية. في الأزمنة العتيقة يمثل «أنزتي» رجلاً واقفاً مقدماً رجله اليسرى وعلى رأسه ريشتان متساوقتان، ويدٌ ترفع عكازة الراعي علامة على السلطة بينما تحمل الأخرى سوط قطع الأبقار أفقيًا. لكنه في (نصوص الأهرام) يبدو مختلفاً. ففي هذه النصوص كانت شخوص البشر والحيوانات تقطع على أساس الخشبية من عودتها إلى الحياة وإظهار عداؤها للإنسان الفاني. وعليه فإن «أنزتي» صور في نصف شخصه فقط، مغروراً على عمود - وهو خاصية شعارات العصور العتيقة - دون حتى مجرد الركيزة المعتادة تحته. إنه شكل مفزع، فوق قطعة أرضه المربعة، كأنها هو (فزاعة) في حقل. ولعل هذا أقدم صورة بشر حاكم خلفه لنا تاريخ مصر.

من مظهره يبدو «أنزتي» أقدم كثيراً من ملوك «ثانيت». ويشير شكله وصفاته ووقفته المسيطرة إلى أنه بطل إنساني آله. وفي صورته المركزة هذه فإن الاسم ذاته الذي حمله معبرٌ: «الحامي» «المانع» أو «راعي الناس»، الذي قاد أهل مملكته كما كان يقود قطعانه بالعكازة والسوط.

ولقد اختفى «أنزتي» من النصوص الدينية والتاريخية بعد عصر الأهرام، فلا يظهر اسمه في قوائم المقاطعات الشمالية إلا على شكل شعار للأقليم التاسع. لماذا؟ لأنه استبدل، في مقاطعته وفي كل مكان آخر، بإله يستحوذ على مقاطعته وعلى اسمه... هو (أوزيريس)»⁽¹²⁾.

ما يهمننا من هذا النص كله هو الاسم «أنزتي» Anzti، اسم الملك المؤله، والذي أطلق على الاقليم وعاصمته. إذ يشير الأستاذ «موريه» في الهامش (ص 79) إلى أن Anzti مشتقة من الجذر «ع ن ز» Anz⁽¹³⁾، «ع ن ز» (Az الكون في حالٍ طيبة to be in good condition). واسم الفاعل، مع

Moret; the Nile Civilization, p. 79 (12)

(13) في معجم «بدج» (ص 128) āntch (= nz): قوي، شديد، ثابت، مكين، ملك. وبقيّة المشتقات كلها تدور حول الملك والحكم والقوة، كما تدور حول: النور، الضياء (الآتي من الشرق، أي «الاشراق»). والاختلاف في النقحرة يعود إلى الرمز الهيروغليفي الذي لم يتفق اثنان من علماء المصريين على مقابله الصوتي، ونجده يقابل =

التعريف (وزيادة) ti ستعني : (ذاك الذي يستمر في حال طيبة - He who keeps in good condition - «الحامي» (المانع) protector) .

أليست هذه هي «عز» و«عنز» العربية ؟

في مادة «عزز» : العزیز⁽¹⁴⁾ ؛ الممتنع فلا يغلبه شيء ، وهو القوي الغالب . ومن ذلك : العزة = المنعة . والعز : القوة والشدة والرفعة والامتناع . وهي مادة طويلة ، فلترجع . وتزاد ميماً فتكون : معزز . والمعز : الشدة (وفي حديث عمر : اخشوشنوا وتمعززوا ، أي اشتدوا وتصلبوا) . ويبدو أن النون في «عنز» زائدة كما زيدت الميم في «معزز» (والعنز : الماعزة ، وهي الأنثى من المعزى) . ومعروف أن أسماء عدد كبير من الحيوان تفيد القوة والشدة ، وهي تتخذ أسماء أو ألقاباً للرؤساء والزعماء . بقايا من المرحلة الطوطمية ، أي عبادة الحيوان ، كما هو ملاحظ .

في مادة «عنز» كذلك أن «العنز» اسم قبيلة من هوازن . قال الشاعر :

وقاتلت العنز نصف النها * رثم تولت مع الصادر

قال ابن منظور :

«وعنز : اسم رجل ، وكذلك ؛ عناز . . . وعنزة وعنيزة : قبيلة من العرب ينسب إليها فيقال : فلان العنزي . وعنيزة في البادية موضع معروف . وعنزة : أبو حني بن ربيعة ، وهو عنزة بن أسد ابن ربيعة بن نزار ، وعنيزة : موضع» .

وهذا كله ينطبق على Anzti (أنزتي = عنزتي) اسم الحاكم ، والاقليم (القبيلة) والموضع (المدينة) .

ونلاحظ أن اسم «العنز» (= عنزة) اسم قبيلة موجود حتى يومنا هذا في أطراف الجزيرة العربية الشمالية الشرقية ، وفي الجهات الشرقية من ليبيا ، والنسبة إليها «العنزي»⁽¹⁵⁾ . لكن هذا الاسم قديم في العربية قدم (نصوص الأهرام) والأسرة الفرعونية الخامسة ؛ إذ كان اسم امرأة من «طسم» كان لها دور في القصة المشهورة بين «طسم» و«جديس» (من العماليق = العرب البائدة ، معاصرين لنصوص الأهرام والأسرة الخامسة ؟) وهو كذلك اسم «زرعاء اليمامة» المعروفة في الحادثة ذاتها . (اللسان ؛ مادة : عنز) .

= في العربية : الزاي ، والصاد ، والطاء ، وقد يقابل الجيم المعطشة . وينقحه الغربيون : dj, tch, d . . إلخ (أنظر مبحث : الأصول العربية لرموز الهجاء المبروغليقية - في هذه الدراسة) . ونلاحظ في قاموس المصرية أن : عنز ، عنت ، عند ، عنس ، عنق ، تفيد القوة في مجملها . وهذا هو الحال في العربية كذلك .

(14) «العزیز» في القرآن الكريم لقب الحاكم المصري الذي اشترى يوسف بن يعقوب . وكثير من الدارسين يذهبون إلى أن مجيء يوسف إلى مصر كان في عصر من يعرفون باسم «الهكسوس» ما بين القرنين التاسع عشر والرابع عشر ق. م . وهم عرب (أنظر الحديث عنهم في هذه الدراسة) جاءوا من الجزيرة ، فلا يستغرب استعمال «العزیز» لقباً لديهم ، من الجذر (عزز) ، كما هو الحال في الأمر الذي نبهته الآن .

(15) وقد تصغر «العنيزي» .

هذا كله، وقد أوردناه مختصراً جداً، يرينا مبلغ الاتفاق بين ما كان في شرق الدلتا وما كان في الجزيرة العربية في قديم الزمان. لكن ثمة شيئاً آخر مثيراً لا يمكن إغفاله، أعني صورة شعار إقليم «أنزتي» (عنزة) كما خلفته لنا الآثار المصرية؛ وهو عبارة عن رمح مزين، علماً أو ركيضة (أنظر: Gardiner; Eg. Gr. p. 502). (وقارن: De Buck; p. 185) ويذهب «موريه» (ص 77) إلى أن هذا الرمح، شعار الشرق وإقليم «أنزتي»، قد يكون من المعدن، نظراً لوجوده في الشرق. والملاحظة المهمة في شكل الرمح / الشعار أنه يبدو نصف رمح وليس رمحاً كاملاً كما هو ظاهر من الصورة. فلنعد إلى مادة «عنز» في (اللسان).

و«العنزة»: عصاً في قدر نصف الرمح أو أكثر شيئاً فيها سنان مثل سنان الرمح⁽¹⁶⁾. وقيل: في طرفها الأسفل رُجٌّ⁽¹⁷⁾ كزُجُّ الرمح يتوكأ عليها الشيخ الكبير. وقيل: هي أطول من العصا وأقصر من الرمح، والعكازة قريب منها.

لعل الصورة اتضحت الآن أكثر مما سبق. ونضيف أن هذا الشعار الذي يرمز لاقليم «أنزتي» Anzti هو ذاته الذي يرمز للشرق.

«ت ح ن و»

تسمية أطلقت في النصوص المصرية على مجموعة من القبائل كانت تتحرك شمال النطاق الزنجي حتى «الغزوات الكبرى» أو آخر القرن الثالث عشر ق. م. وإليهم ينسب (شيشنق الأول) مؤسس الأسرة الثانية والعشرين أوائل الألف الأول ق. م عن طريق جده الأعلى الذي يلقب «ت ح ن بوبواوا» رغم أن شيشنق هذا كانت يلقب «رئيس المشوش العظيم» مما يشير إلى اختلاط القبائل الليبية القديمة وتداخل أنسابها.

النقحرة المعتادة هي «ت ح ن» Thn (بالتاء المثناة) بيد أن الاسم في الرسم الهيروغليفي يبدأ بالرمز التي اتفق على أنه يمثل التاء المثلثة⁽¹⁸⁾. وهذا ما يسمح بأن يكون طاءً عن طريق الابدال (والطاء عبارة عن تاء مضخمة) ويؤيد هذا أن بعض الباحثين يكتبه: dj, Tj⁽¹⁹⁾؛ ولعل هذا ما أدى ببعض الكتاب العرب إلى نقحرتة «طحنو»، وهو الصواب. . جمع بالواو لـ «ط ح ن».

أما عن معنى الكلمة فقد اختلف علماء الغرب فيها، وإن دارت ترجماتهم لها ما بين: مشع، لامع، ساطع، ونحوها - كما أوردها «بيتس»: (Bright و Shining و Radiant) بل حتى: أبيض البشرة أو أشقرها (fair) - رغم تأكيد أنه هؤلاء القوم «سمر» brun (ص 40). وعند «وينرايت»

(16) يشبه ما يعرف في ليبيا باسم «حامي سمّه»، عصا في رأسها مسار تستحث به الدواب. ولعل الأصل: «حامي سنّه» أي: سنّه (سنانه) حامية.

(17) الرُّجُّ: الحديدية التي تتركب في أسفل الرمح، والسنان يُركَّب عاليته. والزج تركب به الرمح في الأرض، والسنان يطعن به. (اللسان، مادة: زجج).

(18) أنظر: Bates; The Eastern Libyans, p. 46

(19) Gardiner; Egypt of the Pharaohs, p. 270-2.

Wainright نجد الترجمة : أحمر، أو : وردي - في أثناء حديثه عن الأميرة الليبية (الطحنية) «نيتوكريس»⁽²⁰⁾.

واختلاط تسميات الألوان ظاهرة معروفة في اللغات كلها، وقد يعبر باسم لون عن لون آخر لاسيما إذا كان اللونان غير محددين بدقة أو يغلب أحدهما على الآخر⁽²¹⁾. فما هي الكلمة العربية التي تشير إلى السمرة والحمرة والورد، وتفيد في الوقت نفسه للمعان ؟

إننا نجدها في مادة «طحل» . فلنقرأ :

«الطحال : لحمه سوداء عريضة في بطن الانسان وغيره عن اليسار لازقة بالجانب . . . ماء طَحَلُ أي كثير الطحلب، وماء طَحِلٌ : كَدِرٌ . . . وكساء أطحل : على لون الطحال . ورماد أطحل : إذا لم يكن صافيا . . . الطُّحْلة لون بين الغبرة والبياض بسواد قليل كلون الرماد، ذئب أطحل وشاة طحلاء . . . وجعل أبو عبيد الأطحل اسم اللون وقال : هو لون الرماد . . . ابن الأعرابي : الطَّحِلُ الأسود، ويقال : فرس أخضر أطحل للذي يعلو خضرته قليل صُفْرَةٌ (اللسان) . وفي مادة (طحلب) - رباعي مزيد (طحل) «الطحلب : خضرة تغلو الماء المزمِن»⁽²²⁾.

هنا اجتمع السواد، والكدر، والرمادية، والغبرة، والبياض، والخضرة، والصفرة وكلها في «الطحال» الذي هو مجتمع الدم، وفي «الطحلب» بلونه المعروف الذي نسميه «الطحلي». وقد أبدلت اللام في «طحل» نونا في المصرية فكانت «طحح ن»، وحدث الشيء ذاته في العربية العامية إذ نجد اللون «الطحني» يفيد السمرة، وهو مقلوب «حنطي» ونسبة إلى الحنطة (= البر) ذات القشرة السمراء اللامعة⁽²³⁾.

أما عن دلالة اللامع فهي ظاهرة في «الطحال» الذي هو عبارة عن كتلة لامعة من المادة المشبعة دماً، كما أن «الطحلب» يسطع فوق المياه الآسنة نتيجة انعكاس الشمس عليه .

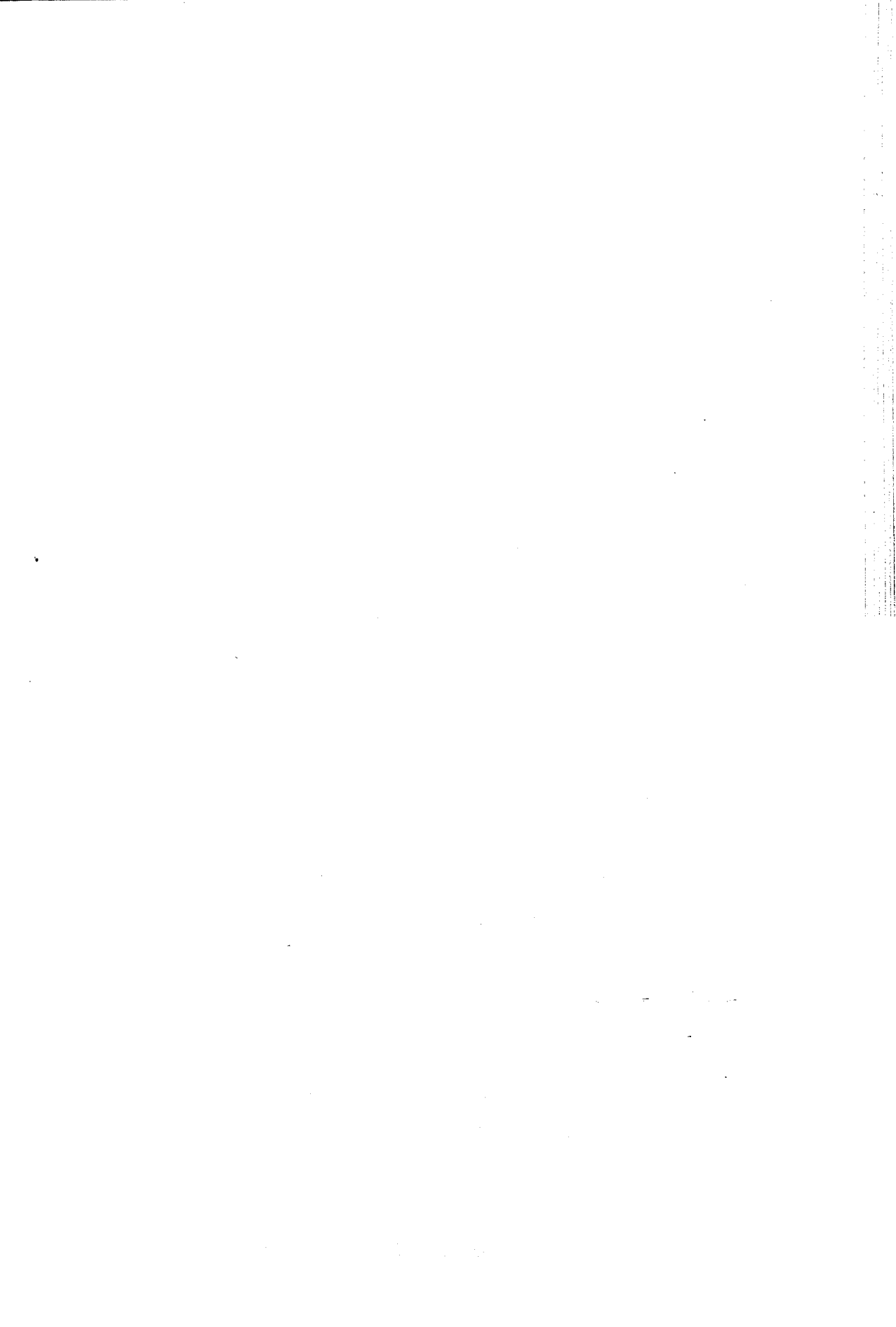
هذا هو الأصل العربي لاسم «التحنو» (الطحنو) الذي أطلقه المصريون القدماء، على فريق من القبائل الليبية كانت تحيا - فيما يبدو - جنوب شرق ليبيا، متصلة بأرض السودان، وتتحرك ما بين الجنوب والشمال عبر فترات التاريخ .

(20) The Sky-Religion. pp. 40-44 . والاسم Nitokris (Nitocris) هو الصورة اليونانية للمصرية NT-qrt «نت - قرت» = [الربة] «نت الوقورة» (= عنات الوقورة / الموقرة).

(21) قارن هنا «كُميت» في مادة (كَمَتَ) العربية حين تختلط الشقرة (وهي درجة من الحمرة تشومها صفرة) بالسواد. وفي الأثر : «إنها بعثت للأحمر والأسود» - وواضح أن «الأحمر» هنا يعني ما كان غير أسود، مهما كان لونه. و«خلوا نصف دينكم عن هذه الخميراء» يعني البيضاء، أو الشقراء. وفي مادة «دمم» نجدتها تفيد : الحمرة، السواد، والبياض .

(22) وتبدل الباء في «طحلب» ميماً فتكون «طحلم» > «طحلوم» : ماء طحلوم : آجن أي علاه الطحلب .

(23) «الطحيني : نسبة إلى الطحين. ويقال : فلان طحيني للدلالة على السار». «الحنطي : نسبة إلى الحنطة (القمح) وهو الأسمر، وأغلب ما يرد وصفاً لبشرة الانسان، فيقال : رجل حنطي أو حنطاوي . . . أي أسمر». غازي مبارك ؛ أسماء الألوان ودلالاتها في السلط، مجلة (التراث الشعبي)، بغداد، العدد 5 لسنة 1979، ص 77-86. وفي اللهجة الليبية يسمى الطحال : «طيحان»، بالنون، مع مد كسرة الطاء .



عن «الليبو» و«العريبو»

كيف نشأت كلمة (ليبيا) ؟ ما هو مدلولها ؟ كيف تطورت على مدى القرون ؟

باختصار شديد أجيبك : تعددت الآراء وأختلفت ، وتحير العلماء وقلبوا الأمر على وجوهه . قالوا مرة : انه اسم ملكة كانت تحكم شعبا يقطن إلى الغرب من وادي النيل فأطلق على الشعب كله نسبة إليها . وقالوا : بل كانت ربة معبودة من ربوات القدماء ، تعمقت أسطورتها على أيدي الاغريق وربطوا في أساطيرهم بينها وبين الربة يوروبا (أوروبا) وبين آلهة الكنعانيين ، وصاغوا مغامرات لهذه الربة وغيرها من الأرباب هي من جملة ما أنتجه خيال الاغريق الشعري العنيف⁽¹⁾ .

ويقول الأستاذ رينوف في مقالة له بعنوان (من كان الليبيون ؟)⁽²⁾ إن الاغريق فهموا من المصطلح (ليبيا) القدر الذي عرفوه من قارة افريقيا ، أو افريقيا باستثناء مصر . وطبقا لهيرودوت

1) تقول الأسطورة اليونانية إن ليبيا كانت ابنة عمفيس Memphis وإيبافوس تزوجها الاله بوسيدون Posiedon فولدت له ولدين هما : آجينور Agenur وبيلوس Belus وكانا توأمين .

أما آجينور فقد صار ملكا على فينيقيا ، وأما بيلوس (والاسم صيغة مؤرقة من (بعل) السامية بمعنى «السيد») فقد صار ملكا على إفريقيا وجزيرة العرب [وليلاحظ القارئ هذا الربط الميثولوجي القديم بين القارة الإفريقية والجزيرة العربية قديما] وتزوج من انشوى Anshince ابنة نهر النيل التي أنجبت له الميلانوديس Mólani-podes (ذوي الأقدام السوداء) - يعني مصر ، أو وادي النيل ، وأطلق عليها اسمه وبه صارت تعرف عند اليونان ، حتى وصل الاسم إلى اللغات الأوروبية الحديثة كلها كما هو .

فليبيا إذن - حسب الأسطورة - هي أصل جميع أنصاف الأرباب وملوك فينيقيا والجزيرة العربية ومصر وشمال إفريقيا .

M. Grant : Who is who in Classical Mythology, London, 1973

أنظر مثلا :

P. Le Page Renouf : «Who were the Libyans ?» Proceedings of Society of Biblical Archaeology, 1881, p. 599 ss.

2) ناقش الضابط ف ، بيشي F. W. Beechy أصل هذا الاسم في كتابه :

Proceedings of Expedition to explore the Northern Coast of Africa from Tripoli eastward الذي نشر في لندن سنة

1728 م . تسجيلا لرحلته في البلاد سنتي 1821-1822 م . وجاء بعدة تحليلات ، منها :

1 - أن الاسم يمكن أن يكون عبريا أو فينيقيا بمعنى «أرض الأسود أو الأرض المسبعة» Leonum arid nutrix . فإن كلمة لوبيا - يقول - تعني اللبوة أو أنثى الأسد . ولا ريب عنده في انطباق الوصف بأرض السباع على هذه البلاد .

2 - قد يكون الاسم عربي النشأة . فكلمة (لوب) تعني العطش ، أو الجفاف ، أو الحر . وهو وصف ينطبق أيضا على هذه البلاد ، كما يقول .

(الكتاب الثاني . الفقرة 16) يقول الاغريق والايونيون إن الأرض تتكون من ثلاثة أقسام : أوروبا وآسيا وليبيا . وفي ظن هيرودوت أنه «ينبغي عليهم أن يضيفوا قسما رابعا وهو بالتحديد دلتا النيل ان لم تكن جزءا من آسيا أو ليبيا» . وكان الاغريق - وخاصة على عهد شاعرهم الأكبر هوميروس - لم يعرفوا من العالم القديم شيئا يبعد عن إيطاليا، وربما اسبانيا، شمال البحر الأبيض المتوسط، كما لم يعرفوا شيئا غرب مصر أبعد مما يسمى (ليبيا) الآن .

وعلى هذا الأساس كانت الكلمة - في مدلولها الجغرافي - تعني المنطقة المحصورة ما بين وادي النيل شرقا وتونس حاليا في الغرب . ثم مر الزمان وتعرف القوم - ومن بعدهم الرومان بالطبع - على الجزء الشمالي مما نسميه اليوم (قارة افريقيا) وأطلقوا عليه اسم (ليبيا) ودعوا جميع سكان هذه المنطقة (الليبيين) وبهذا سلكوا في عداد الليبيين، على مختلف القبائل والشعوب، أهل تونس، والجزائر والمغرب وموريتانيا . وكانوا عددا هائلا من القبائل والبطون بأسمائها المندثرة والباقي بعضها حتى يومنا هذا، وهم متنوعون طباعا ولباسا وعادات وتقاليد ولكنهم رغم كل شيء (ليبيون) تجمعهم صفات مشتركة، لعل أهمها اللغة، وهي إحدى الروابط العظيمة بين الأمم، بل لعلها أهم الروابط في بعض الأحيان . وحين جاء الرومان وعرفوا بعض مناطق القارة الافريقية الداخلية أطلقوا على القارة اسم (ليبيا) . وكان الليبيون لديهم جميع سكان القارة مهما تباعدت أجناسهم، تماما كما نقول نحن اليوم عن أهل القارة انهم (افريقيون) وفيهم الأبيض والأسمر والأسود الشديد السواد، متبايني اللّغة والجنس والدين، مختلفي البيئة والتكوين - ومع هذا فالجميع (افريقيون) أو (أفارقة) مهما كان الأمر .

هل كانت كلمة (ليبيا) في نشأتها الأولى من جملة هذه الأساطير كما نقرأ في كتابات اليونان والرومان ؟

لا أظن . وإنما يغلب على ظني أن هذه الكلمة ذات أصل تاريخي ومدلول لغوي معروف، وإن وصل إلينا محرفا وتداولته الألسنة وثبت في الأذهان . بل إنني لأذهب إلى أن هذه الكلمة ذات أصل عربي، أو هي ترتبط بمعنى العروبة بأوثق الصلات . ولكن هذا الظن في حاجة إلى مقدمة ليتحول إلى رأي، أما أن يكون يقينا فهذا أمر آخر ما أحسب أن البحث الموضوعي يسمح به على كل حال .

أحد مصائب العلم الكبرى - في قديمه وحديثه - تقسيمه البشر، عند دراسة السلالات، إلى ثلاث مجموعات بشرية كبرى : ساميين، وحميين، وآريين . الأولون نسبوا إلى سام بن نوح، ومن بعدهم أبناء حام بن نوح أيضا، والأخيريون أبناء يافث وهو الأخ الثالث . وهذا تقسيم توراتي قديم

وعندما عدت إلى (لسان العرب) لابن منظور وجدته يقول :

«اللُّوب واللُّوب واللُّوب واللُّوب : العطش .

اللابية واللوبة : الحرة . والجمع : لوب ولوب ولابات - وهي الخراب .

وقالوا : أسود لوبي ونوبي - منسوب إلى اللوبة والنوبة، وهما : الحرة .

وفي الحديث : لم تتقياه لوب ولا مجته نوب»، انتهى نص ابن منظور .

جاء به اليهود، ونسبوا إليه الأجناس البشرية بعد الطوفان، وأخذ به من بعدهم المؤرخون القدامى، وأخذ به - للأسف الشديد - العلماء النصارى في عصر النهضة متأثرين بالتيار الديني العنيف إبانها.

وقد نشأت عن هذا الأخذ أخطاء تاريخية رهيبة بالنسبة لبقية الأجناس، وخاصة في أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر حين اكتشفت القارة الأمريكية واحترار العلماء في وضع من أسموهم (الهنود الحمر) - فلا هم ساميون ولا حاميون ولن يسمح لهم بالطبع أن يرتقوا إلى رتبة أبناء يافث (الآريين) فقالوا عنهم أنهم «أبناء الشيطان»!

هذا المنهج لا يثبت للنقد التاريخي، وهو مبني على أهواء خاصة تملؤها الطبيعة البشرية، وقع فيها واضعو هذا التقسيم أنفسهم في التوراة ذاتها. فهم مثلاً يضعون الكنعانيين من جملة الحاميين، وهم بحسب المنهج ذاته - أقرب الناس إلى السامية - وسبب هذا «الحرمان» الذي فرضه العبرانيون على الكنعانيين من أن يكونوا ساميين هو العداوة التاريخية المستحكمة بين الشعبين، رغم كونها ينتميان إلى نفس العرق ويتحدثان اللغة نفسها التي ظلت - رغم تطورها عند الفريقين - متصلة بعضها ببعض.

لكن لا مفر لنا - رغم إنكار هذا التقسيم - من النظر إلى موضوع الليبيين والعرب بحسبه، تقريباً للأمر وتسهيلاً على القارئ ولنرى كيف تمضي المسألة.

إن التوراة - وهي مشحونة بأخطاء فاحشة - تقدم لنا هذا التقسيم لنشأة الأمم والشعوب بعد الطوفان:

«وهذه مواليد بني نوح: سام وحام ويافث. وولد لهم بنون بعد الطوفان. فبنو يافث: جومر وماجوج وماداي وياوان وتوبال وماشك وتيراس... وبنو حام: كوش ومصر ايم وفوط وكنعان... وسام أبو كل بني عابر، أخو يافث الكبير، ولد له أيضاً بنون. بنو سام: عيلام وأشور وأرفكشاد ولود وآرام»⁽³⁾.

ثم تأتي من بعد ذلك تفرعات أخرى، فنجد من الحاميين: مصر ايم «الذي ولد لوديم وغانميم ولها بيم وفتوحيم وفتروسييم وكسلوحيم». ونلاحظ أن لها بيم (أو لهوبيم Lehubim) هو في الغالب جد الليبيين (اللوبيم). كما نلاحظ الأسماء المذكورة في هذه الفقرة «خرج منهم فلشتيم وكفتوريم» - أي الفلسطينيين وأهل كريت. «وكنعان ولد صيدون بكره وحثا (الحثيين)... وبعد ذلك تفرقت قبائل الكنعاني. وكانت تخوم الكنعاني من صيدون حينما تجبىء نحو جرار إلى غزة وحينما تجبىء سدوم وعمورة وأدمة وصبويم إلى لاشع».

أما بالنسبة لأبناء سام - حسب التوراة - فينقسمون إلى فرعين رئيسيين: بنو آرام (الآراميون) بن سام. وبنو عابر بن شالح ابن أرفكشاد بن سام.

(3) أنظر سفر التكوين، الاصحاح العاشر الآيات 1-22.

ولعابر (جد العبريين) ولد ابنان، فالح وأخوه يقطان. أما فالح فيتصل نسله حتى يصل إلى إبراهيم (عليه السلام)، وأما يقطان فقد ولد ألموداد وشالف وحضرموت ويارح وهدروام وأوزال ودقلة وأبسايل وشبا وأوفير وحويلة ويوباب. ثم تمضي التوراة في تتبع قصة إبراهيم وهجرته من أرض الكلدانيين إلى فلسطين وما جرى له في مصر. . إلى آخره.

وهنا تبدو لنا ملاحظة تكمن في عدم ذكر التوراة للعرب بهذا الاسم الذي عرفوا به أو نسبتهم إلى أحد أعقاب نوح أو سام. ولكنها تذكر قبائل عربية كانت في جنوب الجزيرة، من أعرقها حضرموت وشبا (سبا) ويدخل بقية أبناء يقطان (وهم اليقطانيون الذين كانوا في جنوب الجزيرة كذلك) ضمن نسله مقابل أبناء أخيه فالح جد إبراهيم. فكأن أهل الجزيرة في الجنوب (وهم عرب) يشتركون في النسبة إلى عابر (أو عيبرو - أو عبرو) مع أبناء فالح إلى سام بن نوح (وهم العبريون أو العبرانيون).

واضح أن هذا التقسيم التوراتي للسلاسل البشرية لا يقوم على سند موضوعي علمي، ولكنه توزيع عبري - يهودي يركز إلى القول بأبوة نوح أبي البشر الثاني - للجماعات الانسانية بعد الطوفان وهو توزيع يخضع للهوى أكثر من خضوعه للحقيقة التاريخية المجردة. ولا يمكن للتوراة أن تبرر إخراجها الكنعانيين من جملة الساميين، وإدخالهم - والحثيين كذلك! - في جملة الحاميين. كما لا تستطيع توضيح حساباتها الفلسطينية (فلستيم) من جملة الحاميين أيضا إلى جانب المصريين والليبيين وأهل كريت. دعك من بقية التفريعات الأخرى التي تختلط فيها الأنساب والأنسال اختلاطا عجيبا لا يمكن التفريق معه بين الحامي والسامي، ناهيك باليافتي (الآري).

ولا نتعرض لأهل الصين واليابان وسكان أمريكا الأولين «الهنود» والأزتك والمايا وعشرات الأجناس التي لم يكن كتبة التوراة يدرون من أمرها شيئا.

نحن إذن في حل من قبول تقسيم التوراة للأجناس البشرية، ولنا أن نرفض تصورها - إذا شئنا - لتوزع المجموعات الانسانية وانتشارها، فإن هذا التصور محصور في فترة تاريخية معينة، بعد الطوفان، وفي رقعة محددة من الأرض لم تخرج التوراة عنها. ولا أحد يعلم - إلا الله - بداية الحياة البشرية بالمعنى المفهوم من الكلمة، ولا أحد يدري كيف دب الإنسان أول مرة على الأرض ولا أين، ولكن المسألة في أعماقها تخمينات قد تدعو إليها النصوص الدينية تارة وقد تغري بها البحوث والدراسات العلمية تارة أخرى. لكن من المقبول القول بأن جماعة بشرية ما اشتركت في بعض الخصائص والمميزات يمكنها تمييزها عن جماعة أخرى ذات خصائص أخرى قد تختلف، قليلا أو كثيرا، عن غيرها من الجماعات. ويمكن بعدها إطلاق اسم نتفق عليه تعرف به هذه الجماعة تيسيرا لدراسة تطورها ونموها وانتشارها في الآفاق. فلتتفق على تسمية جماعة من البشر باسم (الساميين) مثلا، ولنر كيف سارت بها الأمور.

يقول أوبري مينون : Aubrey Menon في كتابه المعنون : (مدن في الرمل Cities in the Sand):

«الساميون ليسوا جنسا. ولا يمكن تمييزهم بأنهم، مثلا، ذوو أنف معقوف. . . انهم قوم ارتبطوا

معا بلسان موحد في الأساس، وبنظرة إلى الوجود، أو بتعبير أدق بنظرة إلى ما وراء الوجود. انهم قوم عميقو التدين. وقد يأخذ الدين أشكالا كثيرة، من «التلمود» إلى «القرآن» إلى «العظة على الجبل» وحرق الأطفال أحياء ووضع عظامهم في الآنية بتبجيل ولكن مهما كان ما اعتقدوه فقد آمنوا به بعمق»⁽⁴⁾.

ففكرة (الجنس) أو العرق المميز اذن فكرة غير صائبة، وهي - كما يقول مينون - طالما جرت على البشرية بلاء بعد بلاء. وهذا حقيقي، فإن الانسان منذ درج على هذه الأرض، وفي أزمنته التاريخية وما قبل التاريخ، كانت الأرض له يسبح فيها ويسوح، ويهاجر من موطن إلى آخر يطلب سبل الحياة ويسعى في سبيل الرزق، قبل اختراع الحدود والقيود وجوازات السفر وتأثيرات الدخول والخروج. وهو اختلط - في نطاق الظروف الجغرافية والبيئية - وامتزج. بيد أن هذه الظروف المناخية والطبوغرافية ذاتها هي التي (حددت) ملامح بعض الجماعات و(حدت) من حركتها في كثير من الأحيان.

كان الانسان (يهاجر) كالحيوان تماما أثناء همجية العصر الحجري القديم، وينتقل من مكان إلى مكان بحثا عن الطعام. فلما تطور - بحدوث الانقلاب البشري الهائل في العصر الحجري الجديد - وصار (ينتج) طعامه عن طريق الزراعة صار أكثر استقرارا وأهدأ حركة من ذي قبل، وإن ظلت الهجرات الجماعية تتوالى تبعا لتغير الظروف المناخية المحيطة. فماذا عن ليبيا وشمال إفريقيا بصفة عامة؟

لقد قام الأستاذ ما كيرني Mc Burney بمهمة جلييلة في هذا الباب، ونشر بحثه القيم (العصر الحجري في شمال إفريقيا)⁽⁵⁾ الذي أصبح المرجع الرئيسي في هذا الموضوع، وفيه تتبع الهجرات المتوالية بين ليبيا والشرق الأدنى، حتى فلسطين، وهي هجرات مزدوجة من الشمال الإفريقي وإليه. ويرى الدكتور طه باقر في دراسته الممتازة عن (عصور ما قبل التاريخ في ليبيا وعلاقتها بأصول الحضارات القديمة)⁽⁶⁾ أن ما يضيفي على البحث في شمال إفريقيا - ومنه ليبيا - أهمية خاصة في تاريخ الحضارة وأصول الأقوام «هو موقع هذه المنطقة الجغرافي المميز بكونها جسرا يربط بين أوروبا الغربية وبين أفريقيا الاستوائية وآسيا الغربية. وتكون أهمية هذه الميزة أكبر في الأطوار الأولى من عصور ما قبل التاريخ حيث العواض والحواجز الطبيعية الموجودة الآن، كالصحارى والمضائق المائية، إما لأنها لم تكن موجودة أو أنها تختلف عما هي عليه الآن»⁽⁷⁾.

ثم يقدم استنتاجا جيدا يدعو إلى «أن ننوه بما أسفرت عنه حديثا تحريات الباحثين في علم اللغة المقارن في حقل اللغات السامية والحامية. فالذي عليه جمهرة هؤلاء العلماء هو تأكيدهم

(4) المصدر المذكور، ص 13.

(5) The Stone age of Northern Africa ; Pelican, 1960.

(6) ليبيا في التاريخ - مجلد يضم بحوثا ودراسات ألفت في مؤتمر كلية الآداب - بنغازي عن هذا الموضوع سنة 1968 م.

(7) المصدر السابق، ص 4.

للصلات الوثقى بين اللغات السامية واللغات الحامية . . . وأن هذه الصلات القوية في أوجه الشبه الكثيرة في المفردات والتراكيب اللغوية الأساسية جعلت الباحثين المختصين يرجعون اللغات السامية واللغات الحامية إلى أصل بعيد واحد أي إلى عائلة لغوية كبرى، وأن المتكلمين بتلك العائلة اللغوية قد تفرقوا أو تفرعوا إلى أقوام كثيرة كبرى متعاقبة»⁽⁸⁾.

ليس هذا فحسب، بل إن الدكتور طه باقر يمضي إلى أبعد من هذا عند حديثه عن نشأة الساميين. وهو مع اعترافه بأن نظرية ارجاع مهد الساميين ولغاتهم إلى الجزيرة العربية لا تزال النظرية المعول عليها إلا أنه من الممكن - في ما يرى - تحويرها قليلا برأي لا يتعارض معها وذلك بارجاع المهد الأصلي البعيد لجميع الأقوام السامية والحامية⁽⁹⁾ إلى الرقعة الجغرافية الواسعة الممتدة من الجزيرة العربية إلى شمال أفريقيا. ويختتم ملاحظته بالتنويه بأن «من النظريات المشهورة لمهد الساميين النظرية التي تجعل هذا المهد في الشمال الأفريقي»⁽¹⁰⁾.

بيد أن الأستاذ الباحث طه الباقر لم يعين «هذه النظرية المشهورة» ولم يحدد صاحبها. ثم يذهب إلى أن الهجرات بين الجزيرة العربية كانت متوالية ثم انقطع الاتصال بين الكتلتين اللغويتين الكبيرتين، السامية والحامية، قبل نحو 15.000 - 10.000 عام خلت.

ولست أدري ما أسباب هذا الانقطاع؟

هل لتغير الظروف المناخية دخل في الأمر؟

هل تحسن الأحوال المعيشية واستقرار السكان دعا كل فريق إلى البقاء حيث هو؟

لا أحد يمكنه أن يجيب. ولكن الواضح أن الاتصال بين ليبيا - وشمال أفريقيا عموما - والجزيرة العربية لم يكن انقطاعا كاملا على كل حال. وقد جاءت هجرات معروفة في الأعصر التاريخية، من أهمها هجرة الفينيقيين الذين أسسوا قرطاجنة ومن بعدها أويا ولبدة وصبراتة ما بين القرنين الثامن والسادس قبل الميلاد، ثم الفتح الإسلامي والهجرة الجماعية لقبائل بني سليم وبني هلال . . .

وليس من المهم هنا إثبات أي المواطنين كان مهد الجنس السامي - أهو الجزيرة العربية أم شمال إفريقيا. بل ليس من المهم التسمية ذاتها (الساميون). ولكن المهم القول بأن صلة وثيقة كانت بين شمال أفريقيا والجزيرة العربية، وأن هذه الصلة قديمة قدم التاريخ وأنها استمرت على مدى العصور، وأنها تتبدى في اللغة القديمة أكثر ما تكون وضوحا.

من هذا المنطلق يمكن الحديث عن «ليبيا» وعن «العرب». ومن هذه الكتلة اللغوية الكبرى يمكن الحديث عن وحدة المنطقة - من المحيط إلى الخليج - وحدة راسخة منذ عصور ما قبل التاريخ، منذ الأعصر الحجرية الجديدة والقديمة على حد سواء.

(8) المصدر نفسه.

(9) المصدر السابق.

(10) المصدر السابق، ص 5.

لينتبه القارئ أولاً إلى جملة حقائق جلية، أولها أن «الهوى» القديم الذي ظهر في توراة اليهود بدأ واضحاً في دراسات المستشرقين وعلماء الأجناس الغربيين، فكانت أغلب أبحاثهم تصب في تيار واحد - في الأغلب - هدفه قطع الصلات بين المشرق والمغرب، وتمزيق كل جناح من جناحي الأمة العربية على حدة. وجعلوا أهل الجزيرة ساميين. وجعلوا أهل مصر حاميين، وجعلوا أهل المغرب بربراً هم من أصل أوروبي مرة وهم دون أصل يعرف مرة أخرى (1)

وثانيها أن دراسة لغوية مقارنة تستنفر لها المهمة تبحث عن الجذور المشتركة بين لغات الأمة القديمة أصبحت واجباً يحتتمه الحرص على الوجود الموحد. وسوف يدهش الكثيرون حين يجرون هذه الدراسة المقارنة بين لغة حمير مثلاً ونقوش ليبية قديمة، فإنها هي هي.

وثالثها وجوب سعة الأفق والصدر معا في أثناء الدرس والبحث، وعدم الالتفات إلى غوغائية ضارة تبرز من هنا أو هناك، دون سند من علم ولا مؤيد من هدى ولا كتاب مبين.

ونسأل : ما هي اللغة ؟

والجواب : إنها أداة الافهام وإيصال الأفكار عن طريق الصوت بحسب اصطلاح معين بين القوم.

وهي «كائن حي» يتطور وينمو ويزيد وينقص ويموت أيضا.

ولذا فهي - مثل أي «كائن حي» - ذات وجود مستقل في تطوره وإن كانت نشأته الأولى ترجع إلى سواه. ومن هنا كان اختلاف اللغات، بعد أن كانت مجرد لهجات، ونموها نموا ذاتيا يتميز بتركيب معين خاص. وفي حديثه عن اللغة العربية أثار الأستاذ جواد علي سؤالا : رب سائل يقول، لقد كان للعرب قبل الاسلام لغات، مثل المعينية والحمرية والصفوية والثمودية واللحيانية وأمثالها اختلفت عن عربية القرآن اختلافا كبيرا، حتى أن أحدنا إذا قرأ نصا مدونا بلغة من تلك اللغات عجز عن فهمه وظن إذا لم يكن له علم بلغات الجاهليين أنه لغة من لغات البرابرة أو الأعاجم، فإذا سيكون موقفنا من أصحاب هذه اللغات ؟

وهو يجيب : أن هؤلاء، وإن اختلفت لغتهم عن لغتنا وباينت ألسنتهم ألسنتنا فإنهم عرب لحما ودما، ولدوا ونشأوا في بلاد العرب، لم يردوا إليها من الخارج ولم يكونوا طارئين عليها من أمة غريبة، فهم إذن عرب مثل غيرهم، وكل لغات العرب هي لغات عربية وإن اختلفت وتباينت. وما اللغة التي نزل بها القرآن الكريم إلا لغة واحدة من هذه اللغات⁽¹⁾.

الأمر واضح إذن. إذا كانت هذه (اللغات العربية) من معينية وحمرية وثمودية وغيرها قد اختلفت هذا الاختلاف كله حتى بات من المستحيل على غير العالم فهمها، وهي عربية (نسبة إلى الجزيرة العربية) في نشأتها ونموها متصلة التطور، على قرب المكان وجوار القبائل والبطون. فكيف الأمر إذن بالنسبة للغة عربية أخرى بعد مكانها ونأى زمانها ؟

(1) المفضل في تاريخ العرب قبل الاسلام - الجزء الأول، ص 33.

هل يجوز أن تنمو لغة عربية في جيزان أو حضرموت نموا مستقلا عن لغة جرهم وثمود وهي على بعد مرمى حجر منها، ثم نطلب من اللغة المصرية أو الليبية أن تكون أقرب إلى لغة القرآن من لغة لحيان وحمير؟!

فإذا عدنا إلى ما ذكر من أصل واحد للغتين السامية والحامية (وهذا للتذكير مجرد اصطلاح أكاديمي ليس غير) أفليس من المقبول القول بأن فروع هذا الأصل - على بعد الدار - تطورت ونمت بحكم البيئة حتى اختلفت عن اللغة الأم وعن اللغات الأخوات وحتى عجز غير أهلها عن فهمها وحسبها من لغة الأعجم؟

ثم نسأل : ما هي اللغة العربية ؟

اتفاقا هي ما نعرفه باسم (اللغة الفصحى) أو (لغة القرآن الكريم) وهي قد شرفت بأن نزل بها كتاب الله العزيز (وكذلك أنزلناه حكما عربيا) (وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا) (وهذا لسان عربي مبين). وكانت إحدى اللغات العربية الكثيرة - هي لغة قريش - لغة إحدى قبائل العرب، فصارت بالقرآن لغة العرب أجمعين. لكنها تظل عند الفحص العلمي المجرد لغة من مجموعة كبيرة من اللغات.

سؤال آخر : من هم العرب ؟

هنا لا بد من وقفة طويلة أمام هذا المصطلح وتحليل لهذه الكلمة وتحديد مدلولها في قديم الزمان وحديثه. وليس ثمة من قدم تحليلا شاملا وتبعاً دقيقاً لهذا اللفظ أفضل مما فعل الدكتور جواد علي، وإليه نستند في تقديم خلاصة ما كتب⁽¹²⁾.

يقول الأستاذ : لم تكن كلمة (عرب) تؤدي ما نفهمه اليوم من معنى الجنس أو القومية، خاصة في الكتابات العربية الجنوبية، ولم يبرز الحس بهذا المعنى عند القبائل العربية إلا قبيل ظهور الاسلام بفترة قصيرة. وهو حس لعله برز في شمال الجزيرة أولاً بحكم الاحتكاك، ثم الصدام بين هذه القبائل والامبراطورية الفارسية من جهة والروم من جهة أخرى. وبفضل الاسلام وحده وسيطرة لغة واحدة صارت كلمة (العرب) ذات مدلول جنسي وقومي معروف. أما قبل الاسلام فقد كانت الكلمة تؤدي معنى البداوة والقفر والجفاف، أو ما يسمى (الأعراب) في مقابل الحضرة. وكان أهل الحضرة - أو المدن - يسمون أنفسهم باسم قبائلهم : فهم سبأ، وهمدان، وحمير، ومعين، وحضرموت، وما إليها. فلما جاء الاسلام نما الحس القومي لدى سكان الجزيرة وشعروا بأن لهم كياناً واحداً هو الكيان العربي، وصاروا يبحثون عن شيء يجمعهم ويوحد أصولهم، وظهرت فكرة أن (يعرب) هو أبو العرب وأنه أول من تكلم العربية وإليه ينسب القوم. وهذه فكرة قحطانية تبلورت في أثناء صراع القحطانيين (الجنوبيين) والعدنانيين (الشماليين) لا تصمد للنقد التاريخي.

بمعنى البداوة والإعرابية إذن وردت لفظة (العرب) في اللغة العبرية ولغات سامية أخرى، مثلما هو الحال في سفر أشعياء وفي سفر أرميا من (العهد القديم). وقد وجد الباحثون أن أول نص

(12) الفصل - ص 16 - 25.

ذكر فيه العرب هونص آشوري من أيام شلمنصر الثالث، أو الثاني، ملك آشور، والمقصود باللفظة أمانة أو مشيخة، يتزعمها رجل بلقب ملك اسمه «جنديبو» (جندب)، وكانت تتاخم الحدود الآشورية. واختلف العلماء في قراءتها على هذه الصورة :

Aribi, Arubu, Arbi, Urbi, Arabi, Arabu. Aribu, Matu,-a-Rabi

وردت في الكتابات البابلية جملة «ماتو أربي» أي (أرض العرب) بمعنى (بلاد الأعراب).

وفي نقش هاستون لدارا الأكبر باللغة الأخمينية جاءت لفظة أرباية (عربية) Arbaya . وباللغة العيلامية جاءت : أرباية (M-ar-Payah) Arpaya .

وفي النصوص العربية الجنوبية كانت كلمة (أعرب) بمعنى (أعراب) : وأعرب ملك حضرموت = وأعرب ملك حضرموت . / وأعرب ملك سبأ = وأعرب ملك سبأ .

وعند الآراميين :

بيت عربية beth arbaya بمعنى (أرض العرب) أو الأعراب - البدو الرحل، أهل القفر.

وأول مرة ورد فيها ذكر (العرب) لدى الكتاب اليونان كانت عند اسخيلوس (525-456 ق. م .) ثم تلاه هيرودوت (484 - 425 ق. م .) ولم ترد عند أي من الكتاب اليونانيين قبل هذا. ويبدو أن معرفة اليونان بالجزيرة قد ازدادت، لكن معنى البداوة هو المقصود عند الحديث عن العرب، أما ممالكهم فكانت تسمى بأسمائها المعروفة .

ويذكر سترابون أن كلمة أرمبي Erembi تعني عند البعض (العرب) ولعلها تحريف لكلمة عرب Arabi .

من هذا الموجز يمكننا استخلاص النتائج التالية :

- 1 - أن كلمة (العرب) باعتبارها مدلولاً قومياً وجنسياً لم تعرف إلا في وقت متأخر وبفضل ظهور الإسلام خاصة .
- 2 - أنها لفظة تعرضت للتحريف، بالإضافة والحذف وإبدال الحروف بحسب اختلاف الشعوب وعند تباين الأمم .
- 3 - أنها تعني البداوة والقفر والارتباط بالصحراء في الغالب الأعم .

فماذا عن كلمة (ليبيا) وما يتصل بها هنا ؟ .

يقول الباحثون أن كلمة (ليبيا) مشتقة من كلمة (ليبو) وأن المرة الأولى التي سمع فيها بهذه الكلمة كانت في عهد الفرعون مرنتاح Merneptah (حوالي عام 1220 ق. م .) حيث وردت في نقش هيروغليفي يمجّد انتصار ذلك الفرعون على (الليبو) الذين رأسوا غزاة لمصر جاءوا من الغرب⁽¹³⁾ .

من غير المهم هنا الدخول في مناقشة الصوب والخطأ في كتابة الكلمة، هل هي ليبيا Libya أو لوبيا Lybia فذلك خاضع لاختلاف نطق الحرف Y الذي قد يقابل حرف (الياء) العربي وقد ينطق باعتباره (واو). ولكن المهم إثبات ما يذكره العالم المعروف (سير) ألن غاردنر Sir A. Gardiner من أننا صرنا نعرف الشعب الذي كان يعيش على طول ساحل البحر الأبيض المتوسط غرب مصر باسم (الليبيين) متبعين في ذلك الاغريق⁽¹⁴⁾ ثم يضيف ما نصّه :

«وهذا الاسم هو، على وجه الدقة، اسم مغلوط فيه وخطأ في تسلسل الحوادث التاريخية معا»⁽¹⁵⁾
(This name is, strictly speaking, both a misnomer and an anachronism).

انتبه غاردنر إلى الغلط الواقع في الاسم (ليبو) غير أنه لم يمتص ليوضح لنا هذا الغلط. ويمكن لنا أن نتبينه بشيء من الانتباه، فإن الاسم المنقوش لم يكن ليبو Lebu كما درجنا على قراءته، بل كان (ريبو) بحرف الراء بدلا من حرف اللام.

أما «أوريك بيتس» في مؤلفه (الليبيون الشرقيون) فيتحدث عن هذه المجموعة من الأقوام القاطنة في شمال غرب مصر باعتبارها، حسب القراءة الصحيحة، الربيو R'bw - Rebu.

وكان (الريبو) شعبا كبير العدد حتى أن أهميتهم قادت اليونان إلى أن يسبغوا التعبير السلافي (الليبيين) على مواطني شمال إفريقيا في جملتهم⁽¹⁶⁾. هكذا في عدد كبير آخر من المصادر.

ومن العجيب فعلا أن نرى وفرة من الباحثين تبذل جهدا في تبرير أن يتحول (الريبو) إلى (الليبو) فيقولون بأن علامة الراء في اللغة المصرية القديمة هي نفسها علامة اللام، وأنه من الجائز إبدال الحرفين. وقد يكون هذا، لكن السؤال : لماذا يحول الراء لاما في هذا الاسم بالذات ولا يتحول في اسم رمسيس (أو رع مسيس) مثلا فيظل (رمسيس) ولا يتحول إلى (لمسيس)، كما لا يتحول (رع) الإله المصري الأكبر إلى (لع) ؟

والرأي عندي أن الاسم الذي أطلقه المصريون القدماء على جيرانهم الغربيين هو (ريبو) كما نقش وحفظ لنا - ولعل اليونانيين هم الذين أبدلوا في لغتهم وحرفوا - وهو أمر غالب الحدوث بالنسبة للأسماء الأجنبية - ثم قرنوا بين تحريفهم وبين أساطيرهم، أو هم أضفوا هذه الأساطير على (ليبيا) بعد ذلك. والدليل على هذا الرأي أن (الريبو) لم يكونوا شعبا قائما بذاته، أو قبيلة بعينها، بل هم مجموعة من القبائل كانت معروفة بأسائها، منها ما حفظه الزمن وظل يسري حتى وقتنا الحاضر ومنها ما اندثر وانحى. من هذه القبائل مثلا : الأموهيكك Imuhekek والقيهق Kehek والأسبت Esbet والقيقش Kekesh والشاي Shai والهس Hes.

(14) المصدر السابق.

(15) المصدر نفسه.

Oric Bates ; The Eastern Libyans, p. 46, 51. (16)

ولعل أعرفهم قبائل التحنو (Teḥenu) والتمحو (Temehu) والمشوش Meshwesh تجمعهم جميعا - وقبائل أخرى كثيرة لا تعد ولا تحصى - كلمة (الريبو). وهذا بالضبط، ما كان يحدث في الجزيرة العربية، قبائل وشعوب ذات أسماء تنسب إليها، لكنها تظل جميعها - بالنسبة للأجانب خاصة - تنضوي تحت اسم موحد هو (العرب) أو (الأعراب).

هنا تواجهنا مشكلة تكمن في سؤال ذكي : إذا قبلنا تحليلك لكلمة (الليبو) باعتبارها (الريبو) وقولك أن اليونان حرفوا الكلمة الأصلية (الريبو) فكيف تفسر أن التوراة استخدمت كلمتي (اللهابيم) و(اللوبيم) هي الأخرى بينما تورد كلمة (الأعراب) و(العريبو) ؟

وقد جرى البحث في هذا السؤال من قبل - ولم يبق شك في أن كلمة «لهابيم» (الواردة في سفر التكوين اصحاح 10، آية 13) هي بعينها «لوبيم» (الواردة في سفر دانيال، اصحاح 11، آية 43). فهما شيء واحد والمقصود بهما أهل منطقة بذاتها، هم أهل الشمال الأفريقي. ولكن نعرف بالتأكيد أن كلمة Hebu (التي حرفها اليونان إلى Lebu) أقدم مما ورد في التوراة. ويرى ب. رينوف أن أقدم ذكر للوبيم Lubim «لا يستبعد إمكانية أن الاسم وصل إلى العبريين (عن طريق الفينيقيين) من الاغريق»⁽¹⁷⁾.

ولعل أخذ العبريين الاسم عن الاغريق يفسر لنا بوضوح كيف أثبتوه بصيغته التي أخذوا بها دون أن يدركوا بالطبع تحريف اليونان لجذر الكلمة الأصلي عند المصريين.

لعل القارئ لاحظ، بشيء من إمعان النظر، العلاقة اللغوية بين لفظي (ريبو) و(عرب). ونضيف أن العرب كانوا يعرفون أيضا باسم (عريبو).

فهل يمكن القول بتطابق اللفظين ؟ إننا نعلم مما سبق أن كلمة العرب (أو الأعراب - أو العريبو) كانت تعني البداوة والفقر والجفاف في جميع النقوش والآثار القديمة في مقابل الحضرة وأهل المدن والأمصار. ألم يكن المصريون هم أهل الحضرة - أهل مصر - في مواجهة أهل البداوة من جيرانهم الغربيين ؟ أليس من الجائز، بل المرجح، أن تعبيرهم بكلمة (ريبو) مقصود به ما تعني كلمة (عريبو) ؟ أليس من المقبول أنهم كانوا على علم بالصلات الوثقى بين عرب المشرق وعرب المغرب، اجتماعيا وثقافيا وعرقيا كذلك، أو بين (اعراب) المشرق والمغرب، أهل البداوة، وهم مطمئنون في حياتهم الرغدة على ضفاف النيل الخصيب، فأطلقوا الاسم ذاته على الفريقين ؟ وأخيرا، أليس من المعقول أن يكون اللفظ - بصيغ نطقه المختلفة - هو المستعمل للدلالة على جناحي الأمة في مشرقها ومغربها ؟

يقول الأستاذ ميكل هوفان، في كتابه (مصر قبل الفراعنة) إن اللغة التي كان يتكلمها الفراعنة الأول هي اللغة المصرية تماما مثلما نتحدث عن اللغة الحميرية أو المعينية أو السبئية. ويُضيف ما نصه :

«ويصنف اليوم العلماء هذه اللغة باعتبارها فرداً من الأسرة (الافريقية - الآسيوية) أو (الحامية - السامية) التي تشمل : السامية والبربرية (الليبية) والكوشية ولغة الهاوسا . وحقيقة أن هذه اللغات ، بقدر يزيد أو ينقص ، متصلة جغرافياً يوحى إلى بعض العلماء أنها ، منذ عهد سحيق ، لا بد انبثقت من مركز واحد في الشرق الأدنى أو شمال أفريقيا»⁽¹⁸⁾ .

إن كان الأمر كذلك ، وهو فعلاً كذلك ، فما الذي يمنع أن تكون كلمة (ريبو) أو (عريبو) هي اللفظ الموحد بين هذه المجموعة البشرية - التي كانت ولا تزال تحتل ما نسميه اليوم (الوطن العربي) من المحيط إلى الخليج ، وهي كلمة استعملت في جميع اللغات ، وعند جميع الشعوب ، بالمعنى المقصود منها ؟ ولماذا لا يكون (الليبيون) هم (الريبون) أو (العريبون) أو (الأعراب) أو (العرب) بالمعنى الشامل الكامل ؟

أخيراً . . نؤكد ما ذكرناه من أن تحريفاً حدث في نطق الكلمة عند اليونان أولاً ، ثم تحريفاً حدث في معناها ثانياً ، بأن (شامبليون) وهو أول من كتب في اللغة المصرية وقواعدها - باعتباره فاك رموز كتابتها - ترجم كلمة «ريبو» Rbw في مؤلفه (Principes generaux de l'écriture sacrée Egyptienne) إلى «بدو» Bedouins ولم يترجمها «ليبيون» Libyens . ونحن نعرف أن كلمة «بدو» و«عرب» مترادفتان نشأة ودلالة .



عن «الهكسوس».. وعن «هواره»

في أوائل الألف الأولى ق. م. وفي تاريخ لم يحدد بالضبط، جاءت إحدى الموجات البشرية مهاجرة إلى مصر من شرقها، واستطاعت أن تسيطر على الوادي متخذة من الدلتا مركزاً لها مدة طويلة من الزمن، قدرها المؤرخ «مانيثون» بـ 510 من السنين، وعرف أهلها في كتب التاريخ باسم «الهكسوس»⁽¹⁾.

وقد تمكن أهل الجنوب في مصر، بقيادة «أحمس» من القضاء على مملكة «الهكسوس»، وبذا أعاد توحيد القطرين من جديد. لكن «الهكسوس» لم يعودوا جميعاً من حيث أتوا - كما قيل لنا - بل إن فريقاً كبيراً منهم ظل في مصر، بينما مضى فريق آخر نحو الغرب حتى بلغ المغرب الأقصى وانتشر في شمال أفريقيا كله.

لم يتفق الباحثون - كالعادة - حول أصل هؤلاء «الهكسوس»، وإن اتفق أغلبهم على أنهم (ساميون). قال بعضهم إنهم كنعانيون، وقال آخرون إنهم بابليون، وفريق ثالث قال إنهم فلسطينيون. لكن (مانيثون) يرى أن «البعض يقول إنهم كانوا عرباً»⁽²⁾. وهو هنا يقصد أهل الجزيرة بالذات. وهذا الرأي في عروبة «الهكسوس» أصبح مقبولاً تماماً لدى طائفة كبيرة من الباحثين. وما يعيننا هنا هو التسمية التي أطلقت، وهي التي نقلت إلينا في لسان اليونان وانتقلت من بعد كما هي إلى بقية اللغات، ومنها العربية، هكذا. «هكسوس».

الاسم في صورته اليونانية (= Hyksôs (Yksoŵs) منقول عن المصرية، وقد خضع لجملة تفسيرات، أولها ما ينقله «يوسفوس» عن «مانيثون» - الذي كتب باليونانية - من قوله إن الكلمة تعني

(1) يرى «بروغش» (H. Brugsch ; History of Egypt Under The Pharaohs, Vol.1., p : 232) أن هذه هي التسمية الشعبية التي أطلقت على العرب (= الأعراب، البدو) الذين حكموا الدلتا قادمين من الشرق، ولم يكن «الهكسوس» يسمون أنفسهم بها. أما في النصوص المصرية التي تتحدث عنهم فإنهم يسمون «أمو» (Amu) (قارن تعليق «وادل» على ترجمته (تاريخ مانيثون) ص 76 - 77). ونرى أن «أمو» هي ما يقابل العبرانية «أوميم»، بصيغة الجمع بالميم، أي : الأقوام، غير العربية (الأمم)، وتكافئ العربية «أميون»، وهي التعبير القرآن عن «العرب» (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ)، «النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ».

(2) أنظر : تاريخ مانيثون، ص 76 - 77. ويجعلهم «بروغش» (المصدر السابق، ص 214 - 215) من «الأدوميين» استناداً إلى نقوش مصرية. والواقع أن هذه الأقوام كلها بأسماؤها المختلفة ليست إلا فروعاً، قبائل ويطوناً، من «العروبيين»، كتلة بشرية واحدة تنوعت أسماؤها وصفاتها. وهذا ما ينطبق تماماً على ما يورده ابن خلدون في (تاريخه) عن أصل (البربر) مما سنعرض له بعد قليل.

في المصرية : الملوك الرعاة King-Shepherds إذ تعني hyk : ملك، و Sôs : راع ،
أو رعاة . لكن «يوسفوس» يزعم أنه ورد في نسخة أخرى من تاريخ «مانيثون» المفقود أن hyk و hāk
في المصرية تعني «أسير»/«أسرى»، ولا يقدم دليلاً على ما يقول، وهو لعله أتى بهذا التفسير ليوائم
ما يورده بعدئذ من حديث عن قصة يوسف حسب التراث اليهودي، ومن ادعائه أن (الهكسوس)
كانوا هم بني اسرائيل الذين غزوا مصر واحتلوها مدة طويلة من الزمان .

واقع الأمر أن كلمتي hyk و hāk في الصيغة اليونانية المنقولة عن المصرية كلمتان مختلفتان .
فالأولى هي في المصرية «ح ق» h q . وتعني : حكم، وجه، قاد، تسلط . ومنها مشتقات كثيرة جداً
ترد في نفس الدلالة (معجم «بدج» ص 512-513) ومحدداه الهيروغليفي صولجان الحكم
ويكافئها الأستاذ «مارسيل كوهن» (Eassai Comp. ...) . بالعربية «حق» legalite (= شرعية) باعتبار
الحكم حقاً شرعياً لا تنازل عنه، مما يشبه القول بـ «الحق الألهي» الذي عرف في أوروبا في العصور
القريبة نسبياً، ويماثل اللقب الذي عرف به «سرقن»⁽³⁾ البابلي في القديم . ومنذ فجر التاريخ كان
«الحاكم» و«الحق» شيئاً واحداً - ولعله لا يزال !

أما الثانية hak فإن «وادل»⁽⁴⁾ يعلّق بأن «يوسفوس» يتلاعب بكلمة «ح أ ق» h a q المصرية
التي تعني : «يقبض على، يأسر/أسر»⁽⁵⁾ . وعربية هذه الكلمة إما «حلق» (= أحاط - واللام لا
توجد في الهيروغليفية) أو «حوق»، «حقيق» بمعنى : أحاط، حوط - كذلك . وهذا هو معنى
«الأسر» أصلاً حين يحاط بالمأسور، أو حين يكتف مثلاً .

بيد أن الباحثين في جملتهم تقبلوا فكرة أن «ح ق» المصرية تعني : حكم، حاكم (الحق) وهو
المقطع الأول من «هكسوس» كما وردت إلينا عن طريق اليونانية (hyk) ؛ إذ كانوا هم الحكام ولم
يكونوا الأسرى .

هذا عن المقطع الأول أما المقطع الثاني فقد جاءنا في صورة Sôs ، وهي - كما يقول «مانيثون»
- تعني «راع» أو «رعاة» في المصرية . ويعلق «وادل» (المصدر السابق) بأن هذا صحيح ؛ فإن
الكلمة المصرية «ش أس و» تعني «بدو» هي التي صارت في القبطية Shôs (راع) . بيد أن المعنى
الأصلي للكلمة كان فيما يبدو المشي مطلقاً كما نرى في معجم «بدج» (ص 727 - 728) . وتفيد
الكلمة ومشتقاتها : المشي، السعي، السفر، ومنها «ش أس و» = البدو الرُّحَّل (من : رَحَلَ) أي
غير المستقرين في مكان .

الأستاذ «أمبير» (Ember ; Egypto-Semito Studies, H.) يقابل الكلمة المصرية Sōsawa
بالاثيوبية (= أسرع في المشي، هرول) وبالعبرية Sis (= حصان، خطاف) لشهرة هذين الحيوانين

(3) اللقب مكون من كلمتين : «سر» ملك . العربية : سريّ = شريف، رفيع + قن = شرعي . العربية : قانوني .
أي : الملك الشرعي، الحاكم الحقيقي . في اللهجة : الحقاني (قارن تسمية وزارة العدل مصر سابقاً : وزارة الحقانية
= العدل، الحق) .

(4) Waddell ; Manetho..., p. 85

(5) معجم «بدج» (ص 464)

بالسرعة⁽⁶⁾. ومن الواضح تعاقب الشين المعجمة والسين المهملة وسقوط الهمزة من المصرية «ش أس» في المصرية ذاتها؛ إذ نقرأ في معجمها كلمة «س س م» ssm (= زوج من الخيل) وهي أصلاً صيغة جمع عروبية بالميم أخذت باعتبارها مفردة فكانت منها في المصرية «س س م ت» ssmt بمعنى «فرس» (معجم بدج ص 696).

ولم تنته الرحلة بعد؛ فإن الجذر الثنائي «س س» أدى في العربية إلى الثلاثي «سوس» من ناحية ومنه: سياسة الدواب (ساس، يسوس) أي القيام عليها، وسياسة الناس، أي ترويضهم (أو تسييرهم)، والسياسة: فعل السائس (في لغتنا الحديثة انبثقت منها: السياسي، على النسبة، ولم تكن معروفة في القديم) ثم الثلاثي «سيس» من ناحية أخرى وفي هذه المادة ورد في (اللسان):

«يقال: هؤلاء بنو ساسان للسؤال»

أي للمتسولين أو «الشحاذين»⁽⁷⁾. فمن أين جاء هذا التعبير؟

الجواب يكمن في أن «السؤال» ليسوا إلا سعاةً من باب إلى باب، فهم «رُحَل» أصلاً لا يستقرون. وهذا ما يعود بنا ثانية إلى الكلمة المصرية «س س» في المقطع الثاني من «هكسوس» في معناها الأصلي وما تطور إليه بعد ذلك من معانٍ تبعد عن الأصل.

الطريف أن هذه الكلمة الرحالة في جذرها «س س» موجودة حتى اليوم في اللهجة الليبية المعاصرة: «ساساي» = سائل، شحاذ، وتجمع على «سواسي» وتفعّل: «يساسي»، والاسم/المصدر: «ساساة». بل هي انتقلت إلى اللغة المالطية فكانت فيها «سيسيا» Sisiya = سؤال، طلب، تسؤل.

(6) في الحكايات الشعبية الليبية، وفي تونس، يسمى الخطاف: «أم سيسي»، وهي تسمية متداولة في الداريجة. وفي لغة الطفولة يدعى الحصان: «صص». وفي اللهجة المعاصرة المصرية يدعى الحصان الصغير: «سيسي». وفي مادة «سيس» صلة بالدواب، والخيول خاصة، ومنها: السائس = راعي الخيول ومروضها. دخلت الأنكليزية (عن طريق الهندية - كما يقول «معجم أكسفورد» الاشتقاقي) في صورة: Syce, Sice.

(7) يعرفون أيضاً بـ «المكدين» و«بني ساسان». تردد ذكر «بني ساسان» بمعنى المتسولين في (المقامة الحلوانية) للحريري وفي (المقامة الساسانية) لبديع الزمان الهمداني. وقد ناقش الكثيرون منشأ كلمة «ساسان» وذهبوا في ذلك مذاهب شتى، فمنهم من جعلهم من الغجر (الزط، أو النور) ينتمون إلى طبقة «السوادس» الهندية الوضيعة، ومنهم من جعلهم ينتمون إلى الدولة «الساسانية» الفارسية بعد أن سحقها الاسلام، فانقلب لقب الشرق والعز إلى معنى التحقير، وبين القائلين بهذا الشيخ محمد عبده في شرحه لمقامات بديع الزمان. كما عالج المسألة الدكتور طه الحاجري في تعليقه على كتاب (البخلاء) للجاحظ. وقد انبه الدكتور جميل سلطان في كتابه (فن القصة والمقامة) إلى أن النون في «ساسان» زائدة، ولعلها في الأصل نون تنوين، غير أنه ذهب إلى صلة «بني ساسا» بطائفة «السوادس» الهندية (الزطية/العجرية). (أنظر التفصيل في مقدمة فاروق سعد لمقامات بديع الزمان الهمداني. دار الآفاق الجديدة، بيروت 1982 م. ص 18 - 20). لكن أحداً، فيما يبدو، لم ينتبه لعلاقة «الهكسوس»، والمقطع الثاني بالذات من الكلمة، بـ (بني ساسا) وما ناقش في هذه الصفحات.

على هذا الأساس ترجمت «هكسوس» إلى الأنكليزية King-Shepherds و : Shepherds Kings (الملوك الرعاة/ الرعاة الملوك). وقد سرت هذه الترجمة وانتشرت. وصحيح أن تطور الدلالة قد يؤدي إلى هذا المعنى. ولكننا عرفنا أن الجذر «س س» يعني في اللغات العروبية، ومنها المصرية، «الحصان». ومن المسلم به تاريخياً أن وادي النيل لم يعرف أهله استخدام الحصان قبل هجرة «الهكسوس» إليها، إذ هم الذين جاءوا به، كما جاءوا باستخدام عربات القتال في الحرب وهو سبب انتصارهم في معاركهم ضد أهل البلاد القارين⁽⁸⁾. ومن هنا نرى أن معنى اسمهم ينبغي أن يكون : «ملوك الخيل» بدلاً من «الملوك الرعاة»، أو هم : «أصحاب الخيول»، أو «أهل الخيل»⁽⁹⁾.

* * *

يتحدث ابن خلدون في تاريخه (العبر) عن قبائل (البربر) وأنسابها حديثاً مشوشاً بنقول متناقضة صارخة التناقض. ومن نافلة القول أن عبقرية ابن خلدون التي تجلت في «المقدمة» تبدو في «تاريخه» وكأنها مسحت تماماً؛ إذ تكاد تنعدم لديه روح النقد والتمحيص، فإذا نقد قولاً كان نقده أغرب من القول وأشنع. وعلمياً لا يمكن التعويل على ابن خلدون، وأضرابه من الاخباريين العرب، إلا فيما ندر أو ما قرب منه تاريخياً وأحداثاً.

والذي يهمننا هنا حديثه عن قبيلة «هواره»، التي تكتب أحياناً بضم الهاء وأحياناً أخرى بفتحها. وهي قبيلة مشهورة وافرة العدد ذات فروع كثيرة. فنرى ابن خلدون يجعل «هواره» هذه مرة ممن يسميهم «البرانس» من البربر، أبناء «هوار» بن «أوريغ» الذي كان أخاً لصنهاج ولط (أبوي قبيلتي صنهاجة ولطة) من ناحية الأم. ومن «هوار» هذا كانت قبائل أخرى. ويجعلها مرة أخرى من «البترا» ضمن أربعة أجدام. وينقل عن الصولي البكري القول بأن هواره ولطة ولواتة ينتسبون إلى حمير بن سبأ، كما يورد القول بأن هواره تزعم بأنها من كندة من «السكاسك».

عن أصل (البربر) يورد ابن خلدون أقوالاً كثيرة؛ فهم من أبناء إبراهيم، وأوزاع من اليمن، أو من فلسطين «فلما وصلوا مصر منعهم ملوك مصر النزول فعبروا النيل وانتشروا في البلاد». وهم من ولد النعمان بن حمير بن سبأ، ومن ولد جالوت، وأخلاق من كنعان والعماليق، وقبائل شتى من حمير ومضر والقبط والعمالقة وكنعان وقريش، تلاقوا بالشام واستجاشهم «أفريقش» لفتح أفريقية، «والحق الذي لا ينبغي التعويل على غيره في شأنهم أنهم من ولد كنعان بن حام بن نوح... وأن اسم أبيهم مازيغ... وإخوانهم بنو كسلوحيم بن مصرائيم بن حام». «وقال الصولي البكري : «إن الشيطان نزغ بين بني حام وبني سام فانجلى بنو حام إلى أهل المغرب ونسبوا». «وقال بعض أهل الآثار إن الشيطان نزغ بين بني حام وبني سام فوكت بينهم مناوشات... وخرج حام (الأصل : سام) إلى المغرب وقدم إلى مصر وتفرق بنوه ومضى على رجله حتى بلغ السوس

(8) أنظر : Rawlinson ; Ancient Egypt ; p. 132 - 146 .

(9) عودة إلى المقطع الأول «ح ق» h q (= هك - حق) ؛ إذ هي مستعملة الآن في بعض الأقطار العربية بمعنى : صاحب، مالك، ذو (= بتاع، متاع - في لهجات أخرى) = الانكليزية of (أداة الملكية). لذا تكون «ح ق. س س» (Those) of The Horses = أصحاب/ أهل/ ذوو الخيول.

الأقصى، فخرج بنوه في إثره يطلبونه، فكل طائفة من ولده بلغت موضعاً وانقطع عنهم خبره، فأقاموا بذلك الموضع وتناسلوا فيه، ووصلت إليهم طائفة، وتناسلوا هناك».

من هذا الخلط الفاجع يمكننا أن نلاحظ الصلات الوثيقة بين (البربر) - عروبي المغرب - من جهة، والكنعانيين أو العماليق، والمصريين، والفلسطينيين، واليمنيين، والشوام - عروبي المشرق - من جهة أخرى. بل نرى الصلة بين «بني سام» و«بني حام» الذين كانوا أمة واحدة حتى «فزع الشيطان بينهم» فتفرقوا. وسبب هذا الخلط، فيما نرى، يعود إلى أن ابن خلدون، ومن نقل عنهم من الاخباريين، كان يصرُّ دائماً على ارجاع نسب كل قبيلة، أو شعب، إلى جد أعلى لا بد أن يكون معروفاً اسمه ونسبه، تتفرع عنه البطون والأفخاذ حسب الأبناء وأسمائهم، ثم يتفرع هؤلاء ومن جاء بعدهم... هكذا - كالشجرة ذات الفروع، ومن هنا جاءت فكرة (شجرة النسب) المعروفة جيداً في التاريخ العربي.

هذا التقسيم النَّسبي Geneological أدى إلى ما نعرف من ارتباك في تاريخ القبائل والشعوب العروبية القديمة، وهو تقسيم مبني - للأسف الشديد - على التراث اليهودي التوراتي بما فيه من اضطراب يبدو من التقسيم الأول لأبناء آدم في «سفر التكوين»⁽¹⁰⁾ ولكن تظل - رغم كل شيء - قبسات هنا وهناك يمكن الاهتداء بها وتدعيمها على أساس من البحث التأريخي (الآثاري واللغوي) المقارن.

فلنرجع إلى «هواره».

خذ مثلاً قوله إن هواره تزعم أنها تنتمي إلى «السكاسك». فمن هم «السكاسك» هؤلاء؟

ورد في (اللسان) :

«سكسك بن أشرس، من أقيال (ملوك) اليمن. والسكاسك والسكاسكة : حي من اليمن أبوهم ذلك الرجل. والسكاسك ؛ أبو قبيلة من اليمن، وهو السكاسك بن وائلة بن حمير ابن سبأ، والنسبة إليهم، سكسكي».

وملاحظاتنا :

1) لماذا اختلفت التسمية ما بين «سكسك (بن أشرس) مرة و«سكاسك» (بن وائلة) مرة أخرى؟ الأولى مفردة والثانية جمع.

2) لا وجود تاريخياً لـ «وائلة بن حمير بن سبأ». فكلمة «سبأ» ليست اسم شخص بل هي اسم شعب. وبذا فإن التسلسل النَّسبي باطل، مثله مثل بقية الأنساب.

3) كثير من الأسماء في الأنساب موضوع ومطعون فيه، فقد كان النسابون وضاعين معروفين لعوامل كثيرة مختلفة⁽¹¹⁾.

(10) أنظر (الاصحاح الرابع) عن عقب آدم وقارنه بما ورد في (الاصحاح الخامس) من «سفر التكوين».

(11) قارن : كتاب الاكليل، للهمداني، تحقيق محمد بن علي الأكوخ، منشورات المدينة، ط 3 - بيروت 1986 م. الجزء الأول، ص 358. وفيه يتضح الخلط والارتباك في الأنساب، ومن ذلك الحديث عن سكسك، أو السكاسك، بن أشرس وغيره.

بعد هذا . ما الذي يمنع أن تكون «السكاسك» التي انتسبت إليها «هواره» هي ذاتها تحريف عربي لليونانية «هكسوس» التي كانت تحريفاً بدورها للعروبية المصرية «ح ق . س س» كما مر البيان ؟

إنها بقايا ذكريات التسمية القديمة ظلت سارية في شمال أفريقيا حتى جاء الفتح الاسلامي ، فقرن بينها وبين «سكاسك» اليمن ، مهما كانت نشأة هذه التسمية في الأسطورة والتاريخ . هل يبدو هذا القول غريباً ؟

فلنردفه بقول آخر . عن أصل تسمية «هواره» ذاتها ؛ ابن خلدون ينسبهم إلى «هوار» بن «أوريغ»⁽¹²⁾ في ذلك الخلط المشوش كما رأيت . من (البرين) البترتارة ومن البرانس تارة أخرى ، أو هم - كما يزعمون - من حمير بن سبأ . فلنعد إلى «الهكسوس» .

نتحدث المراجع عن أن «الهكسوس» استقروا المدة الطويلة من الزمان حكماً في شمال وادي النيل ، وكان سلطانهم مبسوطاً على الجنوب أيضاً نفوذاً وسيطرة . وتحدث عن مدينة شهيرة بنوها وكانت عاصمة لهم⁽¹³⁾ يكتب اسمها في المصادر بأشكال مختلفة وإن تقاربت :

في المصرية : «ح ت . وع ر ت»⁽¹⁴⁾ h t . w^c r . t
 (i m n . t . Libya Mareotis = «إ م ن ت»
 «ح ت . وع ر . إ م ن ت»⁽¹⁴⁾ h t . w^c r . i m n t

(12) في ربط ابن خلدون بين «هوار» و«أوريغ» يمكننا أن نلاحظ الصلة بين عاصمة الهكسوس «هور» hwr والعاصمة السومرية «أرك» Uruk (Ur-ki) التي تعرف في التوراة في صورة Erech وهي تعرف الآن في العراق بصورة «الورك» Warka التي سبلي الحديث عنها بعد قليل . وفي ظني أن الانساب التي يسردها ابن خلدون وغيره من الاخباريين المسلمين تحتاج إلى إعادة نظر ودراسة جديدة على ضوء الاكتشافات الأثرية واللغات العروبية القديمة ، إذ لا ريب عندي في أن كتابات هؤلاء الاخباريين ، من مثل المسعودي ورفاقه ، تحتوي على أصداء من الماضي البعيد مشوشة بحكم بعد الزمان وعدم معرفتهم باللغات القديمة ، فأنعدمت لديهم امكانية البحث المقارن والتمحيص الدقيق .

(13) لم يتحدد موقع هذه العاصمة بدقة ، وإن اتفق على أنها كانت في شرق الدلتا . وقد ربط موقعها بـ «بوابستيس» Bubastis (تل البسطة) وبـ «سائيس» Saïs (صا الحجر ، أو صان الحجر) ، أو «تانيس» Tanis (تنس) ، وأماكن أخرى . (أنظر : 80 - 81 Waddell ; Manetho , p. 80 - 81) ومن رأي «رولنسون» (Rawlinson ; Ancient Egypt , p. 138-139) أن «الهكسوس» بنوا مدناً عديدة منها العاصمة Avaris على فرع رشيد ، و«زوان» Zoan (كما ترد في التوراة) وهي «صا/صان» ، والتي هي موقع يسمى (ميت فارس) الآن عند الفيوم .

(14) لاحظ أن المصرية «ح ت» تعني : دار ، بيت ، قلعة . عربيتها : «حط > حيط/حائط» . وباعتبار (وع) ر صارت اسم علم فإن «ح ت . وع ر ت» = قلعة «المدينة» ، «ح ت . وع ر . إ م ن ت» = «قلعة مدينة [إقليم] إمنت» .

(قسم من عاصمة إقليم «إم ن ت»)
(معجم بلج، ص 1015).

في اليونانية : θεολογίας Avarin (ثيولوجياس أوارين) :
(أوارين الدينية/ المقدسة)
(تاريخ «مانيثون»، ص 80).

في الأنكليزية : تنقل عن اليونانية في شكلي : Avaris, Auaris :
(Rowlinson ; Ancient Egypt, p. 138).

اسم عاصمة «الهكسوس» هذه لا يعني شيئاً سوى : «المدينة»، أو ما يؤدي إلى معناها من الاحاطة والتسوير، أو الإقامة والاستقرار. ولنا في تاريخ تسميات المدن الكبرى أمثلة تشير إلى أن الأصل فيها هذه الدلالة⁽¹⁵⁾. لذا فإن البحث يتجه نحو مكافئ عربي للصيغ التي أوردنا ؛ فالمصرية «وع ر» w^{er} هي في الواقع «ور» wr ، فإن العين في الكتابة الهيروغليفية كثيراً ما تضاف ونجدها تسقط عند المقابلة بالعربية، أو العروبيات، أو تبدل⁽¹⁶⁾. واليونانية «أوارين» auarin و«أفاريس» avaris في الأصل - aur (أور)، ومعلوم جداً أن الهاء في العروبيات تقلب في اليونانية همزة، وفي اليونانية الحديثة حلت الهمزة محل الهاء في اليونانية القديمة حتى في الأسماء، وهو أمر معروف. فالأصل في اليونانية إذن هو «هور» = «أور». ولعل هذا هو النطق الأصلي لاسم عاصمة «الهكسوس» : «هور»⁽¹⁷⁾.

فما هو المقابل العربي ؟

إنه في مادة «ح و ر» في السبئية.

في معجم «بييلا» (J. Biella ; Dict of old south arabic, p. 170) نجد أن «ح و ر» في النصوص السبئية تفيد معنيين : (1) الذهاب (2) الاستقرار. وقد يبدو أن هاتين الدالتين متضادتان. ولكن

(15) قارن : «أوغاريت» Ugarit - عاصمة الكنعانيين = «قرت» = (ال) قرية. و«قرطاج» < «قرت - حدش» القرية (أوغاريت) الحديثة = الجديدة. «مصر» = المصورة/ المسورة. «أبيدوس» < «أ ب د» (عاصمة الجنوب في مصر) = أ ب د = مَدَن > مدينة.

(16) قارن مثلاً المصرية «ن ع ر» n^{er} (ماء) = الأكادية «نارو» nāru ، الكنعانية «ن أ ر» nar العربية : «نهر».

(17) «بروغش» وحده، فيما اطلعت عليه من مراجع أجنبية، يكتب الاسم Haur ، وإن ذهب في تحليل معناه مذهباً آخر 4-203 (History of Egypt, vol. I, p. 203-4). وقد فعل الشيء نفسه الدكتور عبد العزيز صالح (حضارة مصر القديمة، ص 39-40) الذي يكتبها «هواره» - عن الأصل القديم «حت وعرة» ويقول إنها تسمية يصعب تفسيرها فهي قد تعني : قصر الربوة، أو قصر الناحية، أو دار الساق. وهو في هذا يتبع تفسيرات العلماء الأجانب. تفسيرنا نحن أن «ح ت. و ع رت» = ht w^{er} rt (1) «ح ت» : حيط، حائط = مدينة + «وع رت» = «وه رت» مقلوب «هورت» و«رت» والتاء في آخرها للتأنيث = (مدينة هور) = هواره.

الأمر ليس كذلك ؛ فمعنى الذهاب والمضي (وأحياناً : الاياب) يأتي من «حَوْرَ» بمعنى : مشى ، سعى ، قدم⁽¹⁸⁾ .

وتقارن بالاثيوبية «حورا» hora = يذهب⁽¹⁹⁾ . والأصل : التردد⁽¹⁹⁾ ، الدوران حَوْلَ ، أي : الحيرة (حَوْرَ = حَيْرَ) . أما معنى الاستقرار فقد جاء من «حَوْرَ» أيضاً بمعنى الاحاطة والشمول ، الدوران . إذ تبنى المدينة ، أو القرية أو المستقر مهما كان ، فتحاط بسور حولها ، يحورها = يحوطها ، يحويها . وهنا تقارن «ح و ر» (= مدينة) بالعربية : «حارة»⁽²⁰⁾ = قسم من مدينة . وفي لهجة جنوب الجزيرة العربية المعاصرة : حارة = قرية⁽²¹⁾ (المصدر نفسه - مع نصوص مقارنة) .

كيف تحولت «حور» إلى «هور» ؟

الأمر لا يعدو تعاقب الحاء والهاء - وهما من مخرج صوت واحد - وكثيراً ما يتعاقبان في العربية ذاتها (قارن : مدهه = مدحه) .

كان اسم عاصمة «الهكسوس» في مصر إذن هو «هور» . وطبيعي جداً أن ينسب القوم إليها . فنحن نعرف الكثير عن هذه النسبة إلى المدن (البابليون نسبة إلى «باب - إل» = «مدينة إل» ، والأشوريون نسبة إلى مدينة «أشور» ، وقس على هذا : القرطاجيون = قرطاجة ، المصريون = مصر (المصر = المدينة) ، وعشرات الأمثلة في القديم والحديث) . فهم : الهوريون : الهوارة⁽²²⁾ .

فما الذي جاء بهم إلى شمال افريقيا ، ليصبحوا قسماً من قبائل (البربر) يا ترى ؟

التاريخ يحكي عن ثورة الجنوب على الشمال في وادي النيل ، وزحف الجنوبيين على الشماليين أي على «الهكسوس» - تماماً كما فعل «مينا» في الألف الرابعة قبل الميلاد . وهو الزحف الذي أحيط بهالة كبيرة من التزييف والمبالغة في المصادر المصرية (إذ من طبيعة أي نظام حكم جديد أن يسعى إلى سابقه ، ليبرر سيطرته هو) وفي كتابات علماء الغرب عن تلك الفترة من تاريخ الوادي ، لأهداف لا تخفى عن الناظر المتفحص . كانت الثورة ، أو الزحف الجنوبي ، بقيادة «أحمس» كما هو معروف وهو الذي صار بطلاً قومياً بعد ذلك . وقد سقطت «هور» العاصمة «الهكسوسية» وسقط تبعاً لذلك نظام حكمهم . وقيل لنا إنهم «طردوا» من مصر وأعيدوا أدرجهم من حيث أتوا . . جميعاً ، بدون استثناء ، فرداً فرداً ، كل «هكسوسي» وكل «هكسوسية» عن بكرة أبيهم ، نحو الشرق .

(18) قارن القرآن الكريم : «إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ» الانشقاق : 14 أي لن يعود .

(19) في اللهجة الليبية المعاصرة : دَهَبَ = ضَلَّ ، احتار . «اندهبت شيرته» = حار في أمره = ضلت مشورته .

(20) مادة «حور/حير» أدت إلى تسميات مدن أخرى في الوطن العربي من مثل : «الحيرة» (عاصمة المناذرة) و«حوران» في بلاد الشام .

(21) كذلك بمصراته في (ليبيا) منطقة الزروق ، هناك قرية كانت تسمى «الحويرة» .

(22) بوزن فعالة . قارن : خرازة = خرازون ، فحامة = فحامون ، بحارة = بحارون ، خيالة = خيالون ، نظارة : نظارون .

هل هذا معقول ؟

يذكر «مانيثون» في تاريخه (ص 83) أن حامية «هور» وحدها كانت تتكون من 240.000 (مائتين وأربعين ألف) جندي مدجج بالسلاح، فكم كان يبلغ عدد «الهكسوس» إذن، وقد كانوا يحكمون الدلتا كلها بأقاليمها حكماً مباشراً ويسيطون نفوذهم العسكري والسياسي والاقتصادي على الصعيد ؟

وتقول بعض المصادر إن حكم «الهكسوس» استمر خمسمائة عام، وفي مصادر أخرى مائتي عام. فلنأخذ بالمتوسط. . ثلاثمائة عام. فكم تراهم تناموا في تلك الفترة ؟ وهل من المعقول أنهم لم يندمجوا بعناصر السكان في الوادي ؟

ثم لماذا يعودون إلى المشرق وحده، وهو الذي جاءوا منه ؟ أليس من المعقول أن ينتشروا، بعد انتهاء حكمهم شرقاً وغرباً، أعنى أن يسيحوا في الأرض ؟

وقد قرأنا عن ابن خلدون بقيةً من فكرة تقول إن «حام خرج إلى المغرب وقدم إلى مصر وتفرق بنوه ومضى على وجهه حتى بلغ السوس الأقصى، فخرج بنوه في إثره يطلبونه، فكل طائفة من ولده بلغت موضعاً وانقطع عنهم خبره أقاموا بذلك الموضع وتناسلوا فيه ووصلت إليهم طائفة وتناسلوا هناك». أوقوله عن مجيء (البربر) من فلسطين : «فلما وصلوا مصر منعهم ملوك مصر من النزول، فعبروا النيل، وانتشروا في البلاد».

ضع كلمة «الهكسوس» بدلاً من «حام» (ولا تنس أن الهكسوس قيل إنهم من الكنعانيين حسب بعض المصادر، وأن الكنعانيين في التوراة من ولد حام) أو بدلاً من (البربر) الذين قدموا من فلسطين تجد الصورة منطبقة. ولن نناقش التفاصيل، وإنما المهم أنه كانت هجرة من المشرق، عبر مصر، إلى المغرب. . وهي واحدة من هجرات كثيرة متواصلة متبادلة بين المشرق والمغرب، في أية صورة كانت هذه الهجرة.

فلنقل بعد هذا إن «الهكسوس» (أهل مدينة «هور» = «هوار» = «هواره») غادروا - أو على وجه الدقة : غادر بعضهم - العاصمة التي سقطت، فممنهم من غرب ومنهم من شرق، ومنهم من صار جزءاً من سكان مصر واندمجوا في تلك البوتقة العظيمة الصاهرة، فالذين غربوا كانوا قبيلة هواره (البربرية)، ولا نستبعد هنا العودة إلى نشأة الإسم الأولى (هور = حور)، فكانوا «هواره» بمعنى «الرُّحل»، البدو، الساعين أبدأ، يجورون هنا وهناك .

أما الذين شرقوا فقد كان لهم حديث آخر يهمننا منه رواية «يوسفوس» عن «مانيثون» أن حوالي ربع مليون من «الهكسوس» غادروا مصر شرقاً، بعد معاهدة صلح مع «أحمس» ومضوا إلى بلاد الشام، وهناك «بنوا في الأرض التي تدعى اليوم «يهودا» Judaea مدينة على قدر من الضخامة تتسع معه لتلك الآلاف من الناس، وأطلقوا عليها اسم (أورشليم) Jerusalem»⁽²³⁾.

(23) تاريخ «مانيثون»، ص 89.

أما معنى التسمية فهو، باتفاق، «مدينة السلام». وكلمة «سلام / سَلْم» العربية كلمة عروبية قديمة جداً، وجدت في نقوش «رأس شمرا» الكنعانية «ش ل م» š l m واستعملها الفرعون «مرنبتاح» أواخر القرن الثالث عشر في لوحة انتصاراته على (الغزو الليبي الأول) «ش ر م» š r m (ر = ل. معجم بذج، ص 727) وفي البابلية تدخل في اسم «شلمنصر» «شلم + نصر»؛ كما تدخل في اسم «شلمن» = «سلمن» = «سليمان». وهي المقطع الأول من اسم المدينة المقدسة.

ويلفت النظر فعلاً أن يبني «الهكسوس» الذين وصموا بكل نقيصة، فهم القتل وسفاكو الدماء والمخربون وذابحو الأطفال والنساء، أن يبني هؤلاء «المجرمون» مدينة جديدة في «منفاهم» فيسمونها (مدينة السلام). وحتى لو قيل لنا إن «سلم / ش ل م» إسم إله معبود لديهم فما من شك في أن التسمية تدل على السلامة والأمن والطمأنينة تنطبق على معبود رحيم طيب، يخالف كل المخالفة معبود اليهود «يهوه» من بعد، بكل فظاعته وفظائحه الدموية.

شيد «الهكسوس» مدينة السلام. «أورشليم»، وقد تبين المقطع الثاني من الاسم المركب. ويبقى المقطع الأول: «أور» أو «أر» ur، ومعناه - كما قلنا: «مدينة». وهو ورد في النص اليوناني IEpo وينقل إلى اللغات الأوروبية Jeru (حرف زينطق أحياناً ياء، قارن heleluja = هللوبا). والعجيب أن الأستاذ «وادل» Waddell مترجم روايات تاريخ «مانيثون» (ص 88-89) يورد أسماء مدن فيها هذا المقطع من مثل Jeru-ba^aal (مدينة بعل)، Jeru-é^al (مدينة إل)، Jaru-wataš (مدينة وتش)، ويقول إنه «غير (سامي)» (!)

أنظر إلى اليونانية IEpo (hero) تجد الحرف الأول منها مبدلاً من الهاء - كالعادة - في (هيرو) والهاء مبدلة من الحاء في «حير» التي تعادل بالضبط «حور» (السبئية «ح و ر») ومن الأولى «الحيرة» ومن الثانية «حوران» - على سبيل المثال، وكلاهما = قرية / مدينة / بلد.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإننا نجد كلمة «أر» ur بمعنى «مدينة» في النقوش الأكادية بالقلم المساري (Ur (> ur) وهي صارت بالتميم (كما في السبئية = في العربية: التنوين): Urim، في حالي الرفع والجر (فالأكادية لغة مُعَرَّبَةٌ - أي تظهر الحركات في أواخر كلماتها كالعربية)⁽²⁴⁾.

ولعل هذه الكلمة ذاتها كانت في العربية مُمَيِّمَةٌ: «إرم»⁽²⁵⁾. ويقرر الأستاذ «ألبرايت»

(24) أنظر في ذلك: رمضان عبد التواب: فصول في فقه اللغة العربية، ص 369 - 395.

(25) وهي التي ورد ذكرها في القرآن الكريم «لم تر كيف فعل ربك بعاد. إرم ذات العماد. التي لم يخلق مثلها في البلاد. وثمود الذين جابوا الصخر بالواد. وفرعون ذي الأوتاد» (سورة الفجر). وقد نسبت «إرم» إلى عاد، وهذا لا يمنع أن تكون نفس التسمية في العراق أو غيرها من أقطار الوطن العربي؛ فإن أسماء مدن كثيرة تتردد في أقطار عديدة (حضر موت، في جنوب الجزيرة، وحضر موت (سوسة) الآن في تونس، على سبيل المثال فقط. ويذكر مؤلفا كتاب (إبلا... لغز أثاري) (Ebla, An Archaeological Enigma, p. 191) أنه عثر في آثارها على أسماء «ثمود» في صورة Sha-mutu و«عاد» Ad و«إرم» Iram مما يطابق ما في القرآن الكريم. أما كيف تتحول الكلمة مُمَيِّمَةٌ إلى اسم علم فإننا =

(The Cambridge Ancient History, vol. I, p. 149) أن تغيرات صوتية حدثت دون شك في نطق هذه الكلمة، وهي ذاتها Uruk⁽²⁶⁾ المدينة السومرية العتيقة.

وقد يقول قائل إن الكلمة سومرية الأصل، وليست عروبية، أو «غير سامية» كما قال «وادل»، وذلك باعتبار السومريين عنصراً قطن بلاد النهرين قبل وصول (الساميين). وهذا رأي شائع عند الباحثين، ومنهم العرب للأسف، تدحضه المقارنات اللغوية بين السومرية وبقية اللغات العروبية، ويدحضه قول باحث معروف هو الأستاذ «ألبرايت» في (تاريخ كمبردج القديم) إن «كثيراً من العلماء اليوم يميلون إلى القول بأن (الساميين) كانوا هناك [في العراق] في نفس الفترة المبكرة (من التاريخ) التي كان فيها السومريون، وأنهم أثروا في الأخيرين مثلما أثر الأخيرون فيهم»⁽²⁷⁾.

هكذا إذن كان الأمر؛ جاء «الهكسوس» إلى مصر في إحدى الهجرات الكبرى من المشرق، وسيطروا على الوادي قروناً، ثم انتهى ملكهم بسقوط عاصمتهم «هور»، فمضى فريق منه غرباً وكانت قبيلة «هواره»، وعاد فريق آخر إلى الشرق، واستقر في فلسطين وبنى «مدينة السلام» (أور - شليم)، كما يعترف «يوسفوس» المؤرخ اليهودي ذاته، ولعلها كانت تنطق «هور» وأبدلت الهاء همزة، كما تعاقبت مع الحاء في «حور». فهي مدينة عربية منذ فجر التاريخ وقبل أن يظهر العبرانيون على مسرح التاريخ بمئات السنين. وعندما جاء هؤلاء إلى فلسطين غزاة وجدوا «مدينة السلام» قائمة مزدهرة، مدينة مقدسة، وقد صار اسم أهلها «الكنعانيين» (تذكر: في بعض الأقوال إن «الهكسوس» أصلاً كنعانيون) وأسماهم العبرانيون: «العناقيم»، أي: العماليق، «الجبارين» بلغة القرآن الكريم⁽²⁸⁾.

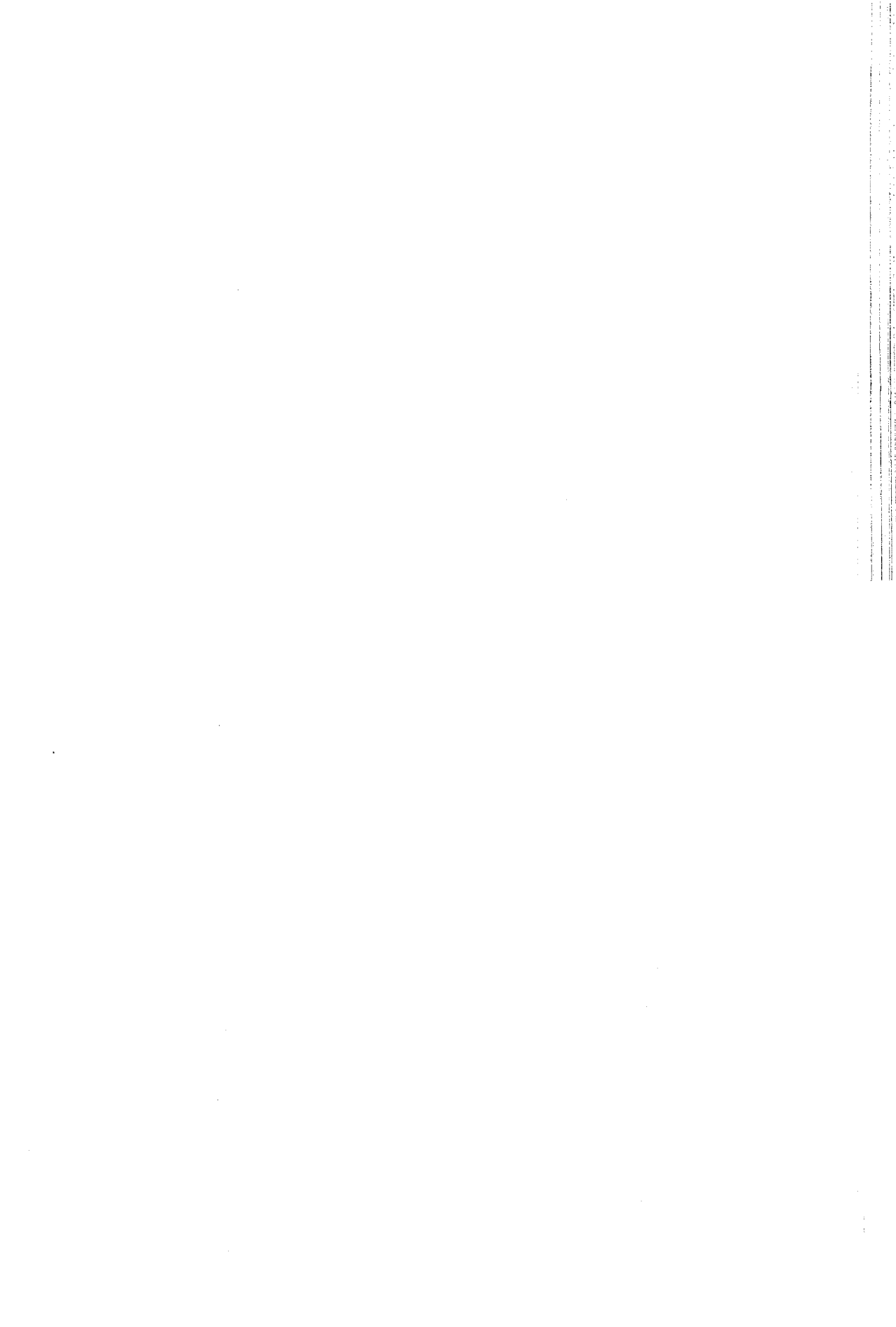


= نضرب مثلاً من اللهجة الليبية المعاصرة، إذ نجد فيها كلمة «بنيمة» بمعنى «حجر» وتجمع على «بنيمات» (أحجار) واسم الجنس منها «بنيم»، ولا جدال في أن هذه الأخيرة صيغة جمع بالميم لـ «بن» = حجر، في اللغات العروبية، ومنها: بني، بيني، بناء. «بن» > «بنيم» تماثل تماماً «ار» > «أريم» ثم سهلت إلى «إرم» بكسر الهمزة في أوطا.

(26) هي ذاتها في التوراة Erech، وتنطق اليوم على السنة عرب العراق «وركاء» (Warka (Kramer; The Sumerians, p. 27) وقد تكون «أرك» ذات صلة بتسمية «العراق». ونلاحظ أن الأصل هو Ur أما المقطع الثاني UK فهو متطور عن المحلّد KI في السومرية التي تعني: بلاد، أرض. (قارن العربية: قيا = أرض) وتأتي آخر الكلمة Uruk > Uru-ki (= حرفياً: بلاد أور. أرض أور).

(27) The Cambridge Ancient History, Vol. I, p. 147

(28) «قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبّارين» (المائدة، 24). كان ذلك قول بني إسرائيل لنبيهم عندما طلب منهم القتال ولم يدخلوها في عهد موسى، حتى جاء داود ودخلها غازياً كما هو معروف.



بحثاً عن فرعون العربي*

قامت الحضارة المصرية القديمة على دعامتين كبيرتين في أساسها الثقافي المدني : الدين - باعتباره محور حياة المصريين، في الدنيا والآخرة، ومحرك عواطفهم، والباعث على تسطير أفكارهم ودعواتهم وصلواتهم للأرباب على جدر المعابد وورق البردي، مما كوّن تراث مصر اللغوي والثقافي كله. ثم : الملِك - باعتباره مركز الاهتمام والحركة السياسية والادارية والاجتماعية، حتى صار هو المعبود، له تبنى الاهرامات وتسجد الرعية ويسبح باسمه صباح مساء.

هكذا قامت حضارة مصر القديمة . ومع هذا، وهنا موطن العجب، تخلو اللغة المصرية تماما من الكلمتين الأساسيتين المهمتين : «الدين» و«الملِك». والمقصود بتعبير «الدين» هنا ذلك النظام الخاص المركب من معتقدات وطقوس تحدد معالم سلوك الفرد فيما يتعلق بالدنيا والآخرة مما يقابل كلمة Religion مثلما هو الحال بالنسبة لليهودية والنصرانية والاسلام أو حتى البوذية، ذلك لأن مدلول مثل هذا النظام كان بعيدا عن ذهن المصري القديم . صحيح أنه كانت لديه تصورات عن نمط من الشعائر، مثل الصلاة وتقديم القرابين، وأفكار خلقية كالتواضع وفعل الخير، مما نجده في اللغة المصرية وخاصة في المرحلة المتأخرة، كما كانت لديه تصورات معينة عن الآلهة والكون والخلق والبعث وغيرها مما يدخل في صميم الديانة، لكن هذا وحده لا يكون نظاما دينيا. مركبا شاملا بحال⁽¹⁾.

والملاحظة المهمة هنا أن كل ما يتعلّق بحياة المصري القديم الدينية، تجاوزا، من معتقد وعبادات كان منبثقا عن موقفه من فرد واحد، هو (الفرعون) ؛ فهو ابن الآله، أو الآلهة، بل هو الآله المعبود ذاته . وكلمته هي العليا وهي القانون . وهذا ما يفسر خلو التراث المصري من تشريع ثابت أو قوانين متفق عليها يسير على هديها المجتمع ويطبق نصوصها القضاة، كما هو الحال مثلا في

* كانت هذه المقالة عنواناً لمجموعة مقالات أخرى نشرت معها، ورأينا إثباتها هنا لصلتها بنا نحن فيه .

(1) Hall and Simpson ; The Ancient Near East, p. 216-17 .

ويقول ج . شيرني J. Cerney في كتابه Ancient Egyptian Religion (ص 57) :

«إن أي عمل من أعمال الدين من وجهة نظر المصريين القدماء هو في تصوّره شأن من شؤون السحر . وحقوقي أن اللغة المصرية افتقرت إلى كلمة تعبر عن (الدين) . وأقرب كلمة تعبر عنه هي كلمة (هيكلي Nike) التي تعني (السحر)» .

وكان الموقف غربياً حتى في علاقة الفرد بالآلهة ، إذ لم تكن ثمة علاقة مباشرة أبداً بين البشر والأرباب ، بل لا بد من وسيط هو الفرعون ذاته الذي تحبه الآلهة ، وقد تحب البشر بشكل ما ، أما أن يحب البشر الأرباب فهذا ذاته ما لا يجوز⁽³⁾ . ومن هنا كان «الدين» شيئاً بعيداً عن ذهن المصري ، وكانت عبادته للأرباب ، متميزة أو متمثلة في الفرعون ، مجرد طقوس تؤدي بطريقة آلية واجبة التطبيق دون إحساس شخصي بوجود الألوهية المباشرة . وهذا ما جعل من حق الفرعون أن يقول «أنا ربكم الأعلى»⁽⁴⁾ بالمعنيين : الربوبية الدينية والربوبية الدنيوية . أي الحاكم المطلق غير المنازع .

في الفرعون إذن نجد امتزاج الدين والدنيا وتداخل فكرة «الدين» وفكرة «الملك» المطلق ، فهو الفرد الممثل لكليهما معا . ويانتفاء مفهوم الدين كنظام معين انعدم اللفظ المعبر عنه في اللغة ووجدت ألفاظ تعبر عن الأفكار والشعائر والتصورات الدينية دون النظام ذاته . وتداخل مفهوم «الملكية» مع الألوهية في شخص الفرعون لم تكن صورة «الملك» كما عرفت الحضارات القديمة الأخرى ، أو كما نفهمها نحن الآن ، واضحة في ذهن المصري فانتفت هي الأخرى من قاموس اللغة وحل محلها تعبيرات مختلفة استعملت للإشارة إلى هذا الملك - الإله عند الحاجة .

هذا القول يؤيده ما سوف نراه من أن اللغة المصرية تحتوي على عدد وفير من الكلمات العربية الدالة على الحكم والولاية لكنها لا تشمل الجذر «م ل ك» الذي استعمله العرب الكنعانيون مثلاً بكثرة وعرب فلسطين قبل الغزو العبري ، بل استعملته حتى القبائل العربية الصغيرة في الحجاز⁽⁵⁾ .

فما هي الألقاب التي استعملها المصريون للإشارة إلى الملك ؟ وما علاقتها باللغة العربية ؟
أما الألقاب فسوف نتعرض لها ، بعد قليل ، بالسرود والعروض والتحليل ، وأما علاقتها باللغة العربية فهو ما سيبدو بوضوح كامل من خلال هذا العرض والتحليل . وقد أصبح من نافلة القول

(2) : Speiser ; Oriental and Biblical Studies, p. 548.

«كان الفرعون ، باعتباره إلهاً ، هو الدولة . . . ومن الضروري لأية دولة أن يكون لها قواعد وتنظيماتها للإجراءات الإدارية ، ولكن من الواضح أنه لم يكن في مصر تشريعات مقننة متفق عليها وإليها يرجع الإداريون والقضاة دون اعتبار للتاج . وكان العرف أن كلمة الفرعون هي القانون . . . وقد منع تركيز الدولة في شخص الفرعون وجود أي قانون عام ، فإن أي تشريع مقنن كان سيضطدم حتماً بسلطة الفرعون الشخصية» . قارن : J.A. Wilson ; The Burden of Egypt, p. 49-50 . وانظر أيضاً : The An. N. East, p. 217 .

(3) Hall and Simpson ; The Anc. Near East, p. 202

(4) قرآن كريم : سورة : النازعات آية : 24 .

(5) شيخ قبيلة بني عيس المشهورة في ملحمة عنترة بن شداد العبيسي كان يسمّى «الملك» زهير على الرغم من أن عيسا كانت مجرد قبيلة صغيرة من قبائل العرب ولم تكن «دولة» بالمعنى المفهوم من اللفظ . وثبت النقش المشهور على قبر امرئ القيس بأنه كان يدعى «ملك» .

الآن الحديث عن اللغة المصرية باعتبارها أختا شقيقة للعربية، تماما كما هو الحال بالنسبة للبابلية والكنعانية والليبية وغيرها. وكان الباحثون لفترة طويلة من الزمن يقسمون لغات الوطن العربي إلى قسمين : سامية، وتشمل لغات الجزيرة العربية، وحامية وهي اللغات في مصر وشمال افريقيا. وكتبت آلاف الدراسات والبحوث على هذا الأساس. وكان الباعث على هذا الاتجاه خطأ تاريخي يكمن في الاعتماد على تقسيم التوراة للأمم والشعوب من جهة، ومخطط سياسي ينبع من الرغبة الملحة في تقسيم شعوب الوطن العربي عن طريق تجزئة تراثه الثقافي والحضاري القديم ومقومه الأول - اللغة، ولكن الكثيرين الآن يرجعون إلى التسليم بوجود «قاسم مشترك» لا ينكر بين لغات هذا الوطن القديمة، أسماها بعضهم «اللغة الأم»، أو السامية - الحامية ترحا من تسميتها «اللغة العربية الأولى» باعتبار العروبة في عصرنا الحاضر ذات مدلول سياسي وقومي قائم بذاته. ولكننا نحن، بالطبع لا نجد هذا الحرج. ولذا فإن من الممكن تسمية مجموعة اللغات المعروفة باسم السامية - الحامية اللغة «العروبية» تمييزا لها عن «العربية» ومحاذاة للغة «المصرية» و«الكنعانية» و«الليبية» و«السبائية» وغيرها من «ثمودية» و«آشورية» و«بابلية» و«آرامية» الخ. هي كلها تنبثق من مصدر واحد وترجع إلى أصل موحد أول، تفرعت بحكم التطور الطبيعي ونمت حتى بدا أنها مختلفة وهي في حقيقتها الأولى واحدة دون ريب⁽⁶⁾.

هذا المنطلق هو الذي يقودنا إلى استعراض الألقاب الملكية في مصر القديمة على ضوء وحدة الأصل اللغوي المشتق منه اللقب، ومقارنته بالألقاب التي استخدمت في مختلف مناطق الوطن العربي قديما. استنادا إلى أقوال الباحثين الغربيين أنفسهم وشرحهم لمعاني هذه الألقاب في دراساتهم وبحوثهم. ومنها نرى أنها جميعا عربية قحة، وأن أشهرها - فرعون - الذي تعزى إلى اسمه «الفرعونية» بمعناها الاقليمي المنغلق الضيق هو في حقيقته لقب عربي صميم، بشاهد اللغة ودليل التاريخ، ويبقى أمامنا القول بأن هذه «الفرعونية» المفهومة خطأ في الأذهان لا تخرج عن كونها صورة من صور «العروبية» شاء المخطئون فيها أم أبوا!

فلنعد الآن إلى هذه الألقاب الملكية المصرية القديمة، ولننظر في أمرها من حيث انطلقنا، ولنحصرها في خمسة هي بالتحديد :

(1) «ن ب»، (2) «ن س و»، (3) «ب ت»، (4) «ح ك»، (5) «ف ر ع أ».

ثم لنأخذ القاريء إليها واحدة تلو الأخرى.

(6) لم أكن، شخصياً، مقتنعا بالتعبير عن مجموعة لغات الوطن العربي في شرقه بأنها لغات «سامية» وفي غربه بأنها لغات «حامية» وحتى بعد تسليم الكثير من الباحثين الغربيين بوحدة هذين (الفرعين) ونشأتها من لغة أم واحدة لم أجد التعبير عنها بأنها «السامية/الحامية» مرضيا. ويجب الإشارة هنا إلى فضل الأستاذ خليفة التونسي الذي عالج المسألة في مقالة نشرت له بمجلة (العربي) واقترح لفظا يدلّ تماما على الغرض وهو لفظ «العروبية» بدلا من «السامية» أو حتى «السامية/الحامية». وبدا تندرج جميع لغات الوطن العربي القديمة وقسم من لغات افريقيا تحت هذا اللفظ، دون احساس بالتقسيم الغامض المعروف من قبل. وهنا أحب توجيه الشكر للأستاذ التونسي على تقديمه هذا المصطلح الموفق الذي نرجو أن ينتشر ويذيع.

1. ن ب (n b) :

ترجم عادة بأنها : مولى - سيد - (lord, master) أو ببساطة : المولى (الملك)⁽⁷⁾. وهذا ما يجعلها تساوي بالضبط كلمة «رب» العربية. ومن المعروف أن حرفي النون والراء يتبادلان في اللغات العروبية الأولى. فنجد في الأكادية والبابلية والسبائية القديمة كلمة «ب ر» بمعنى «بن» أو ابن الصلب، أو الولد من الصلب. وكلمة «نب» أو «نبو» نفسها معروفة جدا في البابلية بمعنى «رب» ونجدها في عدد من الأسماء مثل : «نب - عقب»، «نب - خذ - نصر» (نبو خذ نصر = نبختنصر). وتدخّل في جمل وأسماء كثيرة باعتبارها «الرب» تماما كما يدخل اسم «بعل» عند الكنعانيين و«رع» أو «أمون» عند المصريين. فنقرأ :

نبو حن (الرب حنون)، نبو رعي (الرب راع)، نبو شمع (الرب سميع)، نبو رف (الرب مرفه = منعم)، نبو شرع (الرب صارع = غالب)⁽⁸⁾.

كلمة «نب» المصرية إذن تعني «الرب». ومن هنا نجد تعبيرا مصرية معروفا من مثل : «ن ب وى». وهو مثنى «ن ب» ومعناه : السيدان : أي الآلهان : حورس وشيت. ومقابله العربي : الربان. ونجد تعبيرا آخر هو : «ن پ ت . پ ر» ومعناه الحرفي : ربة البيت (mis-tress of the house). (ولاحظ تاء التأنيث «نبت» وهي كالعربية تماما. وانظر كلمة «پ ر» في تحليل اسم فرعون)*.

2. ن س و (n s w) :

استعملت هذه الكلمة للدلالة على «ملك مصر العليا» أو الصعيد، أو ما يعرف أحيانا باسم «الوجه القبلي» باعتبار مصر مكونة منذ القديم من اقليمين أو قطرين هما الصعيد و«الوجه البحري» أو «الدلتا» - تفصل بينهما ممفيس⁽⁹⁾ أو القاهرة الآن.

في النقوش البابلية يقابلنا كثيرا اللقب «ناشيء» أي : الحاكم أو ذو المنصب.

وفي النقوش السبائية (محر بلقيس) نجد «نشأ - كرب (قرب)» باعتباره قائدا عسكريا، أو ملكا⁽¹⁰⁾.

(*) يرجع الجذران «ربا» و«نبا» إلى معنى واحد : ارتفع.

قارن : ربوة = نبوة = مرتفع. وفي مادة (نيب) : التاب = السيد.

(7) Gardiner; Egyptian Grammar, p. 573

(8) Run Zadok; On West Semites In Babylonia, p. 7 J.B. Pritchard; Ancient Near Eastern Texts, Princeton, 1950.

(9) Eg. Grammar, p. 575.

(10) Jamme; Sabaeen Inscriptions, p. 145

وفي النقوش المصرية نجده مقطعا من أسماء عديدة : «نب - نس ، نس - أمون ، نس - حر ، نس - فتاح ، نس - مت ، نس - خنسو» . . إلى آخره . . مقرونا باسم رب من الأرباب في العادة كما هو واضح⁽¹¹⁾ . فما معنى هذا اللقب وما هو جذره اللغوي ؟ في الأكادية تعني كلمة : «ن اش و» našu : يرفع - يعلي - يقبض على الملك (يصير ملكا) . (Reimschneider ; An Akk. Gram.To Seize, hold of Kingship) .

في الكنعانية الأولى (نقوش رأس شمرة) نجد «نشأ» بمعنى : يرفع ، يعلي⁽¹²⁾ . وفي نقوش جنوب الجزيرة (محرم بلقيس) معناها : قائد - رفيع المكانة . وفي العبرية : «ناشيء» تعني : المرفع . وفي البابلية كذلك - والمقابل الانجليزي عند الباحثين لا يخرج عن : raise, lift, lift up.⁽¹³⁾ .

فإذا التفتنا إلى العربية رأينا الجذر «ن ش أ» = ربا، شب، ارتفع . ومنها : أنشأ، أي رفع (البناء - أو : أنشأ يقول = رفع صوته يقول) . ومنها : «الجواري المنشآت في البحر كالأعلام» . وفسرت «المنشآت» بأنها «المرفوعة القلوع» .

والخلاصة أن الجذر «ن ش أ» عرف في جميع اللغات العروبية بمعنى : رفع ، رفيع ، مرفع . . إلى آخر الاشتقاقات . وقد رأينا أن «نشأ» استعمل في شمال الجزيرة (بابل) وجنوبها (سبأ) بمعنى الحاكم أو الأمير أو الملك . وهذا بالضبط هو معناه في المصرية . تطابق لفظا ومدلولا .

من هذا الجذر العروبي ، وقد تحرّف في المصرية إلى «ن س»⁽¹⁴⁾ نجد كلمات في هذه اللغة من مثل : «ن س ت» . أي : كزسي المنصب (Seat of Office) وهو بالضبط : العرش (ولاحظ أن المعنى الأصلي لكلمة «العرش» العربية هو : الرفع . عرش سرير الملك - المرتفع عادة عن سواه) عرش البيت : سقفه . عرش الكرم : رفع دواليه . المصرية : «نب . نسوت . توى» = رب (ملك) عرش القطرين .

«م ن س» : ينشأ . يرفع . يعلو .

ثم نجد «س . ن س و» : الأمير . ولي العهد . حرفيا : ابن الملك⁽¹⁵⁾ .

(«س» = ذو (العربية : ابن) «ن س و» = ملك . نشأ . ذو نشأ) .

وهذا هو التعبير العربي الجنوبي ، يقابل «ذونواس» بالضبط في ممالك اليمن القديمة .

(11) Kitcher ; The Third Intermediate Period

(12) معجم «غوردن» Ugaritic Handbook رقم 1376 .

(13) أنظر لمزيد من التفاصيل : «Oriental and Biblical Studies», pp. 113-122 . Speiser ; Background and Function of Biblical «Naši», in

(14) هذا هو الرسم المألوف nsw, ns . ولكن غاردنر (Eg. Grammar, p. 446) يرسمه (ن زو nzw) وأيضا (ن ش و t nšw) ومن الغني عن القول أن حروف السين والشين والزاي تتبادل في مختلف اللغات، وخاصة العروبية منها . وعلى هذا تكون «ن س و» المصرية هي «نشأ» العربية .

(15) Eg. Grammar, p. 575 .

3. ب ت (b t) :

لهذه الكلمة تاريخ طويل للغاية حللناه في مقالة خاصة به . وهي استخدمت لقباً للملك الدلتا قبل توحيد القطرين على يد «ميناء» أو آخر الألف الثالثة قبل الميلاد . ويشار بها إلى ملك الوجه البحري ، أو مصر السفلى . وحين توحد الوجهان وأدمج التاجان أدمج اللقبان ليعرف بها ملك مصر الموحد هكذا : «ن س و ب ت»⁽¹⁶⁾ .

وقد عرفنا أصل كلمة «نسو» أو «نشو» مما سبق . فما هو أصل كلمة «بت» هذه ؟

في الهيروغليفية يرمز لهذه الكلمة بصورة (نحلة) ثم نصف دائرة وتقرأ «ب ت» ويمكن أن تنطق : (بوتو، بوتو، باتي، باتو، بيتا، بوتأ) . . إلى آخر الحركات التي نريدها نظراً لأن الهيروغليفية مجرد رموز أو حروف تصويرية دون حركات . فلنا مطلق الحرية في وضع الحركات التي نراها مناسبة للمقام⁽¹⁷⁾ . وترجمت إلى اليونانية في حجر رشيد بكلمة باسيلوس basileus (ملك) ، ولكن علاقة النحلة بالمسألة ظلت غامضة تماماً⁽¹⁸⁾ بيد أن الأمر لا يخرج عن كون النحلة في هذه الكتابة الهيروغليفية هنا لا يزيد عن رمزه لحرف الباء⁽¹⁹⁾ تليه نصف الدائرة التي ترمز إلى حرف التاء . وهي هكذا قرئت منذ القديم وانتقلت إلى اليونانية كما يقول بدج⁽²⁰⁾ على شكل «بيتيس» bites بزيادة حرف السين علامة الجمع .

وليس من الضروري هنا الدخول في تفصيلات وتدقيقات لغوية مقارنة ليس هذا مجالها ، وإنما نكتفي بالإشارة إلى أن كلمة «باتوس» بالذات كانت معروفة عند الليبيين ، وقد اتخذها

(16) المصدر السابق، ص 564 ، 575 .

(17) المصدر السابق، ص 3 .

(18) المصدر السابق، ص 83 .

(19) من الطريف أن تسمى النحلة في الانجليزية «بي» Bee (الجذر اللغوي b) فكأن اللفظة انتقلت بصورتها ودلالاتها على حرف B من المصرية إلى الانجليزية وبمعناها كذلك اهل ثمة صلة لغوية بين Bee الانجليزية، مأخوذة عن (ب ت) و(ب ط) المصرية، ذات العلاقة بالجذر (ب ط ش) العربية ؟ قد يبدو هذا شيئاً بعيداً عن الذهن أو مجرد الاحتمال . ولكن دعنا ننظر في الكلمة العربية «نحلة» أو «نحل» وهي الحشرة المعروفة المنتجة للعسل .

من العجيب فعلاً أن كلمة «ن ح ل» nhil في الكنعانية الأولى (نصوص رأس شمرة Gordon, no. 1296) تعني : وريث Hier (وريث الملك . ولي العهد . نائب الملك) . والكلمة ذاتها في نقوش سبأ تعني (فائد) فقد ورد في النص رقم 665 سطر 32 : «أ ف ص ي . ن ح ل . رك ب ن .» (أفصي قائد الجبال (الركب) Sabaeen Inscriptions, p. 171) من المشهور في التراث البريطاني أن الكنعانيين عندما جاءوا إلى الجزر البريطانية أطلقوا عليها اسم «بلاد العسل Country of honey لكثرة النحل بها كثرة غير مألوفة» .

مجرد خاطر بدون تعليق !

Budge ; An Eg. Hier. Dictionary, p. 39 (20)

ارسطاطاليس قائد الاغريق منشيء قورينا عام 631 ق. م. لقباً له وسرت في عقبه، وهي كلمة ليبية، كما يؤكد هيرودوت، معناها (ملك)⁽²¹⁾. ونحن نعلم، واثقين، أن اللغتين الليبية والمصرية كانتا شقيقتين قريبتين بعضهما من بعض، وهذا ما جعل المعنى ذاته للكلمتين واحدا في البلدين. ونعلم أيضا أن سكان الوجه البحري (الدلتا) منذ عصور ما قبل التاريخ وحتى العصر الحاضر كانوا من المهاجرين الليبيين. وحين قام «مينا» في أواخر الألف الرابعة قبل الميلاد من عاصمة ملكه في الصعيد بحملته على الدلتا فإنه كان يقود حملة توحيدية للقطرين. ورغم هذا التوحيد فقد ظل الاعتراف بالأمر الواقع، أعني انشطار مصر إلى قطرين، حقيقة ماثلة في التاج الموحد المشتمل على رمزي الجنوب والشمال، وفي اللقب الثنائي : «ن س و + ب ت»⁽²²⁾.

لكن السؤال يظل : ما أصل هذه الـ (بت) ؟

وببساطة نقول : إن أصلها من (ب ط ش) العربية، بمعنى «فتك» «أخذ بالعنف»، وما إليها، ولنا في هذا شاهدان :

الأول : الاسم العربي «بطشوش» الذي تحول عند اليونان إلى «باتيس» Bates أو «بتوس» Battus ، وأصله «الباطش»، وكان اسم ملك، أو لقبه⁽²³⁾.

الثاني : أن كلمة «باطش» بمختلف التحريفات الداخلة عليها وجدت في مئات أسماء القادة والزعماء - الكهنة في مصر القديمة، مما يدل دونها شك على أنه (لقب) وليس اسم علم⁽²⁴⁾.

ونضيف إلى هذا أن حرف الطاء والتاء يتبادلان . فأصل «بت» في الواقع هو «بط». أما حرف الشين المحذوف في آخر الكلمة فهو ظاهرة معروفة جدا في اللغة المصرية بحذفها الحرف الثالث من الكلمات الثلاثية الجذر، أو ان شئنا قلب الآية قلنا ان الجذر الثلاثي متطور في حقيقته من الجذر الثنائي تطورا طبيعيا معروفا في عالم اللغة⁽²⁵⁾ ويؤيد هذا القول أننا لو أخذنا الجذر الثنائي «ب ط»

(21) راجع : تاريخ هيرودوت . الكتاب الثاني .

(22) Eg. Grammar, p. 575

(23) أنظر : جواد علي، الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج : 2 - ص 8 ، 10 .

(24) Kitchen ; The Third Intermediate Period in Egypt, p. 467

يتبادر إلى الذهن هنا التساؤل عن السر في استعمال لفظ «نشأ» في جنوب مصر (الصعيد) ولفظ (باطش) في شياها (الدلتا). ولعل السبب يرجع، فيما نرى، إلى قرب الصعيد من اليمن (سبأ وما قبلها) حيث استخدم لقب «نشأ» بكثرة، وقرب الدلتا من العرب الشماليين حيث عرف لقب «باطش».

(25) وقد أوضحت الدكتورة بربارة واترسون ظاهرة سقوط الحروف، الضعيفة خاصة، في أواخر كلمات المصرية القديمة باعتبارها أمرا مألوفا جدا . وضربت لهذا ما يحدث في اللغة الانجليزية، إذ تتحول goIng إلى goIn و getting إلى getIn (Introducing Egyptian Hieroglyphics, p. 59)

ونلاحظ في أيامنا هذه أن حرف العطف في الانجليزية and يكتب، كما ينطق، n . فنقرأ في لوحة اعلان مثلا : Fish n'chips وفي حوار بعض الروايات يتبع الكتاب نطق الشخصيات، فإذا كانت الشخصية اسكتلندية حذف حرف التاء من الكلمات، Table تتحول إلى able وكلمة ، bottle تكتب bo'lle ونقرأ 'dus بدلا من Dust الخ . . . =

وأضفنا إليه بعض الحروف لوجدنا الكلمات الناتجة تدور حول المعنى نفسه، القوة. (بطش : فتك وأخذ بالعنف. بطح : طرح أرضا وضرب. بطر : طغى وتجبّر. بطل : شجاع قوي، مقدام).

4. «ح ك»، «ح ق» (hk, hq) :

كلمتان مرتبطتان بعضهما ببعض مبنئ ومعنى، تطورتا من مصدر واحد وفكرة واحدة حتى صار لكل منهما استعمال خاص بها.

ترجم كلمة «ح ك» hk في العادة بأنها تعني «سحر» magic ومنها الصفة «ح ك ي» hky (ساحن)⁽²⁶⁾. ولكن الساحر في مصر القديمة لم يكن يعني ما نفهمه اليوم من خرق العادة والقيام بالمعجزات وإظهار الأعاجيب، بل كان يعني السيطرة على مظاهر الطبيعة وبالتالي السيطرة على مقدرات البشر، تماما مثلما كان الحال في فارس القديمة التي عرف فيها الساحر magi (في العربية : المجوس. ومنها الانجليزية magician) وكان هو «الحاكم» بالمعنى الدقيق للكلمة. ويبرهن على هذا وجود الربة المصرية المعروفة باسم (ورت. ح ك و) Great of magic (السحر العظيم أو الساحرة العظمى) وكانت تصور وعلى رأسها تاج ملكي دليلا على الملك والحكم⁽²⁷⁾.

وعلى هذا فإن الأصل العروبي للقب هو «ح ك م» ومشتقاتها : حاكم - حكم - حكومة. وينبغي ألا ننسى كلمة «حكمة» التي منها «حكيم» = فيلسوف، طبيب، كيميائي، عالم بأسرار الطبيعة وما وراء الطبيعة أيضا. وكلها تدور في هذا المجال المتصل بالحكم والحكمة. «ح ك» المصرية.

أما كلمة «ح ق» بإبدال الكاف قافا فهي تترجم في العادة إلى rule, ruler, chieftain (يحكم، قائد، حاكم) بل إلى King (ملك)⁽²⁸⁾.

ويرى (مارسيل كوهن) أن هذه الكلمة ترجع إلى الجذر العروبي «حق» - أو فكرة الحق. أو الشرعية légalité⁽²⁹⁾ التي تطورت إلى فكرة الحكم بالحق الألهي، أو هي كانت في الأساس هكذا بحكم الايمان القديم بالصلة بين الحاكم والآلهة وتمثيل الحاكم للرب على أساس «الخلاقة» في الأرض.

== ولعل اللغة الفرنسية أوضح شاهد في هذا المجال، إذ تسقط حروف عديدة في أواخر كلمات عند النطق وسوف تسقط بمرور الزمن عند كتابتها، تماما كما حدث في الانجليزية - الأمريكية التي صارت تتبع رسما يتفق مع النطق وليس مع الرسم المعهود في انجليزية الجزر البريطانية التي تختلف بدورها في الرسم عن انجليزية شكسبير وملتون.
(26) Gerny: Anc. Eg. Religion, p. 57 وانظر معجم غاردر، Eg. Grammar, مادة hks .

(27) Eg. Grammar, p. 583 .

(28) المصدر السابق .

(29) Cohen; Essai Comparatif p. 99 وترجم كوهن كلمة hk المصرية إلى «حاكم» (gouverner, dominer) .

وهذا الرأي يمكن تأييده ببعض المفردات من قاموس اللغة المصرية ذات الصلة بالموضوع .
ففي هذا القاموس نجد أن كلمة «ح ق ت»⁽³⁰⁾ تعني «سيف» ومن الواضح أن السيف، علامة القوة
والسلطة قديماً على الأقل، والحاكم متصلان لا يفترقان . ولكن هذه الكلمة ذاتها «ح ق ت» تعني
أيضاً «مقياس» أي الوزن والتقدير . وهذه متصلة بفكرة «الحق» دون شك . ولكن الأوضح من هذا
كله أن «حاكم القرية» أو «شيخ البلد» (village headman) كان يسمى في اللغة المصرية «ح ق .
ح و ت» .

5. «پ ر - ع أ» (فرعون) (pr-°a) :

هذا أهم الألقاب الملكية المصرية على الإطلاق ولذا فإن حديثنا عنه سيكون مفصلاً أكثر من
سواه لأهميته ودلالته في مجالنا الذي نحن فيه .

تعرض هذا اللقب للتطور والتبدل عبر الزمن ومرت به مراحل، أو هو مر بها، كان فيها لقباً،
واسم علم، مقروناً باسم شخص أو مفرداً . وقد تصدّى له بالتحليل عدد كبير من الباحثين الكبار،
ولا بأس هنا من ذكر ما أورده بعضهم . ويقول السير (ألن غاردنر) في مؤلفه القيم «النحو المصري»
أن الأصل المصري (پ ر - ع ا) (PR - a) استعمل في الدولة القديمة في أثناء عبارات كثيرة منها :
«س م ر . پ ر - ع» (SMR. PRA) رجل البلاط . نديم القصر . حرفياً : سمير فرعون . ومن
الواضح أن الكلمة تشير إلى القصر نفسه أو البلاط وليس لشخص الملك .

وفي نهاية الأسرة الثانية عشرة قرنت (پ ر - ع أ) بالدعاء للقصر الملكي بـ «الحياة والرغد
والعافية» وهي دعوة تقليدية للملك مصر تماماً كما هو الحال بالنسبة للقب «طويل العمر» أو دعوة «طال
عمرك» في بعض البلاد العربية اليوم . . ولكنها ظلت تعني القصر وليس شخص الملك .

وفي الأسرة التاسعة عشرة بدأنا نقرأ : «پ ر - ع أمضى» ، «پ ر - ع أقال» . . إلى آخره . ولكن
الإشارة ظلت، مع هذا، تعني القصر الملكي دون شخص الملك ذاته⁽³¹⁾ .

هذا الرأي في أصل كلمة فر - ع⁽³²⁾ أوبر : - عا (فرعون) قال به جميع الذين تعرضوا له من
علماء المصريات، وهو ما يقول به أيضاً الباحث المشهور (سير آرثر إيفانز) والعالم (ألن شورتس) .

(30) راجع مادة hk في معجم غاردنر .

ونود الإشارة هنا إلى أن عبارة (ح ق ح و ت) المصرية بمعنى (حاكم القرية) مكونة في واقعها من كلمتين
عروبيتين :

(ح ق) : حاكم

(ح و ت) : قرية (والأصل العروبي : حوط، حيط، حائط، بمعنى : بناء . تجمع على : حيطان وحيوط) . والأصل
البعيد : البناء الذي (يحيط) أو (يحيط) السكان .

(31) Eg. Grammar, p. 75

(32) يلاحظ القارئ أن حرف الباء الثلاثية النقط پ هو الذي أورده الباحثون في معاجم اللغة المصرية في مقابل الرمز
المهروغليفي □ (مربع مغلق) . وبمقارنة المفردات التي تبدأ بهذا الحرف باللغات العروبية الأخرى يتضح أنه يتبادل
مع حرف الباء الموحدة النقطة والفاء . فكلمة (پ س ق) psq مثلاً تساوي «بصق . بزق» العربية . وكلمة (پ ت =

ومعناه الحرفي : «البيت الكبير» أو «البيت المرتفع» أي «القصر» الملكي⁽³³⁾. وهو تعبير استعمل للإشارة إلى الملك دون ذكر اسمه تماما كما كان يعبر عن السلطان في تركيا الخلافة بـ «الباب العالي» - ومثلما يحدث اليوم أن نقراً : «ذكر البيت الأبيض» والمقصود الرئيس الأمريكي، أو «قال الاليزيه» أي قصر الاليزيه، والمعنى الرئيس الفرنسي، وأمثلة أخرى كثيرة من «البيوت» و«القصور» التي تذكر، وتقول، وتدعو، وتستنكر، وتؤيد، وتعارض، و«تنطق» معبرة عن مختلف المواقف كناية عن صاحب السلطة فيها.

بيد أن هذا اللقب، وقد عرفنا منشأه، تطوّر مدلوله مع الزمان. فنجد أقدم نص موثوق يشار فيه إلى الملك، دون ذكر اسمه، في عهد أخناتون في أثناء دعوة تقول : «بر - ع. وع ن خ. ود أ. سن ب. ن ب. ن ب : فرعون [له] الحياة والدعة والسلامة. الرب ا»⁽³⁴⁾.

أما أقدم مثل ذكر فيه اللقب «فرعون» مقرونا باسم الملك الشخص فقد كان في عهد أحد الشناشقة من الأسرة الثانية والعشرين أوائل الألف الأولى قبل الميلاد.

ثم تحول اللقب إلى اسم علم في مصدرين من أهم مصادر التاريخ القديم. فنجده يذكر في التوراة هكذا «فرعون ملك مصر» (سفر الخروج، اصحاح 6 - آية 17 وما بعدها). ويقدمه هيرودوت على هذا النحو : «الملك فيروس (فيرون = فرعون) بن سيزوستريس» (الكتاب الثاني - فقرة 111).⁽³⁵⁾

ويضيف غاردنر : «أن التطور النهائي لهذا اللقب كان عندما أضيف اسم معين إليه، مثلما حدث بالنسبة للفرعون خفرع المذكور في التوراة» ونحن نعرف، بالتأكيد، ان خفرع التوراة هو خفرع بن بساتييك الثاني، تولى الحكم بعد أبيه سنة 587 ق. م. وكان له دور كبير في الصراع ما بين اليهود والملك البابلي نبوخذ نصر في فلسطين وحول بيت المقدس. وهو من الأسرة السادسة والعشرين الليبية في مصر، كما كانت الأسرة الثانية والعشرين (الشناشقة) ليلية كذلك»⁽³⁶⁾.

= ح) pth تساوي «فتح» - وهكذا في عدد كبير من الألفاظ. وعلى هذا فكلمة (ب) pr تحولت في العبرية إلى «ف ر» وصارت «برعون» : «فرعون» ومنها انتقلت الى الانجليزية Pharoa عن طريق اليونانية التي تجعل حرفي ph في مقابل حرف f واحتفظت بهذا الرسم، والمفروض أن تكون Faroa. أما في اللغات العروبية، ومنها العربية فإننا نجد المقابل كلمة «ب ر» - ولا يمنع هذا من أن تكون «ف ر» أحيانا. ولهذا فإن من الجائز تحويل pr إلى «فر - ع» أو «بر - ع» على حد سواء.

(33) أنظر : Sir Arthur Evans; Scripta Minoa p. 269. Allen Shorter; Everyday life in Ancient Egypt, p. 5. وقارن : Cheyne; Encyclopaedia Biblica S. V. «Pharao». Petrie; Royal Tombs of the first Dynasty, part I, p. 36

(34) Gardiner; Eg. Grammar, p. 75

(35) نص هيرودوت : «وحين مات سيزوستريس خلفه ابنه فرعون (الأصل : فيروس = فيرون = فرعون)، وهو أمير لم تكن له مغامرات عسكرية. وقد خلف (فرعون) أحد مواطني ممفيس».

(36) أنظر للتفصيل : Gardiner; Egypt of the Pharaohs, pp. 352-360

والسؤال هنا : أليس مثيرا للدهشة حقا أن يرتبط أقدم مثل لارتباط لقب «فرعون» باسم الملك وآخر تطور له بالأسرتين الثانية والعشرين والسادسة والعشرين، وهما أسرتان لبيتان «المفروض» أنهما «غريبتان» عن البيت الكبير (بر - ع) أو فرعون؟ أليس عجيبا أن ترتبط «الفرعونية» بفرعونين ليسوا فرعونيين؟!

إن التفسير الوحيد الممكن هنا هو أن هذه (الفرعونية) وأصلها ومشتقاتها ليست قطعا خاصة بمصر، بل الأصل تعبير عروبي، سواء جاء من شرق مصر أو غربها أو نبع منها ذاتها، متعلق جذرا واستعمالا باللغة العربية وأخواتها من اللغات العروبية الأخرى. وهذا ما يجعلنا نعود إلى الجذر (بر - ع أ) بالتحليل والمقارنة لنرى فيه القول الفصل.

وقد ذكرنا من قبل أن كلمة «بر - ع» تعني : البيت الكبير أو القصر. أي «البيت العالي» أو المرتفع. وواضح أنها مكونة من مقطعين (بر + ع). . فلننظر في كل منها على حدة تحت ضوء المقارنة اللغوية.

1 - (پ ر) pr :

في المصرية : پ ر = بيت . وفي معجم غاردرنر⁽³⁷⁾ نجد :

پ ر : بيت

پ ر - ع أ : بيت كبير

پر - و ر : المعبد (البيت) العظيم

پ ر - ن س و : قصر (بيت + نشأ = بيت نشأ = بيت الملك)

ن ب ت - پ ر : ربة البيت .

في الأكادية : پ ر ت و = قلعة . حصن . قصر كبير

الآرامية : پ ر = بيت .

وردت في النص الآرامي - الليدي الثنائي اللغة .

پ ر - ب ر ه = غرفة الانتظار (باللهجة الليبية : المربوعة) = البيت البراني .

پ ي ر . ت = قلعة . قصر . حصن⁽³⁸⁾

السبئية : ب ر = بناء، مبنى (بيت) .

جاء في نصين سبأيين الفعل (بر) بمعنى (يبني) . ووردت كلمة (برط) للدلالة على المسكن،

المنزل، المحطة . . البيت⁽³⁹⁾ .

ونجد هذه الكلمة حتى في اللغة الحثية : ب ي ر = (بيت) وفي الليدية : ب ي ر ا Bira

(بيت) وهما لغتان متأترتان باللغات العروبية⁽⁴⁰⁾ .

. Eg. Grammar, p. 565 (37)

. Friderich; Extinct Languages, p. 115 (38)

. Jamme; Sabaeen Inscriptions, p. 314 (39)

Ext. Languages, p. 115 (40) لاحظ الجذر الأصلي هو br وحرفا الحركة a مضافان .

ونعثر على هذه الكلمة أيضا في ما اصطلح على تسميته بالبونيقية الجديدة .

وهي اللغة الكنعانية المتأخرة في شمال افريقيا، وذلك في نقش من نقوش طرابلس، وردت فيه (ب ي ر) BYR و(ب و ر) BUR بمعنى : مبنى كبير على القبر- ضريح أو بيت الميت⁽⁴¹⁾.

هذا كله يقطع بأن كلمة «پر» المصرية بمعنى «بيت» وردت في اللغات العروبية الأخرى بالمعنى ذاته مع اختلاف يسير في النطق طبيعي . وهو ما يتفق مع ترجمة العلماء للمقطع الأول من اسم فرعون .

(2) ع أ (٩ا) :

يكتبها بعضهم «عو» ويكتبها آخرون «عا»، وتترجم في العادة بأنها تعني : العظيم أو الكبير great لكنّ باحثا ممتازا، هو الأستاذ مارسيل كوهن، يرجعها إلى العربية «عال» بمعنى «مرتفع»⁽⁴²⁾ وهو لفظ يتفق تماما مع طبيعة قصر الملك المرتفع البناء، ولا يبعد عن معنى العظمة والكبر، فإذا انتبهنا إلى أن أواخر الحروف في عدد وافر من الكلمات كثيرا ما يهمل أو «يؤكل» في اللغة المصرية القديمة، وأنه لا وجود للام في الرموز الهيروغليفية، وهي كثيرا ما تبدل همزة عرفنا أن كلمة «عال» هي المقصودة في هذا المقام . وقد تعرضت هذه الكلمة للتحريف في عدد من اللغات في المنطقة، وطبيعي أن تتعرض للتحريف ذاته في المصرية⁽⁴³⁾.

العربية : عال . علو . علي . علاء . علية . علياء . على . علا ، عل . الخ .

الأكادية : الو . ألو elu, alu

الطارقية : أل . أغلي agli

السوس الأقصى : أون aun

بني سنوس : آني ani

النوبة : عال al

عفار (جيبوتي) : آلي ale

الصومال : عال al

ولا نريد الاطالة هنا، إذ الأمر في غاية الجلاء . ولكن لا بد من الانتباه إلى ما ورد في القرآن حين تحدّث عن فرعون في ثلاثة مواطن ووصفه فيها بالعلو :

في سورة يونس - الآية 83 : ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ﴾ .

(41) Krahmakov; a Neo-Punic Shaft..., p. 59

(42) Cohen; Essai Comparatif..., p. 88

(43) المصدر السابق .

وهناك أمثلة عديدة على إسقاط أواخر الحروف في المصرية القديمة : در : dr : ذراع .

ك م km : كامل ، كامل

ن ع ne : نعم . ناعم .

ن س ns : لسان . . إلى آخره .

في سورة الدخان - الآية 30 - 31 : ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ، مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا فِي الْأَرْضِ﴾ .
 في سورة النازعات - الآيات 17 - 24 : ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ - ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ .

ومن المفهوم هنا أن هذا العلوي يعني الاستعلاء أي التجبر والطغيان في موضع الظم . وهذا هو الواقع . فقد كان الفراعين مستعلين فعلا ، بل متأهين أو مؤهلين ، يعبدون باعتبارهم أربابا أو أبناء الرب . ولعل في أصل اللقب هذا المعنى ذاته . ودقة القرآن الكريم وحكمته هي التي أدت إلى وصف الفرعون بالعلو . مما ينطبق تماما مع واقع الحال معنى ومبنى .

من هذا العرض الموجز للقب «فرعون» في تطوره التاريخي وتركيبه اللغوي يتبين لنا أنه اسم عروبي صميم . لكن لا يزال أمامنا سؤال مهم : هل اقتصر استعمال هذا اللقب على مصر وحدها ؟ أم عرف عند العرب الآخرين ؟ وما هي مشتقاته الأخرى ؟

والجواب أن العرب الآخرين عرفوا هذا اللقب واستعملوه أيضا ، وإذا كانت ندرة النقوش العربية القديمة لا تقدم أمثلة كثيرة فإن لدينا مثلا ممتازا من مملكة سبأ القديمة في جنوب اليمن ، وهي مملكة معاصرة لاستعمال اللقب ذاته في مصر . وكان «فرعم» مؤسس إحدى أسرها . فنقرأ في أحد نقوش «محرم بلقيس» :

«ال شرح . ي ح ض ب . واخ و . ي ازل . ب ي ن . م ل ك ي . س ب ا .
 وذرى دن . ب ن ي ف ر ع م . ي ن ه ب . م ل ك . س ب ا .»

(الشرح يحضب وأخوه يأزل بين ملكا سبأ وذوريدان ابنا فرعم ينهب ملك سبأ)⁽⁴⁴⁾ .

هنا نجد «فرعم» لقباً للملك «ينهب» ملك سبأ ، وهو ما يقابل «فرعون» أو «فرعو» أو «برعو» استعمال مع وجود لقب «ملك» فكأنه لقب مختلف عن لقب «الملك» وهذا بالضبط ما كان بالنسبة للملك مصر .

من كان السابق يا ترى في استعمال هذا اللقب ؟ هل نقله عرب جنوب اليمن السبأيون عن عرب مصر ، أم نقل أهل مصر عن عرب اليمن كما حدث بالنسبة للقب «نشأ» أو «نشو» ؟

لا يمكن ، بالطبع ، البت في الامر ولكن الواضح تماما ان هناك «تداخلا» ثقافيا وحضاريا ولغويا وسياسيا بين أقطار الوطن العربي القديم لا يخفى عن العيان . فلنترك الاجابة عن هذا السؤال لباحثي المستقبل مزودين بنظرة جديدة للتاريخ العربي ومادة أوفر ووقت أكثر . ولتلفت الى مادة «فرع» في قاموس لغة سبأ القديمة ونقارنها بالعربية في تطورها . وقد ورد اللفظ في نصوص سبأية كثيرة (راجع مادة FR في Sabaeen Inscriptions) نكتفي منها بنصين :

(44) النص رقم 576 . (Jammes; Sabaeen Inscriptions, p. 67)

وقارن صفحات : 305 ، 308 ، 312 من المصدر ذاته .

النص رقم 618 - السطر 15 :

«س ع ده م : ا ل م ق ه . ف ر ع . د ث ا . و خ ر ف»
«فليسعدهم [الرب] المقه بأوفر غلال الربيع والخريف».

فرع هنا تعني : الوفرة، اليمن، الكثرة، النمو، الزيادة، وما إليها . ومن هنا اشتقت كلمة «التفرع» وجاءت صفة «الفارع» - فارع الطول . ويشبه هذا التعبير الشعبي في ليبيا : «فرعن» .
فرعن النبات : نما نموا كبيرا واستطال . وهناك نبات «الفرعون» وهو نبت مشهور بنموه السريع في أية تربة .

نلاحظ هنا أن «فرع» هذه جاءت مقرونة بالغلل . فلننظر في الكلمات المثيلة في بعض اللغات العروبية الأولى ولنقارن .

يترجم غاردنر (ص 565) كلمة PRT المصرية بكلمة Seed الانجليزية التي تعني «البذرة» و«الذرية» أو «النسل» أيضا . وفيها معنى التكاثر .

أما مارسيل كوهن (ص 169 - رقم 367) فهو يرجعها إلى :

الكنعانية : ف ر .

العبرية : ف ر ي - ف ر أ

بمعنى : ثمر، مثمر، خصيب .

الأرامية : ن ب ر = فكرة الذرية

ويذكر كوهن من المصرية : ف ر . ت = ثمر

ف ر ي = مثمر

ن ف ر = حبوب - غلال

ويربط بينها وبين بعض اللغات الافريقية المحيطة :

البجاة : ف ي ر ي = انجاب - ازهار .

النيجر : ف ر ي = أثمار

الهاوسا : ف ي ر = ثمر

الأكادية : يذكر رايمشنايدر :

ايورو eburu = حصاد harvest .

فرعو (برعو) PERU = نسل - عقب - وفرة الولد .

ويشير كوهن إلى كلمة «بر» العربية التي تعني القمح أو الحنطة (الغلل / الحبوب) وعلاقتها بالأكادية (ايورو) Fruit des champs (غلل . حرفيا : ثمر الحقول) - التي تعود إلى السومرية «بورو» BURU بمعنى «ثمر» ويتساءل : أليست العلاقة واضحة بين هذه الكلمات والكلمة اللاتينية المتأخرة كثيرا عنها Frug - والتي منها جاءت الفرنسية والأنكليزية Fruit والايطالية Frutta والتي تعني في الأساس «الثمر» وليس «الفاكهة» كما يفهم منها الآن ؟!

ما علينا. فلنعد إلى نصوصنا السبائية قبل أن يسرقنا الحديث :
2 - في النص رقم 649 - الأسطر : 12 ، 18 ، 35 في مجال الحديث عن منجزات ملك سبأ
وريدان وانتصاراته العسكرية في نقش على صنم برونزي مقدم للرب ألمقة :

«وذف رع م . ب ق د م . ج ي ش ن .»

(وذو شأن عظيم قدام (أمام) الجيش).

فرعم هنا تعني : عظم الشأن ، الأهمية البالغة ، العظمة .

فإذا عدنا إلى لقب «فرعون» لا نجد صاحبه يخرج عن هذين الأمرين : البسطة في الجسم أو
المال أي القوة (فارغ) أو العظمة (فرعم) . وهذه هي الصفة المفترضة للملك . . أو الفرعون .

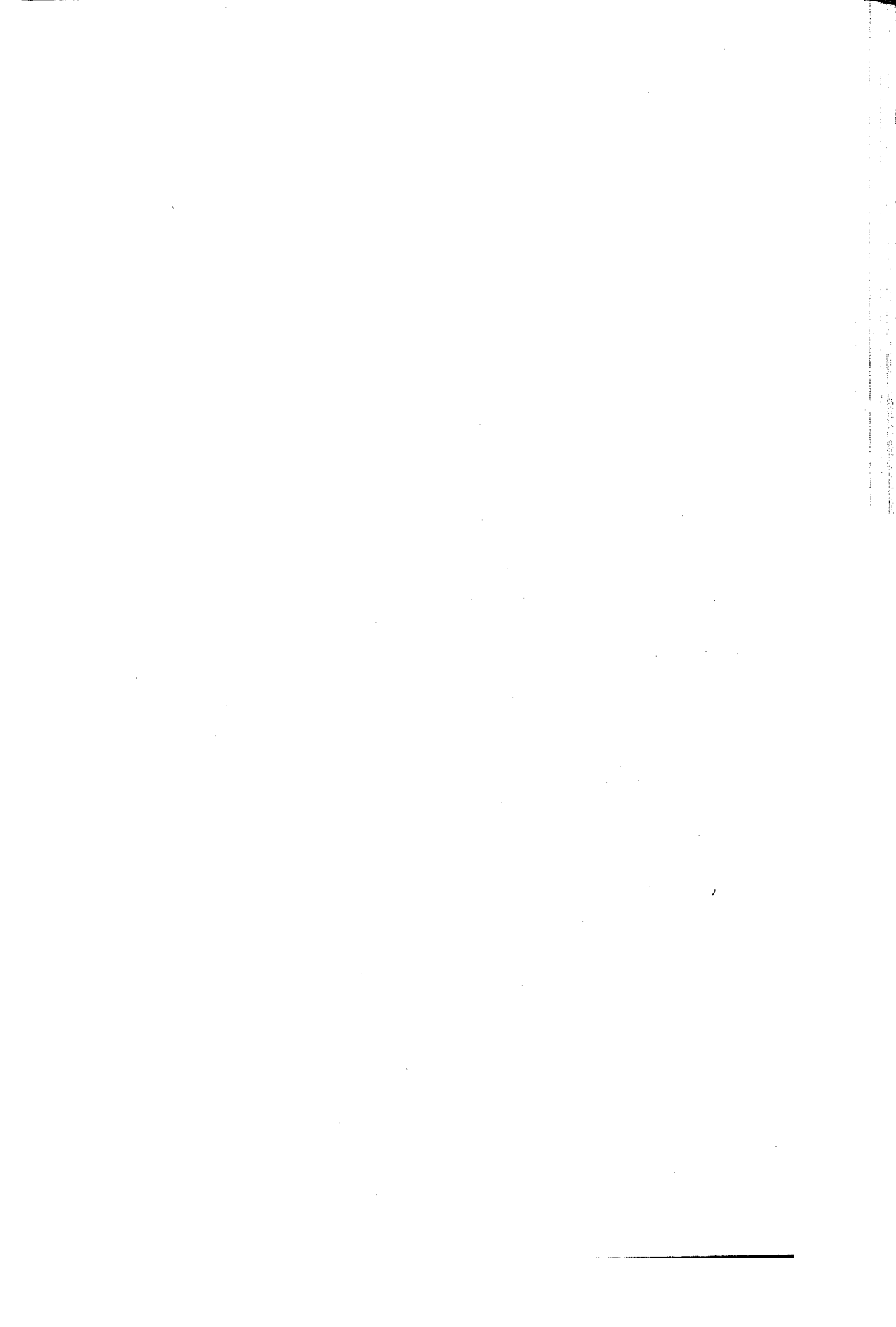
هل نفهم من هذا أن الجذر العربي (فارغ) هو أصل لقب فرعون ؟

هذا ممكن . ويمكن القول بأن أصل (فرعون) هو (فرعن) . والنون في آخر الكلمة أصلية في
أثناء تطور العربية واستعويض عنها بالتثوين الذي ينطق ولا تكتب نونه . وتتحول النون في لغة سبأ
إلى ميم (فرعم = فرعن) (فرع) . تكلم = تكلم (تكل) . نمرم = نمرن (نمر) . وقد يؤيد هذا
الرأي ورود الاسم في المصرية : پ رع (= فرع) بإبدال پ فاء . ولم تعرف المصرية التثوين .

ولكن هذا يجوز فقط باعتبار الكلمة واحدة غير مجزأة . وماذا نفعل بتحليلنا السابق للقب
الكريم وقد قسمناه إلى مقطعين (پ ر + ع أ) وأرهقنا في متابعة كل مقطع منها وتحليله ؟

لا تنزعج . فلسنا في الواقع ندري أي الكلمتين أسبق في الوجود ، «فرع» أو «پر - ع أ» . ومن
الممكن جدا أن تكون «فرع» العربية السبائية مصاغة من «پر - ع أ» المصرية . قد يكون السبائيون
سمعوا المصريين ينطقون هذه الكلمة المركبة من مقطعين والدالة ، في مجملها ، على العظمة والملك ،
فنقلوها بصيغة «فرع» باعتبارها كلمة واحدة ، ثم استعملوها (فرعم) لقبا لملوكهم ودليلا على عظم
الشأن (فرعم) ، وعبر العصور تطورت الكلمة و«تفرعت» حتى صار معناها ما نعرفه الآن . والأمر
على كل حال ، يظل في نطاق العروبية ، سواء نظرنا إليه لفظا واحدا أو مقطعا إلى جزئين . ومهما
قلبناه على وجوهه نجده عربيا ، أو عربيا ، هنا وهناك ، بشاهد اللغة والتاريخ .





هل المصرية لغة (أفريقية) ؟

(مناقشة رأي بديج)

يزعم الأستاذ «والس بديج» W. Budge . في مقدمة معجمه الضخم⁽¹⁾ أنه ظل طيلة سنوات جمعه مادة هذا المعجم يبحث «متلهفاً في النصوص عن أي دليل يلقي ضوءاً على صلة اللغة المصرية القديمة باللغات (السامية) ولغات شمال شرق أفريقيا» . (يقصد الحبشة ونواحيها) . ثم يمضي ليقول :

«ورغم أن الموضوع ذو أهمية بالغة من الوجهة الفيلولوجية فإنه، في رأيي ، لم يدرس أبداً، بشكل مناسب، وذلك لأن علماء (الساميات) الذين كتبوا فيه كانت تعوزهم المعرفة بالمصريات وهي الضرورية للوصول إلى قرار، وعلماء المصريات - باستثناء المرحوم «بركهاردت» Burchardt - لم تكن لديهم المعرفة المناسبة باللغات والآداب (السامية) .

لقد استنتج «بينفي» Benfey أن اللغة المصرية القديمة كانت ذات صلة قريبة بمجموعة اللغات (السامية) ، ولكنه قال بعد ذلك إن (الساميين) كانوا ينتمون إلى مجموعة بشرية أكبر لا تشمل المصريين فحسب بل أهل أفريقيا بأجمعها . وهذا، كما هو واضح ، شيء مبهم . . . وقد لاقت وجهة نظره القائلة بوجود صلة بين المصرية واللغات (السامية) قبولاً لدى عدد كبير من العلماء ، من بينهم «دي روجيه» E. de Rougé و«إيبرز» Ebers و«بروغش» Brugsch ، وجميعهم كانوا علماء مصريات .

وكانت وجهة نظر «بيرش» Birch أن «القسم الأكبر من الكلمات [في اللغة المصرية القديمة] هي صيغة قديمة من القبطية، أما الأخرى، التي لا توجد في القبطية، فيبدو أنها من أصل (سامي) . دخلت اللغة [المصرية] تدريجياً من الآرامية ومصادر أخرى . وعدد قليل من الكلمات هند - جرمانية» .

أما «بروغش» فقد قرر بالتحديد أن أعتق أشكال اللغة المصرية القديمة ذات جذور في (السامية) وتنبأ بأن علم قه اللغة سوف يدهش ذات يوم لقرب العلاقة التي وجدت بين المصرية

(1) An Egyptian Hieroglyphic Dictionary صدرت طبعته الأولى في لندن سنة 1920 م . وأعدت نشره في جزئين Dover Publications Inc. في نيويورك سنة 1978 م .

واللغات (السامية). وهو كان مقتنعاً بأنهما [المصرية و(السامية)] من لغة أم مشتركة، وأن موطنهما الأصلي ينبغي أن يبحث عنه على ضفاف دجلة والفرات. وقد استمسك «برغش» بهذا الرأي عملياً حتى نهاية حياته . . .

«سترن» Stern ، أستاذ القبطية الذائع الصيت، صرح هو أيضاً بأن للمصرية صلةً باللغات (السامية) التي تبين عن نفسها في تشكيلات الضمائر وفي الجذور المشتركة بينها، ولكنه ظن أنها [أي المصرية] انفصلت عن أخواتها اللغات الآسيوية في عهد مبكر جداً وتطورت في حدودها الذاتية»⁽²⁾.

ثم يضيف الأستاذ «بدج» :

«هذه الآراء التي عبر عنها علماء المصريات الأقدمون بأحكام عامة بلورها «إرمان» Erman في بحث . . . سنة 1892 م. وفيه يسرد بشكل ترتيبى تفاصيل قواعد المصرية التي لها ما يقابلها في اللغات (السامية) وطبع قائمة كلمات مشتركة بين المصرية واللغات (السامية) . . . وعند النظرة الأولى إليها سيقول كثير من المتفحصين دون تردد : «المصرية لغة (سامية)». وما هو عالم قدير للغاية في فقه اللغات (السامية) المقارن، «كارل بروكلمان» Carl Brockelmann ، وقد تأثر بملاحظات «بروغش» وهذه القائمة، يقول إن المصرية يجب بكل تأكيد أن توضع ضمن اللغات (السامية)، وإنه كلما زيد البحث في صورتها الأقدم، مثل التي عرفت من (نصوص الأهرام)، ازداد الوضوح المنع بتشابهها مع اللغات (السامية). ومحسب «بروكلمان»، كما يحسب «بروغش»، أن المصرية انفصلت عن شقيقاتها الألسنة الأخرى منذ ألوف السنين ومضت في سبيلها. وطبقاً له، فإن اللغة المصرية تطورت بأسرع مما فعلت لغات (الساميين) الآخرين، وهذا راجع في جزء منه إلى اختلاط البشر الذي سببه غزو وادي النيل من قبل (الساميين) وهو يعود في جزء آخر إلى السرعة الفائقة التي بلغت بها المدنية المصرية قمة ازدهارها، مثلما حدث للغة الانكليزية ؛ إذ ابتعدت عن اللغات الجرمانية الأخرى.

وفي ظن «رايت» Wright أن الصلة بين المصرية و(السامية) كانت أقرب مما قيل إنها وجدت بين (السامية) واللغات الهند - أوروبية. غير أنه لفت النظر إلى حقيقة أن أغلب الجذور في المصرية وحيدة المقطع monosyllabic وأنها لا تظهر ثلاثية الجذر (السامي). وكان على أهبة قبول أن «عدداً غير قليل من الصلات التركيبية» قد يظن أنها كافية لتبرير مذهب أولئك اللغويين الذي تمسكوا بأن المصرية بقية من أقدم عصور (السامية) أي الكلام (السامي) كما كان قبل أن يصاغ بشكل يقال إننا نعرفه تاريخياً.

وبعد هذا الاستعراض القصير يقرر «بدج» أنه ما من أحد عمل في حقل اللغة المصرية يمكنه أن يشك في وجود كلمات (سامية) كثيرة في هذه اللغة، أو أن كثيراً من ضمائرهما، وبعض أرقامها

(2) نفس الرأي عند الأستاذ «غارنر» في مقدمة كتابه عن قواعد المصرية. Gardiner ; Egyptian Grammar, p. 2 وإن كان يرى بعدئذ أن المصرية ليست من اللغات (السامية) رغم التقارب !! (ص 3).

وبعض صياغاتها النحوية ، تشبه تلك الموجودة في اللغات (السامية) . ثم يأتي إلى استنتاج غريب ؛ فيقول :

«ولكن حتى مع التسليم بكل أوجه الشبه التي ادعاها «إرمان» ، فإنه لا يزال مستحيلًا عندي الاعتقاد بأن المصرية لغة (سامية) في أساسها . حقُّ أنه ثمة الكثير في (نصوص الأهرام) يُذكر بنقاط وتفصيل من النحو (السامي) ولكن بعد أطراح الجذور الثلاثية كلها يبقى عدد كبير جدًا من الكلمات غير (سامي) ولم يتدعها أبدًا شعْبُ (سامي) . وهذه الكلمات أحادية المقطع ابتدعها أحد أقدم الشعوب الأفريقية (أو الحامية ، إن فُضلت هذه الكلمة) في وادي النيل من لدينا أية بقايا من لغتهم المسجلة ، وهي كلمات استعملت للتعبير عن العلاقات والمشاعر الأساسية وعن المعتقدات التي هي أفريقية خاصة ، غريبة من كل وجه عن الشعوب (السامية) .

ويقع الموطن الأصلي للشعب الذي ابتدع هذه الكلمات في أقصى الجنوب من مصر ، وكل ما نعرفه عن المصريين ما قبل عصر الأسرات يومها أنه كان في جوار (البحيرات الكبرى) أو ربما إلى الشرق منها . وقد كان طول وادي النيل مفتوحًا ، كما هو الآن ، لشعوب كانت تعيش غربه وشرقه ، ولا بد أنه كان هناك اختلاط مهاجرين بسكانه الأصليين . وقد اقترض هؤلاء الأخيرون [يعني السكان الأصليين] كلمات كثيرة من القادمين الجدد ، وخاصةً من الشعوب (السامية) الأولى من البلاد التي تُدعى الآن (الجزيرة العربية) ، ومن سكان الأرض الواقعة بين النيل والبحر الأحمر والمحيط الهندي ، ولكنهم مضوا في استعمال كلماتهم المحلية للتعبير عن أفكارهم البدائية الخاصة بهم ، ولا سيما فيما يتعلق بالمعتقدات والاحتفالات الدينية» (ص LXIX من المقدمة) .

وقد ناقشنا في موطن آخر مسألة التكون السكاني لمصر ما قبل الأسرات ، وما يهمننا الآن هو الأساس الذي بنى عليه «بدج» رأيه في نفي الصلة الأولى العتيقة بين أهل وادي النيل الأقدمين ومن يسميهم (الساميين) وزعمه أن اللغة المصرية في أساسها لغة أفريقية . فهو يبيّن دعواه على أساس أنه بعد أطراح الجذور الثلاثية في هذه اللغة يبقى عدد كبير منها أحادي المقطع ابتدعها شعب أفريقي (أو حامي ، يعني : زنجي) قدم من البحيرات الكبرى (في أوغندا الآن) . أما ما نجده من أثر (سامي) فهو «دخيل» في اللغة المصرية الأصلية (1) .

الأستاذ «بدج» ينسى أن اللغة تتطور ، وأنها بدأت أصلاً أحادية المقطع ، ثم صارت ثنائية ، وأصبحت بعد ذلك ثلاثية الجذر في العروبيات خاصة التي نجد فيها الجذر الرباعي كذلك ، والخماسي والسداسي . . باعتبار الزيدات (3) .

(3) تبرز أحادية المقطع في المصرية بشكل واضح باعتبارها لغة في بداية نموها ، خاصة في الكلمات المتصلة بالحياة والطبيعة ، وكثير فيها الثنائي المقطع ، كما أن بها الثلاثي والرباعي . وتبرز أحادية المقطع في اللغات الإلصاقية ، إذ تبدو واضحة حين تجرد من السوابق ومن اللواحق . وفي اللغات البدائية تتحقق الأحادية بصورة جلية ، ثم تليها الثنائية . وهذا موضوع نوقش كثيراً في العربية ما بين مؤيد ومعارض . أنظر : رمضان عبد التواب ؛ فصول في فقه العربية ، ص 298 وما بعدها .

على أن أحادية الجذر (أو المقطع) مسألة طبيعية للغاية، لاسيما في بدايات اللغة أو طفولتها⁽⁴⁾. ونظرية تقليد الطبيعة التي قال بها كبار اللغويين العرب⁽⁵⁾ تشير إلى هذا بكل وضوح.

فما الذي فعله الأستاذ «بدج» للبرهنة على مذهبه ؟

هو اختار اثنتي عشرة كلمة، ثمانٍ منها ثنائية وأربع فقط أحادية المقطع :

كلمات مثل :

tes 𐤔𐤌 "father," sa 𐤑𐤀 "son," sen 𐤑𐤍 "brother,"
af 𐤀𐤑 "flesh," qes 𐤒𐤍 "bone," tep 𐤕𐤍 "head," ah 𐤀𐤇 "heart,"
ā 𐤀 "hand," tches 𐤕𐤃𐤍 "self," ka 𐤒𐤀 "double," ba 𐤁𐤀 "soul,"
āakh 𐤀𐤀𐤕𐤇 "spirit,"

وعشرات أخرى، استعملت من أقدم الأزمان إلى أواخرها، هي أفريقية ولا صلة لها باللغات (السامية). حسب تعبيره (ص LXVIII من المقدمة).

حسن... ماذا يحدث لو ثبت أن هذه الكلمات كلها كلمات عربية، أو أن أصولها موجودة في العربية ؟

نظن أن هذا سيكون كافياً لنقض الأساس الذي بنى عليه الأستاذ «بدج» رفضه القاطع لعروبية اللغة المصرية، ويبرهن بما لا يقبل الشك على أصالة هذه العروبية بحكم قدم هذه الكلمات وأصلاتها في وادي النيل كما يكرر هو ذاته. فلنأخذها واحدة بعد الأخرى ولنتناولها بالتحليل والتعليق :

(2) «ت ف» (father : tf) أب، والد :

أ - الأرجح أن الفاء هنا مبدلة من الباء المهموسة («ب» p) في المصرية، فالأصل إذن هو «ت ب» tp. وتشغل هذه المادة الصفحات 828 - 831 في معجم «بدج» نفسه، وهي تدل أصلاً على الارتفاع ثم العلو المعنوي، فالأسبقية، والأقدمية، والألوية، وفيها معاني : الرئيس والأسلاف والأجداد كذلك. وهذا ما يقابل الجذر العربي «ت ب (ب)» بتعاقب الباء المفردة مع الباء المهموسة التي صارت فاءً، وكلها من مخرج صوت واحد. وفي مادة «ت ب» (ثلاثي «ت ب») يورد (اللسان) :

«... والتاب : الكبير من الرجال، والأنثى : تابة»⁽⁶⁾.

(4) أنظر للكاتب بحثاً بعنوان : «ديدش حب الرمان» في كتابه (بحثاً عن فرعون العربي) - الدار العربية للكتاب، طرابلس/تونس 1984 م. وفيه تفصيل هذا الأمر.

(5) من مثل ابن جني في كتابه المعروف (الخصائص).

(6) وفي (القاموس المحيط) : الأتب : الجبل المرتفع. قارن : التبة : المرتفع من الأرض، الربوة، الجبل الصغير.

وكما أن في المصرية «ت ف ت ف» tftf = والد الوالد، أي الجد (معجم بديح، ص 833) فإن في العربية: «تَبَّبَ الرجلُ : إذا شاخ» أي صار جَدًّا.

ب - غير أن «بديح» في (ص 832) من معجمه يقرر أن «ت ف» تعادل المصرية «إ ت» التي تجدها في (ص 96) تعني: أب، والد - القبطية *etiot*. كما تعني: ضَرَبَ. والشيء نفسه نجده عند «فولكنر» (Faulkner; p. 298) ⁽⁷⁾ *it(i) father*.

إذ يحيل القاريء في مادة «tf» إلى مادة «it(i)» (أب/والد - ص 32) وهو أورد النص التالي المثير للاهتمام: *etiot: his father* ⁽⁸⁾ ويبدو منه أن صورة «ت ف» tf انحدرت عن *it.f* التي تعني حرفياً «والده» أو «أبوه»؛ بالاسناد إلى ضمير المفرد المذكر الغائب، ثم صارت تعني «والد»، «أب» مجرداً، وهذا غير مستغرب، وقد أشرنا إلى مثل منه عند حديثنا عن أصل العربية «سَوْف» (لما اصطلاح على تسميته بأداة المستقبل البعيد)... فلينظر (في الجزء الثاني - في قواعد المصرية).

الأستاذ «غاردنر» (E. G. p. 600) كذلك يحيل قاريء مادة «tf» إلى مادة «it» ومنها: «إ ت» = it، والد، «إ ت - ن ت» = it-ntr (أبو الآلهة لقب طبقة من شيوخ الكهنة) كما أن منها «إ ت ي» = ity، غالب، سيد *Sovereign*. ويورد في صفحة 43 النص المهم التالي:

father. etiot (not itf or tf) var. etiot

ومن الجلي أن الفاء (هـ) هنا زائدة وأن الأصل هو «إ ت» (it) ويعلق الأستاذ «غاردنر» في نفس الصفحة قائلاً:

«لقد أظهرت الفاء الواضحة في هذه الكلمة لتكون محددًا *determinative* لمعنى رمزي غير محقق. (أنظر: 311، Ann. 43) وإلى عهد قريب اعتبرت *it* و *tf* كلمتين متمايزتين (أنظر: 18، AZ 48)» ⁽⁸⁾

(7) قارن كذلك «غاردنر» (E. G. p. 600). وعند «شامبليون» (Principes, p. 104) يقابل المصرية القديمة كما يقرأها «إتف» *etf* و«أتف» *otf* بالقبطية: *etwt, eiwt*.

(8) ولكنها، في الواقع، كلمة واحدة أصلها «إ ت» *it* وصارت «ت» *t*. ثم «ت ف» *tf*، والفاء فيها زائدة. والملاحظ أن هذا التحريف، أو التحول، لم يحدث في هذه الكلمة فحسب، بل حدث في كلمة شهيرة أخرى مماثلة صياغة وإن اختلفت معنى، وهي «إ ت» *it* (شعير، حنطة، طحين، دقيق) ونجدها «ت» *t* = خبزة، رغيف. كما نجدها «ت ف» *tf* = خبز، كعكة، طعام عموماً (قارن معجم «بديح» ص 97، 815، 833).

في الأكاديمية (معجم «أرنولت» Arnolt ص 128): «إتو» *ittu*: أب، والد. لقب لرتبة عالية. وفيها «أتي» *ati* = قوت، طعام. وكذلك «إتو» *ittu*: قُوَّة (معجم «وير» Weir ص 130)، وليلاحظ القاريء الصلة الصوتية والدلالية بين «قوت» (طعام) و«قُوَّة» (الناء فيها أصلاً منطوقة: قُوَّت). ولا قُوَّة دون قوت (طعام = شعير، حنطة خبز... الخ) وهو ما يأتي به الأب (زعيم الأسرة)، ومن هنا جاء الارتباط اللفظي والمعنوي بين الكلمتين المعبرة عن هذه المعاني المتصل بعضها ببعض

ورد الجذر «إت» it في المصرية بمعنى : ضَرَبَ، غَلَبَ، سَيَّطَرَ. وعني : «الأب». كما ورد بمعنى : «أمير»، «ملك» (معجم بدج، ص 97).
كما ورد «أت» at = عصا ومنها «أت ي» ati : قوي (المصدر نفسه ص 1). وهذا هو شأن «الأب» أو «الوالد» رئيس العائلة، القوي، الضارب، المسيطر. الغالب.

في (لسان العرب) :


أَتٌ = كَبَّتْ، غَلَبَ. وآتاه : طاوعه، ومنها : المؤاتاة = حسن المطاوعة. (مادتا : أمت، أتي)⁽⁹⁾. وهذا هو شأن الأب، الغالب.

أما في الكنعانية فقد أبدلت التاء دالاً فكانت «أد» ad (= أب) ولها صلة بها في الأكادية : أدو addu = قوة (قارن العربية : «أيد» = قوة) وأنتت : «أ.د.ت» ad.t (= أم). (غوردن، ص 207). وطبيعي أن مذكرها «أد» ad = أب، والد.

هذا كله يكافيء المصرية «إت» it (أب/والد) التي صارت «ت ف» tf وحسبها الأستاذ (بدج) كلمة أفريقية خالصة لا صلة لها بالعروبية.

(2) «س أ» sa : (son) ابن، ولد :

أ - عند «غاردنر» (ص 471) هناك قراءتان : «ز أ» za ، «س أ» sa . ومكافئها في العربية الجنوبية : «ذ» > ذا، ذو = ابن - وهي تحولت إلى أداة إضافة، كما هو الحال في الأكادية «شا» ša والكنعانية «ش» š (غوردن، ص 271).

ب - الملاحظ أن الرمز الهيروغليفي لكلمة «س أ» هو صورة وزه/إوزة (وعماها حرف الزاي) والدلالة المقصودة مستندة إلى sa (ذكر الإوز، مؤنثها sa.t «وز.ت» > «وزة»). معجم بدج، ص 633) ولكن من الجذر ذاته هناك كلمة «س أ» أو saw = عرّاف، منشد، قارئ التعاويذ (المصدر نفسه، ص 585) أي : ذلك الذي يصدر صوتاً، يصيح. ونحن نعرف كلمة أخرى في المصرية تعني الولد، أو بالتحديد : الفرخ، فرخ الطير، ثم أي فرخ (ولد/ابن) بعد ذلك، هي كلمة «و أ» wa الممثلة هيروغليفا بصورة فرخ طير  يقول الأستاذ «غاردنر» (E. G. p. 472) إنها تمثل حرف الواو (w) «لسبب مجهول» وقد بينا أنها الصوت الأول من «و أ» > وأواء = صاح، صائح⁽¹⁰⁾.

«س أ» تفيد الصياح أو الصراخ، كما تفيده «و أ»، وهو أول ما يصدر عن الولد حين يخرج إلى عالم الحياة الصاخب. فلنقرأ ما جاء في العربية (صأي) :

«الصَيْثِيُّ، على (وزن) فعيل : صوت الفرخ. صَآى الطائر والفرخ والفأر. . . أي صاح . . . ويقال للكلبة : صَيْثِيٌّ، سميت بذلك لأنها تصأى أي تصوت. في المثل : جاء بها صأى

(9) قارن هنا «أناوة» = «ضريبة». ولا جدال في الصلة بين «الضريبة» و«الضرب»، كما هي الصلة بين «أت» و«أناوة».
(10) أنظر البحث عن «الأصول العربية لأسماء رموز الهجاء الهيروغليفي» في هذه الدراسة لزيد من البيان.

وصمت، يعني جاء بالشاه والإبل، وما صمت ؛ بالذهب والفضة . . . ويقال أيضاً : جاء بها صاءً وصمت، وهو مقلوب من صأى» .

وهي مادة طويلة تفيد الصوت والصياح . . . حتى يقول :

«والصاة مثل الصعاة : الماء الذي يكون على رأس الولد. وقال الأحمر : هو الصاة بوزن الصاعة، ماء ثخين يخرج مع الولد» (اللسان).

وهذا ما يذكرنا بالمصرية «م س» ms (ولد) وصلتها بالعربية «مشيمة» (كيس الولد) . . . فلتنظر في موطنها من هذه الدراسة .

وملاحظة نضيفها لتلخص في أن هذه المقابلة التي عرضناها ما بين المصرية «س أ» والعربية «صأ ي») بتعاقب السين والصاد لا تمنع أن تكون المصرية «س أ» معداة causative بالسين للمقطع الأحادي «أ» وهو الدال على الصياح، والذي ثني فصار «أو» aw ومنه كلمة «س أ و» saw (العراف، المنشد، القارىء) = الصياح، أو : الصائي .

(3) «س ن» sn : (brother) أخ :

العربية : «سن (و)» = مثل، شبيه، أي : أخ. قارن : شقيق = أخ، أي الشق = النصف، المثل، الشبيه .

(4) إف if : (flesh) لحم :

الملاحظة الأولى أن ما يرد ثنائي الجذر في مادة «إف» if نجده بنفس المعنى في الجذر الثلاثي، «إوف» iwif (قارن معجم بذج، ص 34، 43 و«فولكنر» ص 13) مما يبرهن على تطور الجذر من الثنائية إلى الثلاثية بوضوح⁽¹¹⁾.

الملاحظة الثانية : أن if عند «بذج» نفسه (المعجم، ص 43) تعني في جملة ما تعنيه ما يلي : لحم⁽¹²⁾، ربط، خبز، طعام . flesh, meat, joint, bread, food⁽¹³⁾ ولنا أن نقارن joint هنا بالعربية : (لحم) من (لحم). وهذا يعني أن المعنى الأولي للكلمة يعني الطعام، أو القوت، عموماً ثم خصص للحم . (لاحظ أن «لحم» نفسها كانت تعني «طعام» وهي كذلك «لحم» في العبرية وفي الكنعانية ل ح م = خبز) وهذا الطعام قد يكون خبزاً، كما قد يكون لحماً، كما ورد عند «بذج» نفسه .

إليك بعض المقارنات :

في الكنعانية : ipw / ipy (إ ف ي / إ ف و) = خَبَزَ .

(11) قارن : Gardiner, E. G., p. 52 .

(12) flesh في الانكليزية تعني أصلاً اللحم أيًا كان ثم اقتضرت، بشكل ما، على اللحم البشري، الجسد البشري، أو الجانب الحيواني الشهواني من تركيب الجسد .

(13) أو : «شوى اللحم». أو «طها اللحم»، لاحظ أن ḥm = خبز، لحم (بالمعنى المتداول الآن) .

y i p. lḥ. m (ي إ ف . ل ح م) = خَبَزَ الرغيف⁽¹⁴⁾. (غوردن، ص 214).

في اللهجة الشلحية : tifiyi (te) (تِفِييْت) = لحم .

السبئية : «أ ف ي» 'FY = خبز (معجم بيلا، ص 25)⁽¹⁵⁾.

في العبرية : afah = خبز (فريجة ؛ ملاحم . . . ص 598).

(لا نملك هنا إلا المقارنة - للتوضيح - بالانكليزية meat التي تعني الآن : اللحم، ذلك الذي يكسو عظام الانسان أو الحيوان⁽¹⁶⁾). ولكنها أصلاً كانت تعني : الطعام، عموماً. ولها صلة بكلمة meal (وجبة طعام). كما عنت «خبز» ولا تزال مستعملة في Sweet meat = خبز حلو، نوع من الحلوى).

وقد نذهب إلى أن الهمزة المكسورة في المصرية (iwf/if) والكنعانية : (إ ف ي / إ ف و) والشلحية (إ ف ي) أو المفتوحة في العبرية (afah) تعاقبت مع العين في العربية في الجذر الثنائي «عف» ومنه : عفا > «عافية» (قارن : قوت / قُوَّة).

و«بدج» في (معجمه) يجعل من معاني «إ ف» if : جيفة، جسد ميت (ص 43) ومن معاني «إ و ف» iwf : جيفة، جسد، لحم إلى جانب : التهام، ابتلاع، أكل (ص 34).

في مادة «عيف» (ثلاثي «عف») نجد : النسور «العوائف» = (آكلة الجيف). وفي مادة «عوف» : العوف = الضيف (= الأكل) و «يقال للجراد : أبو عوف» (= الملتهم، الأكل)، و«تعوف الأسد : التمس الفريسة بالليل، وعوافته : ما يتعوفه بالليل فيأكله».

ملاحظة :

لعل الأصل الحسي الأول للمصرية «إ ف» if بمعنى «جيفة» هو الصوت الذي يصدره الانسان من أنفه حين يشم رائحة عفنة كريهة. (قارن العربية : أُفُّ > أَفْفُ / تَأْفَفُ). وفي مادة «عيف» العربية : الطيور العوائف = آكلة الجيف. (قارن : عاف الشيء = كرهه وامتنعت نفسه منه).

14 (14) Destaing, p. 397 (tifiyi(te) : viande) ولاحظ أن التاءين في البداية والنهاية للتأنيث (قارن اللهجة المصرية المعاصرة :

لحمة = لحم) والأصل هو ifi(y) (إ ف).

15 وهي تترجمها : baked goods التي يمكن ترجمتها إلى العربية : مواد مطهّنة / مشوية وتقارنها بالانثيوبية مخبوزة / معجونة (baked) 'efy ولغة أهل جزيرة سقطرة (oven) mo'fe والعربية : mīfā, mawfā وهو ما نجده في مادة

«وفي» في (اللسان) :


«الميفى : طبق التنور، قال رجل من العرب ليطباخه : خَلَبَ ميفاك حتى ينضج الرودق. قال : خَلَبَ أي طَبَّقَ، والرودق : الشواء. وقال أبو الخطاب : البيت الذي يطبخ فيه الأجر يقال له الميفى».

16 في الاستعمال العام : meat = لحم الحيوان، flesh = لحم الانسان.

(5) «ق س» q s : عَظْم (bone) :

ملاحظات أولية :

أ - يكتب «بدج» الكلمة بالسین المهملة (s) أما عند «غاردنر» (E. G. p. 514) فهي بصورتين : بالسین العادية (s) وبالسین الأقرب إلى الصاد (š) فهي تقابل «ق ص» في العربية .

ب - هناك محدّد هيروغليفي للكلمة هو  إلى يمين (= ق ص) في كل من معجم «بدج» (ص 778) ومؤلف «غاردنر» المذكور. وقد فسر «غاردنر» هذا المحدّد (الرمز) بأنه «رأس حربة من العَظْم». وهذا هو عظم الصدر الذي كانت تتخذ منه رؤوس الحراب في القديم .

ثم لنقرأ من مادة «قصص» (< قص) في (اللسان) :

«القَصُّ والقَصُّصُ والقَصِّصُ : الصدر من كل شيء . . . وقيل هو : عَظْمه .
. . . والقَصُّ : رأس الصدر . . الليث : القَصُّ هو المشاش المغروز فيه أطراف شراسيف الأضلاع في وسط الصدر» .

(6) «ت پ» T p (head) رأس :

العربية ، مادة تب(ب) :

الأْتَبُّ : الجبل المرتفع .

التبّة : الربوة .

التاب : الشيخ (الرئيس ، من : رأس) .

وقد فصلنا فيها القول مراراً .

(7) «إ ب» i b (heart) قلب :

اللام في المصرية منعدمة ، كتابة على الأقل ، وتبدل . هنا أبدلت همزةً ، وهي العربية «لُبُّ» = قلب⁽¹⁷⁾ .

(8) «ع» e : (hand) يدٌ :

(أنظر حرف «العین» عند الحديث عن الأصول العربية لاسماء رموز الهجاء بالهيروغليافية - في هذه الدراسة) . ونلاحظ أن الرمز (Ā) في السومرية يقرأ d/t t i ويقابل في الأكادية «إيدُم» idum⁽¹⁸⁾ (العربية : يد) .

(17) «بدج» نفسه يعلق على «إب» ib هذه في موطن آخر فيقول إن هذه الكلمة المصرية قد ترتبط بـ«العبرية والسريانية والآثيوبية والعربية (لُبُّ)» . أنظر : W. Budge ; Osiris and the Egyptian Resurrection ,

Dover Publications, New York, 1973, Vol. II, p. 130.

Introduction to the Study of Ancient Languages, p. 68 (18)

(9) «دس» tches (19) : (Self)

(10) «كأ» K a (double)

(11) «بأ» b a (Soul)

(12) «إأخ» i a h (Spirit)

نؤثر أن نتحدث عن هذه الكلمات الأربع مجتمعة، إذ هي في الواقع تمثل صعوبات كبيرة أمام الباحثين في ترجمتها بالدقة اللازمة، وذلك لتعلقها بعالم النفس (أو الروح) في الحياتين الدنيا والآخرة وتصورها عند عرب مصر الأقدمين تصوراً خاصاً من العسير جداً فهمه بخلفية ثقافية ودينية مختلفة. والمشكلة نفسها تواجه اللغة الأنكليزية في التعبير بـ Spirit, Soul, Self أو ghost عن الروح أو النفس. كما واجهت هذه المشكلة العرب المسلمين في بحوثهم الدينية والفلسفية عند حديثهم عن النفس والروح⁽²⁰⁾، وهي كانت معضلة عسيرة الفهم عند فلاسفة اليونان من قبل⁽²¹⁾. وهذا هو السبب في أن علماء المصريين لم يتفقوا على ترجمة واحدة لأي من الكلمات المذكورة، وإنما فسرها كل منهم بحسب فهمه الخاص وبقرينة سياق النص.

وقد بينا القول في «كأ» و «بأ» في موضع آخر فلا حاجة للتكرار. وبقي أن نتحدث عن «دس» و «إأخ» - من حيث المقارنة اللغوية. لكن قبل هذا نحب أن نقول إنه يبدو واضحاً أن عرب مصر القدماء فرقوا بين (أنواع) أو (مراتب) من النفوس، أو هي (مظاهر) للنفس - كما هو الحال عند الفلاسفة اليونان والمسلمين. إذ نجد أن «بأ» ba تقابل النفس الحيوانية (في الحياة الدنيا)، و «كأ» ka تقابل النفس الآهية (الأسمى/ الخالدة)، بينما تقابل «دس» ds جانب الشر من النفس (اللؤامة/ الأماراة بالسوء) وتقابل «إأخ» i a h جانب الخير فيها (النفس المطمئنة/ الزكية النورانية).

(19) هذه نقحرة «بدج» أما عند «غاردنر» و «فولكنر» فهي «ds». وعند «بدج» في (المعجم، ص 887) : d(e)s

«دس»، وهي الصورة التي سنستخدمها فيما يلي.

(20) يبدو - عموماً - أن «الروح» تعني الجانب الألهي الخير وهي (من أمر ربي) لا يُعلم كنهها، أما «النفس» فهي أقسام: النفس اللؤامة، النفس الأماراة (بالسوء)، الأنفس الشح - وهذا جانب سيء منها. كما أن هناك النفس الزكية، النفس المطمئنة، وهذا جانب الخير فيها (أنظر مثلاً: مقالة لويس ماسينيون) :

L. Massignon; (The Idea of Spirit in Islam, the Mystic Vision), London, 1968, pp. 319-323

وفي الانكليزية يعبر بـ (Holy ghost) عن (الروح القدس) كما يعبر بـ (Holy Spirit). ولكن كلمة (ghost) تعني كذلك «الهامة»، كما يقال (evil Spirit) (الروح الشريرة). والحق أنه يكاد يكون من المستحيل تحديد استعمالات هذه الكلمات في موطن بذاته.

(21) أفلاطون - مثلاً - قال إن ثمة نفوساً ثلاثة: النفس الآهية (الخالدة) وإلى جانبها: النفس الانفعالية (الغضب والشهوة) والنفس الغذائية. وقال مرة: هناك ثلاث نفوس: النفس الآهية (الروح)، والنفس الحيوانية، والنفس النباتية. وعند أرسطو: النفس واحدة بالفعل كثيرة بالقوة. وهناك: النفس النامية (الحياة)، والنفس الحاسة (المشاعر)، والنفس الناطقة (العقل). (أنظر يوسف كرم؛ تاريخ الفلسفة اليونانية، صفحات 153-167، 85-91).

هذا ما يبدو لنا، وعلى هذا الأساس نمضي لنقول :

(1) «دس» ds : تترجم عادةً بالانكليزية self وبالفرنسية même . وهي هنا لا تعني «النفس» بمعنى الروح فقط بل تعني «عين الشيء» أو «ذاته» . ومن السهل مقابلتها بالعربية «ذات» < «ذات» بهذا المعنى . . وينتهي الأمر . غير أن الأستاذ «ليفيفر» G. Lefebvre يذكر أن كلمة «دس»/ «دس» منحدره من أصل بالغ القدم، وهي تقابل العربية «جثَّة» ويقارنها باستخدام المصرية «ح أو» (بدن/جسد - العربية : «حوي») في نفس الوضـع⁽²²⁾ لاحظ أن «جثَّة» (بدن/جسم) من الجذر «جث» > «جثث» الذي يقابل، بالابدال، «دس» . وهو ما ينطبق على «ذث» > «ذات» بالضبط . ولا بأس من قبول هذا التحليل في استعمال «دس» بمعنى التخصيص كما نقول في العربية : ذاته، عينه . . إلخ . لكننا نتحدث عن «دس» بمعنى النفس، (أو الروح في أحد مظاهرها) . وقد ورد على خاطري في أثناء كتابة هذا البحث الآية القرآنية الكريمة :

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا . قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾
(سورة الشمس).

وقد اختلفت التفسيرات لكلمة «دَسَّاهَا» هذه من حيث دلالة اللفظ، ولكن ثمة اتفاق على الدلالة العامة ؛ فإن «دَسَّاهَا» من (الدس) أو (الدسس) الذي يفيد الخسة والخبث والشر والسوء، شأن النفس الحيوانية (أي البدنية، أو «الجثيَّة»⁽²³⁾) في مقابل «زَكَّاهَا» أي النفس المزكاة (= المطهرة، أو الزكية).

(2) «إ أخ» i a h : إذا كانت «دس» ds تمثل جانب السوء من النفس، أي الجانب الجسدي المعتم «الظلماني»، فإن «إ أخ» i a h تمثل جانب الخير، أو الجانب «النوراني» منها . وهذا ما جعل من معانيها : طيب، جيد، رائع، فاخر، ومعانٍ أخرى كلها تفيد «الخيرية» (أنظر معجم «بدج» ص 22 - 24) . والمعنى الأولي التي تنبثق عنه بقية المشتقات هو «النور»، الضياء والإشعاع (ص 22) . وهذا أمر طبيعي ؛ إذ اعتبر النور دائماً مرتبباً بالخير، في جميع العصور ومختلف الديانات . فاسم «إله النور» the light-god في المصرية هو «إ أخ و» i a h w و«إ أخ و» تعني كذلك : نور، روعة، إشعاع، سطوع، أعمال مجيدة، أفعال رائعة، امتياز، بركات، خيرات . و«إ أخ و» = عينا (حورس) المنيرتان ؛ الشمس والقمر . . . إلخ ، إلخ (ص 23)⁽²⁴⁾ .

(22) . Eg. Lefebvre ; Grammaire de l'egyptien classique, p. 54.

«il semble que ce mot (ds) dérive d'une racine très ancienne, à quelle s'apparente également l'arabe ġu_1 ta (corps)...

L'emploi de (ds) dans (ds. f) «lui meme» litt. «son corps», serait don parallèle à celui de (h'w) dans l'expression (mh'w. f).».

(23) أو «الذاتية» (نسبة إلى «الذات»). وفي بعض استعمالنا الحديثة لكلمة «الذاتية» إجماء بـ «الأناتية» المعادلة للأثرة والشهوة أو «حب الذات»، وهي مظاهر سوء في الإنسان .

(24) قارن كذلك معجم «فولكنتر» (ص 9) : «إ أخ و» = شعاع الشمس، إشعاع . وهو يقرر أن i a h w هي الصورة الأقدم لصورة a h w التي عرفت بعد ذلك . قارن : «غاردنر» Egyptian Grammar في مواطن مختلفة .

فما هو المكافئ العربي يا ترى في هذا المجال ؟

من الواضح أن الهمزة الثانية في «إ أخ» iah مبدلة من الراء (إ رخ) iah وأن الصوت الأول من الكلمة الذي سميناه (إ) هو في الواقع صوت ضعيف ﴿ يتحول إلى همزة أو واو أو ياء بسهولة .

هذا من الناحية اللفظية، أما من الناحية الدلالية فإن من المعروف أن القمر عُبد في الديانات العروبية القديمة باعتباره ممثلاً لآله النور، أو هو «النور» المعبود ذاته، وأطلقت عليه جملة أسماء منها «سن»⁽²⁵⁾ في بابل وسبأ، كما أن منها «أ رخ» = القمر. وقد تطورت الكلمة ودلالاتها؛ فنجد في العربية الجنوبية «ورخ» = الشهر⁽²⁶⁾ (معجم بيلا، ص 149)، والعربية: «أ رُخ»، «ورُخ»، «التاريخ»، «التاريخ» - تسجيل الحوادث استناداً إلى التقويم القمري، ثم تسجيل الحوادث وروايتها بإطلاق. وهي تطورت بشكل آخر فادت إلى معنى السير، لأن القمر كوكب سيّار. ففي الأكادية «أرخو» urhu = طريق، و«أرخيش» arhēš = سريع السير. وفي العبرية «أريحا» ariha = قمر، سار (ومنه اسم «أريحا» المدينة الفلسطينية = مدينة المعبود «أرح» = القمر). وفي العربية: «رَوَّح» > راح، يروح، رواح. «ورُيحُ» = الهواء المتحرك... إلخ حتى نصل إلى: «رُوح».

وهكذا نجد أن اللفظ تدخل عليه تحويرات وتبديلات في أصواته، كما تتطور دلالاته مع الزمان. وهذا ما حدث في المصرية وأخواتها من اللغات العروبية الأخرى. والمهم أن ندرك أن المصرية «إ أخ» هي العربية «أ رخ» = القمر، أي: النور، سطوع، الإشعاع. وهذه هي النفس «النورانية» بذاتها.

* * *

بعد هذا يلتفت الأستاذ «بدج» إلى الأعداد الترتيبية فيقول إن أسماءها تظهر أن الشعب الذي ابتدع الكلمات المذكورة آنفاً كان يُعَدُّ بالخمسات؛ إذ أن لديه كلمات (خاصة) تعبر عن الأعداد: «واحد»، «اثنين»، «ثلاثة»، «أربعة»، «خمسة» و«عشرة». فلما اتصل (بالساميين) أخذ عنهم الأعداد: «ستة»، «سبعة»، «ثمانية»، و«تسعة».

وقد بينا المكافئ العربي لتسميات الأعداد في المصرية، من «واحد» إلى «خمسة»، وكذلك «عشرة» و«مائة»... إلخ. فليُنظر القارئ ذلك في حديثنا عن الأعداد... ولا حاجة للتكرار.

(25) قارن العربية الفصحى: «سنا» = نور. ويذكر أن «طور سيناء» (حرفياً: «جبل سن») سمي كذلك نسبة إلى «سن» (= القمر). قارن القرآن الكريم: «وَطُورِ سِينِينَ» (التين: 2).

(26) لاحظ أن «الشهر» في العربية الفصحى تعني «القمر» كذلك. «فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ» قرآن كريم. أي: من شهد القمر الذي يسمى أول ظهوره هلالاً. و«شهر» من «الشهرة» و«الاشهار» أي الاعلان عن ظهوره، كما أن «هلال» من التهليل (رفع الصوت) عند مشاهدته = الاعلان عنه.

ليس هذا فحسب بل إن «بدج» يمضي ليقدر أن المصريين القدماء (غير «الساميين» عنده) أخذوا كذلك تاء التأنيث عن «الساميين»، وضماير كثيرة، وفي مرحلة متأخرة جداً أخذوا كلمات (سامية) وفيرة من سوريا وفلسطين.

ووجود تاء التأنيث، والضماير العروبية، في المصرية القديمة دليل على عروبيتها وليس ضدها بالطبع. أما قوله إن المفردات (السامية) دخلت المصرية في «عهد متأخر جداً» فمغالطة تاريخية بالغة السوء؛ ذلك لأن هذه المفردات ملحوظة بشكل واضح للغاية في أقدم النصوص التي تعود إلى أول عهد الأسرات⁽²⁷⁾.

ويمضي قائلاً :

«لقد بدا لي دائماً أن بعض الألفاظ الأصلية عند المصريين الأوائل وجدت سبيلها إلى البلاد المجاورة حيث لا تزال ترمياً حتى الآن. وهكذا فإن الكلمة المصرية الشائعة «خ ف ت ي» ḫftj (عدو) التي لها مقابلها في القبطية «شفت» šaft توجد في الأمهرية في صورة «شفتا» šft والكلمة المصرية «دن ق» (دن ج) ḏnq (قزم) يبدو أنها حفظت في الأمهرية «دنك» ḏnk . والكلمة المصرية «دوات» ḏwt (صباح) يبدو أنها عاشت في الأمهرية «دوات» ḏwt . ويمكن مقارنة المصرية «س أ» sa (رجل/شخص/إنسان) بالأمهرية «س أ» sa (رجل أو امرأة/شخص/إنسان)».

* * *

أما أن هذه الكلمات خرجت من مصر، أو جاءت إليها من البلاد المجاورة فهذا غير مهم ولا يمكن البت فيه. ولكن لماذا يعتمد الأستاذ «بدج» إلى مقارنة هذه الكلمات التي اختارها بالأمهرية فقط؟ نعم. الأمهرية لغة عروبية. لكنه أراد الإيحاء بأنها كلمات «أفريقية» - ما دامت الأمهرية موجودة في الحبشة وهذه موجودة في أفريقيا الكن هذه الكلمات ذاتها موجودة في اللغات العروبية الأخرى، وأولها العربية، فلماذا أهمل المقارنة بها؟

لنفعل نحن إذن :

(1) «خ ف ت ي» (عدو) : قد نقابلها بالعربية «خفت»، «خفض» وفيها معنى الضعة والضعف والخور، وهي الصفات التي تطلق على العدو عادة، من باب رفع الروح المعنوية للشعب وتدميرها عند العدو. لكن الأستاذ «غلودنر»⁽²⁸⁾ يشير إلى وجود محدد مهم في رسم هذه الكلمة بالقلم

(27) أنظر في هذا الخصوص :

S. Yeivin ; The Ceremonial Slate-Palette of King Narmer, in : Studies in Egyptology and Linguistics, Jerusalem, 1964, pp. 24 - 53.

Gardiner ; Egyptian Grammar (A 14) p. 443 (28)

الهيروغليفية هو صورة رجل واقف على الأرض يسبح الدم من رأسه، وهو محدد يستعمل في كلمة «خ ف ت ي» = enemy «عدو» كما يستعمل في كلمة «م و ت» = m w t «موت». هنا نعود إلى مادة «حفت» في العربية (ح = خ)، فنقرأ:

«الحَفْتُ : الإهلاك . حفته الله حفتاً : أهلكه ، ودقَّ عنقه . قال الأزهري : لم أسمع حفته بمعنى دق عنقه لغير الليث . قال : والذي سمعناه : حفته ولفته إذا لوى عنقه وكسره ، فإن جاء عن العرب حفته بمعنى عفته فهو صحيح ويشبه أن يكون صحيحاً لتعاقب الحاء والعين في حروف كثيرة» . (اللسان) .

فانظر : حَفْتَه = عَفْتَه = لَفْتَه . أي : أهلكه ، دقَّ عنقه ، لوى عنقه ، أو كسرها . وهذه هي «خ ف ت ي» والنسبة إليها «خ ف ت ي» أي : المهلك ، المدقوق العنق ، أو المكسورها . لا فرق . وهو ما يمكن عادةً أن يحدث للعدو ، ومن هنا جاء المحدد المشار إليه في رسم الكلمة⁽²⁹⁾

(2) «د ن ق / د ن ج» (قزم) :
في العربية مادة : «دَنَقَ» تفيد القصر (القزمية) والسواد معاً⁽³⁰⁾ . و«دنج» أدت إلى ما هو معروف في اللهجة الليبية الدارجة : «دنجال» = قزم («دنجل» مزيد «دنج» = dng) .

(3) «دوأت» (صباح) :
الدال بدل من الضاد في العربية : «ضوء . ت» (مؤنث : ضوء) .

(4) «س أ» (رجل / شخص / إنسان) :
الأكدية : «شا» ša
الكنعانية : «س» s
العربية الجنوبية : «ذ»
الشمالية : ذو/ذا .

* * *

بعدها يشير «بدج» إلى القبائل التي كانت تحيط بوادي النيل ، وهو يقصد (الليبيين) (والنوبيين) ، ويقر بالتأثير والتأثر المتبادل عفويًا بينهم وبين أهل الوادي كما حدث مع (الساميين) ،

(29) لاحظ تعاقب الحاء والعين في العربية (حفته ، عفته) وهما تعاقبا مع الحاء في المصرية (خ ف ت) . أما في القبطية والأمهرية فكانت الشين بدلاً . قارن الإبدال باللام في العربية «لقت» .

وقارن الأكادية «حبو» = hipu = عدو (معجم «وير» ص 106) والباء المهموسة (p) = ف (حبو) = «خفو» . جذرها «خ ف» وهو الجذر الأصلي للمصرية «خ ف ت ي» والعربية «خوف» ، والمعاني ، على كل حال ، متداخلة .
(30) وكذلك : دنا ، دنح ، دنخ ، دنغ . . . إلخ . وكلها ثلاثي (دن) .

ولكنه لا يرى إمكان فهم النصوص المصرية بمعونة اللغات الحديثة عند هذه الأقوام «غير أن القدر اليسير من الاهتمام الذي أمكننا توجيهه إلى قواعد بعض اللغات في شرق السودان ومفرداتها أقنعني بأنها تحوى الكثير مما يفيد في دراسة لغة النقوش الهيروغليفية».

ثم يختم بقوله : «المصريون القدماء كانوا أفارقة، وهم تكلموا لغة أفريقية، وشعوب شرق السودان المعاصرة أفارقة وأهلها يتكلمون لغات أفريقية، وعليه فإن ثمة الكثير في التراث اللغوي السوداني الحديث مما يعين طالب اللغة المصرية القديمة في عمله».

ولا يجادل أحد في تقارب اللغات المصرية والنوبية والليبية القديمة، بل وحدتها. ولكن ليس معنى أن يكون أهلها أفارقة أن تعتبر لغتهم «أفريقية» بمعنى انفصالها عن اللغات العروبية. وقد أصبح من المسلم به أن ما كان يدعى اللغات الأفريقية (وتسمى : الحامية) واللغات «السامية» العروبية ليست في الواقع إلا فروعاً من لغة أم واحدة.

بالنسبة للغة النوبية (لغة شرق السودان كما يسميها «بدج») يذكر «محمد متولي بدر» : «وقد اختلف في أصل النوبة، فمن قائل إنهم لبييون انحدروا من الشمال إلى بلاد النوبة ودفعوا القبائل الزنجية جنوباً واحتلوا أماكنهم، ومن قائل إنهم نزحوا إليها من آسيا عن طريق البحر الأحمر، ولكل وجهة ودليل يستند إليه . . . ولسنا نعرف بالضبط كيف وأين نشأت اللغة النوبية. أهي لغة أفريقية نشأت في قلب أفريقيا، أم آسيوية انتقلت من آسيا إلى أفريقيا ؟ هناك ثلاثة احتمالات لا بأس من الإشارة إليها :

الأول : أنها أفريقية نشأت في أفريقيا في نفس مكانها الحالي.

الثاني : أنها لغة الكوشيين الذين انتقلوا إلى أفريقيا من آسيا . . .

الثالث : أنها لغة القبائل الليبية التي نزحت من الشمال ودفعت القبائل الزنجية جنوباً واحتلت مكانها كما سبقت الإشارة إلى ذلك»⁽³¹⁾.

أما عن اللغة الليبية القديمة فإن «أوريك بيتس»⁽³²⁾ يقول :

«من المعروف جداً أن اللغة المصرية، حتى في أقدم مراحلها، تحوى عنصراً (بربرياً) أولياً. وهو عنصر ذو طبيعة عميقة الجذور. ورغم طبيعة الفعل (السامية) في اللغة المصرية فإنه حتى في هذا الجانب المهم من اللغة تشارك (البربرية) بعض الملامح. وزيادة على ذلك فإن في اللغتين كليهما جذور ضمائر ذات صلة بعضها ببعض، وهما تصوغان الجمع والضمائر المطلقة [أي المنفصلة] بنفس الطريقة. وكلاهما تصوغان جمع المؤنث بأسلوب متقارب للغاية. وفي الاثنتين يستعمل حرف «ن»

(31) اللغة النوبية ؛ القاهرة 1955، صفحة 5، 45. ويذهب محمد متولي بدر إلى أن النوبية لغة قديمة قائمة بذاتها وليست هي المصرية القديمة، وإن كان ثمة تشابه كبير بين اللغتين. فهما، بعبارة أخرى، فرعان من أصل واحد تميزتا بمرور الزمان.

(32) Oric Bates ; The Eastern Libyans, pp. 81-84.

علامة إضافة غير مباشرة. وفيهما معاً تعامل المجردات وأسماء الجمع باعتبارها مجموعاً قواعدية (نحوية). وإلى جانب هذا الضرب من الصلات فإن مقارنة المفردات المصرية (والبربرية) تظهر أن في اللغتين عدداً من الكلمات الأصلية البدئية المشتركة» (ص 81).

ثم يورد الأستاذ «بيتس» مجموعة من الجذور الأصلية مقارناً إياها في اللغتين (ص 81 - 83). وهي جذور «أصلية» بمعنى أنها غير دخيلة، أو واردة من لغة أخرى (والمقصود لديه العربية أو «السامية» كما هو مصطلحهم) فهي أساسية، محلية. وهو يقع في نفس الخطأ الذي وقع فيه الأستاذ «بدج» ومن وافقه؛ فإن مقارنة بسيطة بين هذه الجذور والمفردات الناتجة عنها في المصرية ولغة شمال أفريقيا تبين عن عربيتها الواضحة. وها هي مقارنتنا نحن لها بالعربية:

المكافء العربي	المعنى بالإنكليزية	الجذر	مصري
ف ك كف (مقلوب «فك») كافاً ⁽³³⁾ .	reward	FK	FK
م ش مشي > أمشى = ولد ⁽³⁴⁾ .	to give birth	MĠ	MŞ
م ز مز > مزق/مزع.	to pluck off, to snatch	MZ	MSK
م ت موت > مات.	to die, death	MT	MT
ب ت بيت > بات.	to go, to enter, to arrive	BD	BT
ب ز بز > بزق. قارن: بسق، بصق، بزق ⁽³⁵⁾ .	to pour out	BZ	Bš
س س ساء > سأسأ، سار > سؤر.	to drink	SU	SWR
م ماء	Water	M	M
ق ص قص > مقص ⁽³⁶⁾	Knife, dagger	KS	Gš
س م ع سمع (مقلوب «مسع» = مزغ، مسد)	ear	MZغ	MŞDR
م ز مزز ⁽³⁷⁾	lord, master	MS	MS
س ر سر > سري ⁽³⁸⁾	Prince, chief	ZR	SR
ب ز بزز ⁽³⁹⁾	belt, girdle	BSS	MSS
م س مساء ⁽⁴⁰⁾	evening	MDR	MSR
ل «ل» بدل من «ر» ⁽⁴¹⁾	at, to, into, towards	R	R
ل «ل»، «ن» ⁽⁴²⁾	gign. genit	N	N
أ ت «أت» ⁽⁴³⁾	father	T	T

هوامش

- (33) مقلوب «كف» > كافاً .
- (34) قارن كذلك : الكنعانية m'gy ، الأرامية : mty ، العبرية : msa . أنظر : Greenfield ; Some Reflections on the Vocabulary of Aramaic, p. 153.
- (35) الأكادية «أبشو» apšū : فاض، تدفق .
- (36) الجذر الثنائي «قص» يثالث إلى : قص، قصع، قصل، قضم . الخ = قطع .
- (37) الأكادية «ماسسو» massu (معجم «وير»، ص 206) = قائد، زعيم . في مادة «مزن» العربية : «المزُّ : القدر والفضل، وشيءٌ مِزٌّ ومزيزٌ : فاضل» . وفي مادة «مزا» : «مزا مزوا : تكبر . والمزو والمزوي والمزينة في كل شيء : التهام والكهال» . وهذه صفة القادة والزعماء .
- (38) الجذر الثنائي «سر» ومنه الثلاثي «سرا» في العربية يؤدي معنى الرفعة والشرف .
- (39) «البزُّ : الثياب، وقيل : ضرب من الثياب . . . والبزَّة : الهيئة والشارة واللبسة . . والبزُّ والبزَّة : السلاح، يدخل فيه الدرع والمغفر والسيف» . (اللسان) .
- في مادة mss المصرية (= الليبية bšš ، العربية «بزن») يترجمها «بدج» في (معجمه) بأنها تعني : حزام من جلد، نطاق، سلاح، درع، ثوب قتال مصنوع من الجلد .
- (40) الأكادية mūšītu, mūšīti = ليل . الكنعانية mš . (Gordon ; Ug. Handbook, p. 249) .
- (41) ليس في الهيروغليفية حرف اللام . وهو كثيراً ما يُبدل رأء في (البربرية) . وخاصة في لهجة الريف المغربي .
- (42) أنظر حديثنا عن (الإضافة) في قواعد اللغة المصرية فيما يلي .
- (43) مادة «أنت» في العربية تفيد الغلبة والقهر، صورة الأب رئيس العائلة . راجع مناقشتنا هذا الموضوع في الرد على الأستاذ «بدج» فيما سبق .



هل المصرية لغة (خاصة) ؟

(مناقشة رأي لوفيفر)

يذهب الأستاذ «لوفيفر»⁽¹⁾ في قضية العلاقة بين المصرية واللغات المجاورة إلى أن اللغة المصرية تنتمي إلى ما يسميه (عائلة اللغات الحامية - السامية) التي تنقسم عنده إلى أربع مجموعات :

- (1) المجموعة السامية (الأشورية - البابلية، أو الأكادية، الفينيقية⁽²⁾، العبرية، الآرامية، العربية والغربية الجنوبية،⁽³⁾ والأثيوبية).
- (2) المجموعة الليبية - البربرية (libyco - berbère). لهجات شعوب قديمة وحديثة تعيش غرب مصر على شواطئ البحر المتوسط أو في الصحراء.
- (3) المجموعة الكوشية (وتشمل : البجة والبشارة، وكذلك لغات الحبشة غير السامية ؛ الصومالية، لهجة عيسى وعفار... إلخ).
- (4) وأخيراً : المصرية .

ويضيف «لوفيفر» أن اللغات التي تشكل المجموعات الثلاث الأخيرة، وهي التي يدعوها «لبسيوس» Lepsius (اللغات الحامية) قد تعتبر في جملتها نتاجاً لتداخل كلام الأفارقة البدائيين، سكان البلاد الأصليين، و(السامية) الأولى التي دخلت شمال وشمال شرق أفريقيا عند نهاية فترة طويلة من الزمان سبقت العصور التاريخية، عن طريق غزاة ربما قدموا من شبه الجزيرة العربية. ومن هنا فإن اللغة المصرية تحمل طبقة لغوية تحتية substrata أفريقية (ليبية بالأحرى) تسربت إليها وحوّرتها تأثيرات (سامية) قوية. فالأولى أن يقال إن اللغة المصرية في جملتها لغة أفريقية سُمّيت (semitisée) من أن يقال إنها لغة (سامية) حُرِّفت (deformée).

(1) G. Lefebvre ; Grammaire de l'Egyptien Classique, 2ème edition, le Caire 1945, pp. 1-5.

(2) أي الكنعانية. وكلمة «الفينيقية» ناتجة عن تحريف يوناني لـ«بني كنعان» تماماً كما أن «البونيقية» punic/punique (التي تعرّب أحياناً : البونية 1) وهي لهجة (قرطاج) وما جاورها في شمال أفريقيا ناتجة عن تحريف لاتيني لـ «بني كنعانية» كذلك. (قارن : محمد عطيه الأبراشي ؛ الآداب السامية، ص 38).

(3) يقصد بـ«العربية» لهجات شمال الجزيرة، وبـ«العربية الجنوبية» لهجات اليمن القديمة وفروعها من معينة وقتبانية وسبئية... إلخ.

هذا الرأي الذي يقول به الأستاذ «لوفير» هو نفس مذهب الأستاذ «بدج» - وقد بيناه ورددناه خاصة فيما يتعلق بالكلمات (البدائية) primitive الأفريقية وكيف أنها هي ذاتها في العروبية عموماً والعربية بوجه خاص. ومع اعتراف الأستاذ «لوفير» بأن الطبقة التحتية (الأفريقية) هي طبقة ليبية Lybique فهو يخلص إلى أن المصرية لغة أفريقية تأثرت بالسامية وليست لغة (سامية) دخلتها تأثيرات أفريقية. وما دفعه إلى هذا القول ظنه، وبعض الباحثين الغربيين الآخرين، أن «الليبية» - قديمها وحديثها المتمثل في ما يسمى (البربرية) بمختلف لهجاتها - لا تنتمي إلى (السامية). والبحث الدقيق في النصوص الليبية على النقائش التي عثر عليها متناثرة على طول شمال أفريقيا، وبعضها يرجع إلى القرن الثالث قبل الميلاد، وكذلك الدراسة المتأنية للهجاءات شمال أفريقيا المعاصرة، يثبتان أن القديم والحديث من هذه اللغة عروبي الأرومة. وبذا فإن تأثر المصرية بالليبية - كما ذكر «بيتس» - في بداياتها تأثر عروبي (أو هو تداخل) وليس أفريقيا بمعنى خاص.

بعد هذا يمضي «لوفير» في عقد مقارنات مهمة: الأولى في بيان علاقة اللغة المصرية من جهة واللغات (السامية) و(الليبية - البربرية) والكوشية من جهة أخرى. وهي تتلخص في النقاط المشتركة التالية:

- (1) من الناحية الصوتية: سيادة الصوامت (Consonants) على الصوائت (Vowels). وكثرة الحروف الحلقية (العين، الحاء، الخاء... إلخ).
- (2) أهمية الجذور (الصوامت الأساسية) في الأسماء والأفعال المشتقة.
- (3) تقابل الترسيسات اللغوية على وجه الجملة بين المصرية و(السامية) و(البربرية) أو الكوشية. مثال:

- المصرية: «م (و) ت» m (w) t (السامية): «موت» (البربرية): «إمَّت» emmet.
 المصرية: «ذ ب ع» d b ° (السامية): «ء ص ب ع». البجاوية: «جيبا» gība.
 (نسي أن يضع العربية: مَوْتُ، صَبْع / إصْبَع / أصْبَع ا).
 (4) في الأسماء: علامة التانيث التاء (ت - ات) وعلامة الجمع الواو.
 (5) في الضمائر اللاحقة (أي المتصلة، أو الاسنادية): خاصة في المذكر المفرد المخاطب (... ك) والمفرد المتكلم (... ي) والجمع المتكلم (... ن).

- (6) في الضمائر المنفصلة: رغم تعقدها تمكن ملاحظة التطابق الموجود في ضمير المتكلم المفرد. المصرية: «إن ك» ink. القبطية: «أُنْكَ». العبرية: «أنوكي» anōki. (الأكدية: «أناكو» anaku). البربرية: «إنك» ink.

- (7) في الفعل: يميز المخاطب المفرد بالتاء (سابقة أو لاحقة أو الاثنين معاً).
 العربية: (أنت تكتب). كَتَبْتَ. البربرية: «تُرُرْتُ» trurt⁽⁴⁾. البجاوية: «تفديقا»

(4) عند «مرسير» (Mercier; Vocabulaire et texts berbère, p. 415):

refrain: Tararit un urar (رجع، ارتد). وعند «داليه» (Dict. Kabyle-Fr, p. 696):

tarurit; pose, remise, restitution, retour (توقف، رد، إرجاع، إعادة). وجذرها الثنائي «تر» tr. (قارن العربية: «تروى»، «تريث» = توقف، تردد). والجذر الأصلي (r). قارن العربية: «ورا» > وراء = خلف، رجوع.

tefdigā⁽⁵⁾ (= تَرَكْتَ). المصرية : «س د م ت (ى)» (sd m t (y))⁽⁶⁾ (= سَمِعْتَ).

(8) صياغة الأفعال للمبالغة بمضاعفة الصامت الأصلي الثاني .

العبرية : «قَتَلَ» Kétal ، «قَتَلَ» Kittel . (= قَتَلَ ، قَتَلَ) .

البربرية : «إِلْمَدَ»⁽⁷⁾ elmed (دَرَسَ) .

عيسى وعفار : «بَرَر» barar (طَارَ) ، «بَرَّر» barrar⁽⁸⁾ (حَوَّم) .

(9) تحوير ظاهري في الجذر بوساطة إحدى السوابق :

أ - إما لصياغة الفعل السببي (المتعدّي) وتكون السابقة هي «السين» (المصرية القديمة s) في المصرية والبربرية والكوشية ومتنوعة في اللغات (السامية) المختلفة (س، ش، هـ . .)

في المصرية : «ع ن خ» °nh (حَيَّي) .

«س ع ن خ» s°nh (أَحْيَا) .

البحاوية : «نَفِر» nefir (طَيَّبَ) .

«سَنَفِر» snafer (طَيَّبَ)⁽⁹⁾ .

البربرية : «دودو» dudu (رجف، ارتعش) .

«سدودو» sdudu (أرجف، أَرعش)⁽¹⁰⁾ .

ب - أو بإسباق النون في المصرية وبقية اللغات لصياغة الفعل الذاتي⁽¹¹⁾ .

المصرية : «ك أ ي» k3i (عَقَلَ)⁽¹²⁾ .

(5) (fdg) = (wdā) بتعاقب الواو والفاء وهما صوتان شفويان من مخرج صوت واحد، وكذلك حرف (g) والعين إذ يعسر تطلق العين عند البجاة كما أنهما حرفان حلقيان يتبادلان. قارن العربية : «ودع» > «ودَّع» = تَرَكَ. «مَاوَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى» (قرآن كريم) أي : ما تركك .

(6) d = ع . sdm «س ع م» مقلوب «سمع» .

(7) العربية : كَدَّ/كَمَدَّ > تلمذ، تلمذ، وقد زعم بعض الباحثين أنها مأخوذة عن العربية. ونحن نرى أن «لد» مقلوب «لد» = لين، طري، طفل. وهو شأن المتعلم الصغير.

(8) الباء تعاقبت مع الفاء في العربية : «فَرَّ/فَرَفَر». قارن المقلوب : «رَفَّ/رَفَّرَف» .

(9) راجع مادة «ن ف ر» في هذه الدراسة. وانظر الحديث عن «التعدية» فيما يلي من (قواعد المصرية) .

(10) عربيتها : «د أ د أ» = المشي، الحركة، الاهتزاز، الارتعاش، الرجف .

(11) يمثّل العربية «انفعل» (أنظر الحديث عن هذه النون في : قواعد اللغة المصرية - من هذه الدراسة). وهو ليس الفعل المبني للمجهول وإن قاربه .

(12) «العقل» هنا بمعنى الفهم (penser) والتعقل بمعنى التأمل والتفكير (reflicher) . والمصرية حتى بهذا المعنى المتطور ترجع إلى ka بمعنى الرباط أو الوثاق (معجم «بدج»، ص 783) كما هو الحال بالنسبة للعربية «عقل» < «عُقَال»، وكما ترجع «منطق» إلى «نطاق» = رباط . في مادة «قوا» (ka =) في (اللسان) .

«القوة» : الخصلة الواحدة من قوى الحبل . . والجمع : قُوَى وقُوَى . وحبل قُو . . يقال : أقويت حبلك، وهو

حبل قُوَى . (في اللهجة الليبية : «الكاو = الحبل الغليظ . أبدلت القاف كافاً) .

«ن ك أي» nkzi (عَقِل) = انعتل .

البربرية : «إربن» erben (وسخ)⁽¹³⁾

«نربن» nerben (أتسخ) .

العبرية : «قاتل» kätel (قَتَلَ) .

«نُقِتِل» niḳtel (قُتِل) = انقتل .

أما المقارنة الثانية فيعقدها «لوفبير» عن التطابق بين المصرية واللغات الأخرى من العائلة اللغوية المذكورة «مع استثناء السامية» كما يقول (ص 3 من المصدر نفسه) . وهي تتلخص في ما يلي :

(1) الأعداد الوفيرة، على وجه اليقين، من الأصول اللفظية المشتركة بين المصرية واللهجات (البربرية) خاصة في اللهجة التارقية، والتطابق الملحوظ في أنماط جذور الأفعال المختلفة . مثال :
المصرية : gmi (وَجَدَ) . التارقية : egmi⁽¹⁴⁾ .
المصرية : srk (استششق) التارقية : esreg⁽¹⁵⁾ .

(2) الأصول اللغوية المشتركة بين المصرية واللغات الكوشية، ولا سيما البجاوية . مثال :

المصرية : «ن ف ر» nfr (طيب، جميل) .

البجاوية : «نفر» nefir

المصرية : «إ إ» ii ، «إ و» iw⁽¹⁶⁾ (قَدِمَ ، أْتَى) .

البجاوية : «إ إ» ii .

(3) صياغة الأفعال في صيغة المبالغة بـ :

أ - مضاعفة الجذر كله . مثال :

= «والقوى : العقل . وأنشد ثعلب :

وصاحبين حازم قواهما

نبهت والرقاد قد علاهما

إلى أمونين فعدّياهما» .

(13) لم أعتز في ما بين يدي من معاجم لهجات شمال أفريقيا على الجذر (rbn) بمعنى الوسخ والدنس (salir) . وقد يكون الأستاذ «لوفبير» كتب الراء مقابلة للعين (والراء تنطق في فرنسية باريس التي عمت فرنسا الآن غيناً) فهي إذن «إ غ ب ن» وليس «إ ر ب ن» . أقرب جذر عربي إليها هو «عَبَنَ» وفيه من معاني النقص ما يقارب الدنس .

(14) أنظر هامش (18) في ما يلي (من الصفحة التالية) . وقارن تطور دلالة الانكليزية (fetch) = فُتِش > أحضر .

(15) في (معجم بذج، ص 681) : «س رق» serq = يفتح [القصبية الهوائية]، يتنفس، ينشق، يوسع الرئتين، ينتعش . وهذه المعاني تؤذيها مادة «شَرَقَ» العربية : شَرَقَ = شَقَّ، فتح . «شَرَقَ» = غص بالماء ونحوه (أي دخل الماء القصبية الهوائية = تنفسه شهيقاً، استششق) .

شَرَقَ = أشرق (انتعش)

(16) العربية : «أوي» > أوي/أوي ، يأوي = جاء، أتى، قدم .

- المصرية : «ن د» nd (سأل)، «ن د ن د» nd nd⁽¹⁷⁾ (انتصح ، أخذ بالمشورة).
 البربرية : gemi (بَحَث - chercher).
 gemigemi (القيام بالبحث - faire de chercher)⁽¹⁸⁾.
 البجاوية : hirer (مشى).
 hirerhirer (مشى مسرعاً)⁽¹⁹⁾.

- ب - مضاعفة الحرفين الأخيرين من الجذر الثلاثي . مثال :
 المصرية : «ح أ ج» h a g (فرح).
 «ح أ ج ح أ ج» h a g h a g (فرح شديد ، جذل)⁽²⁰⁾.
 البربرية : kusem (مملح).
 kusemkusem (ملح جداً ، أجاج)⁽²¹⁾.

4 - وجود الاضافة المنفصلة (غير المباشرة genetif indirect) بوساطة النون ، وهي في (البربرية) ضمير إشاري ، كما هو الحال في بعض اللهجات (السامية)⁽²²⁾.
 أما المقارنة الثالثة فيخصصها للعلاقة بين المصرية واللغات (السامية) ، وهي لا تتعدى عنده ثلاث نقاط :

(17) قارن العربية في مادة «ندی» : (ندی = دعا، سأل. أناديك : أشاورك. الندي ، النادي ، المنتدى : دار الجماعة يجلسون فيها للتشاور، ومن ذلك «دار الندوة» المعروفة في مكة. وفي تعبيرنا الحديث : الندوة : اللقاء للباحث في أمر والتشاور حوله).

(18) في المصرية كذلك gmi = بحث، نقب، فتش. gm gm = جد في البحث (معجم بذج، ص 807). ويقرن «غاردنر» (Eg. Gr. p. 470) بين gmi و gmh (ج م ح) = (أنظر (look at)). وهذه مقلوب «ج ح م». قارن القلب في العربية : «حجم» ← «أججم عن الشيء» = كَفَّ، كأججم). وفي «معجم بذج» (ص 808) يفيد الجذر gmh في المصري : النظر، الاستكشاف، الرؤية وما يتعلق بالعين من أفعال. في مادة «ججم» العربية في (اللسان) : «الحجمة : العين... والتجحيم : الاستنبات في النظر... وجحمني بعينه : أخذ إلي النظر». وعلى كل حال فإن من معاني المصرية gmi إلى جانب (وَجَدَ، بحث) : جَلَبَ، أحضر، لَقَطَ. وهنا نقارنها بالعربية «جَمَعَ» و«جَمَأَ»، ودلالاتها متقاربة.

(19) قارن العربية : «هرع»، «أهرع». وكذلك «هرول» = مشى مسرعاً.
 (20) «ح أ ج» عن طريق القلب : «ح ج أ». قارن العربية : «حَجَباً» : فرح. حجىء بالأمر : فرح به. وحجأت به : فرحت به» (اللسان).

(21) يورد «داليه» (Dallet ; Dict. Kabyle-Français, p. 427) هذه الكلمة في الجذر (ksmy) ومنه : Kesemsem, kkesmu- mi بمعنى : «حدوث رد فعل ، أو إشارة يثيرها طعم شيء لاذع أو حامض». ويجعلها مشتقة من ismum (من الجذر sm) ويحيل القارئ إلى مادة Kresmumi في الجذر (krsmy). ومعناها لديه ما ترجمته عن الفرنسية : تقطيب الوجه (التكشير) أو القشعريرة عند أكل شيء لاذع أو مر. ويعيدها هي الأخرى إلى مادة ismum (جذرها sm) التي نجدها (في ص 776) ومشتقاتها (ومنها Kesmumi) تفيد معنى الحموضة والمزارة والحدة والمرارة واللذع. وهذه تنطبق على «الملح» والماء «الأجاج»، ولكنها تنطبق أيضاً على العربية «سم» المعروفة. (أنظر : مادة «سم» في (اللسان)).

(22) راجع هذه النقطة في مبحث «قواعد اللغة المصرية» من هذا البحث.

(1) هذه العلاقة تبدو في ما يتصل بالمفردات التي تمثل تقريباً ثلاثمائة أثل مشترك بين المجموعتين⁽²³⁾، وضمن الجذور المشتركة نميز في عدد وأفر منها جذوراً ثلاثية، وهذه الظاهرة الثلاثية تلاحظ أيضاً في الكوشية والليبية - البربرية (أمثلة منها في ما تقدم).

(2) توجد في المصرية، كما في (الساميات)، صياغة الصفة بما يسمى «النسبة» بإضافة الياء في نهاية الأسماء أو الأدوات (الحروف)، وهي تلقائية في الأسماء.

(3) توجد في المصرية صياغة الفعل باللواحق، تشبه في الجملة - إن لم يكن في التفصيل - الماضي التام (perfait) في اللغات (السامية) ربما تقارب الماضي المستمر (permansif) في الأكادية، وتقارب في قسم منها نوعاً من النعتي qualitatif الذي يقابلنا في (البربرية) في بعض الأفعال المشيرة إلى ظرف أو نعت أو حال.

* * *

هذه خلاصة ما يعرضه الأستاذ «لوفير» في كتابه المذكور. وقد بينا عروبية، بل عربية، المفردات التي استشهد بها في الهوامش بما فيه الكفاية، وكثير منها، وغيرها، مبثوث ضمن هذه الدراسة. أما تفصيل موازناته اللغوية والنحوية فيجده القارئ في الباب الخاص بقواعد اللغة المصرية وصلتها بالعربية بكثير من الأسهاب.

يبقى هناك بعض الملاحظات :

(1) ما يتعلق بمقارنته المصرية بما يدعوه اتباعاً لـ «لبسيوس» : (اللغات الحامية)، أي المجموعة (الليبية - البربرية) والمجموعة (الكوشية). وواضح أن هاتين المجموعتين على صلة وثيقة بالعربية، أو على الأقل بالعروبية الأولى. وقد ذكر «لوفير» نفسه أن لغات هاتين المجموعتين تكونت عن طريق هجرات «ربما قدمت من شبه الجزيرة العربية» إلى شمال أفريقيا وشمالها الشرقي. وطبيعي أن تكون اللغة المصرية في قلب المسألة، سواء جعلناها ضمن (المجموعة الحامية) كما يسميها «لبسيوس» أو حيدناها منفصلة بذاتها كما فعل «لوفير».

(2) حول ما يسمى المجموعة (السامية - الحامية) التي تضم المجموعات المذكورة من قبل، وهو ما يراه «لوفير». وكان ذلك اعترافاً، وإن جاء متأخراً، بتطابق ما أسماه المجموعتين «الحامية» (وتشمل الليبية - البربرية والكوشية) و«السامية» (وتشمل البابلية بأقسامها والكنعانية والأرامية بفروعها والعربية، شمالها وجنومها، والحبشية). وهي عندنا : العروبية.

(23) هذا ما تقوله أيضاً السيدة «واترسون» (Watterson ; Introducing Eg. Hieroglyphs, p. 44). وعندنا أن عدد الجذور المشتركة بين المصرية واللغات (الحامية) أكثر من مائة جذر، وبينها واللغات (السامية) أكثر من ثلاثمائة جذر. والحقيقة أن هذه الجذور المشتركة بين العروبية (السامية، عندهم) والمصرية تعد بالآلاف وليس بالمئات. وأرجو أن يخرج (المعجم المصري - العربي المقارن) إلى حيز الوجود قريباً لبيان هذه الحقيقة الجلية. ولعل القارئ واجد شيئاً من هذا في ملاحظ هذا البحث الذي بين يديه الآن.

(3) ما يخص المفردات التي تخيرها «لوفبير» لمقارنته مع المصرية . إذ نلاحظ أن الأستاذ لم يشير إلى العربية في كل هذه المقارنات ، صرفاً ونحواً ومفردات ، سوى مرة واحدة في ذكر العربية (أنت : تكتب ، كتبت) ضمن اللغات الأخرى (!)

وهذه الملاحظة تكشف عن منحى كثير من المستشرقين ورغبتهم في فصل المصرية عن العربية ، وإن قاربوها بلغة البجاة والتوارق وقبائل «النيام نيام» . كما فعل الأستاذ «بدج» من قبل ! بعد هذا يخصص الأستاذ «لوفبير» كلمة قصيرة لما يراه خاصاً بالمصرية وحدها . . فيقول : «على الرغم من القرابات الثابتة فعلاً بين المصرية واللغات ذات النسب بها ، فإن الجزء الأكبر منها مكونٌ من عناصر أصلية (محلّية)» . ويضرب لهذا مثلاً اسم «النيل» «ح ع پ ر» أو «ح ع پ ي» ويقرر : «وواضح أنه مصري على وجه التعمين» . أما لماذا هو «مصري» خالص ، محلي ، أصلي ، غير وارد من لغة أخرى ، فلا يبينه الأستاذ . فلنبن نحن وجه الحق في الأمر إذن :

في مادة «ح أ پ ي» من هذه الدراسة فصلنا القول في تسمية نهر النيل هذه ، وكيف أن الكلمة تكافئ العربية «حفي» . ونضيف هنا أن العين في المصرية «ح ع پ ي» كما يوردها «لوفبير» زائدة لا محالة ؛ إذ من غير المتوقع أن ينطق حرفان حليان متتاليان . والدليل أنها تأتي «ح پ ي» h p y في مواطن أخرى (معجم بدج ، ص 477) وعند «غاردرنر» «ح پ» h p (Eg. Gr., p. 619) .

الجذر الأصلي لهذه الكلمة التي أطلقت على نهر النيل تعني أساساً : الفيضان ، الماء الغزير . وهو جذر ثنائي «ح پ» h p (والباء المهموسة (P) تقابل الفاء في العربية «حف») . قارن العربية : «حفي» = كثير . فإذا ثلث الجذر بالنون إلى «حفن» وجدنا المعنى : ماء غزير متجمع . وكذلك إذا ثلث باللام «حفل» . فإذا ثلث بالسراء أدى إلى «حفر» ، وهذا ما يقابل اسم النيل في المصرية «ح پ ر» h p r . ولنقتطف من (اللسان) هنا بعض ما جاء في مادة «حفر» :

«استحفر النهر : حان له أن يحفر (أي يعمق ليمضي في مجراه) . . . وهذا غيث لا يحفره أحد أي لا يعلم أحد أين أفصاه»⁽²⁴⁾ . . . قال الأزهري : والأحفار المعروفة في بلاد العرب ثلاثة : حَفَر أبي موسى ، وهي ركايا احتفرها أبو موسى الأشعري على جادة البصرة . . . ومنها حَفَر ضبة ، وهي ركايا بناحية الشواجن بعيدة القعر عذبة الماء ، ومنها حَفَر سعد بن زيد مناة بن تميم ، وهي بحذاء القَرمة وراء الدهناء يستقى منها بالسانية عند جبل من جبال الدهناء يقال له الحاضر» .

والركايا - للعلم - هي مجموعة الآبار ، أو مجتمع الماء ، أو الأحواض وأن تعين الأحفار (جمع حَفَر ، بفتح الفاء) بثلاثة يعني أن «الحفر» تطلق على ما كثر ماؤه وغزر فيصبح مورداً وعلماً ، وليس مجرد بئر محفورة ، فإن الآبار العادية لا تعد ولا تحصى . وهذا هو بالضبط ما كان من أمر «ح پ ر» أي نهر النيل ، الذي يمكن اعتباره رابع الأحفار المعروفة أو أولها . ولا يهيم القول بأن الأحفار سميت كذلك لأنها آبار حفرت ، فما النيل إلا ماء تدفق فحفر مجراه المعروف .

(24) نفس الشيء كان بالنسبة لنهر النيل الذي لم يكن أحد يعرف منبعه حتى بداية عصر الاستكشاف .

فمن أين، بعد هذا، للأستاذ «لوفير» أن يقول بأن تسمية النيل «ح پ ر» في المصرية كانت أصلية، محلية، خالصة؟

هذه هي «الميزة» الأولى التي رأى أن المصرية تميزت بها. أما «الخصيصة» الثانية التي تفردت بها عن غيرها من اللغات، حسب رأيه، فهي تصريفها الخاص؛ إذ هي «لا تملك الصياغة الفعلية بالسوابق ولا تماثل الماضي الناقص imparfait (السامي) أو الصيغ المشابهة في البربرية والكوشية» - كما يقول. بل على العكس هي تقدم اللواحق، وهو نظام غير معروف في المجموعات الأخرى من اللغات (الحامية - السامية). وذلك بإضافة لواحق الضمائر بتنوعات كثيرة. مما يبين بجلاء عن أصل أفريقي.

ولعل «لوفير» يقصد تصريف الفعل في حالة المضارع؛ إذ يوضع الضمير المناسب في العربية أول الفعل: [أسمع (أنا). نسمع (نحن). تسمع (أنت). تسمعون (أنتم). تسمعان (أنتما)]. تسمعون (أنتم). تسمعن (أنتن). يسمع (هو). تسمع (هي). يسمعان/تسمعان (هما). يسمعون (هم). يسمعن (هن)]. وفي المصرية يوضع آخر الفعل المضارع: [س دم. ي = س دم إ] (أنا أسمع). [س دم. ك] (أنت تسمع). [س دم. ت] (أنت تسمعين). [س دم. ف] (هو يسمع). [س دم. س] (هي تسمع). [س دم. ن] (نحن نسمع). [س دم. ت ن] (أنتن/أنتن، تسمعون/تسمعن). [س دم. س ن] (هم، هن، يسمعون/يسمعن)⁽²⁵⁾.

فهذه الضمائر، كما يلوح لأول وهلة، لواحق في الفعل المضارع في المصرية بينما هي في العربية سوابق. وهذا غير مطرد؛ إذ نلاحظ أن العربية تستعمل اللواحق في: المخاطب المثني، والغائب المثني، والجمع كذلك. هذا في المضارع أما في الفعل الماضي فكل الضمائر لواحق.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نشير إلى التطور اللغوي، ونذكر أن «ال» التعريف في العربية مثلاً، وهي التي تسبق الآن المعرف كانت في الأصل «ن» اللاحقة، مع ما جرى عليها من تطورات⁽²⁶⁾. هذا التطور طرأ على المصرية ذاتها⁽²⁷⁾، مما لا يمس الأصول المشتركة الأولى على أية حال. ونظرة واحدة مقارنة بين التصريف المصري والتصريف العربي يظهر التماثل في النشأة، وأحياناً في التطور، سواء في مسألة السوابق واللواحق - وهي عادة مجموعة الضمائر التي شرحناها في موطنها - أو في صياغة الأفعال حسب الزمن.

هاتان هما النقطة الواحدة اللتان ذهب الأستاذ «لوفير» إلى (تميز) المصرية وتفردها بها عن بقية اللغات المحيطة بها، وخاصة اللغات العروبية، وقد أبنا وجه الحق فيها.

فهل يقال بعد هذا إن اللغة المصرية لغة مستقلة، أو حتى أفريقية، غير عروبية؟!؟

(25) Watterson ; Introducing Eg. Hier., pp. 97-98

(26) أنظر «أداة التعريف» في باب (قواعد اللغة المصرية) في هذه الدراسة.

(27) كما بينه الدكتور عبد المحسن بكير في كتابه (قواعد اللغة المصرية في عهدها الذهبي).

إضافات

(7)

تسنّى لي، حين شرع في الطبع، أن أطلع على مؤلّفين لعالمين عربيين، أحدهما من دمشق والآخر من القاهرة.

كان الأول بعنوان : (الهجرات العربية القديمة من شبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين والشام إلى مصر) للدكتور محمود عبد الحميد أحمد، مدرس تاريخ الشرق القديم بكلية آداب جامعة دمشق (دار طلاس، دمشق 1989م). وهو عمل جادٌ مشكور مدعم بالمراجع والمصادر، وإن اقتصر على مطابقة عنوانه.. لا يزيد. وأما الثاني فهو بعنوان : (حضارة مصر القديمة وآثارها) للدكتور عبد العزيز صالح، عميد كلية الآثار سابقاً (القاهرة 1980) - الجزء الأول من جهد مركز وتتبع متأن صبور بنظرة العالم المدققة.

وما يهمننا في الكتاب الأول الفصل الرابع الذي عقده الباحث عن «الأثر الذي تركته العناصر البشرية ذات الأصول العربية في حضارة مصر القديمة» (ص 255 - 280) ويتحدث عن «الأثر اللغوي» بدءاً من صفحة 263 فيقول ما نصه :

«وفيما يتعلق بالظواهر اللغوية العربية التي وجدت في اللغة المصرية القديمة فإن بعض العلماء يعزون سبب وجودها إلى تمكن بعض العناصر ذات الأصول العربية من الوصول إلى مصر في عصور ما قبل الأسرات، وإلى استمرار وصول عناصر أخرى إلى مصر منذ مطلع العصور التاريخية، إما بشكل أسرى حرب أو أرقاء، أو تجار، أو جماعات مهاجرة، أو أفراد يعملون مع البعثات التعدينية المصرية في سيناء. وكان تأثير هذه العناصر البشرية في اللغة المصرية كبيراً لدرجة أصبح معها للصيغة اللغوية العربية وجود بارز في اللغة المصرية القديمة أكثر من أية ظاهرة لغوية أجنبية سواء في نحو اللغة أو مفرداتها».

هذا الرأي منقول عن «غاردنر». ولا يعقل، طبعاً، أن يؤثر أسرى الحرب والأرقاء والتجار وبضعة جماعات مهاجرة أو أفراد يعملون مع البعثات التعدينية المصرية في سيناء، هذا الأثر الكبير. المعقول أن يكون أساس الوجود المصري ذاته عربياً، وليست العربية لغة طارئة مؤثرة. ثم نقراً :

«وفيما يلي يقدم الباحث أهم الخصائص اللغوية المشتركة بين اللغة المصرية القديمة ومجموعة اللغات العربية القديمة بشكل عام».

ويلى ذلك ثمانية أسطر (!!) عن هذه «الخصائص المشتركة» (ص 263 - 264).

ويضيف :

«كما اشتركت اللغة المصرية القديمة مع أخواتها العربيات باستخدام (يقصد : في استخدام) مجموعة من المفردات المتشابهة. وأقدم نماذج من هذه المفردات المتشابهة فيما يلي».

والذي يلي 88 مفردةً مقارنة مأخوذة عن أحمد بدوي ، وغاردنر، وعبد العزيز صالح . ثم
يختتم :

«ولكن على الرغم من وجود تشابه في قواعد نحو وصرف اللغة المصرية القديمة مع قواعد نحو وصرف أخواتها العرييات، ووجود كثير من المفردات العربية في اللغة المصرية القديمة، نتيجة لتسرب العناصر البشرية [العربية] إلى مصر، منذ عصور ما قبل الأسرات وحتى نهاية الدولة الوسطى، فإن ذلك لم يؤد إلى ضياع شخصية مصر اللغوية واللفظية» (ص 275).

هذا القول مأخوذ بحذافيره من كتاب الدكتور عبد العزيز صالح المذكور، إذ يقول بعد مقارنات بين المصرية والعربية والليبية والبجاوية وغيرها من اللغات التي تسمى (السامية/الحامية) :
«ومرة أخرى، لم يؤد التقارب بين اللغة المصرية وبين جاراتها في الشرق والغرب والجنوب إلى ضياع شخصيتها إطلاقياً، ولم تكن المفردات التي أسلفناها غير قلة قليلة من كثرة كثيرة من مفردات ابتداعها المصريون بوحى بيتهم وبما يناسب مطالب حضارتهم ويتفق مع أذواقهم وتخييلاتهم . فهم وإن شاركوا إخوانهم الساميين في التعبير عن الغين بلفظ (عين) على سبيل المثال، إلا أنهم ابتدعوا للعين ستة أسماء أخرى فضلاً عن عدد من الصفات، وإذا شاركوهم في التعبير عن الأذن بكلمة (إذن) إلا أنهم ابتدعوا لها خمسة أسماء سواها لم يشاركهم فيها جيرانهم . وإذا شاركوهم في التعبير عن الطفولة بلفظ (طفن) إلا أنهم عبروا عنها من ناحيتهم بما لا يقل عن عشرين لفظة أخرى . وظل هذا شأنهم في التعبير عن كل ما أحاط بهم وعاشوا فيه ووصفوه، فعبروا عن السماء بنحو أربعين صفة، وعبروا عن العرش بنحو ثمانية عشر اسماً وصفة، وعبروا عن حركات المشي في الذهاب والاياب بنحو أربعين فعلاً، وعبروا عن حالات الفرح والاستمتاع بنحو أربعين فعلاً أيضاً، وهلم جراً⁽²⁸⁾». (ص 26).

والحق أن حكم الدكتور صالح يبعث على الدهشة فعلاً، وسبب هذه الدهشة أنه أكد في مواطن كثيرة من كتابه وحدة الجنس البعيدة، ووحدة الثقافة، بين عرب مصر و«جيرانهم» ثم عاد لينقض ما أكد . وقد يكون مفهوماً أن تحتفظ مصر بشخصيتها المحلية، وكذلك يفعل أي قطر آخر، لكن هذا لا يؤدي إلى انفصال . أما ما يذكره عن الأسماء والصفات الكثيرة التي أطلقت على السماء، وحركات المشي، والعرش، وحالات الفرح والاستمتاع، فهو ذاته ما يعرف في العربية بالترادفات، حتى لقد اشتهر عن العرب تسميتهم الأسد بمائة اسم، وكذلك السيف، والجمل، وغيرها، مما هو في الواقع صفات وليس أسماء، أو صفات تحولت إلى أسماء . لكن كيف يثبت أن المصريين «ابتدعوا» هذه الصفات أو الأسماء ؟! هذا ما لا سبيل إلى إثباته ؛ فقد يكونون جاءوا بها من الغرب أو الشرق، أو وردت إليهم بعد استقرارهم، أو تطورت من أصول بعيدة .

(28) هذا التعبير العربي «هلم جراً» مركَّب من «هلم» بمعنى : تعال، أقبل، وهي بدورها مركبة من (هاء التنبيه + لم) ولكنها استعملت استعمال الكلمة المفردة البسيطة + «جرأ» وتقابلها في المصرية «ج رو» grw التي ترد في صور : gr,igr,grt,igrt - يقول عنها «غاردنر» (ص 155 و 188) إنها قد تفيده في الأنكليزية : moreover, also, further, any more - وهذا ما تفيده العربية «هلم جراً»، ولاحظ أن «هلم» سابقة مضافة على «جرأ» ذات الصلة بالمصرية «gr» .

وإذا كان الدكتور عبد العزيز صالح ذكر أن المصريين شاركوا إخوانهم (الساميين) في كلمة «عين» و«أذن» و«طفل» فهو لم يذكر الصفات الست الأخرى للعين والخمس للأذن والعشرين للطفل التي تفرد بها المصريون. وهنا يأتي دور الدكتور محمود عبد الحميد أحمد الذي قدم الصفات أو الأسماء التي «لم يشارك الساميون إخوانهم المصريين» فيها، «وكلها مقصورة على اللغة المصرية القديمة». (ص 276).

فلننظر في ما قدم، ولنقدم نحن المكافئ العربي الذي لم يُشَرَّ هو إليه :

1. المصرية : «ع ن» = العربية : «عين»
 المصرية : «إ ر ت» = irt = العربية : رأى > رائية.
 المصرية : «و ن م ت» wnmt (بمعنى : العين اليمنى) = العربية : يمئة.
 المصرية : «و ض أ ت» wdzt (بمعنى : العين الصحيحة) = العربية : وضاً > وضئئة.
2. المصرية : «إ دن» idn = العربية : «أذن».
 المصرية : msdr (بمعنى : أذن) = العربية : «مسمع»، «سَمع». الراء في msdr زائدة،
 و msd مقلوب = smd = سمع (ع = د).
 المصرية : «ع ن خ و ي» onhwy (بمعنى : أذنان).
 لاحظ أن wy - للتثنية في المصرية والأصل هو onh = أذن.
 في مادة «عند» العربية : العاندة أصل الذقن والأذن.
 وفي مادة «عنش» : عنش الناقة إذا جذبها إليه بالزمام، كعنجها⁽²⁹⁾.
 وفي مادة «عنج» : العجاج حبل أو سير يُشدُّ به الدلو من أسفل (= أذن الدلو).
3. المصرية : «ت ف ن» tfn = العربية : «طفل».
 المصرية : «خ رد» hrd = العربية : «خرد». الخريدة : العذراء، البكر = الطفلة.
 المصرية : «م س» ms = العربية : «مشا»، «مسا» : ولد.
 المصرية : «ش ر ي» šry = العربية : «صغير». الأكادية «شيرو» širu.
 المصرية : «رن پ ي» rnpy . الياء في آخرها للنسبة. في العربية : مادتا «رنب» و«رنف»
 تفيدان النبت، تماماً كما تفيد مادة rnp المصرية، والتعبير عن الولد بالنبت معروف. (يقال
 في اللهجة الدارجة : اللي خلف النبات (= الولد) ما مات).
 المصرية : sdy . يترجمها «غاردر» (Eg. Gr., p. 593) بمعنى : طفل، ربيب. وعند «فولكنر»
 (المعجم، ص 261) ترد في صورتى sdy، sdy وترجمها : طفل، ربيب الملك. وعند
 «غاردر» أن sdy لقب غير معروف المعنى (ص 593).
 ويبدو لنا أن الياء في آخر الكلمة للنسبة (قارن : šry, rnpy) والتاء للتأنيث، والأصل هو
 sd أو sd ، وهو ما يؤدي إلى :

(29) قارن ما في اللهجة : «شدّه من ودنه» أي جذبه.

أ. sd(1) : كسر. مؤنثها sdt والنسبة إليها s d t y . عربيتها : «شظ» > شظي > شظية . أو الثنائي «شد» > شذذ، شذر، شذب = قطع / كسر.
والمعنى البعيد هنا «القطعة» = الولد/الطفل - كما يعبر في العربية عن الولد بأنه «بضعة» (= قطعة) من أبيه، أو هو «فلذة» (= قطعة) كبده.

ب. sd : ذيل. وباعتبار s d t y تعني : الريب، ريبب الملك، فهو «تابع» له أو «ملحق» به، أي «ذيل» له، أو «ذيلي» على النسبة. المصرية sd هنا تقابل العربية : «سأد»/«سد» > «سدد» > «سداد»/«سدة»، «سادة» - مؤنثة. ويرجح هذا المذهب اشتقاق s d t y (اللقب غير المعروف المعنى عند «غاردنر») من sd بمعنى «ذيل» (ص 465). فالريب هنا يقوم مقام (= يسد) الابن من ناحية، كما أنه ملحق بالملك (سأد) من ناحية أخرى. ويؤكد أن s d t y / s d t y لا تعني الطفل مجرداً، أي طفل، بل تعني الريب، أو ريبب الملك تحديداً. أما مقابلتنا المصرية sd بالعربية «سد» فيدعمها أن في المصرية : sd(3) بمعنى «ختم» وهي ذاتها العربية «سد»، ومنها s d a w t, s d a y t = ختم، وكذلك s d a w t y = كنز (ختم = سد) بالتأنيث والنسبة كما في s d t y .

ج. التحليل الثالث أن يكون الجذر الأصلي في المصرية s d t y هو d t ، والسين في أوله سابقة للتعدي (أو السببية Causative) والياء في آخره للنسبة. وفي معجم «فولكنر» (ص 317) تترجم d t بأنها تعني : جسد شخص، صورة، صورة جسدية لآله، نفس. وهذه هي العربية «ذات» («ذت» بدون حركة). فإذا عرفنا أن «م س» ms في المصرية تعني «ولد» كما تعني «صورة» (باعتبار الولد صورة أبيه) أدركنا الصلة بين «ذت» بمعنى «صورة» والمشتق منها s d t y بمعنى : ولد، صبي، طفل، ريبب، ريبب الملك، فهو «الذتي» أو «الذاتي» أي الذي جاء من «ذات» الملك (قارن التعبير المصري الدارج : «ابن ذوات»، «أولاد الذوات» أي : الأرسقراطي، الطبقة العليا في المجتمع. و«ذواتي» = رفيع، من طبقة عليا).

ويمكننا هنا أن نزيد تسميات أخرى للطفل لعل الباحث لم يبتها إليها :

1. «ن خ ن» n h n «ن خ ن و» n h n w (معجم فولكنر ص 138) : صبي، طفل، صغير، ووردت : «ن خ ن ت» n h n t : طفولة (غاردنر، ص 575).
- في العربية مادة «لخن» (بتعاقب النون الأولى في «ن خ ن» واللام) وفيها : «الألخن» : الذي لم يحنن - وهو الطفل، إذ كان المصريون القدماء يحننون، فعبروا عن الطفل الذي لم يحنن بعد بـ«الألخن» = «ن خ ن».
2. «ن ن ي» n n y - (غاردنر p. 443 Eg. Gr.) . ولا تزال في اللهجة المصرية المعاصرة : «نونو». والأصل البعيد في دلالتها الضعف، شأن الطفل الصغير. ومن ذلك في معجم اللغة المصرية : n n y : مُتعب، كأل. w n w : تعب، خمود. n n y w : الخامدون = الموتى. (معجم فولكنر، ص 134).
- عربيتها : «وني» . . . التواني والونا : ضعف البدن . . . والونا : الضعف والفتور (= الخمود) والكلال والأعياء». (اللسان).

وفي مادة «نأنا» : النأنة : العجز والضعف . وتناًنا : ضعف واسترخى . والنأنا والنأنا : العاجز الضعيف .

3 . وفي المصرية كلمة «إن ب» in p التي تترجم إلى : «ولي العهد» ، «الطفل الملكي» royal child - حسب «غاردنر» و«فولكنر» كليهما . والطفل الملكي ، أو ولي العهد Croun-prince هذا لا يكون إلا «سيداً» ، سيصبح «سيد السادات» حتماً حين يشب ويعتلي العرش . قارن هنا العربية «أنف» في (اللسان) وهي مادة غزيرة وفيها : «الأنف : السيد» .

4 . وفيها : w d h ، وتعني : الأمير الصغير السن يُرضع بلبن غير لبن أمه (غاردنر Eg. Gr., p. 443) . فالأصل في تسمية الأمير الطفل بهذا الاسم هو اللبن الذي يرضعه . مادة «وضح» العربية تفيد البياض والنقاء والصفاء - مما يناسب الأمراء الصغار - وفيها ورد : «الْوَضْحُ : اللبن . . . سمي بذلك لبياضه . ويقال : كثر الوَضْحُ عند بني فلان إذا كثرت ألبان نَعْمهم» . (اللسان) .

5 . كما يسمى الطفل في المصرية كذلك : «ح و ن» h w n - كما تعني : صغير السن - وتؤنث «ح و ن ت» بمعنى : صبيبة (غاردنر، ص 580 . فولكنر، ص 166) . عربيتها «حول» > حولي، حولية، أي من مرَّ عليه حَوْلٌ (= سنة) من الأولاد، فيقال : حال الغلام، وأحوَل، فهو محوَلٌ . «وقيل : محوَلٌ ؛ صغيرٌ من غير أن يُحْدَّ بحولٍ» (اللسان) .

وهكذا نجد أنه بشيء من الدقة، والتدقيق، وبشيء من التحري والبحث والعودة إلى أصول الكلمات ونشأتها الأولى ومقارنتها بما في العربية، يمكننا القول إن مصر شاركت جاراتها في الشرق والغرب لغتها، وإن من الخطأ الحكم المتسرع بأن المصريين «ابتدعوا» مفردات «لم يشاركهم فيها جيرانهم» أو أن «التقارب بين اللغة المصرية وبين جاراتها لم يؤد إلى ضياع شخصيتها إطلاقاً» . ذلك لأن «شخصية مصر» كانت منذ البدء، وإلى الأبد، عروبية خالصة كريمة .

(2)

من المؤسف أن ينزلق بعض العلماء العرب إلى تبني أفكار الفرنجة المضللة، أو المضللة، دون تمحيص، حتى لنجد أستاذاً جليلاً كالدكتور عبد العزيز صالح، يقول بعد أن عقد مقارنات ممتازة بين اللغة المصرية ولغات جيرانها بين فيها الصلات والوشائج :

«وانفردت اللغة المصرية من ناحيتها بخصائص وقواعد ميزتها عن لغات جيرانها، وكان من ذلك على سبيل المثال أنها تضمنت بين حروفها المكتوبة حرف (ب) لم تتضمنه أبجدية جيرانها، وتضمنت شكلين لحرف السين بينهما فارق تعبيرى لا يكاد يحس، ولم تشاركها هذه الظاهرة فيما أذكر غير حروف المسند القديمة التي تضمنت بدورها شكلين لحرف السين لا يختلفان كثيراً في نطقهما»⁽³⁰⁾ .

(30) حضارة مصر القديمة وآثارها، الجزء الأول، ص 30 . وهو ينقل هذا الرأي عن Driver في كتابه Semitic Writing .

وهذا قول باطل من أساسه ؛ فإن البابلية - بلهجتها الأكادية والأشورية ، قديمها ومتوسطها وحديثها - مليئة نصوصها بالباء المهموسة «پ» ونظرة واحدة إلى بعض مراجعها تبين هذا الواقع ، وكذلك الأمر في الكنعانية (نصوص رأس الشمر - مثلاً) . وينسى الأستاذ الجليل أن نصوص العربية (العدنانية) كتبت في مرحلة متأخرة سقطت فيها هذه الباء المهموسة وأبدلت فاءً أو باء مفردة ويظل المعنى قريباً لقرب مخرج الصوت (قارن : باء ، فاء = رجع ، عاد = المصرية «پ أ» pa) .

أما مسألة وجود شكلين لحرف السين بفارق تعبيرى لا يكاد يحس فإن وجود الشيء ذاته في حروف المسند اليمينية القديمة دليل على مرحلة تطورية مشتركة . ونضيف أن الأمر ذاته ملاحظ في الأبجدية الكنعانية (التي تسمى : الأوغاريتية) كما بينه أنيس فريجة (ملاحم وأساطير من أوغاري) و«غوردن» (Gordon ; Ug. Handbook) . إلى جانب أن العلماء اتفقوا على قراءة الرمز الهيروغليفي (ا) سيناً أما السين الثانية (ح) التي يشير إليها فقد قرأها بعضهم صاداً وقرأها آخرون زاياً ، ولعلها أحد هذين الصوتين اللذين لم يدرجهما بعض العلماء الآخرين في «الأبجدية» المصرية .

ثم يدلُّ الدكتور صالح على هذا «التفرد» و«التمييز» في اللغة المصرية بقوله :
 « واحتفظت اللغة المصرية بنشبهاتها البيانية التي خدمت وجود الحضارة الفكرية والمادية التي طرفها دون جيرانها أو أكثر من جيرانها (ا) وعبرت من ناحيتها عن ضمير الغائب المنفصل فيها بلفظ «نتف» أو «انتف» وعبرت عن ضميره المتصل بحرف الفاء دون بقية أخواتها الساميات والحاميات» .

وقد بيننا أمر ضمير الغائب المنفصل والمتصل في باب الحديث عن قواعد اللغة المصرية في الجزء الثالث من هذه الدراسة ، فليعد القارئ إليه مشكوراً .

هذه هي الأسس التي انفردت عليها اللغة المصرية «بخصائص وقواعد ميزتها عن لغات جيرانها» : حرف الباء المهموسة «پ» ، وصورتان لحرف السين ، وضمير الغائب (ا)

وهذا غير كافٍ . فماذا بعد للبرهنة على هذا التفرد والتمييز ؟
 قال :

«واستخدمت (اللغة المصرية) صيغاً فعلية مرنة تزيد كثيراً وتختلف كثيراً عن صيغ الأفعال عند جيرانها ؛ فكان أدباؤها إذا كتبوا جملة بسيطة مثل (خرج جلالته) وجدوا من مرونة لغتهم ما يسمح لهم بأن يعبروا عن هذه الجملة القصيرة بنحو عشرين أسلوباً في أزمنتها الثلاثة وفي صيغتها الفعلية وصيغتها الاسمية فيقولون :

بر إن حمف	بر ن حمف	بر حمف
برت بو إيرن حمف	برت ن حمف	برت حمف
حمف حر برت	حمف برف	حمف بر
عحمف بر حمف	عحمف برن حمف	عحمف حمف بر

= . ومعروف أن «درايفر» واحد من أشد غلاة العلماء اليهود تعصبا ، وكتابه المذكور بالذات يعتبر نموذجاً للتشويه المتعمد والدعاوة للعبرية .

بر خر حمف أو حمف بر أو برن حمف
 إن حمف بر ون خر حمف حر برت ونن حمف حر برت»⁽³¹⁾

ولا يُؤخَذُ القارئ هذه السلسلة من الحروف المرصوفة، فهي ليست إلا تركيبات متنوعة لجملة واحدة، اسمية وفعلية في الأزمنة الثلاثة مع الأدوات المساعدة. وأهم مفرداتها:

1. «بر» pr : خرج. عربيتها: برّ، برّاً (برّة).
 2. «حمف» hm.f : جلالته. مكونة من: «حم»: جلالة. عربيتها: «حمي/حمو/حمي».

والفاء ضمير الغائب (ه).

3. «إر» ir : عمل. عربيتها: «أري».

4. ثم الأدوات المساعدة:

أ- «إن» in، «ون» wn، «ونن» wnn. عربيتها: «إن».

ب- «حر» hr : على. أنظر باب قواعد

ج- «خر» hr : تحت = في المصرية في الجزء

د- «إو» iw : للمستقبل. الثالث

ه- «عحمن» ch^on : ثم، إذن، وعليه (= حينئذ).

ويمكننا، بالطبع أن نقدم المكافئ العربي حرفياً، كما يلي مثلاً:

«بر حمف»: «برّ حموه» = خرج جلالته.

«عحمن حمف بر»: «حينئذ حموه برّ» = حينئذ جلالته خرج.

«حمف بر»: «حموه برّ» = جلالته خرج. إلخ.

ولكن هذا أمر قد يضني القارئ، فلنركب في عربيتنا المقروءة والمحكية الآن تنويعات من

«خرج جلالته».. ولننظر:

خروجاً (عمل) جلالته	خارج (في الخارج) جلالته	خرج جلالته
جلالته في الخارج	إن جلالته خرجت	خرجت جلالته
جلالته خارجاً	حينئذ جلالته خرج	جلالته خرج
على خروج جلالته	سيخرج جلالته	وحينئذ جلالته خرجت
ثم خرج جلالته	ستخرج جلالته	تخرج جلالته
جلالته خارجة	خارجة جلالته	إن جلالته خارجة

وهكذا.. يمكن أن نضيف عدداً كبيراً من التركيبات في الأزمنة الثلاثة، مما يفوق حتى ما

ذكر في المصرية. وماذا لو وضعنا مع «خرج جلالته»: (كان) وأخواتها، (إن) وأخواتها، وأفعالاً وأدوات مساعدة أخرى؟!

(31) المصدر المذكور سابقاً، ص 30. وقارن: Gardiner; Eg. Gr., p. 38.

الذي يحدث أن الصيغ الفعلية المرنة التي استخدمتها المصرية لا تزيد كثيراً، ولا تختلف كثيراً عن صيغ الأفعال عند جيرانها.

(3)

مثلما فعل «بيتس» Bates في مقارنته بين المفردات الليبية والمصرية وإغفاله العربية قام آخرون بالمقارنة بين المصرية من جهة والليبية (تسمى أحياناً : البربرية) واللغات الكوشية (البجاوية والصومالية والغالية) من جهة أخرى باعتبار هذه اللغات تنضوي تحت ما يسمى «اللغات الحامية» - كما فعل «لوفير» .

وصحيح أن بعض العلماء لاحظوا الصلة بين «المجموعة الحامية» و«المجموعة السامية» حتى أدمجوهما معاً في ما أسموه «المجموعة الحامية/ السامية» غير أن التركيز كان دائماً على فكرة الفصل بين المجموعتين، مما يوهم بأنها مجموعتان قائمتان بذاتهما ولا سبيل إلى الجمع بينهما. وقد قدم الدكتور عبد العزيز صالح آراء العلماء الذين قازبوا بين المصرية و«السامية» وعرض في نحو خمس صفحات من كتابه القيم أوجه التشابه في النحو والصرف والمفردات، ولكن «ليس من سبيل للأسف إلى معرفة مدى فضل المصريين في نحت هذه الألفاظ السامية» (ص 22). ونحن لا يهمننا أن نعرف «من أخذ عن من» بقدر ما يهمننا إثبات وحدة هذه الكتلة البشرية منذ القدم عن طريق إثبات وحدة لغتها.

ثم يمضي إلى عرض المقاربة بين الليبية⁽³²⁾ والمصرية، فيقول :

«وساهم كل من (م. كوهن) و(إ. زيهلرز) مع غيرهما في عقد المقارنات بين اللغة المصرية ولغة (البربر الليبيين) وعرضوا عدداً من أوجه التشابه المقبولة بين بعض أفعال وأسماء اللغتين مع اختلافات إقليمية بينهما في اللهجة وترتيب الحروف، مثل الخلط بين الباء والفاء، وبين الحاء والهاء، وبين التاء والكاف، وبين القاف والكاف والجيم، وبين العين والألف (أي : الألف المهموزة) وبين الألف والهمزة، وبين الواو والهمزة، والخلط بين الفعل اللازم والفعل المتعدي، وإضافة ألف (ليبية) مهموزة في بدايات بعض الأفعال. . إلخ» (ص 22 - 23).

وهذا ما يسمى في العربية الابدال، أو المعاقبة، أو التعاقب، والقلب المكاني. وهو باب معروف جداً في العربية.

وفي ضوء هذه الوجوه من التشابه والاختلاف ينقل عن «زيهلرز» Zyhlarz مقارنته بين أفعال مصرية قديمة وأخرى ليبية تقترب منها في النطق والدلالة إلى حد مقبول - كما يقول - ويقدم أمثلة في جدول. لكن المقارنة تقتصر على المصرية والليبية ولا ذكر للعربية، سوى بعض الملاحظات في الهوامش عن وجود ما يقارب الفعل أو الاسم في (السامية). فيما يلي نقدم هذا الجدول⁽³³⁾ مع مقاربتنا نحن بالعربية :

(32) المقصود بـ(الليبية) هنا ما يسمى «البربرية» أي لغة بعض أهل الشمال الأفريقي غير العربية العدنانية، وهي لهجات منبثقة عن الليبية (أو اللوبية) العتيقة، أما إذا ورد تعبير (الليبية الدارجة) أو (اللهجة الليبية) فالعني ما يتكلم به عامة الناس في ليبيا اليوم.

(33) يلاحظ أننا حافظنا على رسم نطق الكلمات المصرية والليبية كما وضعه المؤلف، وأضفنا النقحرة المتعارف عليها الكلمات المصرية بالحرف اللاتيني، واعتمدنا في التحليل الأصل المصري المتفق عليه. أما الكلمات (الليبية) فإن

(أ) في الأفعال

المصرية	المعنى	الليبية	العربية
جمي (gmi)	وجد	إجمي	جمي ⁽³⁴⁾
نجي (ngi)	انشق وانفتح	إنجي	نجا = قطع . وقارن الثلاثيات : نجب، نجد، نجر، نجل، نجم .
بسي (وفي) (psi)	طبخ	إفي	بسِل : أبسل البُسْر = طبخه وجففه .
وبي (wpi)	شق	إبي	أبب : أب = شق ⁽³⁵⁾ .
مت (وموت) (mt)	مات	إمت	موت : مات، يموت .
سوي (swi)	شرب	إسو	سأسأ : (مضاعف «سأ») . شيئاً : الشئ = الماء .
سون (swn)	عرف	إسن	أول ⁽³⁶⁾
نو (n w)	رأى	إني (وإنهي)	عين : عأين = شاهد، رأى .
ندي (ndi)	طرح أرضاً	إندي	ندأ : ندأ اللحم = ألقاه في النار .
إري (iri)	عمل	أرو	أري : الأري = العمل .
مري (mri)	أحب	مري (ومرهي)	روم : رام = أحب ⁽³⁷⁾ .
دِف (wdf)	تباطأ	إتف	دفف : الدفيف = الدبيب، وهو السير اللين .
سرق (sraq)	تنفس (ونفس) إسرج		شرق : الشرق = دخول الماء ونحوه الخلق مع الهواء . قارن : شهق .
ساق (saq)	جمع (وتماسك) أسيج		سوق : ومنه : السُوق = مجتمع الناس .
فدق (fdq)	شق	إفتك	فتق : شق .

= شدة الاختلاف في نطقها بين قبائل شمال أفريقيا ومناطقها يجعل الرسم بالحرف العربي هنا غير نهائي، ومناقشتها وتحليلها تفصيلاً عملية ثقيلة . قد يكون مجالها بحثاً آخر بإذن الله .

(34) يبدو أن المعنى الأصلي للمصرية gmi لا يفيد «الوجود» بمعنى : العثور على الشيء، وإنما يفيد من حيث هو موجود، بمعنى : متوفر، كثير - بحيث «يوجد» في كل مكان ويعثر عليه . وهذا ما يفيد الجذر الثنائي في العربية «جم» الذي يثلث إلى : جما، جمر، جمع، جهل، جم، جمعي، والرباعي : جمهر - وكلها تفيد الكثرة والتوفر .

(35) قارن : أب = كلاً، عشب؛ الأصل هو شق النبات للأرض . وكذلك «أب» بمعنى : والد؛ الأصل فيه معنى «الخلق» الذي هو «الشق» .

(36) في مادة «أول» العربية معنى التدبير والتقدير والتفسير والفهم (ومن ذلك : التأويل) . وتضاف سين التعدية في الجبالية فنجد «سأول» : تكلم، تحدث (بفهم طبعاً) وفي العربية : سأل = استفهم . وفي الدارجة الليبية : «ساول» و«سول» . وتبدل اللام نوناً في كثير من ألفاظ العربية ذاتها، فنجد مثلاً أن «التسول» و«التسؤن» - بمعنى : استرخاء البطن - واحد . أما المصرية فإنه لا لام في أبجديتها، وبسقوط الهمزة - كما في الدارجة الليبية - وإسباق سين التعدية نجد «سون» وقد تطور معناها إلى «عرف» . وبإسباق الهمزة المكسورة في الجبالية، وهي ظاهرة معروفة، وسقوط الواو نجدها «إسن» مشددة السين، وأصلها : (إ) سون .

(37) الثنائي «رم» في العربية مقلوب «م ر» في المصرية أدى عند تثليثه إلى : روم، رام، بمعنى : أحب .

المصرية	المعنى	الليبية	العربية
تكا (tka)	أشعل [النار] توكو		طقق: طق ⁽³⁸⁾
سبدد (spdd)	أصلح (وحدد) سدبد		سفد ⁽³⁹⁾
حطب (htp)	استقر حتبت		حتف: الحتف = الموت، أي الاستقرار والهدوء.
ونف (wnf)	استمتع ونف		ونج ⁽⁴⁰⁾
وسف (wsf)	تكاسل وسف		(أنظر: «ودف»، «إتف» فيما سبق = «دف»)
وبن (wbn)	وضح / أشرق ومن		بين: بيان = وضوح، إشراق.
مجد (أو مزد) (mdd)	أصاب الهدف مدد		مصد ⁽⁴¹⁾
نيج (nd)	صاح إنجو		ندي: نادى = صاح.
إقر (iqr)	تفوق أقر		وقر: التوقير = التبجيل والتعظيم ⁽⁴²⁾
سكي (ski)	حرث سكي		سكك: السكة = حديدة المحراث.
سنتر (sntr)	بخر سنكر		صندل ⁽⁴³⁾

(38) من الواضح أن «طق» (= تك) محاكاة لصوت ألسنة النار عند اشتعالها في الوقود. وفي اللهجة الليبية الدارجة: «طقاش» = شر النار، مفردهما: «طقاشة». قارن العربية: طقق.

(39) في المصرية: «س پ د» = spd = حدد، جعل الشيء حاداً، كما نقول في العربية: جعله ثاقباً (النجم الثاقب = المضيء، الحاد الضوء). وفي العربية: «سفد» > سفود/سفاد = ثقب. السفود: حديدة (حادّة) ذات سنّ قارن: سنّ = جعله حاداً) تنغرز في اللحم ونحوه.

أما عن زيادة الدال الثانية في «سبدد» فقارن زيادتها في العربية في مثل: رعد > رعيد.

(40) في (اللسان): الوَنَج: المعزف وهو المزهر والعود، وهو الوَنُّ - فارسي معرب أصله «نه»، وهو الصنج. وهذا غريب؛ فإن الوَنَج، والون، ليسا إلا ثلاثي «ون» وهو الصوت الطبيعي يصدر عن الأوتار عند العزف عليها، والمكافئ في المصرية (والليبية) «ونف» تعني: طرب، طروب (joyful) عند «فولكنتر» كما تعني: سعيد، مرح (glad, gay) عند «غاردرن»، وهو ما يلزم العزف بالمزهر أو العود، أي «الونج» أو «الونف» ثلاثي «ون».

(41) من دلالات m d d في المصرية: ضغط، رمى هدفاً، لطم. وفي مادة «مصد» في (اللسان) هذه الدلالات في مجال المجامعة. فإذا كانت الميم في m d d سابقة والأصل هو d d فإن المكافئ العربي هنا يكون: «سد» > سد. «سدد»: وأما السدّاد، بالفتح، فإنها معناه الإصابة في المنطق... وكذلك في الرمي. يقال: سدّ السهم يسدّ إذا استقام» (اللسان).

ومجمل «غاردرن» (Eg. Gr., p. 520) المحدد الهيروغليفي لكلمة m d d - وهو عبارة عن سداة نسيج (لاحظ الجذر

«سد» في «سداة») بين قائمتين بأن هذا يوحي بأن المعنى الأصل هو أقام (= استقام، العربية: سدّ، استدّ).

فهل نلمح العربية «مسدى» هنا لتقابل m d d ؟

(42) الدلالة الأساسية لـ«إقر» هي الثقل (العربية: وقر) ثم العظمة والمكانة، والوزن الكبير للشخص، مما يؤدي إلى الامتياز والتقديم والتفوق.

(43) في (اللسان): «الصندل»: خشب أحمر ومنه الأصفر، وقيل: الصندل شجر طيب الرائحة». وهو ما يتبخّر به. وهناك تعاقب بين الصاد والسين، والتاء والكاف والدال، والراء واللام، وكلها قريبة مخرج الصوت. وقد تفعّل «صندل» إلى: صندل، يصندل = أحرق شجر الصندل بخوراً.

(ب) في الأسماء والصفات

المصرية	المعنى	الليبية	العربية
جو (gw, ka)	ثور	أجُو	أنظر الهامش (44)
ونش (wnš)	ذئب	وَشَن (أو : شَن) أوس : «أوس» و«أويس» = الذئب، ولا يعرف.	
مچو (أو مزو) (mdw)	عشرة	مزو	مذي، مذي : الماء (45).
تامرت (أو تامرة) (?)	ذقن	تامرت	مرط (46).
باد (pd)	ركبة	أفاد	بدد (47).
سمي (smi)	دسم	إسم	سمن : ثلاثي «سم». . قارن «دسم» مثلثة من أولها بالبدال.
فقا (fqa)	هدية	إفك	كفأ : جازى بعطية. الأصل «كفأ» مقلوب «فك».
مچيت (mdt)	وتد	مديت	ذود : مَدُود.

(44) في المصرية ka تعني الثور إطلاقاً، أما gw فهي نوع من الثيران. ويقارب «كوهن» (Essai Comp. p. 112) بين المصرية في صورتها «البربرية» (= الليبية) : agu, aggu, agwi ، والكوشية agala . (الهمزة بدل من العين في العربية «عجل»). في المصرية يظهر أن العين في بداية الكلمة ساقطة. («عجل» > «جل»). أما اللام فلا توجد في الهيروغليفية، واستعيض عنها بالهمزة في «كأ» ka- كما يحدث كثيراً - مع إبدال الجيم كافاً : ka = gi < gi (عجل). لكننا لا نزال نجد (ga) في كلمة «جاموس» (جأ + مس. حرفياً : الثور وَلَدٌ = وَلَدُ الثورُ = «شبيه الثور» (أو البقرة) - لأن «م س» تعني : ولد، شبيه، صورة). ولا يمكن أن نسى الانكليزية (cow) أي : بقرة - وشبهاها في اللغات الهند - أوروبية. هل هي كلمة دَوَّارة ؟

(45) المعنى الأصلي البعيد للدلالة على العدد (عشرة) هو الكثرة والاحاطة، مثلما هو الحال في العربية «عشرة» من الجذر «عشر» بمعنى : كثر واجتمع. أنظر مبحث الأعداد في هذه الدراسة.

(46) رغم أنني لم أعثر في ما بين يدي من مراجع على ما يشبه «تامرت» (tmrt) بمعنى «ذقن» فإنني أقدم الملاحظات التالية :

أ. «الذقن» في العربية : مجتمع لحمي الانسان من أسفلها، والذاقنة، مؤنثة، ما تحت الذقن أو رأس الحلقوم، وقيل إن الذاقنة هي الذقن. . . وهي عند الذكر والأنثى، ولا صلة لها بالشعر الذي سمي هنا : اللحية - خاصة بالرجل.

ب. «الذقن» تذكّر وتؤنث، كما تؤنث لفظاً ومعنى : ذاقنة.

ج. نذهب إلى التاء الأولى في «تامرت» (ت. مرت) للتأنيث، وكذلك التاء الثانية، غير أن الأخيرة وقعت بعد حرف قريب منها فأدغم الاثنان.

د. نمضي إلى مادة «مرط» العربية فنجد أنها تفيد زوال الشعر وفيها جاء : الرجل الأمرط هو الذي خفّ عارضاه من الشعر، والمرطاوان والمريطاوان : ما عري من الشفة السفلى، وهو ما يقارب الذقن.

(47) في المصرية pd تترجم بأنها تعني «ركبة»، وإلى جانب هذا يترجمها «غاردرن» (Eg. Gr., p. 566) إلى Stretch = مدّ، وسع، فرد. في مادة «بدد» (ثلاثي «بد» في (اللسان) : البدد : تباعد ما بين الفخذين، ورجل أبد وفي فخذه بدّ أي طول مفط، وفرس أبد أي بعيد ما بين اليدين، والبادان : باطنا الفخذين، وكل من فرج بين رجله فقد أبدهما، والباد أصل الفخذ، والبادان من ظهر الفرس ما وقع عليه فخذ الراكب (قارن : «ركبة» من «رَكَب»). وبعض العلماء يقارب بين المصرية «بد» والليبية «أفاد» والعربية «فخذ»، «فخذ».

المصرية	المعنى	الليبية	العربية
شونتة (šntt)	قاعدة		
سو (أو أسو) (sw)	(مشروع) يوم	إسنتي	سنن : سِنَّة . ضو(أ) : الضوء والضياء : النور ⁽⁴⁸⁾ .
جري (dri)	سور	دري	سور : وقارن : «دور» = أحاط .
حررة (hrrt)	زهرة	أريرة/واريري	حرر : في مادة «حرر» معاني الرقة والحسن والنقاء، شأن الزهر.
نر (nr)	راع	إنر	أنظر الهامش ⁽⁴⁹⁾ .
ع (c)	ناحية	إ	علا ⁽⁵⁰⁾ .
جنس (dns)	ضيق	إهنسا	زنق، ضنك ⁽⁵¹⁾ .
نيبي (nni)	صغير	نونو	وني، أي، ونن : تعني الضعف، حال الطفل الصغير.
بوت (bwt)	فاسد	بويت	بوط ⁽⁵²⁾ .
نجم (ndm)	حلو	نودم	نعم : بتعاقب العين و(d) والبدال .

(48) في العربية يقال : ضوء، وضياء . وقد تحذف الهمزة في آخرها . و«ضوأ» مقلوب «وضأ» بمعنى النور . والمعنى الأصلي في المصرية sw هو النور، ضوء النهار، ومحدد الكلمة في القلم الميروغليفي صورة الشمس ☉ ومن الواضح تعاقب السين والضاد في «س و» المصرية و«ضو» العربية .

(49) عند «غاردرن» (Eg. Gr. G14, H4) : «ن رو» nrw = خوف . وعند «فولكنر» (ص 134) : nrw (مخيف) و nrw (خوف) و nr i (حَمَى) . ونذهب إلى أن النون في بداية هذه الكلمات ليست أصلية (أنظر أمثلة لذلك في باب قواعد المصرية في الجزء الثالث من هذه الدراسة) والأصل هو ri, rw الذي نقابل بالعربية «روح» بمعنى : خوف، و«رعى» بمعنى : حَمَى . ولنا أن نذكر هنا ri (يتوقف، يمتنع عن، يصد . غاردرن، ص 577) بالعربية «ارعى» = امتنع عن - لتأكيد ما ذهبنا إليه .

(50) في معجم المصرية ترجم (ع) بأنها تعني : منطقة، ناحية région إلى جانب معاني أخرى (فولكنر، ص 36، وغاردرن، ص 556)، ولكنها أصلاً تعني : ذراع، يد . والمعنى البعيد هو الارتفاع (أنظر حديثنا عن حرف العين في مبحث الأصول العربية لرموز الهجاء الميروغليفية) . وفي المصرية «ع أ» a = مرتفع - والهمزة إبدال من اللام (ع ل) > عالٍ، علو .

الملاحظة الأخرى أن المقطع «ع» المتبوع من «ع أ» (= ع ل) بمعنى : ناحية region لا يأتي وحده، بل يرد مقترناً باسم الناحية المعنية (معجم فولكنر، ص 36)، وهي غالباً ناحية مرتفعة (عالية) مثلما هو الحال بالنسبة للمصعيد «ع - رس ي» وجبال الصحراويين الشرقية والغربية «ع - خ أش ت»، كما توجد «ع - م ح ت ي» بمعنى : ناحية السماء الشمالية، والدلتا .

في مادة «علا» في (اللسان) ورد :

العالية : ما فوق أرض نجد إلى أرض تهامة وإلى ما وراء مكة، وهي الحجاز وما والاها .

والعوالي : أماكن بأعلى أراضي المدينة وأدناها من المدينة على أربعة أميال وأبعدها من جهة نجد ثمانية، والنسب إليها : عاليٌّ، على القياس، وعلوي، نادر على غير قياس .

وعالية الحجاز أعلاها بلداً وأشرفها موضعاً، وهي بلاد واسعة، وإذا نسبوا إليها قيل : علويٌّ . . . إلخ .

(51) تفيد المصرية «دن س» dns (وليس : جنس) معنى الثقل (معجم فولكنر، ص 314، وغاردرن، ص 520) . وقد نقابلها بالعربية «دنس» بمعنى الوسخ، وفيه معنى الثقل، والضيق كذلك . كما أن معنى الضيق موجود في العربية «زنق»، أما الثقل والضيق معاً فهما في مادة «ضنك» - وكل هذا مع ملاحظة تبادل الحروف والأصوات .

(52) «باط الرجل، يبوط، إذا ذل بعد عز أو إذا افتقر بعد غنى» (اللسان) . وفي هذا معنى الفساد . فإذا لم تكن التاء =

بعد هذا يعرض الدكتور عبد العزيز صالح (المصدر المذكور، ص 25 - 26) نماذج من مقاربات العلماء بين المصرية من جهة واللغات الكوشية (وبالذات : البجاوية وهي لغة البشاريين والعبادة في شرق السودان وشماله، أي في النوبة، والصومالية والغالية) من جهة أخرى. ويذهب إلى أن «هذه المقارنة لم تخل من إظهار نوع من التقارب اللفظي بين مفردات الجانيين، وهو تقارب لا ندري إن كان نتيجة لاتصال جنسي (سلالي) قديم، أم ترتب على صلات الأخذ والعطاء في مجالات التجارة وانتقالات الرعاة، أو تأكد خلال امتداد النفوذ المصري في الجنوب خلال عصوره الفرعونية الطويلة» (ص 25).

ومهما تكن الأسباب في هذا «التقارب» فإن جهوداً أكبر واهتماماً أكثر يجب أن توجه لتأكيد - وليس مجرد توضيح - هذه القرى على أيدي علماء عرب، لا أن تترك الدراسات المقارنة للأجانب الذين لن يبلغوا - مهما غزر علمهم - مبلغ العربي في فهمه لأسرار ألفاظ اللغة ولهجاتها وحرصه على جلاء ما غمض بحكم عوامل كثيرة.

فيما يلي نورد الألفاظ التي ذكرها الدكتور صالح في مجال الأسماء والأفعال، مع شيء مهم للغاية لم يشر إليه هو المكافئ العربي للفظ وتحليله نوره نحن حتى يتبين الحق :

(أ) في الأسماء

المصرية	المعنى	العربية
سن (sn)	أخ	في البجاوية : سان صِنُو = مثيل، شقيق، أخ .
عخم (ḥm)	صقر	في البجاوية: إهم رخم : عقاب ⁽⁵³⁾ .
نف (nf)	نفس	في البجاوية : نيفي نَف = نفس .
رد (rd)	رجل	في الصومالية : راد ردى : الردي : الركض، وِرْدَى : إذا رفع رجلاً وقفز بالأخرى .
سم (sm)	خضر	في البيجاوية : سيام سم > سم ⁽⁵⁴⁾ .
حتر (htr)	حصان (وأي	
	زوج من البهم)	في البيجاوية : حتاي حضر ⁽⁵⁵⁾
إدر (idr)	قطيع	في البيجاوية : ودر عذر ⁽⁵⁶⁾ .

== في bw t أصلية فإن مكافئ bw هو العربية : «بوة»، وفيها دلالة الحمق، والطيش، والسُحق، مما يفيد الفساد، والاسم منها : «بوهة» (= b w t) .

(53) الرخمة : طائر أبقع على شكل النسر خلقة إلا أنه مبقع بسواد وبياض يقال له : الأَنُوق . والجمع : رُخْمٌ ورُخْمٌ، واليرخوم : ذكر الرخم .

(54) في الأكادية : شَمُو = خضر، بقول .

وفي العربية : السمسم ؛ الجلجلان، وحب الخردل (مادة : سمم)، وهو من البقول، مضاعف «سم»، يقابله في الأكادية : šamaššammu (جلجلان . معجم شنايدر، ص 30) .

(55) الحضر : العذو، وتطلق على ركض الخيل . والحضار من الأبل : البيض . وحضار : اسم للثور الأبيض .

(56) عند «غاردر» (Eg. Gr., p. 556) تعني المصرية idr : ربط، رباط، كما تعني : قطع . وفي مادة «غدر» العربية يجتمع المعنيان .

العربية	المعنى	المصرية
في البيجاوية : ناي / أنظر الهامش (57).	عنزة	نياو (niaw)
أرخ : الإرخ = الثور، الإرحة : البقرة (58).	ثور، بقرة	إح، إحت
	أحا، أحَّا	(ih, iht)

(ب) في الأفعال

العربية	المعنى	المصرية
صدى، شدا = صات (59).	قال	جدد (dd)
أوى = جاء.	أتى	إإ (ii)
أم = قصد، مضى، إلى، جاء.	تعال	مي (mi)
شمس) في لغة البيجاوية أنظر الهامش (60).	تبع	شمس (šms)
عَبَّ، هَمَّ > لهم > التهم (61).	ابتلع	عم (ʿm)
خم : خمي، عمي (62).	جهل	خم (hm)
حسس : الحسُّ = الصوت / الغناء.	غنى	حسي (hsi)
قب (63).	برَد	قب (qbb)

(57) الأصل «ن أو» naw (غاردنر، ص) معناها معز جبلي ibex الذي هو في العربية : «وعل». ولا لام في الهيروغليفية فأبدلت نوناً، والألف المهموزة إبدال من العين (naw = ʿw) (ن أو = ل ع و) والأخيرة مقلوب «وع ل». هذا تحليل، أما التحليل الثاني فيذهب إلى أن الألف المهموزة إبدال من العين، كالسابق، فتكون «ن ع» ثنائي «ن ع ج». وفي العربية : النعاج الشاء الجبلي، أي : الوعل. ولكي نبين أن «نع» (وللعلمية في المصرية : «نعو» = naw) هي ثنائي «نعج» نذكر هنا أن هذا الثنائي يؤدي إلى ألفاظ متصلة بعالم الحيوان حيث يثلث : نعب > ناعب (غراب) وكذلك : نعق > ناعق، نعم > نعام/أنعام). والأصل البعيد في «نع» هو صوت الحيوان. قارن : نع > نعر > نعر/نعار/ناعر.

(58) تطلق على البقر الوحشي. وقد سقطت الراء وأبدلت الخاء حاءً في «إح».


(59) الحرف ʿ (الذي ينقحر أحياناً إلى : ج) يتعاقب كثيراً جداً مع أصوات، أو حروف، قريبة منه في العربية، بينها في موطنها. هنا قد يقابل الصاد في «صدي» أو الشين في «شدا» وفي كليهما دلالة الصوت كما هي في «قول > قال».

(60) في معجم اللغة المصرية نجد أيضاً «س م ش» s m š بمعنى «تبع»، والشين أحياناً، للتعدية، والجذر هو «م ش» mš، عربيته : مشى، يمشى، مشياً.

(قارن العربية : شئس = خادم المعبد/الكنيسة، أي : التابع). وكلمة «شمس» (النجم المضيء على الأرض نهاراً) انبثقت عن هذا الأصل لأنها سائرة/تابعة أبداً.

(61) الأصل البعيد محاكاة. قارن ما نعبر به عن الأكل والابتلاع : هَمَّ هَمَّ ا

(62) الجذر الثنائي «خم» في العربية أدى إلى : خمت، خمد، خمج، خمل... وكلها بمعنى الفتور، حساً ومعنى، أي عدم الفطنة = الجهل. قارن تعبيرنا المعاصر في اللهجة المصرية : «راجل خام» (= جاهل، بسيط) وكذلك : «خم، يخم» (= يستغفل، من الغفلة وهي الجهل).

(63) في مادة «قب» العربية : القابة = قطرة المطر. وفي مادة «قأب» : أكثر من شرب الماء (= برَد حرقه عطشه). «إناء قوَاب وقوأي : كثير الأخذ للماء». لاحظ إناء الماء في الهيروغليفية  («ق ب ب» qbb) بمعنى : برَد (بالماء) - في الأصل البعيد (cooling) ثم تطور إلى معنى «برَد» (cold).

الأصول العربية

لأسماء رموز الهجاء الهيروغليفية

مقدمة

بدأت جميع أنباط الكتابة، بدون استثناء، تصاوير وأشكالاً مختلفة للموضوعات المراد التعبير عنها. ثم تطورت إلى صور مُخْتَزَلَة لهذه الأشكال، حتى جُرِّدَتْ وتحوّلت مع مرور الزمن إلى أحرف تختلف نطقاً وعدداً بحسب طبيعة اللغة وتطورها. والمتفق عليه أن ثمة أصولاً أربعة لجميع أنواع الخطوط المستعملة في العالم الآن: الخط المصري، والخط الحثي، والخط المسامري، والخط الصيني⁽¹⁾.

بالنسبة للخط المصري - موضوع حديثنا الآن - يُرجح الكثير من الباحثين أنه ورد إلى مصر من بلاد الرافدين أول ما ورد، ثم استقل بشخصيته الذاتية واستقر على شكل خاص به هو ما يُعرف بالخط الهيروغليفي، (وهذا تعبير يوناني معناه الحرفي: النقش المقدس). وانبثق عن الهيروغليفية، بحكم التطور وضرورة السرعة، خطان آخران: الخط الهيراطيقي Hieratic وهو مختص بالنصوص الأدبية والدينية يستخدمه الكهنة (وهو من اليونانية Hieratikos = كهنوتي). وآخر يُستخدم في المعاملات التجارية والحياة اليومية ويسمى: الديموطيقي Demotic (من اليونانية Dimotikos = شعبي). ولكن الخط الهيروغليفي احتفظ بمكانته رغم كل شيء وظل مستعملاً في المعابد وعلى جدران الهياكل لتأريخ مآثر الفراعين وأثار الملوك حتى عصر متأخر جداً، ولم تفقد الهيروغليفية مكانتها إلا باستيلاء الرومان على مصر وإنهاء حكم المصريين لبلادهم⁽²⁾.

(1) هذا التقسيم بحسب العالم القديم المعروف، وهو يستبعد رموز حضارات أخرى، كحضارة الأنكا والأزتك في القارة الأمريكية التي لم تفك بعد ولم تُرجع إلى أصل من هذه الأصول، كما لم يتقرر ما إذا كانت هي ذاتها أصلاً خامساً.

أنظر: فوزي عفيفي: نشأة وتطور الكتابة الخطية العربية - ص 14.

Wallis Budge; Egyptian Language. p. 31 - 32

Wallerson; Introducing Egyptian Hieroglyphs, p. 60 - 62.

Hart; Early Egyptians, p. 41

Gardiner; Egyptian Grammar, p. 27.

(2) عن الرموز الهجائية الهيروغليفية أنظر:

الهيروغليفية في أساسها مجموعة من الصور، تفوق الخمسمائة عدداً، وهي صورٌ جميلة جداً بلغت من الدقة حدّ الروعة لأغلب مظاهر الحياة التي تهم أهل مصر، حيواناتٍ وبشراً وأمتعةً ونباتاتٍ ومظاهر طبيعة . . . إلخ . وتعتبر «لوحة الملك مينا» التي يرجع تاريخها إلى أواخر الألف الرابعة قبل الميلاد أقدم أثر معروف لها حتى الآن. وهي في أساسها - وظلت - تصاوير ورسوم متنوعة، أمكن قراءتها وفهمها بفضل «شامبليون» وغيره أوائل القرن التاسع عشر - وبدا فتحت آفاق واسعة للمعرفة بتاريخ مصر والشرق وبأحداث جسام كانت مجهولة، وعرفت جوانب من الحياة كانت خافية .

بدأت الهيروغليفية صوراً، صورة لكل موضوع - واستمرت على هذا زمناً، ثم قابلتها مشكلتان : الأولى تكمن في المعنويات، أي تلك المعاني التي يصعب تصويرها كالخزن والفرح والحب، والغلبة، والقهر، والعدل والظلم . . . إلخ . فاتفق على رمز يدل على أن الصورة، رغم حسيتها، معنوية . والثانية تكمن في ضخامة عدد الصور المطلوبة وتكرارها - وعدم الدقة في تحديد مدلولها مادة أو معنى . وهنا جاءت فكرة الاكتفاء بعدد من الصور تُكوّن «حروفاً» - وهذا هو الهجاء . . الألف باء أو الأبجدية⁽³⁾ .

ظهرت «الصور الهجائية» - وعددها أربع وعشرون حسب المتفق عليه - «حروفاً»، تنطق كل صورة حرفاً واحداً وتؤدي الصوت المتفق عليه، فهي «أبجدية» بالمعنى المعروف . لكن هذه الصور (الحروف) يمكن أن تكون (كلمات) هي ذاتها - في بعض الأحيان - ثنائية أو حتى ثلاثية الحروف . ولا يمنع هذا من بقائها «حروفاً» عند الحاجة وهذا ما جعل بعض الرموز الهيروغليفية تُقرأ باعتبارها كلمة «قائمة» بذاتها، وجعل هذه الكلمة تتحول إلى حرف واحد، خاصة في الرموز المتفق عليها والتي ستعرض لها بعد قليل .

يعرف القارئ أن حروف الهجاء العربية تطورت عن الكنعانية، أو السينائية (النبطية) في بعض الأقوال . وعن الكنعانية أخذت اليونانية ثم اللاتينية . والكنعانية ذات صلة بالأشورية (المسارية) . والأخيرة قد تكون انبثقت عن السومرية . . . وهكذا . لكن الحقيقة التي لا تقبل الجدل أن أسماء هذه الحروف هي ذاتها أسماء موضوعات الصورة التي تطورت عنها، أو بالدقة : اختصار أسماء هذه الموضوعات .

لنضرب مثلاً :





ألف :

ا : في العربية :

𐤀 : في العبرية :

A : في اللاتينية :

(3) الألف باء Alphabet بحسب ترتيب حروف الهجاء : ألف، باء، تاء . . . والأبجدية بحسب ترتيب آخر : أبجد هوز حطي كلمن . . . إلخ .

 : في الكنعانية :
 : في الآشورية :
 : في البابلية :
 : الأصل :

والأصل صورة «ثور». والثور في الكنعانية اسمه «ألف»، وفي الأكادية «آلفو». ونلاحظ أن العربية أكثر الرموز تجريداً. وأن «A» اللاتينية هي ذاتها ʾ (وجه الثور بقرنيه مقلوباً - إذ كأنّ اللاتين قلبوا الصورة لأنهم يكتبون من اليسار إلى اليمين عكس الأمم العروبية!).

صورة رأس الثور (الألف) هذه كانت تُكتب وتُقرأ لتؤدي لفظة «ألف» (= ثور) كاملة، ثم اختصرت لتؤدي حرف الألف أو الصوت «أ».


وهذا ما حدث في بقية الحروف :

الباء : بيت . الجيم : جمل . الدال : باب (الكنعانية : دالت) . الواو : وتد . الميم : ماء .
 السين : سن . العين : عين . . . الخ .
 (راجع للتفصيل : التونجي ؛ عبقرية العرب . . . ص 34 - 35 . وهيب الخازن ؛ من الساميين إلى العرب) .

الشيء نفسه حدث للمصرية في رسومها الهيروغليفية، مع فرق واحد هو أن الهيروغليفية احتفظت بالصورة كاملة بالغة الدقة، وتجردت قليلاً في شُعْبَتَيْهَا : الهيراطيقية والديموطيقية. وهذا ما جعل «أبجدية» الهيروغليفية متميزة واضحة للغاية، وجعل من الممكن السهل إثبات «عروبية» هذه الأبجدية وتأسيسها وإرجاع تسمياتها إلى العربية.

فلنستعرض هنا هذه الحروف - الرموز واحداً بعد الآخر بحسب ما أثبتته الباحثون ثم نرى إلى أي أصل تعود :

* * *

1 -  : ء (همزة/ألف مهموزة) ʾ و A
 الرمز الهيروغليفية : نسر. عقاب (Vulture). يُصوّر أحياناً نسران متداخلان ويكون النطق : ء ء (ألفان مهموزتان متتاليتان) ʾ ʾ و AA.

في العربية : «اليؤيؤ» : طائر يشبه الباشق من الجوارح. والجمع : اليأيء. وجاء في الشعر :
 اليأيء. قال الحسن بن هانئ في طردياته :

قد أغتدي والليل في دجاء * كطرة البرد على مشناه
 بيؤيؤ يعجب من راه * ما في الأيائي يؤيؤ شرواه

قال ابن بري : «كأن قياسه عنده «اليآيء» إلا أن الشاعر قدّم الهمزة على الياء». (قارن : 1 و 7 و Ember).

وقد يُعترض على ما أوردناه من نشأة حرف الهمزة في الهيروغليزية، المرموز بصورة النسر، إلى «اليؤيؤ» العربية بالقول إن هذه الكلمة تبدأ بحرف الياء وليس بالهمزة. وهذا اعتراض وجيه يمكن الرد عليه بعدة وجوه :

أ - يشير «غاردرنر» (ص 549) إلى أن حرف 𐤀 «a» في المصرية صوت ضعيف عُرضة لأن يُستبدل بصوت «i» q أو qq «(ي/ي)» : (Eg. Gr. p. 549). «a» weak consonant apt to be replaced by «i» or «y».

وقد يعني هذا أن الحرف/الرمز قد يكون في أساسه ياءً مما يرجح نشأته عن «يؤيؤ» ثم تحول إلى همزة ضعيفة تستبدل أحياناً بالياء صوتاً consonant (ي) أو حركة ممدودة Vowel (ي).

ولعل القارئ لاحظ الخلط بين الهمزة والياء من حيث القلب والابدال في جمع «يؤيؤ» العربية حسبما أورده ابن منظور عن بيت شعر أبي نواس، وناقش الأمر مناقشة طويلة في موطنه . فليُنظر.

ب - في حين يقول «غاردرنر» إن 𐤀 في المصرية تعني «نسر» (Voiture) (وواضح أنها اختصار لكلمة مقطعية). يذكر فولكنر (a Concise Dictionary, p. 1) أنها تعني «نسر» كما تعني «الطير عموماً» Bird in general.

هذا ينقلنا إلى جذر عربي آخر قريب جداً من تحليلنا، بل هو ذاته. ففي مادة «أ و ا» ورد في (اللسان) : «طير أوي» - ومن الممكن القول على سبيل الاختصار أن «الأوي» تعني «الطائر» لغناء الصفة عن الموصوف. وهذا ما يطابق المصرية.

حين نبغي معرفة نشأة كلمة «أوي» ذاتها نعرف أنها من «أوي، يأوي». «وتأوت الطير تأويًا : تجمعت بعضها إلى بعض، فهي متأوية ومتأويات».

... قال الجوهري : «وهن أويّ، جمع آوي، مثل باك وبكي». (اللسان/مادة : أوا).

وليس من الضروري أن تأتي بكل الشواهد والاقتراسات، ويكفي معرفة أن «أوا» (أوي) تعني في الأساس : عاد، رجع، آب. ثم أدت إلى معنى : تجمّع، اجتمع. وخصّت الطير⁽⁴⁾، التي صارت تدعى لذلك «الأوي» جمع «أوي».

ج - هذا «التجمع» للطير الذي أورد تحقيقه ابن منظور يلفت انتباهنا إلى ما قرره «غاردرنر»

(4) وإن استعملها الحارث بن حلزة في غير الطير - استثناء لا قاعدة.

(ص 497 - 549) عن وجود رمز مميز في الهيروغليفية يتكون من صورة نسرين متداخلين ويعبران صوتياً عن همزتين متتابعين «aa» - ءء . وقد يكون من غير المستبعد أن صورة هذين النسرين المتداخلين (المتجمعين) تؤدي في الأساس الصوت «أوي» = الطير المتجمع . أو «أوي» = الطائر المجتمع مع طائر آخر . ويؤيد هذا الترجيح ما سبق أن ذكره «غاردنر» نفسه من أن الهمزة في المصرية حرف ضعيف قد يُستبدل بالياء . وبذا تكون a هي ذاتها (أي) > «أوي» .

2 - ق : ياء مقصورة) i

معنى الرمز الهيروغليفي : «غاب . قصب . يراع» (reed) يقابل هذا الرمز في الإنجليزية حرف أولكن ليس باعتباره حرف علة بل ياء صحيحة قد تنطق همزة مكسورة إذا جاءت في بداية الكلمات .

في المصرية نجد كلمة «إءر» iar بمعنى «غاب = يراعة reed» (غاردنر - ص 551) . ومن المؤكد أن «إءر» هذه تقابل «يراع» العربية «إءر > ي ع ر > ي ع ر > ي ع ر» . وهو النبات المعروف تحت أسماء : قصب، بوص، غاب، أو حتى البردي . ويتخذ منه المزامير والأقلام .

وما يوضح الأمر ورود كلمة «ع ر» ^{er} (بوجود العين) بمعنى «يراعة» أو «يراع» - القلم من البوص (reed of writing) وكلمة «ع ر ت» ^{ert} = sheet (of Papyrus) أوراق البردي (اليراع) . (غاردنر - ص 558) .

وحرفا العين والهمزة كثيرا التعاقب (التبادل)، وهذا ما جعل «ع ر» تتحول إلى «إر» أو إلى «إءر» - وعنهما نشأ الرمز ق (= i) ويقابل أيضا حرف Y (الياء) وهو تطور هكذا : إر > إءر > ع ر > ي ع ر > ي ع ر = يراع .

3 - قق : ياء ممدودة) Y :

معنى الرمز الهيروغليفي : هو ذات المعنى السابق . وينطبق عليه نفس التحليل . والفرق يكمن في أن صورة اليراعتين معاً تدل على حرف الياء الضعيف (Semi-vowel) ولا تأتي إلا نادراً في بداية الكلمات ، لكنها تأتي في نهايتها للنسبة (ياء النسبة) أو للثنائية (غاردنر - ص 29 ، 481) وتختصر الصورة أحياناً إلى مجرد خطين كانا في الأصل رسماً لليراعتين هكذا 11 ليؤديا الصوت «ي» .

4 - د : ع (عين) ° :

معنى الرمز الهيروغليفي : ذراع ممدودة تعني : ذراع ، يد . وقد تكون الحرف الأخير من : ذراع(ع) - كوع(ع) - بوع(ع) - باع(ع) . أو الحرف الأول من «عضد»/«ع» ضد أو الحرف الأوسط من «ساعد/ساع(ع) يد» .

ونلاحظ أن حرف العين موجود في الكلمات المتصلة باليد في أثناء بسطها ومدّها أو باليد كلها، وليس مقصوراً على الكف أو راحة «اليد» التي جاء منها رمز حرف الدال

وهذا ما نلاحظه في الهيروغليفية حين صُوِّرت اليد ممدودةً بطولها رمزاً لحرف العين(5).

5 - و (واو) w :

معنى الرمز الهيروغليفي : «كنكوت . فرخ طير صغير» . (بالتحديد : فرخ سمّن) . ويختصر أحياناً إلى و . يقول «غاردنر» (ص 472) إن رمزه لحرف الواو لا يُعرف له سبب .

بيد أن كوهن (Essai Comparatif, p. 196) يذهب إلى أن هذه الواو هي الحرف الأول في الجذر العربي «ولد» (ويُدلل على هذا بأن «ولد» تُختصر في اللهجة الجبالية إلى «أو» aw - وفي بعض اللهجات الأخرى : «وَاد» (مصر) - «وَد» (موريتانيا)⁽⁶⁾ . وفي العربية «ولد» التي نجدها في المصرية القديمة «وي د» Wyd بإبدال اللام ياءً (المصدر نفسه) . على أن ما يجسم الأمر برمته في هذا الموضوع ورود حرف الواو (و W) بمفرده في النص اللبني القديم المشهور باسم «حجر مسنن» - وهو نقش ثنائي الحرف واللغة ؛ البونيقية والليبية - مقابلاً لكلمة «بن» في النص البونيقية عشرين مرة، مما يقطع بأن «و» هذه تساوي «ولد» - وكما حدث في الليبية حدث في المصرية حذو النعل للنعل .

(أنظر : J. Friedrich ; Extinct Languages, P. 119 — 120)

ملاحظة :

لا تفوتنا هنا الإشارة إلى أن المقطع «وا» «ua» يوجد في اللغة الأيرلندية بمعنى «ابن» بالضبط، ويوجد في أسماء من مثل ua — conner (ابن كونر) - ua — lery (ابن ليري) - ua — Brien (ابن بريان) . وقد اختصر في الاسكتلندية والانجليزية إلى «أو» (O) فصارت هذه الأسماء : O' lery , O'brien و O'conner . وليس من المستبعد أن تكون ua الأيرلندية (O الاسكتلندية والانجليزية) من بقايا الطبقات اللغوية التحتية القديمة Substratum متأثرة بهجرات قديمة جداً من شمال أفريقيا إلى جزيرة إيرلندا .

نضيف إلى ما سبق أن ثمة رمزاً هيروغليفاً آخر لحرف الواو هو عبارة عن حبل مربوطة نهايته بهذا الشكل لا وترجم إلى الانكليزية حين يلفظ كلمة قائمة بذاتها إلى lasso (حبل بطرفه أنشطة) وفي المصرية «وأ» (w 3) . ومن هنا نشأ حرف الواو عن هذه الكلمة بهذا الشكل . (غاردنر, Eg. Gr., p. 522 .

وقد نستسهل الأمر فنبحث أولاً عن معنى كلمة lasso الأنكليزية ولا نكتفي بأنه : حبل في طرفه أنشطة لصيد الحيوانات، فنجده في مادة «وهق» ويقول (لسان العرب) :

(5) نلاحظ أن في السومرية يوجد المقطع = (ā ē) (ع) وترجم إلى الانكليزية arm (= ذراع) ويقرأ رمزه المسهاري idom > id في الأكادية (العربية : يد/إيد) .

أنظر : F.A. Ali and others ; Introduction to The Study of Ancient Languages, P. 68

(6) في اللهجة المصرية : ولد = وَاد، وَلَة، وَلْ . وفي النداء : ياؤ (ياء النداء + حرف الدال فقط) . وكذلك : ياوا (ياء النداء + حرف الواو فقط) .

«الْوَهَقُ : الحبل المغار يرمى فيه أنشودة فتؤخذ فيه الدابة والانسان، والجمع : أوهاق وأوهق الدابة : فعل بها ذلك . . . ومنه قول عدي بن زيد العبادي :

بكر العاذلون في فلق الصب * ح يقولون لي : أما تستفيق ؟
ويلومون فيك يا ابنة عب * مد الله ، والقلب عندكم موهوق .

وفي حديث علي : وأغلقت المرء أوهاق المنية . الأوهاق : جمع وَهَق ، بالتحريك - حبل كالطُول تشد به الابل والحيل لثلاثاً تند .» .

فهل يكفي هذا لنقول إن رمز الواو على شكل حبل ذي أنشودة جاء من «وهق» - أول حرف في الكلمة ؟

في المصرية يسمى هذا الحبل (الطُول تشد به الابل والحيل) «وأ» w3 - ومنه مشتقات كثيرة تتصل بمعاني الربط، والشد، والوثاق . الخ . (راجع معجم «غاردنر» ومعجم «بدج» لمزيد من التفصيل) . وهذا ما يأخذنا إلى مادة «وأى» في العربية فنجدها تقول :
«الوأي» : الوعد . .

وأصل الوأي : الوعد الذي يوثقه الرجل على نفسه ويعزم على الوفاء به . . . ووأيت له على نفسي ، أي ، وأيا : ضمنت له عِدَّةً وأنشد أبو عبيد :

وما خُنْتُ ذا عهد وأيت بعهده * ولم أحرم المضطر إذ جاء قانعاً

. . . يقال : وأيت لك به على نفسي وأياً . والأمر : أه ، والاثنين : إياه ، والجمع : أوأ . . .
وتقول : إياها وعدت ، إياها وعدتما - كقولك : ع .» .

من هذا النص عن ابن منظور، وقد اختصرناه خشية الاطالة، نرى أن مادة «وأى» العربية مقابل «وأ» في المصرية حساً ومعنى . فالوأي في العربية هو الوعد الذي «يوثقه» الرجل على نفسه، هذا من «الوثاق» الذي هو «الطُول» وهو ذاته «الوهق» الذي نعرفه أيضاً باسم «الثبت»، وهو بعينه الحبل الذي «تشد» (توثق) به الدابة . إما لصيدها أو منعاً لها من أن تند .

وهذا هو منشأ الرمز الهيروغليفي ⚡ الذي يمثل حرف الواو - جاء من «وأى» العربية - «وأ» المصرية .

6 - B : (باء) B :

معنى الرمز الهيروغليفي : «ساق . قدم . رجل» .

في المصرية : «ب و» bw = «مكان، مكانة» - (Place, Position) . (غاردنر - ص 457) . ويذكر الدكتور التونجي (عبقرية العرب - ص 192 ، 199) أن «بياه» بالفارسية معناها «درجة ومنزلة» وهي مُركبة من كلمتين : «بيا» = القدم + «يه» للتشبيه والنسبة . وعندهم : الثقيل والمؤسس ، أي ذو القدم الراسخة، ذو المنزلة والمكانة . ومن هذا جاءت كلمة «باشا» (با = رجل ، قدم + شاه = الملك . قدم الملك) . وكلمة «بيك» = رسول السلطان على رجاله ، وهو الذي يسعى بالكتب على

قدميه . في الأصل باؤها فارسية مفتوحة ، ثم عُرِّبت قديماً إلى (فيج) واستخدموها بمعنى الشرطي .
دخلت السريانية بلفظة paiga «التونجي ؛ ص 238 - 239» .

ومن العجيب أن تتحول «بيك» في مصر إلى «بيه» وفي الجزائر إلى «داي» وفي تونس إلى «باي» وفي الشام إلى «بيك» ، وتظل في ليبيا «بي» . وهذا أقرب الأصوات إلى الجذر الأصلي ، ثم أن ترجع إلى «با» الفارسية بمعنى «قدم» .

هل قلنا فارسية ؟

بل هي مصرية قديمة : با = قدم .

بل هي عربية صميمة . ولنقرأ :

«البؤبؤ : السيد الظريف الخفيف .

والبؤبؤ : الأصل .

قال ابن خالويه : «البؤبؤ، بغير مدّ، السيد، والبؤببية : السيدة . (قارن اللهجة الليبية :
البيّ = السيد . البيّة = السيدة) .

قال ابن السكيت : «البؤبؤ : السيد الكريم» ولا يغيب عن بالنا أن «بؤبؤ» هذه ليست إلا
مضاعفة لـ«بؤ» التي تساوي المصرية «بء» أو «ب» (قدم، مكانة) . وأمر المضاعفة في العربية، كما
في المصرية، مشهور معروف لا يحتاج إلى بيان .

ثم نقرأ :

«وبوأتك بيتاً» : اتخذت لك بيتاً .

تبوأ : نزل وأقام وسكن .

أبأه منزلاً : هيأه وأصلحه وأنزله ومكّن له فيه .

البيثة والمبأة والباءة : المنزل .

الفراء : باء (بوزن باع) : تكبر كأنه مقلوب من «بأى» .

البأى : العظمة .

البأو : الكبر والفخر . قال حاتم :

وما زادنا بأواً على ذي قرابة . * غنانا ولا أزرى بأحسابنا الفخر

تأبى نفسه : رفعها وفخر بها .

نرى من هذا أن ما عُرف في المصرية والفارسية من دلالة «با» على «المكانة» والمنزلة والمقام
الرفيع، كما دلّ على المكان أيضاً، هو ذاته في العربية : (مكان، مكانة، منزل، منزلة، مقام - حساً
ومعنى) .

أما أن تكون «با» تعني «قدم» في الفارسية، فليس ثمة ما يمنع من أن يكون المعنى البعيد
لكلمة «باء» (رجع وعاد) في العربية ومشتقاتها هو ذاته معنى «القدم» لصللة هذه بالمشي والسير تماماً
مثلما اشتقت «بيك» الفارسية من: «سعي رسول السلطان على قدميه» .

وينبغي ألا يغيب عن بالنا أن «الباء» في العربية مأخوذة من «البيت» الكنعانية/العربية ومعناها: المنزل والمكان والسكن والمقام: باء، يبيء، بوءاً. أو من «بات» = سكن واستقر. والجذور «بأى» و«باء» و«بواً» تدور مشتقاتها حول السكن والمنزل من جهة - أي المقام - وحول المشي والسعي - العودة والاياب والرجوع خاصة - من جهة أخرى. لكن الجذرين bāu, b'au في الأكادية يعطيان معنى «ذهب» ومعنى «جاء» معاً. وهنا يمكن أن نقارن «قدم» في العربية التي منها «قَدِمَ» أي جاء، ومنها «قَدَمٌ» أي الرَّجُل وكذلك «قادم» أي آتٍ و«مقدام» = ذاهب بجسارة.

الملاحظة الجديرة بالذكر بالنسبة للمصرية أن العلماء أرجعوا الحرف الرمز \square (ب) إلى : قَدَم، رَجُل (Foot). بيد أن المعاجم كلها تذكر أن BW تعني «مكان» (Place) أو «منزل» أو «مكانة»... الخ. وكلها تدور في فلك واحد. وحين نقول في العربية: «حيَاك الله وبيَّاك» فإن «بيَّاك» ترجع إلى «بيَّاك» أو «بواك» مكاناً علياً، أو مكانة سامية. أعني حرفياً: جعلك «بياً» أو «بيكاً» - إن ذهبنا إلى الفارسية.

7 - □ : پ (باء فارسية، مثلثة P).

يوصف الرمز الهيروغليفي، وهو كناية عن مربع مغلق، بأنه: «مَجْتَمَى، كرسي الركوع» (Stool, Foot Stool) أو نحوه. ويقابل في العربية حرفي «الفاء» و«الباء» بحسب سياق الكلمة.

لكن الصلة بين هذا الرمز وما فُسِّر به تظل غير واضحة ولا منطقية، إذ إن المَجْتَمَى أو كرسي الركوع وما إليه⁽⁷⁾ قد لا يكون المقصود من هذا الرمز.

وقد فُسِّرَ «غاردرنر» مرة (ص 565) بأنه: ركيزة عمود (pedestal) أو قاعدته، أو أساس (Base) في العصر البطلمي □ = پ = مقعد (Seat). ثم بالكلمة القبطية: پؤي (Pöi) وتعني: «مقعد، دكة، صفة» Bench (ص 500).

كلمات: (Stool, Pedestal, Seat, Bench) هذه التي تُرجمت بها «پ» المصرية تعني باختصار: «كرسي، مجلس، مقعد». بعبارة أخرى: «منزل، مكان، موضع» وما إليها. ونعتقد أن هذه لا تخرج عن الجذر «بواً» في العربية الذي تدور مشتقاته حول معاني: المنزلة والمكانة والمجلس. تقول: تبوأ منزلًا، أي: نزلته. وفي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ جعل الايمان محلاً لهم - على المثل. وقد يكون أراد: وتبوأوا مكان الايمان، وبلد الايمان، فحذف. وتبوأ المكان: حلّه. ومن ذلك: البيئة والباءة والمبائة = المنزل (المجلس).

وفي الحديث: «من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار». (راجع مادة: بوا - في «لسان العرب» لمزيد من التفاصيل).

وهذا قد يدفعنا إلى القول بأن الرمز الهيروغليفي □ الذي نُقِحِر⁽⁸⁾ في اللاتينية بـاء فارسية P

(7) من معاني Stool: كرسي بدون مسند للظهر غالباً صغير واطىء. كرسي الأسقف. كرسي بيت الراحة (المسترخ).. مجلس... إلخ.

(8) نُقِحِر = نُقِل حرفياً. النقحرة = النقل الحرفي (Transliteration).

هو في أصله باءٌ نشأ عن العربية «بوا» التي تؤدي معنى : المجلس والكرسي والمقعد وما إليها بسبيل .
وينبغي ، أخيراً ، ألا نفوتنا الصلة الصوتية بين الباء B والباء الثلاثية P . كذلك نجد الصلة
الدلالية وثيقة في العربية بين «باء» التي انحدرت منها الباء B و«بوا» التي جاءت منها الباء الثلاثية P .

لقد سقنا هذا التحليل متابعة لتفسير «غاردرنر» لمعنى الرمز □ . غير أن «بدج» (Budge ;
Egyptian Language, p. 30) يذهب مذهباً أقرب إلى القبول إذ يرى أن العلامة □ في أصلها الكامل
قبل أن تُجرد كانت تمثل باباً مصنوعاً من عدد من ألوان الخشب سُمّرت عليه ثلاث قطع تُصَالِبُ
الألواح .

ويُضيف : «ولا يوجد في المصرية كلمة ، في الاستعمال الشائع على كل حال ، تعني الباب
وتبدأ بحرف الباء المهموسة P . ولكن ما يقابل الباء في المصرية ، كما هو الحال في العربية ، ينبغي
أن تُربط بجذر (فتح) To open ، وهي في المصرية (ب ت ح) pth .

وكما نعرف فإن الرمز الأول في هذه الكلمة يبدأ بالصوت «ب» P وليس بحرف آخر ، وعلى
هذا يمكننا افتراض أن الكلمة المصرية التي تقابل (باب) Door تبدأ بحرف «P» .

وطبيعي أن الأستاذ «بدج» لم يكن بحاجة إلى كل هذا العناء لو انتبه إلى العربية «فتح» فهي
تُغنيه كثيراً باشتقاقاتها التي لا تكاد تُحصى . وهذا باعتبار أن P تقابل حرف الفاء . وهو أيضاً نسي
الكلمة العربية الأخرى «باب» . وهي موجودة في المصرية (ب ب و B B W) - ومؤنثها (ب ب ت
B B T) . (أنظر : (Faulkner : a Concise Dictionary, p. 77, 82).

ونجد p تقابل b إذا اعتبرت باءٌ موحّدة عند مقابلة المفردات⁽⁹⁾ .

والحقيقة أن هذا الصوت (الباء المهموسة p) لا يوجد في العربية المسجلة على الأقل ، وقد
تكون وجدت في البداية ثم سقطت واستعُض عنها بالباء المفردة أو بالفاء . ويشير إلى هذا أن مقابلة
المفردات المصرية التي تبدأ بهذا الصوت أو تتضمنه بالعربية تؤدي إلى الفاء أو الباء⁽¹⁰⁾ .

(9) يتبادل صوتا الباء الموحدة B أحياناً في اللغة المصرية ذاتها . فكلمة Payt هي ذاتها كلمة Bayt (house) . العربية :
«بيت» . (أنظر : (Budge ; An Eg. Hier. Dict., Vol. I. p. 231) .

ومن الجائز أن يكون حرف الباء المهموسة p من Payt (بيت) . وقد يرجح هذا المذهب رمزه الهيروغليفي الأصلي
الذي هو عبارة عن باب البيت فإن نظرنا إليه في صورته المجردة - وجدناه عبارة عن جدران أربعة (رمز البيت) .
ونضيف إلى هذا أن منشأ حرف الباء في الكنعانية ، وفي العربية كذلك ، كان من كلمة «بيت» وهو في العربية ، كما
نلاحظ ، ذو جذر ثلاثة - ربما كانت أربعة في البداية تشابه الرمز الهيروغليفي . أما النقطة تحت الباء
العربية فقد زيدت حديثاً نسبياً ولم تكن موجودة من قبل . وهي انتقلت إلى اليونانية باسمها العروبي «بيتا» Beta كما
هو معروف ، منقولة عن الكنعانية .

(10) مصداقاً لهذا القول نجد في المصرية القديمة كلمة : «پء» (pa) = عاد ، رجح . تحولت من العربية مرة إلى باء
موحدة : باء = رجح وعاد . ومرة إلى فاء : فاء = رجح وعاد .

ومهما يكن الأمر فإن هذا الرمز/ الحرف □ لم يخرج، تأسيساً على تفسير العلماء لأصله، عن العربية في كل الأحوال.

8 - ف (الفاء) F .

معنى الرمز الهيروغليفي : «حية قرناء . أفعى» (horned viper) .

في المصرية : ft «ف ت» = «حنش . أفعى» d w.ft «دو . ف ت» = «جبل الحنش» (حرفياً : طود الأفعى) .

fy «ف ي» (في الكتابة الديموطيقية) = «أفعى» .

dd.ft «د د . ف ت» = «أفعى الطوط» (ضرب من الحيات طويل/ راجع «لسان العرب» مادة «طوط») أو : الأفعى الدودية/ الدود الأفعى . (غاردرنر، ص 476) .

من الثابت أن الحرف/ الرمز الهيروغليفي الذي يدل على «الفاء» مشتق من «ف ي» و «ف ت» (أفعى) . ومن الواضح أن «ف ت» مؤنث «ف ي» وأن هذه الأخيرة هي «ف ع ي» بسقوط حرف العين .

إذا بحثنا في معجم العربية لا نجد «أفعى» في مادة «أفع» بل في مادة «فعا» مما يشير إلى أن الجذر هو «فعا» الذي يبدأ بحرف الفاء وليس «أفع» الذي يبدأ بالهمزة . ولذا مدلوله في نشأة الرمز الهيروغليفي صوتياً عن مادة «فعا» . ويذكر ابن منظور بالتحديد ما نصه :

«سئل ابن عباس عن قتل المحرم الحيات فقال : لا بأس بقتل (الأفْعُو) . . . فقلب الألف فيها واواً في لغته، أراد الأفعى - وهي لغة أهل الحجاز. وقال ابن الأثير: ومنهم من يقلب الألف ياء في الوقف : الأفعْيُ . (قارن : ف [ع] ي) . . . وهمزتها زائدة» .

هذه الهمزة في «أفعي» إذن زائدة . فهي - بحسب اختلاف اللهجات : فعا، فعو، فعي . وهي تطابق «ف [ع] ي» المصرية ومؤنثها «ف [ع] ث» .

فإن شئنا تتبّع أمر الهمزة إلى مداه أشرنا إلى أن زيادتها موجودة في المصرية كما وجدت في العربية، وقد حُلّت الحاء محل الهمزة . (فهناك في المصرية : «ح ف ء و» h f a w (غاردرنر - ص 476) . وفي الصفحة ذاتها تحليل لطيف لأنواع الحيات وأسماؤها في المصرية التي لا تخرج عن العربية أبداً) . ونلاحظ في «ح ف ء و» هذه أن الهمزة أبدلت حاءً والعين أبدلت همزة : ح ف ء و < أ ف ع و = أفعو (بلغة أهل الحجاز) = «أفعى» .

والبحث في هذا الموضوع يطول ؛ إذ هناك أسماء كثيرة لأنواع الأفاعي في العربية : الحنش، الثعبان، الصبل، الحية . . . الخ . دعك من أوصافها . وكذلك في الإنجليزية : Viper, Snake, Serpent, Reptile . والشيء نفسه في المصرية : h f a t, f y, f t, d d وليس هنا مجال الإطالة فيه . ما ييمنا أن «ف ت» هذه التي نشأ عنها حرف الفاء سماها «غاردرنر» Horned viper (باللاتينية Cerastes Comutus) (الحية القرناء) [في اللهجة الليبية : أم قرين] وغني عن البيان القول بأن أسماء الأفاعي

في العربية لا تعني ترادفًا، بل لاختلاف أوصافها وأشكالها. وهذا ما جعل ابن منظور يقول إن رأس «الأفعى» عريض كأنه فلكة «ولها قرنان». وهذه ذاتها هي «الفعو» (fy = ف [ع ي] أو «الفعت» (ft = ف [ع ت] عندما تؤنث).

كلمة أخيرة: في اللهجة الليبية تسقط الهمزة عادة، فيقال: «لِفْع» و«لِفْعَة» (لاحظ التأنيث) والمعنى: الأفع / الأفعو، والأفعى (الأفعة).

9 - م (ميم) M .

معنى الرمز الهيروغليفي: «بومة. بوم» - owl . في (اللسان): «البوم: ذكر الهام - واحدته: بومة. قال الأزهري: وهو عربي صحيح.

يقال: بومٌ بومًا: صَوَّاتُ. الجوهري: البوم والبومة طائر يقع على الذكر والأنثى حتى تقول «صدي أو فيّاد» فيختص بالذكر».

وهذا يشير إلى أن كلمتي «بوم» و«بومة» اللتين تقعان على الذكر والأنثى دون تمييز ترجعان في الأساس إلى الصوت الذي يصدره «الهام» أو «الصدى» أو «الفياد» إن كان ذكرًا - فهو بوم أي: صَوَّات. ولعل هذا الصوت نفسه هو الذي أدى إلى تقارب اسم هذا الطائر في مختلف اللغات، فهو في الأرمنية: «بوم» bu و«بويك» buec . وفي اللاتينية: «بوبو» bubo . وفي اليونانية: «بوا(س)» bua(s) والتي لعلها في الأصل: «بوبو» bubu أو: «بومو» bumu . ويذهب الأستاذ «إمبير» (Ember; 10 - B) إلى أن اسم هذا الطائر في المصرية كان كما يبدو «بو» bu - تحولت بعدئذ إلى «مو» mu - وذلك لشيوع تحوّل حرف الباء في المصرية إلى حرف الميم . وهو يضرب لذلك أمثلة عديدة منها:

- ك م ء) > ك ب ء > ك ب ر = كبير، Powerful, Great .
- ت ن م > ت ن ب > ط ل ب = طَلَبَ Ask .
- ج م ء > ج ب ء > ج ب ل = جبَلَة، جَبَل Create, Shape .
- وش م > وش ب > = وشب (خَلَطَ) . Eجن Knead .
- ع م > ع ب = عَبَّ Swallow .
- ن ه م > ن ه ب = نهب Take away, Rob .
- خ ن م > خ ن ب = خنّب (خلب = سرق) . Seize .

في هذه الحالات، وأمثلة عديدة أخرى، تتحول الباء إلى ميم . وهذا يرجح أن اسم الطائر المرسوم في المصرية قد يكون «ب ب» (بوبو - بوبا) أسوة بما هو حادث في الأرمنية واللاتينية واليونانية - بتكرار الحرف الواحد . أو قد يكون «ب م» (بومو = بوم . بوما = بومة) . وهذه هي الكلمة العربية بعينها التي لا نعرف عن أصلها شيئاً سوى كونها محاكاة لصوت الطائر حين يُصَوَّت . وقد يكون تكراراً لحرف الباء، أو حرف الميم، وهما قريبان بعضهما من بعض . ولما كانت العربية تنفر من تكرار حرف واحد في ألفاظها فقد جمعت بين الباء والميم في الكلمة «بوم - بومة» .

هذا ما يراه «امير». أما «غاردنر» (ص 469). (قارن : Budge ; Egyptian Language, p. 31) فهو يورد الكلمة القبطية «مولاغ» Moulag باعتبارها تعني «بومة» owl وقد تكون من بقايا المصرية القديمة. ولعلها أصل حرف الميم الذي تبدأ به الكلمة. الأستاذ أنيس فريجة (في اللغة العربية وبعض مشكلاتها، ص 148) يذكر من جهته أنه «في الكتابة المصرية القديمة كانوا يصوّرون البومة أمام كل لفظة تبدأ بحرف الميم لأن البومة، في اللغة المصرية القديمة، كانت تسمى مولاغ». ويضيف الأستاذ فريجة قوله: «وبقيا هذه الطريقة لا تزال شائعة في كتب تعليم الصغار حروف الأبجدية؛ فصورة البطة ترمز إلى حرف الباء وصورة الكلب ترمز إلى حرف الكاف، وهذا التطور في الكتابة كان معمولاً به في الكتابة المصرية القديمة. ولسنا نشك في أن الفينيقيين أخذوا هذه الفكرة عن المصريين القدماء».

هل يمكن بعد هذا القول بعروبة اسم البومة في اللغة المصرية القديمة «مولاغ» Moulag الموجود في القبطية حتى نستنتج أن حرف الميم (ممثلًا في صورة البومة) نشأ عن هذه الكلمة؟

لنعد إلى (اللسان) ونقرأ في مادة (ملع):

«عقَاب مِلاع، مِضاف، وعقَابٌ مُلاعٌ ومِلاعٌ وملوَعٌ: خفيفة الضرب والاختطاف. قال امرؤ القيس:

كَانَ دَثَارًا حَلَقْتَ بِلْبُونِهِ * عِقَابٌ مِلاعٌ لَا عِقَابَ الْقَوَاعِلِ

... وقيل: اشتقاقه من الملع الذي هو العدو الخفيف.

وقال ابن الاعرابي:

عقَاب مِلاع تصيد الجرذان وحشرات الأرض».

ونقرأ:

«ومن أمثالهم قوهم: أودت بي عقاب مِلاع. قال بعضهم: مِلاعٌ مِضاف، ويقال مِلاعٌ من نعت العقاب أضيفت إلى نعتها. قال أبو عبيد: يقال ذلك في الواحد والجمع وهو شبيه بقوهم: طارت به العنقاء، وحلقت به عنقاء مغرب. قال أبو الهيثم: عقاب مِلاع هو (العقيّب) الذي يصيد الجرذان يقال له بالفارسية: موش خوار. ومن أمثالهم: لَأَنْتَ أَخْفَ يَدًا مِنْ عَقِيبِ مِلاعٍ يَا فَتَى، منصوب. قال: وهو عقاب تأخذ العصافير والجرذان ولا تأخذ أكبر منها».

وليس يهمننا هنا أن تكون «مِلاع» مضافاً أو صفةً، وإن كان لهذا الاختلاف دلالة، ولكن يهمننا معرفة أن «عقَاب مِلاع» (العقَاب المِلاع - باعتبار «مِلاع» صفة) عبارة عن «عقِيب» خفيفة الضرب والاختطاف، تصيد الجرذان وحشرات الأرض وتأخذ العصافير ولا تأخذ أكبر منها، كما ورد. وهذه كلها صفات «البومة» (وخاصة صيد الحشرات والجرذان) إذ نحن نعرف قطعاً أن «العقَاب من عتاق الطير» بل إن «عتاق الطير هي العقبان». وهي التي لا تصيد الخشاش، أي الحشرات ونحوها (أنظر مادة: عقب). وإذا وجدت «عقبان الجرذان» كما يقول أبو حنيفة، فهي ليست بعتاق، وليست بسود ولكنها كهب «ولا يتنفع بريشها». فهي إذن شبيهة بالبومة، وهي طائر يصيد الخشاش والحشرات.

فإذا أضفنا أن «ملاع» صفة لهذا الطائر (العقيب/العقاب تجاوزاً) فإن الصفة تخفي عن الموصوف - حسب القاعدة المعروفة .

من هذا كله نأتي إلى القول بأن «الملاع» في العربية تعني «البومة» أو طائراً يُشبهها - وهي ما يقابل في المصرية⁽¹¹⁾ «مولاغ» Moulag ومن بداية اسم هذا الطائر برز حرف الميم في المصرية على شكل البومة⁽¹²⁾ .

10 - : ن (نون) N :

معنى الرمز الهيروغليفي : «ماء . مياه . أمواه» (تموجات مائية) .

من هذا الجذر في المصرية : «ن وى» nwy = ماء . فيضان . ويؤنث : «ن وى ت» nwy t ، «ن وت» twnt «ن ت» nt . وكلها بمعنى : «ماء» . (غاردرنو - ص 573) ، ووردت في «كتاب الأموات» : «ن وى» nu = ماء .

في اللغات العروبية الأخرى نجد أن الجذر «نون» يعني السمك أو ما كان يعيش في الماء من حيوان . في الأكادية مثلاً : «نونو» Nunnu تعني : سمك (Weir ; A Lexicon of Akk. Prayers, p. 252) وفي العربية : النون = الحوت . وقالوا : النون = السمكة . وفي التنزيل العزيز : ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاصِباً﴾ هو يونس النبي ، سباه الله «ذا النون» لأنه حبسه في جوف الحوت الذي التهمه . والنون : الحوت . (لسان العرب ، مادة : نون) .

في أسطورة الخلق المصرية أن جبلاً برز من هيوالي الماء (نون) وفوقه المعبود «أت م» (التام = الكامل) وهو الذي خلق نفسه ثم مضى ليخلق المعبود «ش و» (الهواء = جو) والربة «ث ف ن ت»

(11) أعني المصرية الحديثة أي القبطية كما تنطق الآن . وأما الجذر الأصلي فهو «م ل غ» أو «م ل ع» .

(12) بعد كتابة هذه الفصلة عثرت على كلمة «ملااغو» mialaغو في اللهجة الشلحية (السوس ، بالمغرب الأقصى) ويقول عنها (ديستان) إنها «عقاب ذات ريش أبيض ، تسمى في العربية (رخة) ويقال إن لحمها يطعم للأطفال المرضى علاجاً (للكبد)» .

(Destaing ; Textes berbères en parles des chieus du Sous, p. 175) . وواضح أن اللام في «ملااغو»

مزيد ، والجذر هو «ملغ» = «ملع» ، بتعاقب العين والغين .

ويبدو أن الكلمة دخلت اللغة الإسبانية عن طريق شمال أفريقيا ، أو هي بقية من العربية أيام الأندلس ، إذ نجد في قاموسها كلمة miloca بمعنى «اسم نوع من البومة» .

(أنظر : (F. Corriente ; Neuvo diccionario Español-Arabe) . كوريتي ؛ معجم جديد إسباني - عربي . المعهد الإسباني العربي للثقافة ، مدريد ، 1988 م) .

ثم قرأت في معجم اللاتينية الاشتقاقي .

(Ernout et Meillet ; dictionnaire étymologique de la langue latine, Paris 1985) : كلمة miluus و miluos

بمعنى : حداة ، طائر جارح . دخلت الفرنسية في صورة milan ، وهي في الأصل miluago . ويذكر أنها تأتي بصيغة المؤنث milua ، ومن غير الممكن افتراض منشأ لها لا يتفق مع منهج التائيل ، أي أن أصلها (أثلها) ليس لاتينياً . وواضح لدينا أن الأصل ما أوردنا (مولاغ/ملاع) .

(الرتوبة . من مادة «تفل» العربية) . وقد ولد هذان بعدئذ رب الأرض «ح ب» (جبوب) وأخته ربة السماء «ن و ت» (مؤنث «نوء» = النجم) . إلى آخر الرواية .

(أنظر : (M. Lurker ; The Gods and Symbols of Ancient Egypt, p. 42 .

وأورد ابن منظور رواية عن ابن عباس أنه قال : «أول ما خلق الله القلم فقال له : اكتب . قال : أي رب . . وما أكتب ؟ قال : القدر، قال : فكتب في ذلك اليوم ما هو كائن إلى قيام الساعة . ثم خلق النون ثم بسط الأرض عليها . فاضطربت النون فإدت الأرض فخلق الجبال فأثبتها بها» .

وقد فسرت «النون» بأنها السمكة أو الحوت بحسب التصور الأسطوري للخلق على رأي ابن عباس، لكن اسطورة الخلق المصرية تجعل «النون» هو الماء . ومن المرجح جداً أن «النون» كانت تعني «الماء» في العربية أصلاً . ثم انصرفت إلى الحوت أو السمكة . بل الأقرب إلى التصور في القول المنسوب إلى ابن عباس «ثم خلق النون ثم بسط الأرض عليها» أن يكون المقصود من «النون» هو «الماء» وليس الحوت .

وفي القبطية، وريثة المصرية القديمة، نعرف أن كلمة «نون» Noun بحذافيرها تعني : «ماء» . وقد يكون العكس، فأطلق المصريون «النون» على الماء وكان يعني في البداية الحوت . وكلا الأمرين جائز من باب إطلاق الخاص على العام أو العام على الخاص .

ومع كل هذا تظل الصلة وثيقة بين معاني «النون» في جميع اللغات العروبية، وهي صلة الماء بالسمك التي لا تنفصل عراها .

11 - . . . : (راء) R :




معنى الرمز الهيروغليفي : «فم»


يقول «غاردرن» (ص 452) إن منشأ هذا الحرف/الرمز كلمة «راء» R3 (في القبطية Rō) ومعناها الشائع «فم» لكن من معانيها كذلك : «حديث، كلام، لغة، سحر» (تعويذة) وما يتصل بنشاط الفم خاصة عند الكلام .

على هذا قد يكون الجذر العربي «رَوَى» (رَوَى، يروي، رواية) أصلاً له، وهذا أمر غير مستبعد .

لكننا نلاحظ، عند المقارنة، أن هذا الحرف يقابل في الكنعانية حرف الراء ويُكتب هكذا S (وهو غير بعيد من الرمز الهيروغليفي) . ويسمى «ريش» . يقابل في العربية : «رأس» . (الخازن ؛ من الساميين إلى العرب - ص 39) . وفي الأبجدية الليبية هو عبارة عن دائرة تمثل شكل الرأس ○ . وهو أيضاً عبارة عن تدوير كامل للرمز الهيروغليفي لحرف الراء . فهل

يكون أصل الرمز الهيروغليفي «رأس» («ريش» الكنعانية) كان دائرة في الليبية واتخذ شكلاً بيضاوياً في المصرية⁽¹³⁾ ؟

يقول أغلب العلماء إن الشكل الهيروغليفي  يمثل فماً مفتوحاً إشارة إلى الكلام وما يتعلق به R3 . لكن هذا الشكل فيما نرى أقرب ما يكون إلى العين، فإذا تأملناه جيداً وقارناه بحرف العين في العربية «ع» الذي تطور عن شكل العين البشرية  >  > C > > (ع) ملنا إلى القول بأن الرمز الهيروغليفي يرمز إلى العين وليس إلى الفم كما هو شائع .

وإذا كان الباحثون ذهبوا إلى فمّية الشكل  وليس إلى عينيته انطلاقاً من وجود كلمة r3 (= كلام/رواية . روى) وبدايتها حرف الراء الذي نشأ عنها، كما يقولون، فإن الكلمات التي تدل على العين وما يتصل بها في المصرية وتبدأ بحرف الراء أكثر من ذلك .



هناك مثلاً : «روء» rwa وتُترجم عادة إلى Consider = فكر - اعتبر - نظر . وعربيتها الجذر «روى» (رأى، رؤية . تروى، رويّة، رويّة) .

وهناك : «رع» R3 (الشمس . المعبود «رع» إله الشمس . راع . حارس) . والأصل في العربية : رأى، رعى - وهما يتبادلان لفظاً ومعنى .

وهناك «رم ي» rmi (دمع) ومنها : «رم و» rmw (نحيب، بكاء) وعربيتها : «رمع» (حركة الأنف والعين عند البكاء) (في الأصل .

ومنها : ارمعلّ الدمع، أي سال (وكذلك : ارمعنّ) رمي (السحاب الممطر/الباكي) والرمل (المطر الخفيف/البكاء الخفيف على التشبيه) . ونضيف إليها ما يتعلق بالعين من الجذر «رم» : رمش، رمص، رمّد، رمق . الخ .

12 - H : هـ (هاء) :

يقول «غاردرنر» (ص 493) إن الرمز الهيروغليفي H =  ويعني : «حُجرة» Room وهذا أصل الحرف/الرمز . ومن رأيه أن الرمز  يعني وقاءً مصنوعاً من الغاب Reed-shelter (في اللهجة الليبية : حلاق) - «ولعله هو ذاته الذي لا يزال يُرى في حقول مصر» . ويذكر أن هذا الرمز يُقرأ في بردية متآخرة موجودة في كوبنهاغن «ب ر . ن . س خ ت» Field - House (حرفياً : بر السخاخ = حوش السخاخ) باعتبار هذه الجملة أحد أوصاف هذا الرمز الهيروغليفي .

نلاحظ أن بداية الكلمات المتعلقة بهذا الرمز تبدأ بحرف الحاء (حجرة . حلاق . حوش) . فهل كانت الهاء إبدالاً للحاء في هذه الحالة ؟

(13) قارن شكل حرف الراء في اليونانية p وفي اللاتينية R . وقد أخذت الأخيرة عن الأولى حرف الراء p وحوّرت إلى R . وكانت اليونانية حوّلت الراء الكنعانية إلى p . والكنعانية ذات صلة بيّنة بالشكل الهيروغليفي . ومن الجائز أن المقصود بشكل حرف الراء في الهيروغليفية أصلاً «رأس» ليثفق في تسميته مع بقية الأبجديات .

إن لنا أن نضرب أمثلة يكون الأمر فيها كذلك :

h 3 t « هـ ت » : Ceiling, Roof . العربية : حيط .

h y « هـ ي » Hail العربية : حَيْ .

h p « هـ پ » : Judge, Law العربية : الحافي (القاضي) .

h m « هـ م » : burn, Hot . العربية : حمى .

h m h m t « هـ م هـ م ت » : roaring, war – cry العربية : حمومة .

h d « هـ د » : Punish . العربية حدُّ (عقاب) .

ومن الجائز أن يكون الحاء هو الأصل ثم تبدل إلى هاء لقرب مخرج هذين الصوتين الحلقين . وهذا ما قد يجعل أية كلمة من الكلمات المذكورة (حجرة . حلاق (حَلَق) . حوش) والقريبة من الرمز الهيروغليفي أصلاً له⁽¹⁴⁾ .

يؤيد ما ذهبنا إليه ما يورده «غاردر» (ص 494) (0/15) من رسم كامل غير مبسط لمبنى مُسَوَّر يشبه كل الشبه رمز حرف الهاء في الهيروغليفية بعد تجريده إلى خطوط، ويقرأه «وس خ ت» (w s h t) ويترجمه : Hall . وعند «فولكنر» (ص 69) ، Court hall = «قاعة، باحة، صحن المنزل، ساحة»⁽¹⁵⁾ .

ومن المؤكد أن هذه الكلمة w s h t (وس خ + تاء التأنيث) ترجع إلى العربية «وسع» (وسعة/بإبدال بين الحاء والعين) .

«الواسع = من أسماء الله الحسنى - المحيط بكل شيء ﴿وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ . الله واسع عليم : محيط العلم بكل شيء» . (قارن : حوط . أحاط . حيط/ حوط = حوش) .

وفي اللهجة الليبية تعني «وسعاية» - سواء كانت داخل البيت أم خارجه : «ميدان، قاعة، ساحة» . . . الخ . Court, Courtyard, Hall .

وأخيراً فإن مقابل كلمة «حجرة» أو «غرفة» Room التي ترجم بها غاردر هذا الرمز ليست إلا «حائط» (جدار، حيط . المصرية : «ح ت» ht) التي نشأ عنها هذا الحرف/الرمز في الهيروغليفية⁽¹⁶⁾ .

13 - H : ح (حاء) H :

معنى الرمز الهيروغليفي : «فتيلة كتان» .

(14) في الأكادية أبدلت الحاء خاء فصارت «حوش» : «خشو» khusšu بمعنى مكان محصور، سور Enclosure. Fence . ولا شك أن ثمة صلة بين «خش» (دخل) و«حوش» و«حشا» إذ تفيد كلها الدخول في محيط .

(15) «س ح» (sh) عند فولكنر (ص 237) . وعند بلج (Eg. Lang., p. 78) : Booth و Hall و Council . العربية : «ساح» .

(16) راجع (Budge : An Eg. Hier., Dictionary) في حرفي h و h في أغلب الكلمات العربية الأصل ترد في حرف الهاء كما ترد في حرف الحاء . وهذا دليل على تبادل الحرفين في المصرية القديمة .

أقرب كلمة عربية تؤدي المعنى تماماً من حيث الشكل المرسوم والتي نرجح أن حرف الخاء - رمزاً ونطقاً - جاء منها هي : «حبل» .

ويُرجح هذا المذهب ما يذكره «مارسيل كوهن» . (Essai Comp., p. 105) من أن كلمة «ح ن ب» h n b في المصرية تفيد معنى «حبل» العربية (Corde) - وذلك عن طريق إبدال اللام نوناً وعن سبيل القلب : «ح ن ب > ح ل ب > ح ب ل > = حبل» .
قارن معجم فولكنر : h n b = أوصل ، وصّل = حبل) .

وعند «غاردرنر» (Eg. Gram., P. 586) . (hbl) hps = Naval - String = «حبل سُري» .
(لاحظ أن «سُرّة» أصلاً تعني الحبل ، من «أسر» = شدّ . الاصر : الرابطة) .

14 - : خ (خاء) KH, H .

معنى الرمز الهيروغليفي : «مَشِيمَة» Placenta (في النبات والحيوان) . «والمشيمة هو الكيس أو الحوران يكون فيه المولود» . (اللسان . مادة : شيم) .

ويُعرف معجم اكسفورد الـ placenta بأنها : مسطح دائري اسفنجي وعائي في الثدييات العليا يُطرح بعد الولادة والمساعدة في تغذية الجنين المتصل به عن طريق الحبل السُّري . وفي النبات هو جزء من المبيض تُعلق به البويضات (أو البذيرات) . وجاءت الكلمة من اليونانية Plakoeis -entos ومعناها : كعكة مسطحة (أو مبططة) «flat cake»⁽¹⁷⁾ .

في المصرية حسبها يذكر «مارسيل كوهن» (Essai Comparatif, p. 98) تقابلنا كلمة «خ ء ت» hst ويترجمها : بيت الجنين (Matrice) - حضن (Sein) - رحم (Ventre) - ولادة (Generation) . وهي كلمة تبدأ بحرف الخاء ومنها جاء الحرف المعني .

فإن كان الأمر كذلك وجاء حرف الخاء من الهيروغليفي عن هذا السبيل ، فإن الكلمة العربية التي تعني «مشيمة» وتبدأ بحرف الخاء هي : «الخلاص» - خلاص الوليد .

وبشيء من النظر يمكن أن نتبين أن الهمزة في «خ ء ت» المصرية متعاقبة مع اللام في «خلص» العربية⁽¹⁸⁾ فتكون خ ء ت» هي «خ ل ت» . فإن كانت التاء أصلية فهي إبدال للصاد في العربية «خ ل ص» وإن كانت من بنية الكلمة فهذا راجع لثنائية الجذر في اللغة المصرية . وبذا تكون «خ ء ت» = «خ ل [ص]» .

من جهة أخرى نجد الأستاذ «إمبير» في معجمه المقارن : (Ember : 15-A) يكتب الكلمة المصرية «خ ي» hy (Placenta مشيمة) بيد أنه يقابلها بكلمة عربية مختلفة تبدأ بحرف الخاء هي الأخرى : «خوي» من «خواء البطن» . وتقدم لنا مادة «خوي» العربية مجموعة من المشتقات يدور

(17) من الطريف أن نجد كلمة placenta في المصرية palaceinta مستعملة في نوع من الطعام نعرفه في العربية باسم «المحشي» (المحشوق) . وهو أشكال من الخضر أو العجائن المحشوة ، مما يقابل : المشيمة ، الوعاء المحشو بالجنين !

(18) يقدم أمبير (Ember : 1-2) اثنتين وثلاثين كلمة مصرية يبدل اللام فيها همزة حين تقابل العربية .

مُعظمها حول التجويف والفرغ، وأوضح ما يتصل بموضوعنا ما جاء في (اللسان) من قوله :

«خويت المرأة، خواً، وخوت : ولدت - فحوى بطنها أي خلا». و«الخواء : خلو الجوف من الطعام». وقد يكون من أسماء المشيمة placenta : الخواء - أي ذاك الذي تخلو منه بطن الولادة، أو تحوي منه حين تضع وليدها. وهذا ما يقابل في المصرية ht الخَوِيَّة - حسب قراءة كوهن) أو h (خوى/ خوي - حسب قراءة إمبير).

ومع عدم إغفال الصلة الواضحة بين ht «خ ء ت» المصرية و«خلت» (بإبدال اللام همزة - لعدم وجود حرف اللام في المصرية وكذلك «خوت» - ومعنى الكلمتين العربيتين واحد - فإن من المدهش ما نجده في تعبير اللهجة الليبية عن «المشيمة» باسم «خوات الصغين». وقد تكون أساساً «خَوْت» الصغير أي الوليد = كيس الصغير أو حوران الوليد. وهي ذاتها «خ ء ت» المصرية التي نشأ عنها حرف الخاء في الرموز الهيروغليفية.

15 - 𐩧 : حاء (حاء) h

معنى الرمز الهيروغليفي : «جوف حيوان مع حلقات ثدي». يرى «غاردر» و«واترسون» أن نطق هذا الحرف يكون ما بين الحاء والحاء، فهو أقرب إلى ich الألمانية. وهو يتبادل الوضع مع حرفي الحاء والشين في بعض الكلمات⁽¹⁹⁾.

بيد أن متابعة الكلمات المصرية التي يوجد بها هذا الحرف ومقابلتها بالعربية تبين أنه إلى الحاء أقرب (راجع : Ember, 16-B). ومن الجائز أن يكون نطقه مختلفاً قليلاً عن الحاء المشبعة دون أن تتبدل إلى حرف آخر، كما يفعل عرب السودان مثلاً في نطقهم القاف أقرب إلى الغين دون أن تتحول غيناً. على هذا فإن الكلمتين العربيتين اللتين أخذ منها هذا الحرف فيما نرى هما : (1) حشا (جوف). ونلاحظ تبادل الحاء والحاء في الكلمتين المرتبطتين : حشا (أحشاء، حشو = جوف، الباطن، الداخل) وخش (دخل). (2) حَلْمَة : الهئية الشاخصة من ثدي المرأة وتندوة الرجل (صدره).

(19) يتفق علماء المصريات تقريباً على أن الرمز 𐩧 يقابل الحاء ويرمز له من الحروف اللاتينية ب (h) - (حرف الهاء تحت نقطة، والرمز 𐩧 يقابل الحاء ويرمز له ب kh وأ h). أما الرمز 𐩧 فقد ساوى (بدج) بينه وبين الحاء كتابة kh وفصل بينهما عند الترتيب في معجمه.

(راجع : Budge ; An. Eg. Hieroglyphic Dictionary)

ولكن أغلب الباحثين رمزوا ب h (حرف الهاء تحت خط) للدلالة على تميزه باعتباره صوتاً بين الحاء والحاء. ونشير إلى أن الحاء والحاء يتبادلان كثيراً في الأكادية بالذات. ومن الدلالة أن الجذر «ح ش» (ومنه : حشا، يحشو) يتساوى والجذر «خ ش» (دخل، بطن). ويمكن للقارئ ملاحظة معنى الابطان في (حشي) و(خش) في العربية كنتساوي دلالة بطن مع بطن (الجوف)، (المصرية ht). فإن تساوي الحرفين في المالطية أو بالأصح وجود h (حرف ما بين الحاء والحاء) في تلك اللغة في كلمات مثل : حبة huzza التي تكاد تنطق : حبة (بالحاء).

يؤدي كل من هذين الرمزین حرف السين. ومعنى الرمز الأول : كتان أو قماش مطوي - Folded Linen (Cloth). ويذكر «غاردنر» (ص 507) أن الكلمة التي نشأ عنها هذا الحرف غير معروفة. وقد يقابل أحياناً حرف الصاد الخفيفة «š» وإذا تتابع مع حرف الشين «š» حدث إبدال بينهما في الغالب الأعم (ص 587)⁽²⁰⁾.

فإذا قارنا هذا الحرف في الكلمات المصرية مع العربية وجدناه يتبادل وحروف أخرى مثل : الشين والصاد والضاد والذال والزین ونحوها. (راجع : غاردنر - صفحات 582 - 587).

ويذكر «غاردنر» كذلك أن هذا الرمز يُرى كثيراً في أيدي عدد كبير من التماثيل ولعله منديل (قطعة من القماش) - كما يتخذ رمزاً مختصراً لكلمة «س ن ب» (s n b) ومعناها : سلم/ سلامة (إبدال بين اللام والنون، والميم والباء). ونلاحظ أن كلمة «سلم» (س ن ب) تبدأ بحرف السين.

الطريف أن يسجل «غاردنر» نفسه (ص 582، 595) أن كلمة «س ش»، وتُقلب أحياناً إلى «ش س» تعني بالضبط : كتان، قماش Cloth, Linen. وعند «فولكنر» Faulkner (A Concise Dictionary of Middle Egyptian, p. 113) تأتي «س ي س» (s i s) بمعنى «قماش» linen أو بالتحديد «القماش المطوي ست مرات» Six — weave linen.

وظاهرة الطي في هذا القماش (عند غاردنر : المنديل المطوي) تُفسر لنا شكل الرمز الهيروغليفي أ على شكل كتان مطوي. (ويمكن للقارئ أن يقارن ما يُعرف في ليبيا باسم «مقطع القماش أو الكتان» وهو لفيفة الكتان تباع كاملة أو يُقطع منها متراً بعد متر).

السؤال هو : من أين جاءت كلمة «س ش»، أو «ش س»، أو «س ي س» حسب اختلاف القراءات ؟

ما أظن القارئ إلا فطن إلى كلمة ترد على خاطر في هذا المقام - أعني كلمة «شاش» بشينين متتالين، وتستعمل أحياناً بمعنى الكتان أو القماش على وجه العموم، أو بتخصيص ضرب رقيق منه خفيف. ولكن للكلمة استعمالات أخرى. ففي مصر يُطلق «الشاش» على لفائف القماش الطبية تُضمَد بها الجراح⁽²¹⁾.

(20) يقول «غاردنر» ما نصه :

«Note that the sequence of (sš) and (šs) are Particularily lable for metathesis».

(21) لاحظ أن تتابع (س ش) و(ش س) على وجه التخصيص عُرضة للإبدال (Gardiner : Eg. Gram., p. 587). هذا بالنسبة لاستعمال اللفظة في معنى خاص بمجال التطيب غير أن كلمة «شاش» تستعمل في اللهجة المصرية الحديثة بمعنى «الثوب» كذلك.

ويُعبّر في تونس عن الصداقة العميقة بين رفيقين فيقال : فلان وفلان رأسان في «شاشية» - أي يجمعها غطاء رأس واحد. ونفس التعبير موجود في ليبيا بالصيغة ذاتها أو : رأسان في «شيشة». وليس المقصود طبعاً من كلمة «شيشة» القنية التي تدعى كذلك، وأحسبها صيغة أخرى من «شاشية» على النسبة، أو أن أصلها «شاشة» (مؤنث شاش) وتحوّلت إلى «شيشة».

وفي تونس يسمى غطاء الرأس «شاشية» نسبة إلى «الشاش» وإن كان غطاء الرأس يصنع من الصوف عادة، أو الصوف المخلوط بالقطن. وفي ليبيا هناك لعبة «الشاش» وهي كرة من القماش يتقاذفها اللاعبون، أو كرة من المطاط مغطاة بقماش خاص⁽²²⁾.

وينبغي الاعتراف بأنني لم أعرثر على كلمة «شاش» أو ما يقاربها بمعنى قماش أو كتان في العربية الفصحى في المعاجم التي بين يدي حتى الآن، رغم استعمالنا لها بهذا المعنى أو ما يتصل به⁽²³⁾ وقد تكون الكلمة من القديم المئات حافظت عليها المصرية وانحدرت إلى استعمالنا الحديث في أيامها هذه.

لكن هناك المصدر «شف» وقد يكون أقرب كلمة إلى «شش» هذه بتعاقب الشين والفاء، وهو يزودنا بادة تتعلق بموضوعنا، وخاصة إذا قرنا «شش» بمعنى «منديل» وهو القماش الرقيق عادة : «شف الثوب : إذارق... والشف : ضرب من الستور يري ما وراءه، وهو ستر أحمر رقيق من صوف... وجمعه : شفوف. وفي حديث عمر (رضي الله عنه) : لا تلبسوا نساءكم القباطي فإنه إن لا يشف فإنه يصف. ومعناه أن قباطي مصر ثياب رقاق، وهي مع رقتها صفيقة النسيج فإذا لبستها المرأة لصقت بأردافها فوصفتها، فهي عن لبسها وأحب أن يكسين الثخان الغلاظ».

ولنا، بالطبع، أن نربط، من حيث المدلول على الأقل، بين «شش» و«شف» و«قباطي» مصر الرقاق (أي الثياب القبطية) وتكون الثلاثة هي على هذا الأساس.

ومن الطرافة أننا نسمي الآن هذه «الثياب الرقاق» - وخاصة ثياب المرأة - باسم «الشفون» وهذه منقولة عن الفرنسية Chiffon المشتقة بدورها من Chiffe (رقيق، شفاف).

وأرجح الأمر أنها نقلت من العربية يوم كانت النسوة العربيات في الأندلس أو في بلاد المشرق يلبسن «الشف» من الثياب وتلبس الأوروبيات الثياب الثخان الغلاظ!

(22) قد لا يدهش القارئ أن يعرف أن لعبة «التنس» Tennis المعروفة التي يقول عنها معجم اكسفورد إنها دخلت اللغة الانكليزية حوالي سنة 1400 م بصيغة Tenes و Tenetz، وجاءت في رأيه من الفرنسية Tenez (خذ - تقبل) لا ترجع إلى الفرنسية - ولكنها جاءت من نسبتها إلى مدينة «تنس» في مصر (قديماً وتعرف باسم تانيس Tanis) وكانت تشتهر بصناعة ضرب من النسيج الصوفي الرقيق تغطي به الكرة التي يلعب بها وتتقاذف بالمضرب بين اللاعبين. (أنظر : F. Reichmann : The Sources of Western Literacy. (Greeneood Press. London. P. 195).

والدليل على صواب هذا الرأي ما ذكرناه من أن عرب ليبيا يدعون هذه الكرة التي تُلَقب وتُحذف : «شاش» - أي الكرة المغطاة بالشاش التنسي!

(23) يعتبر الدكتور حسن ظاظا (كلام العرب، ص 64) كلمة «شاش» من الدخيل على العربية ويقول : «والشاش هو نسيج رقيق كان يأتي من بلدة بهذا الاسم في إقليم السند (بالقرب من بخارى وسمرقند)». ولكنه يضيف في الهامش : «وقيل إن أصله مصري قديم».

وقد دخلت هذه الكلمة اللغة الإنجليزية «ساش» Sash وتعني «وشاح زينة يرتديه الرجل عادة كجزء من بزمته أو شارة على أحد كتفيه أو حول وسطه، وتلبسه المرأة أو الطفل حول الوسط. وأصله من العربية (شاش) (The

Concise Oxford Dictionary).

من كل ما مضى يمكن القول بأن نشأة حرف السين ورمزه في الهيروغليفية كان على هذا النحو :

شف > شش > شس > س ش (المنديل المطوي، أو القباش الملفوف كما تثبت معاجم اللغة المصرية القديمة). واكتُفي بالحرف الأول من الكلمة، كما هي العادة في بقية الحروف، فكان حرف السين (المهملة) الذي يتبادل مع حرف الشين (المعجمة) في كثير من الأحيان، كما تتبادل «س ش» و «ش س» وتكون حيناً «ش ش» = شاش، شاس، ساش.

أما الرمز الثاني — فهو: «مزلاج» (رتاج) Bolt. ويأتي في مواطن أخرى بمعنى: «أقفل، أغلق، أحكم الاغلاق، أمن» Secure.

وهنا نأتي إلى الكلمة العربية الفصيحة: «سكّر = أقفل و(تربس). «سكّره تسكيراً: خنقه. وقوله تعالى ﴿سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾⁽²⁴⁾ أي حُبست عن النظر وحيرت، أو غُطيت وغشيت. وسُكّرت - بالتخفيف - أي: حُبست» (الفيروزبادي/القاموس المحيط).

«سكّر النهر: سدّ فاه. وكل شق سدّ فقد سُكّر. والسكّر ما سدّ به. والسكّر: اسم ذلك السداد الذي يجعل سدّاً للشق وغيره». (اللسان/مادة: سكر). ومن الجذر «سكّر» جاءت: السكّر، سكر يسكر سكرًا، فهو سكران، وساكر، وسكّير. والمعنى البعيد: انغلاق منافذ العقل وسدّ بابه.

ونجد أهلنا في ليبيا يقولون: سَكَّرُ الباب - أي: أقفله. وفلان رأسه مسكّر - أي: مغلق، كناية عن البلاة. ويسمى المزلاج أو الترياس؛ في اللهجة الليبية: «سكّارة»/«سكّارة الباب»⁽²⁵⁾.

من هنا نرى أن أصل حرف السين الثانية هو «سكّارة» (من الجذر: سكر) خاصة وأن الرمز الهيروغلوفي هذا يؤدي معنى «يسكّر» Secure وينبغي ألا ننس أن Secure الأنكليزية والاسم Security (الفرنسية Sécurité) هي ذاتها «سكّر» العربية، وهي في اللاتينية Securitas. وقد تكون دخلت اللاتينية من عرب شمال أفريقيا أو من شرق البحر المتوسط في القديم القديم من الزمان.

(24) ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ الحجر/15.

(25) نلاحظ أن النطق في اللهجة الليبية لهذه الكلمات أقرب إلى الصاد منه إلى السين. «مصكّر صكّر، صكّارة/صكران = سكران». مما يتطابق مع اتخاذ الرمز الهيروغلوفي — علامة لحرفي السين والصاد معاً. وكذلك الأمر في «سك» (= سكر)، وتُنطق «صكّ» (أقفل). قارن كذلك: سكت (صمت. أقفل فمه). سكف (الأسكفه: عتبة الباب التي يوطأ عليها، والساكف: أعلاه الذي يدور فيه الصاتر، متعلق بالأفقال). سكن: سكت (انغلق وهدأ).

وهذا ما يُبرهن على أصالة «سكّر» في العربية. إذ نجد المعنى متقارباً بإضافة بعض الحروف إلى الجذر الثنائي «سك» (سكت، سكر، سكف، سكك، سكن).

معنى الرمز الهيروغليفي : «بركة ماء» Pool .

من هنا، يقول «غاردنر» (ص 491)، جاء الصوت «ش» š . ويبدو أنه علامة أرض مروّية- ولذا فهو كثيراً ما يتبادل مع الرمز --- وخاصة في كلمات مثل «م ري» mri = حب، تعلق، حنان (العربية : رام/ مرام/ رثم/ رؤوم) و«م ر» mr = مجرى ماء، نهر (العربي : مرّ، ممر) و«م رت» mrt = غزّالون weavers (الفعل العربي : مرّ = فتلّ الحبل «المرار»).

وإذا كان الباحثون، بقدر ما بين يدينا من مراجع، لم يقدموا كلمة كاملة نشأ عنها هذا الحرف «الشين» في المصرية، فإن الملاحظ ارتباط رمزه الهيروغليفي بالماء والنبات في المعاجم، وقد يرسم مستطيلاً يعلوه نبات اللوتس هكذا --- (في المصرية š š n . العربية : سوسن).

في معجم فولكنر (A Con. Dic. of M. Egyptian) يرد الرمز «ش» (š) مجرد مستطيل ويترجمه : «بحيرة، بركة» (Lake, Pool) . ويرد الرمز «ش ء» š ʔ (مستطيل يعلوه اللوتس) ويترجمه : حقل (Field) ، مرج (Meadow) ، ريف (Country) ، سبخة (Marsh) ، مستنقع (Swamp) .

هذه الصلة الوثيقة بين الرمز المعني والماء (والنباتات المائية خاصة) يمكن تفسيرها بالنظر إلى ورود الرمز ذاته مكرراً في اسم «شيشنق» šš (NQ) . ومن المؤكد أن ثمة صلة بين المقطع الأول (š) في اسم هذا الفرعون والدلتا المصرية ومياهها الغامرة ونباتاتها يبيح في موطنه إن شاء الله . ثم يمكن المقارنة باللغة الأكادية بكلمة مهمة في هذا المجال في كلمة «Tsutsu» [تسوتسو = نشوتشوا] (هكذا يكتبها (Sayce ; Elem. Grammar) وهي ذاتها «šušū» [شو - شو] [تقابل المصرية šš بإسقاط الأصوات الفرضية).

كلمة (Tsutsu) šušū الأكادية تعني بالضبط ما تعنيه (Pool) (بركة) والمصرية šš ، «سبخة» (Marsh) . وهي في الوقت نفسه تعني (كالمصرية) : «نبات مائي» Aquatic Plant (قارن اللوتس).

هذه الصلة الوثيقة للكلمة في المصرية والأكادية بالماء هي التي أدت، فيما يبدو، إلى الفعل šiti في الأكادية [شيتي = شتي] . (E. Reiner ; A Linguistic Analysis of Akkaidian).

(قارن العربية : شتاء . شتي . شتوي = مطر الشتاء . وفي الشام يُقال : شتّي = أمطري . شتوية = مطر) . فأين هذا من العربية ؟

قد يمكننا القول بأن أصل رمز حرف الشين في الهيروغليفية يعود، برسمه ومعناه، إلى العربية (شرب/ شراب) لارتباطه بالماء في كل الأحوال . بيد أن سقوط الراء والباء من «شرب» وبقاء الشين وحدها قد يخلق إشكالاً (ولو أن حرف الراء أبدل في الواقع همزة في š ʔ = شر [ب] وهو أمر كثير الحدوث جداً في المصرية) . ورغم هذا فلا بأس من العودة إلى العربية والبحث في وعن كلمة

«شء» هذه، ومن الطريف أن نجد لها مستعملة في «مخاطبة» الحيوان، والحمار على وجه التخصيص، كما ورد في (لسان العرب) تحت مادتي «شأشأ» و«سأسأ» عن طريق تبادل السين والشين.

قال : «شؤشؤ وشأشأ : دعاء الحمار إلى الماء .

شأشأ : زجر الحمار ليحتبس أو يشرب .

وفي المثل : قَرَّبَ الحمار من الردهة ولا تُقَلِّ له «شأ» .

ويُقَال للحمار : «شأ» عند الشرب يبتاز به ربه، فإن روي انطلق وإلا لم يبرح» .

ثم يضيف : ومعنى قوله «شأ» أي «إشرب» . وفي ظننا أن هذا النص يحدد الصلة اللغوية الوثيقة بين اللغات العروبية الثلاث : المصرية والأكادية والعربية في هذا الباب . ويُجَدَّد بالتالي منشأ رمز حرف الشين في الهيروغليفية الذي جاء على شكل بركة ماء كما ذكر العلماء، والأصوب أنه على شكل حوض ماء يُشبه تمام الشبه حوض شراب الحيوان ← وليس البركة كما قد يتبادر إلى الذهن .

أما فيما يتعلق باستشهادنا بكلمة «شأ» التي (يُخاطب) بها الحمار عند الشرب، فقد يعترض معترض عليه، بيد أن إيراد ابن منظور للكلمة في (لسان العرب) وقوله إن معناها «إشرب» يوضح اعترافه بها كلمة عربية متداولة، وتسجيله لها في (اللسان) مع إيراد الأمثلة والتحليل دليل على ذلك . وينبغي ألا يندهش القارئ إذا عرف أن عدداً كبيراً من كلمات «لغة الطفولة» التي نحسبها مجرد لغوي في الواقع مفردات لغوية قديمة مستعملة حتى في النصوص الدينية المقدسة بمدلولاتها التي نعرفها . وحتى بالنسبة للمفردات التي «يُخاطب» بها الحيوان نجد في اللغات العروبية كما هي . فمثلاً : «صص» - للحصان - هي ss في المصرية، ss في الكنعانية، ses في الأكادية .

وكلمة «بَع» ، «بعية» في المصرية = كبش ← الكبش ← المقدس ← القدوس ← الروح .

وكلمة «تيت» لزجر الحصان وحثه على السير أصلها في المصرية t s t = عصا ← ضرب ← زجر ← أسرع ← إنطلق . . . الخ . ثم صارت تدل على الإمرة والحكم .

وكلمة «ميو» بمعنى هر أو سنور، في المصرية Miw (العربية : مواء . ماء يموء) .

وكلمة «خُخ» ، «خُخة» أي : «ذبح» - في المصرية : h h «خ خ» = حلق، عُق، رقبة . ومنها h y t = ذبح، قتل، نحر .

(يحسن أن يرجع القارئ إلى مقالة الكاتب في مجلة «تراث الشعب» العدد السابع من السنة الثانية، طرابلس/ ليبيا 1982 م لمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع)⁽²⁶⁾

(26) نشرت أيضاً في كتابه : بحثاً عن فرعون العربي - الدار العربية للكتاب، طرابلس/ تونس - 1985 م .

على أن جورجي زيدان يُشير في أثناء مقابله للغة العربية بأخواتها (تاريخ اللغة العربية : ص 48 - 49) إلى كلمة «شتاء» ومادة «شتأ» في القاموس . وكل مشتقاتها ترجع في دلالتها إلى الفصل المعروف من فصول السنة الأربعة .

ولم يدلُّنا صاحب القاموس على أصل هذا المعنى في هذا اللفظ . «على أننا إذا راجعنا هذه المادة في اللغات (السامية) رأينا الأصل في دلالتها الشرب أو الري أو الصب . . . ويؤخذ من مراجعات كثيرة أن المادة الأصلية (شتا) كانت تدل على الرطوبة أو الري في «اللغة السامية» . فلما تفرقت القبائل . . . تولدت منها المشتقات . . . فتولدت منها لفظ الشتاء للمعنى المعروف له في العربية وأهمل معنى الري أو الشرب» .

من هذا نفهم أن الجذر «شتا» كان يدل على «الشرب أو الري أو الصب» . ثم تطور في العربية إلى الفصل المعروف وهو فصل المطر وانصباب الماء (في الشام يُقال حتى الآن : شتي = أمطري . شتوية = مطر . وفي العربية : شتوي = مطر الشتاء ، والشرب والري والصب يتبعه وجود إناء يصب فيه الماء ، ويُشرب فيه ، ويُرتوى منه) . وهذا هو بالذات الحوض المستطيل الشكل في الرموز الهيروغليفية ، الذي يوجد به الماء ويسمى في المصرية «ش ء» (š) اختصاراً للجذر «شتا» - أو كما حسب الباحثون ونقحروه على هذا الأساس . (وقد تكون النقحرة الصحيحة «ش ت» أو «ش ت ء») وأسموه «بركة ماء» . . والصواب «حوض» للشراب والري .

وهذا هو أصل حرف الشين في الهيروغليفية .

ونتطع الشك باليقين فنورد أخيراً ما ذكره (اللسان) في مادة «شياً» :

الليث : الشيء ء الماء . وأنشد :

«تري ركبه بالشيء في وسط قفرة»

قال أبو منصور : لا أعرف الشيء بمعنى الماء ، ولا أدري ما هو ، ولا أعرف البيت !

وجهل أبي منصور⁽²⁷⁾ لا يعني أن عرب الجزيرة لا يعرفون (الشيء) . - بكسر الشين المشددة -

بمعنى الماء ، وهي ذاتها المصرية «ش ء» دون إدخال الحركات .

18 . 1 : ق (قاف) Q, K .

معنى الرمز الهيروغليفي : تل . جانب الجبل «hill-slope» في المصرية تعني كلمة «ق ء ء» K 33

: «هضبة» hill . «مرتفع» high . وهذا هو أصل تسمية حرف القاف الذي هو على صورة منحدر

جبل (غاردر - ص 489) . والجذر الأصلي هو «ق ء ي» K 3 Y - وثمة مشتقات كثيرة منه

بمختلف الصيغ التي تدور حول معاني : «عالٍ ، طويل ، مرتفع ، سام ، هضبة ، جبل ، تل . . .

الخ» . (أنظر : غاردر - ص 596) .

(27) هو كجهل عمر بن الخطاب (رض) لمعنى كلمة «أب» حين قرأ قوله تعالى : (وَفَاكِهَةً وَأَبًّا) - وكان غيره يعرفها بمعنى الكلاء .

عند المقارنة بالعربية نلاحظ إبدالاً بين الهمزة والعين، ولكن معنى الارتفاع يظل موجوداً بمختلف الصيغ وإضافة بعض الحروف للحرفين «ق ع» (المصرية : ق ء) وذلك لغلبة الشائبة على المصرية، والثلاثية على العربية.

«قعل : القاعلة : الجبل الطويل . والقواعل : رؤوس الجبال قال امرؤ القيس :

«عقاب تُنوّق لا عقاب القواعل»

وقيل القواعل : الجبال الصغار (التلال) . الجوهرى : القاعلة : واحدة القواعل، وهي الطوال من الجبال . قال أبو عمرو :
واحدة القواعل : قوعلة وشعر الأفوه دليل على أنه قاعلة .

قال :

والدهر لا يبقى عليه لِقْوَةٌ * في رأس قاعلة نمتها أربع

وعقاب قيعلة : تأوي إلى القواعل (الجبال) أو تعلوها . . .
والقيعلة : المرأة الخافية العظيمة . . . والاقعيلال : الانتصاب في الركوب . وصخرة مقعالة : منتصبة لا أصل لها في الأرض .
قعم : القعم : ارتفاع أرنية الأنف .
قعن : القعن والقعي : ارتفاع في الأرنية .
القيعون : ما طال من العُشب . . واشتقاقه من قعن» .

(ابن منظور، لسان العرب) .

وقد يجب القارئ للتأكد من عروبية هذه الكلمة التي نشأ عنها حرف القاف في الهيروغليفية مزيداً من المقارنة باللغات العروبية الأخرى . . ولا بأس .

ففي النصوص البابلية (الأكادية/ الأشورية) تتردد كلمة «ق ء ي» بمعنى «مرتفع» (Zadok p. 88) .

وفي الأرامية ظهرت بصيغة «ق ء ي ه» (G A Y H) وكذلك بصيغة «ق ا ي ا» (Gaiaa) بالمعنى ذاته (نفس المصدر، ص 120) .

ويقارنها «مارسيل كوهن» (Ess. Comp., p. 118) كما يلي :

العربية : G'Y = رفيع، عالٍ .

الجبالية : AGG = الأعلى .

IGGI = الجزء الأرفع .

AGAYU = الرأس .

وفي السريانية (معجم أنيس فريجة) Gaia = عالٍ، رفيع، مرتفع .

وفي الكنعانية (المصدر نفسه) : G'N = فخر، زهو، رفعة .

وفي الكنعانية أيضاً : «ق ع ن» G'N = فخر، زهو، رفعة .
وفي الكنعانية أيضاً : «ق ع ن» G'N هضبة، تل، مرتفع .

وهكذا يفعل الأساتذة «أمبير» Ember ، و«بدج» Budge وغيرهما في معاجم اللغة المصرية عند التعرض لكلمة «ق ء» هذه .

وقد قارن بعضهم بينها وبين كلمة «أوج» العربية، على سبيل القلب والابدال بين الجيم والقاف، ووصلوا بينها وبين agagu اليونانية (= رفيع، سيد، رئيس، رأس) ولكن هذه في الواقع لها صلة بكلمة «أق ق و» akku الأكادية، «أخ» (ḫ) المصرية، «أخ» العربية التي كان معناها الأصلي «السيد» وليس «الشقيق» (Brother) .

تبقى ملاحظة أخيرة تكمن في أنه حدث في المصرية ما حدث في العربية من انتقال اللفظ من المحسوس إلى المعنوي ؛ فإن K/Q 3 تعني أيضاً : المرفع / رفيع الشآن > مرتفع . > عالي المقام > عليّ > علو . سامي المكانة > سمو > سماء . رئيس > رأس . . . الخ .

19 - ك (كاف) K .

معنى الرمز الهيروغليفي : «سلة» - Basket . وبتحديد أكثر : سلة مصنوعة من الصفصاف أو الخوص ذات يد . Wickerwork Basket With handle (غاردرنر - ص 525) . ولسبب مجهول، يقول «غاردرنر»، صارت رمزاً لحرف الكاف .

هذا «السبب المجهول» عندنا يرجع إلى كلمة عربية مشهورة هي «قففة» أي : «سلة» . وقد قلبت القاف كافاً في المصرية، كما قلبت في العربية كذلك . وقلبت الفاء في المصرية إلى باء فكانت «ك ب» K B (Cohen : Essai... p. 124) وهي في الجبالية «أكافو» Akāfu ، وفي الفرنسية - لمزيد من العلم : Couffe = قففة⁽²⁸⁾ .

فماذا تقول العربية ؟

«قفف : القففة : الزنبيل . وأنشد :

رب عجوز رأسها كالقففة * تمشي بخفٍ معها هرشقة .

ويروى : كالكُفَّة . . . قال الأزهري : ورأيت الأعراب يقولون :

القففة : القففة، ويجعلون لها معاليق يعلقونها بها من آخرة الرحل، يلقي الراكب فيها زاده وقمره، وهي مدورة كالقرعة (وهذا ما جعل القففة تعني القرعة اليابسة كذلك). القففة : شبه زنبيل صغير من خوص يجتنى فيه الرطب وتضع فيه النساء غزلهن» . (اللسان) .

(28) ولست أدري هل «الكوفية» - بمعنى غطاء الرأس - نسبة إلى مدينة الكوفة بالعراق أم لأنها «كفة» للرأس (كالقففة) .

أما الكوفة - وهذه إضافة مستحسنة لوجود المد بها - فقد سُميت كذلك لأن موقعها كان رملاً مجتمعاً - ويسمى :

«الكوفة» . والرمل المجتمع (الكثيب - القوز) عبارة عن قففة مقلوبة، أو «قبعة» من الرمل !

«القفة» إذن هي «الكفة» ومادة «كفف» في موضع مادة «قفف» ولكي نزيد الأمر وضوحاً نقتبس : «كفف : كَفَّ الشيء يكفه كَفًّا : جمعه» (مثلما يجمع الشيء في القفة).
«تكاف القوم : كأنهم جعلوا الأمر في وعاء» (السلة).

«كل ما استدار فهو كِفة، بالكسْر، نحو كفة الميزان وكفة الصائد، وهي حبالته». (قارن شكل القفة المستدير).
«الكفة والشبكة أمرهما واحد» (قارن القفة المصنوعة من نفس المادة التي تصنع منها الشبكة).

ومهما تتبعنا مادة «كفف» وجدناها تعني : الجمع، والاحتواء، والاستدارة، وما إليها من أوصاف «القفة» التي هي ذاتها «الكفة»⁽²⁹⁾.

إن كفة الميزان شبيهة بالقفة. ولا شك أن الميزان في هيئته الأولى كان يتخذ شكل القفتين المتناظرتين. فهل يقترب هذا كله من الحرف الذي تجري دراسته ؟

20 - : ج (جيم) G :

معنى الرمز الهيروغليفي : «قاعدة جرة» (stand for jar) ومرة أخرى يفاجئنا «غاردرن» (ص 529) بالقول بأن سبب اتخاذ هذا الرمز إشارة إلى حرف الجيم غير معروف (!). ولو أنه انتبه إلى الكلمة الانكليزية التي عبر بها عنه لعرف السبب ؛ فإن معجم اكسفورد يقول إن كلمة jar الانكليزية (بالفرنسية jarre) عربية الأصل : «جَرَّة». وهي في المصرية «ج r r g». «الجرة إناء من خزف كالفخار. وجمعها : جُرٌّ وجرارٌ...»
قال ابن دريد : المعروف عند العرب أنه ما اتخذ من الطين...

التهذيب : الجرّ آنية من خزف، السواحدة جَرَّة، والجمع جُرٌّ وجرارٌ. والجرارة : حرفة الجرّار». (اللسان - مادة : جرر).

ولعل الأصل اللغوي البعيد : جرجر. و«الجرجرة : الصوت، وتردد هدير الفحل...» وفي الحديث : الذي يشرب في إناء الفضة والذهب إنما يجرجر في بطنه نار جهنم - أي يهدر فيه - وهو صوت وقوع الماء في الجوف، فجعل الشرب والجرع : جرجرة». والواقع أن الجرجرة = القرقرة، وهي أيضاً صوت دفع الماء متتابعاً من الجرة.

ونلاحظ أن حرف G الذي نَفَحَرَ (نقل حرفياً أو حرفاً من لغة إلى أخرى) به علماء الغرب الرمز الهيروغليفي إلى اللاتينية يُنطق حيناً جيماً معطشة كما بحرف Gem مثلاً، وحيناً جيماً مصرية (قافاً ليبية) كما في Good. وحين ننظر في معجم اللغة المصرية ونقارنه بالعربية نجد هذا الرمز يوافق حرفي الجيم (معطشة وغير معطشة) والقاف. كما يوافق الغين أحياناً. وهذا راجع إلى كثرة الابدال بين هذه الحروف الثلاثة (قارن : جرجرة = قرقرة = غرغرة).

(29) ليقارن القارئ كذلك كلمة «قبة» وهي عبارة عن «قفة» مقلوبة - دليلاً على تعاقب الحروف بين قفة، كفة، كبة، قبة. ولا ننسى cup الانكليزية وهي شبيهة بالرمز الهيروغليفي، تقابلها «كوب» العربية وتُجمع على «أكواب».

وقد يهيم القارئ أن نضيف معلومة صغيرة هنا، وقد تكرر تعريف الجرة بأنها «إناء» - من فخار أو طين أو فضة أو غيرها - إذ يُقرأ هذا الرمز الهيروغليفي كذلك باعتباره كلمة قائمة بذاتها هي «إن (و)» «in (w)» أو كما يكتبها «كوهن»: (Essai Comparatif. P. 80) y n (a).

ومعناها عنده : Pot - وهي ذاتها العربية : إناء .

أما «غاردر» (ص 572) فيقرأ الكلمة المهجأة «ن إ و» (N I W) ويترجمها إلى : Bowl = قَدَح ، وعاء ، قعب = إناء .

هذا التأييل الذي سبق كان باعتبار الرمز يمثل «الجرة» أو الاناء الخاص بالشراب . ولكن بعض المصادر تعتبر هذا الرمز مجرد قاعدة للجرة . وهنا نشير إلى أن الحرف اللاتيني (G) الذي نُحَرِّبه الرمز ينطق كما سبقت الإشارة نطقين مختلفين كما في good مرة وكما في Gem مثلاً مرة أخرى . فلنعتبره هنا مقابلاً للجيم المصرية (القاف اللببية) كما في good . فهو يقابل القاف العربية (كما في : قال) - علماً بأن الجيم والقاف في مختلف المواقع يتبادلان في العربية . فلنأخذ الكلمة باعتبارها «ق ر» بدلاً من «ج ر»، فلا نجدنا بعيدين عن العربية هنا أيضاً . وفي مادة «قرر» العربية مجال كبير للمقارنة .

«القارورة» : واحدة القوارير .

القارور : ما قر فيه الشراب وغيره .

والجمع : قوارير . وفي القرآن الكريم : ﴿قوارير قوارير من فضة﴾ .

وهذا ما يقابل إناء الشراب G R في المصرية .

ثم :

القرُّ : مركب للرجال بين الرجل والهودج .

وقيل : القر : مركب للنساء .

والذي يهمننا أن «القر» مركب، سواء كان للرجال أم للنساء أم للجرة تستقر (أو : تقر) فوقه . وهو المطلوب .

ومن العجيب فعلاً أن مادة «قرر» العربية تؤدي إلى كلمة «قرقور» وهي السفينة الطويلة العظيمة، وهي في المصرية «ق ر ق ر» grgr .

ولا يغيب عن بالنا أن السفينة في العربية تسمى : ماعون، إناء، مركب . وهذه كلها موجودة في المصرية القديمة بنفس المدلول والاستعمال .

21 - ت (تاء) T :

معنى الرمز الهيروغليفي : «رغيف» (Loaf) - «خبز» (Bread) . ولهذا الرمز/الحرف أشكال أخرى . هذا الشكل ٥ (نصف الدائرة) أشهرها، منها المستطيل ٦ والمثلث ٧ وهي كلها

أشكال رغيف الخبز الذي يبدو أن المصريين تفتنوا في صناعته (١) وهو يُتبادل كثيراً مع حرف الثاء كما يحدث الآن في لهجة عرب ليبيا.

وهذا الحرف وحده «ت» (يحرك تحميناً : تا) يعني : «خبز» .

في المصرية مثلاً : «ت - رت ح» = t - rth = رغيف محمص (Baked Bread) . (العربية : «ت - ح رق» = خبز محرق) .

«ت - ورت» = T - W R T = خبزة كبيرة (Large Bread) .

(العربية : «ت - وارٍ (وري) (ورية) = خبز كبير) .

«ت - ن ب س» = T - N B S = خبز النبق (Bread of Nebk Tree) .

(العربية : ت - نبق [السندر] .

(راجع : غاردنر - ص 531) .

فمن أين جاءت التسمية يا ترى ؟

في لغة الطفولة العربية⁽³⁰⁾ يقابلنا هذا الحرف / الكلمة بمختلف الصيغ : المغرب : توتو . الجزائر : تاتا (كسكي) . ليبيا : تاتا (= خبز) . ومن المثير أن «تاتا/توتو» تعني أنواعاً مختلفة من الطعام بحسب البلد ، وهذا يشبه كلمة «عيش» التي تعني في لغة الكبار في ليبيا : عصيدة (بازين) . وفي مصر : رغيف . وفي الخليج العربي : الأرز . فالعيش إذن يعني ما يغلب على أهل القطر من طعام ، أي ما «يُعاش» به . وكذلك الأمر بالنسبة لـ «تاتا» .

ولم أجد في معاجم العربية ما يعين على اكتشاف الأمر ، ربما لأن الكلمة مائة ولم تعد تستعمل منذ زمن بعيد ، وظلت في لغة الطفولة وحدها .

يبد أن اللغات العروبية الأخرى تساعدنا على ربط الصلة بقدر كبير من الوضوح .

في الأكادية نجد «أُتيتو» / Utitu / «أتاتو» = Atātu = حبوب / شعير ، ittu = قمح .

وفي الكنعانية (نصوص رأس الشمرة) نجد : «ت ي ت» = طعام (Gordon : Ugaritic

Handbook, p. 276) ويذكر «كوهن» (Essai Comparatif., p. 150) أن كلمة «أت» في النوبية تعني

«خبز» . وأن كلمة «توو» = Towu في الحبشية تعني «طعام» .

وفي وسط المغرب يسمى الخبز حتى الآن «توتو» (Bynon : Berber Nursery Language, N. 26)

. بينما تطلق لفظة «تاتا» في الجزائر على «الكسكي» (المصدر نفسه / رقم 178) .

ومن رأي الأستاذ «باينون» أن «تاتا» ومختلف صيغها (المصرية «تا» - ت T) عبارة عن اختصا

كلمة «طعام» العربية بإبدال الطاء تاءً (تعام) وإسقاط بقية الكلمة . وقد يُقبل هذا الرأي لسهولة

(30) أنظر مقالة للكاتب بعنوان (ديدش حب الرمان ، لغة الطفولة في ليبيا ، دراسة مقارنة) - مجلة «تراث الشعب» العدد

الرابع - ص 98-67 .

منشورة أيضاً في كتاب المؤلف : «بحث عن فرعون العربي» ، الدار العربية للكتاب ، طرابلس / تونس 1984 م .

تحوّل الطاء إلى تاء، حتى في أيامنا هذه إذ يلاحظ إبدال الطاء تاءً، خاصة في الطبقات المرفهة في مصر والمتفرنجة، ولعدم وجود الطاء العربية الجلية في اللغة المصرية القديمة فكانت «تاء» «T» ونشأ حرف التاء (ورمزه الرغيف) عن هذا السبيل كما نشأت بقية الحروف الأخرى.

22 - ث (تاء) th, t

معنى الرمز الهيروغليفي : «عقال للدابة، شكال، مطول، طوال - جبل طويل تربط به الدابة».

هذا الرمز/الحرف يتعاقب وحرف التاء في الغالب وخاصة في عصر المملكة الوسطى . ويقول «غاردرنر» (ص 27) إنه يقابل الصوت Tsh وكذلك الصوتين C, Tj . ولكنه على الجملة، فيما يبدو لنا، يقابل حرف التاء المثلثة في العربية .

ويقول «غاردرنر» كذلك (ص 523) في تحليله لمنشأ هذا الحرف/الرمز إنه جاء من كلمة «ث ث ت» ttt في المصرية وهي تعني : «قيد، غلّ، صغد» (Fetter) .

إن أقرب كلمة عربية تؤدي المعنى هي «ثبت» : ثَبَّتَ، ثَبَّتَ، ثَبَاتًا، وَثَبْتًا، وَثَبْتًا، وَثَبَاتًا . وواضح أن ثمة تعاقباً بين التاء والباء حين نقارن المصرية «ث ث ت» والعربية «ثبت»⁽³¹⁾ .

وفي (لسان العرب) :

«ثبت الشيء يثبت ثباتاً وثبوتاً فهو ثابت وثبيت وثبت . . . وفي حديث مشورة قريش في أمر النبي (ﷺ) قال بعضهم : إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق . أي شدّوه واعقلوه أو اربطوه» .

ومن هنا جاء «الثبات» (ثبات الدابة) أي الحبل الذي تقيده به وتغلّ . وهذا هو رمز التاء في الهيروغليفيّة .

23 - د (دال) D :

معنى الرمز الهيروغليفي : «يد» Hand .

يُرجع «غاردرنر» (ص 455) أصل تسمية هذا الحرف/الرمز إلى الكلمة العروبية «يد» Yad ، ويقارنها بالكلمة المصرية «ودي» (Wdi) بمعنى : وضع (أودى) (Put) ، دفع (Push) ، دفع (Emit)

ونستطيع مجازة هذه الكلمات بالمشتقات العربية من «يد» من مثل : أيّد (ساند)، ودّى، أدّى، أودى . وكذلك : «دفع، دَفّ، دفر» وهي من أفعال اليد ويدخل فيها جميعاً حرف الدال .

(31) قارن كذلك : Budge ; Eg. Hier. Dict. وعنده أن «ثت» = ThTht = «ربط، قيد، ثَبَّتَ» . وتعني «ثي» Th Thy «كتابة، نقش» . وهذا يقابل «ثبت» من العربية بمعنى قيد بالحبل وقيد بالكتابة . واتفاق المعنيين الحسي (ربط الحيوان) والمعنوي (الكتابة) بين المصرية «ثت» والعربية «ثبت» يرجح أن ثمة ابدالاً بين الباء والتاء، أو أن الباء سقطت في المصرية بينما «ثبتت» في العربية - على كل حال .

وأخيراً نضيف القول بأن كون أصل هذا الحرف/ الرمز جاء من «يد» آخذاً الحرف الأخير من الكلمة يؤيد ما ذهبنا إليه من أن رمز صوت العين (ذراع ممدودة) مأخوذ من آخر حرف من : ذراع، باع، كوع.

24 - ط (طاء) T.

معنى الرمز الهيروغليفي : «أفعى، حية». (Snake).

يكتب الباحثون المقابل اللاتيني لهذا الحرف/ الرمز بأشكال مختلفة : Tj, The, dj, d - وذلك بحسب تصور كل منهم للطريقة المثلى لمقابلته بالحروف اللاتينية والنطق الذي يراه مناسباً له. وهو في مفردات كثيرة يقابل في العربية حروف : د، ذ، ج، ش، ص، ض، ط. كما يقابل أحياناً : س، ز. وهو كثير التعاقب مع حرف الدال، مما يجعله أقرب إلى التاء المفخمة، أو هو حرف الطاء في العربية الذي نقابله به نظراً لما نراه من نشأته الأولى.

يقول «غاردرن» (ص 476) إن أصله كلمة مصرية ينقلها إلى اللاتينية dt وينقلها «بدج» Tchet ومعناها لديها : «حية». ومن رأينا أن هذه الكلمة تقابل العربية «طوط» (وجذرها : طط). ويورد ابن منظور ما يلي في شأنها :

«الطوط : الحية. قال الشاعر :

ما إن يزال لها شأن يقومها * مقومٌ مثل طوط الماء مجدول»

و«طوط الماء» هو ثعبان الماء، وهو حيوان سابح طويل. ولعل المعنى البعيد للطوط هو الطويل، جاء من الطول. ويضيف ابن منظور :
«الطاط والطوط : مفرط الطول. وقيل : هو الطويل - فقط - من غير أن يقيد بإفراط». ولعل الأفعى (الحية) سميت طوطاً لطوها. ويقول :

«والطوط والطاط : الرجل الشديد الخصومة، وربما وصف به الشجاع». وهذا من باب تشبيه الرجل الشديد الخصومة بالأفعى. ولا ننسى أن كلمة «الشجاع» ذاتها تعني الجسور المقدام كما تعني الأفعوان أو ضرباً من الحيات لعله المقصود بالتسمية «الطوط» أو «الطاط» كما يسمى الأشجع. و«الأشجع : ضرب من الحيات... وهو الشجاع والشجاع، بضم الشين وكسرها. قال شمر في (كتاب الحيات) : هو ضرب من الحيات لطيف دقيق. وهو، زعموا، أجرأها. وقيل : هو ضرب من الحيات صغير. وقيل : هو الخبيث المارد منها».

والمهم أن «الشجاع» هو «الطوط» أو «الطاط». وهذه هي dt المصرية (الكوبرا) وهي أصل حرف الطاء في رمزه الهيروغليفي.

ويؤيد ما ذهبنا إليه ما يراه «ولفنسون» (تاريخ اللغات السامية - ص 99 - 100) من أنه رغم مغايرة أبجدية الخط الكنعاني للقلم الهيروغليفي والمساري فإن من المحتمل أن مخترعي هذا الخط كان لهم إلمام مهذين القلمين، ويحتمل أنهم استعانوا ببعض صور وعلامات هذين الخطين لاختراع

قلدهم الجديد . ونحن نجد لمعاني الحروف الكنعانية علاقة بالصور، كما سبقت الإشارة، ومن ذلك حرف «الطاء» في هذه الأبجدية الذي يُسمى «طيت» ومعناه «حنش» (العربية : طوط، طاط). ويذكر الشيخ نسيب الخازن (من الساميين إلى العرب، ص 39) أن حرف «الطاء» - وهو يسميه : التاء المفخمة - تسمى في الكنعانية «طيظ». وهو ما يقابل العربية (طوط - طاط) والمصرية dt .

والحيات، كما تعلم، ضروب وأنواع. وقد اتخذ عرب مصر الأقدمون صنفين منها رمزاً هجائياً : الأول - الحية القرناء Horned Viper وشكلها - . وتسمى «فت» (F.T) ومنها نشأ حرف الفاء كما مرّ بنا من قبل . والثاني - الكوبرا . ومنها حرف الطاء، وما يتعاقب معه من أصوات، كما علمت منذ قليل . وهي في نقحرتها اللاتينية dt . لكن هناك حية ثالثة تُسمى «ح ف و» h f 3 w (أفعوان Serpent) . ورابعة نقحرتها اللاتينية dd وهي مختلفة الشكل عن غيرها هكذا ٦٨٨ - عبارة عن حنش طويل رقيق ينقله «غاردرن» (ص 476) إلى الأنكليزية Worm - وهي ما تقابل العربية «دود» .

هل لاحظت الصلة اللغوية والمعنوية بين «طوط» و«دود» في العربية ؟ إنها نفس الصلة بين dt و dd في المصرية . ولا عجب أليست كلها حناشاً طويلة «طوطة» أو هي «دودة»، تسعى !

إضافة

يتقارب الرمزان الهيروغليفيان و 𐤎 و 𐤏 في دلالتها الصوتية التي ينقحرها علماء الافرنج : tch, dj, d . . . إلخ . وقد أوضحنا المقابل العربي للرمز الأول فيما سبق .

بيد أن جذراً في اللغة المصرية شهيراً يأتي فيه أحد هذين الرمزین، أو كلاهما، ويقرأ dd عند «غاردرن» و«فولكنر» و tchet عند «بدج» . وقد يقرأ تسهياً لنطق القاريء الأوروبي djed . وهو يترجم إلى : «قال» (say) ، ومشتقاتها ومرادفاتها . وقد نقبله بالعربية «شدا» : أصدر صوتاً، تكلم، تحدث، قال . كما أن من معاني الكلمة المصرية أيضاً : ثبت، ثابت (Stable) ومرادفاتها التي تفيد البقاء والمكوث . (أنظر : معجم بدج، ص 913 . غاردرن، ص 6٠4 . فولكنر، ص 325) .

الجذر الثلاثي في العربية «ذود» يكافئ تماماً ما في المصرية التي ننقحرها هنا «ذد» . (لاحظ أن ثنائي «ذود» هو «ذد» .) وهنا يقابل الرمزان الهيروغليفيان 𐤎 ، 𐤏 الذال المعجمة في العربية (ذ) .

في مادة «ذود» العربية نقرأ :

«المذود : اللسان، لأنه يذاد به عن العرض . قال عنتره :

سيأتيكم مني وإن كنت نائياً * دخان العَلْدَى دون بيتي ومذودي

قال الأصمعي : أراد بمذوده لسانه، وبيته شرفه . وقال حسان بن ثابت :

لساني وسيفي صارمان كلاهما * ويبلغ ما لا يبلغ السيف مذودي».

«المذود» هنا بمعنى «اللسان»، والفعل منه : ذاد، يذود. الاسم : الذود. وهذا ما يقابل المصرية d d (بنقحرة غاردنر) = «ذد».

ثم نقرأ في مادة «ذود» كذلك :
«ومعلف الدابة : مذوده».

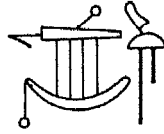
والمذود هنا ما نعرفه في لغتنا المعاصرة باسم «الاسطبل» (الاصطبل) وهو يكافئ الانكليزية Stable التي تعني أصلاً : الثبات. (قارن العربية : ثَبَّت. ثبت الدابة ما تربط به لتمكث مكانها فلا تبحر). وكلمة Stable الانكليزية ذاتها تعود إلى اللاتينية Stabulum المشتقة من Stare = وقف/توقف. وجذرها st- الذي يفيد المكث والتوقف عن الحركة، القعود. يقابلها في العربية «ست» > «أست، ستَه». وفي المصرية الجذر «س ت» st .

المذود (= الاسطبل) يمنع ما بداخله من الحركة الطليقة، وهو أيضا يحميه ويدفع عنه ما يسيء. ومن هنا جاء الفعل العربي «ذاد» بمعنى : دفع، طرد، حمى. والمذود أيضاً عبارة عن حاصر (للحيوان عادة) يعمل من أغصان النبات أو من جريد النخل بدائياً، حزمًا يشد بعضها إلى بعض. ومن المفيد هنا أن نقرأ ما يذكر الأستاذ «غاردنر» عن الرمز ¹¹ إذ يقول :
«هو عمود يحاكي حزمة من سيقان النبات شد بعضها إلى بعض» (Eg. Gr., p. 502).

أليس هذا هو ذاته ما يكون «المذود» في العربية (معلف الدابة) المصنوع من حزم سيقان النبات، أو أعواده أو من الجريد، شد بعضها إلى بعض ؟

وقد يعترض على المقارنة ما بين المصرية «ذد» d d والعربية «مذود» (رغم أن جذر الأخيرة هو «ذود» ثلاثي «ذد»). فلنذكر هنا أن المصرية ذاتها استعملت ميم المصدرية في : «م ذ ت» md t ، ومعناها : معلف الدابة = اسطبل Stable ، وتجمع على «م ذ و ت» mdwt (اسطبلات) حسبها يذكر الأبتاذ غاردنر نفسه (Eg. Gr., p. 524).

الفارق الوحيد بين اللغتين أن «مذود» العربية وردت بصيغة المذكر، بينما هي «م ذ و ت» مؤنثة في المصرية. وقد اتفقتا في الجذر وفي الدلالة معاً.



العرب والهيروغليزية

(من أحمد بن وحشية إلى أحمد كمال)

هل عرف العرب شيئاً عن الهيروغليزية ؟

هذا سؤال تبدو الإجابة عنه عسيرة جداً، وقد تكون بالنفي إذا أردنا وصولهم إلى إدراك معاني رموزها الهجائية أو الصوتية باعتبارها ضرباً من الكتابة تمكن قراءته. إذ من الواضح أن الهيروغليزية صارت قلماً مجهولاً تماماً منذ وقت مبكر، إذ يسميها (كلمنت الاسكندري) Clemens Alexandrus المتوفى سنة 210 م. - أي قبل دخول العرب المسلمين مصر بما يزيد عن أربعة قرون - بـ «النقوش المقدسة» مما يبرهن على الجهل بأسرارها تماماً.

ومع هذا، فيبدو أن محاولات بذلت لكشف سر هذه النقوش ومعرفة ما ترمي إليه. إذ تذكر المصادر أن الصوفي المعروف «ذا النون المصري» كان يطوف بـ «البرابي»⁽¹⁾ ويحاول الوصول إلى سر مستغلقاتها من التصاوير العجيبة، وهو الذي ينسب إليه انشغاله بالعلوم «الهرمسية».

وتذكر المصادر أيضاً رجلاً آخر هو أحمد بن وحشية⁽²⁾ (المتوفى في العقد الأخير من القرن الثالث الهجري، أوائل القرن العاشر الميلادي). ويعرف بالصوفي، وهو كلداني الأصل، أو نبطي، من أهل قُسَّين قرب الكوفة بالعراق. كان عالماً بالكيمياء وينسب إليه الانشغال بالسحر والشعوذة. وهو ترجم كتاباً عن (الفلاحة النبطية) عن الكلدانية وآخر عن (أسرار الطبيعيات في خواص النباتات). ولكن اهتمامه كان أيضاً منصرفاً إلى اللغات القديمة فيما يبدو؛ إذ يُذكر من كتبه⁽³⁾ : (شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام).

(1) جمع «بربا» وهذه في المصرية القديمة «بب ر - ب أ» pr-ba (= بيت الروح). وانظر حديث المسعودي عن برابي مصر وروحانيها في (أخبار الزمان)، طبعة دار الأندلس، ص 169 - 170، بيروت 1980 م.

(2) أحمد بن علي (بن قيس) بن المختار بن عبد الكريم بن حرقيا (أو جرتيا)، أبو بكر. أنظر: كحالة؛ معجم المؤلفين، جزء 2، الزركلي؛ الأعلام، جزء 7، ط 5، بيروت 1980 م.

(3) إلى جانب (كنز الأسرار) والسر والطلسمات) - وبعض كتبه لا يزال مخطوطاً في مكتبات العالم. أنظر مؤلفاته كاملة في «الفهرست» لابن النديم، طبعة التجارية الكبرى، ص 433، 504.

(وقد أورد صاحب (الأعلام) في الطبعة الخامسة، جزء 1، ص 170-171 أن كتاب ابن وحشية (شوق المستهام) الذي «جمع فيه أصول الأقلام التي تداولتها الأمم الماضية من الفضلاء والحكماء السالفين والفلاسفة العارفين» نشر في لندن بترجمة وتقديم (يوسف همز) سنة 1806 م. ولم يتيسر لي، للأسف، الحصول على نسخة للاطلاع على محتوياتها التي قد تضيء أماننا الطريق فيما يتعلق بهذا الأمر).

فهل حاول ابن وحشية الاقتراب من القلم الهيروغليفي؟

هنا غير مستبعد⁽⁴⁾؛ إذ رغم أنه كان يعيش في العراق فقد كانت له صلة بوادي النيل عن طريق المراسلة، ويقول ابن النديم عند حديثه عن ابن وحشية إنه قرأ «نسخة الأقلام التي يكتب بها كتب الصنعة والسحر، ذكرها ابن وحشية، وقرأتها بخطه».

ويضيف:

«وقرأت نسخة هذه الأقلام بعينها في جملة أجزاء بخط أبي الحسن بن الكوفي، فيها تعليقات لغة ونحو وأخبار وأشعار وآثار وقعت لأبي الحسن بن الفتح⁽⁵⁾ من كتب ابن الفرات⁽⁶⁾. وهذا من أطرف ما رأيته بخط ابن الكوفي بعد كتاب (مساوىء العوام) لأبي العباس الصيمري».

والمهم هو ما يلي:

«حروف الفايطوس: أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن و ه لاي».

حروف المسند: أ ب ت ث ج ح خ د ذ س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن و ه لاي⁽⁷⁾. هذه [هي] الحروف التي يصاب بها العلوم القديمة في البرابي».

والإشارة إلى «البرابي» هنا ذات دلالة خاصة، إذ هي معابد مصر القديمة خاصة ولا تطلق على أي أثر آخر في أي مكان غير مصر. أما حروف «الفايطوس» فلا جدال في أنها «الفايطوس» بالباء، وهي في اليونانية alphabetus (الانكليزية Alphabet) من العربية «ألف باء تاء». فهل كان ابن وحشية يقرأ القبطية المكتوبة بحروف من اليونانية يا ترى؟ إذا كان يفعل فهو قد يكون وصل إلى معرفة القلم «الديموطيقي» أو «الميرايطيقي» وهما القلمان المتطوران عن القلم «المهروغليفي». على أن ذكر «البرابي» بالذات يشير إلى المهروغليفية، إذ أنها هي التي كتبت بها نقوش المعابد المصرية

(4) إذ يذكر ابن النديم عثمان بن سويد الاخيمي، من أخميم، قرية من قرى مصر، وكان مقدماً في صناعة الكيمياء «وله مع ابن وحشية مناظرات، وبينه وبينه مكاتبات». (الفهرست، ص 505 من طبعة المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة 1348 هـ).

ويقول (في ص 433) إن من كتبه كتاب (مفاوضاته) مع ابن جعفر الأموي وسلامة بن سليمان الاخيمي.

(5) الأصل: التسيخ.

(6) الأصل: أبى.

(7) لا أدري الحكمة من تكرار صورة حروف (الفايطوس) وحروف (المسند) دون فرق في الترتيب.

القديمة وليس بالقلمين الآخرين . فيكون بهذا سبق «شامبليون» في خطته وفي (اكتشافه) .

ويختم ابن النديم حديثه عن ابن وحشية بهذه الملاحظة الدقيقة ذات الدلالة العميقة :

«حروف العنث : (8) ربما وقعت هذه الخطوط في كتب العلوم التي ذكرتها من الصنعة والسحر والعزائم باللغة التي أحدث أهلها العلم فلا تفهم ، اللهم إلا أن يكون الإنسان عارفاً بتلك اللغة ، وهذا مُعَوِّزٌ . وربما كانت هذه الكتابات تراجم تؤدي إلى اللغة العربية ، وينبغي أن تتأمل وتُجعل هذه الأقلام مثلاً لها ويرجع إليها إن شاء الله تعالى» .

(8) هكذا في جميع الطبعات التي اطلعت عليها ولم تفسر .

ويقول «غوستاف فلوجل» G. Flugel في تعليقات نشرته لكتاب (الفهرست) لابن النديم (صفحة 195) إن «عنث هو اسم شخص مجهول» - ولا يزيد على ذلك شيئاً .

غير أننا يمكن أن نفهم من نص ابن النديم أن حروف العنث (وليس «عنث») هي قلم من الأقلام ، أو خطوط «وربما وقعت هذه الخطوط في كتب العلوم التي ذكرتها من الصنعة والسحر والعزائم باللغة التي أحدث أهلها العلم فلا تفهم . . .» و باعتبار «العنث» اسم قلم فلا بد أن يكون للكلمة أصل .

في (معجم بذج - ص 665) ورد اسم مركب هو «س ف خ ي ت . ع ب و ت» (Sefkhit äbut) وترجم بأنه يعني اسم «رَبَّة/إلهة الحروف» . ويمكن أن نرجع اسم «سفخيت» إلى مادة «س ف خ» (=صَبَّ الماء أو المداد أو الطلاء) وعربيتها : «سَفَح» ، «سَفَك» ، والياء للنسبة والتاء للتأنيث . أو نرجعها إلى المكافئ العربي الآخر «صفح» - ودلالته الأولى تتفق مع دلالتى «سَفَح» ، «سَفَك» - ومنه : الصفحة ، وجمعها : صفحات ، ومقلوبه «صحف» ومنه صحيفة ، وجمعها : صحف (صحف ابراهيم وموسى) ، والمصحف ، أي القرآن الكريم . وتمكن المقاربة في هذا المجال مع المصرية «درب» drp و«درف» drf التي تعني : صب ، سكب - العربية : «ذرف» - ومعناها في المصرية : كتب . وهي قلبت إلى «ذ ف ر» فصارت بالإبدال : شفر ، سفر (ومنها : سَفَر = كتاب) ، زبر (= كَتَبَ وأيضاً «ذبر») ومنها : زَبور = كتاب .

هذا عن «سفخيت» = سافحة ، سافكة ، صافحة < > صاحفة = كاتبة .

أما «عبوت» فإنها تعود في المصرية إلى الجذر «ع ب» - الواو للعلمية والتاء للتأنيث . ومادة «ع ب» في المصرية تفيد الربط والتقييد (في معجم فولكنر : ع ب : وحد ، جمع . ع ب ب : عقدة . وفي معجم بذج : ع ب : ربط ، وحد . ع ب : نسج . ع ب و ت ي : الناسجتان ، إيزيس ونفثوس . ع ب : قمط . ع ب و ت : حبال ، أربطة ، قيود . ع ب و : باقة ، ضمة زهر مربوطة . . . الخ) .

في العربية نجد الجذر «ع ب» (ثلاثي «ع ب») يقدم هذه الدلالة أيضاً : العباية والعباءة ضرب من الأكسية (نسج) . ويقال : امرأة عباية أي ناظمة تنظم القلائد . قال الشاعر يصف سهاماً :

لها أُطْرُ صُفْرٌ لَطافٌ كأنها * عقيقٌ جلاه العايبات نظيم

وفي هذا معنى الجمع والضم والتقييد كما في معنى النسج ، مما يقابل المصرية «ع ب» (= ضم ، قيد ، نسج ، كتب . قارن العربية : قيد ، سجل ، ألف = كتب . وكتف = كتب . . . الخ) .

على هذا الأساس تكون المصرية «عبوت» وهي المقطع الثاني من اسم ربة الكتابة ، مكافئة للعربية «عابية» ، كما أن «سفخيت» وهي المقطع الأول من الاسم المركب = صفحة = كاتبة . فهي إذن (الصفحة العابية) . . أي السافكة/المقيدة .

أما كيف وردت «العنث» عند ابن النديم فإن الألف واللام للتعريف ، والنون مزيدة ، والأصل «عنث» ولعل التاء الثلاثية مصحفة عن التاء الثنائية ، أو مبدلة ، في «عنث» (ع ب ت) مؤنث «ع ب» كما مر ، تضاف إليها واو العلمية وتاء التأنيث فتكون «ع ب و ت» .

إن ابن النديم، ببساطة، يقول ما معناه أن لغة هذه الخطوط التي كتبت بها العلوم المذكورة معوزٌ من يعرفها. لكنها قد تكون وسيلة ترجمة إلى اللغة العربية. بعبارة أخرى: هي (حجر رشيد) آخر. لغة قديمة لها مقابل بلغة يمكن فهمها، وعلى هذا الأساس يمكن الوصول إلى سر اللغة الأولى التي أحدث أهلها العلم المكتوب بها «وينبغي أن تُتأمل وتُجعل هذه الأقلام مثلاً لها» أي أن تفك رموز لغة مجهولة بخطوط لغة معلومة «ويرجع إليها» بعد ذلك.

لكن.. وأسفاه!

لم يسمع نصيحة ابن النديم أحد، فيما نعلم حتى الآن⁽⁹⁾، إلى أن جاء (شامبليون) ورفاقه، فالتقطوا الخيط ومضوا إلى العمل بالنصيحة. وكان ما كان.

* * *

ومضى الزمان.. إلى أن جاء العصر الحديث.

والتاريخ لن ينسى أبداً عالماً عربياً رائداً في مجال دراسة الهيروغليفية، أدرك حقيقة الصلة المتينة بين اللغتين المصرية والعربية، بل وحدثهما، ونذر حياته لتبيان هذه الحقيقة والتدليل عليها بكل سبيل، وهو جاهد بكل ما يملك لكي ينه الأذهان - في وقت مبكر جداً وبحماسة منقطعة النظير - إلى ما بين اللغتين من وشائج وصلات، واقفاً بصلافة في وجه محاولات الدارسين الغربيين ذوي الروح الاستعمارية تحويل الدراسات المصرية، واللغة المصرية القديمة بالذات، إلى وجهة تنأى بها عن العروبة وتجعل منها كياناً مستقلاً عن الحضارة العروبية العامة، بل أحياناً مضاداً لها بمختلف أساليب التحريف العلمي والتشويه التاريخي المتعمد. ذلك هو الأستاذ أحمد كمال.

وقصة أحمد كمال نموذج رائع للعالم العامل، المؤمن بقضية عروبة مصر منذ فجر التاريخ، وهي سجل فخر للتفاني في متابعة الجهد وإدراك أبعاد (المسألة الفرعونية) وحقيقتها العروبية الواضحة. ومن المؤلم حقاً أن رجلاً على مثال هذا الرجل يهمل هذا الإهمال المحزن، ولا يحظى بالتكريم وتخليد الذكر حتى أن القاهرة التي عاش فيها وعمل لا تخصص شارعاً باسمه أو لوحة تجدد ذكراه، بينما تحتل أسماء «مسبيرو» و«شامبليون» وغيرهما لوحات الشوارع الكبيرة في عاصمة المعز.

من مقالة للدكتور محمد جمال الدين مختار⁽¹⁰⁾ نعرف أن أحمد كمال ولد سنة 1849 م. بالقاهرة وهو تعلم في (مدرسة الألسن) أو مدرسة «بروغش» للآثار واللغات القديمة، ثم عمل في مصلحة الآثار المصرية، التي كان يسيطر عليها الأجانب، حتى أصبح أميناً للمتحف المصري، وكان أول عربي يحتل هذا المنصب الذي شغله حتى تقاعد سنة 1914 م. وهو في الخامسة والستين من عمره، وعاش بعدها تسع سنوات حتى توفي سنة 1923. عن أربعة وسبعين عاماً. وهو قام بتدريس اللغة

(9) من يدري؟ لعلنا نكتشف يوماً مخطوطة عربية كشفت سر الهيروغليفية وبتبها الهيراطيقية والديموطيقية.

(10) المجلة التاريخية المصرية، العدد 12، 1964 - 1965 م. الصفحات 43 - 57، بعنوان: أحمد كمال - العالم الأثري الأول في مصر. وهي المقالة الوحيدة التي أمكنني الاطلاع عليها تتحدث عن هذا الرجل.

المصرية القديمة والحضارة المصرية في المدارس والجامعة الأهلية، ونال عضوية المجامع العلمية واللغوية، وحصل على كثير من الرتب والأوسمة. «وهو أول مؤرخ عربي كتب في تاريخ مصر وحضارتها القديمة كتابة علمية سليمة، وإمام الرعيل الأول من الأثريين المصريين».

وعُدَّ الدكتور مختار ثمانيةً من كتب أحمد كمال المطبوعة، وعدداً كبيراً من المقالات والبحوث المنوعة نشرها باللغات العربية والفرنسية. و«لقد عاش أحمد كمال في زمن لم يعرف فيه المصريون أهمية الآثار وقيمتها، ولم يعنوا العناية اللازمة بها، في فترة احتكر فيها الأجانب العلم وتولوا المناصب الكبيرة في البلاد، مما عرضه للكثير من المتاعب والمضايقات.

ومع ذلك فإنه لم يضعف أمامها ولم تعقه العقبات التي وضعت في طريقه، بل صمد ونجح في صموده» - وكان ذلك بفضل إيمانه وإمامه بكثير من اللغات، كالفرنسية والانجليزية، والألمانية، بجانب العربية والتركية، وبعض اللغات (السامية)، وبفضل اطلاعه على ما وصل إليه علماء الغرب من أبحاث في اللغة والتاريخ والحضارة والديانة وجغرافية البلاد القديمة، وأخيراً بفضل ما جبل عليه من إخلاص ودقة في العمل وجدِّ وتفان في البحث وشغف وميل للدراسة والتحصيل.

على أن أهم ما يميز أحمد كمال، العالم الأصيل، هو إيمانه بأن اللغة المصرية القديمة لغة عروبية، أو هي أخت للعربية شقيقة. ولسنا ندري هل كان للأستاذ «بروغش» العالم الألماني الذي أصر - حتى آخر يوم من حياته - على (سامية) اللغة المصرية أثر فيه؟ أم أن اطلاعه الواسع على العربية ذاتها هو الذي أدى به إلى اكتشاف الصلة الوثقى بينها وبين المصرية؟ أم كان العاملان معاً ذوي أثر في توجهه؟

المهم أن أحمد كمال خصَّص جزءاً كبيراً من نشاطه لاثبات هذه الصلة. ويذكر د. جمال الدين مختار في نفس المقالة أن أحمد كمال تحدث في مقال له من أربعين صفحة عن أسماء ملوك مصر التي وردت في المخطوطات العربية مع التعليق عليها والبحث عن أصلها. وتحدث في مقال آخر من 35 صفحة عن أسماء الملابس عند المصريين القدماء مع مقارنتها بالمرادفات العربية. وأفرد مقالاً ثالثاً لأصنام العرب محاولاً الربط بين أسمائها وبعض ألفاظ اللغة المصرية القديمة⁽¹¹⁾ أو إيجاد صلة بينها وبين المعبودات المصرية. وفي مقال رابع تناول بالدراسة أصل كلمة «مصر».

بيد أن أهم أعماله وأثمنها عمل لم ير النور قط ولهذا قصة عجيبة تظهر مدى الحرب التي شنت على المنهج العربي في دراسة تاريخ وادي النيل، وتبين عن أية روح «علمية» صدرت دراسات بعض علماء المصريين.

فلنترك د. مختار يتحدث عن هذا الموضوع. قال :

«هذا المعجم يرتبط بناحية اهتم بها أحمد كمال وهي مدى صلة اللغة المصرية القديمة باللغات

(11) يشير إلى مقالة بالفرنسية لأحمد كمال عن «الأصنام العربية والمعبودات المصرية».

(Les idoles Arabes et les Divinités Egyptiennes)

أنظر : W. Budge ; The Gods of The Egyptians, Vol. II., p. 289

السامية بوجه عام واللغة العربية بوجه خاص . فقد لاحظ العلماء منذ منتصف القرن التاسع عشر في قواعد اللغة المصرية القديمة الشيء الكثير من مظاهر وخصائص اللغات السامية : من ذلك اعتماد اللغة المصرية على الحروف الساكنة وخلوها من المتحركة، وتشابه صيغ الفعل وأزمانه مع الفعل السامي، واشتغالها للمثنى بجانب المفرد والجمع، ولظروف الزمان والمكان، ولياء النسب وتاء التأنيث والضمائر المتصلة، ثم استخدام اللغة المصرية الجمل الفعلية بجانب الاسمية، كما لوحظ أن الكثير من ألفاظ اللغة المصرية قريب في تركيبه ونطقه من مرادفاتها السامية .

وهذا الميدان الواسع المتشعب لا يمكن أن يطرقه إلا عالم ملم باللغة المصرية واللغات السامية وخاصة العربية إماماً كبيراً، وقد طرق أحمد كمال هذا الميدان، وتناول العلاقة بين اللغة المصرية والعربية في محاضرة ألقاها بمدرسة المعلمين الناصرية سنة 1914 جاء فيها :

«اعلموا أيها السادة أن كثرة مطالعتي في اللغة المصرية القديمة منذ كنت في الثامنة عشرة من عمري إلى أن بلغت الستين مهدت لي سبيل الوصول إلى اكتشاف غريب مفيد ألا وهو أن اللغة العربية واللغة المصرية القديمة من أصل واحد . . .» .

ثم جاء في هذه المحاضرة :

«ولما وقفت على أصول اللغتين العربية والمصرية وعلى ما فيهما من القلب والابدال أمكنني الخوض في مقارنتهما بالبراهين القاطعة التي تظهر لنا حقائق المعاني وتبين لنا فحوى النصوص التي وضعت . لا أفتخر بذلك ولا أبريء نفسي من الغلط في مثل هذا المجال الواسع ولكني سلكت طريقاً أضمن وأرقى من غيره وهو تطبيق اللغة المصرية القديمة على اللغة العربية مع بيان القلب والابدال في بعض كلماتها، اقتداء بالمصريين أنفسهم، حتى تظهر لنا حقيقة المعنى لوجودها محفوظة في اللغتين . . .» .

وعلى هذا الأساس بدأ أحمد كمال في كتابة معجمه الذي استغرقت كتابته، ما يقرب من عشرين عاماً، وأخرجه في 22 جزءاً، ويتضمن كل جزء أحد الحروف الهيروغليفية . وكانت طريقته في هذا المعجم أن يدون الكلمات الهيروغليفية - وقد يسجل أحياناً النصوص التي احتوتها - ثم يذكر مرادفاتها العربية والفرنسية والقبطية والعبرية . ولنضرب مثلاً بحرف الـ «س» فقد تضمن المجلد الخاص بهذا الحرف 1072 صفحة من القطع الكبير . حافلة بالمعلومات والمقارنات والملاحظات .

وقد انتهى أحمد كمال من معجمه تقريباً قبل أن يظهر قاموس إرمان «وجرابو» الصغير سنة 1921، كما أن المعجم المصري الكبير المعروف بقاموس برلين، الذي أخرجه المجمع العلمي البروسي جامعاً بين الكلمات المصرية والقبطية والألمانية، لم يظهر إلا في الفترة بين 1926، 1931 أي بعد بضع سنوات من وفاة المرحوم أحمد كمال .

وتقدم أحمد كمال قبل وفاته ببضعة أشهر إلى وزارة المعارف طالباً طبع المعجم على نفقتها، فأحيل جزء منه وهو المتضمن حرف «القاف» إلى مدير المطبوعات وكان إنجليزيا في ذلك الوقت،

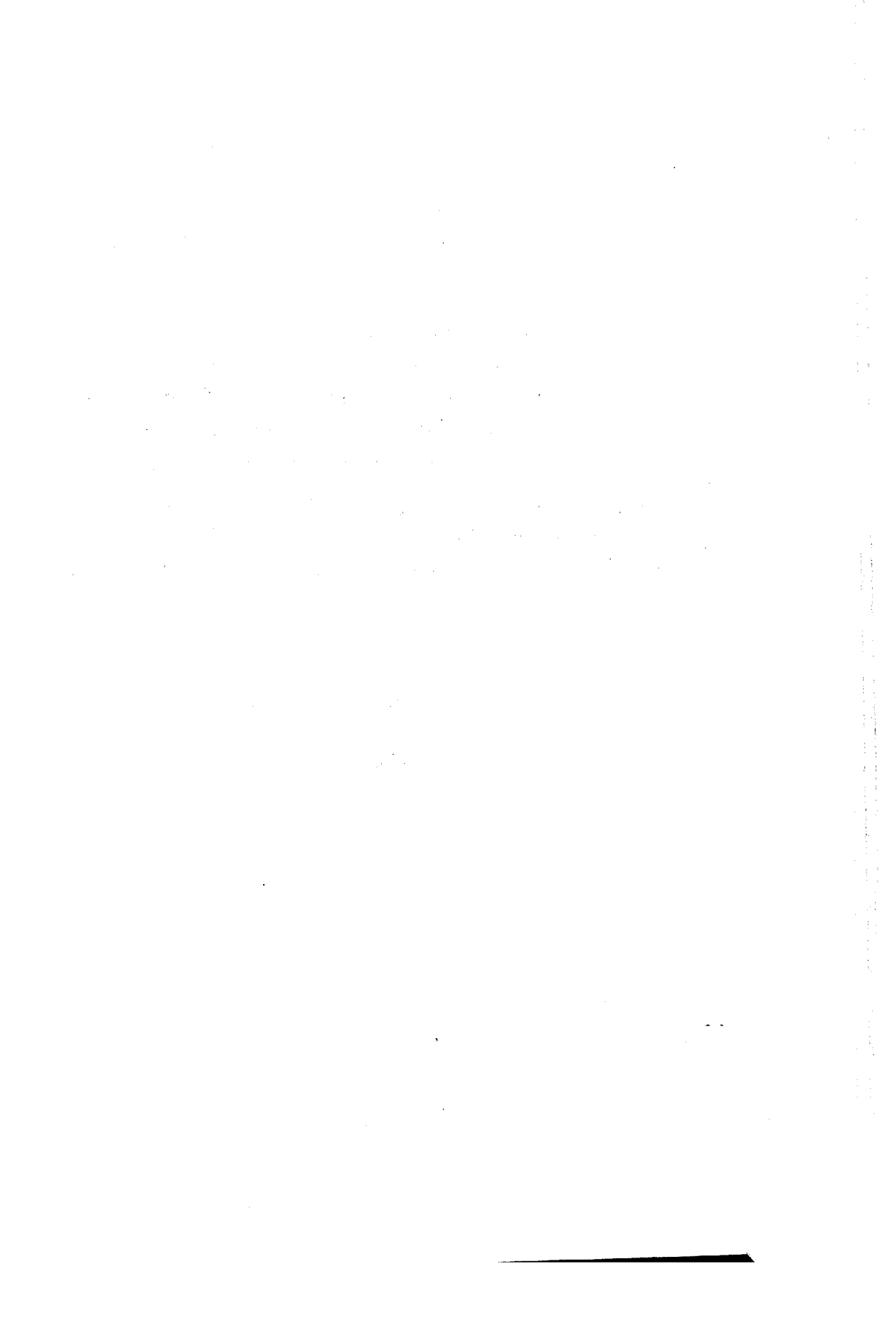
فأحاله إلى كبير الأمناء بمصلحة الآثار، العالم الانجليزي «فرث» ليبيدي رأيه فيه . وقد أشرك «فرث» معه في هذا الموضوع ، العالم الفرنسي «لاكو» مدير مصلحة الآثار وقتذاك ، وعالم الآثار الأمريكي «ريزنر» الذي كان يدير حفائر جامعة «هارفرد» بمنطقة أهرام الجيزة، وقد حبذ الأمريكي طبع المعجم ورفض الفرنسي ذلك، وامتنع الانجليزيان عن إبداء الرأي ، وهكذا قضى على هذا المعجم بأن يطوى في زوايا النسيان» .

* * *

هذه هي قصة أحمد كمال - بإيجاز . وهي جديرة بالنظر وجديرة بالاعتبار .
فماذا كان يحدث لو نشر معجمه المقارن ، والمقارب ، بين المصرية والعربية يا ترى ؟ ماذا كان يحدث لو أن عمله العظيم خرج إلى حيز الوجود - وحرف السين وحده تبلغ صفحاته ثنتين وسبعين وألفاً من الصفحات ؟ كيف كانت تمضي دراسة اللغة المصرية القديمة على هَدْيٍ من عروبيتها ، بل كيف يُقرأ التاريخ المصري كله وكيف كان يُكتب ؟

لو أن علماء المصريين من العرب ، ومن أبناء وادي النيل خاصة ، اتَّبَعُوا منهج الرائد الجليل وساروا على نهجه وآمنوا بما آمن هو به - عن علم وإدراك ويقين - لتغير فعلاً وجه التاريخ الذي زيفه أعداء الأمة العربية وزوَّروا - بتوجُّه مقصود وتوجيه متمم - حقيقته ، ونحن عن ذلك غافلون .





الوليد بن مصعب

.. ومصعب بن الوليد

ينقل الهمداني عن محمد بن اسحاق (صاحب السيرة) وهو يتحدث عن أولاد سام بن نوح قوله : «ومن ولد ودان⁽¹⁾ : الفراعنة بمصر. والمشهور أنهم من العمالق⁽²⁾، منهم الريان بن الوليد، ويقال : الوليد بن الريان، وهو الملك في عهد يوسف، والوليد بن مصعب الذي كان في عهد موسى، بإليه أرسل»⁽³⁾.

ويذكر ابن منظور أنه :

«في الحديث أنه (أي النبي) دخل على أم سَلَمَة وعندها غلام يُسَمَّى الوليد فقال (النبي) : اتَّخَذْتُمُ الْوَلِيدَ حَنَانًا. غَيَّرُوا اسْمَهُ». أي تتعطفون على هذا الاسم فتحبونه. وفي رواية أنه من أسماء الفراعنة» (اللسان، مادة : حنن).

في هذين النصين، وفي مواطن أخرى كثيرة عند الاخباريين والمؤرخين العرب المسلمين⁽⁴⁾، يتردد اسم «الوليد» باعتباره من أسماء الفراعنة. فلماذا «الوليد» بالذات ؟

الجواب يكمن في أن هذه الكلمة ليست إلا المرادف العربي لكلمتين أخريين تدخلان في ألقاب ملوك مصر الأقدمين بشكل يكاد يكون متواتراً حتى لا يكاد يخلو لقب أي فرعون من أحدهما ؛

(1) ورد بعد قليل في صورة «دان». وقد تردد اسم «دناوس» Danaus بالصيغة اليونانية (دان + وس) في «تاريخ مانيشون» باعتباره اسماً آخر لـ «هرمس» (حر - مس) أخى «سث» Sethôs في أثناء الصراع بين الاثنين، وهو صراع - لاشك - رمزي، وله دلالاته، رغم ما يعتري الروايات الأسطورية حوله من خلط يبلغ درجة الغموض. أنظر في مواطن متفرقة (سلسلة «لوبي») : W.G. Waddell ; Manetho .

(2) العمالقة، أو العماليق، جمع عملاق وعمليق، وهم في التوراة : عناقيم = الأقوياء، الجبابرة، «الجبارين» بلغة القرآن الكريم : «وَقَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ» (المائدة/22). وهم أهل فلسطين العرب حين جاءها العبرانيون.

(3) كتاب الاكليل، تحقيق محمد بن علي الأكوخ، منشورات (المدينة)، ط 3، 1986 م. الجزء الأول، ص 72.

(4) قارن المسعودي في (أخبار الزمان) :

«وقال أصحاب التاريخ من أهل مصر إن أول من تسمى بفرعون غلام الوليد بن دمع العماليقي» (ص 176 من طبعة دار الأندلس، بيروت 1980 م).

الأولى : «س ء» sa أو «ز ء» za (غاردرنر : ص 471)⁽⁵⁾ ومعناها : ابن، ولد - وتدخّل في ألقاب من مثل : «سا - رع»، «سا - حر» أي : ابن الشمس (رع)، ابن الصقر (حر). والثانية : «م س» ms ونجدها في ألقاب من مثل : «رع - م س» (رع ميسس / رمسيس)، «ت ح ت - م س» (تحتمس)، «أح - م س» (أحمس) = رع وَلَدَ، تحت وَلَدَ، أح وَلَدَ (أنظر : غاردرنر : Eg. Gr., p. 74) ومعناها كذلك : ابن رع، ابن تحت، ابن أح . . . إلخ⁽⁶⁾.

إن كلاً من «س ء»/«ز ء» و«م س» تعني في المصرية : ولد/ابن، وهما من (أسماء) الفراعنة تدخّلان في تلك السلسلة الطويلة من ألقاب التبجيل، باعتبار الفرعون ابناً لآله من الآلهة بحسب غلبة عبادته على مصر في فترات التاريخ، سواء كان (رع)، أو (حر) أو (أمون) أو (تحت) أو غيرهم.

وقد ظلت هذه «البُنة» الآلهية في ذاكرة الأجيال حتى بلغت الاخباريين العرب فسجلوها. وكل ما في الأمر أنهم استعملوا مرادفاً آخر لـ «ذو» و«م س» هو «وليد». أي : ولد صغير = ابن.

فلنقرأ نصّ الهمداني، عن ابن اسحاق، مرةً أخرى :

«ومن ولد ودان (دان) : الفراعنة بمصر. والمشهور أنهم من العمالق (العماليق)، منهم الريان بن الوليد، أو الوليد بن الريان».

قد نجرؤ على القول هنا إن هذا الاختلاف ما بين «الريان بن الوليد» و«الوليد بن الريان» يقابل ما نراه في المصرية ذاتها ؛ فإن سلّمنا بأن «الوليد» (الولد < ولد) تقابل المصرية «م س» ms وهي تقدم وتؤخر، فهل يمتنع أن تقابل «الريان» اسم المعبود «رع» ؟

لاحظ أن الألف واللام للتعريف، زائدتان، وكذلك الألف والنون في آخر اسم «الريان»، والجذر الأصلي هو «ري»⁽⁷⁾ وهو يتبادل العين والياء ذاته «رع». وهذا لا يستغرب ؛ ألا ترى أن «رع» ومنها «رعى» (راعٍ، رعاية، رعيّاً) هي ذاتها «رأ» ومنها «رأى» (راءٍ، رؤية)⁽⁸⁾ ؟ وكما ورد في

(5) «س ء»، «ز ء» هي نقحرة (غاردرنر) وبقية علماء المصريين. تقابل بالضبط العربية الجنوبية (اليمنية) : ذ > ذو = ابن.

(6) «رع/م س» بلحاق «م س» وليس إسباقها هي القراءة المشهورة، ولعل هذه صيغة متأخرة بتأثير اليونانية. هناك أسماء تسبق فيها «م س» اسم المعبود (= ابن . . .) مما يطابق العربية، من مثل : «م س - إم ن» = ابن آمون، «م س - رع» = ابن رع. أنظر : Gardiner ; Egypt of The Pharaohs . وكذلك : Kitchen ; The Third Intermediate Period in Egypt.

في مواطن متفرقة. ويبدو أن «م س» هذه عرفت بشكل مشوه عند الاخباريين العرب، إذ يتحدث المسعودي عن أحد ملوك مصر الأوائل يقال له «فرعان بن ميسون» (أخبار الزمان، ص 176). وواضح أن «فرعان» هي «فرعون» (أو في المصرية : «پ ر - ع ء» pr-^{ca}) و«ميسون» هي «م س» ms التي تقابل «الوليد».

(7) قبل النص الذي نقلناه بسطر واحد : «قال ابن إسحاق : فمن ولد أزر بن فهلوج أهل الري وأصبهان. قالوا : ومن ولد ودان : الفراعنة بمصر. . . إلخ». وبصرف النظر عن الخلط الواضح فإن كلمتي «أزر» و«الري» تبدوان ذاتي صلة بـ «أزر» (أوزيريس) و«رع» المعبودين المصريين الشهيرين. والمعروف أن عبادة (أوزيريس) في وادي النيل سبقت عبادة (رع) فمن الطبيعي أن يكون «أهل الري» (= أتباع رع) من «ولد أزر» (= أتباع أوزيريس).

(8) هذه مجرد ملاحظة، ولعل من المفيد قراءة نصوص الاخباريين العرب على ضوء الكشوف والدراسات اللغوية الحديثة.

نص الهمداني «الوليد بن الريان» أو «الريان بن الوليد» فهو كذلك في النصوص المصرية : «م س - رع» (أو : س ء / زء = ذو - رع) = الوليد بن الريان و«رع - م س» (رعمسيس > = رمسيس) = الريان بن الوليد .

على أن صلة «م س» بـ «وليد» تبدو أكثر جلاءً في موضع آخر ؛ إذ نجد في مادة «ولد» في (اللسان) :

«وفي الحديث : واقية كواقية الوليد، هو الطفل، فعيل بمعنى مفعول، أي كلاءةً وحفظاً كما يُكَلِّمُ الطفل. وقيل : أراد بالوليد موسى، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، لقوله تعالى : ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾⁽⁹⁾ .

«وليد» إذن = «موسى»، جذرها «م س». وهذه مسألة أثارت كثيراً من النقاش والبحث والتقصي .

في مادة «موسى» يذكر (اللسان) :

«وموسى اسم النبي، عربيٌّ معرَّبٌ⁽¹⁰⁾، وهو (مو) أي : ماء و(سا) أي شجر، لأن التابوت الذي كان فيه وجد بين الماء والشجر فسمي به. وقيل : هو بالعبرانية «موسى» ومعناه «الجدب» لأنه جُذِبَ من الماء. قال الليث : واشتقاقه من الماء والساج⁽¹¹⁾، فالمو = ماء، وسا = الشجر، لحال التابوت في الماء» .

وهذا هو التفسير التقليدي لاسم «موسى» النبي . ويمكن الاستعانة بالعربية هنا في الجذر «مسا» الذي يفيد استخراج ماء الفحل، أو النطفة، أو الولد من رحم الناقة⁽¹²⁾، وهو الاستلال أو «الجدب» = المَسْو، المَسِيٌّ > موسى⁽¹³⁾ = المجذوب، المولود، الوليد .

لعل هذا هو التفسير الصحيح لأصل الاسم (موسى) . أما مسألة الماء (مو) والشجر (سا/شا) فهو تخريج بعيد القبول، خاصة إدخال المقطع الثاني («سا/شا» بمعنى «شجر»)⁽¹⁴⁾ .

(9) الشعراء : 78 . وكان هذا قول فرعون وهو يَمُنُّ على موسى تربيته له : ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ . وَفَعَلْتَ فِعْلَكَ الْبِيَ فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ . قَالَ فَعَلْتَهَا إِذْ أَوْأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ . الآيات 18 - 20 .

(10) كذا . . «عربيٌّ معرَّبٌ» (1)

(11) كذا، بالجيم . وفي (القاموس المحيط) : «الشا» .

(12) «المسيٌّ» : إخراج النطفة من الرحم . . . ومسيّت الناقة إذا سطوت عليها وأخرجت ولدها . والمسيٌّ لغة في المَسْو . . . ومسيّت الناقة والفرس . . . إذا أدخلت يدك في رحمها فاستخرجت ماء الفحل، والولد . . . وكل استلال مَسِيٌّ .

(13) في العبرية «موشي» Mōshē قارن مادة «مشي» العربية = ولد، نتج، خرج الولد من رحم أمه، انجذب . وفي اللهجة الليبية الدارجة : «الماشة» = حديدة ذات ذراعين يستخرج بها الجمر من موقد النار .

(14) في نقده الحاد لمذهب نشأة اللغة من مقطع أحادي تطور إلى ثنائي ثم ثلاثي تعرض د . عبد الصبور شاهين لكتاب الشيخ عبد الله العلابي (مقدمة لدرس لغة العرب) وتساءل مستكراً : «غير أن الذي لم يقله المؤلف ولا يملك الإجابة عنه هو : هل مرت كلمات مثل (شجر، وجبل، وحمل، وسمك) العربية بدور الأحادية هذا، مع دلالتها =

على أن صلة اسم «موسى» بالماء في تفسيره قديمة وردت عند المؤرخ اليهودي (يوسفوس) الذي كان يرد على المؤرخ المصري «مانيثون» في قوله إن اسم موسى الأصلي كان «أسرسيف» Oserseph (لاحظ علاقته بـ «أزر» > «أوزيريس») فقال :

«الاسم الحقيقي (لموسى) يعني : المتقّد من الماء one saved out of the water لأن الماء يدعى «مُو-ي» mo-y عند المصريين»⁽¹⁵⁾.

وقد علق الأستاذ «و. ج. وادل» W.G. Waddell على قول (يوسفوس) هذا بأن صلة اسم موسى بالماء صلة فرضية لا تقوم للنقد الفيلولوجي . أما ما ورد في العهد القديم (سفر الخروج، الاصحاح 2/ آية : 10) من أن ابنة فرعون هي التي «دعت اسمه موسى وقالت إني انتشلته من الماء» (العبرية «ماشه» mashah = «المنتشل» من الماء) فاشتقاق لا يكاد يؤخذ مأخذ الجد ، حسب رأي العلماء⁽¹⁶⁾ . وهو يلفت النظر إلى المصرية «م س» أو «م س ي» التي تتردد في أسماء الفراعين بكثرة وافرة .

هذا الرأي نفسه نجده عند «سيجموند فرويد» في كتابه المشهور (موسى والتوحيد)⁽¹⁷⁾ وهو

= بمقطع واحد مع ما تدل عليه بنيتها الثلاثية ، علماً بأن هذه التسميات من أقدم ما عرفه الانسان ؟ وهل مرت هذه الكلمات وأشباهاها بعد دور الأحادية بدور الثنائية مع نفس الدلالة ؟» (في التطور اللغوي : ص 89) .
وقد رأينا في النص المنقول عن ابن منظور أن «سا» و«شا» تعني «شجر» (وهذا مقطع أحادي) كما أورد «ساج» (جذرها «س ج») بمعنى «شجر» وهو مقطع ثنائي ، وتبادل السين المهملة والشين المعجمة معروف (قارن نطق عرب لبنان : سجرة = شجرة ، وقارن : «سا» = «شا») . نذهب إلى أن هذا هو تطور كلمة «شجرة» : «ش» (سا/شا) مقطع أحادي ← «شج» (ساج) مقطع ثنائي ← «شجر» (ثلاثي) .
ويضيف الدكتور شاهين مستنكراً : «وبعبارة أوضح : هل نتصور أن العربية في مراحلها الأولى كانت تطلق المقطع (ج) مثلاً على كل مرتفع ، كالجبل . . . وما شكّل ثنائيتها في مرحلتها الثانية آنذاك ؟» (نفس المصدر والصفحة) .

والجواب : نعم . فإن هذه الـ(ج) كانت تنطق في اللغات العروبية القديمة ga (أي جيماً غير معطشة) تكافئ القاف المعقودة ؛ وهذا ما نجده في المصرية يفيد الارتفاع ، أما في العربية فإننا نجدها في جذور من مثل : قيا ، قوا ، قعا (وهي جذور ثنائية أساساً تثلث تفيد الارتفاع) . وقارن اليونانية Gea (الأرض) التي صارت في اللغة الأوروبية الحديثة geo- (العربية : قيا > القاء = الأرض) .

فإذا أضفنا الباء إلى الجيم كانت الثنائية في المرحلة الثانية (جب) ثنائي (جبل) ، ومنها المصرية (ج ب) g b وتعني «الأرض» و G b = إله الأرض ، عربيتها : جب > جبب ← «جبوب» = أرض (أنظر مادة «ج ب» في هذه الدراسة) . ثم تثلث بإضافة اللام فتصير «جبل» . والدليل على أن اللام غير أصلية أن الثنائي «جب» يثلث بالألف المهموزة «جبا» فيعني الخروج والبروز ، وبالحاء (جبخ) وبالراء (جبر) فيفيد الكبر والتكبر ، وبالزاي (جبز) وبالنون (جنن) فيفيد الغلظة ، وهذه كلها من سيات (الجبل) ، ويثلث بالهاء (جبه) ومنها (جبهة) وهي أشبه شيء بالجبل ارتفاعاً وتقدماً وبروزاً .

(15) أنظره في : W.G. Waddell ; Manetho . Josephus ; Contra Apionem . سلسلة «لوبي» ، ص 147 .

(16) نفس المصدر . وهو يستشهد برأي «ت . ر . روبنسون» T.R. Robinson في كتاب (تاريخ إسرائيل) Hisory of Israel ، جزء أول ، ص 81 .

(17) Sigmund Freud ; Moses and Monotheism, Tr. K. Jones, The Hoggart Press Ltol., London, 1951, pp. 12-13.

يستشهد باقتباس طويل من عالم المصريات المعروف «بريستد» Breasted⁽¹⁸⁾ الذي يؤكد فيه أن اسم موسى Mosé(s) ببساطة هو الكلمة المصرية «م س» (mose)ms التي تعني : طفل child (أي : وليد) وهي اختصار لصيغة أسماء كاملة مثل : «ب ت ح - م س» «فَتَّاحٌ وَلَدٌ فَتَّاحٌ > وَلَدٌ فَتَّاحٌ» وهكذا : «أ م ن - م س». ويستغرب «فرويد» من أن «بريستد» نسي : «أ ح - م س» (أحمس)، «رع - م س» (رمسيس)، «ت ح ت - م س» (تحتمس) وهي أسماء مشهورة. والخلاصة أن «م س» ms هي «مُوسَى» mose = طفل، وليد، أما السين في آخر mose(s) فزائدة يونانية.

فإذا قال ابن منظور إن النبي (ﷺ) «أراد بالوليد موسى» فهو قول صواب. وإذا خاطب فرعون موسى : «أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا؟». فلا جدال في أنه كان يكلمه بالمصرية «م س» (أو لنحركها : موسى) وليس «ولد» أو «وليد»⁽¹⁹⁾.

هذا عن «الوليد»، سواء كان الوليد بن الريان، أو الريان بن الوليد «وهو الملك في عهد يوسف» ولكن ما القول في «الوليد بن مصعب الذي كان في عهد موسى وإليه أرسل» - كما يقول الهمداني ؟

لا نريد الدخول هنا في نقاش تاريخي عن عهدي يوسف وموسى (فقد أشرنا إلى ذلك عند الحديث عن «الهكسوس»). ولكن يهمننا أن نعرف لماذا قرن اسم «مصعب» بالذات بـ «الوليد» ؟

اسم «مصعب» اسم عربي صريح، وجذره «صعب»، وهو يفيد الشدة، نقيض الدلول، والمصعب : الفحل، وبه سمي الرجل مصعباً، ورجلٌ مصعب : مسوّد (في أهله)⁽²⁰⁾. وهذه المعاني الدالة على القوة نجد لها واضحة في الألقاب الطويلة التي كانت تسبغ على الفرعون إجلالاً وتقديراً، بينها «غاردنر» (Eg. Gr., p. 71 - 75) من مثل : «كا - ن خ ت» = kan h t = الثور القوي (الناشط)، «ن ب» = nb = السيد (المسوّد = نبي، رب). ونجدها في قائمة الفراعين آخر معجم «بدج» (ص 917 - 946) في اسم «أخناتون» مثلاً «أخ = قوة + نون الاضافة + إت ن = الشمس / أتون) وتتردد كلمة «م ر» mr ومعناها : قوي، شديد (قارن العربية مادة «مر» > مرء،

(18) The Dawn of Conscience, London, 1434, p. 350.

وقد ترجمه إلى العربية بعنوان (فجر الضمير) الدكتور سليم حسن، سلسلة الألف كتاب (108) مكتبة مصر، بدون تاريخ.

(19) لا يوجد حرف اللام في المصرية. الولد يسمّى فيها «وا» أو «و».

أنظر بيان نشأة رمز الواو الهيروغليفي في (الأصول العربية لرموز الهجاء الهيروغليفي) في هذه الدراسة.

(20) اللسان، مادة : صعب. ومن أشهر من سمي مصعباً : مصعب بن الزبير. قال : وكان ذو القرنين المنذر بن ماء السماء يلقب بالصعب، قال لبيد :

والصعبُ ذو القرنين أصبح ثاويماً * بالحنو، في جدّته، أمّيم، مقيم

وقد كان اسم «الصعب» (أو لعله لقب) منتشرًا في اليمن القديمة علماء على الملوك والرعاة مثل : الصعب بن تبع الأقرن، الصعب بن ذي مرثد، الصعب بن القرن، الصعب بن مالك. أنظر في مواطن متفرقة : (ملوك حمير وأقبال اليمن، قصيدة نشوان الحميري وشرحها، دار العودة، بيروت، 1986 م).

مرار، مرّة. . إلخ) وكذلك «م ن» mn (= قوي، صلب. قارن العربية، مادة: «منن» = قوي). وهكذا مما لا نريد أن نثقل على القارئ به، ولكنه معلوم مشهور.

«الوليد بن مصعب» ظهر في عهده النبي موسى. هكذا يقول الهمداني وعامة الاخباريين العرب. وكثير من الباحثين الغربيين والمهتمين بتاريخ التوراة (أو العهد القديم) يقولون إن موسى ظهر في عصر فرعون من الأسرة التاسعة عشرة أواخر القرن الثالث عشر ق. م. هو «مرنتباح» (م ر. ن. ب ت ح mr. n. pth⁽²¹⁾ = قوة (الاله) فتّاح). وكلمة «م ر» هنا = قوة، شدة، صعوبة، فهو «الصَّعْب» (كما هو لقب المنذر بن ماء السماء) أو «مُصْعَب».

الصعوبة التي نواجهها هنا أن اسم فرعون موسى كما يقول الهمداني هو «الوليد بن مصعب»، وليس العكس. ولعل في الأمر خلطاً كما حدث في اسم «الوليد بن الريان». فلنقل إن اسم فرعون موسى هو «مصعب بن الوليد». . فيُحل الاشكال، ونواجه بغربة أخرى هي أن لقب «مرنتباح» يخلو من «م س» (الوليد) التي مضى الحديث عنها، لكن اسم والده مشهور بالغ الشهرة ألا وهو: «رمسيس الثاني» (رع - م س = ولد رع = الوليد). وبذا يطابق «مر» أو «من» في «مرنتباح»/«منفتح» «مصعب» و«مس» تطابق «الوليد» = مصعب بن الوليد.

فإن لم يكن هذا مُرضياً فإن في اسم خليفة⁽²²⁾ «مرنتباح» كلمة «م س» (الوليد)، وهو «رمسيس الثالث» (رع - م س) صاحب الحرب المشهورة ضد «أقوام البحر». وليس من المحقق متى ظهر موسى، أي عهد مرنتباح أو عهد أبيه أم عهد حفيده فإن كان الأخير فهو بالضبط «الوليد بن مصعب»، مرادف عربي لقطعين من اسمه: «رع (م س) + (س) ن. ب ت ح».

(21) في بعض النصوص «م ن. ب ت ح» (Menephtah = m n. p t h) والجذر «م ن» (العربية: منن) يفيد القوة والشدة والصلابة، أي: الصعوبة.

(22) ليس ابنه من صلبه ولكنه حفيده، وهو ما تجوز تسميته ابناً.

الثور المسافر!

في مادة «سفر» في (اللسان) يورد ابن منظور نصاً يبدو منفصلاً تمام الانفصال عن مجمل المعاني التي تقدمها هذه المادة، دون تفسير ولا بيان.
قال :

«وسمى زهير البقرة مسافرةً فقال :

كخنساء سفعاء المِلاطين حُرّة * مسافرة مزوودة أم فرقد

ويقال للثور الوحشي : مسافر وأماني وناشط . وقال :

كأنها بعدما خفت تميّلتها * مسافر أشعث الرّوقين مكحول .

فلماذا سُمّي الثور «مسافراً» (والبقرة : مسافرة) ولماذا سمي الثور نفسه «أماني» و«ناشط» ؟
فإذا قلنا إن «مسافر» ذات صلة بالسفر - بمعنى : الترحال أو التنقل - وإن الثور «يسافر» من مكان إلى آخر أجبنا بأن هذا السفر ليس خاصاً بالثور وحده، فكل حيوان غالباً ما يتنقل ويرتحل، خاصة حيوان البادية الباحث عن الكلاء أو عن الصّيد. ثم ما معنى أن يُسمّى «أماني» وأن يُسمّى «ناشط» في هذا المجال ؟

السر، عندنا، يكمن في أن هذه الكلمات الثلاث ذات صلة بالثور، وتسمياته، في المصرية، وُجدت في العربية دون معرفة مصدرها، أو هي عربية أصلاً، لنقل مشتركة بين اللغتين. فلنأخذ التسميات الثلاث ونرى أمرها :

(1) مسافر : في العربية نقول : فلان مسافرٌ، وهو سَفَرٌ، بمعنى «راحلٌ» وهذا ينطبق، قياساً، على تسمية الثور : مسافر = سَفَر.



في المصرية كلمة «س ب ر» spr⁽¹⁾ (ب = ف) وتترجم بأنها تعني «ضلع» rib وهي تكتب في الهيروغليفية هكذا : عبارة عن صورة ضلع كبيرة (من الواضح أنها ضلع ثور) وشيء يشبه الدودة أو العلقة أو قطعة لحم. فكأن الكاتب الهيروغليفي أراد أن يقول : ضلع ثور سقط عنه

(1) في الأكادية : «سيور» = supūru = زريبة الأبقار cattle-stale حسب معجم «واير» Weir (ص 300) وهو يقول إنه لا يعرف أصلها.

اللحم = «س پ ر» spr . وهذه الفكرة لا تتضح إلا إذا قرأنا ما يورده ابن منظور في مادة «سفر» ذاتها بعدما ذكرناه :


«وفرس سافر اللحم أي قليله . قال ابن مقبل :
لا سافر اللحم مدخول ولا هيح * كاسي العظام ، لطيف الكشح مهضوم» .

ومن البديهي أن أول ما يظهر من قلة اللحم في الحيوان أضلاعه ، فيسمى سافر اللحم ، أو مجرد سافر ، أو «سفر» (المصرية «س پ ر» لا تعني فقط (ضلع) بل : الضلع الخالي من اللحم = السفارة . وربما أطلقت على الثور القليل اللحم ، كما وصف الفرس العربي بأنه «لا سافر اللحم» ، من باب إطلاق الجزء على الكل وهو باب معروف مشهور) . ومن هنا جاءت تسمية الثور الوحشي في العربية «مسافر» بمعنى (قليل اللحم) . وهذا طبيعي ؛ فهو أقل طعاماً من الثور المدجن الأهلي الذي يطعمه أصحابه ويعتنون بغذائه .


ملاحظة أخرى عن الرمز الهيروغليفي  تتعلق بالقطعة ٩ التي تحت الضلع  وقد ترسم أحياناً مقلوبة ٥ . إذ تأتي في كلمات مكتوبة بالقلم الهيروغليفي ذات صلة باللحم وأعضاء الجسد مثل : رقبه ، كتف ، جهاز الأثني التناسلي ، كبد . وكانت هناك اختلافات بين العلماء في تفسير أصلها : «غاردرن» يرى أنها مجرد قطعة لحم ، ورأى غيره أنها نشأت عن رسم خصية ، وآخرون قالوا إنها للدلالة على الولد (غاردرن Eg. Gr., p. 467 أي أنها «دودة» ، أو «علقة» التي هي أصل الولد .

نعود إلى ابن منظور . وقد رأينا أن «سفر» تعني «الخالي» من اللحم . وهي تقابل (صَفَرٌ > صِفْرٌ) ⁽²⁾ = خالٍ . فلنقرأ ما جاء في مادة «صفر» من (اللسان) :

«والصَفَرُ : حية تلزق بالضلوع فتعضها ، الواحد والجمع في ذلك سواء . وقيل : واحده صَفْرَةٌ . وقيل : الصَفْرُ دابة تعض الضلوع والشراسيف . قال أعشى باهلة يرثي أخاه :
لا يتأرى لما في القدر يرقبه * ولا يعضُّ على شرسوفه الصَفْرُ
... والصَفْرُ والصُّفار : دود يكون في البطن وشراسيف الأضلاع» .

هذه «الدودة» أو «الدابة» (التي تدب) أو «الحية» (من «الحياة» وليس المقصود الأفعى طبعاً) التي تلزق بالضلوع والشراسيف هي الرمز الهيروغليفي  = قطعة اللحم ، أو العلقه ، تسمى في المصرية «س پ ر» spr وفي العربية «صفر» . ولنلاحظ ، مرة أخرى ، موقعها تحت الضلع مباشرة ، لازقة به . . أو تكاد .

(2) أماني : «الأماني» في العربية جمع «أمنية» ⁽³⁾ ، وعجيب أن يسمى الثور «أماني» (هكذا !) .

(2) من المفيد هنا أن نسجل أن «غاردرن» ينقح الرمز الهيروغليفي  بالحروف اللاتينية : spr, spr والرمز (6) يقابل الصاد في العربية .

(3) «ولكن فتننكم أنفسكم وتزيهنم وارتبتم وعرثكم الأماني» ، (الحديد : 14) .
وقارن : البقرة : 78 ، النساء : 123 ، البقرة : 111 .

لكن العجب ينتفي حين نعرف أن الثور في المصرية يسمى «م ن» mn والبقرة «م ن . ت» m.n.t . وفي (معجم بدج) و(معجم فولكنر) وكذلك عند (غاردرنر) مشتقات كثيرة من الجذر «م ن» تدل على قطعان الأبقار «م ن م ن ت» mnmnt (مضاعف «م ن») وما إليها . لكن الدلالة الأصلية هي القوة، فقد كان الثور معبوداً في وادي النيل⁽⁴⁾ يرمز إلى القوة (قارن جذر العربية «منن» ← قوة، وكذلك «مني») وقد يسمى الثور في المصرية : «م ن م ن» mnmn (صيغة مبالغة من «م ن»). كما أنه من مشتقات «م ن» معنى الحركة، في قطيع الأبقار أصلاً (قارن العربية : ماشية، ذات صلة بالمشي، واللهجة الليبية : «سعي» = ماشية، ذات صلة ب «سعى» / «يسعى»). وهنا نجد العربية «نمي» = مشى، سعى . (هل تطورت كلمة «نمل» الثلاثية عن «نم» (مقلوب «م ن»). وهي الحشرة الساعية أبداً؟). وفي مادة «منأ» العربية نجد : المنية = جلد (البقر) المدبوغ .

لاحظ أن جذر كلمة (أمني) الأصلي هو «م ن» . أما الألف المهموزة أولها والياء آخرها، والألف الممدودة وسطها فزيادات، بدليل أن كلمة «أمنية» نجدها في «مني» وليس في «أمن» .

ومع هذا فإننا نجد كلمة «إم ن» imn في معجم المصرية يترجمها «بدج» : a bull-god (رب / معبود ثور) (معجم بدج، ص 53).

(3) ناشط :

تتردد في معاجم اللغة المصرية كلمة «ن خ ت» nht مفردة أو صفة لموصوف، وتختلف ترجماتها بيد أن الدلالة الأصلية : القوة.

عند (فولكنر) : «ن خ ت» = شباب . وعند (غاردرنر، ص 575) : قوي، جبّار، غالب / قوة، غلبة . ومنها «ن خ ت و» nhtw = حصن، قلعة . وتعدى بالسين : «س . ن خ ت» = قوى، عزز، حصّن . وهي تدخل في ألقاب الفرعون : «ك ء ن خ ت» kanht = الثور الغالب (غاردرنر، ص 458، وقارن ص 51).

وفي معجم (بدج) ص 388-389 يشتق من الجذر «ن خ ت» كلمات كثيرة تدل في مجملها على القوة . ومن الواضح أن التاء في هذا الجذر أصلية وليست للتأنيث، بدليل أن «ن خ ت» = الرجل القوي، أما المرأة القوية فهي : «ن خ ت . ت» (معجم بدج، ص 389).

قد نقابل هنا بالعربية «نخط» (بتعاقب التاء والطاء بين المصرية والعربية)⁽⁵⁾ وفيها : «النُخْطُ» : اللاعبون بالرمح شجاعة⁽⁶⁾ (اللسان). بيد أن الأستاذ (بدج) يقارن المصرية القديمة «ن خ ت» بالقبطية «نُشْت» nshot = قوي، جبّار (ص 388)، وهي بالشين بدلاً من الخاء كما ترى . ليس هذا

(4) عرف في اليونانية باسم Mnevis وهو الثور المقدس في مدينة هليوبولس (عين شمس)، وكانت طقوس عبادته مطابقة في أغلب مظاهرها للمعبود «أبيس» Apis في مدينة [منف] - كما يقول (معجم أكسفورد للكلاسيكيات) .
(5) يؤكد هذا التعاقب أن «ن خ ت» تأتي بالتاء المثلثة «ن خ ث» بنفس المعنى (معجم بدج، ص 389) .
(6) في المصرية «ن خ ت . ع» nht-c = محارب، مقاتل Warrior .
و«ن خ ت . خ ب ش» = السيف القوي Strong sword (نفس المصدر السابق) .

فقط بل هو يقرر في مادة «ن ش ت» أنها ذاتها «ن خ ت» ومنها «ن ش ت ي» = قاسٍ ، عنيف ، cruel ، violent (ص 395).

هنا نمضي إلى مادة «نشط» العربية لنقرأ :

«النشاط ضد الكسل يكون ذلك في الانسان والدابة . . . ونشيط : طيب النفس للعمل ، والتعت : ناشط . . . وأنشط القوم إذا كانت دوابهم نشيطة . ونشط الدابة : سمن ، وأنشطه الكلاً : أسمنه» .

وفي هذا كله معنى القوة .

ويضيف ابن منظور :

«والناشط : الثور الوحشي الذي يخرج من بلد إلى بلد أو من أرض إلى أرض . قال أسامة الهذلي :

وإلا النعام وحفانة * وطغياً مع اللهق الناشط .

وكذلك الحمار» .

ونرى أن ابن منظور خلط هنا ما بين النشاط = القوة ، والنشط أو النشاط = الخروج والسير . ولا يفهم تفسيره لتسمية الثور (الوحشي) «الناشط» بخروجه من بلد إلى بلد أو من أرض إلى أرض (و«كذلك الحمار» - الذي هو حيوان ساكن في الغالب لا يكاد يريم من مربطه إلا لعمل) اللهم إلا في ضوء تسميته مسافراً . أي متنقلاً أو مرتحلاً .

لعل هذا يبين تسمية الثور الوحشي : «مسافر» ، و«أماي» و«ناشط» في العربية ، إذ هو وما في المصرية سواء .



كلاب «أنتف» الأربعة

كان «أنتف الثاني» أو «أنتف الأكبر» (حرفياً : أن ت ف . ع ء = أنتف العالي) أحد فراعنة طيبة الأول، مغرمًا بالصيد. وعلى قبره الذي اكتشف عام 1827م. يصوّر واقفاً وبين يديه كلاب صيده الأربعة منقوشة أسماؤها فوق صورها. وقد تعرض «جورج رولنسون» (G. Rowlinson ; Ancient Egypt, pp. 98-99 لهذه الكلاب وصورها ومعاني أسماؤها. (7). ومنه نقبتس :

(1) الكلب الأول : يدعى «م ه ت» m h t - ذو أذنين مرخيتين وأرجل طويلة قوية، وقد يشبه كلب صيد الثعالب، وكان لا شك سريعاً وقويًا. ومعنى اسمه في الانكليزية (antelope) العربية : «مهة» = رثم، تيتل، بقر الوحش - كناية عن سرعة العدو فيما يبدو.

(2) الكلب الثاني : اسمه «ب ك ر» B k r - وهو منتصب الأذنين دقيق الأنف خشن الذيل. وقد قارنه البعض بالكلب الألماني المسمى spitz ، لكن يبدو أنه أقرب إلى ابن آوى في الفصيلة، وهو يرجع إلى ذلك النوع الوحشي من الكلاب. ويذكر «رولنسون» أن معنى اسمه غير معروف.

نعود هنا إلى بعض المراجع الأخرى لعلها تبين لنا عن الغاية. إذ يذكر «بدج» في معجمه (صفحة 5) كلمة «أ ب ق ر» a b q r ويحددها بأنها تعني اسم كلب «أنتف الأكبر» الليبي الأصل، وهو كلب سلوقي.

أما «أوريك بيتس» (O. Bates ; The Eastern Libyans, p. 80) فيورد الكلمة الليبية «ك ب ر» k b r (أكَبَّارُ akabbar وجمعها : إِكَبَّارُنْ ikabbaren) بمعنى : «مخالب، برائن»، ثم نجد «جنسن»

(7) إطلاق الأسماء على الكلاب عادة عربية قديمة معروفة، وقد أورد الجاحظ حديثاً مطولاً عن هذا الأمر، ومن ذلك وصف لبيد لثور :

فأصبح وأنشَقَّ الضباب وهاجه . . * أخو قفرة يُشلي ركاحاً وسافلاً.

أي أصبح الثور، وقد تبدد الضباب، وهاجه الصائد وهو يدعو (يشلي) كلبيه (ركاحاً وسافلاً) للطراد. واسم الكلبة «براقش» التي جنت على أهلها بنجاحها مشهور. وقد أسمى الكميت الأسدي في أبيات له كلابه : خطافاً، وسرحة، والأشدل، كما أسماها مزرد بن ضرار : سخام ؛ ومقلاء القنيص، وسلهب، وجدلاء، والسرحان، والمتناول. وفي شعر آخر للبيد نجد : كساب، وسخام. وهناك اسم «درواس»، و«قدام»، و«وثاب». ويذكر أن ابن عباس سَمَّى كلاباً لذريح وأبي دجانة : المحتلس، وغلاب، والقنيص، وسلهب، وسرحان، والمتعاطس (راجع: كتاب الحيوان، للجاحظ، بتحقيق عبد السلام هارون، الجزء الثاني، ص 18 - 20، 205 - الطبعة الثانية/الخليبي، القاهرة 1965م).

(abaikur) B k r «ب ك ر» (H. Jensen ; Sings, Symbols, and Script, p. 157) يذكر الكلمة الليبية «ب ك ر» في حكاية شعبية قصيرة ومعناها : «كلب» .

نتبه هنا إلى أن اسم كلب الفرعون «أنتف» الليبي الأصل هو «ب ك ر» bkr عند «رولنسون» وهو ذاته اللفظ الذي أورده «جنسن» bkr بمعنى «كلب» في الحكاية الشعبية الجبيلية . وأن ما جاء به «بيتس» (kbr) ومعناه لديه «مخلب» ليس إلا قلباً للحروف بين الكلمتين (ب ك ر = ك ب ر) .

بالنسبة للعربية يبدو واضحاً أن عملية قلب مكاني حدثت أيضاً صاحبها إبدال بين الراء واللام (ب ك ر = ب ك ل ، ك ب ر = ك ب ل) فهي «ك ل ب» k l b . والمرجح أن «كلب» العربية هي الأصل . أبدلت اللام راءً (ك ر ب)⁽⁸⁾ ثم قلبت الأحرف فكانت في المصرية «ب ك ر» وفي الليبية كذلك (حسباً أورده «جنسن») وبصورة «ك ب ر» (كما أوردها «بيتس») . ومن هنا نرى أن المصرية والليبية تشتركان في الحروف الثلاثة «ك ر ب» مقلوبة قلباً مكانياً (= ب ك ر / ك ب ر) وتشاركها العربية بتبادل الراء واللام : «ك ل ب» .

فلنمض لنرى أمر مادة (كلب) في العربية :

«الكلب : كل سبع عقور. . . وقد يكون التكليب واقعاً على الفهد وسباع الطير. وفي التنزيل العزيز : (وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ) - فقد دخل في هذا : الفهد والبازي والصقور والشاهين وجميع أنواع الجوارح. . . والكُلب : المنشال. وكذلك : الكلاب . والجمع : الكلايب. . . وكلايب البازي : مخالفه» . (لسان العرب، مادة : كلب)⁽⁹⁾ .

ولا شك أن هذا القول يقابل ما ذكره «رولنسون» من أوصاف كلب «أنتف» الثاني، كما يقابل ما أورده «جنسن» عن كلب الحكاية الشعبية الجبيلية الليبية، ويرضى تفسير «بيتس» بأن «ك ب ر» تعني «مخلب» أو «برثن» talon (التي تعني : كلاب - كذلك) وهذه الأخيرة (كلاب) ترجع إلى «كلب» وليتبه القارئ إلى أن «خَلَبَ» > «مخلب» هي ذاتها «كَلَبَ» - بتعاقب الخاء والكاف القريبى (خرج الصوت) .

لكن تبدو لنا ملاحظة مثيرة في نقحرة الأستاذ «بدج» للرموز الهيروغليفية التي كتب بها اسم هذا الكلب الذي صار شهيراً ودخل التاريخ مع «أنتف الأكبر» من أوسع أبوابه - كما يقولون ! فقد جعله «أ ب ق ر» abqr - بالقاف وليس بالكاف . ومع تسليمنا بمسألة تبادل القاف والكاف نحسب الإشارة إلى إمكانية أن تكون هذه هي القراءة الصحيحة . ونحن نعرف أن الهمزة في اللغة الليبية القديمة، ولا تزال كذلك في اللهجة الجبيلية، سابقة لغوية مزيدة، ولها مثل في المصرية أيضاً . فالأصل إذن هو «ب ق ر» Bqr . فإن كان الأمر كذلك - وهو ما نرجحه - فإن المقابل العربي هو

(8) تبدل اللام راءً في المصرية في كثير من الأحيان، كما تبدل همزة أو نوناً .
(9) قارن ما أورده الجاحظ في كتابه (الحيوان) الجزء الثاني، ص 187 وما بعده .

الجزر «بَقْرًا» بمعنى «شَقَّ» أو «مَزَّقَ». وهذا ما ينطبق تماماً على هذا الكلب الوحشي الذي «يبقر» بطون ما يصاد ويمزق أحشاه تمزيقاً. فاسمه، عربياً، إذن : «الباقر»، أو «البقار» .

(3) الكلب الثالث : يسمى «ك م» k m ومعنى الاسم : «الأسود» أو «السوداوي» ، blacky . وهو حيوان ضخم يشبه الكلب الذي يدعى mastif (الدرواس أو الزغاري) وله أذنان صغيرتان مدورتان مرخيتان ، وأنف مفلطح مربع تقريباً ، وصدر منخفض وأطراف صلبة . ولعله كان كلب حراسة أكثر منه كلب صيد ؛ إذ صوّره الرسام مقعياً رمزاً للحراسة وتخويف اللصوص . ولا نريد أن نطيل هنا في شرح مادة «ك م» في اللغة المصرية التي تفيد السواد وما يشتق منه ، وهي ذاتها الجزر الثنائي في العربية «كم» الذي يؤدي نفس المعاني : كمه، كمأ، كمن، كمر، كمنخ، كمد، كمت . . . إلخ . (راجع مادة «ك م ت» في هذه الدراسة لمزيد من التفصيل) .

(4) الكلب الرابع : يكتب «رولنسون» اسمه Tekal (الجزر «ت ك ل» T k l) وقد صُوِّر بين يدي سيده، ويبدو مقطوع الأذنين، والمرجح أنه حيوان منزلي مدلل من فصيلة كلاب الصيد، وهو النوع المفضل لدى مولاه .

ولم يقدم «رولنسون» معنى لاسم هذا الكلب الرابع، بيد أن الصورة التي قُدِّم لنا بها وكونه كلباً بيتياً كسولاً مدللاً تسمح لنا بالظن أن اسمه لا يخرج عن العربية «تكل» أي التكلة، وهو الكسول، أو المتكل أو المتواكل .

الأستاذ «بيتس» (The East. Libyans, p. 80) يقرأ اسم هذا الكلب «ت ق ر» Tkrw ويذكر محاولات العلماء السابقين عليه في التعرف على هذا الاسم باعتباره من اللغة الليبية القديمة التي لا تزال مفرداتها في اللهجة الجبالية حتى اليوم . ونلاحظ أن الجزر هو «ت ق ر» tkr⁽¹⁰⁾ ، وأول ما يتبادر إلى ذهننا الكلمة الأنكليزية Tiger (الفرنسية Tigre) التي تعني «نمر» - ويقول عنها (معجم أكسفورد) إنها من اليونانية Tigri(s) التي هي من أصل شرقي Gr. Tigris, of oriental origion (كذا) .

حين نعود إلى اللهجة الجبالية نجد كلمة «تَقَرُّرْتُ» Tagarurt (وهي من الجزر «ق ر» q r — (Dallet ; Dictionnaire kabyle-français, p. 673) ومن معانيها : «ذئب» loupe⁽¹¹⁾ - أو على الأصح «ذئبة» لوجود تاء التانيث في آخر taqarurt ، فإذا حذفنا كانت taqarur ونرى أن الراء الثانية في الكلمة مزادة والأصل إذن taqaru وهو ما يقابل اسم الكلب الرابع في لوحة «أنتف الثاني» (tkrw t q r w =) بالضبط ، كما يقابل اليونانية tigris(s) (الشرقية الأصل - حسب معجم أكسفورد) التي جاءت منها الانكليزية tiger والفرنسية tigre . . . إلخ .

(10) حسب نقحرة «بيتس» ، والقاف هنا معقودة ، أو جيم قاهرة = tgr .

(11) تطلق أيضاً على الورم أو الانتفاخ (قارن الفرنسية loupe = ذئب ، ورم) . لاحظ أن كلمة «سرحان» العربية تعني : ذئب - وربما سمي الورم في الجبالية بكلمة تعني الذئب أيضاً لأن الورم «يسرح» أي يكبر ويزيد - كما يعبر في اللهجة الليبية الدارجة . كما أن الجزر «ق ر» في الجبالية يقيد : الارتفاع ، التحدب ، قنينة - مقابلها في العربية : قارة ، تقور ، قارورة .

أما كيف تختلط تسمية «الذئب» بتسمية «النمر» بين اللغات، فإن المسألة محسومة باتفاق الباحثين على أن اسماً ما يطلق على حيوان في منطقة بينما تعني التسمية حيواناً آخر في منطقة أخرى. . في اللغة الواحدة. . فما بالك بلغات متعددة.

فلندعم هذا القول برأي عالم شهير هو الأستاذ «بيتري» W.M. Flinders Petrie . ففي كتابه «تاريخ مصر» (a History of Egypt, III, p. 232) تعرض الأستاذ «بيتري» لقضية مشرقية أسماء ملوك الأسرة الثانية والعشرين الليبية الأصل في مصر، ومن جملة هذه الأسماء اسم يكتبه مرة Takerat ومرة أخرى Tuklat ، ويقول ما نصه :

«Takert perhaps from Zend tighri, **The tiger, or from Tuklat** «help», a word which was prominent then in **Tuklatpalisharra** of Assyria».

«تكرت) قد تكون من الزندية (تغري)، النمر، أو من (تكلت) = عون، وهي كلمة كانت شهيرة ثم في (تكلت بلشراً) الأشوري».

ويقصد «بيتري» بلغة «زند» Zend لغة «عيلام»⁽¹²⁾ (أو : سوسة) أو فارس القديمة التي تعني كلمة tighri فيها، كما يقول، «النمر» tiger . وهذا يطابق ما ذكرناه. فإن لم تكن هذه فإنها من «تُكَلَّتْ» tuklat البابلية التي تدخل في أسماء من مثل «تكلت باليشاراً» Tuklatpalisharra (اسم أحد ملوك آشور) وفي «تكلت» معنى العون والمساعدة، أو الاستعانة، وهو ما نراه في العربية «تُكَلِّة» (قارن : أتكل، أتكال، تواكل. . إلخ). والذي يهمننا أمران ؛ أولهما أن الاسم مستعمل عند الليبيين سواء قرأناه «ت ك ر» أو «ت ك ل» أو «ت ق ر» أو حتى «ت ح ر» (بجيم قاهرية) ولوحة «أنتف الثاني» التي ندرس ما نقش فوقها ذات صلة وثيقة بالليبيين. وثانيهما أننا رغم تنوع قراءة الاسم نجد المقابل العربي واضحاً تماماً حين نفهم ما ترجم إليه في اللغات الأوروبية.



(12) هذا هو الرسم المتداول، في الانكليزية (Elam) . . . عربيتها : عَلم . (= جَبَل).

أسماء ملوك طيبة المدهشة

كان «إيراتوستينيس» Eratosthenes أحد أعلام عصره، عالماً وشاعراً ومؤرخاً ورياضياً وجغرافياً، عاش في القرن الثالث ق. م. وكان أميناً لمكتبة الاسكندرية الشهيرة في العصر البطلمي في مصر. وهو «إيراتوستينيس القوريني» نسبة إلى «قورينا» («شحات» اليوم) في الجبل الأخضر في الشق الشرقي من ليبيا. ولد فيها وتعلم، ثم رحل إلى الاسكندرية حيث عاش وبلغ حتى وفاته سنة 276 ق. م.

في مجموعة الشذرات التي نقلت عن كتاب المؤرخ المصري «مانيثون» عن (تاريخ مصر) المفقود الأصل والذي ظلت نقولات منه متناثرة عند جملة من المؤرخين في اليونانية واللاتينية، جمعها الأستاذ «و.ج. وادل» W.G. Waddell وترجمها إلى الأنكليزية مع تعليقات وهوامش نافعة، نجد فصلاً نقله عن «سِنْكُأوس» Syncellus الذي نقله بدوره عن النسابة «أبولودورس» Apollodorus عزا فيه قائمة تتكون من ثمانية وثلاثين اسماً من أسماء ملوك (طيبة) «عَرَفَهَا إيراتوستينيس من التسجيلات والقوائم المصرية، وبأمر من الملك ترجمها إلى الاغريقية» (ص 213).

وليس من المهم لدينا في هذا المجال صحة ترتيب هؤلاء الملوك أو القيمة التاريخية للقائمة المذكورة، ولكن ما يعيننا هو «ترجمة» الأسماء إلى الاغريقية، ومن الواضح أن «إيراتوستينيس» نقلها عن المصرية التي عرفها بالتأكيد بدليل ترجمته لمعاني الأسماء فيها، وهو الذي عاش في الاسكندرية، ثم إلى الانكليزية التي قام بها الأستاذ «وادل»، وبقي علينا مقابلتها بالعربية، حتى تتضح صورة عربيتها. وسنورد القائمة باليونانية، ثم الترجمة الانكليزية لمعاني أسمائها ونضع المكافئ العربي لها، مع الإشارة إلى أن عدداً من الأسماء لم ترد ترجمة له وإلى أن ثمة اختلافات في صور كتابتها باليونانية مما ضيَّع أثرها وجعل تتبعها عملاً بالغ الصعوبة. لذا سنكتفي بإيراد ما وضع منها والتعليق عليه (أنظر المصدر المذكور، ص 213-227) مُسبقين مكافأتنا العربية بنجمة (*).

(1) everlasting = Mênês (الباقي [أبدًا]، السرمدى).

المقصود هو الملك «نر - مر» المعروف في العربية باسم: «ميناء» - موحد القطرين حوالي سنة 3200 ق. م.

تعليق وادل: قد تترجم صورة اسم Menes المصرية بأنها تعني «المقيم» The abiding one من الجذر to endure: mn (استدام، بقي، تحمّل).

* العربية : الجذر الثلاثي «منن» يفيد القوة والتحمل والبقاء .

(2) born of Hermes = Athôthês (ابن هرمس . حرفياً : وُلد من هرمس) :

تعليق وادل : من الواضح أن الاشتقاق يفترض وجود اسم «تحت» Thôth في هذا الاسم .
* العربية : hr - ms = Hermes = طَيْر (ال) حر (أ) مُشَى = (حُرٌّ أمْشَى) = الحرُّ وُلدَ < > وُلدُ
الحرُّ، ولدنا = dh t - m s = (تحتمس) = ضَحْوَةٌ (القمر/الضياء) أمْشَى = الضحو(ة) وُلد(ت) =
ابن الضيا، ولد النور (أنظر مادة «ت ح ت» في هذه الدراسة) .

(3) bull-lover = Miabaês (محبُّ الثور) :

تعليق وادل : من الجلي أن القسم الأول من هذا الاسم (mia) شكل من أشكال الفعل
المصري mr «م ر» (أحبُّ) .

* الجذر المصري «م ر» هو مقلوب الجذر العربي «ر م» > رام = أحبُّ . وهذا ما يقابل (m r = mia) .
المقطع الأول من الاسم المركب miabaês والسين في آخره زائدة يونانية . والمقطع الثاني هو baê وهو
يكافيء العروبية القديمة «بعل»⁽¹⁾ - حذفت العين وأسقطت اللام . فالأصل إذن هو
m r - b^c(l) = محب الثور = «رائم البعل» .

(4) decendant of Hêracîês = Pemphôs (نسل (أو عقب) هرقل) :

تعليق وادل : في بعض النسخ Sempsos, Semempsês .

* لا ندري من أين جاء «هرقل» Hêracîês في ترجمة الاسم . ولكن في الصورتين الأخيرتين للاسم
نلمح المقطع Se - وهو ما يقابل المصرية Sa (ومعناها : ولد، ابن . العربية : «ذو») التي تعادل :
نسل، عقب decendant .

(5) gift of the Sun = Marês (هبة الشمس) :

تعليق وادل : في المقطع الثاني من الاسم (-rês) نلمح كلمة «رع» المصرية = الشمس .
* قد يكون الأصل هو : ma(n)rês = mn - r^c ، (م ن - رع) أي هبة الشمس = عطية رع =
«مَنْ/مِنَّةُ رع»⁽²⁾ .

(6) revelling = Anôyphis (تصف، طرب، مرح، عريضة) :

تعليق وادل : لعل هذا التفسير يعتمد على الكلمة المصرية unôf (to rejoice - يطرب) .

* في «معجم بدج» (ص 168) :

- (1) في «بَعْل» معنى القوة (وكذلك مقلوبها «عَبَل» ، وكان الثور رمزاً للقوة ، في الحضارات العروبية القديمة ، ومن هنا جاء
اسم «بعل» المعبود الكنعاني ، وصارت «بعل» تعني : رب ، سيد ، عظيم ، وحتى «زوج» باعتباره «السيد» . قارن
كذلك في المصرية «م ن» = قوي ، ثور . و«م ر» = قوي ، ثور . و«كا» = قوي ، ثور . (قارن الانكليزية : bull = ثور ،
من اللاتينية bulu(s) (بعل) . cow (كا) = بقرة) . وفي العربية : منن ، مرر ، قوا ، تفيد القوة .
- (2) في «معجم بدج» - ص 301 - mn - هبة/عطية/تقدمة . العربية : مَنْ/مِنَّةُ = عطاء . و«رع» = الراعي . (أنظر مادة
«رع» في هذه الدراسة) .

unuf : joy, gladness طرف، سرور.

unf : to rejoice, to be glad, gladness (Coptic : ounof). يُسرُّ، فرح (القبطية : «أونف»).

(3) unf ib : to be glad, joy, gladness, a man of happy disposition (سرور، فرح، سرور، رجل مرح (أو سعيد) المزاج = .

من هذا نرى أن المصرية «ون ف» تفيد الطرب الشديد، أو شدة الفرح المرتبط بالقصف والضجيج والعريضة أو «التهيص» المرتبط بالتصفيق طرباً أو الموسيقا. ولا نعثر على مادة «ونف» في (اللسان) ولكن جاء في مادة «ونج».

«الوَنُجُ : المعزَف، وهو المزهَر والعود، وقيل : وهو ضرب من الصَّنَج ذي الأوتار وغيره فارسي معرَّب، أصله «وَنَةٌ». والعرب قالت : الوَنُّ بتشديد النون».

وورد في مادة «ونن» :

«الوَنُّ : الصَّنَج يُضرب بالأصابع، وهو الوَنُج، كلاهما دخيل مشتق من كلام العجم».

وهذا متصل بالطرب والقصف، والفرح والسرور. وإذا كان ابن منظور يرى أن «الونج» و«الوَنُّ» من كلام العجم، فهذه «ونف» العروبية المصرية تظهر أن المسألة لا تتعدى إبدال الحرف الثالث من الجذر الثنائي «ون» الذي يصدر - طبيعياً - عن أوتار الصَّنَج والمزهَر والعود وليس خاصاً بلغة فارس أو لغات العجم (4).

(7) Son of the iris of the eye = Sirius (ابن بؤبؤ (5) العين) :

أو كما يقول آخرون : unharmed by the evil eye (لا تضره العين الشريرة) (6)

تعليق وادل : المصرية Si - iri تعني «ابن العين».

* من الجائز أن اليونانية Sirius محرفة عن المصرية «Sa - ٣» «ذورع» = (ابن رع) وهو لقب من جملة ألقاب عدد كبير من ملوك مصر. أما التحليل الآخر فهو :

(1) Si - = «س ا» sa . العربية : «ذو» = ابن .

(2) irius (=) المصرية «إر» ir (= عين، نظر، بؤبؤ العين . . . إلخ) (7).

العربية : «رأى» (مقلوب «إر»).

(3) unf ib حرفياً : ونف اللَّبَّ = فرح الفؤاد .

(4) قارن الدارجة الليبية : «وَنَّ» = رَنَّ، أصدر صوتاً. الوين = الطنين .

(5) Iris تترجم إلى : قزحية العين، أو حدقة أحياناً. (في اللهجة الليبية «صَبِي» العين. ولعلها تصغير «صَبِي» . قارن

الانكليزية pupil = صبي (يتعلم)، بؤبؤ العين. اللاتينية (pupilla(s) . وفي حين نرى صلة بين iris اللاتينية والمصرية iri والعربية «رأى» نلمح صلة، بطريقة ما، بين «بؤبؤ» (pupilla(s) .

(6) أي : المحروس من عين الحسد. وهذا تعبير لا يزال معروفاً في بلادنا العربية حتى اليوم .

(7) أنظر (معجم بدج) ص 68 وفيه اشتقاقات من الجذر ir تتصل كلها بالعين ووظائفها .

أما تفسير اسم Sirius بمعنى (لا تضره العين الشريرة) فلم يرد تعليق عليه . وقد يكون ناتجاً عن قراءته si-riu(s) :

si . في المصرية S/sa = العربية ذو/الذي .
riu(s) في المصرية : ir = العربية : رأى = رعى (حرس) «ذو رعي» = الذي يُرعى / المرعى - أي «المحروس»⁽⁸⁾ .

(8) gold = Chnubos (ذهب)، أو golden son (الابن الذهبي) :

تعليق وادل : Nûb في المصرية تعني «ذهب» .

* المصرية : «ن وب» nwb تعني «ذهب» . لكن الجذر الثنائي «ن ب» nb في قاموسها يفيد الارتفاع عموماً، ومنه «ن ب ي» nbi «هب» (معجم بدج، ص 367) ، وهو أقرب شيء إلى «ذهب» من حيث لونه الأحمر. واللام لا توجد في المصرية، وتبدل نوناً («ن ب» = ل ب» > [هـ]ب) إذ أن سقوط الهاء سهل للغاية، «ل هـ ب» = ذهب⁽⁹⁾ .

على أننا نلاحظ في الاسم chnubos في صورته اليونانية حرف ch (= خ) في بدايته وهو الذي أبدل g في صورة أخرى من الاسم ذاته Gneuros⁽¹⁰⁾ .

ونرى أن أصله حاء h وهو بقية كلمة «ح ر» hr المصرية (= طائر الحر = الصقر). وهي الكلمة التي ترد في ألقاب الفراعنة في ما يسمى (اسم حورس الذهبي) the golden Horus name الذي عقد له الأستاذ «غاردرنر» فصلاً في كتابه عن «القواعد المصرية» (Egyptian Grammar, p. 73). ونجده في لقب الملكة «حتشبسوت» : «ح ر ت . ن ت . د ع م» h r t . n t . d ° m («ح ر ت» مؤنث «حر» + «ن ت» أداة الإضافة المؤنثة + «د ع م» = ذهب . د = ذ، ع = هـ، م = ب) . كما نعثر عليه في لقب «تحتس الثالث» : «ب إ ك . ن . ن ب و» b i k . n . n b w (ب إ ك = بشق > باشق (صقر) + «ن» الإضافة + «ن ب و» = ذهب (و)) .

(9) the arch-masterful = rayosis (الرئيس المسيطر) :

تعليق وادل : لعل المقطع ra- أو rha- طبقاً لهذا التفسير أصله الكلمة المصرية «ح ري» h r y التي تعني : السيد . وبقية الاسم من المصرية «وس(ر)» wose(r) (= القوي) .

* مادة «ح ر» في المصرية تفيد الارتفاع والعلو. قارن مادة «حرو» العربية : «حُرُّ»⁽¹¹⁾ الوجه ما

(8) يستعمل هذا التعبير كثيراً في مصر الآن إشارة إلى الأطفال ودعاء لهم بأن يجرسوا من الحسد، فيقال : «المحروس ابنك» مثلاً . واسم «محروس» متداول في مصر، ولعله تحول في شمال أفريقيا إلى «محروز» ثم صار «معروز»، اسم علم معروف . وكذلك الأمر في اسم «مرعي» .

(9) مادة «لب» «لبب» العربية تدل على الارتفاع كذلك ومنها «لبلاب» = نبات متسلق، و«لبلب التيس» = ارتفع صوته . (راجع مادة «ن ب» في هذه الدراسة لمزيد من التفصيل عن الصلة بين «ذهب» و«لب» و«ن ب» .)

(10) صفحة 217 . وواضح أن الباء في الصورة الأولى أبدلت راء في الثانية .

(11) قارن كذلك طائر «الحر» = الصقر، المرتفع في الجوّ . ومنه «الحرية» = الانطلاق، الارتفاع . في المصرية «ح ري ت» = السماء (من : سها، يسمو) .

ارتفع منه = الوجلجان». وهي تعني : الرأس ، القمة = الرئيس .
 ومادة «إزر» (أيضا «وس ر») = القوة . العربية «أزر» = قوة .
 أنظر مادة «أوزيريس» في هذه الدراسة .
 أصل الاسم إذن هو «ح ر - إ زر» = حورس أوزيريس = «الحر الأزري» (الأزر، ذو الأزر) =
 الرئيس القوي / الرئيس المسيطر أو الغالب .

(10) **gift of the Sun = Moscherês** (هبة الشمس) :

تعليق وادل : لعلها Mencherês . وفي قراءة أخرى Megcherês .
 * يمكن أن نحللها عربياً كما يلي :
 (Meg)Mos = المصرية ms = ولد . العربية : أمشي .
 أو :

men = المصرية m n = أعطى ، وهب . العربية : من / مَن / مِنة .
 che = المصرية q a = الروح الرفيعة . العربية : جاه ، قاه = رفعة .
 res = المصرية r c = الشمس . العربية : رعى > راع .
 أي : «منة جاه رع» = هبة الشمس .

(11) **leader-like = Pammes** (شبيه الزعيم) :

تعليق وادل : (دون تعليق) .
 * نحللها كما يلي :
 Pa = «ال» التعريف في المصرية . (أنظر : «أدوات التعريف» في هذه الدراسة) .
 m(l) = شبيهه ، مثل . (أنظر مبحث «قواعد اللغة المصرية» في هذه الدراسة) .
 mes = المصرية ms تعني : زعيم ، قائد .
 العربية : مادة «مز» : المزُّ = القدر والفضل = الزعامة والقيادة . (قارن كذلك الجذر «م س»
 ms في لهجات شمال افريقيا = السيادة) .

(12) **the very great = Appapus** (العظيم جداً) :

تعليق وادل : هو الفرعون المعروف باسم Pepi .
 * هذا الاسم مكوّن من :
 Pa = أداة التعريف في اللغة المصرية .
 Pi = سما ، علا ، ارتفع ، أي عَظُم . (معجم بدج ، ص 234)
 العربية : «بأي» . «البأي والبأواء : العظمة ، والبأو مثله . . . و البأو : الكبر والفخر . . .
 تَبَّأى : تتسامى وتتعالى) . (اللسان) .

(13) **Athena the victorious = Nitôcris** (أثينا الغالبة) :

تعليق وادل : Nitôcris هي ذاتها Neit-okre (t) التي يعني اسمها «نيث العظيمة (أو الفائقة)»

* يتكون هذا الاسم من مقطعين :

أ - «نت» nt وهو اسم معبودة ليبية - مصرية عتيقة تشبه المعبودة الكنعانية «عنت» > عنات/عناة⁽¹³⁾. وقد تحول في اليونانية إلى «نيث» Neith ثم قلب فكان «أثينا» - Athena ، وهو اسم المعبودة اليونانية التي سميت بها عاصمة اليونان المعروفة.

ب - «إق رت» i q r t = المحترمة، المجلدة، «الموقرة»، من الجذر «إق ر» i q r . العربية : «وقر» .

(14) gift of Ammôn = Myrtaeus (عطية أمون) :

تعليق وادل : في نسخة أخرى Amyrtaeus . وتفسير الاسم مبني على الاسم المصري الشائع Amenerdais (أمون أعطى).

* المقطع الأول (-/myr -/Amyr -/Amen) = «إ م ن» / imn / «أمون»⁽¹⁴⁾ .

* والمقطع الثاني (-erdais/-taeus) يعود إلى الجذر «رد» rd في المصرية، ومعناه : «أعطى»، الرء إبدال من النون «ن د» > أندى = أعطى . (أمون أندى/أنطى = أمون أعطى . أي : عطية أمون) .

(15) Mighty is the Sun = Uôsimarês (الشمس جبارة/قديرة) :

تعليق وادل : المصرية Wôse-mi-Rê تعني : «جبارة/قديرة مثل الشمس» .

* Wôse هي i s r / w s r = «وزر»/ «أزر» = قوي/قدير . (أنظر «أوزيريس» في هذه الدراسة) .

mi = الكنعانية m t (مث)، العربية : مثل

rc = «رع» (الشمس) = الراعي/الرائي .

(Uôsimarê(s) = «أزر، أو : وزير (قوي) مثل رع» .

(16) bull-lord = cuthor (السيد الثور) :

تعليق وادل : المقطع الأول من الاسم Cuthor قد يمثل المصرية Kô (ثور) .

* في المصرية «كا» k a = ثور . وهي تأتي كذلك «قا» q a بتعاقب الكاف والقاف . العربية : «قوي»⁽¹⁵⁾ .

12) صفحة 54 . وهو يجيل القارىء إلى المراجع التي ذكرت هذه الملكة التي كانت خاتمة الأسرة السادسة والعشرين في «سائيس» .

13) أي «البترول» . قارن مادتي «عنت»، «عنس» في العربية . وانظر للكاتب : بحثاً عن فرعون العربي،الدار العربية للكتاب، طرابلس/تونس .

14) أنظر هذه المادة في هذه الدراسة .

15) في الفارسية q a , k a = بقرة . قارن «جاموس» q a - m s = ابن (شبيه) الثور، أو البقرة . وتبدل القاف كافا في العربية «كاو» (= جبل غلبط) = قاو/قوي (وهو في اللهجة الليبية المعاصرة : كاو = جبل قوي . وقارن اللهجة الليبية : «مكاوا» = ورق مقوى) .

أما المقطع الثاني (ther في اليونانية) الذي فسر بأنه يعني «سيد» فنرى أنه من المصرية «س ر» sr (= سيد). العربية : سَرِيٌّ = سيد (الجمع : سِراة).

(17) **loving the iris of the eye = Mierîs** (محب بؤبؤ العين) :

تعليق وادل : في المصرية «محب (أو حُبُّ) العين» mai-iri = loving the eye.

* الأصل في mai (miei) في المصرية هو «م ر» mr بوجود الراء = حب. العربية : «رم» > رام/مرام.

وكلمة «إرى» iri تعنى العين ذاتها كما تعني البؤبؤ. العربية «رأى» > راء/رائية.
اليونانية mieirê(s) = المصرية mr-iri = العربية «مرام الراءية» أو «رامى (محب) الراءية».

(18) **World, loving Hêphaestus = Tômaephtha** (العالم، محبة هيفاستيوس)⁽¹⁶⁾ :

تعليق وادل : كلمة tô في المصرية تعني «العالم». و«محبة هيفاستيوس» في المصرية : mai-Ptah

* هذا الاسم مكوّن من ثلاثة مقاطع :

1. Tô = المصرية «ت أ» Ta . العربية : «طآة» = أرض (الأرض = العالم).

2. mae = المصرية «م ر» mr . العربية : «رام» = أحب/محب (روم = محبة).

3. pthta = المصرية «پ ت ح» pth . العربية : «فثاح» = إله الخلق.

اليونانية Tômae phtha المصرية : ت أ م ر پ ت ح Ta m r pth .

العربية : «طآة،⁽¹⁷⁾ رامي (ال) فثاح».

(19) **suchus the lord = Soicunius** (سوخوس السيد) :

تعليق وادل : يرد هذا الاسم في صور مختلفة منها :

Soicunis, Soicuniosochus.

* المقطع «- Soic» هو تحريف لـ «Socho(s)» (أو Suchu(s)) الذي هو تحريف للكلمة

المصرية «س أ ق» saq (معجم بدج، ص 589). والتي هي بدورها تحريف لكلمة «س ب ك»

s b k التي تعني «تمساح» (الآله المعبود)⁽¹⁸⁾ وهي عند «امبير» Ember تقابل العربية «سمك» بتعاقب

الباء والميم. (أنظر هذه المادة في هذه الدراسة).

(20) **Peteathyrês** :

تعليق وادل : صورة جيدة الصياغة للاسم Pede-hathor وهو لا يوجد باعتباره اسم ملك.

(16) Hephaestus إله الصناعة والمعرفة العلمية عند اليونان، وهذا تحريف للمصرية pth (فتاح) رب الصناعات والعلم

عند المصريين. أنظر هذه المادة في هذه الدراسة للتفصيل.

(17) طآة، طآة، طية = أرض.

(18) معجم بدج، ص 660. وفي المصرية «س ب ق» = ساق. ويظهر أن ثمة صلة بين «سبق» و«ساق»، لأن «السبق»

يكون عادة بـ«الساق». كذلك هناك صلة بين «س أ ق» و«سحق» باعتبار التمساح «يسحق» بذيله الذي يشبه

بالساق. ومن ذلك في العربية : ساق، يسوق، سوقا، بالعصا وهي تشبه ذيل التمساح.

* راجع مادة «ح ت . ح ر» في هذه الدراسة .

Stammenemês (21)

تعليق وادل : الصواب Ammenmês .

* مكوّن من مقطعين :

أ - Ammen = «إ م ن» = im n = أمون .

ب - mês = «م س» = m s = وَلَدَ (أمشئ) .

الاسم في المصرية : «إ م ن م س» = im n ms .

الاسم في العربية : «أمون أمشئ» = أمون ولد . < > «ابن أمون» .

son of hephaestus = Siphthas (22) (ابن هيفاسيتوس) :

تعليق وادل : هو الملك Siptah (ابن بتاح)

* الاسم مكون من مقطعين :

Si- المصرية Sa العربية : «ذا/ ذو» (ابن) .

phthas = المصرية pth العربية : فتح > «فتاح» .

Siphthas = المصرية Sa-ptth العربية : «ذو فتاح» (ابن فتاح) .

Phruoro (أو Phuoro) = the Nile (النيل) :

تعليق وادل : اسم النيل في المصرية هو p-yor-o ، وكان ملك مصر يشبهه بالنيل⁽¹⁹⁾ .

* قد يكون الأصل هو «ي ر . ع أ» = pr-^a في المصرية (حرفياً : البيت العالي)⁽²⁰⁾ التي تحولت

إلى «بر - عن»⁽²¹⁾ > فرعون» وهو اللقب المعروف الذي كان يطلق على بعض ملوك مصر .

وقد يكون الأصل هو «ب ر» = pr التي تفيد الخروج ، الفيض (فيض الماء) ونجده في الأكادية

في كلمة Pura-tum (= نهر) وهي في العربية «فُرات» . قارن كذلك اللهجة العامية الليبية : فَرَّتْ

= هرب/ «فَلَّتْ» . ثلاثي «فر» > فَرَزَ/ فَرَّ . كذلك : «بَرَّرَ» ← بَرَّ/ العامية : «بَرَّه» = خرج .

وأيضاً : «فَوَّرَ» ← فار = غَلَى (الماء) وفاض .

* * *

[ويختتم سنكلوس كما بدأ :

«هذه هي الأسماء التي أخذها «إيراتو سثنيس» من الكتابات المقدسة في (ديوسبوليس)⁽²²⁾

وترجمها من اللغة المصرية إلى اللغة اليونانية] . (ص 225) .

19) وهو يرجع القارىء إلى : Grabon ; Die Bildlichen Ausdrückedes Aegyptischen, p. 62 .

20) في اللغات العروبية كلها «ب ر» = بنى/ بنى = بناء . المصرية «ب ر» . والجذر الثنائي «بر» في العربية يؤدي إلى معنى البناء المرتفع ، ثم المرتفع من كل شيء (قارن : الباري = الباني ، أي : الخالق) . ولا وجود للام في المصرية ، وهي تبدل همزة (ع) = ع ل > علي/ عال) .

21) لاحظ أن «عل < على» تقوم مقام «عن» ، بتعاقب اللام والنون ، في العربية .

22) Diospolis = «مدينة الرب» ، والمقصود «طيبة» . أنظر : معجم بدج ، ص 973 .

ونختتم نحن بالقول :

نأمل أن نكون أفلحنا في إعادتها إلى عروبته الأولى .

إضافة

إذا كانت عوامل التحريف والتحوير قد أبعدت أسماء فراعنة مصر عن أصولها في اللسان اليوناني الذي نقلت إليه حتى ليعسر أحياناً إرجاعها إلى هذه الأصول ومعرفة معانيها ثم تحقيق عروبيتها، فإن العودة إلى هذه الأسماء في رموزها الهيروغليفية ودراستها تبين الأمر بكثير من الجلاء . ومن عبث الحديث، قطعاً، القول بأن ثبوت عروبية أسماء ملوك مصر وألقابهم لا يعني عروبتهم، ومن المراء، حقاً، الزعم بأن «تسرُّباً» متصلاً من العروبيين إلى وادي النيل هو الذي «أثر» في هذه الأسماء والألقاب والصفات .

إنني أمضي مباشرة إلى ما عرف في تاريخ مصر باسم «الأسرة الأولى» - أي بداية هذا التاريخ المسجل، وهي الأسرة التي كانت أول من دُون أسماء ملوكها على ألواح وصلابات تناثرت على أرض الوادي وكشف عنها الأثاريون والعلماء ودرسوها دراسات مستفيضة مضمّنة . وليس يعنيننا في هذا المقام ما اشتجر من خلاف حول التواريخ والقراءات، أو حول الشخصيات المذكورة، ولا تحديد الأزمنة والغايات، بكل ما في ذلك من تفاصيل وجزئيات وحجج وبراهين ونقوض وردود ؛ فإن لهذا الأمر مراجعه الخاصة به ومصادره التي تعالجه . وقد فصل الدكتور عبد العزيز صالح الموضوع وأوجز الآراء وقدم خلاصة بحوث الباحثين وآراء العلماء المعنيين، وإليه أستند في قراءتنا العروبية (أو العربية) لأسماء فراعين هذه الأسرة الأولى، ونقدم بعدئذ المكافئ العربي لها، اعتماداً على (الترجمات) التي عرضها⁽²³⁾ :

(1) ارتبط تأسيس الأسرة الأولى بثلاثة أسماء :

أ . «نعر مر» : وهو اسم ظهر به صاحبه في نقوش مقمّعته ونقوش صلاته التي أكد بها سيطرته على الصعيد والدلتا .

ب . «عحا»، أو «حور عحا» : بمعنى : المحارب، أو حور المحارب، أو صقر الحرب على التوالي .

ج . «منى» : ربما بمعنى : الخالد، أو المثبت، أو الراعي .

ويرى بعض الباحثين أن هذه الأسماء، أو الألقاب، لملوك ثلاثة، ويرى بعض آخر أنها لملكين اثنين، وفريق ثالث ذهب إلى أنها لملك واحد، هو موحد القطرين (الصعيد والدلتا) ومؤسس الأسرة الأولى . فلنقرأها نحن من جديد :

(23) حضارة مصر القديمة وآثارها، نسخة مصورة عن طبعة هيئة المطابع الأميرية (1962) - القاهرة 1980 - الجزء الأول - الصفحات 249 - 298 .

ويلاحظ أننا نقلنا أسماء الملوك وألقابهم هنا كما وضعنا المؤلف بالحرف العربي، وليست نقحرت هنا دقيقة كل الدقة ؛ إذ هو يكتب «حور» مثلاً والصواب «حر» مقابلة ل-hr في النقحرة اللاتينية ولكلمة «حر» العربية (= صقر)، ولم ترد hr بمعنى «صقر» في النقوش المصرية وإن وردت hrw الواو في آخرها هنا للعلمية . وهو يضع الحرف «ج» مقابلاً للرمز الهيروغليفي الذي ينقحر في صور شتى وليس ضرورة أن يكون في صورة «ج» دائماً .

أ. «نعر مر» : لقب مكون من كلمتين :

(1) «ن ع ر» nər - وترجم إلى الأنكليزية Cattfish التي تعني : سمكة السلّور، أو السلّور (القرموط والشلبة والبياض). وليس بالضرورة تحديد اسم السمكة أو نوعها، فقد تطلق على أية سمكة من الأسماك دون تمييز. لكننا نرى أن المعنى الأصلي ليس «السمكة» ولكنه «الماء» وهما مرتبطان كل الارتباط. (ولنا هنا أن نقارن كلمة «نون» في العربية التي تطورت إلى معنى «سمكة» ولكنها في اللغات العروبية القديمة - ومنها المصرية - عنت «الماء»). وباعتبار «ن ع ر» تعني «الماء» فهي تقابل بالضبط الأكادية «نارو» nāru التي تترجم في (معجم وير، ص 237) إلى : مجرى مائي، نهر، جدول، قناة مائية. وهذه بالتحديد العربية : «نهر». وسيؤكد هذا التفسير بعد قليل.

(2) : «م ر» mr - وقد تعني : محبوب، حبيب. وعربيتها هنا : رم > رام (مقلوب «م ر») > مروم (بإضافة الميم سابقة زائدة). كما قد تعني : قوي، مسيطر، سيد. وعربيتها هنا : مر > مرء (= سيد)، والجذر الثلاثي «مرر» ويفيد القوة.

يذهب الكثيرون من الدارسين إلى أن «نعرمر» هو ذاته من عرف باسم «ميناء» (قارن الفقرة (ج) فيما يلي) وهو موحد القطرين ومؤسس الأسرة الأولى، أي ذاك الذي حقق «وحدة الوادي» (= المجرى، الجدول، النهر، نهر النيل) - فهو سيده والمسيطر عليه وقويّه، أو هو ذاته «النهر القوي» باعتبار تقديسي أهل مصر الأقدمين للنيل (العربية : «نهر + مر») وتشبيهاً للملك بالنهر المتدفق الجبار. ولعله لقب بـ «النهر المحبوب» (نهر + رم > رام > مروم) أو «النهر المحب» (نهر + رم > رام > رائم).

ب. «عحا» أو «حور عحا» :

(1) «ع ح أ» ḥa بمعنى «المحارب». في معجم اللغة المصرية تفيد «ع ح أ» ḥa ومشتقاتها : يقاتل، يحارب، محارب... إلخ (معجم فولكنر، ص 46). ومن المستبعد - كما يقول «بدج» في مقدمة معجمه الكبير للغة المصرية - تصور أن ينطق المصريون القدماء بحرفين حلقيين متتابعين، مثل العين والحاء. وعليه فالأصل هو إما «حأ» أو «عأ» وهما صوتان يتعاقبان. ونذهب إلى أن الأصل الطبيعي الأول الذي نشأت عنه الكلمة هو صيغة الحرب التي يطلقها المقاتل تخويفاً لأعدائه وترهيباً أو تشجيعاً لرفاقه.

في العربية : وعع : الوعواع : الصوت والجلبة.

وعهي : الوَعَى : الجلبة والأصوات.

وحي : الوَحْيُ : والوَحَى، مثل الوَعَى، الصوت.

غوي : الغوغاء : الصوت، مؤنث ويذكر : أغوغ. وغوي وغوية :

أسماء. وكذلك : غَيَّان، وبنوغيان : حي.

وغهي : الوَعَى : الصوت في الحرب مثل الوَعَى. والوَعَى : الحرب

نفسها. والواغية، كالوغي، اسم محض. ومنه قيل للحرب وغي لما فيها

من الصوت والجلبة. والوعى (بالعين المهملة) الصوت، عينه بدل من

غين «وغي» أو غين «وغي» بدل منه.

(2) «حور عحا» بمعنى (حور المحارب) أو (الصقر المحارب) :
مكونة من كلمتين :

أ - «ح r = ḥ r = الصقر. عربيته : حُرٌّ. طائر الحر هو الصقر.
ب - «عحا» = ḥ a = المحارب. وقد سبق شرحها.

ج. «مئي» بمعنى : الخالد، المثبت، أو الراعي. وقد عرف هذا اللقب في المراجع العربية في صورة «ميناء»، وجذره في المصرية هو «م ن» mn - ويفيد القوة والثبات والبقاء والخلود (أنظر مثلاً : معجم فولكنر، ص 106). ونجد «م ن ي» و«م ن ي و» بمعنى «الراعي» (المصدر نفسه، ص 108) :

(1) «مئي» = الخالد، المثبت. عربيتها في الجذر الثلاثي «مئن» (ثنائيه «من») وفيه :
المنة ؛ القوة، والمئين ؛ القوي، وكذلك : الممنون = الحبل القوي .

(2) «مئي» = الراعي . جاءت التسمية نسبة إلى «م ن» mn المضاعفة إلى «م ن م ن» mn mn بمعنى «قطيع» الحيوان، والأصل البعيد هو الحركة (أنظر : غاردرن Eg. Gr. p. 459 وقارن علاقة «الماشية» في العربية بالمشي، وتسمى قطعان الغنم والضأن في اللهجة الليبية حتى اليوم : «السعي»). المكافئ العربي نجده في المقلوب «نم» الذي يدل أصلاً على الحركة، وحركة الأقدام خاصة (قارن : نمي، نمل، مثلاً، عند تثليث الجذر الثنائي). ويقلب «نم» إلى «نأم» ويفيد الصوت، وفي (اللسان) : «تنوُّم العُجم» أي صوت الحيوان. كما يثلب إلى «نمأ» ومنه : المنية = الجلد في الدباغ، أو المدبوغ - والأصل جلد الحيوان. كما يقلب إلى «أنم» ومنه : الأنام = الخلق، أي الحيوان (كل حي متحرك بما فيه الانسان وهو حيوان). ونعود إلى «نم» وثنائيه «نمي» فنجد فيه : النامية = خلق الله، كما نجد فيه معنى الزيادة (النماء والنمو) تماماً كما نجد معنى الزيادة في «مشي» (المشاء : كثرة إنتاج الولد، ومنه الماشية أي التي تتكاثر بسرعة شأن حيوان القطيع).

وقد تعاقبت الهمزة في «نأم» مع العين في «نعم» وتعني الحيوان (الأنعام) - ومن ذلك «النعمي» أي «الراعي»، ومن نفس الجذر : النعمة = الخير، المال. ولاحظ أن الحيوان، أو قطعانه التي ترعى بالتحديد، تسمى في العربية : المال - (ثنائيتها «م ل» وتتعاقب اللام والنون = «م ن»).

وللتقريب - ولا يخلو الأمر من صلة - نشير إلى اللاتينية anoma وتعني في الأصل : الصوت (ومنها الأنكليزية name = اسم، المعنى البعيد : الصوت) أي صوت الحيوان، ثم دلت على الحيوان نفسه، ومنها الأنكليزية animal (حيوان) وأدت من جهة أخرى إلى nomad = رحال، بدوي، راع (نأمي، نعمي). وفي الروسية nim = حيوان، اشتقت منها nimitz = حيوان، أعجم، بربري، لأ يحسن الكلام - أطلقتها الروس على الألمان، ودخلت العربية في صورة «نمسا» وهو اسم «النمسا» البلد الأوروبي المعروف، والنسبة إليه «نمساوي» في العربية = نعمي، أو «نأمي» = راعٍ (مئي).

* * *

وقد أورد الدكتور، عبد العزيز صالح بعد ذلك بضعة أسماء أو ألقاب، ملوك من الأسرة الأولى اختلف العلماء في قراءة رموز بعضها الهيروغليفية واتفقوا في البعض الآخر، وقدم الترجمات المقترحة لها، لكنه لم يتعرض لما يكافئها في العربية (ص 256 - 258 من المصدر المذكور). فيما يلي قراءتنا لها :

(1) واجبي : وهو اسم قرىء بقراءات أخرى كثيرة منها «ونيمو» بمعنى «المطعم» .
* في المصرية : «ون م» = wnm «أكل»، «ون م ت» = wnm t «أكل، طعام، وكذلك «ون م و» = wnmw . والمكافئ العربي هو : «ولم» ومنه : الوليمة = المأدبة، الطعام، و«المولم» : المطعم .

(2) دن : قرىء «وديمو» و«وجيمو» بمعنى : «حافر الترع» أو «واهب الماء» .
* الاسم، كما هو واضح، مكون من مقطعين :
أ. «ود(ي)» أو «و(ج)ي» (wd(i), wd(i) : 1) بمعنى «حافر» - عربيته : وج > وَجَأ = فتح، حفر. (2) بمعنى «واهب» - عربيته : ودي = أعطى / وهب (ومنه : الدَّيَّة = العطية / الهبة).
ب. «مو» : ولا خلاف في أن هذه تقابل العربية «ماء» (قارن اللهجات : مَي، مُوَي، مَيَّة، إِمِّيَّة).
فعرية لقب «وديمو» أو «وجيمو» إذن إما : «وجأ - ماء» (واجيء الماء) أو : «ودي - ماء» (مؤدِّي الماء).

(3) عنجاب (عجاب، أو : عنجابي) بمعنى : «سليم الطوية» أو «سلم قلبي» .
* إذا قرأنا الاسم «ع ن ج - إب» = ɛn d-i b ، فهو مكون من مقطعين :
أ. «عنج» = ɛn d : سلم / سليم . عربيته : عنش < نعش .
ب. «إب» = i b : طوية / قلب . عربيته : لُبُّ .
و«عنج - إي» = «نعش لُبِّي» أي : «سلم قلبي» .

(4) «سمرخت» : ربما بمعنى «سمير البدن»

* قابل الأستاذ عبد العزيز صالح المصرية «سمر» بالعربية «سمير»، وقد يكون الأمر كذلك، لكن معنى «سمير البدن» غير واضح . الأصوب - فيما نرى - أن «س م ر» smr المصرية مكونة من : سين التعدية + «م ر» smr بمعنى «المحبوب» . عربيتها : «رام» > «مروم» . أما «خ ت» بمعنى «البدن» أو الجسد، فعربيتها إما «حوية» (حويت > حوت > حت = «خت» ht) أو «جئة» مؤنث «جث») على سبيل تعاقب الخاء في المصرية مع الحاء، أو الجيم، في العربية .

وهو أضاف أنه كان لهذا الملك اسم آخر هو «شمو» تحورت قراءته عند «مانيثو» إلى Sememp- ses . ولا جدال في أن «شمو» هي العربية «شمس» .

(5) قاي - ع : «عالي الذراع» أو «طويل الذراع»⁽²⁴⁾.

* في المصرية «قاي» qai تعني : عالٍ ، مرتفع ، طويل (عمودياً). يقارنها «كوهن» (Essai Comp. p. 118 بـ«البربرية» aggi, agú (رفيع) واللغات الكوشية المختلفة : uga, agua, ogo .
قارن العربية : «أوج»). لكننا نجد الجذر العربي الثنائي «قع» > قعل ، قعم (= مرتفع ، عالٍ) أقرب ، بتعاقب العين والهمزة .
وهذا هو المقطع الأول .

أما المقطع الثاني «ع» الذي يعني : يد ، ذراع - فإننا نذهب إلى أن أصله «ع أ» والهمزة إبدال من اللام (= ع ل) > ، عالٍ ، عليٌّ - شأن اليد .
(أنظر مبحث «الأصول العربية لرموز الهجاء الهيروغليفية» في هذه الدراسة ، وخاصة حرفي القاف والعين).

* * *

هذه بعض أسماء فراعين مصر العربية من الأسرة الأولى . . ثم تلي أسماء أخرى من الأسرة الثانية (نفس المصدر، ص 257 وما بعدها) منها على سبيل المثال :

(1) حوتب سخموي : بمعنى «رضي القويان» أو «استقر القويان» - والمقصود بالقويين المعبودان «حور» و«ست» اللذين يمثل الملك سلطتيهما على الأرض أو يتمص شخصيتيهما .
* «حوتب» في المصرية : «ح ت پ» = http = استقر، هدأ، اطمأن، استراح . عربيتها «حتف» .

«سخموي» مثنى «س خ م» = s h m = القوي . وهي كذلك في معجم اللغة المصرية ، ولكن لعل معناها الأصلي : الغاضب - ففي معجم فولكنر (ص 241) نجد من دلالاتها : المتجهم (في الأنكليزية be grim of face) . عربيتها : «سخم» ؛ والسُّخمة الغضب ، وقد تسخَّم عليه ، والسُّخَم مصدر السخيمة ، وقد سخمت بصدر فلان ؛ إذا أغضبته .

(2) «نبي رع» ، أو «رع نب» بمعنى : رَبِّي (هو) رع ، أو : رع (هو) المولى . وهو أول اسم ملكي معروف اعترف صراحة برب الشمس «رع» .
* في العربية تستوي دلالات الجذرين «نبا» (الذي منه : نب > نبي) و«ربا» (الذي منه : رب > ربي) .

المصرية : «ن ب ي - رع» . عربيتها : رَبِّي (= إلهي ، مولاي ، سيدي) رع .
«رع - ن ب» عربيتها : رع ربُّ .

(وليلاحظ القارئ بآء نسبة الملكية للمتكلم المفرد في المصرية «ن ب ي» (= رَبِّي) كما هو الحال في

(24) له اسم ثانٍ قرىء «سنمو» كما قرىء «سن» بمعنى الرفيق أو الصفي . فإن كانت الأولى فهي تقابل «خ ل م و» عن طريق الأبدال ، عربيتها : «خلم» = رفيق ، صديق حميم ، صفي . وإن كانت الثانية فعربيتها «صنو» = رفيق .

العربية بالضبط، ولا ننس أن الاسم يرجع إلى بواكير تاريخ مصر القديم اراجع مادة «رع» في هذه الدراسة لمزيد من تحليلها).

(3) «في نثر» : وقرئت : «نثرون» كذلك - بمعنى : المتنبّي إلى الآله .

* «نثر» في المصرية تكتب ثاؤها في صور متعددة، وهي تقابل الطاء أو الظاء في العربية : «ناطر»، «ناظر» = الرائي، الحارس (راجع هذه المادة في صلب الدراسة للتفصيل). أما المصرية «نى» السابقة (وقد قرئت خطأ لاحقة في «نثرون») فهي العربية «ل» - إذ تستبدل اللام في الهيروغليفية نوناً. فتقرأ «ل + نثر» = «لنثر» (لنطر، للناطر، للناظر = للآله = المتنبّي للآله).

(4) «پر إيسن» : بمعنى «خرجت قلوبهم» (؟)

* هذا الاسم مكون من :

أ. «پر» pr : خرج، ظهر. عربيته : بر > برر، برّ، برأ (برّة)

ب. «إب» ib : قلب. عربيته : لب.

ج. «سن» sn : هم - ضمير جمع الغائب. (أنظر التفصيل في باب الضمائر من قواعد

اللغة المصرية في هذه الدراسة).

المصرية : «بر + إب + سن» = العربية : «برّ(ت) ألباهم» (خرجت قلوبهم).

(5) «سنج» : بمعنى «الرعب» أو «المرعب» .

* الملاحظ أن التعبير عن الرعب، أو الخوف، في اللغات العروبية، وكذلك الأمر في كثير من اللغات الأخرى، يكون بكلمة أو تعبير يفيد معنى البرودة، ولعل ذلك يرجع إلى أن الخوف يجمد الأطراف ويرسل قشعريرة البرد في الأوصال، كما يقال في تعبيرنا المعاصر «جمد دمه» خوفاً . على سبيل المثال. بعكس الغضب الذي يغلي فيه الدم ويفور ويسخن (المصرية : «س خ م» والعربية «سخم» كذلك = سخن).

في المصرية تفيد sn d (يكتبها د. عبد العزيز صالح «سنج») تعني «الخوف». ويقابلها «كوهن» (M. Cohen ; Essai Comparatif) بالعربية «ثلج». فاسم هذا الفرعون عربياً : «الثلج» (الرعب) أو «الثلج» (الثلج، باعث البرد في أطراف خصومه، أي : المرعب).

(6) «خع سخم» : أي «شعّ البأس» أو «تجلّى القوي» .

* المصرية «خ ع» = ḫᵉ = سطم، بان، ظهر. العربية : «شعّ» (خ = ش).

والمصرية : «خع - سخم». العربية : «شعّ السخم» = شعّ البأس، تجلّى القوي .

والمصرية : «س خ م» = sḫm = القوة، البأس، العربية : «سخم» (راجع اسم «حوتب

سخموى» فيما سبق منذ قليل).

المصرية : «خع - سخم». العربية : «شعّ السخم» = شعّ البأس، تجلّى القوي .

(7) «خع سخموي» : بمعنى : «تجلى القويان . ولعل المقصود بالقويين : الصعيد والدلتا .

* أولعل المقصود المعبودان «حور» و«ست» .

المصرية : «خع» = العربية : «شع» - بان ، تجلى .

المصرية : «سخموي» = مثني «سخم» . أي : «شع السخمان» = تجلى القويان .





أسماء مصر العربية

عرفت مصر في تاريخها الطويل بأسماء كثيرة أطلقت عليها عبر العصور ومختلف الأزمنة، وهي أسماء عرفت بها شعوبٌ أخرى في الغالب؛ إذ ليس ثمة أدلة تؤيد أن المصريين أنفسهم أسموا بلادهم باسم معين تمسكوا به على مدى الدهور. فالواقع أن أسماء الشعوب في أغلب الأحيان تأتي من الخارج، صفة تطلقها شعوب أخرى فتلتصق بالشعب المعني وتصير علماً عليه واسماً له.

لدينا لمصر في مختلف الأزمنة جملة أسماء تبدو في صيغتها الأعجمية مستغلفة لا تمت، أو لا يمت بعضها على الأقل، في بداية الأمر إلى العربية بصلة. بيد أنها في الواقع جميعها، دون استثناء، عروبية الأرومة والأصل. وقد يبعث هذا القول على الدهشة، غير أنها دهشة اكتشاف الحقيقة والفرحة بالوصول إليها. وسوف نتعرض فيما يلي لهذه الأسماء ونرجعها إلى أصولها العربية بإذن الله.

في صفحات متفرقة من «تاريخ مانيثو» (Manetho ; Tr. W. G. Waddell, LOEB) وبالذات في صفحتي 227 و 243 نجد ثلاثة أسماء متميزة لمصر هي: «أيريا» Aeria «مسترايا» Mestriaia و«أيجبتون» Aigypton⁽¹⁾. ويعلق المترجم (الأستاذ «وَدِل») بأن هذه الأسماء الثلاثة تعني «مصر» في عصور متفاوتة، وأن اسم «أيريا» Aeria بالذات أقدمها الذي عرفت به. فلنأخذ هذه الأسماء ونحللها واحداً بعد الآخر.

(1) «أيريا»:

تكتب في اليونانية Airia, Aeria والصفة منها Ariton (مصري) و Aritae⁽²⁾ (مصريون - أهل

مصر).

1) تبعاً للنص اليوناني الأصلي. أما في ترجمة «وَدِل» Waddell فإن التهجئة تختلف أحياناً عن الأصل. وقد استعملنا حرف الجيم في «أيجبتون» مقابلاً للجيم القاهرية غير المعطشة، وقد تحولت في اللغات الحديثة، ما عدا الألمانية، إلى جيم معطشة قارن الانكليزية Egypt.

2) كلمة aritae مكونة من ari (اسم مصر) مضافاً إليها tae التي تدل في اليونانية على النسبة إلى بلد ما. ويذكر «أوريك بيتس» في كتابه (The Eastern Libyans P. 71) ما قرره «ستيفانوس بيزانتيوس» من أن (i-tae) و (i-dae) نهايات مفضلة في اللغة الليبية القديمة في أواخر الكلمات الدالة على سلالة ما. وقد أرجعها «بيتس» بدوره إلى تاء التانيث للمفرد في الليبية (t) التي صارت tae (وهذه بدورها صارت عن طريق الابدال dae) و ضرب عدة أمثلة لما ذكر. والذي فات الأستاذ «بيتس» أن يذكر أيضاً أن إلحاق التاء بالاسم المذكور المفرد لتانيثه ليس خاصاً باللغة الليبية بل هو كذلك في المصرية والعربية. فإذا كان اليونان نقلوا عن الليبية أسماء قبائل ليبيا القديمة من مثل «أسبو-تاي»، «مرمر - داي»، «أدرماك - داي» فقد اتبعوا النسق نفسه في «هسبر-تاي» (وهي كلمة يونانية تعني: أهل الغرب) وكذلك في «أري-تاي» aeri-tae (أهل مصر = المصريون).

هذه التسمية ترجع إلى دهور سحيقة في القدم، إلى بداية فجر التاريخ في مصر، أيام «ميناء» والصراع الديني والسلطوي بين سكان جنوب مصر وشمالها حوالي سنة 3200 ق. م. يومها وَحَدَّ «ميناء» (الذي يعرف أيضاً باسم «نارمر») القطرين (الصعيد والدلتا) في مملكة واحدة، وكان يتخذ الصقر شعاراً له وكان معبوداً أكبر له ولأتباعه الذين يُسمَّون «عُباد حورس». وقد بلغت عبادة الصقر حداً من التمكن جعل ملوك الأسرة الثانية يتسمَّون باسم «حورس» (الصقر) وظلت هذه التسمية سارية مدة طويلة جداً⁽³⁾.

وقد كتبنا اسم الصقر «حورس»، وهذا نقل عن اليونانية **Horus** وأصلها المصري «ح ر» hr (العربية: «حُرٌّ، طائر الحُرِّ = الصقر. أنظر هذه المادة في هذه الدراسة). واليونان يقبلون الحاء، أحياناً، هاءً، فكان أن تحولت «ح ر» إلى «هـ ر» ثم أضافوا السين، زائدة لغوية، فكانت - بالتحريك: **Horus**. فلما «عربنا» نحن هذه جعلناها «حورس» - وبعض الكتاب كان أعرب فتخلَّص من السين اليونانية وجعلها «حور» والصواب «حُر» بدون مد الواو.

في اليونانية أيضاً تقلب الهاء، سواءً كان أصلها حاءً من العروبية أو كانت هاءً أصلية، إلى همزة. فالمعبود المصري «حرفش» صار «أرسفيس» Arsaphes واسم مصر الذي سناقشه بعد قليل «ح ت. ك. ء. ب ت ح» صغار: Aegyptus. وحتى اليوم تجد في اليونانية «هوميروس» و «أوميروس»، و«هيلاتس» و«الأس» و«هيلين» و«إيلين». إلخ. وهذا ما يشبه تحول اسم «حنة» إلى Hanna و Anna و Anne مثلاً.

من هذا يتضح أن اسم مصر القديم كما كتبه اليونان aeria أو airia (عند «كيز» Kees ; Anc. Egypt, p. 237. ayria) كان أصلاً Haeria أو Hairia. وهذه جذرها: hr الذي كان في المصرية «ح ر» (الصقر) شعار مصر القديم الداخل في أسماء ملوكها الأولين - فهي «الحُرِّيَّة» بعينها، نسبة إلى طائر «الحُر» الذي اشتقت من اسمه كلمة «الحرية» بمعناها الذي نفهمه اليوم؛ الانطلاق والاعتناق وعدم العبودية.

فإذا قلنا، بعد هذا، إن اليونانية Aeritae تقابل Aeridae «بلاد حر» (= أهل طائر الحر، أصحاب حورس) لقلنا إنها تقابل «ذوو الحر» بحسب أسلوب الاضافة العربي.

في كتابه «Ancient Egypt» (صفحة 237 - 238) سَوَّى «هرمان كيز» H. Kees ما بين تسميات ثلاث لموقع واحد كان العاصمة الدينية والدينيوية للصعيد (الجنوب) ومقرّاً لعبادة

(3) أنظر لمزيد من التفصيل كتاب الدكتور أحمد بدوي: في موكب الشمس، الجزء الأول، صفحة 112 وما بعدها.

«حورس»، أعني : «أيرتون» Ayrton و«هيراكونبوليس» Hieraconpolis و«أبيدوس» Abydos . وهذه هي الصيغ اليونانية التي عرفت بها المدينة العاصمة .

أما الأولى (أيرتون) فقد بيّنا أصلها من «ح ر» hr (المصرق) . وأما التسمية الثانية فهي مكوَّنة من ثلاثة مقاطع :

- 1 . Hiera (مقدّس . عربيتها في الجذر «حور» ← حوري ، حواري) .
- 2 . Con (زائدة لغوية يونانية للصفة) (Hieracon = قدسيّة/ حوريّة) .
- 3 . polis (مدينة باليونانية/ بلد)

فاسم المدينة Hieraconpolis تعني : «المدينة القدسية» (البلد الحورية . أو لعلها : بلد الحر/ بلد الحرية) .

وأما التسمية الثالثة Abydos (وقد «عربها» بعضهم : عبدوس) فهي الصيغة اليونانية للمصرية «أ ب د و» a b d w (معجم «فولكنر» ، صفحة 3) وهي «أ ب د» a b d (معجم «بدج» ، صفحة 947) . وهذه هي العربية «أبَد» بمعنى : سكن ، أقام .

نحن نعلم أن من «سَكَنَ» جاءت «سَكَنُ» (مسكنٌ) . ومن «بات» : «بيتٌ» ، «مبيتٌ» . ومن مَدَّنَ (أقام) : «مدينةٌ» . ومن «قَرَّ» : «قريةٌ» . ومن «بَلَدَ» (سكن = بَلَسَ . قارن اليونانية polis) : «بَلَد/بلدة» . . وهكذا . كذلك من «أَبَدَ» (أقام ، استقرَّ ، سكن ، دام مقامه) جاءت «أَبَدَ» أي : مدينة . (جذر تسمية مدينة «أ ب د» a b d (في اليونانية abydos) موجود في المصرية «أ ب د» a b d الذي ترجم إلى الانكليزية : to shut, to bolt in أي : يغلق ، يقفل على الشيء بالترباس . وفيها دلالة «السكن» و«البيت» و«الدار» وما إليها . أنظر : معجم «بدج» ، صفحة 5) .

والمقارنة مغربية على كل حال ؛ إذ لا ننسى المقطع «أباد» الذي يعني «مدينة» في الهندية (قارن : حيدر آباد ، إسلام آباد ، أحمد آباد . . . مثلاً) . والانكليزية abode (سكن ، بيت ، مقام ، مقر) والفعل abide (يظل ، يمكث ، يقيم باستمرار ، يستمر ، يثبت ، يأبد) ومنها abiding و-abi-dance (استمرار ، أبَد ، دوام)⁽⁴⁾ التي ترجع إلى الانكليزية القديمة abidan⁽⁵⁾ ، ولكنها بما ذكرنا أُلصق .


فهل نقول إن «عَبْدَان» (أَبْدَان) على الخليج العربي ترجع إليه كذلك ؟

هذا جائز جدًّا ؛ إذ من الممكن أن تكون الفارسية أخذت «أبَد» عن العربية/ المصرية «أ ب د» فصارت «أَبْدَان» (عربناها : عَبْدَان) ، ومن الفارسية انتقلت إلى الهندية «أباد» - كما حدث لآلاف الكلمات العربية - ومن الهندية (السنسكريتية) انتقلت إلى اللغات الأوروبية في صيغ متقاربة لفظاً ودلالة .

4) تطورت دلالة abide إلى معنى «الانتظار» و«الترقب» (قارن العربية : لبث ← تلبث) ثم إلى معنى «الطاعة» (طاعة الأوامر) . والصلة بين «أبَد» و«عبد» هنا واضحة .

5) السؤال : من أين جاءت الانكليزية القديمة نفسها ؟ سؤال يأخذنا إلى أبعد مما نريد .

بيد أن (تعربينا) لـ «أبدان» في صيغة «عبدان» لم يكن، فيما نرى، لمجرد إبدال الهمزة عيناً، ولكن حقيقة أن تعاقب الهمزة والعين في الجذرين «أبد» و«عبد» كان نتيجة تقارب المعنى فيهما. فكلاهما يعني البقاء، والمكث والتلبث والانتظار، وفي «عبد» معنى الطاعة (قارن الانكليزية abide). وما من شك في أن مدينة «أبد» (عاصمة الصعيد، في اليونانية abydos) كانت عاصمة دينية كما كانت عاصمة سلطوية. ففيها كان المعبد الكبير كما كانت مقر الكهنة والفرعون (مثل الآله، وابنه أحياناً). فهي «المعبد» (ع ب د) فعلاً، أو «الحرم» (كما نسمي نحن الآن مكة والمدينة⁶): الحرمين الشريفين - لوجود الكعبة في الأولى وقبر الرسول في الثانية). ونحن نسمي «يثرب» : المدينة «المنورة»، وفي هذا الوصف معنى ديني نوراني، كما تسمى «طيبة» كذلك، وهي اليونانية Thebes . وفي اليونانية ذاتها مدينة بهذا الاسم معروفة منذ القديم .

المصادر اللغوية العربية تعيد اسم «طيبة» إلى الجذر «طيب» بمعنى «الطيبة» (الخيرة - وما في هذا المعنى). وقد يكون هذا صحيحاً. ولكن ما يلفت نظرنا أن اسم مدينة «طيبة» المصرية مكون من مقطعين فهي تسمى «ت.ء.إ ب ت» Ta-ipt  والمعنى الحرفي : (أرض «إ ب ت»). (أنظر : معجم «بدج»، صفحة 41).

وكلمة «إ ب ت» ipt، كما نرى، هي ذاتها «ء ب د» abd التي صارت في قراءة أخرى «ء ب د» abd. فمعنى الاسم إذن هو (أرض/بلاد «أبد») كما نقول نحن : (مدينة «المدينة») أو : (بلاد «المدينة») فينصرف الذهن إلى «يثرب». وقد تحولت «ت.ء.ء ب د» إلى «ت.ء.إ ب ت»، وتدغم «تبت». صارت في العربية «طيبة» (لاحظ أن «ت.ء» تقابل «طبة» أي أرض. فتعاقب التاء والطاء سهل هنا) وفي اليونانية Thebe(s) (لاحظ قرب مخرج Th مع الطاء العربية).

(2) «مسترايا» : mestraia

النسبة في المفرد إليها mestraion، والجمع mestrae.

منذ النظرة الأولى ندرك أن «مسترايا» هذه هي ذاتها «مصر»، تحولت الصاد فيها إلى st لعدم وجود الصاد في اليونانية، وهو عبارة عن سين مفخمة أبدلت st. وأما aia في آخرها فهي زائدة لغوية تقابل ياء النسبة وتاء التانيث في العربية (... ية). والأصل هو mestr (= mesr).

وقد بحث هذا الاسم في صيغته اليونانية كثيراً وأرجعه أغلب الباحثين الغربيين إلى العبرانية «مزرائيم» Mizraim (بحكم معرفتهم لتلك اللغة) - وهي عند «وادل» Waddell في ترجمته لتاريخ «مانيثو» في صورة «مسترائيم» Mistrāim، صيغة جمع Mistr/mizr في العبرانية (والمقصود المشي : مِصْران = فُطْران، بَلْدان، أَرْضان/الدلتا والصعيد). ولا نظن أن ثمة حاجة للعودة إلى العبرانية للتعرف على هذا الاسم، اللهم إلا للمقارنة، أو لعدم معرفة الباحثين الغربيين بالعربية، أو لأمر في نفس «يعقوب» (الذي يقابل اسمه : اسرائيل!).. وأغلب الباحثين في هذا الموضوع من

⁶ لاحظ أننا استعملنا كلمة «المدينة» فقط، ولم ينصرف ذهن القارئ إلى أية «مدينة» أخرى سوى «يثرب» (المدينة المنورة).

اليهود. فكلمة «مصر» عربية قحة، ومثناها في السبئية (العربية الجنوبية) : «مصري» - وفي عربيتنا المتطورة : «مصران»، «مصريين».

الأستاذ «أوريك بيتس» (Bates ; The East. Libyans, p. 258) تعرض لهذا الاسم في إشارة ذكية مثيرة عن الصلة بين «مصر» و«مزغ» (مازيغ) في حديثه عما أورده (التوراة) من قولها إن «لهابيم» (= الليبين) كان ابناً لـ«مزرائيم» الذي هو ابن لـ«حام». وقد علق «بيتس» بما نصه :

«بالنسبة لاستعمال (مزرائيم) تعبيراً سلالياً أطلقه الأجانب منذ زمن سحيق على المصريين - في الدلتا خاصة - فإنني أقترح، بتحفظ شديد، صلة محتملة بين هذا الاسم واسم «م ز غ» mzgh . وليس ثمة، طبقاً لقواعد الصوتيات الحامية، صعوبة في تبادل (غ) مع (ر) في كلمة (مصر)، ويوجد الصوت الصافر الأوسط في (س)، (ص) و(ش) أو (ز) بلا تفرقة تقريباً. وإن وجود لبيين يتخذون اسم (م ز غ) في الدلتا قديماً، أو حتى في سيناء، يوضح كيف أن الأجانب أطلقوا اللقب تعميماً على سكان وادي النيل».

ويضيف «بيتس» :

«وتظهر الصعوبة الكبرى هنا من وجود كلمة «مصر» misru الأشورية بمعنى (حدّ، تخم) وفي الأسماء الجغرافية : مُصري musri :

1 . جزء من «كابادوشيا» .

2 . مكان في جبال طوروس - و : مُصُرْ Musur = مصر السفلى .

لكن لو أن هذه الأسماء كانت مرتبطة بـ«مُصري» musri ، أفلا يمكن أن تكون لهذه الكلمة نفسها في البداية دلالة معينة، ثم دلالة ثانوية عامة من بعد ؟» .

ويستدرك أخيراً :

«سيكون من السفاهة ألا أقول، في نشر هذه الملاحظة، إنني لا أملك إلا معرفة تمكنني من القراءة بالعبرانية، ولا أعرف شيئاً من الأشورية على الإطلاق» .

فلنستعن بمعجم اللغة الأشورية (الأكادية) لنجد أن كلمة «مصر» تعني فيها فعلاً : حدّ، تخم . ولكنها تعني كذلك : بلد، إقليم . وهي في الحالتين عنت «مصر» بالذات (أي وادي النيل)، فجاءت مرة بالتخصيص : «مُصُرْ كَمُو» muṣur Kammu (البلد الأسود - حرفياً : المصر الكميء . راجع فيما يلي : «ك م ت») ومرة أخرى للتمييز بينها وبين بلاد «النوبة» (كوش) : «مُصُرْ و كُويي» muṣru u Kusi (مُصُرْ وكوش) . (أنظر Arnolt ; a Concise Dictionary of Assurian Language, p. 6-575 وهذا ما يقطع بأن «مصر» عرفت بهذا الاسم عند الأكاديين كما كانت تعرف عند عرب الجزيرة وفي أيامنا هذه .

في القرآن الكريم وردت «مصر» خمس مرات :

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّأْ لَكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ يونس / 87 .

- ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾ . يوسف / 21 .
 ﴿وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ يوسف / 99 .
 ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ الزخرف / 51 .
 ﴿اهْبِطُوا مِصْرَ فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾ البقرة / 61 .

فمن أين جاءت كلمة «مصر» ذاتها وما دلالتها الأولى ؟

المعروف أنها تعني عموماً : البلد ، المدينة ، المصر (تجمع على : مصور وأمصار) - أي «الحضر» في مقابل «البدو» . وهي تدل على الاستقرار في مكان معين مقابل حياة التنقل والترحال شأن البداوة . والمعروف كذلك أن المدن والقرى كانت مجرد قلاع محصنة يحمي وراءها ساكنوها ، أو على الأقل هي مساحات من الأرض محاطة ، حتى وقت قريب جداً ، بسور . أي : مكان مسور .

أنظر إلى الجذر «سَوَّرَ» (سور، مسور/أسورة) تجد السين فيه تنقلب شيئاً فيقال «مُسَوَّرٌ» ، و«مُسَوَّرٌ» (كنطق أهل الرباط في المغرب للسور المحيط بالمدينة : المَسَوَّر = المَسُور، وزن «مَفْعَلٌ») . وتنقلب السين زائياً فيقال «مزور» (ويسمى نصف الجدار المبني فاصلاً وسط الدور في لهجة أهل مصراته من عرب ليبيا : «مزري» - بمعنى : سور) . كما تبدل صاداً فتصبح : صُور (= سور) ، مصوّر (= مسور) ، مصوّر (= مسور) وبسقوط الواو : «مصر» .

هذا هو أصل اشتقاق «مصر» إذن - التي نقارنها باسم المدينة الكنعانية «صور»⁽⁷⁾ (= سور) سميت كذلك لأنها «قلعة» حصينة مصورة أو مسورة . والعادة أن تطلق التسمية في البلاد على مدينة واحدة (إذ لا يعقل أن يكون وادي النيل كله مسوراً أو مصوراً!) ثم صارت علماً على البلاد كلها كما يحدث كثيراً من إطلاق الخاص على العام ؛ فبابل - مثلاً كان اسم مدينة واحدة (أصلها : «باب إل» = باب الله)⁽⁸⁾ . ثم صارت اسماً لبلد كامل بمدنه وقراه الأخرى ذات الأسماء المختلفة ، وأطلقت على شعب توحد في دولة واحدة ، رغم اختلاف الجنس واللغة أحياناً (البابليون) . ولنا مثل آخر في «الكويت» ، «الجزائر» ، «تونس» ، و«عدن» . . الخ . وهذا ما نفهمه من آيات القرآن الكريم التي ورد فيها اسم «مصر» ؛ فقد نفهم اسم مدينة بعينها ، كما نفهم اسم بلد بأكملها .

وقد لاحظنا أنها في العربية «مصر» - بالأفراد - وفي العبرانية «مصرائيم» (بالجمع المقصود به التثنية) . . فلم ذاك ؟

ذلك كان بسبب من واقع تاريخ وادي النيل نفسه ؛ إذ هو ظل - رغم التوحيد أوأخر الألف

(7) تعرف على شكل Tyre في الانكليزية عن اليونانية . ولا بأس ؛ فإن الجذور : صور، سور، وطور، وتور . . تفيد كلها الاحاطة والدوران (دور) ← (دار، ديار، دور) . مما يبين للقارئ تعاقب الحروف الذي أشرنا إليه في (سور، شور، صور، زور) - والدلالة واحدة .

(8) الواقع أن (باب) هنا تعني (مدينة) وهذا تعبير معروف في اللغات العروبية القديمة ، فهي «مدينة إل» أو «مدينة الله» .

الرابعة قبل الميلاد - يعتبر قطرين أو بلدين «متحدين»، الشمال والجنوب، أو الدلتا والصعيد، أو «الوجهين»: البحري والقبلي. ولكل منهما عاصمته، أو حاضرتة، أي «مصر». . . مدينته الرئيسية؛ منف (أو سائيس) في الشمال، و«أبد» (أو طيبة أو غيرها) في الجنوب، بحسب عهود التاريخ. فهما «مصران» لا «مصر» واحدة (= مصرايم).

فهل سميت بلاد وادي النيل بمثل هذا؟

نعم. لكن كلمة أخرى استعملت هنا وليس «مصر» مع أن المعنى واحد تقريباً وإن كان في المصرية أدق لأنه يدل على «الأرض» وليس على «المدينة» فقط.

كانت «مصر» في اللغة المصرية تسمى «ت ء وى» Tawy. وهي مركبة من: «ت ء» Ta (أرض/ طية) + واو الجمع + w + ياء التثنية y. فكان المصرية جمعت (كالعبرانية «ثيم») أولاً بالواو، ثم ثنت بالياء (مثل عربية الجنوب السبئية بالضبط؛ إذ التثنية فيها بإضافة الياء). وعند ما عبرت عن «المصريين» أضافت واو الجمع في آخر الكلمة فقالت: «ت ء وى و» Tawyw = (أهل الطيتين = أهل البلدين أو المصريين (الطاويين = المصريين)).

(3) «أيجيت»: Aegypt

نسبة المفرد إليها Aegyption والجمع Aegyptae.

في «كتاب سوئيس» (أو كتاب الشعري) The Book of Sothis المنسوب إلى «مانيثو السمنودي» يذكر اسم Aegyptus باعتباره اسماً لـ «رمسيس» أطلق على مصر بعد انتهاء صراعه مع أخيه «دناوس» Denaus⁽⁹⁾. وهذا تصور أسطوري مبني على الخرافة اليونانية التي تخلط بين الواقع والخيال، وإن كانت لا تخلو من الأصل التاريخي أحياناً، بتفاصيل مشوشة مهولة أو محرفة.

وباتفاق أغلب علماء المصريات فإن التسمية اليونانية لوادي النيل Aegypt ليست إلا تحريفاً للأصل المصري القديم «ح ت ك ء پ ت ح» ht. k. a. pth وهو الاسم الذي كانت تعرف به مدينة «منف» مركز عبادة الرب «پ ت ح» الشهير. وفيها كان معبده الأكبر أو «بيته» (البيت = المعبد، الحرم. قارن: بيت الله الحرام. بيوت الله = المساجد). وحتمي أن تظلل روح «پ ت ح» السماوية المعبد والمدينة وأهلها بالرعاية والعناية.

ومن هنا جاءت تسمية «منف» «ح ت. ك ء. پ ت ح» ومعناها: بيت عزّ (أو مجد) المعبود فتاح. (عربيتها: حيط جاه فتاح) (أنظر هذه الكلمات الثلاثة بتفصيل في هذه الدراسة).

وقد تحولت «ح ت» ht المصرية في اليونانية، بإبدال الحاء همزة وإسقاط التاء من «ح ت»، إلى ae- (قارن ما حدث في ae-ria)، وصارت «ك ء» (ka) = gy، وأسقطت الحاء من «پ ت ح» فأصبحت (ht-k-a-pt) = ae-gy-pt فكانت النتيجة: aegypt = «أيجيت».

(9) لمزيد من البيان أنظر: Robert Graves; The Greek Myths

ولا غرابة في هذا التحريف والتبديل والتحوير في لسان اليونان ، فقد تحولت الصورة اليونانية ذاتها في اللغات الأوروبية الحديثة إلى عدة صور ؛ ففي الألمانية تنطق «أيجيت» بجيم قاهرية ، بينما تعطش الجيم في الانكليزية Egypt وفي الفرنسية تضاف e ولا تنطق الباء المهموسة رغم وجودها كتابة Egypte (إيجت) وقد تعرّف : l'egypte . أما في الايطالية فقد أسقطت هذه الباء نهائياً وشدّدت التاء وحُرّكت فكانت Egitto (إِجِتُو) .

وقد وقع الابدال وإسقاط لبعض الحروف في الكنعانية كذلك ؛ إذ نجد اسم مصر مرة فيها «ح ك ف ت» بإسقاط التاء من «ح ت» وإسقاط الحاء من «ب ت ح» (ب = ف) . ومرة نجده «ح ق ف ت» بتعاقب الكاف والقاف ، مثلما تعاقبت الكاف والقاف والجيم في (ك ء / قا / جاه) (أنظر : فريجة ؛ ملاحم . . . صفحة 616) .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فقد تحولت الصورة اليونانية Aegypt (مصر ، ومنها Aegyption = مصري ، Aegyptae = مصريون) إلى «قبط» في العربية (الانكليزية Copt) وتجمع على «أقباط» ومفردتها «قبطي» وهي التسمية التي يعرف بها اليوم أهل مصر من نصاراها . كما تحولت إلى اسم بلد في مصر هو «قفط» (أبدلت الباء فاءً) والنسبة إليها «قفطي» ومنها «القفطي» العالم العربي الشهير صاحب كتاب (طبقات الأطباء) وغيره . وفي مادتي «قبط» و«قفط» في (اللسان) زيادة لاستزيد .

وكلها تعود إلى «ح ت . ك . ب ت ح» (أو : حيط جاه فتّاح) اسم مدينة «منف» قديماً ، كان خاصاً فصار عاماً - كما حدث في ما سبق من التسميات .

(4) «كمت» Kem-t

يتفق أغلب الباحثين على ترجمة «ك م ت» km t بأنها تعني : «الأرض السوداء» Black Land معارضة لـ «د ش رت» dšrt التي تترجم : «الأرض الحمراء» Red Land . والمقصود بالأخيرة : الصحراء - والصحراء الليبية بالذات . وسيل الحديث عنها بعد قليل .

ذلك لأن مصر - وخاصة الدلتا - كانت تُظمر بالطمي (يسمى أيضاً : الغرين) وهو الطين الذي يأتي به النيل أيام فيضانه كل عام من مرتفعات الحبشة ، فيخصب الأرض ويقوّيها ويمدها بأسباب الانبات والنساء . وعلى مر السنين تكونت طبقة من هذا الطين الأسود عرفت به مصر واشتهرت فسميت «ك م ت» . ولكن ترجمة هذه الكلمة بـ «الأرض السوداء» غير دقيقة ، إذ لو كانت كذلك لكانت «ت ء . ك م ت» Ta.kmt وهو ما لم أعثر عليه في ما بين يدي من مراجع ، رغم وجود «ت ء . د ش رت» Ta.dšrt و«ت ء . م ري» Ta.mry ونحوهما . وهذا ما يدفع إلى القول بأن التاء في «ك م ت» إما أن تكون للتأنيث للمذكر «ك م» أو تكون تطوراً للجذر الثنائي «ك م» الذي يفيد السواد في معجم اللغة المصرية عامة . (أنظر معجم «بدج» ، صفحة 787 وما بعدها . ومعجم «فولكنر» ، صفحة 286 - مثلاً) .

في العربية نجد الجذر الثنائي «كم» إذا تُلَّت يؤدي إلى معانٍ فيها الظلمة التي هي السواد :
 كمأ : الكمء، الكمأة : نبات ينقض الأرض فيخرج كما يخرج الفطر. . . والكمأة هي التي
 إلى الغبرة والسواد.

كمت : الكمته : لون بين السواد والحمرة .
 كمد : الكمد : تغير اللون وذهاب صفائه (ضد النُصوع والضيء = الظلمة) .
 كم : الكمام : الغطاء والسدُّ والغم (التعتيم والاطلام) .
 كمن : الكُمون : الاختفاء والاستتار (بحيث لا يرى المرء = ظلمة) .
 وربما سمي «الكُمون» هكذا لسواده .
 كمه : الكمه : العمى الذي يولد به الانسان (ظلام العين) .
 كمي : كَمَى الشيء وتكمأه : ستره (أظلم من حوله) .

ويظهر لنا من هذا أن الجذر الثنائي «كم» يفيد في العربية الظلام والسواد وهو المعنى بذاته
 في المصرية . وهذا ما نقلنا إلى كلمة شهيرة قيل إن العرب أخذوها عن اليونان (!) وهي : «كيميا» .
 وقد لاحظ الأستاذ «بدج» والأستاذة «بربرا واترسون» (B.Watterson ; Introducing Hieroglyphics)
 أنها ترجع إلى المصرية km - لأن «الكيميا» عندهما في أساسها «علم أسود» تدخل قديماً في عالم
 السحر والظلام . وقد نقل اليونان الكلمة، كما نقلوا العلم ذاته، من مصر في صيغة Kheme - ومنها
 كانت Chemistry (كيميا) في الانكليزية⁽¹⁰⁾ .

وقد أشار ابن منظور إلى «الكيميا» في مادة «كمي» فقال :

«الكيميا : معروفة، مثال السيميا : اسم صنعة . قال الجوهري : هو عربي . وقال ابن
 سيده : أحسبها أعجمية» .

وجزم الجوهري بعربيتها مبعثه إحساسه بهذه العروبية، أما حسابان ابن سيده لها أعجمية،
 دون قطع برأي، فلعل مرجعه حيرته هل هي على وزن (فَعْلِيَاء) أم (فِعْلَاء) - كما ذكر . وله عذره ؛
 فإن الأصل كان عربياً ثم نقله اليونان فحرفوه وشوهوه، وأعيد إلينا كسير الجوانب محطم التركيب . .
 فاحتار . ولم يكن ابن سيده، بالطبع ، على علمٍ بالمصرية وإلا لأدرك تماماً أن «الكيميا» عربية
 صميمة سواء كانت عند عرب مصر أو عرب الجزيرة .

فهل عرفت مصر بهذه الصفة عند الأقدمين ؟

والجواب : نعم . . . فقد عرفها العرب الأكاديون باسم واضح صريح هو «مُصْرُ كَمُو»

(10) «تَعْرَبُ» chemistry : «كيميا» . وهي مكونة من chem (= km) مضافا إليها ist (أداة التخصيص في علم ما)
 ry + (للدلالة على العلم) . وهناك alchemy (التي «تُعْرَبُ» إلى «سيميا») وهي مكونة من al (أداة التعريف في
 العربية) + chemy (= km) . «السيميا» هي «الكيميا» في الواقع . أما تحويل اليونان المصرية km (كم) إلى khe-
 me (خم) فمقارن العربية : كم = خم = عم (أي غطى وستر) . قارن أيضا : كمأ = طمأ = حمأ (الطين
 الأسود) .

musur Kammu - كما سبقت الإشارة أي «الأرض السوداء» أو «البلاد السوداء» ونستطيع مقابلتها بالعربية : «مصر كمئة» (المصر الكميء).

وقد ذكرنا هذا كله تسليماً بأن الجذر «ك م» في المصرية يؤدي معنى «السواد» كما ذهب الباحثون. والواقع أنه في العربية لا يعني السواد الخالص، وكذلك الأمر في المصرية ذاتها، بل لعل كلمة «السمة» هي المقصودة أصلاً. ويقول الدكتور عبد العزيز صالح في كتابه (حضارة مصر القديمة وآثارها) إن الصفة «كم» أو «كمت» أقرب في بعض أصولها إلى أن تعني اللون «الأسمر» عادة أو اللون «الخمري» دون اللون الأسود الصريح الذي لم يكن مستحباً كثيراً من الناحية الجمالية لدى المصريين الذين كانوا يصفون معبودتهم الأثيرة «إيزيس» فيقولون إنها «س ت. ك م ت» أي «السيدة السمراء»⁽¹¹⁾.

هنا نجد المقابل العربي الدقيق لـ «ك م ت» كلمة عربية مشهورة هي «كُمَيْت»، مصاغة على التصغير من «كمت»، وتطلق على اللون الأسود المشرب بحمرة أو شقرة أو غيرها من الألوان القريبة، وتوصف بها الخمر (قارن : خمري) والخيل ونحوهما. وهو اللون الذي ينطبق على حال أرض الدلتا الطينية الداكنة السمراء التي تضرب إلى السواد دون خلوصه، وبه سميت مصر «ك م ت».

الغريب أن الأستاذ الدكتور حسن ظاظا في كتابه (كلام العرب، صفحة 59 - 60) يذهب أولاً إلى أن «كُمَيْت» لا يداخلنا الشك في أصلتها في العربية، ولكننا إذا أمعنا النظر وجدناها لا تستعمل إلا في صيغة التصغير هذه وليس لها جمع شائع الاستعمال والمشتقات منها قليلة جداً. كل ذلك يدعو الباحث في اللغة إلى الشك في أصلها). ثم يضيف : (فإذا وجدنا كلمة «كمت» في اللغة المصرية القديمة معناها الأرض السوداء، وأنها كانت علماً على مصر نفسها... شعرنا أن شكنا في أصلها في العربية ليس من قبيل الوسوس أو النزوات).

ومن الواضح أن الدكتور ظاظا يذهب إلى أن اللغتين المصرية والعربية منفصلتان لا تربطهما رابطة، فلو اتبته إلى وحدة أصول اللغتين لكان ورود كلمة «ك م ت» (ولسنا ندري على أي أساس شكّلها «كمت» بكسر الكاف والميم وتسكين التاء؛ إذ أن حروفها أصلاً صامتة، ولعله نقل التشكيل عن بعض الكتاب الغربيين الذين يفترضون حركات يسهّلون بها القراءة - Kemet) نقول؛ لو اتبته الدكتور ظاظا إلى وحدة الأصل هذه لكان ورود الكلمة المعنية بمعنى واحد أو متقارب في اللغتين دليلاً على وحدتها وليس انفصالها، ولما اعتبر «كمت» (دخيلة) كما يفعل الكثيرون مع عدد كبير من الألفاظ المشتركة بين اللغات العروبية. وليس المهم أن نعرف من أخذ عن... وهو الأمر الذي أوضحه الأستاذ نفسه في كتابه المشار إليه.

والأغرب من هذا ما يورده «السيد أدى شير»⁽¹²⁾ في كتابه (معجم الألفاظ الفارسية المعربة)

(11) نقلا عن حلمي خليل؛ المولد في العربية، صفحة 124 - 125.

(12) هكذا اسمه على غلاف الكتاب. وعند الدكتور ظاظا (كلام العرب، صفحة 67) هو «المطران» وليس «السيد» أدى شير - نقلا عن «الأب» رفائيل نخلة اليسوعي في كتابه (غرائب اللغة العربية). والله أعلم بالصواب!

من أن «الكमित» ترجع إلى الفارسية (1) فيقول :

«الكमित من الخيل الذي خالط حمرة قنوء أي سواد غير خالص. وقيل : بين الأسود والأحمر. بعير كमित وناق كमित. فارسيتها : كमित - أيضاً. وهو يطلق على الخمر التي خالط حمرتها قنوء وعلى الخيل الأشقر الذي عرفه وذنبه أسودان. وكमित مشتق من كُمِخت = المختلط» .

لوراجع السيد (أو المطران) «أدى شير» معجماً من معاجم اللغة العربية لوجد أن «كमित» تصغير «كمت» وهي أصيلة في العربية بدلالة أصالة جذرها الثنائي «كم» الذي ثلث فكانت مثلثاته تفيد الدلالة نفسها - كما سبق البيان. ولودرس المصرية لوجد الجذر «ك م» (الثنائي) الذي أدى إلى «ك م ت» (الثلاثي) كما في العربية لفظاً ومعنى. ولو تأننى لأدرك أن «كُمِخت» الفارسية ذاتها من العربية «كُمِخ»⁽¹³⁾ (جذرها الثنائي «كم»). ولو ترؤى لقال بهدوء إن «كमित» في الفارسية مأخوذة عن «كमित» العربية، تصغير «كمت» العربية/المصرية.

أما مسألة التصغير التي استند إليها الدكتور ظاظا واتخذها دليلاً على أن «كमित» دخيلة، فهذا أمر مدهش جداً. إذ قد يحدث أن تنتشر الصيغة المصغرة بل لا يستعمل سواها ولا ينفي هذا وجود المصغر منه في الصيغة الأصلية⁽¹⁴⁾. هناك «الكويت» مثلاً (القريبة في لفظها)، وهي تصغير «كوت» أي كتيب الرمل. فلو قلت إن فلاناً «كوتي» ما فهمك أحد إلا أن تقول «كويتي». ولو قلت إن دولة «الكوت» فعلت كذا وكذا، لما دري أحد عمّ تتحدث، إلا أن تقول دولة «الكويت» فيفهم قصدك. وهناك كلمة «جُيُن»، أي الفضة، وهي لا تستعمل إلا في هذه الصيغة. فهل نقول إنها ليست عربية وتتخذ تصغيرها دليلاً على عدم عربيتها؟ ومع هذا فإن صيغة «ك م ي ت» Kmyt موجودة في المصرية ذاتها بالدلالة نفسها (أنظر معجم «بدج»، صفحة 787، ومعجم «فولكنر»، صفحة 286). ولعل هذا يرضي الدكتور ظاظا ومن تبعه، كالدكتور حلمي خليل في كتابه (المولّد في العربية).

- (13) الغريب أن ابن منظور يقول أولاً في هذه المادة إن «الكُمخ : السُلح» (واللون الكامد هنا واضح) ثم يقول : «والكامخ : نوع من الأدم معرّب. وقُرّب إلى أعرابي خبز وكامخ فلم يعرفه فقال : ما هذا ؟ فقيل : كامخ. فقال : قد علمت أنه كامخ ولكن أياكم كُمخ به ؟ يريد سلح به». وبحسب هذا القول فإن التعبير عن «السندوتش» بقول بعض المتحدلقين : «شاطر ومتطور وبينهما كامخ» غير عربي! من رأينا أن الفارسية أخذت «كُمخ» من العربية، ثم أطلق على نوع من الطعام (كامخ) وأعيد إلى العربية فحسبه ابن منظور معرباً وهو العربي أصلاً. وقد حدث هذا في اللغات الأوروبية الحديثة التي أخذت عن العربية، وأعيدت إليها ألفاظها محرفة فحسبت غير عربية. من ذلك مثلاً «شيروبو» sciroppo الإيطالية (يستعملها عرب ليبيا للدواء السائل) وهي من العربية «شراب». و«كاندي» can-dy (ضرب من الحلوى) من العربية «قندي» أي السكر المقتود (المعقود). وحتى «مستكا» mastica الإيطالية (= علك/صناعي غالباً) من اليونانية mastikhē وهذه من العربية «مضغ/مضغعة». وعشرات الألفاظ غير هذه في باب الطعام، فما بالك بمجالات الحياة الأخرى. فلم لا تكون «كُمِخت» الفارسية من «كُمِخ» العربية الأصيلة وفيها معنى اللون الكامد والاختلاط حين تعني «السُلح» - وهو معروف!؟
- (14) لاحظ قول ابن منظور : «الكَمِنة (مؤنث «الكمت») : لون بين السواد والحمرة». وتصغيرها : كَمِنة/كَمِيت.

ولقد أشرنا في بداية هذا الحديث إلى أن التاء في «ك م ت» إما أن تكون للتأنيث، وإما أن تكون تطوراً للجذر الثنائي «ك م» إلى ثلاثي يمثّل ما عرضناه.

فإن كانت الأولى فهي تقابل العربية «كَمَّة» في كتابتنا المتطورة (أصلها بنطق التاء : كَمَّت). ونلاحظ أن «ك م ت» k m. t في المصرية تعني أيضاً : جَرَّة، أو : دن - ولعلها وعاء للخمر⁽¹⁵⁾ خاصة مصنوعة من طين، تغلق حيناً لتعتق خمرها. ولا ريب في عودتها إلى الجذر الثنائي «ك م» الذي يفيد الاغلاق والسّد والاضلام والاختفاء. ويسمى هذا الوعاء في العربية «مكَمَّة» (من «الك م» = السُّداد. وكَممت رأس الدَّن أي سدّدته. قال الأخطل يصف خمرًا :

كَمَّت ثلاثة أحوالٍ بطينتها * حتى اشتراها عباديُّ بدينار

وإن كانت الثانية فقد بينها بما فيه الكفاية.

(5) «ت.ع. م ر ي» ٥ Ta-mera

هذا اسم آخر عرفت به مصر قديماً، وقد انتقل إلى اليونانية في صورة «بتموريس» Ptimuris عند المؤرخ «إيفوروس» Ephorus (حوالي 405 - 330 ق.م) في كتابه Istoriae (التواريخ. عربيتها : الأساطير).

وتحليل الصيغة اليونانية يعود إلى المصرية أصلاً :

1. «پ» p : أداة التعريف في المصرية (= ال).

2. تيموري timuri مكونة من مقطعين :

(أ) «تي» ti : المصرية «ت.ع.» ta.

(ب) مُوري muri : المصرية «م ر ي» mri.

(المصرية p. ta. mri «ت.ع. م ر ي» تحولت في اليونانية إلى Ptimuri(s) - السين في آخرها

زائدة لغوية).

فما أصل «ت.ع. م ر ي» هذه وما هي صلتها بالعربية ؟

أما «ت.ع.» فقد مر ذكرها كثيراً في هذه الدراسة ومعناها : أرض، بلاد، وطن. عربيتها :

طية، طاءة، طآة، طأثة، وحتى ثطآة، وطين. . إلخ.

وتبقى «م ر ي». ونلاحظ أولاً أن الجذر الأصلي هو «م ر» mr والياء في آخرها للنسبة. وحين

(15) لاحظ ترجمة «ك م ت» عند بعض الباحثين بأنها تعني «خمري» - أي بلون الخمر. وفي الكنعانية «هم م ر ي» : مُوجل، طيني، ذومآة. (فريجة ؛ ملاحم وأساطير من أوغاريت). وفي اللهجة الليبية تستعمل كلمة «خمرة» للملاط الذي يتخذ من خليط الطين والرمل أساساً، ثم صارت تطلق على خليط الرمل والجير للبناء. ونحن نعلم أن «لبنان» (اسم البلد المعروف) مشتقة من «لبن» (أبيض، لون الثلج الذي تشتهر به جباله) و«الكويت» من «الكوت» (الكثيب من الرمل). وقد تبين هذه المقارنة للقارئ لم سميت «مصر» (ك م ت) بالمعاني التي شرحناها.

نظر إلى الجذر «م ر» في قاموس اللغة المصرية نجد مفردات كثيرة مشتقة منه ويتصل بعضها ببعض :

«م ر» mr : قناة، بحيرة أو بركة صناعية.

«م ر» mr : حوض سكب مياه القربان.

«م ري» mri : قضيب سبرغور المياه.

«م ري ت» mryt : تمساح/مائي.

«م ري ت» mryt : ربة الفيضان.

(أنظر : معجم «فولكنر»، صفحة 111، ومعجم «بدج»، صفحة 307). وهذه مجرد أمثلة فقط لما يشتق من الجذر «م ر» متصلاً بالماء في أحواله المختلفة، يفرق بينها (المحدّد) في الكتابة الهيروغليفية، كما يفرق بين مشتقات «م ر» الأخرى ذات المعاني المتباينة.

فإذا كانت «م ري» في اسم مصر «ت. م. م ري» نسبة إلى ما عرفت به واشتهرت من ماء النيل وفيضانه (قارن القائمة المرفقة بمشتقات هذا الجذر) فإن الجذر الثنائي العربي «مر» يؤدي إلى «مور» (وهو الماء الكثير، العباب، الموج) كما يؤدي إلى «مير» وهو الماء كذلك. (راجع حديثنا عن المعبودة «م ري ت» في هذه الدراسة)⁽¹⁶⁾.

والملاحظ أن الجذر الثنائي «م ر» يؤدي إلى جملة معانٍ تليها اشتقاقاتها. فقد ورد في معجم «بدج» : «م ر» ؛ ماء، بحر - ومشتقاتها (صفحة 307) - عربيته : «مور، مير».

«م ر» : حُبٌّ، مَيْلٌ، عطف، حنان (صفحة 309) - عربيته : «رام»، «روم». «م ر» : سيد (صفحة 311 و : قوي 313) - عربيته : «مر» ← «مرء» / «مَرَّرَ» ← مِرَّةً، مراراً. إلخ.

«م ر» : بناء، هرم (صفحة 313) - عربيته : «إرم»، «مر» ← «ميرم». كما ورد : «م ر» : محراث/حرث - مزارع/فلاح. ومشتقات أخرى من هذا القبيل (صفحة 311). وعربية الأخيرة : «مَرٌّ». يقول ابن منظور في (اللسان).

المَرُّ : المعزقة... والمَرُّ : المحراث، أو مقبضها. وقيل : هو من المحراث «مادتا : حفر، وممر». وهذا قد يغرينا بالقول إن «م ري» في اسم مصر (ت. م. م ري) نسبة إلى «مر» أي محراث - خاصة إذا ما لاحظنا صورة المحراث في أول الرموز الهيروغليفية الدالة على هذه التسمية، رغم أن هذا الرمز يأتي في مفردات أخرى مَثَلًا للمقطع «م ر» - ولكن الأصل هو الحرث والمحراث (مر) في المصرية والعربية على حد سواء.

بذا تكون «ت. م. م ري» تعني «أرض الحرث» أو «أرض المحراث» (أرض الزراعة، بلاد

16) نضيف هنا، للمقارنة، الأكادية «أمرانو» amirānu «بحيرة» (Arnolt ; a Con-Dict., p. 61). وفي السبئية : «م ر» mr (قناة ماء). (Biella ; p. 282). وفي النوبية لا تزال مستعملة حتى الآن : «ميري» meri (بركة، مستنقع) / «مرتى» marti (جدول) / «ميري» mere (غدير). (بدر ؛ اللغة النوبية، صفحات 95، 105، 159).

الفلاحة ، أو الفلاحين - باعتبار شهرة وادي النيل بهذا في القديم والحديث) ، - فهي عربياً : « طية مرّ » (وطن المرّ) .

الكنعانية ، من جهتها ، تقدم لنا تصوراً آخر قريباً . فإن كلمة «هـ م ري» فيها تعني : موحل ، طيني ، ذو حمأة . (فريجة ؛ ملاحم وأساطير . . . صفحة 681) . فإذا كانت الهاء فيها للتعريف فهي «(الهـ مري)» (= هـ/مري) أي : الموحل ، الطيني ، الحمأي . وهو ما يطابق وصف مصر واسمها (ك م ت) كما سبق بيانه . أما إذا كانت الهاء من بنية الكلمة فإن المقابل العربي الأقرب هو «خري» بتعاقب الهاء والحاء . وتعرض لنا مادة «خمر» في قاموس العربية مجموعة كبيرة من المشتقات تتعلق باللون الخمري (من الخمر ، أي العنب الأسود المخمر) وبالطين (الخمير والخميرة للبناء . قارن ما ذكرنا عن «خمة» في اللهجة الليبية) - وكلها ينطبق على صفة أرض مصر ، والدلتا خاصة ، ذات الوحل والطين والحمأ والظمي .

ولا ننس السبئية «م رت» m r t ، التي تطابق الحيشية «مريت» marit (واللغتان عروبيتان) وتعني : طين ، تربة طينية (أنظر : . — Biella ; Dict of O.S. Ar. p 285) وهذه هي طبيعة أرض النيل (خاصة الدلتا) التي اشتهرت بطينيتها تمييزاً لها عن تربة الصحراء الرملية .

نزيد على ما سبق ما نلاحظه في الرمز الهيروغليفي لاسم مصر (ت . ع . م ري) حسبما يورده «غاردرن» (Eg. Gr. p. 479) على هذا الشكل :

وتحليل هذه الرموز كما يلي :

1. Ta : أرض / طية .
2. mr : محراث / مر - مفرداً أو مضافاً إليه رمز الراء
3. i : ي (ياء النسبة) .

بهذا تكون الاسم «ت . ع . م ري» كاملاً . ويبقى رمزان زائدان لا يؤديان صوتاً ولكنها محدّدان للأصوات المرموزة . أحدهما أقصى الرموز وهو ويحدد معنى «بلد» أو «مدينة» أو «قرية» ونحوها . وقبله الرمز فما الذي جاء به هنا ؟

يقول الأستاذ «غاردرن» (نفس المرجع السابق) إن هذا الرمز يأتي في الكلمات الدالة على الزمان ، أو بالتحديد الدالة على «دورة» الزمان . نجده في كلمة «ت ر» أو ومعناها : «فصل» ، «موسم» (عربيتها : تارة . طور . دور) . ويكتب كذلك . كما يرد في صيغة «ت ر و» (قلب للعربية «تور» أو جمع «ت ر» بإضافة واو الجماعة) . وعلى هذا فإنه لا بد لوجود هذا الرمز من مبرر يكمن في الدلالة على الزمان ودورته ، أي الفصل أو الموسم .

نحن نعلم ، قطعاً ، أن فيضان النيل كان يأتي إلى مصر مرة كل عام في موسمه المعلوم ، تارة بعد تارة ، ودوراً بعد دور ، وطوراً بعد طور . فكأن الكاتب في الهيروغلفية أراد أن يلفت نظرنا إلى أن «بحر» النيل «م ر» (لاحظ أننا نستطيع مقابله في العربية بكلمات من مثل : مرّ ، ممرّ = مجرى)

يأتي في السنة «تارة» واحدة في موسم يعينه . أي بالتحديد (مرة) واحدة، فكلمة (تارة) هي ذاتها كلمة (مرة) والتلاعب باللفظ بين جدا في الرمز الهيروغليفي كما هو الحال في العربية .

من هنا كان اسم ربة الفيضان «م ري ت» أي التي تأتي كل عام مرة، فهي «المريّة» (نسبة إلى «مرة»). لكننا نستطيع ببساطة أن ننسبها إلى «المّر» بمعنى «المحراث» باعتبار الفيضان والحراث مرتبطين كل الارتباط . كما يمكننا نسبتها إلى «مر» (← مور/مير) أي الماء الغزير الدافق، وإلى «مّر» (جرى/مجري . مّر = مجرى) أي مجرى النيل وممره .

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن «ت ر» المصرية تقابل العربية «تور» (ومنها : تارة = وقت/موسم/فصل) ولكنها أدت كذلك إلى «ت رو» trw بمعنى «جدول» بالضبط كما أدى الجذر الثنائي «تر» في العربية إلى : «ترع»، «أترع» (فاض، أفاض، قارن : كأس مترعة) من جهة وإلى «ترعة» (التي لا تزال مستعملة حتى اليوم في مصر بمعنى جدول صغير من نهر النيل)⁽¹⁷⁾ من جهة ثانية .

وهذا ما يبين عن أن الجذرين الثنائيين «م ر» و«ت ر» متفقان في الدلالة الأصلية وما اشتقت منهما وفي تطور معاني هذه الدلالة والاشتقاقات في اللغتين الشقيقتين سواء بسواء .

أرجو أن يكون القارئ متابعاً لتداعي المعاني المشتقة من الجذر «م ر» (كما هو حال الجذر «ت ر»). ويكاد ألا يخامرني شك في أن الكاتب المصري القديم كان يفكر بالعربية كما نفكر الآن، وكان في ذهنه هذا الارتباط الوثيق ما بين معاني الجذر «م ر» في بداية اسم مصر «ت ع م ري» على صورة محراث (مّر). وختم، ربما للتأكيد، بصورة النبت البارز من رمز حرف التاء⁽¹⁸⁾ الذي يُقرأ «ت ر» ويرادف «م ر» بالضبط (تارة = مرة) حين يأتي وحده أو يقترن برمزي حرف الرء .

(6) «نيلوس» Neilos :

هذا اسم آخر عرفت به مصر قديماً، وهو أصلاً اسم نهرها الكبير «النيل» .

في اليونانية يظهر اسم «نيلوس» Neilos أول مرة عند «هزبود» (Theogony, 338) الذي يمكن تأريخه بالقرن الثامن ق . م . (Waddell ; Manetho, p. 197) . ويبدو أن اليونان أخذوا اسم «نيلوس» (السين في آخر الكلمة زائدة لغوية، والجذر هو : «ن ل» NL) إما من العربية «نهل»، بإسقاط الهاء أو إبدالها ياءً (نهل ← نل ← نيلوس) (Neilos) أو من «نهر» بإسقاط الهاء أيضاً وإبدال الرء لأمأ⁽¹⁹⁾ .

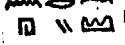
(17) في اللهجة الليبية : الترعة : المنفذ في السور الترابي (الطابية) بين الحقول . قارن المصرية «م ر» mr (مور/ممر) .


(18) صورة رغيف (تا/تاتا) . قارن لغة الطفولة : تاتا= خبز تبرز منه جريدة نخل خالية من السعف إلا سعة واحدة، رمز بداية النبت .

(19) سقطت الهاء في الأكادية كذلك واستعيرت عنها بمد النون فكانت «نار» nāru = نهر . وكانت «نار» Nāru : ربة النهر . وفي اليونانية nero = ماء . ولعل أصلها «نهر» - فكلمة «نهر» العربية تعني ماء البحر ونحوه، وإن خصت الدلالة بمجرى الماء المعروف بحكم التطور .

بالنسبة للجذر «نهل» نجد أنه يفيد الشرب، وقد يخصص بأول الشرب أو الشرب الأول. ومنه اشتقت «المنهل» أي المشرب، أو موضع الشرب، وجمعه «مناهل».

واستعمل مجازياً فقليل : منهل العلم والمعرفة والخير. إلخ. ونلاحظ أن الجذر «نهل» يحتاج إلى ميم المصدرية ليصير «منهل» اسماً لموضع الشرب. ولذا فإننا نرجح أن أصل التسمية في اليونانية يرجع إلى «نهر» التي لا تحتاج إلى ميم المصدرية وإلا صارت «منهر»، وتكفي بذاتها للدلالة على مجرى الماء أو الوادي السائل.

يؤكد هذا المذهب أن الجذر «ن ه ر» nhr معروف في المصرية بنفس دلالاته في العربية⁽²⁰⁾. في النقوش الهيروغليفية تتكرر كلمة «ن ه ر ن» nhrn  ويقول «غاردرن» (Eg. of The Pha-roahs, p. 178) إن هذه الكلمة (السامية) تعني «بلاد النهر» The River-Country وتقابل بلاد «الميتانيين» Mittanians, Mittani - والمقصود بها أقوام كانوا، كما يقال، وراء نهر الفرات⁽²¹⁾. ولكننا نعتقد أنها هي بالضبط بلاد «النهرين» (العراق الآن - والنهران : دجلة والفرات).

يثبت هذا الرأي ورود كلمة «ن ه ري» nhry  ومعناها : «سيد من بلاد النهرين». أو «نبيل النهرين» Noble of Nahrin (معجم «فولكنر»، صفحة 135) - والمقابل العربي : «نهرى» على النسبة.

ومن الواضح أن أهل مصر الأقدمين عرفوا بلاد «النهرين» بنفس تسميتها السارية حتى الآن منذ أيام «تحتمس الثالث». ولكنهم بالطبع لم يطلقوا على أرضهم اسم «بلاد النهر» مثلاً ؛ فإن من العادة أن تأتي تسميات البلدان والشعوب من الآخرين. ولا يستبعد أن يكون العرب في الجزيرة هم الذي أطلقوا اسم «النهر» على أرض مصر (لاحظ أننا الآن نقول : «بلاد الوادي» ونقصد مصر، أو حتى «الوادي» فقط⁽²²⁾). كما نقول «وادي النيل» والمقصود مصر قطعاً) - كما أسماوا العراق «النهرين» (أي بلاد النهرين : دجلة والفرات). فلما جاء اليونان، متأخرين جداً، حرفوا «نهر» إلى «نيلوس(س)». ثم دار الزمان وعادت إلينا الكلمة محرفة لنعرفها بصيغة «نيل»، ويصبح تعبير «وادي النيل» علماً على مصر، وكأننا في الواقع نقول «وادي النهر» أو «وادي الوادي» ؛ فقد صارت «نيل» اسم علم يضاف إلى «وادي» أو «نهر» (نهر النيل = نهر النهر).

(20) من ذلك «ن ه ر. ت» nhr.t التي ترجمها «بدج» (المعجم، صفحة 381) إلى الانكليزية : violence (عنف) ونقابله بالعربية «نهرة» من «نهر، ينهر، نهر» أي دفع بشدة وعنف.

(21) عند «غاردرن» (Eg. of the Ph. P. 194) أنهم سكان الجبال ما وراء النهرين، الجلبليون. (قارن العربية «متن» = ظهر، مرتفع، جبل). وقد قاتلهم «تحتمس الثالث» وكانت للملكهم مراسلات مع «أخناتون» كشفت في (تل العمارنة). وفي هذه الفترة بالذات (الأسرة الثامنة عشرة) كانت صلات مصر الآسيوية أقوى ما تكون.

(22) أذكر هنا مطلع قصيدة أحمد شوقي الشهيرة في رثاء شيخ الشهداء عمر المختار :

ركزوا رفاتك في الرمال لواء. * يستهض الوادي صباح مساء.

والمقصود أن رفات عمر المختار المدفون في رمال ليبيا يستهض وادي النيل ليتحرك ويسند الشعب العربي في مصر أنحاء الشعب العربي في ليبيا إبان محنة الاستعمار الإيطالي.

... والأرض الحمراء

دش ت Tesh-t (Tesh-t) م

دش رت Tesh-t م

ترجم «دش رت» dšrt عادةً بأنها تعني «الأرض الحمراء» The Red Land في مقابل «ك م ت» kmt (الأرض السوداء). وهي تدل على الصحراء الليبية خاصة، مقابلة للدلتا ذات الطمي الأسمر الكميث. وإليها ترجع اللاتينية deserta و desertum والانكليزية desert (الأرض غير الأهلة، غير المزروعة، الخلاء، الجرداء، التي لاماء فيها ولا نبات - كما يعرفها معجم أكسفورد) الاشتقائي. ومنها اشتق الفعل desert (يهجر، يغادر، يخلى، يتخلى عن. وبالنسبة للجيش: يفر. أي يبقى مكانه خالياً، فضاءً، قاعاً صافصفاً).

في المصرية يدل الجذر «دش ر» dšr على الحمرة عموماً بمختلف درجاتها، حتى القانية والمتوهجة منها :

«دش ر» dšr : أحمر.

«دش ر. إب» d šr. ib : هياج، ثورة، غضب (حرفياً : احمرار القلب/اللب).

«دش رو» dšrw : سخط (احمرار).

«دش رو» dšrw : دم (أحمر).

«دش ر» dšr : طائر «الفلمنغو»⁽¹⁾.

ثم نجد :

دش رت «dšrt : التاج الأحمر (تاج الدلتا - مصر السفلى).

دش رت «dšrt : إناء أحمر (مصنوع من الطين الأحمر أو مطلي باللون الأحمر).

دش رت «dšrt : غضبة، سورة غضب (احمرار الوجه من أثر تدفق الدم فيه).

(1) طائر طويل العنق ذوريش يختلط فيه السواد باللون الأحمر الوردي بالقرمزي الأرجواني. واشتقاق اسمه في الانكليزية من flame (لهب) بإلحاق ing (flaming ملتهب/حمر) وإضافة (o) في آخرها (flamingo) أو من البرتغالية flama (يلتهب) + engo. ويعرف في العربية باسم طائر «البشروش» أو «النحام» وكذلك يكنى بـ«أبي لهب». وستعود إلى هذا بعد قليل.

هذه الاشتقاقات، وغيرها، تعود إلى الجذر «د ش ر» - والمعنى الأصلي يفيد «الحمرة». وورود حرف التاء في كلمة «د ش رت» بمعنى «حمراء» مع ورودها في كلمات أخرى يدل على أنها تاء التأنيث ولا تعني «أرض» التي هي «تاء» تحيىء في أول الكلمة المقطعية وليس في آخرها، ولها رمز هيروغليفي مختلف هو . . . ولذا فإن الترجمة الصحيحة لـ «د ش رت» تكون «الحمراء» (الْحُمْرَة - في بعض اللهجات) the red وليس «الأرض الحمراء» the Red Land ؛ إذ أن كلمة land هنا مزيدة عند الكتاب الغربيين لمجرد إيضاح المقصود فقط - وهو نفس الأمر الذي ينطبق على «ك م ت» التي ترجمت «الأرض السوداء» the Black Land وهي في الواقع «السوداء» (السودَة - في بعض اللهجات الحديثة)⁽²⁾ - والأصح : السمرء، أو الدكناء، الكُمَّتة، الكُمَيْت. وهذا، بالطبع من الناحية التحليلية فحسب . . . ولا بأس من زيادة «أرض» أو «بلاد» أو نحوها للإشارة إلى المقصود حتى لا تختلط الدلالات. (لجأ كتاب الهيروغليافية إلى وضع محدّد يعين المقصود من الجذر أو مشتقه إذا اتفقت الألفاظ وتنوعت المعاني).

المهم أن الجذر «د ش ر» في المصرية يعني أحمر - على اختلاف الاشتقاقات. والأهم أن نبين صلته بالعربية أو عروبيته في هذا المقام. وأول جذر عربي يتبادر إلى الذهن هو «شقر»، يتبادل القاف والبدال (ش در) وقلب الكلمة بتأخير الشين وتقديم الدال (د ش ر). فلنأخذ معنى «شقر» في العربية أولاً ثم نتعرض للاببدال والقلب بعد ذلك. ورد في (لسان العرب) :

«الأشقر من الدواب : الأحمر في مغرة، حمرة صافية يحمرُّ منها السبب والمعرفة والناصية، فإن اسودَّ فهو : الكميت (لاحظ صلة «د ش ر» و«ك م ت» في المصرية). الشقرة : لون الأشقر، وهي في الانسان حمرة صافية وبشرته مائلة إلى البياض. بعير أشقر : أي شديد الحمرة. والأشقر من الدم : الذي قد صار علقاً (انعقد). والشقر، بكسر القاف : شقائق النعمان، ويقال : نبت أحمر - واحدها : شقرة. قال طرفة بن العبد :

وتساقى القوم كاساً مرّة * وعلى الخيل دماء كالشقر

. . . والمشاقر من الرمال : ما انقاد وتصوّب في الأرض، وهي أجلد الرمال، الواحدة :

مشقر». إلى آخر ما يورده ابن منظور تحت مادة «شقر».

الشقرة إذن هي الحمرة يخالطها بياض أحياناً كما في وجه الانسان، وهذه حال الرمال. ولم يخطيء عرب مصر الأقدمون حين نعتوا رمال الصحراء بهذا الوصف ؛ فقد أسمى عرب الجزيرة «ما انقاد وتصوّب في الأرض» شقرا وجمعها : مشاقر - «وهي أجلد الرمال». ولا جدال في أن هذه «المشاقر» (الرمال) ترجع إلى الجذر «شقر» الذي قابلناه بالمصرية «د ش ر».

انتهينا من دلالة «شقر» على الحمرة ومن صلتها بالرمال فلنعد لمعالجة الابدال والقلب في الكلمة المصرية «د ش ر» كما يحدث كثيرا في العربية.

(2) قارن : بضاء ← «بيضة» (نتاج الطير). وفي اللهجة الدارجة «صحرة» بدلا من «صحراء». ويقال : صلعة = صلعاء/سمرة = سمرء . . الخ.

السين والشين يتعاقبان ويظل المعنى واحداً، فنقول «شقر» كما نقول «سقر» - والأخيرة هي النار، أو نار جهنم بالتحديد القرآني، أو إحدى طبقاتها حسب التفسيرات المتداولة. وقد وردت في القرآن الكريم :

﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ (القمر/48).
 ﴿سَأَصْلِيهِ سَقَرَ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ﴾. (المدثر/36-37).

ويبدل القاف عيناً فتأتي «سعر» ومنها : «السعير»⁽³⁾ (وصف آخر لجهنم، أو طبقة من طبقاتها، أي النار المتأججة ذات اللهب الأحمر. و«عذاب السعير» الذي تردد مرات عديدة في آيات القرآن الكريم هو عذاب النار في شدة التهابها).

معنى «شقر» و«سقر» و«سعر» واحد إذن، بتعاقب الشين والسين، والقاف والعين. وقد أبدل الحرفان الأخيران في المصرية دالاً (شدر) ثم قلبت الكلمة فكانت «دشر».

لنأخذ مادة «شقر» ونقلب حروفها فتكون «شرق». وفي الكنعانية نرى أن «ش ر ق» تعني «أحمر» (فريجة؛ سلاحم وأساطر. . صفحة 638). والشيء ذاته في العربية :

«شَرِقُ الشيءُ شَرِقاً فهو شَرِيقٌ : اشتدت حمرة بدمٍ أو بحسن لونٍ أحمر. قال الأعشى :

 وتَشْرِقُ بالقول الذي قد أذعته * كما شَرِقَتْ صدر القناة من الدم

ومنه حديث عكرمة : رأيت لسالم عليها ثياب مَشْرِقة، أي محمّرة. يقال : شَرِقَ الشيء إذا اشتدت حمرة، وأشرقته بالصبغ إذا بالغت في حمرة. . . وصريع شَرِيقٌ بدمه : مختضب. وشرق لونه شَرِقاً : احمر من الخجل. والشرقي : صبغ أحمر. واشرورقت : احمرت. . . وشرق النخل وأشرق : لَوْنٌ بحمرة. قال أبو حنيفة : هو ظهور ألوان البُسر. (لسان العرب ؛ مادة «شرق»)⁽⁴⁾.

ونحسب أن في هذا القدر كفاية لمعرفة أن مادة «شرق» (وهي مقلوب «شقر») تدل على الحمرة.

كذلك يفعل مقلوبها الآخر «قشر» (قارن المصرية : د ش ر) ؛ فإن «الأقشر هو الشديد الحمرة. . . ورجل أقشر بين القشر، بالتحريك، أي : شديد الحمرة». وإذا كان ابن منظور يرجع «الأقشر» إلى تقشر البشرة فإن الصلة بين الحمرة والقشر واضحة للغاية عن طريق القلب المعروف في العربية.

(3) قارن «السعر» (= الوحدة الحرارية) ترجمة لكلمة calorie وأصلها اللاتيني calor = حرارة. جذرها - cal (= cl). قارن العربية في مادة «قلا» ومشتقاتها تفيد الحرارة.

(4) من ذلك أيضاً : شروق الشمس. وفي اللهجة الليبية تبدل الشين زايا : «زروق الشمس، والشمس زرقت». وفي هذه اللهجة لون يسمى «الشفراقي» وهو الأحمر الضارب إلى الصفرة الأرجوانية، والكلمة منحوتة من : «شفق» و«شرق» ← «شفرق»/«شفرقي» (= شفرقي).

إلى هنا ولم يبق شك في أن «دش ر» هي ذاتها : شقر، شرق، قشر - بمعنى «أحمر» - وبذا سميت رمال الصحراء، أو الصحراء، ذاتها، «دش رت» (بإضافة تاء التأنيث) - أي : الدشرة، الدشراء = الشقراء / الحمراء - تميزا لها عن «ك م ت»، أرض مصر الوادي أو الدلتا الطينية ذات الحمأ.

وقد نكتفي بهذا القدر. بيد أن طائر «الفلمنغو» السابق الذكر يأبى إلا أن يطل علينا من جديد بألوان ريشه الأرجوانية القرمزية الحمراء. وقد ترجمت الكلمة الوهاجة flamingo إلى العربية بأنها تعني «أبو هب» اتساقاً مع اسمه الأوروبي. والترجمة صحيحة. لكن الأصح منها ما عرفه به العرب الأقدمون ؛ إذ كان «الشرق» تارة، وضعف إلى «الشرقاق» تارة أخرى، فقيل :

«الشرق : طائر. وجمعه : شروق. قال الراجز :

قد أغتذى والصبح ذو بريق
بمليحج أحمر سوذنيق
أجدل أو شرق من الشروق

... والشرقاق : طائر يكون في أرض الحرم في منابت النخيل كقدر الهدهد مرقط بحمرة وخضرة وبياض وسواد». (اللسان، مادة : شرق).

ثم كان «الشُقْرَاق» الذي يأتي في مادة «شقر» وهو ذاته «الشرقاق» (مادة «شرق») ووصفه ما مضى. وبذا ينجلي الأمر تماماً، ويتضح أن اسم هذا الطائر في الحالتين متفق مع اسمه في المصرية «دش ر» لغوياً ومع وصفه في اللغات الأوروبية flamingo من حيث توهج ألوانه التي تغلب عليها الحمرة الأرجوانية.

ولقد ذكرنا من قبل أن طائر «الفلمنغو» يكنى «أبا هب» ويسمى أيضاً : البشروش، والنحام. وفي مادة «نحم» في (اللسان) ورد :

«النحام : طائر أحمر على خِلْقَةِ الاوز، واحدته : نُحامة. وقيل : يقال له بالفارسية : (سرخ أوي)».

وهذه التسمية الفارسية للطائر مكوّنة من كلمتين : «سرخ» ومعناها : أحمر. (وهنا قارن العربية «شرق»⁽⁵⁾ و«أوي» ومعناها : طائر (وفي العربية : «الأوي» : الطير. ليراجع القارئ بحث «الأصول العربية لتسميات رموز الهجاء الهيروغليفي» في هذه الدراسة وينظر ما أوردناه في نقاشنا لأصل حرف الهمزة (هـ)). ومعنى «سرخ أوي» هو : «الطائر الأحمر» - بسبق الصفة للموصوف بحسب اللغة الفارسية. وهذا ما يقابل العربية : «الأوي الشرق» (الطائر الأحمر) بالضبط.

فهل ورد هذا «النحام» في المصرية ؟

(5) الأكاديمية «شرخو» sarhu فسرت بأنها تعنى لامع brilliant (معجم «وير» ص 332) وفي مادة (شرق) العربية معنى اللعان والسطوع وهما من طبيعة اللون الأحمر.

نعم . بل جاء «على خلفة الاوز» - وإن كانت الميم في «نحم» الثلاثي ساقطة بحكم ثنائية الجذور المصرية في أغلب الأحيان . فقد جاء في معجم «بدح» (ص 382) :
 «ن ح»⁽⁶⁾ : نوع من الطيور . a kind of bird . n(e)h

وهناك طائر، لعله كان مقدساً، يسمى «ن ح . و» n h. w r (نحم الوري = نحم العظيم) . وتتردد صورة هذا الطائر (ن ح = نحم) في عدد كبير من المفردات لتؤدي القيمة الصوتية «ن ح» في القلم الهيروغليفي . وهذا ما يبين أصالة التسمية في المصرية «ن ح» الثنائية الجذر التي تطورت في العربية إلى الجذر الثلاثي «ن ح م» ومنه «النحام» وأحدته : نعامة . (قارن المصرية : «ن ع» = n e = العربية : نعام، وأحدته : نعامة) .

فلندع طائر «الشرق» (أو مهما كان اسمه) بلونه المحمر الزاهي ولنمض لمناقشة أحد الذين يريدون إرجاع العربية إلى غيرها من اللغات قديماً وحديثاً، مع أن العكس هو الصحيح . ولنأخذ السيد «أدي شير» مثلاً في كتيبه (معجم الألفاظ الفارسية المعربة) ؛ فقد أتى هذا السيد بكلمة «دشت» وقال :

«الدشت : فارسي محض (كذا!) وهو الصحراء . وهو أيضاً اسم ولاية في خراسان وهي المعروفة بالدشت الأبيض، واسم صحراء بتركستان وهي معروفة بدشت قبجان . . . وهو أيضاً (دشت) بالتركية والكردية» .

ولعل السيد «أدي شير» استند إلى قول ابن منظور في مادة «دشت» في (اللسان) :
 «الدشت : الصحراء . وأنشد أبو عبيدة للأعشى :

قد علمت فارسٌ وحميرُ والأُ * عرابٌ بالدَّشْتِ أَيْكُمْ نَزَلَا

وقال الراجز :

تخذته من نعجات ستَّ * سودٍ نعاجٍ كنعاجِ الدَّشْتِ

(6) نلاحظ «خلفة الاوز» في المحدد للرموز الهيروغليفية . أما ما يؤدي الصوت «ن ح» فهو طائر على صورة الهدمد . في الجبيلية (لهجة عين ازرق) هنا كلمة «تنوحت» و tanuht ويترجمها «مرسير» إلى الفرنسية (بومة/ أم قويق) . أنظر : (Mercier ; *Vocabulaires et textes berbères*, p. 414) .

والتاءان في أول الكلمة وآخرها للتأنيث والأصل nuh (نح) وهو الجذر الثنائي في العربية المؤدى إلى «نوح» > نواح/ نائح = إصدار الصوت/ تصويت - باعتبار الطيور مصوّنة، وبهذا عرفت . (قارن كذلك المضاعف «نحح»/ «تنحح» = أصدر صوتاً من حلقه طرداً للبلغم أو استعداداً للكلام بصوت مسموع) .
 وقد قلبت الحاء في «نحم» > «نحام» فصارت في العربية : «نهام» . وفي (اللسان) أن «النهام طائر شبه الهام، وقيل هو البوم وقيل هو البوم الذكر . قال الطرماح في بومة تصيح :

تببت إذا ما دعاها النهام * تجدُّ وتحسبها مازحة

ولعدي بن زيد :

يؤنس فيها صوت النهام إذا * جاوبها بالعشي قاصبها

وقيل سمي البوم بذلك لأنه ينهم (يصيح) بالليل . والجمع : نُهُم .

قال : وهو فارسي معرّب، أو اتفاق بين لغتين» .

أما وقد تبين ما قدمناه فإن «الدشت»⁽⁷⁾ قطعاً ليست فارسية، إذ هي عربية - مصرية «دشرت»⁽⁸⁾ أسقطت الراء فكانت «دشت». أما أن يكون الأمر «اتفاقاً بين لغتين» فهذا فيه نظر. ولكن لم لا تكون الفارسية هي التي أخذت عن العربية أو العروبية؟ هذا أقرب للمنطق والعقل، لارتباط الصحراء بالعرب، وما أظنهم كانوا منتظرين الأخذ عن الفارسية اسماً لشيء عرفوه وعرفوا به وكان بهم الصق. فهل غريب أن تتحول «د ش رت» (دشرة) إلى «دشت» في الفارسية ثم تعود تظلع لسقوط رابع قوائمه، فتحسب فارسية؟ ومع هذا فقد شكّ ابن منظور في فارسيته إذ هي في العربية أصيلة، فرأى أنها من باب اتفاق لغتين!

إضافة

يأخذنا حديث الاسقاط والزيادة والقلب والابدال إلى ليبيا، وإلى الجزء المعروف من صحرائها باسم «سرت» بالذات. وقد تضاربت الآراء في نشأة هذه التسمية واسم خليج سرت الكبرى (خليج سدره).

يذكر «بروكو بيوس القيصري» Procopius of Caesarea في كتابه (العمائر) أن «خليج سرت» سمي كذلك اشتقاقاً من اللاتينية Surithai (سوريثاي) ومعناها: السحابة، أو الجذابة؛ إذ «تسحب» مياه هذا الخليج السفن العابرة قربه وتوقعها في شرك ضحاضح الماء العسير البحار فيها، فلا تستطيع خروجاً وتجنح ويقضى عليها بالهلاك⁽⁹⁾. وهذا التفسير الذي أورده «بروكوبيوس القيصري» (القرن الخامس الميلادي) يجعلنا ننتبه إلى أن الـ«سوريثاي» اللاتينية تقابل ما نعرفه في اللهجة الليبية اليوم باسم «السريّة» والمعني بها: الأحبولة، الفخ، الشرك - وهي تفيده: السحب والجذب والشد، وما إليها.

نود الإشارة هنا إلى أن «سوريثاي» Surithai اللاتينية (التي قابلناها بها في اللهجة الليبية: سريّة) ترجع إلى الجذر اللاتيني Sura(re) بمعنى: أقفل، أغلق، حصر. ومنها الإيطالية Serrare (أغلق)، Serrature (قفل). (وفي ليبيا تستعمل كلمة «سرتنا» أو «سرتندا» الإيطالية Serrenda) وخصت الباب الدولابي الذي يهبط ليغلق المكان). في الانكليزية هناك Serried (محبوك، محكم الاقفال لا نجوة منه. راجع كذلك: Seur, Sere). وتقدم لنا الفرنسية Serres (مخالب) وSerrure (قفل/غلق) وأيضاً Serré ومشتقاتها وتفيد: الشد، الضغط، الحصر... إلخ.

(7) فليلاحظ القارئ ورود صيغة «دشت» - بسقوط الراء - في المصرية ذاتها كما هو ثابت في أول هذا المقال بالقلم الهيروغليفي.

(8) في لهجة عرب سوريا: الأراضي «الدشر» = البراري، التي لا مالك لها. والفعل «دشر» = ترك، أطلق سراح... و«الداشر» (الدواب الداشرة) المطلقة دون راع (قارن مدلولات الانكليزية desert المأخوذة عن اللاتينية deserte عن المصرية dšrt).

(9) راجع لمزيد من التفاصيل للكاتب: «نصوص ليبية» - الطبعة الثانية، صفحة 179 وما بعدها.

وقد يجعلنا هذا نتوهم أن «سريّنة» في اللهجة الليبية جاءت من اللاتينية، عن طريق الإيطالية. ألا تكفي هذه الشواهد كلها؟

العكس صحيح؛ فإن اللاتينية - وتبعها بقية اللغات الأوروبية - هي الآخذة عن العربية. إرجع إلى الجذر «أسر» في قاموس العربية تجده يعني: الشدّ، الضغط، الحصر. ومنه «السّر» الذي يُشدُّ به، والأسر: الشدّ. والأسير: المشدود. (في اللهجة الليبية: شدّوه = أسروه، قبضوا عليه). ولا نريد الاطالة هنا لجلاء القضية. وبذا تكون «السريّنة» هي «الأسرية» أو «الأسرة» أي الفخ الذي «يأسر» الشيء ويطبق عليه ويحصره ويشده فلا يستطيع الفكاك.

هل تكون تسمية خليج «سرت» راجعة إلى هذا الأصل؟ من الجذر العربي «أسر» ← اللاتينية Surithai ← Sera(re) (= سرت / سريّنة)؟

لكن هذا ينطبق على (مياه) خليج سرت الضحلة، والتفسير الذي قدمه «بروكوبيوس» مبني على ما اشتهرت به هذه المياه من سحب السفن وجذبها حتى تجنح، وحديثها في التاريخ مشهور. والمعروف إطلاق تسمية «صحراء سرت» وليس خليجها الذي يسمى «خليج سدرة». فما الرأي؟

في العربية هناك الجذر «سرر» (ثنائيه: «سرر») ومنه: السّر، والسّرار - وهي متصلة بالأرض والوديان خاصة. كما أن منه «السريّر» المستعملة في ليبيا حتى اليوم بمعنى «الرمل» وتسمى بها مناطق معينة في الصحراء الليبية.

في الأكادية: «صير» séru التي تقابل «صحراء» العربية، ومؤنثها «صيرت» sértu (أنظر: Weir; A lexicon of Acc. Prayers.) وقد نقابلها بـ«سرت» (والأصوب «ص (ح) رت» = صحرة/صحراء). وهذا ممكن.

لكن لم لا تكون «سرت» هي عينها «دش رت» في المصرية بسقوط الدال في أولها (كما سقط الراء في الفارسية «دشت») وإبدال الشين سيناً، وقد رأينا هذا الإبدال كثيراً؟ (دش رت ← ش رت ← س رت = سرت). هذا ما نرجحه، وخاصة أن كلمة «دش رت» المصرية مقصود بها الصحراء الليبية، في مقابل أرض مصر الطينية الحمئة.

وقد ذكرنا، منذ قليل، أن «سرت» تعني الأرض الصحراء في تلك المنطقة، وأما خليج المياه فيسمى «خليج سدرة» (وإن اختلط الأمر على كثيرين فسوّوا بين التسميتين). فلماذا خليج «سدرة»؟ ومن أين جاءت هذه التسمية؟

رأيان نقدمهما في هذا الباب:

أولها أن تكون «سدرة» (أصلها قبل تطور حذف نطق تاء التأنيث: «سدرت») مقلوب «سدر» (دس رت) التي هي - بتعاقب السين والشين: «دش رت». وبذا نعود إلى المصرية التي أطلنا فيها البيان.

وثانيهما يستند إلى الأساطير اليونانية التي تدور أحداثها في ليبيا. وتحدث هذه الأساطير كثيراً

عما يسمى «اللوتس الليبي» العجيب الأثر والذي كان يكثر حول «خليج سدر» ويأكله الليبيون الأقدمون⁽¹⁰⁾، كما أكل منه بحارة سفينة «الأرغو» الأغرقي، وتغنى به الشعراء قديماً، وحديثاً⁽¹¹⁾. وقد اتفق الباحثون على أن هذا «اللوتس» كان ضرباً من شجر «النبق» هو ما نعرفه في العربية باسم «السدر». ونقتطف من ابن منظور ما يقول فيه :

«السدر : شجر النبق، واحدها ؛ سدره وجمعها ؛ سِدْرَات وسِدْرَات وسِدْرَات وسِدْرَات وسِدْرَات وسِدْرَات . . . وهو لوان ؛ فمنه عُبري ومنه ضال . . . قال ذو الرمة :

قطعت إذا تجوفت العواطى * ضروب السدر عُبرياً وضالاً

قال : ونبق الضال صغار. قال : وأجود نبق يعلم بأرض العرب نبق هجر في بقعة واحدة يُسمى للسلطان، هو أشد نبق يُعلم حلاوة وأطيبه رائحة، يفوح فم آكله وثياب ملبسه كما يفوح العطر . . . والسدر الثاني ينبت على الماء وثمره النبق» .

وهذا ما يطابق النبت الذي عرف باسم «اللوتس الليبي» عند اليونان، كان «ينبت على الماء» وهو الذي جُنَّ به بحارة «الأرغو» حين ذاقوا حلاوة طعمه، وتسموا طيب رائحته . . . ذاك النبق الذي كان ينمو على ضفاف خليج «سدر» - نبات «السدر» بذاته .

فهل عرفه اليونان باسم «اللوتس» فقط أم أن لديهم له اسماً آخر؟

لديهم . . . ولكن بصيغة Kedr(os) (وتعني : سدر) أخذتها اللاتينية في صورة Ceder (وتنطق «كيدر» و«سدر»)، دخلت الانكليزية القديمة في شكل Cedre ثم صارت في الانكليزية الحديثة Cedar (و«ترجم» إلى العربية : شجرة الأرز. وهو نفسه : السدر).

فكيف تحولت «سدر» العربية إلى اليونانية Kedr(os) ؟ ذلك ما سمي الابدال، كما تعرف. تماماً كما تحولت «سدر» في العربية نفسها إلى «جدر» (س = ج = ك). وفي هذه المادة يقول ابن منظور :

«أجدر الشجر وجدر إذا خرج ثمره كالحمص (قارن ثمار النبق) . . . والجدر : الحبة من الطلع . . . والجدر : نبت. وقد أجدر المكان (كثر فيه الجدر)» .

وفي اللهجة الليبية (حيث «اللوتس» الشهير هناك «الجداري» - وهو من فصيلة السدر، ربّما هو ما عرفه العرب باسم «السدر الضال» ذي النبق المرّ الطعم تفريقاً له عن «السدر العُبري» ذي النبق الحلو الفواح الرائحة .

فهل يكون «خليج سدر» (وقد يعرف أحياناً فيقال : خليج السدر) سمي كذلك لنمو «السدر» ذي النبق اللذيذ على ضفافه ؟ أسماه اليونان (في لغتهم الشعرية والأسطورية) «لوتس» وعرفوه محرفاً Kedr(os)، دخل اللاتينية Ceder حتى وصل الانكليزية الحديثة Cedar . وهو في العربية «سدر» و«جدر» (= جدارى)؟

(10) أسماهم الأغرقي «اللوتوفاجي» أي «أكلة اللوتس» - Lotophagi .
(11) أنظر للمؤلف كتابه «نصوص ليبية» و«قراءات ليبية» لمزيد من المعلومات والتفصيل .

أم أن «سدر» هي مقلوب «دس رت» التي هي «دش رت» ؟

* * *

والمسائل مرتبط بعضها ببعض بشكل وثيق . ونجد أنفسنا كلما بحثنا مسألة شُدُّدنا إلى أخرى لصيقة بها قريبة منها . . رغم ما يبدو في الظاهر من بعد الشقة . ولا يمكن في كتاب موجه إلى القارئ العام تتبع كل مسألة بتدقيق وتفصيل ، وهو ما يستوجب (خلفية) علمية واسعة لا تتوفر - عادةً - إلا للمتخصصين ، فيتطلب الأمر مقدمات وشروحاً وبسطاً ينوء بها كاهل الكاتب والقارئ . . والطابع أيضاً !

فلنختم هذا الجزء التمهيدي . . وهو (البداية) لما سيأتي بعده من (الغاية) - ما دمنا تعرضنا لأسماء مصر العربية - بأسماء بعض مدنها وقراها التي لا تزال حتى الآن ، وهي التي يقال إنها أسماء «فرعونية» أي : مصرية قديمة . نتخير منها ثلاثة وأربعين اسماً أوردها الدكتور عبد العزيز صالح في كتابه (مصر القديمة وآثارها)⁽¹²⁾ ولم يقدم المقابل العربي إلا في بضعة أسماء ، قال إنها (سامية) أو تشبه (السامية) . وطبيعي ، بعد هذا ، أن يدرك القارئ أن هذه الأسماء ليست إلا نماذج معدودة لا تشمل مدن وادي النيل وقراه كلها . . فإن مثل هذا العمل المحيط بكل الأسماء يحتاج إلى وقت طويل ، وجهد جهيد ، وعناء شديد . فليعذرنا القارئ . . وليقرأ «قراءتنا» العربية لهذه الأسماء . وليلاحظ أننا نقلنا الرسم كما سجله الأستاذ وشرح معناه ، أما تعليقنا فيأتي بعد ذلك مسبقاً بنجمة (*).

(1) أسوان : من أصل قديم يعني «السوق» .

* في المصرية تفيد كلمة «س ون» sw n معنى التجارة (Trade) وكلمة «س ون ت» swnt معنى السعر أو الثمن (price) حسب «فولكنر» (ص 217) . وعند «غاردرنر» (Eg. Gr., p. 589) يترجم «س ون» ومشتقاتها إلى : مقايضة ، سعر ، تجارة . وهذه هي العربية «سوم» - بتعاقب الميم والنون - وتعني : عرض السلعة على البيع ، والسوم هو البيع (لاحظ أن «البيع» يعني «الشراء» أيضاً) وهو ما يحدث في «السوق» .

(2) (كوم) امبو : عن أصل قديم يعني «الذهبية» :

* ذكرت في النصوص القديمة في صورة «نبي» و«نبيت» ، وفي القبطية «أنبو» و«امبو» . في المصرية القديمة : «ن ب» nb تترجم عادة إلى «ذهب» ، ونقرن هنا بين «ذهب» و«هلب» العربيتين في دلالة الاحمرار ، ولعل المصرية «نب» هي ذاتها العربية «هلب» بإبدال اللام نوناً وسقوط الهاء⁽¹³⁾ . وفي العربية يفيد الجذر «نب» > «نبا» معنى الارتفاع الحسي والمعنوي ، وفي «الذهب» دلالة ارتفاع القيمة ، كما أن في «هلب» دلالة ارتفاع ألسنة النار ، فكانت في المصرية «نب» (= رفيع القيمة ،

(12) اطلعت عليه بعد الانتهاء من كتابة هذا الفصل .

(13) قارن ما حدث في الأكادية من إبدال الهاء همزة في : il'bu, la'bu, la'abu بمعنى «هلب» (معجم «وير» ، ص 176) .

مرتفع⁽¹⁴⁾. وفي الكنعانية تفيد «ن ب» الصفاء والنقاء، كما هو حال الذهب.

(3) إسنا : من أصل قديم قدي يعني «أرض العبور».

* تسمى أيضاً في النصوص القديمة : «تاسني»، «سني».

المصرية : «تأ» ta = أرض. العربية : طية . .

المصرية : «سني» sni = عبور. العربية : سن > سنن :

(السنة : السيرة، الطريقة. السنن : الطريق. ويقال : سنن الطريق = عبرها. وتسُنُّ

الرجل : مَضَى في عَدْوِهِ. المسنن : الطريق الذي يُسلك. السنُّ : السير الشديد . . إلخ).

(4) أرمنت : بمعنى : «مدينة (المعبود) منتو».

* الأصل : «إون» - منت = مدينة منت.

المصرية : «إون» iwn (مدينة). العربية : إون > إوان (إيوان) = عمد، بنيان = مدينة.

(لاحظ أن «أور» في العروبيات تعني «مدينة». قارن : أور - شلم = أورشليم = مدينة (المعبود)

شلم/سلم. ولعل خلطاً مقبولاً بين «إون» و«أور» وقع حديثاً فتحوّلت «إون - منت» إلى «أور -

منت» حتى صارت «أرمنت»، والمعنى واحد.

(5) دندرة : عن الأصل القديم «تانترة» بمعنى (أرض المعبودة حتحور).

* «تانترة» في معجم المصرية هي : «تأ - نثرت» Ta-n irt (حرفياً : أرض الربة، أو بلد

الإلهة).

المصرية : «تأ» Ta : أرض. العربية : طية، طاءة، طاة.

المصرية : «نثرت» n irt (مؤنث «نثر») : ربة. العربية : ناطرة، ناظرة. (راجع مادة

«ن ث ر» في هذه الدراسة).

(6) بربا : عن أصل قديم يعني «المعبد».

* في المصرية : «ب ب» pr = مبنى، بيت. وفي اللغات العروبية الأخرى يفيد الجذر «ب ر»

نفس المعنى. وتقلب الراء نوناً في العربية الحجازية فتكون «بن» ومنها : بني، يبني، بناء، مبنى،

بنيّة (الكعبة تسمى : بنية إبراهيم، أو البنية) ولنا أن نقارن هنا - للتسهيل - العربية : «الباري» =

الخالق، أي «الباني» (في البابلية : «ب ن» = ولد، خلق. قارن العربية : ابن/بن = ولد).

وفي المصرية «بأ» ba = روح. والأصل في التسمية «بأ» : الطير، شبهت به الروح أو حسب

أن الروح تتقمصه (قارن العربية «روح» من «ريح» لختها). وفي العربية : «بأى» = ارتفع،

صعد، في الجو = طار.

(14) في العربية يفيد الجذر الثنائي «ن ب» دلالة الارتفاع والعلو، حساً ومعنى، ومنه الثلاثي : نبأ، نبب (رباعيه :

ننّب، نبّت، نبر، نبع . . إلخ. كذلك الأمر في الثنائي «ل ب» > لبلب > لبلاب . .

اسم «بربا» إذن أصله الأول في المصرية «ب ر + با» pr+ba (حرفياً : بيت الروح) أي : المعبد. وقد جمع الاخباريون العرب المسلمون «بربا» على «برابي» وعنوا بها معابد مصر القديمة وطلاسم رموزها الهيروغليفية.

(7) قاو (الكبير) : عن أصل قديم يعني «الجبل العالي» وذكرتها النصوص القبطية باسم «قو».

* في المصرية : «ق أ» qa تفيد الارتفاع (راجع الحديث عن حرف القاف في مبحث الأصول العربية لأسماء الرموز الهيروغليفية في هذه الدراسة) والنسبة إليها «ق أي» qai ، وهي صفة كذلك، والعلمية «ق أ و» qaw . وقد نقابلها هنا بالجذر الثنائي العربي «قع» بتعاقب الهمزة والعين، ويثلت إلى «فعل» ومنه : القاعلة = الجبل الطويل، وإلى «قعم» ومنه : الأقمع = مرتفع الأنف، كالجبل.

(8) جرجا : ربما بمعنى المنشية أو المؤسسة أو العزبة. وعرفت باسم «برججا» في النصوص القديمة.

* لعل الأصل هو «پ ر. ذد» pr-dd ، ويعني «بيت الثبت» أي الحظيرة، أو مثبت الحيوان. والاسم بذا مكون من كلمتين :

1 - «پ ر» - بيت. وقد سبق بيانها.

2 - «دد» : ثبت، ثابت، ثبات. عربيتها : «ذود» ومنها : «المدود» = ثبت الدابة.

«پر - ذد» = بيت المدود، أي : الحظيرة = المنشية، المؤسسة، العزبة.

(9) حتنوب : بمعنى «دار الذهب» أو «قصر الذهب».

* المصرية «ح ت» ht = دار، قصر، بيت. العربية : «حيط».

المصرية : «نب» = ذهب. العربية : «نب»/«لهب».

«حت + نب» = حتنوب.

(10) الأشمونين : عن «خون» أو «شمون» بمعنى : (بلد) الثمانية - مع إضافة أداة التعريف وتشنيها للدلالة على جانبيها.

* المصرية «خ م ن» hmn (وفي القبطية «شمن») هي العربية : «ثمن» ثمان/ ثمانية - بتعاقب الثاء والشين والحاء.

(11) مير : عن كلمة «مير» في النصوص القبطية بمعنى : الشاطيء أو الجرف أو الجسر.

* في معجم المصرية القديمة : «م ري ت» mryt = ضفة النهر، شاطيء.

«م ر و» mrw = صحراء.

«م ر ر ت» mrrt = طريق.

وفي العربية : المرير : الأرض لا شيء فيها (الصحراء). مادة «مر».

المروارة : القفر، واسم أرض بعينها . (مادة «مرا»)
الممر : الطريق (مادة «مر»)
وفي اللهجة الجبيلية (شمال أفريقيا) : «تامرت» (ت + مرت) = أرض، بلاد.

(12) هور : عن أصل قديم يعني «الصقر الكبير» أو «الوجه الكبير» (حور).

* «ح ر» hr المصرية (صقر) هي العربية «حُرُّ» = صقر.
«ح ر» hr المصرية (وجه) في العربية مادة «حرر» : حُرُّ الوجه = أعلاه .
«ور» wr المصرية (كبير) في العربية «وري» = كبير.
المصرية «حر.ور» hr.wr = «الحر الوري» بمعنى «الصقر الكبير» أو «الوجه الكبير» - سيان .
(13) تونة : عن أصل قديم يعني «أرض الأرنبة» .

* المقصود «أرض الأرنب» (الحيوان المعروف) لأن «الأرنبة» في العربية طرف الأنف، أما الأرنب (الحيوان) فتطلق على الذكر والأنثى .
في المصرية : «تأ - ون.ت» Ta-wn.t = أرض الأرنب . عربيتها : «تأ» : طية، طاة = أرض .

«ون» : في مادة «أون» العربية : الأوان = السلاحف . وثمة علاقة وثيقة بين «الأرنب» والسلفاة . (راجع مادة «ون» في هذه الدراسة للتفصيل والتحليل).
«ت» : تاء التأنيث، كما في العربية .

(14) المنيا : عن أصل قديم قد يدل على المرعى أو الأرض أو المرسى
* العربية : الميناة = المرسى . ويقال : المينا (دون همزة في آخرها) كذلك .

(15) طحنا : عن الأصل القديم «تادهنة» بمعنى : الجبهة .

المصرية : «تأ» = أرض، بلد، العربية : طية .
المصرية : «دهنت» dhnt = جبهة . العربية : مادة «دهن» تعني الملاسة والخلو من الشعر، شأن الجبهة، كما أن مادة «ذهن» تؤدي إلى «الدُّهن» المعتقد أنه موجود في مقدمة الرأس (الجبهة) .
وقارن : الدَّهان = الأديم الأحمر الأملس (كالجبهة)، وكذلك : الدهناء = الفلاة، واسم مكان بعينه . وإلتاء في آخر «دهنت» المصرية للتأنيث .

(16) إهناسيا : عن الأصل القديم «حون نيسو» بمعنى : (مدينة) أبناء الملك، أو «حوت ن نيسو» بمعنى : (قصر) ابن الملك .

* اسمها القديم «ن نيسو» ثم أضيفت إليها كلمة «حوت» بمعنى قصر فأصبحت «حوت ن نيسو» . فلنأخذها واحدة بعد أخرى .

1 - في المصرية القديمة «ن ن . ن س و» nn.nsw تعني «ابن الملك» أي الأمير أو ولي

العهد، ويكتبها «غاردرنر» (Eg. Gr., p. 443) nni-n s w وهي عنده : إهناسيا المدينة، هيراكليوليس في اليونانية، بلدة في الصعيد (ص 574). أما «نن» أو «نني» بمعنى : ابن، ولد، طفل - فهي لا تزال في اللهجة المصرية «نونو» والمعنى البعيد : الضعف والعجز، شأن الطفل . عربيتها : «وني»، «أني» = ضعف وتعب وعجز. وأما «نسو» فلقب ملكي استخدمه ملوك الصعيد ربما حتى قبل توحيد القطرين، في مقابل اللقب الملكي «بتي» للملك الدلتا، ثم أدمج اللقبان في صيغة «بتي - نسو» أي ملك الشمال والجنوب، الدلتا والصعيد، بعد توحيد الوادي في مملكة واحدة، وهو يقابل اللقب العروبي الشهير «نشأ» بمعنى «ملك» ومعناه الأصلي : الرفيع، العالي (راجع مقالة : «بحثاً عن فرعون العربي» في هذه الدراسة).

المصرية «نن نسو» إذن هي في العربية «وني»، أو : أنيُ النشأ = ابن الملك .

2 - والقراءة «حن . نسو» (حون نيسو) قد تعني أيضاً «ابن الملك». عربيتها : «حون» = العربية : «حول» - ومنها «المحول» أي : الصغير⁽¹⁶⁾ + «نسو» (نشأ) = «حولي النشأ» (ابن الملك، أو طفله أو صغيره).

3 - «حوت . نن . نسو» قصر ابن الملك .

المصرية «ح و ت» hwt بمعنى «قصر» هي العربية «حوط» > «حائط» = مبنى، قصر. فتكون التسمية في العربية «حوط وني النشأ» مقابلة للمصرية «حوت . نن . نسو».

(17) اللاهون : عن أصل قديم يعني : فم البحيرة. واسمها القديم «راحنة» أو «راحنو».

* الاسم مكون من مقطعين :

1 - «رأ» ra . وتعني «فم»، ولكن من معانيها أيضاً : تكلم، تحدث، لغا. عربيتها : «روى» > رواية، راو (متحدث)، وأداة الحديث : الفم = «راو».

2 - «حنت» أو «حنو». في المصرية تترجم «ح ن ت» hnt إلى بحيرة مستنقعية swampy lake (عند فولكنر، وغاردنر) لكن في الجذر الثنائي «ح ن» معنى الانعطاف والالتواء، والانحناء كذلك. ويقول الدكتور عبد العزيز صالح (نفس المصدر، ص 37) إن «هذه المنطقة شهدت أقدم مشروع

(15) أورد الترمذي في كتابه (السلوك في معرفة دول الملوك) كلمة «الناس» بمعنى رؤساء الفئات التي جاءت لنجدة السلطان، وعلق محقق الكتاب (د. محمد مصطفى زيادة) بأن استعمال كلمة «الناس» بمعنى الرؤساء أو الزعماء أو الأمراء كان شائعاً في مصطلح مؤرخي عصر المماليك، ويوضح ذلك وجود فرقة من فرق الجيش في ذلك العصر كانت تسمى «أولاد الناس» (أي : الأمراء) وضمت أمراء المماليك فقط. ويعلق د. البدرأوي زهران (في علم اللغة التاريخي، ص 176) بأن في اللهجة المصرية المعاصرة يقال : ابن ناس، بنت ناس، أولاد ناس، والمقصود أن المتحدث عنه ذو أصالة ونسب. ونضيف أنه يقال أيضاً : «دا أمير. دا ابن ناس». وفي اللهجة الليبية : يا ولد الناس، يا بنت الناس - خطاب في مجال الاحترام، أي : يا سيد، يا سيدة.

نرى أن «ناس» هي ذاتها المصرية القديمة «نسو» nsw، والعربية القديمة (بابلية «ناشو» - سبأية : نشأ).

(16) من غير أن يُجَدَّ بحول، أي الطفل، كما جاء في شعر امرئ القيس :

فألهيتها عن ذي تائم محول

معروف لتخزين جانب من مياه الفيضان في منخفض الفيوم» - ومعنى هذا تحويل جانب من مياه نهر النيل عن مجراه الطبيعي لتخزين المياه، أي عملية «حني» لمجرى جزء من ماء النيل.

في العربية مادة «حنن» (ثلاثي «حن») :

«المحنية من الوادي : منحرجه حيث يعطف، وهي المحنوة والمحنة قال :

سقى كل محنة من الغرب والملا * وجيد به منها المرَب المحلل

وهو من ذلك . والمحنية (دون تشديد الياء) : منحني الوادي حيث ينعرج منخفضاً عن

السند . (اللسان).

وهذا بالضبط هو وضع خزان بحيرة الفيوم، أو منخفض الفيوم .

(18) الفيوم : بمعنى «اليم» أو «البحيرة» (بايم، أو : بايوم - في النصوص المتأخرة، ثم فيوم في

النصوص القبطية، وأخيراً الفيوم بعد إضافة أداة التعريف العربية إليها).

* يا pa في المصرية القديمة هي أداة التعريف. أنظرها في مبحث قواعد المصرية من هذه

الدراسة.

«ي م» = y m = بحر. وهي في العربية «يم» .

«يا - يم» = «اليم» أي : «البحر» أو «البحيرة» .

(19) ديمته : عن كلمة مصرية تعني «المدينة» أو عن كلمة إغريقية تعني «الحي» (?).

* الجذر «دم» dm في المصرية يفيد السكن، ومنه «دم ي» d m i = بلدة، مدينة، حي

سكني، وكذلك «دم ي و» d m i w = مواطنون، ناس، شعب. وهي في اليونانية - demo (شعب،

ناس) وفي اللاتينية - domu تؤدي معان السكن والمواطنة والبلدية والمدينة . . . إلخ .

الأرجح لدينا أن المكافئ العربي هو الجذر الثنائي «دم» ومنه : «دوم» > دوأم، يدوم، إما

بمعنى «دار، يدور» (قارن : دار = سكن، بلد) والملاحظ وجود ارتباط الدوران بـ «الحائط»

(حوط) و«الدار»، أو : «دوم» > دام، يدوم - بمعنى : يبقى، يلبث، يمكث، يظل، شأن أهل

المدينة (قارن في العربية : مدينة > مدن = سكن، ارتبط بالأرض، بلد < بلدًا، قرية < قرًا -

وفيها كلها معنى «الدوام»).

فأسم «ديمة» إذن هو في المصرية القديمة «دم م. ت» مؤنثة، عربيتها : «الدائمة». ولا بأس

من هنا من المقارنة باسم «دمياط» (دم ي ت) على النسبة بالياء إلى «دم» وبتاء التأنيث في آخرها.

(20) السنطة : نسبة إلى شجرة «السنط» أو نسبة إلى الكلمة المصرية «ستتة» بمعنى : مشروع .

* في المصرية القديمة : «ش ن د ت» s n d t تترجم إلى : شجرة أكاسيا النيل، ويقربها

«غاردرن» و«فولكنر» بالعربية «سنط». وجاء في مادة «سنط» في (اللسان) :

«والسنط : قرظ ينبت في الصعيد (بمصر) وهو حطبهم، وهو أجود حطب استوقد به الناس،

يزعمون أنه أكثره ناراً وأقله رماداً. حكاها أبو حنيفة، وقال: «أخبرني بذلك الخبير. قال: ويدبغون به، وهو اسم أعجمي».

عذر أبي حنيفة أنه لم يكن يعرف أن المصرية لغة عروبية، كالعربية، فهي ليست أعجمية قطعاً.

أما أن تكون «السنتة» نسبة إلى الكلمة المصرية «ستة» (مشروع) فإن في معجم هذه اللغة: «سن ن ت»: خطة، رسم تخطيطي، أساس، تأسيس، أي: «مشروع» (غاردر، Eg. Gr. p. 591) وهذه هي العربية «سنة» (سنّ = فتح، شرع، أسس، خطط... إلخ).

(21) **ميدوم**: = «مرتوم»، وقد تكون لها صلة بالمعبود «أتوم» الذي نسب إليه المصريون خلق العالم.

* لعل الأصل المصري مكون من مقطعين:

1 - «م ر mr»: أرض (عربيته في الجذر «مرر») أو مجرى ماء، أو طريق = «ممر».

2 - «توم (أتوم)». أصله «إتم» itm بمعنى «الكامل» - عربيته: تام/ التام.

(22) **اطفيح**: عن أصل قديم يصف معبودتها «حتحور» بأنها «رأس البهم»، وكتبت «تب إيحو».

* في المصرية «ت پ. إ ح و» tp. ihw تعني حرفياً: رأس (أو رئيس) الأبقار. وكانت المعبودة «حت. حر» (حتحور) تصور على هيئة بقرة.

التحليل:

1 - «تب»: رأس/ رئيس. العربية: مادة «تَب» : الثابُّ الرئيس.

2 - «إحو»: بقر. أصلها في المصرية «إ أ ح و» ia h w ، والهمزة إبدال من الراء والحاء إبدال من الخاء في المكافئ العربي «إرخ».

«والأرخ والإرخ والأرخي: البقر... والأرخ: الأثنى من البقر البكر» إلى آخر ما ورد في (اللسان) تحت مادة «أرخ».

(23) **منف**: عن عبارة «من نفر»، وهي عبارة قديمة أطلقت على «ببي مري رع» أكبر فراعنة الأسرة السادسة تصفه بأنه (خالد خير) وتصف هرمه بأنه (دام جميلاً) ثم أطلقت على عاصمة الحكم في الدولة القديمة وحلت محل «إنب حج».

* في المصرية القديمة: «م ن. ن ف ر» mn. nfr:

1 - «م ن» = خالد، باق، دائم، ثابت. عربيته في الجذر الثلاثي «منن» وتفيد القوة والثبات.

2 - «ن ف ر» = خير، جميل، طيب، لطيف. (راجع هذه المادة في الجزء الثاني من هذه الدراسة).

(24) سقارة : نسبة إلى المعبود «سكر» .

* كان «سكر» (أو «سقر») معبوداً يسكن تحت الأرض وأصبح راعياً لمن يسكنون تحتها في منطقته وهم الموتى في مداخل «سقارة» . والمرجح أن الاسم مكون من :
1 - «س» للتعدية .

2 - «ق ر» = سكن ، هدأ ، مات . أي : «استقر» . جذرها في العربية : «قرر» .
(لكن راجع هذه المادة في الجزء الثاني من هذه الدراسة للتحليل) .

(25) ميت رهينة : بمعنى «طريق الكباش» ويبدو أنه كان يخترق مدينة منف أو يؤدي إليها . وقد شاعت كلمة «ميت» بهذا المعنى (الطريق) في أسماء مدن مصرية كثيرة .

* لم أشر على ما يقارب «رهينة» (رهنت ؟) في ما بين يدي من المعاجم بمعنى «الكباش» .
أما «مت» بمعنى «طريق» فهي ثنائي العربية «متن» = طريق .
وفي مادة «متا» :

متوت في الأرض ، كمتوت ، ومتوت الحبل متوأ ومتيته : مددته .
وهذا ما يشبه الطريق الممتدة .

وفي مادة «متت» (ثلاثي «مت») :

المائة : الوسيلة (= السبيل ، الطريق) .

مَتَّ في السير ، كمدَّ (أسرع في قطع الطريق) .

(26) بابلون : عن أصل قديم قد يعني «دار حبعي الأوني» - أي إله الفيضان المنسوب إلى مدينة «أونو» (إون) وهي عين شمس الحالية أو قريها .

* الأصل المصري القديم هو : «پ ر . ح ع ب ي . ن . ون» p. r. ḥ. e. p. y. n. w. n . تطور إلى p. ḥ. p. u. i. o. n ثم صار في اليونانية «بابلون» Babylon .
التحليل :

«پ ر» : بيت ، معبد . في العروبيات : «بر» . في العربية : «بن» > «بني» .

«ح ع ب ي» : إله الفيضان . عربيته : «حفي» .

«ن» : أداة الاضافة . لا تزال في الجبيلية لهجة شمال افريقيا وفي العربية «ل» .

«ون» : مدينة «إون» (عين/عون شمس) .

حرفياً : بُني حفيّ أون > «بابلون» .

(27) بولاقي : ربما بمعنى «الجزيرة الأخيرة» .

* يذكر «بدج» في معجمه (An Eg. Hier. Dict., p. 951) تسمية لجزيرة فيلة جنوب الشلال الأول تكتب «ي أرك» yark وتعرف بأداة التعريف في المصرية فتكون pyark ، وهو يقارنها بالقبطية «بلاك» pilak والعربية ، كما يكتبها ، «بلاق» . وكون هذا الموقع عند الشلال الأول ، وموقع

«بولاق» المعروفة - وهي حي من أحياء القاهرة الآن - عند بحيرة أو مجتمع ماء غزير، يذكّرنا بما في العربية تحت مادة «بلثق» التي ورد عنها في (اللسان) :

«البلاثق : الماء الكثير، وقيل : البلاثق المياه المستنقعات، وعين بلاثق : كثيرة الماء .
والبلاثق : الآبار الميّهة الغزيرة» .

وقد يبدو أن الثاء المثلثة سقطت من «بلثق» فكانت «بلق»، ومنها : بلاق ← بولاق . أو أن الثاء مزيدة في العربية والأصل هو «بلق» .

(28) تكرور : ربما بمعنى «الضفدع» .

* في المصرية «ق ر ر» = ضفدع (غاردرنر : Eg. Gr., p. 475) . وفي العربية، مادة (قر) :
القُرّة : الضفدعة .

وقد قلبت القاف كافاً فكانت «كرر» ومنها : «تكرور» - والتاء في أولها إما للتأنيث - وهي في بعض مراحل اللغة المصرية تأتي سابقة كما هو الحال في لهجة شمال افريقيا الجبيلية الآن - أو أنها أصلاً كانت «تأ» ta بمعنى : أرض، بلد (عربيتها : طية، طاعة، طأة) .




(29) شبراهنت : بمعنى : المزرعة (?) الغربية :

* لم أشر على ما يقارب كلمة «شبرا» بمعنى : مزرعة في ما بين يدي من مراجع . وقد وضع الدكتور عبيد العزيز صالح نفسه علامة الاستفهام لشكّه في الترجمة . أما «منت» بمعنى : الغربية - فهي العربية : «يمنة» ؛ لأن الغرب عند المصريين القدماء كان يعبر عنه بـ«الجهة اليمنى» .

(30) شبراخيت : بمعنى : المزرعة (?) الشمالية (البحرية)

* «خيت» في المصرية القديمة هي «إخت» it أو تتعاقب الخاء والشين فنجدها «إشت» išt والأصل هو «ش ت» št بمعنى : ماء . العربية : شتي > شتاء، شتوة = مطر، ماء، وذلك لأن الدلتا كانت تغرقها مياه النيل، كما كان المطر ينزل في الشمال أكثر منه في الجنوب، وللصلة بالبحر الكبير (البحر الأبيض المتوسط) . قارن التعبير عن الشمالية بكلمة «البحرية» نسبة إلى البحر .

(31) شبراريس : بمعنى : المزرعة (?) الجنوبية (القبلية) .

* ربطنا في (قصة الخلق المصرية) ما بين «رس» rs بمعنى «الجنوب» وما ورد في التراث الإسلامي عن «أصحاب الرّسّ» . ونبحث هنا نشأة اللفظ ؛ إذ يذكر «غاردرنر» (Eg. Gr., p. 482) أن الرمز الهيروغليفي  (وهو عبارة عن النبات المسمى (swt)  نام من صورة فم (r)  يقرأ في (نصوص الأهرام) : rswt بمعنى «الجنوب»، وصار في المصرية الوسطى يقرأ : rsy بمعنى «الجنوب» كذلك .

الأصل البعيد - على هذا الأساس - مكون من مقطعين :

1 - «ر» (r) : وتعني هنا «ل» (لام الاضافة في العربية، أو لام النسبة، بمعنى : المنتمي إلى).

2 - «س وت» (s w t) : «جنوب».

وحسب قانون التطور أدمجت الراء التي لم تكن في بنية الكلمة الأساسية وصارت جزءاً منها (r s w t) وأسقطت الواو والتاء في المصرية الوسيطة (ربما حسبان الأولى وأواً للجمع والثانية تاءً للتأنيث) ونطقت (s) سينا صريحة (s) فكانت «رس» (r s) ونسب إليها «رسي» r s y وفي العَلَمِيَّة (رسو) r s w بمعنى : «جنوبي»، «جنوب».

ويبدو أن دلالتى r s w و s w t تداخلت إذ نجد عند «غاردنر» :

r s w : الريح الجنوبية.

s w t : نسمة.

وعند «فولكنر» :

r s w : ريح الجنوب.

s w t : قوة الريح.

لكن الأصل هو s w t - كما سبق. وهو ما نجده في الأكادية : šūtu = الريح الجنوبية، أوريش الجنوب (Weir ; p. 356) ويرجعها «وير» إلى الجذر (š u) وهو ما يقابل العربية «شوي» إشارة إلى حرارة ريح الجنوب الشاوية.

(32) **منوف** : ربما عن عبارة «مانوفة» بمعنى : المقام الجميل.

* في المصرية القديمة : «م ن . ن ف ر» m n . n f r = المقام / المقر الجميل . وهي هنا تماثل تماماً نشأة اسم «منف» (أو كما نعرفها عن اليونانية : ممفيس) التي سبق بيان معناها.

(33) **صفت** : نسبة إلى كلمة «سبتي» بمعنى : سور. أو نسبة إلى معبود يُسمى «سويد».

* في المصرية : «س ب ت ي» s b t y = سور، حاجز، سياج (معجم فولكنر، ص 221).

وفي الأكادية : «صباتو» šabātu (معجم «وير») وكذلك : s abtum, š abitum, š abatum (معجم «رايمشنايدر») تفيد الحجز والاحاطة والتسوير.

العربية : ضبط. وتقلب الضاد زائياً (زبط).

هذا بحسب تفسير المصرية «سبتي» بمعنى : سور. أما نسبتها إلى المعبود «سويد» (الأصل «س ب د» s p d) فإن التسمية تفيد أصلاً : المشع، اللامع، الساطع، الحاد، الثاقب. عربيتها : «سفيد».

(34) **سبك** : نسبة إلى معبود يسمى «سوبك» رمز أصحابه إليه هيئة التمساح.

* المصرية «س ب ك» s b k (تمساح) قد تقابل العربية «سبك» - بتعاقب الباء والميم.

(راجع مادة «س ب ك» في الجزء الثاني من هذه الدراسة).

(35) **بوابسة** : (أو : تل بسطة) - عن الأصل القديم «بوابسة»، وكانت «باسة» معبودة رمز إليها أصحابها بهيئة القطة، ونسبوا اسمها إلى مدينتهم ثم عادوا وأطلقوا هذا الاسم الأخير على المدينة.

* الاسم مكون من مقطعين :

1 - «بو» : أدلة التعريف في المصرية «بأ» pa .

2 - «باسطة/ بسطة». في المصرية «ب س ت» Bst = قطة . عربيتها : «بسة» مؤنث «بس» = سنور، هر (قط).

(36) **أبوصير** : عن الأصل القديم «پرأوزير» أو «بو أوزير» : بمعنى : دار المعبود أوزير (أوزيريس).

* المصرية : «پ ر» pr = بيت / معبد . سبق بيانها .


وانظر تحليل أسم «إزر» (أوزير، أوزيريس) في الجزء الثاني من هذه الدراسة، ومعناه : القوي . عربيته : «أزر» .

(37) **بهبيت** : عن الأصل القديم «برحبت» بمعنى : دار العيد .

* المصرية : «پ ر» pr : بيت ، دار . سبق شرحها .

أما «ح ب ت» h b t فهي مؤنث «ح ب» hb بمعنى : احتفال، مهرجان، عيد (غاردر Eg. Gr., p. 580

التحليل :

نلاحظ في الرموز الهيروغليفية لكلمة «ح ب»  وجود محدد عبارة عن قدح يرى «غاردر» أنه وضع دلالة على خصائص التطهير في الأعياد، التي هي في الغالب مناسبات دينية (ص 527). وهذا ما يقودنا إلى الجذر «حب» في العربية، وفيه : الحُب ؛ الجرة أو الخابية = القدح . وبذا تكافأ «پر . حبت» بالعربية : «بني الحبة» = دار القدح، والقدح يدل على العيد والاحتفال .

(38) **بلامون** : عن أصل قديم يعني : «جزيرة أمون» .

* في المصرية : «پ أ . إو . ن . إم ن» pa-iw-n-imn .

التحليل :

1 - «پ أ» : أداة التعريف . (أنظر : قواعد اللغة المصرية في هذه الدراسة / الجزء الثالث).

2 - «إو» : جزيرة . العربية :

أ . «أوا» > أوى > مأوى : المكان الذي يؤوى (يلجأ إليه) في البحر .

ب . «أيا» > تأيا = توقف ومكث، شأن الجزيرة التي يتوقف فيها ويمكث المسافر بحراً .

ومن «أيا» : آية (= وأصلها : أويّة، والنسبة إليها : أوي) = علامة، شيء بارز، كالجزيرة وسط الماء.

3 - «ن» : للاضافة = العربية «ل»

4 - «إم ن» : المعبود الشهير بمعنى «الخفي» - عربيتها : «أمن» (راجع هذه المادة في الجزء الثاني من هذه الدراسة).

(39) **هواره** : عن الأصل القديم «حت وعرة».

* قدمنا تحليل الاسم عند حديثنا عن الهكسوس وهواره فيما سبق . غير أن الدكتور صالح يقول إن «حت وعرة» تسمية يصعب تفسيرها بتفسير محدد، فهي قد تعني : (1) قصر الربوة، أو (2) حصن الناحية، أو (3) دار الساق . ويضيف أن الاغريق عبروا عنها باسم «أفارس» وكانت عاصمة للهكسوس وربما للرعامسة أيضاً .

والواقع أن هذه التفسيرات المختلفة ظهرت على أيدي علماء المصريين من الأجانب الذين لا يحيطون بالعربية ولا يرومون إظهار الصلة الواضحة بين أهل هواره من «الهكسوس» واسم البلد العربي . ومهما يكن الأمر فلننظر حتى في هذه التفسيرات .

1 - «حت . وعرت» بمعنى : «قصر الربوة» .

«ح ت» : عربيتها : حوط/ حيط > حائط = قصر .

«وع ر ت» : ربوة . عربيتها : وعر > وعرة . «الوعر : المكان الصلب، والجبل» (لسان العرب) = ربوة .

المصرية : «حت . وعرت» = العربية : «حيط (ال)وعرة»، أو : «حيط وعرة» .

2 - «حت . وعرت» بمعنى : «حصن الناحية» .

«ح ت» : حيط = حصن .

«وع ر ت» : ناحية (؟) .

لكن ورد في مادة «وعر» في (اللسان) أن «وَعْرَةٌ» : موضع، وكذلك : «الأوعار» .

3 - «حت . وعرت» بمعنى : «دار الساق» .

«ح ت» : حيط، حائط = دار .

«وع ر ت» : الساق - يذهب «كوهن» (M. Cohen ; Essai Comp. n° 67) إلى أن المقصود

هو أصل الفخذ وليس «الساق»، وأن «وع ر ت» ليست إلا مقلوب «ع ورت» (العربية : عورة) .

(40) **صا (الحجر)** : عن الأصل القديم «ساو» .

* كانت مسقط رأس فراعنة الأسرة السادسة والعشرين (وهي أسرة لبيتية الأرومة) فنسبت الأسرة إليها وسميت اصطلاحاً باسم (الأسرة الصاوية) . وعرفت عند الاغريق في صورة Sais .

في المصرية يؤدي الجذر «سأ» sa معنى الحماية والرعاية والحصانة (أنظر مثلاً : معجم فولكنر ص 207 وما بعدها). ومن المعروف أن «سأو» (صا الحجر) كانت عاصمة حصينة، وقلعة متينة، باعتبارها كرسي الحكم وعاصمة الملك - ولاحظ إضافة «الحجر» إلى «صا» اسمها في العربية. وهذا ما يجعلنا ننظر في مادة «صيا» في (اللسان).

«الصياصي : القرى وقيل : الحصون. وفي التنزيل : (وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صايبهم) [أي] من حصونهم... والصياصي : كل ما يمتنع به، وهي الحصون، وقيل : القصور لأنه يتحصن بها».

ومفرد الصياصي : «صية». وفي المصرية «س أت» = sat = سور، جدار خارجي (غاردر : Eg. Gr., p. 587). وهي ذاتها «صا» (الحجر)⁽¹⁷⁾.

(41) **دمنهور** : عن أصل قديم يعني «مدينة (المعبود حور) الذي رمز إليه المصريون بهيئة الصقر.

* الاسم مكون من مقطعين :

(1) «دم» dm : مسكن، مقر، مدينة. (أنظر اسم «ديمة» فيما سبق).

(2) «ح ر» hr : الصقر. عربيته : (طير) الحر.

وبينهما «نون» الأضافة = العربية «ل»

«دم . ن . ح ر» = «دوم ل حر» (مدينة حر).

(42) **سندهور** : بمعنى : «مشروع المعبود حور» أو «مؤسسة المعبود حور».

* في معجم «فولكنر» (ص 234) :

«س ن ث» sni : يؤسس (بيتاً).

«س ن ت» snit : أساس، مؤسسة.

ومن الواضح أن الأصل هو «س ن» sn بمعنى «يفتح / يفتح» (ص 229 من المصدر السابق). وتتفق بقية المشتقات القريبة من الجذر الثلاثي «ستن» في العربية. ومنه : سنُّ سُنَّةً، أي : ابتداءً أمراً، افتتحه، شرع فيه (> مشروع)، أسسه (> مؤسسة). أما «هور» فهي «حور» = «ح ر» = (طائر) الحر، أي : الصقر.

(43) **مشتول** : عن أصل قديم يعني : «الحصن».

* يضيف الدكتور عبد العزيز صالح أنها كتبت في القبطية «مشتول»، وكتبت في النصوص القديمة «مكتر» أو «هكتور» تحريفاً عن الأصل (السامي) : مجدل، أو مجدول، بمعنى : الحصن أو البرج.

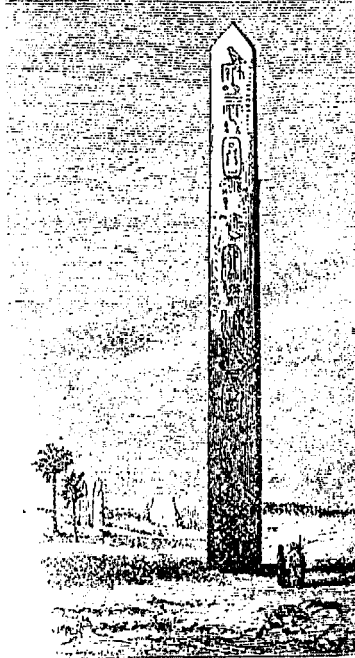
(17) إضافة «الحجر» هنا في التسمية المعاصرة ذات دلالة. إذ ورد في مادة «صوي» في (اللسان) أن «الصورة» : حجر يكون علامة في الطريق، أو علم (جبل) من الحجارة (شأن القلعة والحصن) والجمع : صُوى، وأصواء.

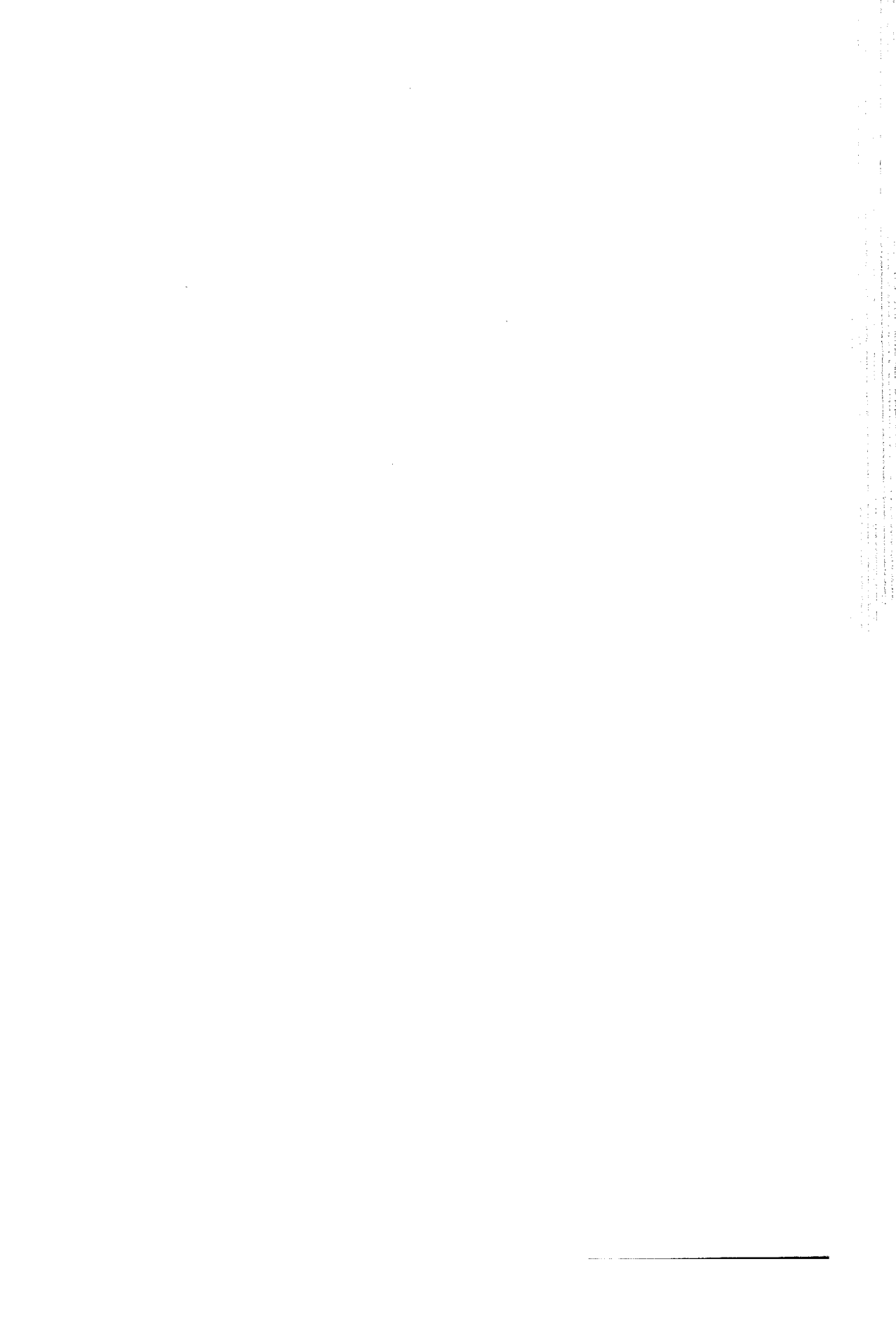
ويتردد اسم «المجدل» في بلاد الشام كثيراً بمعنى البرج أو الحصن (أنظر مثلاً : أنيس فريجة ؛ أسماء المدن والقرى اللبنانية، ص 311 - 314) بتنويعات متعددة. وورد في (اللسان) تحت ماد: «جدل» :

«والمجدَل : القصر المشرف لوثاقة بنائه، وجمعه : مجادل . . . والاجتدال : البنيان». وأصل «الجدل» : الفتل والقوة والصلابة، شأن البنيان والحصن.

* * *

(انتهى الجزء الأول ويليه الجزء الثاني)





الجزء الثاني
الغاية



- أرباب من المغرب والمشرق تلتقي 269
- الأصنام العربية والآلهة المصرية 279
- هذه الآلهة المعبودة 285

أرباب من المغرب والمشرق تلتقي

في فصل عقده الأستاذ «بدج» عن (الآلهة الأجنبية) في كتابه (آلهة المصريين) يذهب إلى أن موقع مصر الجغرافي لا بد أن جعل شعبها ذا صلة بعدد وافر من المعبودات الأجنبية عنه، وأن قسماً منها توحد مع معبودات مصر من حيث الصفات والخصائص. وهو يرجع هذا إلى التسامح الذي عرف به الشرقيون عموماً، والمصريون بوجه خاص، تجاه الأرباب الغربية. وليس في النقوش الباقية دليل واحد على أن المصريين اضطهدوا آلهة من غلبوا من الأمم⁽¹⁾.

السبب، في رأينا، لا يكمن في «التسامح» الذي يقول به (بدج) - وإن كان حقيقةً - ولكن «وحدة» المعبودات الأصلية هي التي أدت إلى تقبل أهل وادي النيل للمعبودات العروبية باعتبارها «من أهل الدار» وليست معبودات «غريبة»، أو «أجنبية». وسوف تبين لنا هذه الحقيقة من المصادر التي كتبت عن هذا الموضوع، بل من «بدج» ذاته. فهي في الأساس لم تكن معبودات «مصرية» خاصة، بل هي آلهة «مشتركة» نشأت على مدى رقعة الوطن العربي الكبير منذ فجر التاريخ، ثم صارت أرباباً خاصة في قطر ما، باسم «مرادف» أو بالاسم ذاته، وهو ما ينطبق على المعبودات الكبرى العامة، وطبيعي أن تكون هناك معبودات محلية تفرزها البيئة لكنها لم تبلغ قط مبلغ الآلهة الرئيسية⁽²⁾.

ويقول (بدج) :

«إن الآلهة الأجنبية التي نجحت في أن تنال مكانة في مشاعر المصريين كانت من أصل ليبي

(1) Budge ; The Gods of the Egyptians, vol. II, pp. 275-290

ويرد الرأي نفسه «شيرني» في مؤلفه عن (الدين المصري القديم).

J. Cerný ; Ancient Egyptian Religion, p. 124 . لكن يرى أن هذا التسامح ظاهرة عامة في الأديان ذات الآلهة المتعددة .

ويقول إن معبوداً واحداً فقط هو الذي استفاد من هذا التسامح ليستقر في مصر في عهد الملكتين القديمتين والوسطى، والسبب في ذلك عنده أن البلاد المحيطة بوادي النيل لم تكن قادرة على تقديم آلهة قوية ومؤثرة لتقف بدلاً لآلهة مصر المحلية، فيما عدا المعبود النوبي «د د ن» Duden الذي برز في عصر الأسرة السادسة.

وكلام «شيرني» مردود بما سوف نعرضه من أن أهم وأقدم المعبودات المصرية لم ينشأ في وادي النيل ذاته، بل هو جاء من خارجه، نتيجة تكوينه السكاني عبر العصور حين جاءت دفعات المهاجرين إليه من شرقه وغربه حاملة أربابها ومعبوداتها، ونتيجة التداخل الذي لم ينقطع بين سكان الوادي وجيرانهم مدى الأزمنة.

(2) مثل المعبود المصري «س ب ك» sbk (التسامح) فهو خاص بوادي النيل. لكن اسمه عروبي واضح : «سمك».

ومن أصل (سامي). ولا يوجد دليل البتة على أن المصريين اقتربوا معبوداً من النوبة أو من الجنوب لقصي سوى (بس)»⁽³⁾.

ومسألة الأصل الليبي والأصل (السامي) للآلهة المصرية مسألة بالغة الأهمية، ذلك لأن الباحثين الذين كتبوا في هذا الموضوع يتفقون جميعاً على هذا التقسيم، وإن اختلفوا بعد ذلك في التفاصيل. إنهم، بالطبع، لا يعترفون بوحدة المجموعة البشرية المكونة لهذه المنطقة التي نسميها الآن (الوطن العربي)، وكثيراً ما يندهشون إذ يجدون معبوداً عتيقاً معروفاً في بلاد الشام عند الكنعانيين في الألف الثانية قبل الميلاد موجوداً في الشمال الأفريقي بنفس الاسم، المحرف أحياناً، ونفس الملامح والصفات والخصائص والمميزات، كما هو الحال في أمر الربة «نث» مثلاً. وهي - باتفاق الأراء - عبت في ليبيا، والدلتا، باسم «نث» أو «نت»، وانتحلها اليونان باسم «أثينا»، وهي ذاتها «عنت» (أو عنات/عناة) الكنعانية. ولا يعود الأمر إلى «الاقتراض» أو التأثير والتأثر، فهو حدث قبل أن تعرف (هجرات) الكنعانيين المدونة إلى الشمال الأفريقي. فلا بد إذن أنه كان ثمة هجرات أقدم أو أعتق موعلة في التاريخ. هجرات لم تسجل، ولم تعرف. وهم، بالضرورة، يرفضون ذلك التموج البشري ما بين مشرق ومغرب، وكثيراً ما يناقضون أقوالهم لهذا السبب.

ولقد بينا، من قبل، طبيعة التشكل الحضاري والثقافي الواحد لسكان الوطن العربي. فلو نظر علماء الغرب إلى الموضوع من هذا المنطلق لفسرت مغاليق كثيرة واتضح الرؤية على نحو لا حاجة معه إلى الجدل.

ومهما يكن الأمر، فلننظر ماذا يقول علماء المصريات الغربيون في مسألة الآلهة (الواردة) على مصر. ثم لنا بعدها حديث.

فمن رأي «بدج» مثلاً :

«إنه من غير الممكن الآن تقرير أي الآلهة كان محلياً ينتمي إلى وادي النيل، وأياها كان ليبي الأصل. ولكن ما من ريب في أن عدداً من الآلهة الليبية تبناها سكان الدلتا الغربية في عصر ما قبل الأسرات، وأنها صارت، من كل غاية وقصد، آلهة مصرية تحت حكم ملوك الأسرة الأولى»⁽⁴⁾.

وهذا الكلام يدحض قول «شيرني» الذي سبق، ويفند مذهبه في أن مصر لم تعرف معبودات غير محلية قبل الأسرة السادسة.

ثم يعدد «بدج» هذه الآلهة الليبية بالاسم : «نت» Net أو «نيث» Neith ، في مدينة سائيس⁽⁵⁾، و«بست» Bast ، في مدينة بوباستيس⁽⁶⁾، «ومن المحتمل جداً أن «أوزيريس» وأتباعه من الأرباب كانوا ليبيي الأصل، وإن بأسماء مختلفة».

(3) المصدر السابق، ص 276، وسيلي الحديث عن المعبود «بس» وعروبيته.

(4) The Gods of The Egyptians, II, p. 275

(5) صا الحجر، الآن.

(6) تل البسطة، الآن. و«بست» هي مؤنث «بس»، وهي المعبودة في صورة الهرة، ربة الموسيقى والمرح.

الأستاذ «وينرايت» Wainwright تحدث باستفاضة عن الأرباب الليلية النشأة في مصر، بل إن كتابه (دين السماء في مصر)⁽⁷⁾ يكاد يكون مخصصاً لهذا الموضوع. وهو عالم له وزنه، كما أن لديه حججه الوجهية. فلنقتطف منه بعض ما جاء في هذا الكتاب :

«في البدء لم تكن هناك (مصر). ففي تلك الأيام كان وادي النيل مستنقاعاً غير مأهول، يعج بالطيور المائية وأفراس النهر والتماسيح وما إليها من ساكني السبخ، كالخنزير مثلاً، وفي العصر الحجري القديم كانت أجزاء كبيرة من الصحراء الشاسعة عبارة عن حشائش وأرض أعشاب صالحة تماماً لوجود الصيد، وكذلك لوجود الانسان البدائي الذي خلّف إشاراتٍ عن وجوده في كل مكان. وقد سكن أناس العصر الحجري القديم، بل حتى العصر الحجري الجديد، ما يعرف الآن باسم (الصحراء)، واستمر هذا الوضع إلى وقت متأخر، وإلى عصور الاستقرار في حضارات الفيوم ومرمدا التي ازدهرت وأنتجت الحبوب في مناطق ما هو الآن أعالي الصحراء. وقتها لم يكن لفيضان النيل، إن وجد، ليؤثر في الغلال التي كانت تنمو على المرتفعات فلم يكن ليطولها. وكانت الحبوب تعتمد في نموها على الأمطار، وهي كانت غزيرة، إذ كان شمال أفريقيا آنذاك يعيش في منطقة العصر المطير كما تعيش أوروبا اليوم.

بدايات «مصر» إذن كانت خارج وادي النيل، وكلما تعمّرت الحياة تدريجياً في (الصحراء) شرع الانسان في الاتجاه نحو أطراف مستنقع النيل الصحراوية. وعلى هذه الأطراف نجد مستوطنات الأقوام التي نسميها (البداريين)، وعهد ما قبل الأسرات الأول (العمرين Amratian) وعهد ما قبل الأسرات الثاني (الجرزيين Gerzean). وهكذا فإن العلاقات الوثيقة بين ليبيا ومصر، وهي المعروفة جيداً على مدى العصور الفرعونية، كانت أوثق وأمتن قبل فجر التاريخ. لقد كانت ليبيا، في الحق، هي «مصر» تلك الأيام». (ص 9).

على هذا الأساس ينطلق «وينرايت» للحديث عن مجموعة من أقدم معبودات وادي النيل وأشهرها، ليس باعتبارها معبودات نهرية نيلية، بل باعتبارها أرباباً جاءت أصلاً من «الصحراء»، مع الانسان «الصحراوي» الذي اضطر تدريجياً لمغادرة «صحرائه» واللجوء إلى ضفاف النيل الذي تجددت معالمه شيئاً فشيئاً في الوقت الذي بدأت فيه «الصحراء» تجف مع تغير المناخ. ولما كانت نشأة هذه المعبودات الأولى مرتبطة بالمطر الذي يأتي من السماء فهي إذن «آلهة سماوية» أصلاً، غير نهرية. وإلى جانب السماء كانت هناك الجبال غربي وادي النيل «التي جاء منها، دون شك، إله الجبل في العصر الفرعوني : (ح أ) ḥ a ، وكذلك المعبود (أش) aš أو (ش أ) ša « (ص 9 - 10).

وقد دامت هذه الآلهة السماوية بكل جلالها حتى نهاية التاريخ الفرعوني، ومن أعتقها وأهمها المعبودان : «ست» st و«من» mn . «وهما اللذان تعيدنا ثماذجها الأولية إلى أقدم عصر يمكننا عنده أن نرى أية تفصيلات عن نمط حياة السكان البدائيين» (ص 10). ثم يتحدث (وينرايت) عن مظاهر عبادة «ست» في شكل خنزير أو فرس نهر في عصر «مرمدا» و«المعادي» وعهد ما قبل الأسرات

(7) G.A. Wainwright ; The Sky-Religion in Egypt, Cambridge, 1938.

الأول. . إلخ «ومن هنا فإننا تلقى أصول رب العاصفة «ست» معروفةً عندما نرى اعتق بصيص من الحياة في (الصحراء) التي تحد مستنقع النيل» .

أما المعبود السايوي الآخر، رب الخصب «من» mn ، فإن وضعه يشبه وضع «ست» ؛ إذ تطورت صورته تماماً معبوداً كاملاً حوالي منتصف الألف الرابعة قبل الميلاد، وهو مثل رفيقه تعود عبادته إلى فجر التاريخ المصري .

«مرمدة» و«الفيوم» تقعان في الجانب الليبي من مصر، على تخوم «الصحراء»، وهناك تعويذة سحرية وجدت في (نصوص الأهرام) تتحدث عن موت «ست»، وعن الاخصاب، وعلاقتها بليبيا. وفي عصر الأسرة الثانية والعشرين كان «ست» معبوداً بالغ الأهمية في واحات الصحراء الغربية، وكان قريبه الآله «أش» aš يسمى «سيد ليبيا» أيام الأسرة الخامسة. وكان لقب «سيد الغرب» أطلق على الآله «ح أ» ha ، رب الجبل، ذي الصلة بأرباب السماء .

نأتي الآن إلى أحد أشهر آلهة مصر : «أمون» Amūn فقد كان، مثل «ست»، ذا أهمية قصوى في ليبيا. «فاسمه يبدو ليبياياً ؛ ففي لغتها كلمة «أمان» amān تعني : ماء» (ص 13) .

وكانت النجوم مهمة جداً عند من يعيشون في جو صافٍ ويفكرون في السماء، ومن ضمنها كانت (الأنجم الباقية) ذات أهمية خاصة عند المصريين، وكان رئيسها كوكبة «الذئب الأكبر» التي تنتمي إلى «ست». وتذكر الفقرة التي تتحدث عن موته هذه (الأنجم الباقية) وتكرر ثلاث مرات أنها «ترحل عبر ليبيا». بل إن هذه النصوص تتحدث عنه قبل صراعه مع «حورس»، أي قبل فجر التاريخ .

وهكذا، يقول «وينزايت»، نرى (دين السماء) في مصر ليس بالغ القدم فحسب بل مرتبطاً ارتباطاً خاصاً بالغرب، بليبيا، بالصحراء. (ص 14) . وهو يتبع، بكثير من التفصيل وعدد وافر من المراجع الأثرية، جملة الشعائر المتبعة عند قدماء المصريين، وطقوس القرينة، والاحتفالات الدينية، وثياب الفراعين والكهنة، ويرجعها كلها إلى «ليبيا» - أي إلى «الصحراء»، قبل أن تتحول إلى أرض جرداء وتذهب عنها خضرتها فيضطر أهلها إلى اللجوء إلى مصادر الماء. . إلى النيل. أي أن من يسمون «المصريين» جاءوا أساساً مما يعرف الآن باسم «ليبيا» أو (الصحراء الليبية). فهم «ليبيون» أصلاً، حملوا معهم آلهتهم «الصحراوية» واستوطنوا وادي النيل، وهذا هو تعليل ما نلاحظه من (العلاقة الخاصة) بين «ليبيا» و«مصر» - بين الصحراء ووادي النيل - وهو السبب في أننا نرى بروز هذه الآلهة وسيطرتها كلما ازداد نفوذ «الليبيين» التابعين، أي المهاجرين الجدد، مثلما حدث في الأسرتين الثانية والعشرين والسادسة والعشرين. وهو يحتتم بقوله :

«إن ديانة إنزال المطر ديانة عتيقة جداً وواسعة الانتشار في العالم كله . . . والخصب يأتي من السماء التي تخصب الأرض بالمطر. ومن الثابت أن عدداً كبيراً من آلهة مصر كانت آلهة سماءٍ (أو آلهة سايوية)، أرباب عواصف، وأرباب خصب، تعود إلى بداية الزمان فيها. بل الحق أن بعضاً منها، أو بعض نماذجها الأولى، يمكن تتبعه إلى (العصور الليبية) قبل أن يهبط (المصريون) إلى وادي النيل». (ص 85) .

ولقد شغلت مسألة الأصل الليبي لعدد من آلهة مصر القديمة بالباحثين طويلاً، ودار الحديث حولها كثيراً ما بين قائل بها ومعارض في بعض التفصيلات. وعلّة هذا القول تكمن، كما سبق بيانه، في أن تكوين وادي النيل السكاني عائد في أغلبه إلى المهاجرين الليبيين بعد جفاف الصحراء إلى الوادي، وإلى دلائل وعلامات وإشارات في النقوش المصرية ذاتها تشير إلى هذا الأمر، كما هو عائد إلى طبيعة العلاقة المستمرة بين أهل الوادي وأهل الصحراء، أو بتعبير آخر: بين المصريين والليبيين، حتى ليذهب «أوريك بيتس» O. Bates إلى القول:

«يبدو من المؤكد أن ثمة علاقة وجدت بين ديانة المصريين القدماء وديانة الليبيين أقرب من العلاقة التي وجدت بين ديانة الأخيرين (والساميين) مثلاً. وتتماً كما نسج عنصر ليبي محدد في اللغة المصرية فإنه توجد، من كل وجه، عناصر متنوعة في الديانة المصرية ذات أصل ليبي»⁽⁸⁾.

فلنستعرض الآن ما قاله الباحثون عن هذه الآلهة المصرية ذات الأصل الليبي:

«أوزيريس»

من الذين ذكروا الأصول الليبية لبعض آلهة مصر القديمة «أوريك بيتس» Oric Bates. وينقل عنه «غريفث»⁽⁹⁾ رأيه في نشأة المعبود «أوزيريس» باعتباره معبوداً نباتياً وأن دوره الأساسي كان في مجال الزراعة والنبات. ويضرب «بيتس» أمثلة عديدة على أن «روح الحبوب» كانت تسمى «العجوز» في كثير من المجتمعات البدائية، وهو يؤمن بأن «أوزيريس» نشأ اسمه من اللغة الليبية القديمة باعتباره إلهاً ليبيا في الأصل، ويشير إلى الجذر «وسر» wsr في لهجة الشمال الأفريقي التي تعني «القديم» أو «العتيق»، أي «العجوز» (في جبل نفوسة: «تسرى» tusri، «أوسار» ausar . . . إلخ). ويعتمد «بيتس» على قول الأستاذ «بيتري» Petrie إن «أوزيريس» كان إلهاً ليبيا⁽¹⁰⁾.

ويقرن الأستاذ «بيتري» الآلهة الثلاثة: «ست»، «إيزيس» و«أوزيريس» في قوله:

«من المحتمل أن «ست» ينتمي إلى الليبيين أو الغربيين (أهل الغرب)، إذ اعتُبر ذا شعر أحمر وجلد أبيض، أي «التحنو» أو ذوى البشرة النقية. ومن المحتمل أن جماعة أوزيريس - إيزيس ليبيا الأصل كذلك، كما سنرى بعد. ومن هنا فقد نصور لأنفسنا الأرباب: إيزيس، أوزيريس، وست، على أساس أنها معبودات ثلاثة عند قبائل مختلفة من الليبيين»⁽¹¹⁾.

ويؤكد «بيتري» رأيه هذا مرة ثانية، مضيفاً أرباباً أخرى إلى القائمة حين يقسم الآلهة المصرية إلى أقسام أربعة: (1) على هيئة حيوان (2) على هيئة بشرية (3) آلهة كونية (سماوية) (4) آلهة مجردة. وإلى المجموعة الثانية ينتمي:

(8) Bates ; The Eastern Libyans, p. 207

(9) J.G. Griffith ; the Origins of Osiris and his Cult, pp. 88 - 89

(10) هو يشير إلى قول (بيتري): «... أوزيريس إله ليبي، وهو ينتمي إلى طبقة أقدم من السكان [في وادي النيل]». المصدر السابق، ص 89. وقارن: Petrie ; Naqada and Ballas, p. 59

(11) Petrie ; Religion and Conscience in Ancient Egypt, p. 57

«أمون»، و«موت» و«خنسو» و«نت» أو«نث». وكلهم يصورون على هيئة بشرية، إلى جانب «أوزيريس».

وروابط هذه المجموعة كلها تنتمي إلى الغرب (ليبيا)، باعتبار «أوزيريس» ذا صلة بالمعبود الليبي الجنوبي «ددن»، كما أنه رب النبات وإله الغلال، وبالنظر إلى شخصية «خنسو» و«أمون» التنبؤية وهي فكرة جاءت من الغرب، كما أن «أمون» هو إله الواحات كما هو معروف. أما «نيث» فهي لا رب ربة ليبية⁽¹²⁾.

«نت»

واحدة من أقدم المعبودات المصرية، في مدينة «سائيس» غرب الدلتا. كانت ربة صيد مثلت في شخصها إلهات أخريات أسبغت عليها أوصافها وخواصها. وقد أشير إليها في الكتابات في كل العهود قديماً وحديثاً. ووجد اسمها منقوشاً على أنصاب أقدم الفترات التاريخية في مصر، بل إن أقدم رموزها وجد منذ عصر ما قبل التاريخ ممثلاً بدرع وسهمين إشارة إلى وضعها ربةً للصيد. وسميت باسمها ملكات مصر في فجر التاريخ: (نت - حتب) و(مريت - نت). وكان أقدم معبد لها لا جدال في عصر «ميناء» (موحد القطرين). وهي عُبِدت في كل أرجاء مصر حتى (نقادة) في الجنوب، لكن أعظم مركز لعبادتها كان في (سائيس) الدلتا.

ويقول «مرسير» Mercer عن نشأتها الأولى:

«أما عينا إذا كانت أساساً عُبِدت في ليبيا فيعتمد على ما إذا كانت هي ليبية في الأصل. ولقد افترض، عادة، أن (نت) كانت إلهة ليبية في البداية»⁽¹³⁾.

أما «بيتس» Bates فقد ناقش بتفصيل كبير كل ما يتعلق بهذه الربة الليبية الأصل التي غزت مصر منذ أقدم العصور، في كتابه (الليبيون الشرقيون)⁽¹⁴⁾. ولا يكاد يخلو مؤلف أو بحث تعرض للديانة المصرية القديمة إلا ذكر «نت» وتحدث عن نشأتها الليبية الأولى.

«أش»

يقول عنه «مرسير» إنه يبدو معبوداً ليبياً. وقد وجد منذ الأسرة الثانية على أختام جرار الخمر على شكل رجل برأس حيوان الإله «ست» مما يبين صلة الاثنين ببعضها بعض، وفي الأسرة السادسة والعشرين صور بثلاثة رؤوس؛ رأس أسد، ورأس أفعى، ورأس عقاب⁽¹⁵⁾.

ويقول «بيتس» إن إلهها ليبيا باسم «أش» ذكر منذ الأسرة الرابعة في نقوش الملك «ساحوري»

(12) المصدر السابق، ص 77 - 78.

(13) S. Mercer ; The Religion of Ancient Egypt, p. 196

(14) Bates ; The Eastern Libyans, pp. 203 - 207

(15) Mercer ; The Religion of Ancient Egypt, pp. 188 - 189

(= س ٤ . ح ر . رع . أي : ابن حر - رع) ويظهر الاسم كذلك على أختام الجرار في الفترة ذاتها تقريباً. ويمكن الحكم من الشكل الذي يبدو به هذا المعبود في نقوش «ساحورى» أنه كان ذا شهرة في ليبيا الشرقية في عهد المملكة القديمة⁽¹⁶⁾.

«ح أ»

أو «ح ا - ك ا». معبود قديم في غرب الدلتا، وهو إله جبل كان يدعى (سيد الغرب)، «ربها» كان أصله من ليبيا - حسب رأي «ميرسير». وقد عثر على اسمه في (نصوص الأهرام) واحتل جزءاً مهماً في تطور غرب الدلتا ما قبل التاريخ.

«عنتى»:

يظهر في المصادر المتأخرة فقط، وهو المعروف عند اليونان باسم «أنتايوس» Antaeus. وعُبد في المدينة المسماة باسمه «أنتايوبوليس» Antaiopolis، وكان يحمل صفات مزدوجة من «ست» و«حورس».

ويحتمل «ميرسر» نشأة «أنتايوس» اليوناني هذا بأن الاسم مأخوذ عن المصرية «ع ن ت ي» وهي إحدى صفات «حورس» (ح ر - ع ن ت ي = حورس المصارع) وهو المعبود القديم للاقليم الذي أسماه اليونان «أنتايوبوليس». وفي الأسطورة اليونانية التي تتحدث عن «أنتايوس» (أنتى) في ليبيا تجعله «مصارعاً» كما كان «حورس» كذلك مصارعاً (عنتى). وكما كان حورس الأكبر ابن إله الأرض «جب» كان أنتايوس في الأسطورة اليونانية ابن إلهة الأرض «جيا». وكان «حورس» إلهاً من غرب الدلتا، وكان «أنتايوس» في ليبيا. وقد دعي «حورس» و«ست» في المصرية «ع ن ت ي وى» (المصارعان) كما نسبت لانتايوس صفات «حورس» و«ست»⁽¹⁷⁾.

«شهدد»

من جملة الأرباب الأجنبية في مصر القديمة يذكر «ميرسر» الربة «شهددي» Shahdidi التي «لعلها ربة ليبية» (ص 225). ويلاحظ «بيتس» (ص 184) أن المقطع «شهدد» (أو «شهثت») جزء من أسماء أشخاص عديدة في أواخر عهد المملكة الحديثة في الدلتا على ألواح تسجيل «مستوطنين» ليبين، وحسب أن هذا المقطع يشير إلى معبود ما. وقد بذلت محاولات لتبيين أن «شهدد» هذه كانت ربة ليبية. «ولا يشك أحد على كل حال في أن هذا المقطع (شهدد) ليبي؛ إذ يبدو أنه حفظ في نقش من المغرب مزدوج اللغة (ليبي - لاتيني) حيث وردت فيه باللاتينية sactvt

(16) Bates ; The Eastern..., p. 184

(17) Mercer ; The Religion of Ancient Egypt, p. 190

ولعل القارئ لاحظ أن المصرية «ع ن ت» (ومنها : «عنتى» واليونانية Antaeus) التي ترجمت بأنها تعني «مصارع» هي العربية «عَنْت». قارن اسم المعبودة الكنعانية «عنت» (عنات) = المصارعة، وصلتها بـ«نت» [ع] نت [المقاتلة واضحة كما سبقت الإشارة. عن أسطورة أنتايوس اليونانية راجع : R. Graves ; The Greek Myths, Penguin Books. في مواطن متفرقة.

التي تقابل الليبية sktt . «وهي التي تحمل شبهاً واضحاً بالهيروغليفية «شهث» (= شهدد)⁽¹⁸⁾ .
«وخ»

«Wh» - معبود ليبي (ميرسر - ص 225) وأغلب الظن أن القراءة الصحيحة هي «أخ» ah ،
وبما أن الشين والحاء يتعاقبان في المصرية فهو أصلاً «أش» as ، رب الدمار والرماد (عريته : «أس»
= رماد) .

«حرف»

معبود قديم جداً يرجع إلى المهاجرين إلى وادي النيل من الصحراء الليبية . في المصرية :
«ح ر . ش ا . ف» h . r . š a . f . ويفسر اسمه في معنيين : الأول : [الذي هو] على رمله . والثاني :
[الذي هو] على مائه . فهو مرة معبود ينسب إلى الرمال (= الصحراء) وأخرى إلى الماء (النيل ؟) .
مقابله في العربية :

(1) «ح ر» = على . مادة «حَرَ» العربية تفيد الارتفاع ، ومنها : حُرُّ الوجه - أعلاه ، أي
الوجنتان .

(2) «ش أ» : في العربية : «السيء» (بالسين) = الرمل⁽¹⁹⁾ . و«الشيء» (بالشين المعجمة)
= الماء .

(3) «ف» : ضمير المفرد الغائب في المصرية⁽²⁰⁾ .

«ست»

يقول «ميرسر» Mercer في مؤلفه المذكور فيما سبق :
«من الواضح للغاية أن (ست) في الأساطير والنقوش كان منذ أقدم العصور معبوداً خاصاً
بمصر العليا (الصعيد) على وجه العموم . ومن الواضح أيضاً أن (ست) ارتبط دائماً بالصحراء ،
حدود مصر ، وبالبلاد الأجنبية . وأقدم بلد (أجنبي) كان ليبيا وهي التي كانت صلة (ست) بها قريية
جداً ، ولم يسكن الليبيون الأول شمال افريقيا غربي الدلتا فحسب بل قطنوا حدود مصر الغربية شهاها
وجنوبها من البحر الأبيض المتوسط حتى النوبة . والحق أن الليبيين قد يكونون شكلوا قسماً كبيراً من
سكان وادي النيل كله في ما قبل التاريخ . وقد كان الليبيون فرعاً من القسم (الأفريقي) أو (الحامي)

(18) من العجيب بعد هذه الشواهد أن يأتي الأستاذ «مونتيه» Montet . في كتابه Psousennés الصادر في باريس سنة
1951 . ليقف حائراً أمام ورود اسم المعبودة هذه إلى جانب اسم الفرعون . . وقد اتخذ الكاتب الصهيوني
المتعصب فيليكوفسكي I. Velikovsky هذه الحيرة دليلاً على أن الاسم ليس ليبيا ، بل لقب «فارسي» (أ) ربما يعني
شيئاً مثل (كاتب الملك) أو (تابع الملك) اعتياداً على المقطع shah (شاه = ملك) وقياساً على «شهزاده» (= ابن
الشاه/ ابن الملك) ، وله تخريجات تبعد كثيراً عن نمط البحث العلمي الرصين .

(أنظر : Valkovsky ; Peoples of the Sea, Doubleday and Company, New York, 1977, p. 154) .

(19) لا يستبعد أن تكون واحة «سيوا» (سيوة) جاءت تسميتها عن هذا السيل ، فهي واحة الرمال الشهيرة .

(20) أنظر التحليل في الجزء الخاص بـ«قواعد اللغة المصرية» من هذا البحث .

من جنس البحر متوسط⁽²¹⁾، وهم كانوا تبعاً لهذا ذوي نسب وثيق بالمصريين . . . وفي كل فترات تاريخهم الطويل كانوا مؤثرين في الشؤون المصرية . وثمة من الأسباب ما يبعث على الاعتقاد أن أقدم ممالك غرب الدلتا كانت لبيبة بشكل قوي . ففي معبد في مدينة (سائيس) ثمة شعار للربة (نيت) وهو نفس الشعار الذي وجد على صورة وشم يرسمه الليبيون على أذرعهم⁽²²⁾ .

والواقع أن مملكة (سائيس) وكذلك مملكة (إمنت) في غرب الدلتا ربما كانتا في الجزء الأكبر لبيبتين في نمطهما . ولقد سمي الزيت المستعمل في تسميح الآلهة والملوك، المذكور على النصب الثانية المبكرة، سمي «ح أت . ت» h a t . t ، ربما ذكرى للزعماء الليبيين الملقبين «حاتيو» hatiu⁽²³⁾ . بل إن «حورس» في بواكير عصر الدلتا الغربية كان يدعى (الليبي ذا الذراع المرفوعة) . ولقد كان «سث» باعتباره معبوداً محلياً في مصر ما قبل التاريخ ، وهو معبود أهل الصحراء شرقاً وجنوباً وغرباً، لبيياً جداً في شخصيته . فهو منذ زمن ملوك «ثنيت» كان يدعى (سيد لبييا) وهو عُبد في واحة الخارجة . والمعبود الليبي «أش» كان يصور أحياناً في شكل رجل يحمل رأس حيوان «سث»، وهو الحيوان الذي كان يكتب اسمه «أش» أو «شأ» في الواقع⁽²⁴⁾ . وكان مركز عبادة «سث» (امبو) في موقع مناسب تماماً عند رأس طريق قوافل مهمة إلى الواحات . كما وجد شعار الربة «نيث»، الليبية الأصل، مصوراً على فخار يرجع إلى ما قبل التاريخ في موقع «نبت» Nubt... .

منذ الأسرة الثانية أطلق على «سث» لقب (سيد لبييا)، وكانت إحدى مزاياه الرئيسية أنه كان مولى «الأرض الحمراء»، أي الصحراء والأغراب . ولكنه كان إلهاً شريفاً أكثر من أي شيء آخر . وهذه الصفة لصقت به بعد قتاله و«أوزيريس» فقط، إذ من الواضح من فقرات في (نصوص الأهرام) أن «سث» لم يعتبر دائماً في العصور الأقدم مجرد كائن شرير⁽²⁵⁾ .



هذه إذن بعض آلهة مصر القديمة الشهيرة التي يقرر الباحثون أنها جاءت أصلاً من الصحراء، أو الغرب، أو لبييا - إن شئت - ولم تنشأ أساساً في وادي النيل، مع قدمها وشهرتها . ولعل القارئ لاحظ (عروبية) أسمائها ونعوتها، وسوف يزداد الأمر وضوحاً في ما يلي من

(21) أنظر : تكوين مصر السكاني فيما سبق .

(22) لم يذكر المصدر ولا قدم صورة .

(23) لعل كلمة «حاتى» المستعملة في مصر الآن تعني أصلاً : زعيم ، أمير ، وهي ذاتها : «خ ت» > «ختى»، «خط» > «خطى»، «حط» > «حطى»، «حث» > «حثى» = زعيم (راجع هذه المادة في هذه الدراسة للتفصيل) . والعجيب أن الكلمة يسمى بها المطاعم في القاهرة (مطعم الحاتى = مطعم الأمير)، ثم صارت «الحاتى» تعني «المطعم» فقط . من جهة أخرى نرى أن الهمزة في «ح أت» (حات) إبدال من الراء (ح رت) وهذا ما يذكرنا بالزيت «الحراتى» وهو أفخر أنواع الزيت في لبييا حتى يومنا هذا والزيت والطعام مرتبطان . قارن (معجم بديج)، ص 460 - 461 .

(24) نذهب إلى أن القراءة الصحيحة هي «أش»، لارتباط هذا المعبود بـ«ست» إله الدمار والموت . وفي المصرية تعني «أش» : الرماد . عربيتها : «أس» = رماد .

(25) Mercer ; The Religion... pp. 49 - 51 .


الصفحات . والتفسير المقبول والمعقول هو أن هذه المعبودات في وجودها الأول لم تكن خاصة بالغرب، أو الصحراء الغربية، أو ليبيا، بل كانت معبودات «تعمُّ» الوطن العربي القديم ولا «تخصُّ» قُطراً بعينه . لكن ماذا نفعل والعلماء الأوروبيون يصرُّون على تقسيم هذا الوطن إلى (شرق) و(غرب) . . ونحن مضطرون إلى الاستقاء منهم والأخذ عنهم ؟











فلننظر في تلك المعبودات «المشرقية» بعد أن نظرنا في «المغربي» منها . . وهي التي في بلاد النيل كانت تلتقي .

الأصنام العربية والآلهة المصرية

من أولى محاولات ربط الصلة الدينية بين الجزيرة العربية ووادي النيل، بل لعلها أولها على الإطلاق، ما قدمه العالم أحمد كمال في مقالة له بالفرنسية من مقارنة بين أسماء عدد من الأصنام عند عرب الجزيرة ما قبل وأسماء الآلهة المصرية وأورده «بدج»⁽¹⁾ على الصورة التالية :

In connexion with the question of the cult of foreign gods in Egypt, and of the gods of Egypt in foreign lands, reference may here be made to a theory which has recently been put forward to the effect that several of the gods of Egypt were worshipped as idols by the Arabs of the pre-Islamic times. According to this the Egyptian

god Tem,  = the Arabic idol Tīm, تم ;

Tehuti (Thoth),  = TA'ÛT, طاعوت ; Iusäus,  = YA'ÛTH, يعوث ; Reret,  = LÂT, لات ; Uatchit,  = 'AZZA, العزى ; Menât,  = MENÂT, مناة ; Meteni,  = MEDÂN, المدان ; Hâp-re,  = HABAL, هبل ; Bes,  = BUSS, بئس ; Benu,  = BÛWÂNAT, بؤانة ; Bâr,  = BA'AL, بعل ; and so on.

ورغم أن هذا الرأي أثار في «بدج» شيئاً من الاهتمام فهو رفضه رفضاً قاطعاً على أساس أنه من غير المقبول أن تأخذ مصر المتقدمة حضارياً أربابها عن أهل الجزيرة (المتخلفين)، وعلى أساس

(1) Budge ; The Gods of The Egyptians, II, p. 289

وهذه المقارنات، وإن كانت قابلة للنقاش، تعتبر بداية جيدة للفت النظر إلى تماثل أسماء المعبودات المصرية والعربية، وهو باب يحتاج إلى مزيد من البحث. ويمكن للقارئ العودة إلى «كتاب الأصنام» لابن الكلبي الذي حققه ونشره أحمد زكي سنة 1924. وأعيد طبعه سنة 1965، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة. وبه معلومات مفيدة عن أصنام العرب في الجاهلية وردت في كتاب ابن الكلبي، وأضاف المحقق فضلاً عما لم يرد فيه وذكر في مصادر أخرى.

الاختلاف المزعوم بين طبيعتي آلهة مصر والأرباب (السامية). وهذا في الواقع موقف غير علمي على الإطلاق. فلقد أثبت الدارسون، ومنهم «بدج» نفسه، أن أهم معبودات مصر القديمة كانت واردة إليها مع الأقوام المهاجرة إلى الوادي من شرقه وغربه، وهي معبودات عتيقة جداً نشأت مع الانسان في بداياته الأولى، خارج وادي النيل. ومسألة التقدم والتخلف الحضاريين مسألة نسبية، وفي مقياس العصور الأولى لا جدال في أن (الصحراء) العربية - مثلها مثل (الصحراء) الليبية - كانت أكثر «تقدماً» من الوادي الذي لم يكن عمراً بعد. كما سبق القول. أما اختلاف طبائع الآلهة فيدحضه ما سبق اقتباسه عن الأرباب المجلوبة إلى مصر، ولا يظهر هذا الاختلاف إلا في الصفات المحلية للمعبود، أو في المعبودات الصغرى. أما الصورة العامة فهي واحدة بين الجميع.

باعث «بدج» الحقيقي في موقفه كان اعتقاده بأن نشأة مصر والمصريين كانت نشأة (أفريقية) صرفة، وهو الموقف الذي جعله يعيد الديانة المصرية بأكملها إلى أصول أفريقية كما فعل في كتابه عن «أوزيريس»⁽²⁾، وفي مؤلفات أخرى له. إنه لم يقل أبداً إن مصر كانت أكثر تقدماً في حضارتها من النوبة وقبائل أواسط أفريقيا، وهذه هي الحقيقة طبعاً، عندما «أفرق» ديانة مصر القديمة. فإذا تعلقنا القضية بالعرب، والجزيرة العربية بالذات، كان موقفه المشكك في أية صلة بينها وبين الوادي، بل الراضة لأية علاقة.

ولا يملك «بدج» إلا الاعتراف بهذا التشابه الذي أبرزه أحمد كمال بين أسماء أصنام الجزيرة وأسماء آلهة مصر، غير أنه يرى أن من الصواب القول بأن أهل الجزيرة هم الذين أخذوا عن أهل الوادي، وليس العكس. وهذا القول تنقضه ملاحظة «شيرني» الدقيقة عند استعراضه التأثير (السامي) في الديانة المصرية التي يقول فيها :

«ولكن بينما قبل المصريون المعبودات (السامية) بينهم بكل استعداد ليس ثمة من علامة تشير إلى أن رعاياهم في فلسطين وسوريا أظهروا نفس الموقف تجاه الآلهة المصرية»⁽³⁾.

أرض الأرباب

وقد تتبعنا، باختصار، أهم المعبودات المصرية القديمة التي جاءت الوادي من شرقه وغربه على فترات من التاريخ، وبيننا أصولها في مواطن متفرقة. أما بالنسبة لشبه الجزيرة العربية فإن الأمر يبدو ذا وضع خاص؛ فهي كانت - كما يظهر - المنبع الأصلي لمجموعة كبيرة من المعبودات العتيقة جداً⁽⁴⁾ جعل أهل الوادي ينظرون إلى شبه الجزيرة باعتبارها «الأرض المقدسة» أو «موطن الآلهة». ومن هنا كانت تسميتها الشهيرة في النصوص المصرية «ت. أ. ن. ت. ر.»⁽⁵⁾ ta.ntrw التي تعني

(2) W. Budge, Osiris and The Egyptian Resurrection, Dover Edition, New York, 1973

(3) Cerny ; Ancient Egyptian Religion, p. 128

(4) من مثل «ح ر» (حورس) المعبود قبل عصر الأسرات. وراجع مادة «ب ك أ» في هذه الدراسة.

(5) عربيتها : «ت أ» = طية / طاة (أرض) + «ن ت ر و» = جمع «ن ت ر» = ناظر.

حرفياً : «أرض الأرباب» . وهي تسمية متواترة في (نصوص الأهرام) وما بعدها، وطبيعي أن تكون معروفة قبل هذه النصوص بمدة مديدة حتى يتم تسجيلها .

وقد قرن بعض الدارسين بين تسمية شبه الجزيرة العربية في المصرية «أرض الأرباب» وبين ما يسمى بلاد «بنت» . فذهب فريق إلى أن التسميتين لموقع واحد، هو بلاد العرب Arabia وأنهى الاشكال . وقال فريق آخر إنه بلاد الصومال في القرن الأفريقي ، وهؤلاء هم دعاة الفصل بين مصر ومحيطها العروبي الخالص . وكان بعض الباحثين توفيقياً في موقفه فذهب إلى الجمع بين الاثنين وقال إن المقصود جانبا البحر الأحمر معاً ؛ بلاد العرب وبلاد الصومال .

وقد أوضحنا حقيقة بلاد «بنت» التي أثير حولها غبار مفتعل من النقاش (أنظر مادة «ون» wn في هذه الدراسة) . ونقول هنا إنه حتى مع التسليم جداً بأن «بنت» هي بلاد الصومال فلا ينبغي أن ننسى ما هو ثابت من أن أهل هذه البلاد في الأساس كانوا مهاجرين قدموا إليها من شبه الجزيرة ، فهم عرب منذ قديم الزمان ، هجرات تتوالى من جنوب الجزيرة لتصبغ القرن الأفريقي كله بالطابع العروبي . ولا نظن أن أحداً يجادل في هذه الحقيقة التي تؤيدها عروبية لغات هذا القرن في الحبشة والصومال بمختلف لهجاتها .

«رع»

يستعرض الأستاذ «بدج» جملة من الآلهة الأجنبية في مصر ويبدأ بأهم معبود، إله الشمس «رع»، فيقول :

«في زمن الأسترتين الرابعة والخامسة انتشرت عبارة (رع) إله الشمس بسرعة فائقة في الدلتا وما جاور «هليوبوليس» (عين شمس) ونال كهنته ما يقارب النفوذ الملكي في البلاد . وليس ثمة من سبب يدعو إلى الشك في أن الشمس عُبدت في أقدم العصور بمصر، غير أن شكل عبادتها، كما صادق عليها وأذاعها كهنة «هليوبوليس» يبدو مختلفاً عما هو في أجزاء أخرى من البلاد، ومن الجائز أنه كان يحوي شيئاً من النمط الآسيوي»⁽⁶⁾ .

ثم يقدم مجموعة من الأرباب (الآسيوية) حسب تعبيره وهي عنده :

«عنثيت»⁽⁷⁾

ربة كانت تسمى «سيدة السماء» وقيل إنها كانت تحمل ولكنها لا تلد . كما يقال إنها كانت ابنة

(6) Budge ; The Gods of The Egyptians, II, p. 275 – 276

ويقول الأستاذ «هول» (Hall ; the Ancient History of The Near East, p. 85) ما نصه :

«في الديانة (المصرية) كان هناك عنصر أجنبي رغم أنه لم يثبت نفسه بقوة حتى زمن الأسترتين الرابعة والخامسة، ذلك كان عبادة الشمس وأحجارها المقدسة، سوابق المسلات . وهي بجلاء عبادة ذات أصل سامي . . . وكان إله الشمس وافداً من الشرق، وهو حمل كذلك اسماً (سامياً) [ويقارن بين «رع» والعربية «رأى»] كما يحمل ذات الاسم (السامي) معبود آخر من الشمال [فلسطين] هو «بتاح» الذي يعني «الفتاح» The opener [ويقارن الاسم بالجلدر العربي : فتح] .»

(7) وتكتب بصور مختلفة : «عنوثيت»، «عنثيت» .

المعبود «ست». كانت تصور امرأة جالسة على عرش أو واقفة، تحمل درعاً ورمحاً في يدها اليمنى وهراوة في اليسرى. «كانت، دون شك، ربة حرب، ويبدو أن عبادتها انتشرت في شمال سوريا وجنوبها حيث كرست مدن لهذه العبادة. . أعني مدناً مثل «بات عنث» (بيت عنات) و«قرث عنثو» (قرية عنات). . . . ولقد كرمت هذه المعبودة لدى (رئيس الثاني) في الأسرة التاسعة عشرة، حتى لقد ذهب إلى تسمية إحدى بناته «بنث عنث» (= بنت عنات). ويمكننا ملاحظة أن ربة تدعى في المصرية «عنثرتي» قرن ذكرها بالمعبود «ستخ» في المعاهدة الكبرى بين «الحيتا» (الحثيين) والمصريين ومن المحتمل أنها و«عنث» شيء واحد»⁽⁸⁾.

«عشتر»

وهي ذات صلة بـ«عنات». وتذكر في النصوص المصرية «عشترت» وتلقب بلقب (سيدة الخيول والعربة)، وتصور على هيئة امرأة برأس لبؤة يعلوه قرص تقف على عربة تجرها أربعة خيول تطلأ أعداءها على الأرض. وهي ذاتها «عشتار نينوى» الآشورية، كانت كذلك ربة حرب، وربة خيول. وقد عرف المصريون استعمال الخيل في الحرب من (سامي) الصحراء الشرقية، لجر العربات الحربية في المعارك منذ حوالي سنة 1800 ق. م.⁽⁹⁾.

وقد ذكر أن «عشتر» و«عنات» كانتا (درعي) رئيس الثالث اللتين تحميان عربة الملك. كما كان تحتتمس الرابع يدعى (الفارس القوي مثل عشترت)⁽¹⁰⁾.

«قدش»

ثم هناك الربة «قدش» التي تدعى (سيدة الأرباب أجمعين، عين «رع» التي لا ثاني لها). كانت ربة الحب والجمال، وإلهة القمر. كانت تصور في هيئة امرأة عارية تماماً تقف فوق أسد، على رأسها هلال وقرص مما يثبت صلتها بالقمر. في يدها اليمنى تمسك بزهور اللوتس ومراة وفي اليسرى حيتين. ومن المهم ملاحظة أنها تصور دائماً، مثل (بس)، بوجه كامل. وفي المتحف البريطاني ثمة لوحة نرى فيها هذه الربة (التي تدعى هنا «كنت» = k n t = سيدة السماء)⁽¹¹⁾ تقف على أسد بين المعبودين «إمسو» Imsu أو «من» min و«رشپو» Reshpu، وهي مع هذين الربين تشكل ثلاثياً (ساميا) ولكن ليس من الواضح من هو ابنها ومن هو زوجها من بين هذين المعبودين.

(8) المصدر السابق، ص 277 - 278. ولا يغيب عن بالنا أن «عشترتي» (ث = ت) هي «عنترة» < عنتر < عنث.

(9) المصدر السابق، ص 279.

(10) Cerny ; Ancient Egyptian Religion, p. 126.

(11) من البين أن التاء في «ك ن ت» K n . t للتأنيث. والكاف بدل من الجيم في «ج ن ت» G n . t (جذرها «ج ن» GN).

وهي agenna (في لهجة التوارق) و agenna (غدامس) و aqenna (مزاب، الريف، توات) و igenni (زواوة) = سحاب، سماء، cloud, sky, heaven.

(أنظر : Bates ; The Eastern Ligyans, pp. 75 - 80).

العربية : جن ← جنة = ستر، غطاء، سماء.

وعلى كل حال فإن «قدش» لا بد أنها عادت باعتبارها ربة طبيعة في (سوريا) وهي التي أعطت للكلمة العبرية בַּיִת קֹדֶשׁ معناها الذي تحمله في «الكتاب المقدس»⁽¹²⁾.

«بعل»

أعظم الآلهة (السورية) التي عرفت عند المصريين كان «بعر» b^{cr} أو «با - بع» Pa-b^{cr} (= بعل، البعل)⁽¹³⁾. وهو كان، مثل أغلب الآلهة (السامية) رب حرب ومعارك في الأساس، وربها كان تجسيدا لحرارة الشمس المحرقة المدمرة وريح الصحراء الملتهبة. وبياهي رمسيس الثاني في نقوش انتصاراته بأنه كان، عندما أخذ أهفته للقتال وامتطى عربته وخرج للهجوم على مشاة الحثيين، مثل الآلهة «بعر» (بعل) ويمكننا أن نفترض من هذا النص وغيره أن ملك مصر كان فخوراً بأن يقارن نفسه بإله الحرب (السوري) الجبار، وقد عبد «بعر» في الدلتا، وبخاصة في ما جاور (تانيس) حيث شيد رمسيس الثاني مبانٍ كثيرة، وحيث وجد معبد لهذا الآلهة.

ولعل من المناسب أن نذكر هنا الربة «بعرثي» (= «بعلث» أو «بعلت/بعلة») وتعرف بأسم «بِعْرَثِي تَشْبُونَا» (B^{cr}irithi Tchapunā) أو «بعلث صفون» التي قد تعتبر المقابل الأنثى لـ «بعل صفون» المعروف، ولكنها ليست زوجاً للمعبود «بعل».

«رشپ»

هذا معبود (سوري) آخر يوصف في النصوص المصرية بأنه «صاحب القوة المضاعفة بين جماعة الأرباب، الآلهة العظيم، سيد السماء، حاكم الأرباب». وكان مركز عبادته في «حت - رشپ» في الدلتا، ومن المحتمل جداً أنه عُبد في أماكن أخرى عند حدود مصر الشرقية، ويصور على شكل رجل محارب. ويقابل بالمعبود الكنعاني «رشف».

«بس»

يذهب بعض الباحثين إلى أنه معبود (سامي) ويذهب آخرون إلى أنه أفريقي الأصل. ويصور عادة بوجه كامل مثل المعبودة «قدش»، لابسا جلد حيوان من الفصيلة الفهدية. وهورب الموسيقى والرقص، وتُشير تصاويره إلى صلته بعالم الراحة والمتعة والسرور.

وقد خصص «بِدج» خمس صفحات كاملة للحديث عن المعبود «بس» ناقش عبرها المسألة من كل جوانبها، وبين أنه معبود ذكر منذ أقدم العصور في (كتاب الموتى) وأنه حسب النصوص المصرية ذاتها جاء من «ت أ - ن ت ر» (أرض الآلهة = الجزيرة العربية)، وسرد أقوال علماء كبار، مثل «مولر» و«بروغش» أنه ينتمي إلى بلاد العرب بكل المقاييس. ومع هذا فهو يصير على أن (بس) «معبود أفريقي» جاء مصر من جنوبها!

(12) العربية: قَدَس > قَدَس / قَدُوس.

(13) في المصرية تبديل اللام كما هو معروف. . كما تبديل نوناً أو ميماً أو همزة. وقد أبدلت العين هاءً في العربية (بعل) وقلبت مكانياً فكانت «هبل» اسم أكبر أصنام الجاهلية ولكنه ورد في القرآن الكريم باسم «بعل».

خصائص هذا المعبود، كما هو واضح، هي خصائص «القط» إله الموسيقى والمرح عند الأقدمين. واسمه ذاته «بس» اسم عربي، وهو ما لم يشر إليه «بدج» مطلقاً، وإن ذكر أن هذا الاسم ظل مستعملاً اسم علم عند أقباط مصر حتى بعد اندثار المعبود ذاته في صورة Bēsa تلميذ الكاهن الكبير «شنوتي» Shenuti⁽¹⁴⁾ (ص 288).

«بتاح»

لا يختلف الباحثون في عروبية اسم هذا المعبود⁽¹⁵⁾ الذي اكتسب أهمية خاصة في مجمع الآلهة المصرية بعد ظهور عبادة أوزيريس وأدائه دور القاضي بين «ست» و«حورس» في قصة صراعهما. واسمه يقابل الجذر العربي «فتح» الذي يؤدي إلى جملة الدلالات المقترنة بهذا المعبود⁽¹⁶⁾ وما يقابلها في بقية اللغات العروبية. ويستخلص «ميرسر» من هذا صلة «بتاح» ب«بادة» «فتح» لا سيما أن «بتاح» قام بدور مهم في الشعيرة المصرية القديمة الشهيرة المسماة (فتح الفم)⁽¹⁷⁾. وخاصة لأن هذه الشعيرة لها ما يقابلها في العالم (السامي) القديم⁽¹⁸⁾. ثم يضيف: ليس من المستحيل، أو حتى من غير المحتمل، أن أقدم عبدة «بتاح» قد يكونون من (الساميين)⁽¹⁹⁾.

* * *

-
- (14) الصواب، كما نعرفه نحن العرب، «بشاي» و«شنودة»، وليس «بيسا»!
(15) عدا «هولبرغ» Hølemberg في كتابه: The God Ptah الذي أورد كل الصيغ العروبية المقابلة للمصرية «بتاح» وأصر، مع هذا، على أن هذا المعبود (مصري) خالصاً
(16) أنظر تحليل الاسم في هذه الدراسة.
(17) شعيرة دينية يقال فيها إن «بتاح» يقوم بفتح فم الميت لاطعامه في أثنائها.
(18) مستنداً إلى مقالة Blackman: «The Rite of Opening The Mouth in Ancient Egypt and Babylonia» (شعيرة فتح الفم في مصر القديمة وبابل).
(19) أنظر: Mercer; The Religion of Ancient Egypt, p. 140.

هذه الآلهة المعبودة

والآن . . . وقد بلغنا هذا الحدّ، فإن القارىء صار مهيباً، فيما نحسب، لأن يتتبع معنا جملة من (آلهة مصر العربية) وهي «الغاية» أساساً من تأليف هذا الكتاب، لنعرف منشأها وطبيعتها حين نعرف معاني أسمائها وصفاتها وألقابها وبواعث هذه الأسماء والصفات والألقاب، ونعيدها إلى عروبته الأولى. وقبل هذا لا بد من التنبيه إلى بعض الملاحظات :

(7) حرصنا على الترتيب الهجائي للأسماء المعروضة، بقدر الإمكان، تسهياً على القارىء إذا أراد العودة لأي منها. وقد وضعت الباء المهموسة («پ» p) مع الباء المفردة رغم أنها قد تقابل هذه الأخيرة في العربية كما قد تقابل الفاء .

(2) قدّمنا لكل اسم بمقدمة مختصرة، مأخوذة في أغلبها عن «لوركر» (M. Lurker ; The Gods and Symbols of Ancient Egypt) إلا حيث يذكر مرجع غيره .

(3) لم نقتصر في العرض والتحليل على أسماء الآلهة الرئيسية، أو المعبودات وحدها - وهي كثيرة جداً - بل نجد القارىء أيضاً مصطلحات وتعبيرات تتعلق بعالم العبادة والطقوس والأفكار والمعتقدات الدينية، والحكمة والكهانة والأعياد، وتصور الآخرة وعالمها، والحيوانات المقدسة وإن لم تعبد، والأماكن المقدسة، ورموز الشعائر الدينية . . إلخ .

(4) يلاحظ القارىء استرسالاً في بعض المواطن أدّى إليه اتصال الموضوعات واتصال المسائل .

(5) لجأنا في الاستشهادات إلى عدد كبير من آيات القرآن الكريم باعتباره أدقّ نص عربي مسجل، وللمناسبة في بعض الأحيان، وكذلك إلى إيراد شواهد شعرية تأكيداً لما نقول. واستعنا في أحيان أخرى بمقارنة اللغات العروبية القديمة التي كشف عنها، لتقارب الزمان، بالمصرية. وقد نستشهد باللهجات الدارجة، المعاصرة، غير المدوّنة في معاجم الفصحى، إذ نراها استمراراً للقديم .

(6) هناك اختلافات بين العلماء في نقحرة الرموز الهيروغليفية، وقد أتبع الأصل في المرجع المنقول عنه كما ورد، ووُضِعَ المقابل العربي بحروف مقطعة كما هو التقليد المتبع، إلى جانب الحروف

اللاتينية، لكي يتمكن من يرغب في العودة إلى الأصل من العثور على بغيته . كما أثبتنا الترجمة الأجنبية (إنكليزية في الغالب) حرصاً على الأمانة العلمية من جهة وفهماً لروح النص من جهة أخرى، مع الترجمة العربية لفائدة من لا يحسن غيرها.

(7) أدى اختلاف قراءات علماء الغرب للرموز الهيروغليفية إلى اختلافات في تفسيرهم لمعانيها (قارن «أوزيريس» مثلاً) وهو ما نوقش في موطنه . وفي القلم الهيروغليفي ذاته ثمة اختلافات في كتابة بعض الأسماء، ربما حسب اللهجة ما بين الشمال والجنوب (الدلتا والصعيد) أو بحكم الزمان (قارن اسم المعبود «ست» = «س ت»، «س د»، «ش د» . . إلخ).

(8) ترد في أثناء الشرح والتحليل أسماء صارت مشهورة برسم معين، خاصة في المراجع العربية، منقولة عن النطق اليوناني (من مثل : إيزيس، أوزيريس، حورس، تحوت، أنوبيس، نفثوس، أمون . . إلخ) أبقيناها كما هي . أما في الأصل فقد أوردناها كما جاءت في النصوص الهيروغليفية مع النقحرة اللاتينية والعربية (= اس ت، إزر، ح ر . . إلخ).

(9) في أغلب المراجع الأوروبية يلجأ الباحث إلى تحريك ما ينقله من الرموز الهيروغليفية إلى الحرف اللاتيني إلى حركات مفترضة تسهياً للنطق . فيكتب مثلاً : neter, Imen, qerer . ولا يوجد حركات (أو صوائت) vowels في الهيروغليفية بل هي حروف ساكنة (صوامت) Consonants كالعربية، ولذا تطابق العربية في مثل : «ن ت ر»، «ق ر ر»، «إ م ن» . ولا يمكن معرفة النطق المصري القديم بشكل صحيح اللهم إلا افتراضاً أو ربما مقارناً بالعربية وأخواتها.

* * *

بعد هذه . . فلنمنض على بركة الله .


إتم Atem

معبود مدينة هليوبوليس (عين شمس) الخالق. كان تجسيدا للهيولى الأولى التي صدرت عنها سائر المخلوقات، وكان «هو الذي وُجد من نفسه». وقبل أن تفتق (تُفصل) السماء والأرض كان «رب الجميع». يظهر في (نصوص الأهرام) باعتباره «التل الأول» (أو: الهضبة الأولى) - وحسب موجوداً في صورة جعل يخرج من كرة من الطين. وفي (كتاب الموتى) يخاطب «إتم» «أوزيريس» عن نهاية العالم ويعلن أنه سوف يدمر كل ما خلق ويحيل نفسه من جديد إلى حياة - كما بدأ. وفي (نصوص الأهرام) أيضاً حمل «إتم» من ذاته، وولد «شو» أي الهواء (جو) و«تفنت» أي البلبل والرطوبة (تفلة).

يترجم اسم «إتم» ، وأحياناً «ت م» ، في الانكليزية إلى The Complete, The Absolute, The Accomplished one, The Perfect (المتمم، المطلق، التام، الكامل) وإليه تنسب صفات القدم The Oldest (الأقدم) والوحدانية The Only One وأنه رب الجميع Lord of all .
والوصف العربي الذي يقابل اسم هذا المعبود لفظاً ومعنى هو «التام» (= ت م) والأتم (إتم) . . أي المطلق التام والكمال.

إتن Aten

يمثل «إتن» الشمس باعتبارها جرماً سماوياً، ثم اعتبر قرص الشمس المرئي تجلياً للآله «رع»، وقيل عن رب الشمس : «جسمه إتن». كان «إتن» الشمس ذاتها. وقد رفع المنحرب الرابع الذي بدّل اسمه إلى «أخ. ن. إتن» (أخناتون) - رفع «إتن» إلى مرتبة الآله الأوحد ونقى صورته من الأساطير. وفي الخمس السنوات الأولى من عهده كان «إتن» لا يزال يمثل بشكل بشري له رأس صقر، ثم لم يبق إلا قرص الشمس تنتهي أشعتها بأيدي ممسكة بعلامة «عنخ» (الحياة).

يكتب اسم هذا المعبود في الهيروغليفية أحياناً كاملاً  وقد يكتفي بالرمز له بصورة قرص الشمس، دائرة تتوسطها نقطة ☉.

وقد ورد في (لسان العرب) تحت مادة «أتن» قوله :

«الأتون - بالتشديد - الموقد . والعامه تخففه . والجمع : الأتاتين . ويقال : هو مولد . قال ابن خالويه : الأتون مخفف من الأتون وهو أخدود الجيار والجصاص وأتون الحمام . قال : ولا أحسبه عربياً ، وجمعه : أتن . قال الفراء : هي الأتاتين» .

الأتون ، أو الأتون ، إذن هو الموقد - أخدود الجيار والجصاص - حيث تتقد النار اللاهبة - وأتون الحمام المشتعل . وهذا أشبه شيء بالشمس ناراً ولهباً واتقاداً . وقول ابن خالويه «لا أحسبه عربياً» راجع بالطبع إلى عدم معرفته بالعروبية المصرية . ولعل الكلمة من الممات كما يحدث غالب الأحيان لقدمها ، ولكن يكفي استعمالها من قبل العامة والخاصة دليلاً على وجودها وإن أنكرها بعضهم . فقد روي عن عمر بن الخطاب أنه قرأ قوله تعالى «وَفَاكِهَةً وَأَبًّا» وقال : فما الأب ؟ ثم قال : ما كلفنا وما أمرنا بهذا . (لسان العرب ، مادة : أب) . فإذا كان ما نسب إلى ابن الخطاب صحيحاً فهو باعث على العجب فعلاً ؛ إذ لم يجد بقية العرب عسراً في فهم هذه «الأب» ، ومن المستبعد أن يأتي في القرآن الكريم ألفاظ لا يفقهها العرب المعنيون بالرسالة والخطاب ، خاصة في آياته الأولى . فالسبب إذن في حيرة عمر يرجع إلى عدم معرفته هو للكلمة التي ثبتت من الآثار المكتشفة للغات العروبية الأخرى ، كالأكادية والكنعانية ونحوهما ، أن «الأب» يعني ما نزل به القرآن (أي ما أنبتت الأرض من كلاً ومرعى) رغم تطور اللفظ والدلالة .

من جهة أخرى يقارن «كوهن» (Cohen ; Essai Comp. p. 194) بين «إتن» المصرية وما في اللهجة الجبيلية «أترى» atri والصومالية «إترى» itri (ومعناها : نجوم) بتعاقب النون والراء⁽²⁰⁾ . فإذا قبلنا هذا التعاقب فإن رأي «إمبر» (Ember ; 2. A. 21) أقرب إلى الصواب ؛ فهو يرجع «إتن» إلى مادة «أطر» العربية التي تفيد الاستدارة والتدوير . ورد في (لسان العرب) تحت هذه المادة :

«أطره فتأطر : عطفه فانثنى كالعود تراه مستديراً إذا جمعت أطرافه . أطر القوس : منحناه . تأطر بالمكان : تحبس . وكل ما أحاط بشيء فهو له أطره وإطار . عمل له إطاراً . وإطار البيت كالمنطقة حوله . والإطار : الحلقة من الناس لاحظتهم بما حلقتوا به . قال بشر بن أبي حازم :

وحل الحي ، حي بني سبيع * قراضبة ونحن لهم إطار

أي : ونحن محدقون بهم» .

وهذا هو قرص الشمس في استدارته المعروفة . . أو إطارها .

في الأكادية - على كل حال - توجد كلمة «أتو» atū ومعناها : الرقيب ، المراقب ، الراعي . وتعبير «أتو رابو» = atū rābu = الرقيب الكبير . وقد تكون «أتن» المصرية ذات صلة بالأكادية «أتو» باعتبار الشمس رقيباً وعيناً رائية ، وراعياً (قارن مادة «رع» في هذه الدراسة) .

(20) هذا رأي «كوهن» . نحن نكافئ الجبيلية والصومالية بالعربية : «تُريا» . وتنطق في اللهجة «تُريا» Trayya ، وتنطق على مجموعة المصايح الصغيرة معلقة في السقف تشبه النجوم .

تبقى إيماءة إلى معنى اسم «أخناتون» الذي أعلن دعوة توحيد الآلهة وعبادة إله واحد ممثلاً في الشمس. فهو مكوّن من ثلاثة مقاطع : «أخ. ن. إ ت ن». وقد بينا عروبة «إتن». أما حرف النون بينها وبين كلمة «أخ» فهي أداة الاضافة في المصرية، وهي نفسها أداة الاضافة في اللببية القديمة وابتنتها الجبالية الحديثة. وتبقى الكلمة الأولى في الاسم الشهير : «أخ».

يفيد الجذر «أخ» في معاجم اللغة المصرية (أنظر : بدج، غاردنر، فولكنر) معاني ما بين : العظمة، المجد، البريق والسطوع، والفخر، والنفع، والامتياز، والقوة والسيطرة. بل تطلق على «الروح» باعتبارها حائزة لهذه الصفات. ومن الطبيعي أن هذه المعاني التي ذكرت كان ينبغي أن يتصف بها الفرعون إذ هو ذاته المعبود، أو على الأقل تجسيد للمعبود الذي يرمز له بالشمس. . فهو الـ«أخ» بذاته تجمعت فيه سائر الصفات الكمالية. وعلى هذا الأساس ترجم الأستاذ «بدج» لقب «المنحرب الرابع» بأنه يعني «مجد أتن» Glory of Aten مرة وبأنه يعني «روح إتن» Spirit of Aten مرة أخرى. والترجمتان مقبولتان على كل حال.

فما الذي يقابل كلمة «أخ» في اللغات العروبية الأخرى ؟ وهل تفيد نفس الدلالة كما في المصرية ؟

قبل الاجابة عن هذا السؤال تنبغي الاشارة إلى أن كلمة «أخ» في المصرية تفيد كذلك جملة من المعاني متصلة بالنبات، وسيظهر بيان هذا بعد قليل. ففي معجم «فولكنر» نجدته يترجمها (دغل أو أجمة من نبات البردي) (مؤنثة : «أخ. ت). وفي معجم «بدج» يؤدي الجذر «أخ» إلى «أخ ي» : غاب، قصب، نبات مائي. و : «أخ خ» = يخضر، يظهر النبات شطاه، يرعم. و : «أخ خ و» = براعم، زهور. (وهو يوردها كذلك بكسر الهمزة : إخ - وما يشتق منها) . . إلخ.

في الأكادية نجد ما يلي :

أخو : ضرب من النبات.

أخو : شقيق، صديق، جار، رفيق / حمى ، يحمى / يحيط.

أخو : جانب (شق) / ضفة (ماء)، شاطيء.

(Arnolt ; a Concise Dictionary of Assyrian Language)

وفي الكنعانية :

أخ : شقيق

أخ : حرج، خميلة.

(فريجة ؛ ملاحم وأساطير - Gordon ; Ug. Handbook).

ونلاحظ في الاكادية ألفاظاً قريبة من مثل :

خو : مجيد، ماجد.

أكو : تاج.

وكذلك في نفس اللغة :

كُو : نبات مائي .

أَكُو : عظيم .

إِكُو : روح .

. (Syce ; Elementary Grammar)

ويذكر «غوردون» أن المقطع «أخ» يدخل ضمن أسماء كنعانية من مثل aḥtmk و aḥqm (أخ . ت ملك) . كما يمكننا أن نلاحظ هذا المقطع في اسم توراتي هو «أخ - أب» الذي صار «آخاب» تارة و«أهاب» تارة أخرى . (ويبدو أن لهذا الاسم صلة بالاسم المستعمل حديثاً : إيهاب) .

المهم في ما سبق كله أن الجذر «أخ» متصل بمعاني : النبات والقوة، وبالمعنى العام من «الأخوة» أي الولادة من والدين أو من أحدهما، كما أنه متصل بالماء والخضرة أيضاً - في اللغات العروبية .

لنعد إلى العربية ونقارن بينها وبين ما سبق . ونمضي - طبعاً - إلى الجذر «أخا» فلعل فيه بغيثنا . يقول (اللسان) :

«الأخ من النسب معروف . وقد يكون الصديق والصاحب . (قارن الأكادية والكنعانية) والأخا، مقصور، والأخو لغتان فيه . . . الجوهري : الأَخ أصله : أَخُو بالتحريك . . . وقال بعضهم : الأَخ كان في الأصل : أَخُو . . . وكذلك الأب كان في الأصل : أبُو . (قارن اختلاف النطق في اللغات العروبية) . . . وتقول : آخيته، مؤاخاة وإخاء، ولغة طي : واخيته، مواخاة (إبدال بين الهمزة والواو . ولك بالطبع أن تقارن اللهجات العربية الحديثة : خُو، خُوِي، خُوياً/خِي، خِي)» .

هذا كله فيما يتعلق بالمعنى الشائع من كلمة «أخ»، وقد استفدنا أنها تعني الشقيق كما تعني الصديق والصاحب . ولكن أين معنى العظمة والجلال والنفع والافادة والامتياز؟ وأين معنى النبات الذي وجدناه في اللغات العروبية الأخرى ؟
في مادة «أخا» أيضاً يقول ابن منظور :

«الأخية والأخيه والأخية : واحدة الأواخي ؛ عود يعرض في الحائط ويدفن طرفاه فيه ويعيد وسطه كالعروة تُشدُّ إليه الدابة . . . والأخية : الطنب، والأخية أيضاً : الحرمة والذمة، تقول : لفلان أواخي وأسباب ترعى . وفي حديث عمر أنه قال للعباس : أنت أخية آباء رسول الله . . . كأنه أراد : أنت الذي يُستندُ إليه من أهل رسول الله ﷺ وَيَتَمَسَّكُ به» .

من هذا النص يمكننا الوصول إلى جملة مفهومات : أولها أن الأخية «عود»، والعود نبت، أو هو جزء من نبت ساقاً كان أو فرعاً . وثانيها أنها «عروة» و«طنب» أي وثاق، يوثق به . وهذا يؤدي

إلى ثالثها وهو معنى الحرمة والذمة، كمثّل معنى الصاحب والصديق والجار ونحوهم. ورابعها أنها شيء «يستند» إليه، و«يتمسك» به. وفي كل هذا معنى العظمة والجلال، والما وردت عند الحديث عن الرسول الكريم الجليل وآبائه الأماجد. وهذا كله من الجذر «أخا» الذي أدى إلى «أخ» من النسب معروف، كما عبر ابن منظور.

ونحن نعرف أن الدلالة تنتقل من المحسوس إلى المجرد، وهذا ما يحدث في جميع الأحوال بدون استثناء. ومن هنا كان انتقال دلالة الجذر «أخا» من العود - وقد يكون: النبت - في الأصل - إلى ما رأينا، ومنها «الأخ» الشقيق، الذي هو الصديق والصاحب والحرمة والذمة والمستند إليه في الشدائد ومن يوثق به في الأصل.

نضيف هنا ملاحظة عليها تبيين المقصود؛ إذ من الملاحظ أن الألفاظ التي تشير إلى معاني القوة في اللغات العروبية ترجع إلى أسماء تطلق أصلاً على النبات، ونكتفي هنا بكلمة «أب» مادماً نتحدث عن «الأخ»؛ فالأب، الذي هو الوالد، جاءت تسميته أصلاً من «الأب» الذي هو النبات كلاً كان أو أياً من دلالاته المختلفة التي لا تتعدى النبات. ومعنى «الأب» أصلاً: القوي، المتحكم، المسيطر... شأن رب العائلة وسيدها⁽²¹⁾؛ ففي المصرية يُدعى أيضاً «أت» At ومعناها الأصلي: غلب، قهر (قارن مادة «أتت» في «لسان العرب»). ثم انصرفت دلالة «الأب» إلى «الوالد». ولعل هذا هو ما حسب ترادفاً بين «الأب» و«الوالد» وهما أساساً مختلفا الدلالة.

فإذا قلنا بعد هذا إن الجذر «أخ» في المصرية وبقية اللغات العروبية، بما فيها العربية، يفيد القوة والجلال والعظمة كنا على صواب. فلنؤكد ما ذهبنا إليه بما عرف عند قبائل «الهكسوس» العروبية وعرب «النبط». فقد كان ملوك «الهكسوس» في أثناء وجودهم في مصر يُدعون الملوك «الاخوة» (جمع «أخ») وترجم إلى الانكليزية عادةً Brothers (أنظر: تاريخ مانيثو - Waddell ; Ma-netho). وهذه ترجمة غير دقيقة من جانب النظرة السياسية؛ إذ لما كان «الهكسوس» قبائل عروبية، وفي بعض الأقوال عربية، فإنهم استعملوا كلمة «أخ» بمدلولها السياسي الحكمي، إذ هي تعني «الحاكم» أو «الملك» أو ما يقوم مقامهما، ولا تعني الأخ الشقيق. والدليل على ما نقول ما يذكره «سترابون» (Strabo ; The Geography) من أن عرب النبط (النبطيين) كان لهم ملك ينوب عنه نائب يدعى «الأخ»، وهو الحاكم الفعلي أو التنفيذي. ولعل الملك ذا السلطة الأسمية هو «الأب» عندهم باعتباره حاكماً أعلى يستمد منه «الأخ» (نائبه) السلطة التنفيذية. وقد يكون من المفيد هنا الإشارة إلى دلالة كلمتي «أخ» «أب» على الملكية والحيازة في اللغة العربية؛ فنحن نقول: فلان أخو فضل، وهو أخو كرم، وأخو رفعة، وأخو عزة... إلخ. ولا تدخل «أخ/أخو» في الأسماء المركبة حديثاً كما فعلت في الكنعانية مثلاً، لكن «أب/أبو» تدخل فيها، فما أكثر ما نسمي: أبو المجد، أبو العز، أبو الخير، أبو الفضل، أبو الفخير... إلخ. وتتحول النسبة في بعض الأقطار إلى «بن/ابن» وتُدغم كما يحدث في اللهجة الليبية: بنور (= بن النور)، بلخير (= بن الخير). ولو مضينا في هذا السبيل ما انتهينا، والأمر يحتاج لدراسة خاصة ليس هذا مجالها.

(21) لا يزال الأب يُنادى في بعض أنحاء ليبيا: سيدي (= سيدي) كما يدعى العم كذلك، وهو من «السيادة».

إذا التفتنا إلى ما ورد في القرآن الكريم نجد «أخ» بضمائر مختلفة مفردة وجمعاً بمعنى الشقيق، ومؤنثها «أخت» وجمعها. كما أن هارون كان «أخاً» لموسى ووزيراً له. ولكن ما يثير الاهتمام حديث القرآن عن أن الله أرسل إلى عادٍ «أخاهم» هوداً، وإلى ثمود «أخاهم» صالحاً، وإلى مدين «أخاهم» شعيباً (أنظر سور: الأحقاف، الأعراف، هود، النمل، العنكبوت). وورد في سورة (الشعراء): «أخوهم» نوح، و«أخوهم» هود، و«أخوهم» صالح، و«أخوهم» لوط.

فإذا كنا نذكر «أخوة» موسى وهارون باعتبارهما من أب واحد، وبقية المشتقات الواردة في آيات كثيرة بالمعنى ذاته أو بمعنى الصحبة⁽²²⁾، فإن «أخوة» نوح وهود وصالح وشعيب ولوط للقوم الكافرين محلّ نظر. صحيح أن هذه «الأخوة» فسرت باعتبار هؤلاء الأنبياء يخاطبون قومهم، فهم متصلون قومياً، ولكن دلالة «الأخوة» تشير إلى الموافقة والمساندة وليس إلى الخلاف والتناقض والتعارض شأن الأنبياء مع الكفار. وقد نجرؤ على القول هنا إن هؤلاء الرسل دعوى كل منهم «أخاً» لقومه إشارة إلى مكانته الرفيعة بينهم، بحكم الواقع، شيخاً أو رئيس جماعة، فهو «أخ» لهم، أو بحكم اتصاله بالوحي الآلهي وامتيازه عن بقية الجماعة (لاحظ أن كلمة «نبي» جذرها «نبا» أي ارتفع وسبا، وفي الأكادية = نابو = رفيع، عالٍ، إله، رب. إلخ. وفي المصرية: «ن ب» = سيد، رب). وقد يرجح ما ذهبنا إليه أنه ما من رسول آخر ذكر في القرآن الكريم باعتباره «أخاً» لقومهم سوى هؤلاء الخمسة من الرسل. ولنلاحظ أن ثلاثة منهم كانوا عرباً (هود، صالح، شعيب) شيوخ قبائل في الغالب، سادة قومهم، كما كان لوط شيخ قبيلة أيضاً، أما نوح فقد ظهر في ما بين النهرين، على أغلب الأقوال، والهجرات العربية إلى تلك المنطقة معروفة منذ أقدم الأزمنة. وعلى كل حال فإن من اللافت للنظر فعلاً أن يدعى الرسول أو النبي «أخاً» - مهما كانت الدلالة - ففيه معنى النورانية، والروحانية، مما يفسر تسمية «النور» و«الروح» في المصرية «أخ» كما سبقت الإشارة.

نخلص مما سبق إلى القول بأن اسم «أخناتون» يتكون من:

أخ: حاكم، سلطان، قوة، عزّة، إلخ/ «الأخ». الجذر: «أخا».

ن: أداة الأضافة.

أتن: الشمس/ «الأتون»

فهو: قوة الشمس، أرووحها، أو ما شئت من دلالات سبقت إليها الإشارة. أو هو «الحاكم (بأمر الشمس)». تماماً كما كان «الحاكم بأمر الله»⁽²³⁾.

(22) لاحظ أن كلمة «صاحب» تستعمل في الأوردية والسواحلية بمعنى «سيد».

(23) اسم «الله» ذاته يعود إلى معنى النور. في العروبيات الأخرى: «إل». وجذرها «ألل» = سطح بالنور، وشع، وأضاء. جاء في مادة «ألل» من (اللسان): والإل: الله عز وجل، بالكسر. وفي مادة «أله»: «الآله: الله عز وجل، وكل ما اتخذ من دونه معبوداً إله عند متخذه. والجمع: آلهة... والآلهة (= الآلهة): الشمس».

إِسْفَات isft

كان على عبّاد «أوزيريس» لكي يحظوا بالبعث والخلود أن يعيشوا حياةً مستقيمة ذات خلق كريم، فلا يكذبوا ولا يغشوا ولا يفخروا بشيء. وكان عليهم أن يراعوا نواميس الآلهة وأن يتجنبوا كبائر الأثم والفواحش ما ظهر منها وما بطن. وهو ما يسمى على الجملة «إس ف ت» isft.

. (Budge ; The Dwellers, p. 228)

يترجم «بدج» كلمة «إس ف ت» (التي تكتب بصور متنوعة. أنظر «غاردر» (Eg. Gr., p. 555) بأنها تعني : ذنب، إثم sin⁽²⁴⁾. ويترجمها «غاردر» على أساس أنها تعني : الشر evil أو الخطيئة (Wrongdoing).

في العربية لدينا الجذر «أسف» وأهم دلالاته : الحزن والغضب، والدارج الآن : الندم. ولا يكون الحزن والغضب، والندم، إلا من خطأ أو شر ارتكب. وقد جاء في القرآن الكريم :

وكان هذا قول يعقوب غضباً من أبنائه . كما جاء :

﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ . طه / 86 .
﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ . الأعراف / 150 .

وهاتان الآيتان تتحدثان عن غضب موسى وحزنه لمخالفة بني اسرائيل أمره وانحرافهم عن الدين القويم بعيد أن تركهم .

وورد :

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ الكهف / 6 .

وفي آية كريمة تتحدث عن رسالة موسى إلى فرعون وملاه جاء :

﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ . فَلَمَّا أَسْفَوْنَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ . الزخرف / 55-56 .

(24) يترجم «بدج» في معجمه (صفحة 89) كلمة «إس ف ت» إلى : خطأ، إثم، خطيئة، ذنب، جريمة، شر، عسف. (قارن : عسف/أسف).

وقد اتفق معظم المفسرين على تفسير كلمة «أسفونا» بأنها تعني «أغضبونا». ولا جدال في أن هذا «الإيساف» أو «الأسف»، بسكون السين، كان باتباع الكفر الذي هو أكبر الذنب. وهذا معناه ارتكاب الاثم والبعد عن الفضيلة والحق والخير.

على أن من معنى «الأسف» في العربية كذلك : اللهفة والجزع والذلل. وهذه كلها من سمات المذنبين الخطاة في جميع الأديان. فإن كان الأمر كذلك فإن «إس ف ت» المصرية هي «أسف» العربية مؤنثة (أسفة واحدة = غضبة واحدة). ونستطيع القول إنها تساوي «الأسفة» الواحدة أي الذنب الواحد.

وفي المصرية يأتي اسم الفاعل في صورة «إس ف ت ي» isfty نسبة إلى «إس ف ت»، فهو «الأسفتي» (نسبة إلى «أسفة») أي «الأسف»، ذلك الذي «يؤسِف» بأن يخطيء ويذنب، ثم «يأسف» لما فعل ندماً، أو من بعد العقاب الرادع.

هذا هو «الأسف» (أو : «إس ف ت») بعد أن تطورت الدلالة. بيد أنه لا تفوتنا الإشارة إلى الجذر «إس ف» isf في المصرية الذي يبدو أن «أس ف ت» تطورت عنه. ويترجمه «بدج» (المعجم، صفحة 89) بمعنى : قطع - (to cut off). فإن لم تكن هذه «سيف» العربية (ومنها : سيف، سياف) فإننا نلمح في الجذر «أسف» بعض الدلالة على «القطع» يبدو أنها غابت بتطور المعنى عبر العصور.

أورد ابن منظور في (اللسان) :

«قال الأعشى رحمه الله تعالى :

أرى رجلاً منهم أسيفاً كأنها * يضم إلى كشحيه كفاً مخضباً

يقول : كأن يده قطعت فاخترضبت بدمها. ويقال لموت الفجأة : أخذته أسفة. وقال المبرد في قول الأعشى : أرى رجلاً منهم أسيفاً : هو من التأسف لقطع يده، وقيل : هو أسير قد غلّت يده فجرح الغل يده».

فإذا نظرنا إلى «الجرح» و«القطع» و«الأسفة» في هذا المقام وجدناها متصلة بعضها ببعض. ومن رأينا أن تسمية الموت فجأة بكلمة «أسفة» ذات دلالة ؛ فإن الموت فجأة (فجأاً = قَطَعَ) يعني «القطع» على حين غرة. وقد ورد : «موت الفجأة راحة للمؤمن وأخذة أسف للكافر...» وفي حديث النخعي : إنهم كانوا يكرهون أخذة كأخذة الأسف» (أي القطع)⁽²⁵⁾.

وقد رأينا أن «إس ف» تعني «قطع»، ومنها «إس ف ت» : شر، خطأ، جريمة. والفاعل «إس ف ت ي» والجمع «إس ف ت ي و» (ياء النسبة + واو الجماعة، بعد تاء التأنيث).

أنظر إلى «جريمة»، «مجرم»، فإن جذرها «جَرَمَ» أي : قطع. وكذلك : «خطأ»،

(25) في لهجة عرب ليبيا يقال : يا فجيوي! أي : يا أسفي! (يا فجيوعي). (فارن : فجأاً، فجَع = شق، قطع).

«خطيئة»، «خاطيء»، «مخطيء» - جذرها الثنائي «خط» ويعني : شق، قطع. و«شر»، «شري»، «أشرار» من «شرر» وفي معناها أيضاً : القطع والقُد.

بهذا تقابل «إس ف» المصرية أختها العربية «أسف» ليس بعد تطور الدلالة فحسب، بل حتى في المعنى الأولي الحسي أيضاً.

أش ash, ash-t

معبود ليبي الأصل كما يرى بعض الباحثين (أنظر :
aš (Wainwright ; The Sky Religion, pp. 10 – 13). وقد ظهر «أش»
على الألواح المصرية منذ الأسرة الثانية وبرز برونياً كبيراً في الأسرة
الخامسة، أما في الأسرة الثانية والعشرين (الليبية) فقد سيطرت
عبادته خاصة في الواحات.

كان «أش» يقرون بالمعبود «ست» في الأسطورة المصرية، وهذا
راجع إلى الصلة الوثيقة بين جنوب مصر الذي ظهرت فيه عبادة
«ست» وواحات الصحراء التي شاعت فيها عبادة «أش». وهو يُمثل
أحياناً برمز «ست» (حيوان ذئبي الشكل) للصلة الوثقى بين
المعبودين، ويعتبر أحد رموز الموت⁽²⁶⁾.

يلقب هذا المعبود عند المصريين القدماء بلقب «ن ب. ط ح ن و» N b. Th n w (رب
[شعب] الطحنو). وترجمها «شيرني» (Gerny ; Ancient Eg. Religion) : «سيد الطحنو» (Lord of
Tjehenu). أما «وينرايت» Wainwright فيترجمها : «سيد ليبيا» (Lord of Libya) - توحيداً منه بين
«الطحنو» و«الليبيين».

وقد ارتبطت عبادة «أش» بمفهوم الصحراء القفر، تلك الرمال الجرداء غير ذات الحياة التي
لا نبت فيها ولا ماء. وما من شك في أن صلته الأسطورية بـ«ست» ذات دلالة لها مغزاها هنا.
ف«ست» هورب النار، إله الجحيم المحتدم وألسنة اللهب المضطربة وكل ما يمثله «الشیطان» في
هذا المجال. و«أش» رب الرماد، بقايا النيران ومخلفاتها ممثلاً في الصحراء التي تشبه الرماد في انعدام
الحياة (ولا ننس هنا أن «أوزيريس» عدو «ست» وعدو «أش» هورب الزرع والخضرة والنماء). ومن
هنا جاء ارتباط «أش» بالرماد، وعلاقته بالموت، أو الموات (قارن : الأرض الميتة، الأرض الموات
= الصحراء)، كما جاء ارتباطه أيضاً بالقبور.

(26) أنظر لمزيد من المعلومات : Wainwright ; The sky Religion, PP. 10 – 13
. Griffith ; The origion of Osiris, p. 42–3, 90, 141.

في العربية هناك كلمة تعني «الرماد» وتقابل اسم معبود الصحراء ولكن تنبغي الإشارة إلى مسألة الابدال التي تتكرر كثيراً ما بين حرفي السين والشين. وقد أوضح «غرفث» Griffith هذا الأمر في كتابه (The Origion of Osiris, p. 142) استناداً إلى «غاردرنر» (Eg. Gr.) الذي يقول إن حرف الشين في المصرية يتحول إلى سين في اليونانية وضرب لهذا مثلاً Arsaphes في اليونانية التي هي في المصرية «ح ر - ش. ف» h r. š. f. كما يتعاقب السين والشين كثيراً في المصرية ذاتها. ولم يضرب «غاردرنر» مثلاً من العربية... وإن كان القارئ يدرك كثرة الابدال في العربية نفسها فما بالك بينها وبين المصرية؟

إن الكلمة التي تعني «رماد» وتقابل اسم المعبود «أش» - وسوف تقابلنا بعد قليل ثلاث مرات - هي «أس». وقد تسأل: ما «الأس»؟ فيجيبك ابن منظور:

«الأس»: بقية الرماد بين الأثافي في الموقد. قال:

فلم يَبْقَ إلا آل خيمٍ منضدٍ * وسُقِّعَ على آسٍ ونُوِّيَ مُعْتَلِبٌ (27).

وقال الأصمعي: الأس: آثار النار وما يعرف من علاماتها.

هذا هو «الأس» (= الرماد) وهو في المصرية «أش» as (إله الرماد).

في التصاوير الهيروغليفية يصور المعبود «أش» أحياناً بالحيوان الذي يرمز إلى المعبود «سث» ذي الصلّة به. وهو حيوان غريب فعلاً لم يتفق الباحثون على فصلته بعد، وأكثر ما اتفقوا عليه في جلتهم أنه كلبى الشكل أو ذئبيه. فإن كان نوعاً من الذئاب انقرض (حسب افتراض «بدج» - لكثرة ما صيد) فلا بد أن يكون له اسم يدل عليه.

مرة أخرى نعود إلى العربية ونقارن. أفليس من المقبول أن يكون اسم الحيوان قريباً من اسم المعبود الذي يمثله؟ هذا هو واقع الحال في جميع الحيوانات الرامزة إلى المعبودات المختلفة في المصرية. فينبغي إذن ألا يكون «أش» استثناءً. فما هو هذا الاسم الذي يطلق على هذا الحيوان الذئبي مثل «أش»؟

إنه «أوس». هذا هو الاسم المطابق تماماً:

«الأوس»: الذئب، وبه سُمِّيَ الرجل. ابن سيده:

وأوس: الذئب - معرفة. قال:

لما لقينا بالفلاة أوساً

لم أذعُ إلا أسهماً وقوساً

وما عدت جرأةً وكيساً

ولا دعوت عامراً وعيساً

(27) معنى البيت أنه لم يبق من الأحبّة سوى عُمِدِ (آل) الخيام منضدةً (وقد ذهب الخيام نفسها) ورمل محروق أسود (سُقِّعَ) فوق رماد (أس) وحاجز محفور مجرىً للهاء حول الخيام (نُوِّيَ) مهْدَمٌ (معتلب).

أصبت فيهم نجدةً وأنسا

أبو عبيد : يقال للذئب : هذا أوسٌ عادياً، وأنشد :

كما خامرت في حضنها أم عامرٍ * لدى الحبل حتى غال أوسٌ عيالها

وأويس : اسم الذئب جاء مصغراً مثل (الكميت) و(اللجين). قال الهذلي :

يا ليت شعري عنك والأمرُ أممٌ * ما فعل اليوم أويسٌ في الغنمِ ؟

... وقال أسماء بن خارجة :

في كل يوم من ذؤالهِ * ضغثٌ يزيد على إبالةِ
فلاخشأنك مشقّصاً * أوساً، أويسٌ، من الهبالهِ

(لسان العرب ؛ مادة : أوس)

وما يثيرنا في هذا الاقتباس أن بصر «ابن سيده» على أن «أوس» معرفة بذاتها، أي لا ضرورة لدخول أداة التعريف عليها. فكأننا هي هنا تقابل «أش» المعرفة بذاتها والتي لا تدخل عليها أداة التعريف كذلك، كما لا تدخل على «ست» أو «أوزيريس» وغيرهما من الأرباب في مصر القديمة. ويشد انتباهنا أيضاً أن «أوس» (ويصغر : أويس) يسمى به الرجل. ومن المعروف جداً أن المصريين القدماء - والفراعنة خاصة - كانوا يتسمون بأسماء المعبودات دون حرج.

هذا إذن وجه آخر من مقابلة المعبود «أش» في صورته الحيوانية الذئبية : «أوس».

وفي الأسطورة المصرية أن الطائر المسمى «ب ن و» (b n w) أنظر هذه المادة في هذه الدراسة) خلق نفسه بنفسه ووجد من «رماد» النار المشتعلة أعلى شجرة يُسميها «بدج» : شجرة «البرسي» أو «البريسيا» Persea المقدسة في (عين شمس) Heliopolis . ولم يكن «ب ن و» يمثل ولادة الشمس كل يوم من جديد فحسب بل كان منذ أوائل عصر الأسرات رمزاً لبعث البشر ؛ إذ كان المعتقد أن «جسد» الانسان الروحي ينبثق من جسده المادي الميت، كما أن لشمس اليوم الحية أصلها في شمس الأمس الميتة . (Budge ; The Gods of The Egyptians, ii, p. 371) وهذا هو طائر «الفونيكس» Phoe-nix (= «ب ن و/ ب ي ن و») اليوناني الذي ينتفض حياً بعد احتراقه منبثقاً من «رماد الموت» ليحيا من جديد.

لعل القارئ كَوَّن صورةً عن الموت والبعث من الرماد. فما صلة المعبود «أش» بهذا ؟

عرفنا صلته بالرماد (أش = آس). هذا واضح الآن فما له ولشجرة «البريسيا» Persea يا ترى ؟

ولا أكتمك. لقد بحثت عن معنى لاسم هذه الشجرة في المعاجم الانكليزية - العربية (كالمرود والقاموس العصري) فلم أعثر لها على أثر. لجأت إلى (The Concise Ox. Dict.) وكذلك (Webster New World Dict.) فإذا بهما يتجاهلاتها تماماً. أخيراً وجدتها في (The Universal Oxford

(Dict.) وهو يقول عنها : كلمة «دخلت اللغة الانكليزية سنة 1601 م. وهي من اليونانية Persia .
في الأساطير القديمة : شجرة مثمرة مقدّسة في مصر وفارس» .

هذه الشجرة المثمرة المقدسة عرفت في مصر . هذا واضح . وهي اشتهرت في «فارس» (إيران
الآن) وجلياً أن اسمها في اليونانية Persia (Persea) - وعنها أخذت الانكليزية - هو اسم «فارس» ،
وقد نقابلها بـ«الفارسيّة» نسبة إلى «فارس» .

فليكن . فما اسم هذه الشجرة المباركة في اللغة المصرية القديمة ؟

في معجم «بدج» (An Eg. Hier. Dict., p. 10)

نقرأ :

«ء ش ء ش ت» a š a š t : زهرة .

ونرى أن التاء في آخرها للتأنيث ، وأن «ء ش ء ش» ليست سوى مضاعفة «ء ش» (= زهر)⁽²⁸⁾ . وهذا ما يقابل «أس» في العربية بمعنى «زهر» أو بالتحديد : «ريحان» .

«قال ابن دريد : الأس هذا المشموم أحسبه دخيلاً غير أن العرب قد تكلمت به وجاء في
الشعر الفصيح . قال الهذلي :

بُمُشْمَخِرٌّ لَهُ الظُّيَّانُ وَالْأَسُ

والظُّيَّانُ : نبتٌ باليمن يدبغ بورقه» . (اللسان ، مادة : أوس) .

وفي نفس معجم «بدج» (صفحة 92) نجد :

«إ ش ت» i š t شجرة اليرسيا Persea .

والتاء هنا للتأنيث ، و«إ ش» i š هي ذاتها «أس» في العربية أيضاً ، مما سنذكره بعد قليل . وقد
سوّى «بدج» (نفس المصدر، وقارن كتابه : The Gods of The Egyptians, ii, p. 61) بين «إ ش ت»
i š t و«إ ش د» i š d التي وردت في بعض النصوص المصرية . فهل تحولت تاء التأنيث في «إ ش .
ت» إلى دال (إ ش . د) لقرب نخرج الصوت ؟ هذا ما نرجحه ، وبذا يكون الأصل هو «إ ش» اسم
هذه الشجرة المقدسة .

لقد بيّنا العلاقة الوثيقة بين المعبود «أش» والرماد (العربية : آس) كما اتضحت الصلة بينه
وبين حيوان «سث» الذئبي (العربية : أوس = ذئب) وتبقى صلته بشجرة «اليرسيا» Persea
أو«الفارسيّة» .

ليعلم القارى أولاً أن المعبود «أش» يعتبر أيضاً من آلهة «القبور» ، حيث الموت والموتى . وهذا
ما يأخذنا إلى الكلمة العربية «أس» مرة أخرى ، ومعناها هنا : «القبر» - واستشهد قائلاً :

«وما استأست بعدها من آسى * ويلي افئني لاحقاً بالأس»

(28) قارن قولنا في العربية : زها ← زهزة ، هش ← هشهش . . . مثلاً .

يعني : القبر» (اللسان، مادة : أوس).
ويبدو أن صلة الرماد الذي يسمى «الأس» برفات الأموات (تراب، رماد) هي التي جعلت
«الأس» يعني القبر كذلك - حسبها ورد.

بعد هذا نذكر ما يورده (معجم أكسفورد) المشار إليه (Un. Ox. Dict.) عن شجرة الـ *Persea* ؛ فهي عنده : «نوعٌ من الشجيرات من فصيلة الغار (Laurace) شائعة في أمريكا الاستوائية وجزر الهند الغربية». وهذا النوع من الشجر، فيما نحسب، يقابل في العربية «الأس» ومنه صنفان ؛ أحدهما ضربٌ من الرياحين (يسمى أحياناً «الريحان») وهو المشموم الذي مر ذكره، وشجيراته صغيرة لا تكبر كثيراً. والآخر يقول عنه أبو حنيفة :

«الأس بأرض العرب كثير ينبت في السهل وفي الجبل وخضرته دائمة أبداً ويسمو حتى يكون شجراً عظماً، واحدته : آسة (قارن «أش . ت» is. t) وفي دوام خضرته يقول رؤبة :

يخضُرُّ ما اخضُرَّ الألى والأسُّ

التهذيب : الأس ؛ شجر ورقه عَطِرٌ.

نحن إذن أمام اسم شجر قد يكون دخيلاً حسب رأي ابن دريد والدخيل في مصطلح اللغويين العرب الأقدمين يعني قد يكون فارسياً . ولك أن تقارن اسمه في اليونانية (Persia) - ولكنه ورد في الشعر الفصيح (وابن دريد لم يكن يعرف المصرية ، وهو لو عرفها لحسبها «أعجمية» ! وهو شجر قد يكون صغيراً وقد يعظم ، وهو ببلاد العرب كثير (فلماذا يسمى باسم «دخيل» ياترى؟!) دائم الخضرة ، عطر . ويلاحظ «بدج» (The Dwellers..., p. 150) أنه ينمو بكثرة في الجبانات وحول أضرحة الأولياء في مصر، ولعل السبب في استنباته هناك راجع إلى خضرته الدائمة وعطر ورقه النفاذ . . ترويحاً عن ساكني الرموس وتعطيراً لقبورهم بعرف شذي⁽²⁹⁾ . وقد يكون هذا هو النوع الأول من «الأس» ذلك الصغير (= الريحان) وقد يكون شجراً يعظم وهو «الأس» أيضاً وإن كبر . وهو «أس السهل والجبل» .

فهل نبعد عن سبيلنا إذا عدنا إلى اللغة الانكليزية مرة أخرى ؟

إننا نجد فيها كلمة «آش» ash بمعنى «رماد» - وهي معروفة مشهورة . لكن الكلمة ذاتها (ash) تأتي تسمية لشجرة يقول عنها «معجم أكسفورد» Un. Ox. Dict. إنها : «شجرة غابية موطنها أوروبا وغرب آسيا وشمال أفريقيا» . ثم يجللها إلى فضائل علمية ويقسمها إلى قسمين : أحدهما

(29) قارن الدعوة المشهورة : «اللهم عَطِّرْ قَبْرَهُ الكريم بعرف شذي من صلاة وتسليم» . فهل تكون صيغة «إش د» is d التي أوردها «بدج» (المعجم ، صفحة 92) بالبدال اسماً لهذه الشجرة المقدسة هي «شذي» العربية = عطر، أو «شذي» = عاطر ؟

ويذكر خير الدين الأسدي في «موسوعة حلب المقارنة» مجلد 1 ، ص 15) «الأس» ، وهو في السريانية : آسأ ، وفي الكلدانية : آسأ ، وفي البابلية : آسو . . وفي سوريا يزيتون به الجنائزات ، وعليه يقول الشوام : «تشكُّل آسى» - أي : أموت قبلك وتتولى أنت تكريمي .

يسميه (ground ash) وهذا هو ما يقابل في العربية : آس السهل - الصغير) والآخر (mountain ash) وهو ما يقابل : آس الجبل⁽³⁰⁾). . . تماماً كما ذكر أبو حنيفة ونقله صاحب (لسان العرب) عَطَّرَ الله قبريها الكريمين يعرف «شذي» !

فهاك الآن هذه الخلاصة :

طائر الـ«ب ن و» (أو : ب ي ن و) أي «الفونيكس» (Phoenix) في اليونانية - انتفض حياً من رماد (آس) شجرة «الفارسية» Persea (الآس) التي تنمو عادةً على القبر (الآس). والمعبود الليبي - المصري القديم «أش» يمثل الرماد والموت والقبر، ويصور عادةً برمز المعبود «سث» على شكل ذئب (أوس).

* * *

فهل نكتفي بهذا ياترى ؟

لا بأس، فيما أظن، من بعض الإضافات إن لم تفد فهي لن تضير :

1 - في معجمه، وفي مؤلفاته الأخرى، يورد «بدج» - وكذلك يفعل «غاردرنر» و«فولكنر» - اسم الشجرة المقدسة التي تحدثنا عنها باعتبارها Persea، وتقرن أحياناً بالانكليزية (Sycamore). فإذا بحثنا عن معنى هذه الأخيرة وجدناها تعني شجرة «الجميز»، وترجع الانكليزية (Sycamore) إلى اليونانية الآخذة - كما قيل - عن العبرانية (Shiqmah). فلنرجع إلى مادة «سقم» العربية نجدها في (لسان العرب) تقول :

«السوقم شجر عظام... وله ثمرة مثل التين، وإذا كان أخضر فإنها هو حجر صلابة، فإذا أدرك اصفر شيئاً ولان وحلاوة شديدة، وهو طيب الرائحة يتهدى».

وهذا هو «الجميز» بعينه. فلنراجع مادة «جمز». . . فنجدها تقرر :

«الجميز والجميزي : ضرب من الشجر يشبه حمله التين ويعظم عظم الفرصاد (التوت) وتين الجميز من تين الشام أحمر حلو كبير. . . قال (أبو حنيفة) : وضرب آخر من الجميز له شجر عظام يحمل حملاً كالتين في الخلقة ورقتها أصغر من ورق التين الذكر، وتينها صغار أصفر وأسود يكون بالغور يُسمى : التين الذكر».

وفي نفس المادة يذكر ابن منظور أن «الجمزة كالقمزة». وفي مادة «قمز» يقول :

«القُمزة، بالضم، مثل الجمزة وهي كتلة من التمر. والقمزة من الحصى والتراب : الصوة، وجعها : قُمز».

(30) هناك عدد كبير من أسماء الأشجار في الانكليزية مأخوذ عن العربية - مثلاً oak (أيك)، Cedar (سدر)، aethylla (أثل)، Sandal (صندل). ومن النبات : Calabash (خربز = بطيخ)، Calla (خلة). وهذه مجرد أمثلة نرجو أن تخرج دراسة كاملة عنها، وعن غيرها، في القريب.

والصُّوَّة هي الكتلة الصلبة (= السوqm إذا كان أخضر فإنها هو حجرٌ صلابةً). وقد رأينا أن «قمز» هي ذاتها «جمز» (ومنها الجمِّيز) بتبادل القاف والجيم (وهما أساساً : g) كما يتبادل السين والزاي - لقرب مخرج الصوت - وبذا تتساوى «جمز»، «قمز»، «قمس». والأخيرة قلبت قلباً مكانياً فكانت «سقم»، ومنها : «السوqm» الذي كان في العبرانية Shiqmah (ش = س) وعنها أخذت اليونانية Sukaminos (أو أخذت عن العربية «سقم») وصارت في الانكليزية Sycamore = جميز.

2 - في معجمه أيضاً (صفحة 347). يسجل الأستاذ «بدج» الكلمة المصرية «ن ع ر. ت» nīr.t. ويترجمها : Sycamore tree (Laurier Rose)، ويقارنها بالقبطية النيرونية nerion والعربية «ناريون». وقد يبدو هنا أن العربية أخذت عن اليونانية، ولكن هذا غير دقيق؛ فإن الجذر الأصلي للكلمة في المصرية والقبطية واليونانية هو «ن ر» nr- وهذا هو نفس الجذر الشائلي للعربية : «نور» - وتؤنث : «نور.ت» (= نورة/نؤارة) وهي (Laurier Rose) بالضبط = المصرية «ن (ع) ر. ت»⁽³¹⁾.

وفي صفحة 797 من معجمه يترجم «بدج» الكلمة المصرية «ك س ب. ت» ksb.t : (ولها صور أخرى في الهيروغليفيه منها :) بأنها تعني Sycamore (جميز) شاكاً في صحة الترجمة بوضع علامة استفهام (؟). فإذا تمعن القارئ في الصورة الهيروغليفيه الثانية لكلمة «ك س ب. ت» ومحددها الشجيرات الثلاث تبين لديه أنها لا تعني «الجميز» ولكن شيئاً آخر من النبات. وقد نرجع هنا إلى مادة «قصب» فنقرأ :

«القصب : كل نبات ذي أنابيب واحدها : قصبة. وكل نبات كان ساقه أنابيب وكعوباً فهو قصب» (وقارن هنا الرمز المحدد - باعتبار القاف تعاقبت مع الكاف والصاد مع السين في المصرية (ك س ب. ت) والتاء للتأنيث.

وفي مادة «قصب» نقرأ :

القيسب : ضرب من الشجر. قال أبو حنيفة : هو أفضل الحمض. وقال مرةً : القيسبة، بالهاء : شجيرة «تنبت خيوطاً من أصل واحد، وترتفع قدر الذراع، ونورتها كنورة البنفسج،

(31) العين هنا تقابل الهمزة. ويقول الأستاذ «برغشتراسر» G. Bergsträsser (التطور النحوي، صفحة 26) : «وهذا الضرب من النطق للحروف المطبقة سائد في كل اللهجات العربية والآرامية المستعملة اليوم. لكن اللهجات الحبشية يوجد فيها نطق يخالفه تماماً، وخاصة زيادة صوت كاهمز إلى الحروف المطبقة، يعني أنه قبل إخراج الحرف من مخرجه يعلق فم الحنجرة تماماً، ثم ينطق الحرف، ثم يفتح فم الحنجرة فيصدر من ذلك الصوت الزائد المذكور الشبيه بالهمزة، نحو : (دء صء). ويحتمل أن يكون هذا النطق الحبشي للحروف المطبقة هو الأصلي أو القريب من الأصلي، وأن النطق العربي لها مشتق منه».

وفي اللغة المصرية يحدث هذا كثيراً، بصوت الهمزة أو شبيهها أو شبيه العين - وهما قريباً مخرج الصوت. مثال ذلك في العربية : دَعَسَ = دَأَسَ = دَأَسَ، أي : وطأ وتقول : لأمة الحرب، ولأمة الحرب - مهموز وغير مهموز. كما تقول : فأس، فاس/ فأس، فاس/ فأس، رأس، رأس. «قال الفراء : ربما خرجت بهم فصاحتهم إلى أن يهمزوا ما ليس بمهموز، فقالوا : لبَّأت بالحجج، وحلَّأت السويق، ورثَّأت الميت، (بدلاً من : لبَّيت، حلَّيت، رثَّيت). - (لسان العرب، مادة : لبأ). وقد اعتبر الفراء الهمز من الفصاحة، وهو عند «برغشتراسر» النطق الأصلي.

وَيُسْتَوْقَدُ بِرَطوبتها كما يستوقد اليبيس». (ومرة أخرى ندعو القارىء ليتأمل المحدّد الهيروغليفي في المصرية «ك س ب . ت» ليرى أنها «قسبة» (أو قيسبة) بتبادل الكاف والقاف ، وهما من مخرج صوت واحد ، فقط ليس غير) .

فما الذي بقي ؟

فلينظر القارىء في هذه الكلمات المصرية ليستوثق من تطابقها مع العربية في جميع الأحوال (المرجع : Budge ; An Eg. Hier. Dict : والصفحات المذكورة أمام المفردات) :

Page

10aš, aš.t : dog, jackal.

aš : an offering made by fire.

ašašt (= aš/aš.t) : flower

25 iaša : a kind of dog or jackal

81ls, is.t : tomb, chapel of a tomb.

82is : ground

isy : to passaway in decay.

isw : decay, destruction.

92išt, išd : a kind of tree, perseae (?), sycamore-

fig.

347n^r.t : Sycamore tree (Laurier Rose). Cap.

Nir, Gr. nerion, arab.

N^{ry}.t : The goddess of the N^r tree

797ksb.t : a kind of fruit tree, Sycamore-fig

Tree (?)

أوس ، أوسة (ذئب ، ذئبة)

آس (رماد)

آسة (ريحانة)

أوس (ذئب) .

آس (قبر) .

آس (رماد) .

آسي (مادة : أسا)

آس (شجرة الآس الدائمة الخضرة) .

ناريون (نور) . (نورِيَّة)

(قسب) / (قسبة)


ملاحظة أخيرة :

يذكر «أوريك بيتس» في كتابه (الليبيون الشرقيون) ؛ (The Eastern Libyans, p. 75) أن «الرماد» في غدامس يسمى «إشيد» ešed . ومن الواضح صلتها بالمصرية في صورة «إش د» išd التي هي ذاتها «إش . ت» iš.t (مؤنث : (إش) ، وهي العربية «آس» (رماد) فلو أنث الرماد (رمادة)⁽³²⁾ لكانت «آسة» - الغدامسية : «إشد» .

(32) الواقع أن «الرماد» يؤنث : هناك (عام الرمادة) المشهور في تاريخ صدر الإسلام .

إعرت Aar-ti

من اسم هذه المعبودة «ي رع . ت» أو «ي ع ر . ت» (قارن معجم بدج (An Eg. Hier. Dictionary) جاءت الكلمة اليونانية (Uraeu, Uriaos (Ourai(s) التي تعني أصلاً «الشبابية، الشابة، التي تشب» She who rears up . وكانت تصوّر على شكل حية يضعها الفرعون على إكليله، أو - بدءاً من المملكة الوسطى - على تاجه . وكانت تمثل «الكوبرا» (الصّل المصري) شابة ذات عنق منتفخ . وقد يمكن تتبع هذا الشعار الذي يوضع على الرأس إلى القصة، أو الريشة، المعروفة عند قبائل ليبيا القديمة . ويرى آخرون هذه الحية حيواناً رمزياً (طوطماً) في مملكة «بوتو» Buto ما قبل التاريخ بالدلتا، حيث كانت الربة «ورق ت» على جبين الملك في شكل «الكوبرا» . ولما كانت رمزاً للملك والسلطان فقد صارت شعاراً للربين الملكيين «حورس» و«ست» .

نحب أن نبدأ أولاً بتحليل اسم الحية التي كانت طوطماً في مملكة «بوتو» بالدلتا ما قبل التاريخ، وقد نقحرتها إلى العربية «ورق ت» . والحقيقة أن ثمة اختلافاً كبيراً بين الباحثين في قراءة الرمز الهيروغليفي  إذ يقرأه «غاردنر» : w3_dyt بينما يقرأه «بدج» uatchit . وعند «شيرني» : Wadjet . أما عند «إمبير» فهو wagt (وء ق ت) وعنده أن الهمزة حلت محل الراء في ما يسميه (اللغة السامية) في كلمة «ورق ت» ومعناها : «خضراء» (wrgt) .

ونحن نختار قراءة «إمبير» التي نراها أقرب إلى الصواب ؛ فإن نظرة واحدة إلى «معجم بدج» (صفحة 150 وما بعدها) تبين أن «ورق» (عنده ؛ uatch = غاردنر : w3d) تفيد في مشتقاتها الكثيرة : الخضرة والاحضرار . وهذا ما يفيد الجذر في العربية «ورق» بالضبط . وهناك سبب آخر يدعونا إلى ترجيح مذهب «إمبير» وهو أن هذه المعبودة الأفعى نشأت طوطماً بين حشائش الدلتا وأعشابها المخضرة، ولا بد أنها - بحكم الطبيعة وضرورة التستر والاختفاء - اتخذت لوناً أخضر يوائم البيئة التي نشأت فيها، فكانت تسميتها كذلك : الخضراء .

يؤيد ما رأيناه الاسم الآخر الذي أطلق على هذه الحية في عصر الأسرات، وخاصة منذ المملكة الوسطى - فقد سميت «ي رع . ت» أو «ي ع ر . ت» على سبيل القلب، أو حتى «ي رع ي . ت» (بدج : Aarait = Yaroyt) . وفي معجم اللغة المصرية نجد أن نبات الغاب، أو القصب، يسمى :

«ي ر و» i arw : (غَابُ).

«ي ع ر» i^{er} : (قَصَبٌ)

(معجم بذج)

«ي ع ر و» y^{er} w : (غَابُ)

(معجم غاردنر).

«ع ر» e^r (قَلَمٌ من البوص).

«ع ر ت» e^{rt} (لَفِيْفَةٌ بردي)

(معجم فولكنر).

وهذه في العربية : «يراع» وهو ما يعرف أيضاً بالغاب أو القصب أو البوص، تصنع منه الأقلام والمزامير ويستعمل في أغراض حياة شتى. وهو نبت، كما نعلم، ينمو كثيراً على ضفاف المياه وكان يكثر في الدلتا، وخضرته هي الصلة الرابطة ما بينه وبين اسم الأفعى المقدسة «ورق . ت» أو «ورق ي . ت» (الورقية).

وقد أدى غرام المصريين الأقدمين بالجناس والطباق، كاملين أو ناقصين، إلى ظاهرة مدهشة وهي أن الأسماء تحمل في طياتها جملة معانٍ مترابطة بحيث تجتمع جملة من الدلالات فيها رغم ما يبدو من بعدها في الظاهر بعضها عن بعض. ولما كان اسم أفعى «الكوبرا» المقدسة في مملكة «بوتو» كما ذكرنا «ورق . ت» - وقد تبين معناه - فقد اتخذت في المملكة الوسطى وما بعدها اسماً آخر غير بعيد في معناه وإن بدا بعده في اللفظ؛ أعني «ي ع ر . ت / ي ر ع . ت» أو «ي ر ع ي . ت» (غاردنر وبذج Aarāi.t / yry.t) وهذه هي العربية : «يرعية» أو «يراعية» - نسبة إلى «اليراع». . الغاب الذي كانت تعيش فيه وتحيا مخبئة بين سوقه، متخذة بالطبع لونه الأخضر ملاءمة للبيئة.

هذه الأفعى الرهيبه كانت مرعبة مخيفة قاتلة مفرعة. وهذه أيضاً دلالة اسمها في المصرية، وفيها كلمات تدل على هذه المعاني من مثل : «رع»^{٣٥} : ضغينة، حقد، كراهية. (معجم بذج، ص 419).

أنظر إلى العربية في الجذر «روع» ويفيد الخوف والفرع، ومقلوبه «ورع» وبه نفس الدلالة⁽³³⁾. ألا ترى أن الأمر واحد؟

ما سبق من تحليل كان بإثبات العين في اسم الأفعى الملكية المقدسة، ولكن من الجائز أن تكون العين إبدالاً للهمزة (ي ع ر . ت / ي ر ع . ت = ي ع ر . ت / ي ر ع . ت) وهذه يسهل إدراك أن الياء في أول الكلمة إبدالاً للواو (ي = و . و ع ر . ت / و ر ع . ت) وهو ما يعيدنا، من جهة، إلى اسمها الأول فنقرأه : «ورع . ت = ورق . ت» كما يفيدنا، من جهة أخرى، في النظر إليه بمعنى مختلف وإن لم ينأ عن دلالته على كل حال.

(33) في مادة «ورع» في (اللسان) : الوريعة : وإِ فيه شجر كثير. وهذا يشير إلى ارتباط «الورع» بالخضرة ارتباطه بالفزع.

قلنا إن اسم هذا المعبودة كان في اليونانية Uraeu (Oriaio, Ouraio) بمعنى «التي تشبُّ» (She who rears up). ألا نظرت إلى شكل هذه «الكوبرا» المخوفة وقد ارتفع رأسها وانتفخت أوداجها غضباً وهيجاناً ترعب الناظر حتى تكاد تصعقه؟ أنظر إلى الجذر في العربية: «وَأر»: «وَأر الرجل يثره وأراً: فزَّعه وذعره». فهي إذن «الواثرة» (المفزعة = وع ر . ت).

ولكن . . هل رأيتها مرة وهي منتصبه رافعة الرأس يتقدم رأسها ويتأخر في حركة سريعة متأهبة للهجوم أو الدفاع؟

إنها هنا ذات صلة بالجذر «وَأر» (أفزع، أذعر) في العربية، وفيه معنى الهجوم، وهو لصيق بالأكدية Wāru (وارو) أي: يهاجم (Riemsneider; Akk. Gram.) وذلك بقراءة اسم هذه الكوبرا «وَأر» ، ومقلوبه، الذي ورد في معاجم المصرية: «وَأر» كما رأينا. وهنا نعود إلى جذر العربية «وَأر» . . فماذا نجد؟

«وَأر» والوَأر جميعاً، يكون: خلف وقدام. وتصغيرها عن سيبويه (وربئيه) والهمزة عنده أصلية غير منقلبة عن ياء. قال ابن بري: وقد ذكرها الجوهري في المعتل وجعل همزتها منقلبة عن ياء. قال وهذا مذهب الكوفيين، وتصغيرها عندهم «وربة» . . . قال ابن السكيت: وَأر، وأمام، وقَدَام، يؤنثن ويذكرن . . . وقوله تعالى (وَكَانَ وِرَاءَهُمْ مَلِكٌ) أي: أمامهم، وقوله (مِنْ وِرَائِهِ جَهَنَّمُ) أي: بين يديه . . . وورأت الرجل: دفعته. (لسان العرب، مادة: وَأر).

ويتضح لنا مما سبق ما يلي:

أ - يجوز في العربية تأنيث وتصغير «وَأر». وهذا ما سمح في المصرية بوضع تاء التأنيث في «ي ر ع . ت» (= ي ر ع ت = وَأر . ت) وقد تعاقبت العين والهمزة والواو والياء، وهو أمر كثير الحدوث في الأصوات المتقاربة المخرج، وقلبت الكلمة، مما يقابل الأكدية «وَأر»/ «وارو» W'IR / Wāru والعربية: «وَأر»/ «وَأر» ومعناها: دفع، هجم.

ب - من معاني «وَأر» العربية: الخلف، القدام، الهجوم، الدفع. وفي الأكدية تعني لفظة Wāru: يقود، يتزعم، يملك، يرئس (Reimsneider; Akk. Gr.). وهذا بالضبط هو المقصود من وضع الأفعى المصرية رمزاً للملك.

ج - تَصَوَّرُ الأفعى الملكية المقدسة وهي شَابَّةٌ (من: شَبُّ) أي رافعة رأسها تحركه إلى خلف وقدام بسرعة فائقة، مهاجمة أو مدافعة (هجم/دفع) فهي تَسْمَى هنا «وَأر» بالمعنى الدقيق للكلمة. وهذه هي المصرية، بحسب قانون تغير النطق المعروف، التي صارت في اليونانية Uraeu (كذلك: Ouraios, Uriaos) ومنها انتقلت إلى اللغات الأوروبية بمعنى: شعار.

معبود يمثل الأرض . وهو يُصوّر بشريط من الأرض مع رأس بشري ، أو رأس أسد ، على طرفيه . أو يرمز له بصورة أسدين رابضين وظهر كل منهما ناحية الآخر ، أحدهما يواجه الغرب حيث تتوارى الشمس وتبدأ رحلتها ليلاً ، والآخر يواجه الشرق حيث تشرق الشمس كل صباح من عالم الظلمات . وتظهر الصور المعبود «أكر» حاملاً مركب الشمس ، وهذا رمز لرحلة الشمس الليلية في مملكته . والأسدان ، أو رأسهما ، يجرسان مدخل العالم السفلي ومخرجه . ويقال لمن تفتح لهم أبواب العالم السفلي في (نصوص الأهرام) : ها قد فتحت لكم أبواب رب الأرض «أكر» .

يرجع جذر اسم هذا المعبود إلى الأرض وما يتعلق بها : ومن الممكن أن نقارن بينه وبين عدد من الكلمات العروبية :

الأكادية : أكر (إكارو) : حارث ، فلاح ، زارع الأرض (Cohen, p. 77) .
الكنعانية : أكر = حقل . (فريجة ص 595) .
وفي العربية نجد : الأجور ، واليأجور ، والأجر = طيبخ الطين . وفي مادة «أكر» : أكر = حفر الأرض . الأكار = الحراث .

إمن  Amen

يُذكر «أمون» في (نصوص الأهرام) باعتباره إلهاً أصلياً عتيقاً ، ولكن يبدو أنه صار بعد الأسرة الحادية عشرة معبوداً خاصاً بمدينة «طيبة» . وقد فسّر المصريون اسمه على أساس أنه يعني «الخفي» (The Hidden one) ؛ إذ كان القوة المؤثرة في الرياح غير المرئية . ويذكر المؤرخ «بلوتارخ» (Plutarch ; Isis and Osiris, ch. 9) أنه من رأي المؤرخ المصري الشهير «مانيشو» أن معنى اسم «أمون» هو «الخفي» ، «ذاك المختفى» (That which is concealed) ، أو «الكتمان» (Concealment) . والأصل : ام ن = مختفٍ ، مكتوم ، سر (hidden, secret) . (أنظر : W. G. Waddell ; Manetho, p. 188) .

وبسبب من اشتقاق الاسم من كلمة «أمن» aman الليبية التي تعني «الماء» فإن الاعتقاد أن «أمون» عُبد باعتباره رباً عتيقاً على شكل إوزة. وعلى العموم فإن الكبش ذا القرنين المنحنيين اعتبر حيوانه المقدس، وذلك على أساس كونه رب الأخصاب. كما يظهر في صورة أفعى يسمى فيها هذا المعبود باسم Kematef⁽³⁴⁾ = «الذي أكمل زمانه». وقد بلغ - بكونه رب العاصمة طيبة - مكانة رب الدولة الأعظم في عهد المملكة الجديدة، ثم أُدمج مع «رع» فصار «أمون - رع» باعتباره رب الشمس. وأخيراً صُوِّر بأنه «المعين في كل شيء» على أساس أنه روح ba الظواهر كلها.

هنا إذن رأيان في أصل اسم «أمون» :

1 - من الكلمة الليبية «أمن» أي : الماء . والواقع أن معناها «المياه» أو «الأمواه» بصيغة الجمع . والهمزة في بداية الكلمة سابقة معروفة جداً في الليبية القديمة والمصرية، وفي الجبالية حديثاً، تؤدي أحياناً معنى التعريف، والنون علامة الجمع في العربية⁽³⁵⁾. فالأصل إذن هو «ما» ← ماء . وهذه كلمة عروبية جاءت بصيغ مختلفة كثيرة يكون حرف الميم أساسها. (فان : يم = بحر. واللهجات المعاصرة : مية، موية، مِي، إمّية = ماء). وبذا لا تخرج «أمون» (إن كانت من «أمن») عن الجذر العروبي في هذا الموقع .

2 - من معنى الاختفاء وعدم الظهور (الخفي، السري). وهنا نجد الجذر العربي «أمن» يوحى بمختلف اشتقاقاته بمعنى الباطن أو الخفي أو الشيء المستور أو المستتر الداخلي، بما في ذلك كلمة «الايان» وملحقاتها، والائتمان : عدم إظهار الشيء وكتبانه أو استكتامه بحيث يظل خفياً . ومن ذلك : الأمان = الزراع، والأمن : الزارع، أي الذي «يخفي» الحب في الأرض⁽³⁶⁾. (راجع مادة «أمن» في «لسان العرب» لمزيد من التفصيل).

ونحب أن نشير هنا إلى ما ورد في تفسير «أمين» التي تحتّم بها الصلوات والدعوات وسورة

(34) كتابة الاسم بهذه الصورة تحريك للحروف الصوامت في الأصل، والترجمة حسب «البركر»، والأصح : «كامل»

زمانه». والاسم مكون من ثلاثة مقاطع هي :

km = تام. الجذر الثنائي للعربية «كمل» ← كامل.

at = زمان. العربية : تو.

f = ضمير الغائب : المفرد.

(35) وهي كذلك في الجبالية.

(36) من طرائف اللغة أن الجذر «أمن» يعني الاخفاء، ومنه الايمان أي إبطان التصديق وإخفاؤه في القلب، والمؤمن :

من يقر التصديق في فؤاده. وكذلك «الكافر» اشتقت من مادة «كفر» أي جحد وستر وأخفى الحقيقة. ويسمى

الزارع، مجازاً، كافراً لأنه «يكفر» أي يخفي الحب ويغطيه بالتراب، فإن معنى الكفر : التغطية.

الفاتحة من القرآن الكريم عادة، وهي أساساً ليست من صلب القرآن بل مزيدة عليه لا تعتبر من آياته. والواقع أنها مستعملة ليس عند المسلمين فحسب بل هي خاتمة صلوات النصارى كذلك. . Amen! وهي في العربية «آمين» - بالمد - مثل «أمون» و«آمين» - بالقصر - مثل «أمون». وقد ورد في تفسيرها جملة آراء منها :

قال الفارسي : جملة مركبة من فعل واسم، ومعناها : اللهم استجب لي .

وقيل : معنى آمين : كذلك يكون .

وقال الزجاج : اللهم استجب .

وقيل : هو إيجابٌ : ربّ افعل . وهو غير مشتق من فعل .

وحكي عن الحسن أنه قال : آمين . . اسم من أسماء الله عز وجل .

وقال مجاهد : آمين . . اسم من أسماء الله .

وفي حديث أبي هريرة : آمين، خاتم رب العالمين على عباده المؤمنين - معناه : طابع الله على عباده . . . فكان كخاتم الكتاب .

وعن أبي هريرة أيضاً : آمين درجة في الجنة، أي كلمة يكتب بها قائلها درجة في الجنة .

ابن الأثير : في أسماء الله تعالى «المؤمن». و«المؤمن» : الله تعالى - يؤمن عباده من عذابه، وهو

«المهيمن» .

قال الفارسي : الهاء بدل من الهمزة والياء ملحقة .

وكما وردت «آمين» بالمد و«آمين» بالقصر فقد جاءت صيغة «أمون» كذلك (ناقة أمون : أمينة وثيقة الخلق). ولم ترد «أمون» بالمد. والواقع أن صيغة «أمون» بالمد غير مؤكدة، إذ الجذر في المصرية هو «إمن» - وليس هناك أدنى وسيلة لمعرفة نطقه بالحركات أبداً. وهو في اليونانية Amon وورد Ammon - ولا اعتبار بأي من الصيغتين للعجمة فيهما معاً. وقد يكون من المرجح جداً أن يكون النطق في المصرية القديمة : آمين، آمين، آمن، إمن. ولا يلغى هذا صيغة «أمون» أو «أمون» - فكلها عربية . . كما هو واضح .

ومن المهم الالتفات إلى الاختلاف في تفسير معنى «آمين»، ولا شك في أن رأي الحسن ومجاهد أنه «اسم من أسماء الله عز وجل» مسألة مثيرة للاهتمام، كما يثيره قول أبي هريرة «آمين خاتم رب العالمين. ومعناه طابع الله على عباده . . . فكان كخاتم الكتاب» فإن في هذا القول - مهما كان منشأه - معنى الختم والطبع وكلاهما متصل بمعنى الاخفاء والستر. كذلك ينبغي ألا يغيب عن بالنا صلة الاسم «آمين» حين فسّر بأنه «من أسماء الله عز وجل» باسم «المؤمن» الثابت أنه من أسماء الله الحسنى، وكذلك «المهيمن» وهو اسم آخر لله سبحانه يرجع، كما ذكر، إلى «المؤيمن» = «المهيمن» .

وهنا تجب الإشارة إلى اسم «هامان» الذي ورد في القرآن الكريم ست مرات مقترناً بذكر

«فرعون» - نجد هما تارة يكادان يستويان مكانة :

﴿وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ - القصص / 6 .

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ - القصص / 8 .

وتارة أخرى نجد فرعون يأمر هامان وكأنه أعلى درجة :

﴿فَأَوْقَدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا﴾ - القصص / 38 .

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ - غافر / 36 .

ويضاف إليهما «قارون» مرتين :

﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ - العنكبوت / 39 .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ، إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ

كَذَّابٌ﴾ - غافر / 24 .

أما قارون الذي ﴿كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ (القصص / 76) وبسط القرآن أمره في سورة «القصص» فقد كان مثال اليهودي الرأسمالي الذي كَوَّم أموالاً لا تحصى وطغى بهاله حتى عاقبه الله بطغيانه، ولا يدخل في مجال بحثنا هذا - وإن كان يذكرنا بشخصية «خيرون» Cheron مثال البخل وحب المال في الأسطورة اليونانية. وقد يكون اسمه انتقل - محرّفاً بالطبع - إلى اليونان كما هي الحال في كثير من نقولهم .

وأما هامان فإن جمهرة المفسرين يكادون يجمعون على أنه كان «وزيراً» لفرعون يُعينه في أمره - هكذا بإطلاق دون تحديد أي الفراعين وإن كان المفهوم ضمناً أنه فرعون موسى على كل حال .

هذا التفسير لا يبعد عن الواقع التاريخي كثيراً حين ننظر إليه على ضوء الدراسة اللغوية والتاريخية معاً ؛ فمن حيث اللغة نجد أن مادة «همن» ذاتها مادة «أمن» في (لسان العرب) الذي يقدم تفصيلاً وافياً ويقول :

«المهيمن أصله : أَمَّنَ، فهو مُؤَمَّنٌ - بهمزيّن. قلبت الهمزة الثانية ياءً كراهة اجتماعهما فصارت : مؤيمن. ثم صُبِّرَتِ الأولى هاءً. كما قالوا : هراق وأراق، وكما قالوا : إِيَّاكَ وَهِيَاكَ». ويضيف : «المهيمن : القائم على الخلق، أو على الناس. والمهيمن : المؤمن، والشهيد، والرقيب، والقَبَان (الوزان)، والقائم على الكتب (السجلات)»... إلخ .

فإذا نظرنا إلى حقائق التاريخ وجدنا هذه الصفات تنطبق تمام الانطباق على كهنة «أمون»، أو بالتحديد على «كاهن أمون الأكبر» على مدى فترة طويلة جداً من تاريخ مصر. فقد كان كاهن أمون يجمع في الواقع بين السلطتين الدينية والدنيوية، وكان يجمع القرابين في شكل نذور وتقدمات، ويسير الحياة السياسية، بل و«يراقب» الفرعون ذاته الذي كان لا مفر له من الحصول على رضا «أمون» ليرتقي العرش ويثبت عليه. فكاهن أمون إذن كان «وزيراً» نافذاً و«مؤمناً» و«مهيماً» كما هو حال هامان. وقراءة سريعة في تاريخ مصر القديم تبين الأمر. (راجع مثلاً : Gardiner ; Egypt of the Pharaohs) .

نضيف هنا ما هو معروف من أن موسى جاء - كما هو ثابت - بعد أن انتكست ثورة «أخناتون» لدينية الذي انقلب على عبادة «أمون» المسيطرة ودعا لعبادة توحيدية رمزها «أتون» (الشمس) ثم أخفقت دعوته وعادت سيطرة «أمون» وكهنته أشد وأقوى من ذي قبل . كما نضيف أن اسم «أمون» ذاته كان يدخل في تركيب أسماء عدد كبير من الفراعين وفي أسماء الكهنة على السواء، مما يجعل وروده في موطن الوزارة (التي هي من «الوزر» أو «الأزر» = القوة) أمراً مقبولاً للغاية .

أخيراً . . . من المؤكد أن «هامان» عرف عند الكنعانيين - في شمال أفريقيا خاصة - باسم «هامون» أو «همون» (Hammun, Hamon) كما ورد . في صيغته اليونانية . وهو معبود شهير في قرطاجنة وليبيا على العموم، ذو صلة بما عرف باسم «أمون سيوة». ولهذا حديث يطول .

ونحصر خلاصة القول في الناحية اللغوية فنقول :

إن هذه الصيغ جميعها - وأهمها في هذا المجال أمون مصر - ترجع إلى «أمن» العربية، سواء بمعنى «الماء»، أو بمعنى «الخفي»/«الباطن» صفة المعبود المصري القديم .

إ م ن ت م م ت Amentt

عرفت في اللسان اليوناني باسم *amenthes* . وهذا أحد مظاهر التحريف للكلمات العروبية في ذلك اللسان . وقد أورد «بلوتارك» هذا الاسم في أثناء حديثه عن عبادة «سيرابيس» *Serapis* (أنظر *m r w r (= Mnevis)* في هذه الدراسة . وهذا تحريف آخر) . ويعترف «بلوتارك» نفسه بأن معاني الكلمات المصرية تُفقد حين تنقل إلى اليونانية . وهو يقول إن هذا اللفظ في أصله المصري يعني «الأرض السفلى» أو «الاقليم السفلي» (*Subterranean Region*) .
(Budge ; The Gods... ii, p. 201)

يعلق «بدج» (نفس المصدر) بأن الأصل المصري هو «إ م ن ت ت» ومعناه : «المكان الخفي» (The Hidden Place) .

وهو في معجمه (صفحة 53) يورد كلمة «إ م ن ت ت» ويترجمها : الغرب، مسكن الأموات، أرض الموتى . ويقارنها بالقبطية *emnt* . وهذا يعني أن الكلمة المصرية القديمة ظلت سارية في القبطية .

فما العلاقة بين «الاختفاء» و«الغرب» و«أرض الأموات» في لفظة واحدة ؟

نشير أولاً إلى أن الجذر الأصلي في هذه الكلمة، ومشتقات أخرى، هو «إ م ن» *imn* وهو ما

يقابل العربية «أمن» ومن دلالاته الخفاء، كما أوضحنا في هذه المادة فليراجعها القارئ مشكوراً حتى لا نعيد ما قلناه .

ونشير ثانياً إلى أن قدماء المصريين كانوا يتخذون من منبع النيل قبلةً لهم، وطبيعي أن تكون ناحية الغرب على يمينهم في هذه الحالة، وهي تسمى في المصرية «إ م ن» imn وتؤدى معنيين : جهة «اليمين» (العربية : يمين) وجهة «الغرب» - تماماً كما سميت «اليمن» في الجزيرة العربية كذلك، أي ما ضادَّ الشَّام (= شمال). وفي معجم «بدج» (صفحة 53) نقرأ :

«إ م ن» imn : اليد اليمنى، الجانب الأيمن .

«إ م ن» imn : يميني، غربي .

«إ م ن ت» imnt : الجانب الأيمن (يمنة) الغرب (اليمين/ اليمن) .

«إ م ن ت» imnt : العين اليمنى .

«إ م ن ت» imnt : الريح الغربية (اليمينية) .

«إ م ن ت» imnt : ضفة النيل الغربية (اليمنى) .

«إ م ن ت ي» imnty : غربي (يميني/ يميني) . لاحظ ياء النسبة .

«إ م ن ت ي» imnty : إله الغرب (اليمن/ اليمين) .

«إ م ن ت ي و» imntyw : الغربيون، أهل اليمن = الأموات (لاحظ ياء النسبة وواو الجماعة) .

«إ م ن ت ي ت» imntyty : ربة أرض الأموات . (لاحظ ياء النسبة وتاء التأنيث) .

فما صلة اليمن، أو الغرب، بالموت ؟

الصلة تكمن في أن المصريين الأقدمين كانوا يعتقدون أن أرواح الموتى تذهب إلى الغرب عند موتهم (نظراً للملاحظتهم غروب الشمس وأقول القمر في تلك الجهة، وهما المعبودان الجليلان، ولارتباط جهة الغرب بالصحراء المقفرة أيضاً) . فمزجوا الجذر «إ م ن» imn بمعانٍ مختلفة، واستفادوا من الجناس في هذا المقام، فكان يدل على جهة اليمين، كما دل على الخفاء، وعلى أرض الأموات . تماماً كما دل الجذر «يمن» في العربية على بلاد «اليمن»، واليد «اليمنى» ودل «أمن» على الأمن والخفاء . والجذران هما بتعاقب الهمزة والياء اللذين كثيراً ما يتعاقبان .

أخيراً، نرى أن المؤرخ «بلوتارك» أخطأ في ترجمة «إ م ن ت» (في اليونانية amenthēs) بمعنى «الاقليم السفلي»، إذ قرن بينها وبين «الهيديس» Hades اليونانية التي كان اليونان يعتقدون أن أرواح الموتى تهبط إليها، وهي الأرض السفلية . ولم يكن المصريون يتصورون «هبوط» الأرواح إلى أسفل، بل هي عندهم «تنتقل» إلى الغرب، ثم تعود عند البعث إلى أجساد أصحابها . ونحن نعتقد اليوم أن الأرواح «تصعد» إلى السماء، فلا هي تهبط ولا هي تنتقل إلى جهة ما .
من يدري - فعلاً - أين تذهب الأرواح !؟

رب الأموات والتحنيط، ويكنى «سيد الأرض الجوفاء» أي المقبرة. ويصور في العادة بشكل يشبه مظهر الكلب، على الرغم من عدم إمكان التمييز في صورته بين الكلب وابن آوى أو الثعلب. وكان «أنوبيس» Anubis - كما عرفه اليونان - يحرس المومياء من قوى الشر ليلاً. وحين تحنط الجثة كان من العادة أن يقوم كاهنٌ يضع على رأسه قناع هذا الحيوان بتمثيل دور «أنوبيس».

صعب التفريق بين الكلب وابن آوى والثعلب عند الباحثين في أمر هذا الحيوان المعبود «إن ب» أو «إن پ و» Inp, Inpw (غاردرنر - صفحة 554). ورغم إشارة «غاردرنر» (الصفحة 443، 449، 459) إلى استحالة حل مشكلة العلاقة بين هذه الحيوانات الثلاثة، وأن «إن ب» ليس الكلب ولا ابن آوى ولا الثعلب وإن كان ينتمي إلى هذه الفصيلة من الحيوان، فإنه يقدم كلمة in p بمعنى «ولي العهد» (Crown prince) مرة وبمعنى «الطفل الملكي» (royal child) مرة أخرى (صفحة 443). وقد يبدو أولاً رابط بين اسم الحيوان وكلمات من مثل «ولي العهد»، «الطفل الملكي» وغيرها. ولكن الرابطة تتضح إذا نظرنا إلى المسألة من وجهة نظر لغوية عروبية.

في ظننا أن العلاقة بين الكلب وابن آوى والثعلب لا تبدو في الشكل والمظهر، وهي مختلفة بقدر ما، ولكنها تكمن في خاصية عرفت بها هذه الفصيلة من الحيوان، أعني خاصية الشم. وقد ذكر «بدج» (An Eg. Hier. Dict., p. 61) كلمة «إن پ» in p بمعنى: يتعفن، ينتن. ونرى أنها العربية «أنف» (بتعاقب الباء المهموسة والفاء) الدالة على أداة الشم كما نعرف. ونحن نقول: شيء مأنوف، وقد أنف. أي ابتعد عنه ربما لنتانة رائحته وعفنه. ووصلة المعبود «إن ب» Inp بالجثث والأموات وثيقة، وهي الجثث التي قد تعفن وتنتن - إن لم تحنط تحنيطاً جيداً.

هناك أيضاً نفس الكلمة «إن پ» in p بمعنى: ضم، جمع، ربط، لف. (Swathe, wrap up) (بدج - نفس المصدر والصفحة) وفي تقديرنا أن هذه تقابل العربية «لَفَّ» أي ربط في لفافة. وهذا شأن المومياء الملفوفة التي كان هذا المعبود يقوم بحراستها من قوى الشر ليلاً.

ثم تأتي أخيراً كلمة «إن پ» in p بمعنى «طفل ملكي» أو «ولي العهد». وقد نرجع الكلمة بمعنى «طفل» إلى العربية «لَفَّ» كذلك، فهو «الملفوف» في قماطه عادة أو في «لَفْتَه» كما هو التعبير الشائع (وقد تعاقبت النون واللام). وقد يبدو تخصيص الطفل الملكي المدلل أو ولي العهد بهذه «اللَفَّة» شيئاً مدهشاً تفسيره عندنا إما أن الأستاذ «غاردرنر» تجاوز في ترجمته المقصود أو أن أبناء

الفراعين والحكام في مصر القديمة هم الذين كانوا «يُلْفُون» في القباط واللفائف، بينما يترك أبناء الشعب المساكين عراً ليغالوا الطبيعة (وهي ليست قاسية في أرض النيل) أو ليموتوا إن لم يتحملوا الحرَّ والقرَّ.

لكن كلمة «إن ب» inp يمكن أن تعني كذلك - حسب ترجمة غاردنر - «السيد» (عند «بدج» : إن ب inp = أمير، أي : سيد)⁽³⁷⁾.

وهنا نعود إلى الجذر «أنف» في العربية، وعنه يقول ابن منظور في نص طويل :

«الأنف : السيد. ومن ذلك : الأنفة أي العزّة. وأنف، يأنف، أي تعزّز وكره الصغائر. ويجوز أن يقال : «الأنفي» - وقد سمي «الأنفيون» كذلك لقول الحطيئة فيهم :

قوم هم الأنف والأذنان غيرهم * ومن يسوي بأنف الناقة الدنيا؟

فإن لم يكن هذا الـ«إن ب» inp (السيد) فماذا يكون؟

ألا يمكن، بعد هذا، أن ندعو الآله المعبود «إن ب و» في العربية «أنفي أو الأنفي» وقد تشابكت في هذا «الأنف»/«إن ب» المعاني الحسية والمجردة؟

إن حرت An-her-t

أحد الأرباب السماوية في مصر العليا، كما أنه أحد حملة السماء (إلى جانب المعبودين «شو» و«نت» = الجوّ والنوء). ويذكر (كتاب الموتى) أنه حمل الآله «رع» على كتفيه. ولما كانت السماء ذاتها تعتبر ربة فقد كان يلقب «إون. م. ت. ف. أي ؛ عماد (أو عمود) أمّه». عرفه اليونان باسم «أنوريس» Onuris.

هذا الاسم مكون من مقطعين :

in «إن» : ومن الممكن مقابلته بالجذر «أي» في العربية، وهو في جملة متصل بالزمن : أي، إني = الساعة من العمل. وعند الفارسي : إنو = النهار كله. والجمع : آناء، أي. والإنو : الوقت من الليل. وهناك : آونة، آنية = تارة. والآن والأوان = الوقت، الزمن. والآن : الوقت الحاضر. ومن ذلك الفعل : أنى، يأتي = أدرك وحن. والآناة : التمهّل، وكذلك : التأي. والاستثناء : الانتظار.

(37) في نفس المصدر والصفحة هناك inb «إن ب» بالباء الموحدة بمعنى «سيد» (Lord). فإن لم تكن هذه هي «ن ب» nb (العربية : رب) فهي : أنف.

يسمى «حورس الأكبر» ونجده أحياناً أخرى «حورس الأصغر» ابن «أوزيريس»، لينتقم لأبيه من عمه «ست» في معارك ضارية يتغلب فيها «حورس» أخيراً. ولكن «إيزيس» و«نفتوس»، زوجة «ست»، تتدخلان شفقةً وتعفوان عن «ست».

والأدب المصري القديم، كما هو الحال في الأسطورة الدينية، ملء بالحديث عن «أوزيريس» بصور وأشكال وروايات شتى يستطيع القارئ أن يعود إليها⁽³⁸⁾. وبما أننا لا ندرس الديانة المصرية القديمة فإننا نقصر بحثنا على مجرد تتبع الصلة اللغوية بين اسم المعبود ومعناه ونشأته وما يقابله في اللغة العربية.

في كتابه (أصول أوزيريس وعبادته) تتبع الباحث «ج. غون غرُفث»⁽³⁹⁾ الآراء التي سبقته في معنى اسم هذا المعبود الذي عُرف في اليونانية على شكل (Osiris) وعنما نقلت اللغات الحديثة (بما فيها العربية «أوزيريس»). وقدّم تسعة عشر رأياً فيه، ولعل من المفيد أن نوجز هذه الآراء هنا :

في عام 1750م. (أي قبل فك رموز الهيروغليفية بما يزيد عن سبعين عاماً) رأي «جابلونسكي» P.E. Jablonski أن معنى اسم هذا المعبود، استناداً إلى القبطية «أش. إري» osh.iri ، هو : «عملٌ كثير» أو «عاملٌ كثيراً» (doing much).

في سنة 1862م. ذهب «شارپ» S. Sharpe إلى أن الاسم مكوّن من المصرية «أش» osh (حكم، إرادة) + «إري» iri (يعمل). والمعنى : القاضي، أو الحكم (= يقضي، يعمل حكماً).

في سنة 1868م. قال «لوث» F.J. Lauth إن نطق الاسم ينبغي أن يكون «أَس، إري» ومعناه «ابن إيزيس» أو «ابن الأرض» (The Son of Isis or Earth).

سنة 1872م. اقترح «ديفيريا» Th. Devéria ربط الصلة بين اسم «أوزيريس» ومعبود الآشوريين «أشور» Aššur. وزاد عليه «قيصر دي كارا» Caesare de Cara (سنة 1889م.) بالربط بين «أوزيريس» و«أشور» من جهة و«إيزيس» و«عشتار» من جهة ثانية. ثم جاء «لوفير» E. Lefebvre وأكد أن الاسم موجود في الرمزالهيروغليفي الذي ترجمه على أساس أنه يعني «مقر» (résidence). وتبعه العالم الألماني المعروف «برغش» Brugsch سنة 1891م. فكتبه «أَس - رع» us - رع وربط بين الاسم و«رع» إله الشمس، وقال إن معناه «قوة الحدقة» أو «قويّة (هي) الحدقة» (Powerful is the Eye-ball).

الأستاذ «بدج» Budge وصل إلى أن المعنى هو «صانع عرشه» (That who makes his seat). على أساس أن «أَس» تعني «عرش» وأن «إري» تعني «يصنع» أو «يعمل».

(38) من أشمل المراجع في هذا الباب :

J. Gwyn Griffith) The origins of Osiris and his Cult.

W. Budge ; The Gods of The Egyptians.

A. Shorter ; The Egyptian Gods.

The Origins of Osiris and his Cult. by G. G. Griffith (39)

أما «أوريك بيتس» O. Bates فقد ذهب إلى قول آخر خلاصته اعتياده على الأستاذ «بيتري» Petrie وهو أن «أوزيريس» معبود لبيبي النشأة والأصل ؛ فاسمه إذن يعود إلى اللغة الليبية وهي اللغة التي تحتوي على الجذر «وس ر» wsr ويفيد : «القديم» ، «العتيق» . وقد أيده «شارف» Scharff بالإشارة إلى أن عدداً كبيراً من الآلهة المصرية كانت ليبية الأصل وبوجود لقب لأوزيريس في المصرية يعني «القديم» أو «العتيق» : (وس ر . ر ن ب ت) (wsr.rnpt) .

ويأخذنا «مرسر» Mercer من ليبيا إلى بلاد الرافدين ، فيقول إن ثمة الكثير من الشبه بين أسطورة «أوزيريس» المصرية وأساطير بابل ، وكلمة «أسر» Asar هي أحد ألقاب المعبود البابلي «مردوخ» .

بعده يأتي «إرمان» Erman ليرى أن المعنى بالاسم جملة كاملة هي «شاغل عرش رع» أو «الذي شغل (احتل) عرش رع» . (That who occupied The Throne of R^c) على أساس قراءة الاسم «إِس . رع» .

الباحث «سيثي» Sethe قدم تفسيراً آخر . قال : إن القراءة الأصلية للاسم هي «س ت . إرت» st.irt ومعناها : «كرسي (أو : عرش) العين» - (Seat of the Eye) .

وقد أدت الاختلافات في قراءة الرموز الهيروغليفية المتنوعة للاسم «أوزيريس» ورفيقته «إيزيس» إلى قراءة أخرى على يد الأستاذ «وستندورف» Westendorf هي «إر . زي» ir - zy وترجمها : الذي عملها (أو : خلقها) «(The who made it, or created it)» .

وقد اشتبك العلماء حول نطق الحرف الأول من الاسم في اليونانية (Osiris) الذي أورده «بلوتارك» في مؤلفه عن «إيزيس وأوزيريس» . وقدم عدد منهم أمثلة كثيرة عن تحول الواو في المصرية إلى همزة في اليونانية ، وبذا تكون osr في الأصل wsr . وقدم آخرون أمثلة عن تحول الواو في المصرية إلى ياء في اليونانية ، أو العكس - وبذا تكون قراءة الاسم : «ي س ر» ysr . والمعنى على أية حال : «القوي» - «الجبار» (The Mighty One) .

ويربط الأستاذ «أوسنج» Osing في دراسة مطولة بين اسم «إيزيس» (عنده = «العرش») وكلمة «إري» (يعمل) ليتكون اسم «إوزيريس» («إز - إري» iry - iri) .

ثم يختم «عُرفِت» - بعد هذا العرض - بملاحظة أن «وستندورف» ، ومعه آخرون ، رأوا إمكانية وجود معاني : العرش ، والكرسي ، والقوة ، والجبروت - في الاسم المحير . وثمة إمكانية أخرى أن يكون معناه : «العظيم» The Great كما ورد في أحد (نصوص الأهرام) . ومن الممكن الربط بين أصل اسمي «إيزيس» و«أوزيريس» في المعنى لوجود الرمز الهيروغليفي 𓂏 مشتركاً بينهما ، وهو الكرسي الذي يرمز إلى السلطان والحكم .


وأخيراً نرى أن «فخت» Fecht ذكر أنه كان منذ القديم ثمة لهجتان في مصر ؛ واحدة في الصعيد والأخرى في الدلتا ، وأن هناك اختلافات في كتابة اسم «أوزيريس» تؤدي إلى قراءات

بمتعددة، ويقول ما نصه : «كان الاسم «وس ري» Wusre . ولكننا لا ندرى ماذا كان يعني في لسان سكان الدلتا الشرقية قبل اتحاد الملكتين، كما لم يكن المصريون أنفسهم يعرفون !» .

هذا موجز الآراء التي عرضها «غرفث» عن معنى اسم «أوزيريس» كما حلله كل باحث بحسب ما فهمه ، وهو موجز يحسن بمن يطلب المزيد أن يعود إلى المصدر المذكور حيث يجد بغيته من المقارنات والتحليلات اللغوية الدقيقة المتشعبة التي لم نَبْغِ تشتيت ذهن القارئ بتفاصيلها الكثيرة . وقد رأينا كيف داخ جهاذة الباحثين في التحليل والتعليل والاستنتاج والاستنباط المبني فعلاً على علم غزير وصبر كثير وجهد كبير . لكننا رأينا أيضاً أن أحداً من هؤلاء العلماء لم يكلف نفسه عناء المقارنة بين الاسم في أصله المصري القديم وبين العربية . فهل هو تحاشٍ مقصود ؟ هل مبعثه الرغبة العجبية في عدم ربط الصلة بين المصرية والعربية ؟ هل تراه عدم اهتمام ؟ لو فعل أحدٌ منهم ذلك لكُفِينَا كل هذا العناء . بيد أن (عدم الفعل) هذا لم يكن قطعاً ناتجاً عن جهل بالعربية ؛ فإن كثيرين منهم كانوا يحسنونها . لعله (التجاهل) إذن - بأخف تعبير ممكن !

هم لم يفعلوا هذا أيضاً حتى عندما حللوا اسم «أوزيريس» بمختلف الطرق، وقلبوه على متباين وجوهه، وقارنوه باليونانية والقبطية ؛ إذ لم يشر أحد منهم إلى العربية قط . وهذا ما يوجب لفت النظر إلى وجود العربية في كل معنى قدموه للاسم في ما سبق عرضه . ولذا نستسمح القارئ في العودة به من جديد إلى الآراء السابقة وعقد مقارنة بينها وبين العربية حتى يتضح الموقف ، ثم نقول رأينا الذي ارتأيناه .

لنذكر أولاً أن صورة الاسم المتداولة (أوزيريس) ليست إلا نقلاً عن اليونانية Osiris ، والسین زائدة لغوية ، فهو في الأصل Osiri (الجذر osr - باعتبار o يقوم مقام الهمزة من أصل الكلمة) .

في المصرية نجده مرموزاً له بصور كثيرة أبسطها الرمز  (كرسي تحته عين) وهو أقدم الرموز كذلك . وقد نُقِحَتْ، كما رأينا، بأشكال مختلفة على أساس أنها مكوّنة من مقطعين «إس + إر» is.ir أو «وس + إر» w s.ir حسب نقحرة «بدج» .

وقد أدى هذا التقطيع للكلمة إلى المشكلات التي ذكرناها في تفسير معنى الاسم، حتى أن «بدج» نفسه في كتابه (أرباب المصريين) لم يجزم برأي حاسم في المعنى المراد، فقد يكون - عنده - بمعنى «القوة»، «الجبروت»، «السلطان»، أو لعله من الكلمة المصرية «س ر» sr (= الأمير، الزعيم، الرئيس) .

حسن . لنعد إلى التحليلات السابقة للاسم ونقارن بينها وبين العربية :

1) جابلونسكي : من القبطية «أش . إري» Osh. iri = «يعمل كثيراً» (doing much) .

المقابلة : «أش» osh القبطية هي ذاتها «أخ» ah المصرية القديمة، وتتبادل الخاء والشين في المصرية أغلب الأحيان (أنظر : Gardiner ; Eg. Gr., p. 593) فهي ذاتها «أش» aš (= كثير، غزير، وافر) . والمعنى البعيد «ماء» و«نبات» (أنظر : معجم «بدج»، صفحة 8 ، 9) . في اللغة الأكادية :

aqu⁽⁴⁰⁾ = ماء، نبات مائي كثير. وفي الكنعانية: «أخ» = نبات، غيضة، نبات كثير ملتف. وفي العربية يدل «الماء» على الكثرة (ومن هنا جاءت كلمة «مائة»). قارن: «عشرة» من «عَشَرَ» = اجتمع، كثر. و«ألف» من «أَلَفَ» = اجتمع، كثر⁽⁴¹⁾.

وفي العربية أيضاً: «الشيء: الماء»... فهو: الكثرة.

«إري» iri: يعمل، عمل. (نفس المعنى في المصرية القديمة. أنظر معجم «فولكنر»، صفحة 26). أما في العربية فقد جاء في مادة «أري» في (لسان العرب) بعد تحليلات مطولة:

«قال أبو حنيفة: أصل الأري: العمل... وأرئى الريح: عملها».

تفسير «جابلونسكي» لاسم «أوزيريس» بأنه من القبطية Osh. iri يقابل المصرية القديمة AS iri - العربية: «شيء + أري» (كثير + عمل). لكن هذا التركيب لا يطابق قواعد المصرية ولا العربية، فهو تركيب لغوي هند-أوروبي أو لاتيني على الأقل. والأصح: «أري. شيء» (= عمل كثير، أو: يعمل كثيراً). ومع هذا فإن هذا التفسير، وقد بينا عروبة ألفاظه، لا معنى له؛ إذ لم يعرف عن «أوزيريس» أنه «رب العمل» مثلاً، أو أنه كان من آلهة الخلق (كفتاح وخنوم) لينسب إليه عمل (أو «أري») ما كثيراً كان أو قليلاً. فلا يصمد هذا التفسير أمام النقد.

(2) «شارب»: الاسم مكوّن من المصرية «أش» osh (إرادة) + «إري» iri (عمل) = إرادة العمل = الحكم، الحاكم، القاضي. Osiris = Oshiri.

المقابلة: لم أعر، فيما بين يدي من مصادر، على كلمة «أش» في المصرية بمعنى «إرادة». والمعلوم أن «شارب» كتب في بداية كشف طلاسم الرموز الهيروغليفية ولعله قلب الكلمة المصرية «شء» ša (= يقضي، يأمر (Ordain, order)). معجم «فولكنر»، صفحة 260. قارن معجم «بدج»، صفحة 724) فإن كان الأمر كذلك فإن المقابل العربي هو «شاء» (والاسم: شَيْئَةٌ = مشيئة، إرادة. أنظر مادة «شء ي» šay في هذه الدراسة). وقد سبقت مقابلة كلمة «إري» iri (عمل). وهذا ما يجعل تفسير «شارب» في الأنكليزية (a decrec. to do) أو (to do. a decrec) (إرادة. يعمل) أو «يعمل. إرادة» أو لنقل: «مريد العمل» أي «شائي الأري» = شء. إرى ša. iri (= بالقلب: «أش. إري» - osh. iri).

(3) لوث: من «أس. إري» as. iri = «ابن الأرض»⁽⁴²⁾.

(40) قارن اللاتينية aqua: الاسبانية agua، الايطالية: acqua.

(41) في اللهجة الليبية الدارجة يقال: «مَا مِنْهُ!» أي: «ما أكثره!».

هل هناك صلة بين «مئة» و«ماء»؟ (قارن اللهجة الجبالية: «أمن» = ماء).

(42) أو «ابن إيزيس» كما ذكر أيضاً. قارن: معجم «بدج»، صفحة 9: «ء. س. ت» as. t = إيزيس. وهي ذاتها «إس ت» ist. قارن العربية: «أس» ← أسس...

المقابلة : أما المقطع الأول «أس» فإن «لوث»، فيما نحسب، قلبه عن المصرية «س» sa التي تعني «ابن» (معجم «فولكنر» صفحة 207، ومعجم «بدج» صفحة 583) ويقرأها «غاردرنر» : «زء» (Eg. Gr., p. 471) وهي في العربية «ذ» (ذو، ذا، ذي). قارن السبئية : «ذ. ن ش ء» = ذو نشأ = ابن الملك). ولا معنى قطعاً لأن يكون «أوزيريس» ابناً لـ «إيزيس» لأنه، ببساطة، زوجها وأخوها - في الأسطورة - وليس ابنها⁽⁴³⁾. وعذر الأستاذ «لوث» أن الأسطورة الدينية وقصة «أوزيريس» لم تكن عرفت بكل تفاصيلها في وقته. فلنقبل قوله إن الاسم يعني «ابن الأرض». وقد عرفنا أن المصرية، «س» «التي قلبها إلى «س»» تقابل العربية «ذ» (ذو = ابن) ولم يذكر لنا مصدراً في المصرية يفيد أن «إيري» iri تعني «أرض»، ومع ذلك فلنحاول المقابلة بالعربية التي نجدها في مادة «أري» :

«إرة : الإرة : الحفرة التي توفد فيها النار. والأري : ما حفر له وأدخل في الأرض».

ونحن نعلم من أسطورة «أوزيريس» أنه في الأصل إله أرضي، وهو محاسب الموتى، وهو الذي يدخلهم الجحيم أو ينقذهم منها. وهذه الصفات كلها تجعل «الإرة» في هذا الموطن تقابل «إيري» iri المصرية كما فسرها «لوث» وتناسب المقام كل المناسبة. وبهذا يمكننا مقابلة هذا التفسير بالعربية «ذو إرة» (= س. س. إيري = Sa. iri = Osiris) أي «ابن الأرض» (Son of the Earth) - بحسب فهم «لوث». أو بالتحديد : ابن الحفرة.


4) أما ربط «دفيريا» و«قيصردي كارا» بين «أوزيريس» و«أشور» معبود الأشوريين المعروف فأمر غير مستبعد⁽⁴⁴⁾.


(43) لاحظ أن «شارب» كتب سنة 1863 م. وكتب «لوث» سنة 1868 م. أي بعده بخمسة أعوام فقط، وفك رموز الميروغليزية لا يزال في بدايته يومذاك.


(44) ورد في القرآن الكريم اسم «أزر» مرتبطاً بإبراهيم، عليه السلام، الذي كان من بابل كما هو معروف : ﴿وَرِأْدَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَرٌ أَتَّخِذُ أَصْنَاماً إلهةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾. (الأنعام/74). ويقول ابن منظور في (اللسان/ مادة «أزر») :

«وأزر : اسم أعجمي، وهو اسم أبي إبراهيم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام. وأما قوله عز وجل : (وإذ قال إبراهيم لأبيه أزر) قال أبو إسحاق : يُقرأ بالنصب «أزر». فمن نصب فموضع (أزر) خفض بدل من (أبيه) ومن قرأ «أزر»، بالضم، فهو على النداء. قال : وليس بين النسابين اختلاف أن اسم أبيه كان (تارخ) والذي في القرآن يدل على أن اسمه (أزر).

... وروي عن مجاهد في قوله : (أزر أتخذ أصناماً) قال : لم يكن بأبيه ولكن (أزر) اسم صنم، وإذا كان اسم صنم فموضعه نصب كأنه قال : وإذا قال إبراهيم لأبيه أتخذ (أزر) إلهة؟ أتخذ أصناماً إلهة؟» في (التوراة) ورد اسم والد إبراهيم : «تارخ» - بالحاء المهملة. ويتفق أغلب الباحثين على أن «تارخ» أو «تارح» اسم ذو صلة باسم القمر «أرخ» أو «إرح» (في العبرانية) وهو في المصرية «[ء خ]» (الهزمة بدل من الراء). ومن المعروف أن البابليين كانوا من عباد الأجرام السماوية والقمر من أهم معبوداتهم. ولم يختلف النسابون في اسم أبي إبراهيم «تارخ» ولكن الاختلاف جاء في اسم «أزر» كما ورد في القرآن الكريم. وقد انتبه مجاهد إلى أن هذا اسم صنم (= أشور) المعبود المعروف الذي سمي به البابليون «الأشوريون» (تقريباً لهم عن البابليين الأكاديين) وهو اسم مدينتهم كذلك. ولكن ليس ثمة ما يمنع من أن يكون اسم والد إبراهيم اسماً مركباً (الاسماء المركبة تقليد بابلي معروف) فيكون «أزر - تارخ» أو «تارخ - أزر». وبذا ينتفي الخلاف في هذه المسألة. (أنظر في مسألة تركيب =


5) «لوفير» اسم «أوزيريس» (وكذلك «إيزيس») موجود في الرمز الهيروغليفي  ومعناه : مقر، مقام - résidence .

ولم يبين «لوفير» أي الرمزين يقصد. فإذا كان يعني الرمز  الذي يُقرأ - عادةً - «إري» iri فإننا نجد في مادة «أر» (ثنائيتها : أر) العربية :
«تأريت بالمكان : أقمت به واحتبست فيه .
التأري : التلبث والاحتباس .
أرّ : ثبت ومكن» .
وهذا هو «المقر» أو «المقام» résidence .

أما إذا كان المقصود الرمز  الذي يقرأه «أسي» osi فإن مقابله العربي «يأس، يأس، يئس» (بضم الهمزة وفتحها وكسرهما) وهو من الثلاثي «أسس» :

الأسُّ والأسُّ والأسُّ والأساس : كل مبتدأ شيء . وهو : أصل البناء . وتجمع على : أسس وإساس وأساس .

وفي هذا، أو منه، معنى الثبات والتمكن (التأسيس) أي معنى القرار والاقامة = مقر، مقام .

وهذا الرمز  يقرأ عادة «س ت» st ، ونجده في العربية في مادتي (سته) و(است) والأصل فيها معاً «ست» وتفيد معنى : القعود، الجلوس، الاستقرار، أو المقر - كما تفيد معنى القدام والأولية .

6) «برغش» : الاسم مكوّن من مقطعين : «أس» (قوة) + «رع» (عين الشمس، حدقة) . والمعنى : «قوة عين الشمس» .

المقابلة : «أس» بمعنى «قوة» موجودة في العربية «أس» السابق بيانها . وعن «رع» راجع هذه المادة في هذه الدراسة (= رعى، رأى) .

7) «بدج» : معنى الاسم : «صانع العرش» . وهو مكون من «أس» (= عرش، كرسي) + «إري» (يصنع، يعمل) .

وقد سبقت مقابلة هذين المقطعين بالعربية (أس + أري = كرسي / مقعد، عرش + عمل) . ونلاحظ أن تحليل «بدج» قد يقبل من الناحية الاشتقاقية لكن التركيب لا يتفق مع المصرية والعربية ؛ إذ ينبغي أن يكون «عرشاً صنع = أساً أري» لكي يقابل «أوزيريس» .

= الأسماء البابلية : (R. Zadok ; On West Semites in Babylonia) .

أولعل اسم والد إبراهيم الشخصي كان «نارح» وكانت «أزر» لقباً له ، ربما لاحتلاله مكان الكاهن الأكبر في معبد أصنام بابل، فهو هذا «وزير» (وهي كلمة ترجع إلى الجذر «أزر» كما ترجع «أزر» . ولنا هنا المقارنة مع ما في القرآن الكريم من حديث عن «هامان» (= أمون) الذي هو اسم معبود واسم كاهن معاً . (أنظر مادة «أم ن» في هذه الدراسة) .

8) «بيتس» : الكلمة ليبية، لأن منشأ «أوزيريس» كان في ليبيا، وفي الليبية كلمة «وسر» wsr ومعناها : قديم، عتيق .

المقابلة : ينسى الأستاذ «بيتس» - مثل سواه من الباحثين الغربيين - أن اللغة الليبية ليست إلا شقيقة العربية، كالمصرية تماماً. وكلمة «وسر» التي قدمها «بيتس» تحمل المعنى الذي ذكره ولكن المعنى الأصلي هو : شيخ، كبير في السن، عجوز (أنظر : معجم داليه J.M. Dallet ; Dict. Kabyle français, p. 876 - الذي يضيف معنى : عاجز decipit ثقيل الحركة، مقعد). وهذه تقابل العربية «وزر» التي تفيد الثقل المادي ثم الثقل المعنوي (الأهمية، القيمة، الاحترام) ومنها : «وزير». (كما تفعل «وقر» الأمر نفسه : الوقر = الثقل . والتوقير = التقدير، الاحترام). و«وزر» هي ذاتها «أزر» في دلالاتها المختلفة، وهي أيضا «أصر» (راجع هذه المواد في «لسان العرب»). فالليبية «وسر» لا تعني الشيخوخة وكبر السن فقط بل تفيد جملة معانٍ مرتبطة بالتقدم في السن الموجب للاحترام والتوقير، كما هو الحال في العربية .

أما نعت «أوزيريس» في المصرية «وسر . رن ب ت» wsr.rnpt (حرفياً : غني² أو : وافئ³ السنين (rich in years) = قديم) فإن «وسر» هنا تقابل العربية «يسر» أي : كثير. وأرجو أن يعود القارئ إلى مادة «رن ب ت» في هذه الدراسة ليجد تحليلها .

9) «إرمان» : معنى الاسم : «شاغل عرش رع» (أس . رع) = أوزيريس .
المقابلة : «أس»، العربية : أس ← أسس ← تأسس = جلس، قعد، تمكن، ثبت، تكرر⁴ (من : كرسي⁵)، تعرّش⁶ (من : عرش) = شغل العرش + «رع». (قارن هذه المادة في هذه الدراسة).

10) «سيثي» : قرأ الرموز الهيروغليفية المشيرة لاسم «أوزيريس» : «س ت . إرت» st.irt ، ومعناها عنده : «كرسي العين»، أو : «عرش العين» (Seat of The Eye) .
المقابلة : في العربية «ست» (است، سته) : مقعد / (كرسي، عرش) + «رائية» = أداة الرؤية = العين .

11) «وستندورف» : قرأ الرموز عكسياً هكذا : «إري - زي» iri - zy وترجمها : «الذي عملها أو خلقها» - (He who made or created it) .
المقابلة : سبق شرح «إري» بمعنى : عمل، صنع، خلق . (الجذر في العربية : أري) .

أما المقطع «زي» zy أو «سي» sy فإن المقصود به الربة «م ت» ربة العدالة والحق . وهو هنا ضمير المفرد الغائب المؤنث (= ها . عاملها، صانعها، خالقها = آريها) . والمعروف أن حرف السين أو السين القرية من الزاي — في المصرية كانت تفيد ضمير المؤنث المفرد الغائب في آخر الكلمة، وهي نفس الأداة في عربية اليمن القديمة . (أنظر الجزء الثالث من هذه الدراسة . وقارن : (Budge ; Eg. Language, p. 95)

لقد جئنا بكل ما مضى تتبعاً لتفسيرات العلماء لاسم «أوزيريس» - لا أتباعاً - لكي نظهر أن العربية تقابل كل تفسير ارتأوه مهما بدا غريباً أو حتى مستبعداً، ورغم أن أغلب هذه التفسيرات قام على الظن والتخمين وعلى أساس تقطيع الاسم وتمزيق أوصاله كما مزق صاحبه ونثرت أشلائه في الأسطورة المصرية القديمة !

فما هو تفسيرنا لهذا الاسم العتيق الشهير ؟

بعض العلماء سبق أن أشار إليه . وكان أول من فعل ذلك المؤرخ المعروف «بلوتارخ» في كتابه عن (إيزيس وأوزيريس) وهو أقدم من حلل أسماء آلهة مصر العتيقة عهداً، وقدم معاني تلك الأسماء، أو بعضها، في اليونانية نقلاً عما فهمه من المصرية . وعنده أن اسم «أوزيريس» يؤدي - في المصرية - معاني : القوة والجبروت والسلطان . وقد أبدى عدد من علماء المصريين في عصرنا الحديث .

الأستاذ «شيرني» (Cerny ; Ancient Eg. Religion, p. 35) فسّر الاسم بأنه يعني «كرسي العين» (Seat of The Eye) ، ومع هذا أورد رأياً يقول إن «أوزيريس» كان في الأصل ملكاً عظيماً يحكم مصر، ثم أله وصار معبوداً ونسجت من حوله الأساطير⁽⁴⁵⁾ . ويقرأ «غاردرنر» (Eg. Gr., p. 562) اسم المعبود في أشكاله الهيروغليفية المنوعة : «وس إر» w s i r - ولا يقطع الكلمة إلى مقطعين . وهو يأتي بكلمة «وس ر» w s r ويترجمها : powerful (قوي) ، Wealthy (غني)⁽⁴⁶⁾ . بينما يترجم «فولكنر» (a Con. Dict. of M. Eg. p. 68) نفس الكلمة إلى الانكليزية Strong (قوي / شديد) و influential (مؤثر) إلى جانب ما ذكره «غاردرنر» من معاني تدور في هذا النطاق .

أما «بدج» فقد بدا متردداً بين مختلف الآراء في كتابه الذي خصصه للحديث عن «أوزيريس» في جزئين كبيرين⁽⁴⁷⁾ ، وأورد مختلف الصيغ لكتابته في العصور الأولى بمصر وفي عصر البطالمة، وبالخط القبطي إلى جانب القلم السرياني، مقلباً إمكانية نطقه بمختلف الصور ومحاولاً استخلاص المعنى المقصود دون الوصول إلى رأي قاطع . لكنه في مؤلفه عن «آلهة المصريين» (The Gods of the Egyptians, ii, p 113) قرأ الاسم «وس ر» w s r وترجمه إلى الانكليزية : Strength, might, power (شدة، جبروت، قوة) . ثم رأى أنها قد تكون من المصرية «س ر» s r بمعنى : رئيس، أمير prince, chief - عنده . أما في معجمه (An Eg. Hier. Dictionary) فهو يكتب «إس ر» i s r ومن معانيها : القوة، البطش، الشدة، السلطة . . . إلخ .

(45) هذا الرأي في الواقع ليس جديداً فقد ذكره «مانيثو» في بداية مؤلفه عن تاريخ مصر عند حديثه عن (حكم الآلهة) قبل عصر الأسرات . أنظر : Manetho ; Aegyptiaca, Tr : W.G. Waddell, LOEB, n° 350, pp. 3. 19 .

(46) قارن العربية : أصر، أسر، أزر (قوة) .

و : يُسر (غنى) - رجل «ميسور» الحال = غني .

(47) W. Budge ; Osiris and The Egyptian Resurrection, Dover Publications, New York, 1973, Vol. I, pp. 24-25 .

(48) قارن العربية «سري» . أنظر مادة «سرا» في (لسان العرب) .

(49) العربية : إصر، أسر، أزر .

وخلاصة الأمر بالنسبة للباحثين من ذكرنا أن نطق اسم «أوزيريس» (وهذه هي الصيغة اليونانية)⁽⁵⁰⁾ يمكن أن يكون أيًّا مما يلي :

«أس . ار» - «وس . إن» - «وز . إن» - «س . ر» - «وس . إرى» - «وس . ر» - «و . ز . إرى»
- «وس . إرى» - «س (س) . إرى» - «س . إن» . . . إلخ .

ونلاحظ أن هذه القراءات جاءت على أساس تقطيع الاسم إلى مقطعين، وذهب كل باحث مذهباً خاصاً به على أساس التخمين كما رأينا. وهو ما أدى إلى كثير من الخلط والغلط. أما إذا قرئت الكلمة باعتبارها مقطوعاً واحداً - كما يجب أن تكون - فإننا نجدها :

«وسر» - «وزر» - «أزر» - «إصر» - «سر» . . . وما إليها .

والمعنى العام الذي يقدم في هذه الحالة يفيد : القوة، السلطان، الحكم، العرش، الجبروت، الشدة . . . ونحوها. وفي ظننا أن هذا هو المذهب السليم في قراءة الاسم ومعناه، ولنا قياس في هذا الباب آلهة مصر الكبرى : «أمون»، «رع»، «حورس»، «ست» . . . وعشرات غيرها مما يدل اسم كل منها على معنى بعينه يتصل بصفة من صفات الربوبية أو بوظيفة المعبود ذاته. ولا شك في أن «أوزيريس» يمثل «القوة» على كل حال ؛ قوة دفع النيل، أو قوة الأرض إذ هورب الزرع، أو قوة الاخصاب، أو حتى قوة الشمس المعبودة الكبرى والتي يرمز إليها بالعين تارة وبقرصها ☉ تارة أخرى في اسمه، أو قوة الحدقة السحرية⁽⁵¹⁾، أو قوة انتصار الخير على الشر، أو قوة البعث وإعادة الحياة. وهذه مجموعة قوى، ظاهرة وخفية، تنسب إلى «أوزيريس» .

ومن العجيب فعلاً أنني لم أعثر في ما بين يدي من مراجع أجنبية على شيء يربط بين القوة والسلطان في مختلف مظاهرهما وبين المفردات العربية المقابلة حذو النعل للنعل، ليس من حيث الدلالة فحسب بل أيضاً من حيث تنوع الكتابة والنطق والتصريف. وهذا ما يفسر بوضوح ذلك التنوع الذي لاحظناه في القلم الهيروغليفي ومن بعده السرياني والقبطي، كما في القلم الديموطيقي كذلك. فلننظر في هذه الجذور العربية ولنر الصلة الوثقى، بل التطابق التام، بينها وبين المصرية :

«أزر : الأزرق : الظهر والقوة . أزررت فلاناً، أزره، أزرأ : قوّيته . ومن جعل (الأزر) في قوله تعالى : (أَشَدُّ بِهِ أَرْزِي) القوة قال : أشدده به قوتي . ومن جعله الظهر قال : أشد به ظهري» .

«أسر : الأسرة : الدرع الحصينة . وأسر : شد . والاسار : ما شد به . والأسير : المشدود . والأسر : شدة الخلق . رجل مأسور : شديد عند المفاصل والأوصال . (نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ) أي : شددنا خلقهم . والأسر : القوة والحبس . ومنه : الأسرة : العشيرة والعصبية (من العصب = السير/ الأ . = الشد والربط)» .

(50) هذا النطق مأخوذ عن الفرنسية . في الأنكليزية ينطق : «أوزايريس» .

(51) أنظر : Lurker ; The Gods and Symbols of Ancient Egypt, p. 128 .

«أصر : أصر الشيء يأصره أصراً : كسره. الإصر : الثقل، وجمعه : آصار. الأصرة والإصار : القدُّ (السَّيْر) يضم عضدي الرجل، والسَّيْن فيه لغة، وتجمع على أواصر (= روابط). وشعر أصير : ملتف مجتمع كثير الأصل (قوي). وإنهم لمؤتصرو العدد أي عددهم كثير. الأصير : المجتمع المتقارب».

«وزر : الوَزْر : الملجأ. وأصل الوَزْر : الجبل المنيع. وكل معقل : وَزْر. الوَزْر : الحمل الثقيل - سمي به الذئب لثقله. وأوزار الحرب : أُنْقَالُهَا وَأَلْمَاتُهَا. والأوزار : السلاح⁽⁵²⁾. والوزير : حياً الملك الذي يحمل ثقله. ووزاره على الأمر : أعانه وقواه والأصل : آزره. . . ومن هنا ذهب بعضهم إلى أن الواو في (وزير) بدل من (أزير). وفي التنزيل : ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزيراً مِنْ أَهْلِي﴾ - الوزير في اللغة اشتقاقه من : الوزر، أي الجبل الذي يعتصم به. وقيل لوزير السلطان (وزير) لأنه يزر (يحمل/يمنع) عن السلطان أنقال ما أسند إليه».

وهكذا نرى أن معاني «القوة» موجودة في : «أزر»، «أسر»، «أصر»، «وزر». كما نجدتها في «يسر» و«وصر»⁽⁵³⁾. وكذلك في «صرر» (صرر = عقد) و«زرر» (زرر = ضغط، ضيق) و«سرا» (منها : سري، جمعها : سراة). ونفس معنى القوة في المقلوبات : «أرز»، «زأر»، «رأس» (رئيس) . . إلى غير ذلك كثير.

وقد عرفنا الاختلاف في قراءة الحرف الأول من اسم «أوزيريس» ؛ إذ جعله بعض العلماء همزة تكسر وتفتح وتضم وجعله آخرون واواً. ما المانع أن تكون عينا - ونحن نعلم كثرة تعاقب الهمزة والعين⁽⁵⁴⁾ ؟ فلنقرأ في العربية :

«عزر : العزْر : الضرب بالسيف واللسان. وعزره : أعانه وقواه ونصره. والتعزير : لتعظيم والتقدير. وعزرت الحمار : أوقرته (= حملته. قارن : وقر = حمل، ثقل) العيزار : الصلب الشديد من كل شيء، الشديد الأسر (لاحظ الأبدال بين «عزر» و«أسر»). وعازر، وعزرة، وعيزار، وعيزارة، وعيزران : أسماء⁽⁵⁵⁾».

(52) قارن هنا رمز «أوزيريس» الهيروغليفي P علامة الملك وهي أصلاً سلاح.

(53) بمعنى السجل أو العهد. في لهجاتنا الحديثة تحولت إلى «واصل» أو «وصل» (صك استلام الشيء). هل تحولت «أزر» إلى «أزل» بمعنى : قديم، عتيق/قدم ؟

(54) الواقع أن قرب رسم العين (ع) في العربية من الهمزة (ء) التي هي عين مصغرة يدل على كثرة هذا التعاقب. ولنا أن نقارن قرب رسم الجيم (ج) والحاء (ح) والحاء (خ) التي لا تختلف إلا بوضع النقط دليلاً على كثرة تبادلها (قارن تساوي قولنا : مجنون، محنون، مخنون. وقارن : جنة، حنة، خنة - وكلها بمعنى واحد).

(55) ورد اسم «عزير» في القرآن الكريم : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ (التوبة/30).

ويربط المفسرون بينه وبين ما جاء في سورة (البقرة) : ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي اللَّهُ هَذِهِ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ إلى آخر الآية 259. وسياق الآيات قبل هذه الآية وبعدها عن فكرة (البعث) التي سأل إبراهيم فيها ربه : ﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾.

فهل ثمة صلة بين «عزير»، الذي أماته الله مائة عام ثم «بعثه»، وبين «أوزيريس» إله البعث المصري الذي «بُعِث» هو نفسه بعد قتله وتقطيع أطرافه، ولو صلة الفكرة العامة ؟

ثم هناك : «عَصَرَ» .

«العُسر» : الشدة والصعوبة . قال الأصمعي : عسره وقسره واحد . والاعتسار هو الاقتسار والقهر» .

وكذلك : «عَصَرَ» الذي يفيد الضغط من مثل استخراج السائل (كالزيت أو الماء) بالقوة (= عصير)⁽⁵⁶⁾ .

ولن ننتهي إلى غاية إذا رُمتنا تتبع اسم «أوزيريس» بمعنى «القوي ، الشديد» في مختلفة جذور العربية القريبة من جذره في المصرية . ولعل في ما ذكرناه كفاية . فليكن المقابل «أزر» أو «عزر» - من باب التبسيط - وقد رأيت دلالتها في ما عرضناه باختصار كبير . خشية إملال الاطالة .

إون *iwn* 𐤀

كان «الإون» - الذي يعني اسمه «العمود» (pillar) - معبوداً من آثار عبادة المذكورية القديمة في «هليوبوليس» وكان يرفع بطقوس بالغة التوقير ويوضع رأس ثور عادةً على قمته . ولصلته بالمسلة فقد صار «الاون» رمزاً للقمر . وقد أطلق اسم «إون» على «أوزيريس» بصفته إلهاً للقمر .

عند «غاردنر» «إون» *iwn* (عبارة عن صورة عمود 𐤀 (= Column) . وأحد أسماء «حورس» : (إون . م . وت . ف) أي «عمود أمه» ، أو على الأدق : «عماد أمه» . . أي مستندها وعونها . وقد يبدو أن «إون» المصرية تقابل «عون» العربية ، وهذا جائز لكثرة تعاقب العين والهمزة ؛ فإن في الجذر «عون» معنى السند والاعتماد (من : عَمَد) . وقد جاء في مادة «عون» : «العون : الظهير على الأمر» . وهذا هو وضع العمود بالنسبة للبناء ، يسنده ويقيمه ، فإن «كل شيء أعانك هو عون لك» كما يقول الليث . وشبيه بهذا قولنا : «نخلة عوان» . أي طويلة (وهي لغة قبيلة أزد) . و«قال أبو حنيفة : العوانة ؛ النخلة - في لغة أهل عمان . . . قال ابن بري : العوانة ؛ النخلة الباسقة من النخل» (اللسان) . وليس ثمة شيء أشبه بالعمود (المصرية «إون») من النخلة .

هذا باعتبار تعاقب الهمزة والعين في المصرية والعربية . فإن كانت الهمزة أصلية في المصرية فإن لدينا نصاً عربياً واضحاً لا لبس فيه يحدد عروبة الكلمة بشكل قاطع . فقد ذكر ابن منظور في

(56) إذا كانت الفكرة البحث عن لفظ يؤدي معنى القوة والقدم في الوقت ذاته فإن «العصر» (مادة : عصر) تعني ما تقدم ولكنها أيضاً تفيد معنى الزمان «والمَصْر . إنَّ الأَنْسَانَ لَفِي حُصْرٍ» ، قرآن كريم . وربما الزمان العتيق . وهذا ما يوافقه «وسر» *wsr* التي ربط «بيتس» بينها باعتبارها اسم المعبود «أوزيريس» (القوي) ومعناها في الليبية (العتيق ، القديم) .

مادة «أون» أن ابن بري قال : «الأوان : عمود من أعمدة الخبَاء . . . وكل شيء عمدت به شيئاً فهو إوان له» (قارن : عون/عوان).

ومن هذا النص نرى أن الهمزة قد تفتح (أوان) وقد تكسر (إوان). كما نرى أن المعنى واحد في الجذرين (عون) و(أون). وهي جاءت في السبئية «ع ون»، ومنها كلمة «معن»⁽⁵⁷⁾ (= سكن) وتقرن بكلمة «معان» (مدينة/ اسم مدينة في شمال الجزيرة/ موضع بالشام قرب مؤتة، كما يقول ابن منظور). (قارن : Biella ; Dic. of O.S. Arabic, p. 359).

وليس غريباً أن يكون مقلوبها «عمان ← عمَّان/ مدينة بالأردن) يرجع إلى نفس الجذر، وكذلك «عمَّان» التي عرفت عند الكنعانيين باسم mgn (= م ع ن/ بالابدال) ولعلها أصلاً «معن». وكلها تشير إلى أسماء مدن أو قرى ومساكن ذات عمود.

مهملها يكن الأمر فإن من «إون» المصرية جاءت في تلك اللغة : «إون ي ت» iw nyt ومعناها «قاعة الأعمدة» (Hall of Columns) (غاردرن - صفحة 552) ومقابلها العربي : «إيوانية» أو «إوانية». ومن المدهش فعلاً أن يقرر ابن منظور أن «الايوان» أعجمي ويقرنه بإيوان كسرى، في حين أنه عربي صريح العروبة، وأصله من «الأوان» بمعنى «العمود» سواء كان في مصر أم في الجزيرة. وقاعة كسرى، كما كانت قاعة فرعون، مليئة بالأعمدة التي تسند سقفها، تماماً كما تسند الأعمدة أو «الإوانات» خباء الأعرابي في الصحراء.

ويورد «شيرني» (Anc. Eg. Religion, p. 26) أن الاسم القديم المشهور للمدينة التي عرفت عند اليونان باسم «هليوبوليس» («مدينة الشمس»). وتعرف الآن باسم : «عين شمس». ولعل صوابها : «عون شمس» - بمعنى «مدينة» وبمعنى «عمود». وليلاحظ أن المسلة المشهورة، المعبودة رمزاً للذكورية قديماً وللشمس بعدئذ «إون» كانت في هذا الموقع) أن اسم هذه المدينة يرجع إلى «إون» (يكتبها Yon) - وهو ذاته في صورته الملتئة Yonew. وقد عرفت في (التوراة) باسم «أون» On كما كانت «طيبة» في الصعيد تسمى «خ ت . إم ن» (مدينة أمون) عربيتها : «خطة (= مدينة) أمون»، ولكنها وردت في (التوراة) في (سفر ناحوم) باسم «نو أمون» (= إوان أمون) :

«هل أنت أفضل من (نو أمون) الجالسة بين الأنهار حولها المياه التي هي حصن البحر ومن البحر سورها؟ كوش قوتها مع مصر وليست نهاية. فوط ولوييم (الليبيون) كانوا معونتك» (ناحوم/ 5/3). وفي الدلتا كانت مدينة «ب . خ ن . إم ن» (عربيتها : ب = أداة التعريف + خ = بيت/قن، كن، خن + أمون = خن أمون) تقابلها «طيبة» (إوان أمون) في الصعيد، وكانت تعرف باسم «إوان» (إون/نو/أون) مجرداً أي «المدينة» par excellence. (أنظر : JUDGE ; The Gods of The Egyptians, II, p. 31).

هل مجرد صدفة أن تدعى «طيبة» عاصمة مصر الجنوبية بهذا الاسم، كما تدعى «المدينة»؟ وأن تسمى «يثرب» باسم «طيبة» أيضاً كما تسمى «المدينة» (مدينة الرسول)؟

(57) أي «مَعُون». قارن : سَكَن : سَكُنْ، مَسْكُ.

أخيراً . هل ننسى «إرم ذات العماد» التي ورد ذكرها في القرآن الكريم . إن مادة «أرم» (التي منها : إرم) تعني الحجارة وهي التي تبنى بها المدن ، وأما تسميتها «ذات العماد» فإنها تقابل بالضبط «إون» (= عمود/عماد) .

كل ما في الأمر أن عرب مصر استعملوا لفظاً ، واستعمل عرب الجزيرة لفظاً آخر يؤدي نفس المعنى . ومع هذا فقد رأينا «إون» المصرية في عربيتها : «أون» و«عون» أوضح ما تكون .

(إيزيس) Ast As-t

عند بعض الباحثين أن اسم هذه الربة الشهيرة يعني «الكرسي» أو «العرش» وكان يكتب بعلامة مطابقة لتلك التي فوق رأسها . وعلى هذا فقد تكون في الأصل تجسيدا للعرش . كانت ذات مغزى خاص بالنسبة للملك (الفرعون) إذ اعتبرت أمه رمزياً . وهي في الأسطورة سعت في طلب زوجها وأخيها الميت «أوزيريس» ، وحملت منه بابنها «حورس» ، ودفنته وبكته مع أختها «نفتوس» .

عُبدت تحت لقب «عظيمة السحر» أو «الساحرة العظمى» التي حمت ابنها «حورس» من الأفاعي والحيوانات المفترسة وأخطار أخرى ، وبذا كانت حامية الأطفال أيضاً . عرفت عند اليونان باسم «إيزيس» Isis ، وكان «أوريون» Orion يُعتبر روح «أوزيريس» ومن هنا تصوّر المنجمون أن «الشعري» Sirius ، التي يدعوا المصريون «سبد» spd⁽⁵⁸⁾ واليونانيون Sothis ، أنها «إيزيس» . وفي المملكة الجديدة ارتبطت «إيزيس» بالربة «هاتور» واتخذت صفاتها الجسدية ؛ قرني الثور وقرص الشمس . وقد نظر المصريون القدماء إلى «إيزيس» على أساس أنها «عين رع» رغم أن «بلوتارخ» تصوّرها ربة للقمر . وفي العهد اليوناني صارت «إيزيس» حامية للبحارة وأضيف المجداف إلى رموزها باعتبارها «إيزيس فاريا» Isis Pharia .

(58) spd تعني أيضاً : الحادّ، الشديد التوقّد حساً ومعنى ، كما نقول : فلان حادّ الذكاء، وتعني : الثاقب، كما نقول : فلان ثاقب الفكر. قارن القرآن الكريم : «النجم الثاقب» (سورة الطارق) . spd تكافئ العربية : سفد، ومنها السّفود ؛ أي القضيّب من الحديد يتقب اللحم المقطع ليشوى، والسفاد ؛ أي نزو الحيوان . نذكر هنا أيضاً أن «الشعري» التي وردت في اليونانية في صورة Sirius تسمى في العربية أيضاً : الزّهرة، بفتح الهاء، وهي هذا الكوكب الأبيض (اللسان، مادة : زهر) . ولعل اليونانية أخذتها من العربية (زّهرة) وحرقتها إلى Siriu(s) كما أخذت من المصرية «سبد» spd (العربية : سفد) فصارت فيها (Sothis).

«إيزيس» هو الاسم المتداول المأخوذ عن اليونانية Isis والسين في آخره زائدة لغوية، فهي Isi ، فإذا أسقطنا الحركات صارت Is (وينطق السين هنا زائياً : Iz) والصيغة المصرية هي «إست/أست» Ist/Ast (عبارة عن رسم كرسي أو عرش، ونصف دائرة تمثل حرف التاء، وصورة امرأة جالسة للدلالة على الربة).

المعنى إذن في أساسه معنى القعود والجلوس، وربما التمكّن والسلطة والرسوخ. وقد نقل «شيرني» (Ancient Eg. Religion, p. 35) الاسم إلى الانكليزية Eset بمعنى «عرش» في المصرية أو «كرسي». واكتفى «غاردر» (Egyptian Grammar) بأن نقحر الاسم : 3st مشيراً إلى أنه يعني «الربة إيزيس» دون أن يبين معناه. أما الأستاذ «بدج» (The Gods of the Egyptians, ii, p. 202) فقد ناقش مطولاً هذا الاسم وخلص إلى القول بأن :

«اسم إست Ast، مثله في ذلك مثل اسم «إسر» Asar (أوزيريس)، قاوم حتى الآن كل تفسير. وواضح من المشتقات المعتمدة على الجنس التي كان يعود إليها المصريون أنفسهم أنهم لم يعرفوا عن معنى اسمها أكثر مما نعرف. والاحتمال هو أن «إس» As أو «إست» Ast اسم لبيبي في الأصل وأنه يجب أن يصنف مع أسماء المعبودات الليلية الأخرى، أعني : نث، بست، وغيرهما. وهي التي كان يعبدها مصريو ما قبل عصر الأسرات والتي عُبر عن أصوات أسمائها بالرموز الهروغليفية بأقرب ما يمكن حين اقترض أهل البلد (مصر) أو اخترعوا فن الكتابة».


هذا ما يقوله «بدج». وسواء كان الاسم أصلاً لبيبي أو غير لبيبي، فإن نظرة في العربية التي نعرف تبين بوضوح ما هو المقصود من الاسم.

إن الكرسي أو العرش جزء لا ينفصل عن اسم «إيزيس»، والمرأة الجالسة تمثلها في الرموز الهروغليفية الأولى لاسمها. وهنا تمكنا العودة إلى مادة «أست» في العربية فنجدها تتفق مع مادة «أسس». قال في (اللسان) :

«است الدهر مثل أس الدهر، يريد ما قدم من الدهر». قال : «وهمة است موصولة باجماع، وإذا كانت موصولة فهي زائدة».

ثم نمضي إلى مادة «سته» فنجد ابن منظور يساوي بينها وبين «است» و «ست»، ونفهم أن الهاء في «سته» زائدة كما أن الألف في «است» زائدة أيضاً، وأن الجذر الأصلي في كليهما هو «ست»، كما نفهم أن ما تفيد هذه الثلاثة هو الجلوس والقعود، والأصل، والقدم... تماماً كما يفيد الجذر «أسس» الذي يؤدي إلى «أس» (= الأساس).

لنا هنا أن نقول إن أصل اسم «إيزيس» في المصرية هو «أس» (As عند «بدج») أضيفت إليه تاء التأنيث فصار «است» (Ast عند «بدج») وأن المعنى البعيد : التمكّن، التأسس، الأصل والقدم، ثم تطور إلى معنى : العرش والكرسي وما إليها.


وقد نأخذ الجذر الذي ذكره ابن منظور (ست) أضيفت إليه الهاء فصار (سته) مرة، ووصل بالألف فصار (است) مرة أخرى، ونقول إنه المقابل العربي للمصرية (st) وهذا كله بالنظر إلى الرمز الهيروغليفي  الذي يمثل الكرسي، ويرمز إلى عرش الملك المكين.


بيد أن وجود المرأة الجالسة في الرمز الهيروغليفي يثير انتباهنا، فما المانع أن يكون الأصل، ببساطة: «ست»؟ أعني «سيدة» - إن الشائع أن كلمة «ست» التي نستعملها اليوم بكثرة كناية عن المرأة اختصار لكلمة «سيدة». ولكن هذا غير صحيح على الإطلاق؛ فإن كلمة «ست» موجودة في الكنعانية بمعنى «امراة» ولا صلة لها بكلمة «سيدة». وقد لاحظ «غوردون» هذا واقترح أن يربط بينها وبين اسم إيزيس في المصرية⁽⁵⁹⁾. (Gordon ; Ugaritic Handbook).

والشيء نفسه ينطبق على كلمة «سي» التي نظن أنها اختصار لـ«سيدي». فهي في المصرية: «س» (s) ومعناها الأصلي: إنسان، رجل، (فلان). (Budge ; An Eg. Hier. Dict., p. 583).

وكذلك كلمة «بت»؛ ليست اختصاراً لـ«بت» بل هي هكذا في الكنعانية (bt) بمعنى أخت، بنت، ابنة. (Gordon ; Ug. Handbook).

وعلى هذا فإن اسم «إيزيس» ينبغي أن يقرأ في المصرية «ست» st. وهو مكوّن من: s (رجل) + علامة التأنيث st = t «ست». وهذا ما يجعلنا نقترح أن ما عرفه اليونان باسم Sothis (الشعري) ليس إلا تحريفاً للعروبية «ست».

غير أنه مما يلفت النظر أن الأستاذ «غاردر» في كتابه Egyptian Grammar يقرأ اسم الربة في الهيروغليفية  : (3st) كما يقرأه (3st). كذلك يساوي بين (3s) و(3s). (صفحة 500). وفي نقحرتة لرموز الهجاء الهيروغليفية (ص 25 من المصدر نفسه) يقرر أن ما يقابل (s) هو صوت يشبه حرف (z) في اللاتينية - وهو حرف الزاي في العربية. وعلى هذا يمكننا تقرير أن اسم «إيزيس» في المصرية هو 3zt (عزت⁽⁶⁰⁾) ونرى أن الهمزة في أوله إبدال للعين، وهذا كثير الحدوث جداً، فهو إذن يقابل العربية «ع ز ت» كما تقابل كلمة 3s (3z) العربية «ع ز».

فإذا كانت الترجمات الغربية تذهب إلى معاني الكرسي والعرش وما إليهما، نظراً للرمز الهيروغليفي  فإن من اليسير جداً معرفة المقابل العربي في اللفظ والدلالة معاً بعد ما بينا، وفي تصورنا أن أساسه حرفان يمثلها هذا الرمز ذاته: «ع ز». فإن بحثنا في المعاجم العربية وجدنا عدداً لا يحصى من المشتقات ترجع إلى هذا الجذر وتؤدي معنى القوة والملك والسلطان وما إليها من دلالات المناعة الجديرة بهذه المعبودة الرفيعة الشأن. (وللقارئ أن يرجع إلى مادة «عز» في أي معجم ليستزيد تفصيلاً). أضف تاء التأنيث إلى «عز» - كما فعلت المصرية - تحصل على «عزت» وهي العربية «عزّة» أي «العزيزة». ونحن نعرف أن من معاني «عزة⁽⁶¹⁾» السلطان والقوة، كما ورد

(59) كذلك هي موجودة في المصرية: «ست» st = امرأة، زوجة. (أنظر Gardiner ; Egyptian Grammer, p. 448).

(60) يقرب هذا ويرجح نطق Isis المأخوذ عن اليونانية: «إيزيس»، بالزاي، وليس «إيسيس».

(61) لا يزال اسم «عزّة» مستعملاً حتى يومنا هذا، وإن صار ينطق «عزّة» بفتح العين.

في القرآن الكريم : ﴿ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾ . الشعراء / 44 .

من مادة «عزز» هناك «العزيز» . وبحسب التعبير القرآني فإن «العزيز» لقب للحاكم أو صاحب السلطة بمختلف درجاتها وصورها . ففي (سورة يوسف) ترد آيات :

﴿ وَقَالَتْ نِسْوَةٌ مَدِينَةٍ امْرَأَةَ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾ (70) .

﴿ قَالَتْ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ﴾ (51) .

﴿ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا ﴾ (78)

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الضُّرَّ ﴾ (88) .

فإذا كان ذو السلطان في مصر القديمة يدعى «عزيراً» فإن ذاته يمكن أن تدعى «العزيزة» (الذات العزيزة) . فهل عجب أن تُسمى المعبودة ذات العزة : «العزيزة» ؟ وهذا هو المقابل العربي لأحد ألقاب «إيزيس» : (the great one) (العظمى / الكبرى) كما يذكر «شيرني» - (Ancient Eg. Reli- glon, p. 159) فإذا رما ما هو أسلم من هذا وأصح لفظاً ومعنى فإن «العزى» هي الكلمة المناسبة . و«العزى» هي المعبودة العربية الشهيرة ، وكان لها صنم في الكعبة معروف ، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم :

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴾ النجم / 19 . وفي تفسير «العزى» يقول ابن

سيده : ﴿ أراه تأنيث الأعز بمعنى العزيز . والعزى بمعنى : العزيزة . . . ويجوز في تأنيث العزى أن تكون تأنيث الأعز بمنزلة الفضلى من الأفضل والكبرى من الأكبر ﴾ (اللسان / مادة : عزن) .

و«العزى» كانت صنماً لقريش وبني كنانة كما كانت «اللات» صنماً لثقيف ، ويقال إنها كانت صنماً لغطفان يعبدونها وكانوا بنوا عليها بيتاً وأقاموا لها سدة ، فبعث إليهم رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فهدم البيت وأحرق السمرة وهو يقول :

يا عَزَّى كفرانك ، لا سبحانك * إني رأيت الله قد أهانك


والذي يهنا هنا أن «العزى» تدعى «عزَّى» كذلك - وقد يكون هذا اسم «إيزيس» إذا وضعنا الحركات المناسبة .

تبقى الإشارة إلى اسم نجم عُبد باعتباره مظهراً من مظاهر تجليات «إيزيس» وهو «الشعري» . وقد ذكرت هي الأخرى في القرآن الكريم : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى ﴾ (النجم / 48) . وهما «شعريان» : العبور التي في الجوزاء ، والغميصاء التي في الدراع . و«عبد الشعري العبور» طائفة من العرب في الجاهلية . ويقال إنها «عبرت» الساء عرضاً ، ولم يعبرها عرضاً غيرها . وسميت الأخرى «الغميصاء» لأن العرب قالت في أحاديثها : إنها بكت على إثر العبور حتى غمصت ا

وقد توجد صلة ميثولوجية بين بكاء «الغميصاء» العربية وبكاء «إيزيس» أخاها وزوجها «أوزيريس» ، أثراً من آثار الأسطورة المختلطة . ولكن الإشارة تنبغي إلى أن اسم «الشعري» في اللغات الأوروبية الناقلة عن اليونانية هو «سيرْيوس» Sirius وهو ذاته «الشعري» محرفاً بالطبع ،

حذف السين الزائدة في آخره . وقد عرفها اليونان أيضاً باسم «سوئيس» Sothis ، وبحذف السين بقى Soth - وقد تكون مأخوذة، كما سبق القول، عن العروبية «ست» . ولكن الباحثين الغربيين يقررون أنها جاءت من المصرية «س پ د» spd . فما قصة هذه «السيد» ؟

نحب أن نشير أولاً إلى أن حرف الباء المهموسة، الثلاثية النقط (p) كان كثير الورد في بواكير اللغات العروبية الأولى، ولكنه في العربية تحول مع تطورها إما إلى باء مفردة (b) أو إلى فاء (f) وقد يكون في لفظين أحدهما بالباء والآخر بالفاء والأصل البعيد هو الباء المهموسة⁽⁶²⁾ . وعلى هذا فإن المقابل العربي للمصرية «س پ د» spd هو «سقد» .

يقول «غاردرن» (Eg. Gr., p. 589) إن «س ف د و» ربّ معبود، و«س ف د ت» تعني «سيريوس» (The dog-star, sirius) ، ومنها جاءت اليونانية Sothis . ويضيف أن «س ف د» : تعني : حادّ، ذكيّ، متأهّب (بالانكليزية : Sharp, clever, ready) . وتكتب في الهيروغليفية  وتظهر «الشوكة» على يمين الرموز الهيروغليفية محدداً، علامة الحدة والتوقد . وهذا راجع إلى أن الشعري نجم شديد التوقد واللمعان والسطوع، فأطلق اسمه على الذكاء⁽⁶³⁾ واشتقت منه الأفعال والصفات المتعلقة بهذه المعاني .

لنعد إلى القرآن الكريم لكي نرى الكلمة المعجزة الدالة على ما نحن بصده من صفات هذا النجم . فقد ورد فيه :

﴿إِلَّا مَنْ خَطَفَ الحُطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ (الصفافات/10) .

وورد أيضاً :

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ . النُّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ (الطارق/1 - 3) .

النجم، أو الشهاب، الثاقب إذن هو ذاك اللامع الساطع الحادّ النَّفَّاذ . وكما يقال في العربية : فلان حادّ الذكاء - يقال أيضاً : هو ذو فكر ثاقب، أو : ذو بصيرة نافذة أو نفاذة . . كأنه يخترق الحجب والستر ويثقبها وينفذ من خلالها .

فلنبحث عن كلمة مرادفة للنفاذ والثقب في العربية . . ولن يعسر العثور عليها . إنها «سقد» : سَقَدَ، يسقد، سفاذاً وسفوداً . ومعناها الأصلي : الثقب والنفاذ . من ذلك : «السَّقْدُ» وهو المخرز أو القضيب من حديد يخترق قطع اللحم ويوضع على النار ليشوى . ومنه : «السَّقَادُ» أي نزو الذكر على الأنثى (تستعمل للحيوان غالباً وليس للإنسان) . فالأصل في هذه وتلك الثقب، ثم صارت كناية . تماماً كما حدث لكلمة «س پ د» المصرية التي تعني «النجم الثاقب» وصارت كناية عن الذكاء وحدة الذهن .

(62) قارن المصرية «پء» (PA) = مشى، مضى - العربية : بَاءَ، فَاءَ (= رجوع وعاد . والأصل : المشي) - مقترناً .

(63) لاحظ أن كلمة «ذكاء» العربية ذات صلة بـ«ذكاء» وهذه أحد أسماء الشمس المتوقدة اللاهبة .

ترجمت «با» بأنها تعني «نفس» (Psyche) ولكنها قليلة الشبه جداً بمفهوم النفس (Soul) ، فإن «با» كانت قوة نفسية (Psychic force) . وفي أقدم النصوص الدينية وُصِفَ كل إله بأنه «با» ، ثم استعملت الكلمة مرادفةً لتجلى الآله . وهكذا رأى الناس «با» إله الشمس (رع) في عنقاء عين شمس ، وعبد «أبيس منف» باعتباره «با» أوزيريس ، ودعي أوزيريس باسم «با-رع» أي : «روح ، أو نفس ، رع» . وتفيد «با» بالنسبة للملك معنى السلطة وبالتحديد : السلطة المقدسة . وفي أواخر المملكة القديمة أضيفت «با» إلى جميع الناس ، ثم صارت بمعنى «مالك القوى الخارقة» . وتُظهر رسوم المملكة الجديدة على المقابر وأوراق البردي هذه «البا» في صورة طائر يرغرف فوق مومياوات الموتى أو يقف على الأشجار المزروعة حول القبر . وكان المعتقد أن تمكن التعاويذ السحرية الروح من أن تتخذ أية صورة تشاء . وعلى هذا اتخذ المصريون من الطائر المرفرف بجناحيه ليس رمزاً صوتياً هيروغليفاً يقرأ فحسب بل رمزاً للروح كذلك يصور فوق التوابيت وجثمانات الموتى إشارة إلى ضرب من وجود الميت الروحي هو «با» .

يورد «عاردنر» (Eg. Gr. p. 563) هذه الكلمة Ba ويترجمها : (Soul) (نفس) وكذلك (external manifestation) (التجلي الظاهري) . ويقول «هنري فرانكفورت» (Frankfurt ; Ancient Egyptian ; Religion, p. 96) إن ترجمة هذه الكلمة إلى Soul (نفس/روح) غير دقيقة ، فهي لا تعني جزءاً محددًا من الانسان الحي ، بل مجموع الانسان كما يظهر بعد الموت . وتعني الكلمة عنده : الإحياء ، الاظهار . animation, manifestation .

والواقع أن «البا» المصرية تمثل مشكلة ثيولوجية عسيرة ؛ إذ ليست هي النفس بالضبط ولا هي الروح ولا الحياة ولا العقل أو ما شابهها . تماماً كما تمثل الفروق الدقيقة في العربية ما بين «النفس» و«الروح» ، وفي الانكليزية ما بين ghost, spirit, soul مشكلة هي الأخرى . فلنكتف إذن بمعرفة أنها «قوة نفسية» بمعنى خاص في الديانة المصرية .

إذا بحثنا الأمر من حيث صيغته اللفظية واللغوية وصلته بالعربية فإن الكلمة المؤدية لمعنى قريب جداً من المعنى في المصرية هي كلمة «بال» التي يقول ابن منظور عنها :

«البال : القلب» .

«والبال : بال النفس ، وهو الاكتراث ، ومنه اشتق : باليت ، و : لم يخطر ببالي» .

«والبال : من أسماء النفس».

«البال» إذن له معانٍ مختلفة منها : القلب، والنفس. وقد يضاف إلى الأخيرة «بال النفس» فكأننا نقول «نفس النفس». وقد نعني به «الخاطر» - وهذا غير دقيق تماماً. فهو إذن قوة غير منظورة، خفية، نفسرها حسب الظرف. وهذا هو أمرها في المصرية.

في عدد كبير جداً من المفردات المصرية نلاحظ سقوط بعض الأصوات أو إبدالها حين تقابل بالعربية. وعلى هذا فإن «با» (= صوتياً : ب ء) تقابل العربية «ب ل ← بال» بتعاقب اللام والهمزة، ويدل على ذلك ما قدمه «إمبير» (Ember, 1, G) من الأمثلة التالية :

العربية	الترجمة الانكليزية	المصرية
كفل	hind parts, posteriors	ك ف ء KFA
معبل	harpoon, spear	م ع ب ء M°BA
بهل	flee	ب ه ء BHA
فلخ	Split	ب ء خ PAH
ح(ول)	around, circa	ح ء ه A H
حلاء/حلاوى	herbs, plants	ح ء و HAW
خلع	leave	خ ء ع HA°

هذا من حيث مقابل «با» المصرية بالعربية «بال». ولكن قانون تطور الدلالة من المحسوس إلى المجرد يجعلنا نعيد النظر في منشأ كلمة «با» المصرية ذاتها ومقابلتها بالعربية وغيرها من العروبيات. إذ ليس من قبيل الصدفة أن يتخذ الطائر المادّ جناحيه رمزاً لهذه «البا» (صوتياً : ب ء) فإن الدلالة الأصلية هي الطيران، وقد استفاد المصريون، كما هي عاداتهم، من جملة المعاني المنبثقة عن هذا الجذر «ب ء»، فهو يعنى الطيران والتحليق، والارتفاع والسمو، مما يوافق معنى النفس أو الروح.

الأكادية من جهتها تقدم لنا لفظة قريبة مما نحن فيه؛ هناك كلمة «باو» bāu أو «بأو» ba'u ومعناها الأصلي : يطير/طيران/طير (Arnolt ; Concise Dictionary, p. 136) وهي هنا تقابل «ب ء» المصرية في رمزها الهيروغليفي (طائر). ثم تطور المعنى في الأكادية إلى : يطير في اتجاه شيء ما، نقصد، يميل إلى، يرغب، يطلب، يشتهي. ويقربها «أرنولت» Arnolt بالأرامية «تبعاً» teb'a ، ويرجع إليها السريانية «بعاً». ويمكننا مقارنة هاتين بالعربية : تبع، بغي. وللقارىء أن يلاحظ تطور الدلالة : طار، تبع⁽⁶⁴⁾، بغي، رغب، طلب، اشتهى. إلخ. مما يوافق رغبات النفس ونزعاتها من شهوة وطلب ورغبة. (لاحظ أن كلمة «نفس» ترجع إلى «نفس» بمعنى الهواء، شبت به للطافته، وكلمة «روح» مشتقة من «ريح»، وكذلك «النسمة» من «النسمة» أو «النسيم» وهو

(64) في المأثور الشعبي الليبي : «التابعة» وتسمى أيضاً : «طوية الصغار» - طير خرافي يظهر للأولاد الصغار فيصيبهم بالأذى. لذا كانت توضع أحجية ورُقَى على أجسامهم تحصنهم منها.

الهواء اللطيف . وكل هذا ذو صلة بمعنى طيران الطير في الجو . كما تعلم) .

حين نرجع إلى عربيتنا التي نعرف نجد الجذر «بأى» :

«البأواء : العظمة . والبأو : الكبر والفخر . وبأى بنفسه : رفعها وفخر بها . . . تبا : تتسامى وتعالى . . . بآء : تكبر، كأن مقلوب من : بأى» .

وفي هذا معنى «العلو» حسا ومعنى، كما هو الشأن في المصرية والأكدية .

(لمزيد من المقارنة والمقاربة أنظر مادة «پ ت» pt في ما يلي) .

ب (ء) ت bat. Baty

تنبينا أسطورة تتحدث عن أسباب الخلق أن «رع» إله الشمس (أو الآلهة الشمس) بكى مرة وأن دموعه انهمرت على الأرض محوّلة نفسها إلى نحل وقد كان للعسل أهمية مؤكدة في صناعة المراهم . ويوجد منظر منحلة قديم من الأسرة الخامسة في محرم «رع» في «أبو غرب» وكان ملوك مصر السفلى (الدلتا) في عصر ما قبل الأسرات وعهد الأسرات المبكر يلقبون بـ«المنتمى إلى النحل» (He who belongs to the bee) وفي المقابل كان حكام مصر العليا (الصعيد) يُدْعَوْنَ «المنتمى إلى الحلفاء» (He who belongs to the sedge) وقد صارت النحلة والحلفاء بعدها جزءا من اللقب الملكي في الفترة اللاحقة وكان معبد «نث» في مدينة «سائيس» (صا الحجر) بالدلتا يُسَمَّى «بيت النحلة» .

تأتي كلمة «ب ت» في قواميس اللغة المصرية بمعنى «نحلة» وبمعنى «عسل»، ثم تأتي إشارة إلى الملك والسلطة باعتبارها : تاج مصر السفلى، ملك مصر السفلى، معبودة الدلتا . إلخ .

من الصعب، في الواقع، فهم سر العلاقة بين النحل والملك إلا على أساس الاسطورة المصرية القديمة القائلة إن «رع» بكى فهطلت دموعه على الأرض نحلاً، وبذا صار النحل إلهياً مقدساً، أو صار خليفة «رع» في الأرض، وأصبح الفرعون (ابن رع) «النحلة المقدسة» أو «النحلة الملك». ونحن لا نزال حتى عصرنا هذا ندعو «ملكة النحل» بهذا الاسم، ولعلها الحشرة الوحيدة التي يطلق عليها لقب الملكية هذا - بل لعلها الحيوان الوحيد، فيما عدا الاسد «ملك الغابة» مجازاً ؛ إذ ليس هو قائد الغابة وزعيمها، بعكس «ملكة» النحل التي هي قائدة وزعيمة مسيطرة فعلياً على مجموع نحل الخلية !

العجيب أن نجد في السبئية - وهي لا شك لغة عروبية صريحة - كلمة «نحل» بمعنى صاحب الوظيفة العليا، متصرف، وكيل أو مندوب الحاكم Commissioner (أنظر : Jamme ; Sabean) Inscriptions, p. 442 وفي الكنعانية : «ن ح ل» = إرث، وريث الملك (= ولي العهد/ نائب الملك) (أنظر : Gordon ; Ugaritic Handbook, p. 250) ومنها : «ن ح ل» (= نحلة) = ملك/ سلطنة (فريجة ؛ ملاحم . . . صفحة 674).

وقد لا نعثر في معاجم العربية المتأخرة التأليف على الجذر «نحل» بمعنى حكم أو ملك وما إليها، ولكن يكفي ورود الجذر في السبئية والكنعانية بهذه الدلالة نستخلص صلة النحلة بالملك سواءً في مصر القديمة أو في الجزيرة جنوبها وشمالها. لكن في العربية هناك كلمة «نحلة» - بكسر النون - وتجمع على «نَحَل»، ومعناها : المِلَّة⁽⁶⁵⁾ التي هي الدِّين . (وليلاحظ القارئ صلة «مَلَّة» بالاملاء الذي هو الفرض ونحوه، وفيه معنى القوة، كما في كلمة «دين» و«ديانة» ؛ فجزرها العروبي «د ن» ويفيد القوة. وكلام العرب إذا اتفق لفظه فأكثره مشتق بعضه من بعض - كما ذكر ابن منظور (مادة «ملل»). وهنا لا تفوتنا صلة «النحلة» بمعودة مصر السفلى (الدلتا) بـ«النحلة» وهي رمز «نث» ومعناها الذي يسمّى «بيت النحلة» pr. bty وقد يجوز أن نسميه : بيت النحلة - أي بيت الديانة والملة والعبادة). كما لا يفوتنا مفهوم الملك في مصر القديمة والمزج بين الملكية والألوهية في شخص الفرعون الذي هو ابن الآلهة أساساً ووريثه أو «خليفته» (قارن : ن ح ل - الكنعانية = وريث). وفكرة «خلافة» الانسان للخالق في الأرض فكرة سرت في الأديان بمعنى من المعاني أيًا كان، وإن صارت في العصور الحديثة محل جدل ونقاش طويل بين رافض وقابل وبين مؤيد ومعارض.

هذا الاستطراد كله الغاية منه تبيان دلالة الجذر «نحل» في اللغات العروبية، السبئية

(65) ورد في مادة «ملل» في (لسان العرب) : المِلَّة : الشريعة والدين، وقيل : هي معظم الدين. قال أبو اسحاق : المِلَّة : السنة والطريقة، ومن هذا أخذ المِلَّة (بفتح الميم) أي الموضع الذي يجتنب فيه لأنه يؤثر في مكانها كما يؤثر في الطريق. قال : وكلام العرب إذا اتفق لفظه فأكثره مشتق بعضه من بعض. وفي نفس المادة (ملل) جاء : وأمل الشيء، وأملاه : قاله فكتب.

ولم يأت شيء في هذه المادة يتصل بالعسل أو النحل. لكن يثيرنا أن نجد في اليونانية الجذر ml يؤدي إلى : mell (عسل)، melissa (نحلة) ومشتقات أخرى كثيرة. ومن هنا جاءت الفرنسية miel (عسل). فهل ثمة علاقة بين اليونانية meli (عسل) والعربية «مِلَّة»، أو mell-ssa (نحلة) والعربية «نحلة» ؟ ولا ننس أن في مادة «ملل» : الاملاء، والمُمَلِّي - وهو ما يقابل بالضبط «الدكتاتور» (الحاكم الطاغية) - في الأنكليزية dictator = جَبَّار، طاغوت، (مُمل) . . . من dictate (يُمَلِّي) وهذه من اللاتينية dicere = يقول (قارن : أمل الشيء وأملاه : قاله فكتب). في الأنكليزية تسمى النحلة bee وهذه من لغات قديمة شمال أوروبية جذرها كلها (B) كما يذكر معجم أكسفورد The Con. Oxford Dict. ب.ت المصرية B.t (باعتبار التاء للتأنيث هنا). وفي الفرنسية تسمى النحلة abeille كما تسمى أيضاً apides وهما من اللاتينية apis كما أن منها الأنكليزية apiary (منحل) و apiculture (نحالة) و apiarist (نحال) . . . إلخ. فلنلاحظ أن اللاتينية apis أصلها في الواقع (pi) - باعتبار a بادئة و s في آخرها لاحقة. قارن (pi) هذه بالمصرية P.t (التاء للتأنيث، والباء المهموسة تعادل الباء الموحدة) نجد أن الأمر قريب بعضه من بعض. والحديث يطول لو نهجنا هنا منهج المقارنة مع اللغات الأخرى، ولها مجال آخر رحيب.

والكنعانية والعربية، من حيث السلطة الدنيوية والدينية معاً. وقد اتضحت، فيما نحسب. لكن هذا الجذر «نحل» لم يرد في المصرية، بل ورد الجذر «بت» واشتقاقاته، بدءاً من النحلة (الحشرة المعروفة) وناجها (العسل) وانتهاء بالملك والعبادة. ويبدو لنا أن المسألة لا تعدو استعمال لفظ يؤدي معنى لفظ آخر (من باب الترادف)؛ إذ استعمل المصريون كلمة «بت» وأدت إلى ما رأينا، بينما استعمل غيرهم الجذر «نحل» وأدى إلى النتائج نفسها، فهذا سواء في الدلالة وإن اختلفا لفظاً.

فلننظر في الجذر الثنائي «بت» المصري ولنر أمره في اللغات العروبية الأخرى. في الكنعانية نثر على كلمة «ن ب ت» بمعنى «عسل» (أنظر معجم «غوردون» Ug. Hand-book وفريجة؛ ملاحم وأساطير من أوغاريت). فهي إما أن تكون ثلاثية الجذر والنون أصلية فيها سقطت في المصرية فصارت «بت» (نحلة/عسل)، وإما أن الكلمة الكنعانية كانت «بت» (نحلة/كالمصرية تماماً) والنون للاضافة كما في كثير من اللغات العروبية (ومنها المصرية) تقابل الانكليزية (of). فتكون الكنعانية «ن ب ت» مقابلة للأنكليزية (of the bee) (أي: ذو النحل/نتاج النحل = العسل).

حين ننظر في العربية نجد الجذر الثنائي «بت» موجوداً في كلمة ذات صلة بالعسل لا تحفى، وذلك بإضافة حرف العين ليصير الجذر ثلاثياً. قال في (اللسان):

«البتع، والبتع: نبيذ يتخذ من عسل. وقال أبو حنيفة: البتع؛ الخمر المتخذة من العسل». و«البتع هو نبيذ العسل، وهو خمر أهل اليمن».

وهذا النص يدل دلالة قاطعة على الصلة الوثقى بين الخمر والعسل في «البتع» (= بت + ع) الذي هو «نبيذ العسل». وإذا كانت التسمية انصرفت إلى الخمر أو النبيذ فلا شك أن «العسل» هو الأصل، ولعله كان ذاته يسمّى «البتع» ثم انصرفت التسمية إلى خمر أهل اليمن المتخذة منه، كما أوقع عرب مصر القدماء اسم العسل على «النحلة» («بت») وفعل كذلك العرب الكنعانيون.

خلاصة القول أن الجذر الأصلي «بت» موجود في المصرية والكنعانية والعربية بمختلف تصريفات كل لغة وبحسب تطورها المحلي والمرحلي، وهو يدل - حين الاشتقاق والتصريف - على معانٍ متقاربة ذات صلة بعضها ببعض متشابهة متصلة. والقارىء يعرف أن الاشتقاق والتصريف وإضافة الحروف أو حذفها، لا يؤثر في الجذر الأصلي وإنما «ينوعه» ويشكل صيغته بحسب الحاجة. ولنضرب لهذا مثلاً الجذر الثنائي الأصلي «بت» نفسه، فإن منه: بتت (= بت)، بتر، بتع، بتك. وكلها تؤدي معني القطع أصلاً، ولكن هذا لا يمنع من تطور دلالة المشتق منها حتى لتكاد تبعد عن الأصل. كذلك فعل الجذر «بت» في المصرية، إذ أدى في النهاية إلى «النحل» و«العسل» وهو في الأصل للدلالة على الملك والسلطة والربوبية والديانة... إلخ. وكل منها متصل بالآخر، كما حدث للجذر «نحل» في العروبيات الأخرى.

وحين اتخذ المصريون في كتابتهم الهيروغليفية صورة النحلة رمزاً صوتياً لكلمة «بت» كانوا يدخلون الصلة اللفظية والصوتية بين نطق اسم النحلة في المصرية «بت» وبقية المدلولات

الأخرى لهذا المقطع الصوتي . ولذا استخدموه للدلالة على العسل والملك والعبادة في وقت واحد، على أساس الجنس الذي أغرم به المصريون القدماء .

وقد قلنا إن الجذر الثنائي «بت» يفيد أصلاً «القطع» . ولا يغيب عن بالنا أن «القطع» ومنه «القاطع» لقب استخدم قديماً للإشارة إلى الملك والجبروت والقوة . ونضرب لهذا مثلاً اللقب الشهير في الكنعانية «كرت» krt لبطل الملحمة الكنعانية المعروفة باسمه ، وهو اسم مكون من ثلاثة حروف ساكنة تعني «قَطَعَ» ولعله ، بالتحريك ، «كارت» (= قاطع) أو «كرات» (= قَطَاع) . ولهذا الجذر مثيله في اللغات العروبية الأخرى (المصرية : ك ر د ن krdn . الأكادية : كردو Kurdu . العربية : كرتم = قطع / فأس . قَرَدَ = قطع . قارن : قرض ، قرص ، قرم ، قرش . . . إلخ . وفي العربية : الكردم = الشجاع . الأكادية : كردم kurdum . العربية : الكردين = الفأس العظيمة = القاطع . المصرية : ق ر د ن krdn = فأس) .

لكن «كرت» تعني أيضاً : حَكَمَ ، يحكم ، حُكِمَ . ومن هنا جاءت الكلمة اليونانية الشهيرة (Kratia) في المصطلح المعروف (Demokratia) (ديمقراطية) ونحوه⁽⁶⁶⁾ .

فإذا كانت «كرت» تعني ، كما هو واضح ؛ «حكم» و«قطع»⁽⁶⁷⁾ في الوقت ذاته ، فإن القياس يدعونا إلى القول بأن «بت» تعني «قطع» و«حكم» أيضاً . ومن هنا جاءت المصرية «ب ت» bt بمعنى «حاكم» . وقد استغلت المصرية ظاهرة الجنس ، الذي يبدو في الأصل أنه مجرد تفرع واشتقاق بَعْدَ حتى خفي ، للربط بين النحلة والعسل والعبادة والملك في هذه الـ«بت» العجيبة .

أخيراً . . . نضيف هنا أن «النحلة» كانت شعاراً لأباطرة الرومان ، كما اتخذها نابليون بونابرت شعاراً له هو أيضاً (F. Reichmann ; The Sources of Western Literacy, p. 136) ومن المرجح أن يكون فعل هذا بعد غزوه مصر ، ولعله نقله عن نقوش مصر الفرعونية .

وفي اللقب التركي «بادشاه» المأخوذ عن الفارسية Pati Shah (ومعناها : ملك الملوك) يمكننا اكتشاف الجذر «ب ت» (الذي نجده في النقوش المصرية المتأخرة بالباء الثلاثية النقط Pt) يمكننا اكتشافه في كلمة Pati الفارسية (ملك) وهي المقطع الأول من «بادشاه» . أما المقطع الثاني Shah (ملك - أيضاً) فإن لها صلة بالمصرية «ش ء» ša (ملك ، رئيس ، زعيم) وهي ، في تقديرنا ، ذات صلة بالجذر العربي «شاء» ، ومنه : «شيئة» = إرادة ، قدرة / مشيئة . ومن يدري ؛ لعل لكلمة «شيخ» (بمعنى «رئيس» أو «زعيم») صلة بالأمر ؟

(66) أنظر مقالة الكاتب «عن الديمقراطية لفظاً» في كتابه (بحثاً عن فرعون العربي) .

(67) نقول في تعبيرنا : ما حدث هذا البتة - أي : قطعاً أو قطعياً . والقطع هو الجزم (من : جز/جزم ، جزر . . . إلخ = قطع) . وهو كذلك من صفة الحكام الجبارة في القديم والحديث ، قطع الرؤوس والألسنة والقول القاطع الذي لا يرد ، حين «يبتون» في أمر لا يعجبهم من الأمور .

پ ت = pe-t

پ ء ي ت = pait

سما، علياء. تكتب في الهيروغليفية كاملة $\overline{\text{pt}}$ أو يكتفي
برمز السماء $\overline{\text{p}}$. وقد يبدو هذا اللفظ غريباً عن العروبية لكن
شيئاً من النظر يزيل هذه الغرابة.

في المصرية كلمة «پء» Pa ومعناها: «يطير، طائر». ويعتقد «امبير» (Ember ; Semi-to-Egypto studies) أنها تقابل العربية «فر» بتعاقب الباء المهموسة والفاء والهمزة والراء. وقد يُقبل هذا لكثرة حدوثه في أمثلة عديدة. وقد تقلب الباء المهموسة باءً مفردة فتكون «بء» ba في المصرية، وتؤدي معاني الرفة والسمو كما تفيد الروح ومشتقاتها التي يرمز لها بطائر (قارن معجم «بدج»/صفحات 200 - 197 و 229 وما بعدها).

في الأكادية نقرأ: «بأو» bāu و«بأو» ba'u بمعنى: «طار، حلق، قصد مسرعاً إلى كذا». ويقارنها «أرنولت» (Arnolt ; A Concise Dictionary, p. 136) بالسريانية: «بعا» والعربية: «بغا».

ومهما يكن الأهر فإن «بأو» الأكادية تقابل تماماً المصرية «بء»: «طار، حلق، علا، ارتفع في الجو. ببساطة: سما، يسمو، سموًا، وسماءً. و«بء» هنا فعل، وهي كذلك صيغة مذكر مفرد، فإذا أنثت صارت «پء ت» pat. وتسقط الهمزة فتصبح «پت» pt = سما، أو «بأوة».

في العربية، لزيادة الايضاح، يدل الجذران «بأو» و«بأي» على الارتفاع:

«بأي بنفسه: رفعها. والبأو: الكبر والفخر (الارتفاع والسمو)». (قارن مقلوبها «أبى» ← الابهاء: الأنفة).

والفعل المضارع من «بأي» هو «يبأي» - وقد تسقط الهمزة فيه (قارن سقوط الهمزة في المصرية: «پء ت» «پت»). وقد أنشد ابن الأعرابي:

«أقول والعيس تبأ بوهد

أراد: تبأى، أي تجهد في عدوها... وقيل: تتسامى وتتعالى، فألقى حركة الهمزة على الساكن الذي قبلها». (لسان العرب، مادة: بأى).

وهكذا تتبين عروبية «پت» المصرية ليس في جذرها ومعانيها فحسب، بل تتطابق أيضاً حتى في أسقاط الهمزة. فهل ثمة ريب؟
فلنمض لنقدم مثلاً. لتطمئن القلوب.

تعريف السماء (ولاحظ أنها من «السّمُو» أي الارتفاع) في المصرية أيضاً باسم آخر هو «ح رت» hrt وجذرها «ح ر» hr ومشتقاته كثيرة جداً يعني أغلبها : فوق، أعلى، علا، على، ارتفع، سما. . وما إليها من الدلالات المجردة. ومن الثابت أنها متصلة باسم الآلهة/الصقر⁽⁶⁸⁾ «ح ر» (حورس) وهو طائر «الحر» في العربية، وعلاقته بالسماء واضحة كعلاقة «بأو» بالطيران والتحليق وهي التي صارت «بت» (سما). كذلك صارت «ح ر» بإضافة تاء التانيث «ح رت» لتعني السماء أو العلياء، ومنها اشتق ما يتصل بالارتفاع من مفردات (قارن العربية : حر الوجه = مرتفعه. قارن كذلك : «الحر» من «العبد» - أي ذو الدرجة الأعلى. لاحظ أن «عَبَدَ» تعني أصلاً : جلس، قعد، أقام، عمل = «برك» من جهة كما تعني «أَبَدَ» من جهة أخرى، وفيها معاني الالتصاق بالأرض، تضاد «حر» المتصلة بالارتفاع والسمو).

هذا بالضبط ما حدث في العربية ؛ فمن اسم طائر «الحر» اشتقت «الحرية» - أي الانطلاق والاعتناق من كل قيد مثل الصقر يحلق في السواوات العلى دون قيد ولا أصفاد. وهي لفظة مجردة معنوية كانت في الأساس حسية مادية، ومنها جاء «التحرر» ثم «التحرير» إلى آخر ما يتصل بالحرية السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فنقول : فكر «حر» وفكر «متحرر»، ونصف من لا يرضى العبودية والذل بأنه رجل «حر» ونجمعه على «أحرار» - كما نجمع «حرية» (نسبة إلى «حر») على «حريات» . . إلى آخر ما تعرف.

أرانا نبعد عن موضوعنا. فلنكتف بالقول الموجز : تسمى السماء في المصرية «بت»، كما تسمى «ح رت» . . وهما تسميتان عروبيتان لحماً ودماً.

غير أن كلمة «ح رت» تذكرنا بأحد آلهة مصر القديمة عرف عند اليونان باسم «أونوريس» Onuris وأحياناً «أنهور» Anhur . وهو معبود مدينة «ثيس» This في صعيد مصر ينتسب إلى أرباب السماء، يطابق أحياناً المعبود الآخر «ش و» (= جَوّ). (أنظر : Lurker ; The Gods and Symbols of Ancient Egypt, p. 91) واسمه الأصلي في المصرية «إن - ح رت» in.hrt (أنظر : Gardiner ; Eg. Grammar, p. 485 . وهو اسم مركب من كلمتين :

1 - «إن» in وهي ذات صلة بالمعبودة السماوية الأخرى «ن و ت» nwt (عربيتها : نوة = نُوَّة)، وتطابقها واضح مع المعبود البابلي «أنو» annu رب النجوم («النوء في العربية تعني أصلاً : النجم). ومن الممكن أن تكون «إن» في المصرية هي العربية «عن» (بتعاقب الهمزة والعين). جاء في (اللسان) في مادة «عنن» (ثنائيتها : عن) :

«العنان : السحاب. وتجمع على : أعنان وأعناء. . . والعانة والعنانة : السحابة وجمعها عنان. و أعنان السماء : نواحيها». وقد تغلب العين الهمزة، أو العكس، وأنشد :

(68) في الأكادية يفيد الجذر «زق ر» zqr : الارتفاع والسمو والعلو. (Sayce ; Elementary Grammar) . وفي العربية يقال : «زقرو»، و«سقرو»، و«صقرو» = طائر «الحر» المرتفع.

فلا تلهك الدنيا عن الدين واعتمل * لآخرة لا بد عن ستصيرها

يريد «أن». وقال ذو الرمة :

أعن ترسمت من خرقاء منزلة * ماء الصبابة من عينيك مسجوم

أراد «أن». وقال جرّان العود :

فما أبنّ حتى قلن ياليت عنتنا * ترابٌ وعنّ الأرض بالناس تخسف

أراد «أننا» و«أن».

فإذا كانت المهمة تبدل عيناً فيما يعرف بعننة تميم، فإن من الجائز العكس، أي أن تبدل العين همزة، وهو كثير الحدوث جداً. وهذا ما حدث في المصرية واسم المعبود «إن. ح رت» = «ع ن. ح رت».

2 - «ح رت» المقطع الثاني من اسم المعبود السماوي. وقد بيّناه فيما سبق = الساء.

فهل نبعد عن الصواب إن قلنا إن «ع ن. ح رت» تطابق العربية «عنان الساء»، وهو تعبير مألوف متداول في لغتنا؟ فلنجعله «عنان الحرية» - فهذا أضيف وأدق. وهو ما يريك كيف يمكن إرجاع الاسم المحرف في اليونانية anhur، أو onuris إلى أصله العربي في عودته الحميدة.

پ ت ح

معبود مدينة «مفيس». كان يمثل في شكل بشري، ملفوفاً كالمومياء، برأس حليق وغطاء رأس محكم. ولعله كان في البداية رباً للصناعة ومن هنا نسب إليه اختراع الفنون والمهارات، ولكنه ما لبث في عصر بناء الأهرام أن صار في منزلة الرب الخالق. وكان يخلق عن طريق قلبه ولسانه مشكلاً الوجود بقوة كلمته. ثم تجلت هذه القوة الخلاقة في كل نبضة قلب، وكل نائمة صوت. كان «پ ت ح» يعتبر «القديم» الذي جمع في شخصه ما بين جانبي الذكورة والأنوثة. وقد عرفه الناس باعتباره «مكوّن الأرض» مثل المعبود «خ ن م» خلق الكائنات كلها على عجلة فخاري. واندمج في طبيعة «أوزيريس» عن طريق صلته بمعبودة «مفيس» ربة الأرض والمقابر «س ق ر». وفي العصور التالية صار أفتوماً من أفتايم «پ ت ح. س ق ر. أزر (أوزيريس)» يمثل، كأوزيريس، بريشات طويلة تعلقها مته.

في كتابه المعنون (The God Ptah) ناقش الأستاذ «م. س. هلمبرغ» M.S. Holmberg في الصفحات 7 - 11 أصل اسم هذا المعبود باستفاضة، وأورد آراء كثيرة مختلفة لعلماء آخرين، منهم من ذهب إلى أنه (سامي) ومنهم من قال بمصريته منفصلاً عن اللغات العروبية الأخرى، واختلفوا اختلافاً يكبر أو يصغر في معنى الاسم ودلالته.

قال البعض إن معنى «پ ت ح»: النحات، صانع التماثيل (Sculptor) إشارة إلى وظيفته كمعبود خالق إلى جانب الرب «خ ن م». وقال آخرون: إن معناه «الفتاح» The Opener إيماءً إلى دوره في طقس ديني يدعى «فتح الفم» Opening of the Mouth. وقيل معناه: «الناقش» أو «النقاش» Engraver وكذلك: «الثاقب» Borer.

ويذكر الأستاذ «هلمبرغ» أن اسم هذا المعبود الشهير في اللغات البابلية - الآشورية بصيغة hi - ku - [p] t a h (من المصرية: ح ت . ك . ء . پ ت ح h t . k' . pth (من المصرية: ح ت . ك . ء . پ ت ح ht.k' . pth = مدينة ممفيس = اليونانية Aegypt). كما وجد في اسم العلم ptah. ms = t a h - mašši (ابن پ ت ح . قارن ah - ms و h - ms = أحمس، رعمس / رعمسيس، رمسيس). ويضيف أنه ورد في الآشورية كذلك: iptih-ar-te-šu (أفتح أعطاها). وفي العبرية قد يكون اسم هذا المعبود متضمناً في اسم المكان «معجن - مى - نا يفتوح» ma'jan mē naeftōah (وهذا ما يقابل العربية: ما جل ماء «پ ت ح»⁽⁶⁹⁾).

وقد تحول اسم «پ ت ح» في اليونانية إلى «هيفايستوس» Hephaistos، وهو رب الحديد والصناعة عندهم، كما هو عند المصريين. وصار عند الرومان «فتاس» Phtas، كما ذكر «شيشرون». أما في القبطية - بنت المصرية القديمة - فهو يكتب «بتاح» ح Phtah مما يشير إلى أن النطق المصري القديم هو كما في القبطية «فتاح» Phtah أو Phtah.

ولقد قلب الأستاذ «هلمبرغ» الأمر على وجوهه متتبعاً تطور الاسم في مختلف العصور وما ألقى بهذا المعبود من صفات الألوهية بحسب الزمان والمكان، وأكد - بطريقة ما - أن الاسم (سامي) حسب تعبيره، ثم عاد لينقض تأكيده؛ لدهشته أن ينتسب هذا الاسم البالغ القدم والذي يرجع إلى عصر ما قبل الأسرات إلى (الساميين). ثم ختم بحثه قائلاً:

«من المؤكد أن اسماً بدون مدلول لم يطلق قط على معبود، ولكن من الجائز أن اسم (پ ت ح) لا صلة له بأي من الكلمات المقترحة من العلماء السابقين (!) وإن المشكلة المتعلقة باسم (پ ت ح) قد يعثر على حل لها مستقبلاً في نصوص لم تكتشف بعد (كذا !!)». (صفحة 11 من المصدر المذكور).

لم هذا العناء كله؟ ولم هذا الامعان في «التعلم» الذي هو في الواقع «تجاهل» مفضوح؟

(69) في اللهجة الليبية الدارجة: «ماجلن» = ماجل / مجتمع الماء أو صهريجه. وقد ترجم «هلمبرغ» الجملة العبرية إلى الانكليزية (The Well of Merenptah). والعبرية ma'jan لا تعني «بئر» Well بل تعني خزان الماء أو الصهريج (ماجل / ماجن).

لقد غفل الأستاذ الباحث، أو تغافل، عن جذر عربي واضح يمكن إرجاع اسم هذا المعبود إليه بكل بساطة ولا يحتاج إلى بحث كثير. وهو يقدم جميع الصفات التي كانت للمعبود في صيغ مترابطة جلية، ويقابل كل ما اقترحه العلماء من معانٍ لاسمه الكريم. هذا الجذر العربي هو: «فَتَحَّ». وإليك المقابلة بما سبقت «ترجمته» لاسمه في الانكليزية:

(open) : فتح . (Opener) : فاتح - فُتَّاح .
 (bore) : ثقب، نقب/فتح (borer) : فاتح - فُتَّاح .
 (Sculptor) : نَحَّات، ناحت، صانع التماثيل/نحت، فحت < > فتح ← فاتح - فُتَّاح .
 (Engrave) : نقش، حفر/فحت < > فتح/فاتح - فُتَّاح .
 (قارن) : الفتحه : الخاتم أو الخللخال = المنقوش/مفتوح/فتخ = فتح/فاتح - فُتَّاح .

فأنت ترى أن هذه الكلمات الانكليزية التي ترجم بها اسم المعبود «پ ت ح» كلها تعود إلى الجذر العربي «فتح». وقد ذكر الأستاذ «هلمبرغ» أنه: «لو أمكن فهم كلمة (پ ت ح) على أساس أنها تحمل مدلول (البداية)/(يبدأ) (begin) فقد يكون لها صلة بقوى (پ ت ح) الخلافة، ولكن لا يوجد شيء يؤدي إلى هذا المعنى في الكلمة (كذا!)» (صفحة 70 من المصدر نفسه).

ويبدو هذا الحكم غريباً جداً من الباحث، ولو انتبه إلى العربية لوجد مادة «فتح» ذاتها تقدم معنى البداية والبدء (beginning) فهناك: مفتتح الأمر، أي بدايته. والافتتاح، والافتتاحية، والتفتيح... ومعناها: البداية⁽⁷⁰⁾.

فلو قلنا - بعد هذا - إن الجذر «فتح» في العربية هو المقابل الصحيح لاسم المعبود في المصرية «پ ت ح» - بتعاقب الفاء والباء المهموسة - لكننا على صواب، فهو إذن «فتاح» أو بالتعريف: «الفتاح».

هذا من جهة، ومن جهة أخرى نحن نعرف أن أهم صفات المعبود (فتاح) كانت صفة الخلق إذ «كان يخلق عن طريق قلبه ولسانه مشكلاً الوجود بقوة كلمته» - أي كأنه يطلق فعل الأمر «كن» فيكون. ثم هو «مكوّن الأرض»، خلق الكائنات كلها «على عجلة فخاري» - حسب التصور الديني المصري القديم.

إن صورة «الخالق» أو «المشكّل» أو «المكوّن» هذه تقابل اسم «الباريء» (الذي يعني في الأساس: الباني. إذ أن الجذرين «ب ر» و«ب ن» موجودان بالمعنى ذاته في جميع اللغات العروبية بدون استثناء وبمعنى واحد يفيد الخلق والولادة وما إليهما). كما تقابل اسم «المصور» وهو أيضاً من أسماء الله الحسنى - مثل «الباريء» - وهذا ما يأخذنا إلى اسم آخر من أسماء الله الحسنى، أعني بالذات: «الفتّاح».

(70) في اللهجة الليبية يقال: «الفتوحة» أي: أول بيضة تضعها الدجاجة = البداية، بداية الخلق والولادة، مما هو قريب الصلة بموضوعنا. وفي لهجة الشام أيضاً يقال: فتحت الدجاجة - أي بدأت وضع البيض.

إن التفاسير المختلفة لاسم «الفتاح» عند علماء المسلمين تتراوح ما بين الذي (يفتح أبواب الرزق) و(المؤيد بالفتح / أي : النص) و(فاتح أبواب السماء) أو (أبواب الجنة) . . الخ . وهذه التفاسير قد تبدو صحيحة من الوجهة الدينية ومدلولات الألفاظ بحسب السياق ولا يمتنع قبولها . لكننا نلاحظ في أسماء الله الحسنى أنها ترد أحياناً بصيغة «الفاعل» (الرازق، الغافر) وأحياناً بصيغة «الفعَّال» (الرزَّاق، الغفَّار) . ولا شك أن لهذا دلالة في تخصيص الذات الإلهية بصفة من الصفات حين ترد بصيغة خاصة . فمثلاً يمكن إطلاق لفظ «خالق» على الانسان ؛ فنقول مثلاً : «فلان فنان خالق» ولكن لا يجوز إطلاق صفة «خالق» إلا على الله سبحانه وتعالى (راجع مادة «خلق» في «لسان العرب») . كذلك كلمة «فَتَّاح» يبدو لي أنها - بصيغتها هذه - خاصة بالذات الإلهية ، ومن هنا عدم استعمالها مع البشر .

من جهة ثالثة يمكن القول أيضاً إن لفظه «فَتَّاح» لا تعني الفتح بالمعاني الظاهرة فحسب ، بل تشير إلى أن الله هو «مفتتح» الأمور كلها ، أي مبتدئها (المبدئ والمعيد) وفي «الافتتاح» معنى إيجاد الشيء بعد أن لم يكن ، البداية ، الخلق من عدم ، فيكون معنى «الفتاح» : الخالق ، الموجد ، المبدئ ، المصور ، البارئ . . إلى آخر الصفات الإلهية المتعلقة بعملية الخلق .

ملاحظة أخرى

إن مادة «فتح» تفيد أصلاً : الشق والقطع ، ثم صارت تعني الخلق بالنسبة لله سبحانه . وهذا شبيهه بمادة «فطر» التي تعني أساساً : القطع ، ثم صارت تعني الخلق ، ومنها كلمة «فاطر» (الخالق) . وقد ورد في القرآن الكريم :

﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ ﴾ . مريم / 90 .

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وَإِذَا النُّجُومُ انْتَشَرَتْ ﴾ الانفطار / 10 .

﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ ﴾ الشورى / 5 .

و«فطر» هنا بمعنى انشق وتصدع حسيماً . ولكنها تأتي بمعنى الخلق الإلهي :

﴿ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ الاسراء / 51 .

﴿ فَطَرَهُ اللَّهُ الَّذِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ الروم / 30 .

﴿ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ هود / 51 .

﴿ قَالَتْ رَسُولُهُمْ أَلَيْسَ اللَّهُ شَكُّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ إبراهيم / 10 .

إلى آخر الآيات التي يشير فيها الجذر «فطر» إلى معنى الخلق . وهذا هو الحال بالنسبة للجذر «فتح» الذي تطور من مدلول الشق إلى معنى الخلق ، وهو الأمر بالنسبة للمصرية «پ ت ح» وعلى هذا الأساس ترجم «فولكنر» (a Con. Dict. of M. Eg. p. 96) كلمة «پ ت ح» pth إلى الأنكليزية (create) أي «خلق» . . وهو صواب .

إذا ربطنا ما سبق كله بالصيغة القبطية «بتَّاح» ptah - بفتح التاء ومدّها كما هو ثابت - واستوحينا من هذا أنه النطق المصري القديم، كما أشار «هولبرغ» نفسه، أدركنا الصلة اللفظية والمعنوية الواضحة بين «بتَّاح/فتَّاح» و«فتَّاح» سواء من حيث التركيب اللغوي أو الدلالة. ولم يبق سوى «الخاتمة» بعد «الافتتاحية» وذلك بالقول الذي نبدي ونعيد :

إن «ب ت ح» في المصرية مبنئ ومعنى يقابل العربية : فتَّاح.

ب س ت Bastt

م أ ي و Maáu

كان الهر مقدساً باعتباره حيوان «ب س ت» معبودة مدينة «بوباتيس» Bubastis (تل البسطة - الآن) الذي تنتسخ فيه روحها المقدسة. وكانت عبادته بالغة القدم وظهرت ظهوراً كبيراً في الأساطير المصرية. وكان «رع» نفسه يدعى «م أ و» maw أو «م إ و» miw - وهذا هو اسم الهر المقدس في المصرية. (Budge ; The Gods... ii, p. 363).

اسم مدينة «بوباتيس» Bubastis تحريف يوناني للمصرية «ب. ب س ت» P' Bst => البسة) وهي في العربية «تل البسطة» اليوم (= تل + «ب س ت»). وليلاحظ القارئ حلول «ال» التعريف في (البسطة) محل «ب» التي هي أداة التعريف في المصرية.

ثم إن لدينا اسمين اثنين لهذا المعبود يرتبط أحدهما بالآخر : «ب س ت» و«م أ و».

أما الأول فهو مؤنث «ب س» الذي يأتي الحديث عنه في العربية في مادة «بسس» : «البس : الهر أو السنور، والمؤنث «بسة» وهي الهرة الأهلية (تميزاً لها عن هرة البر الوحشية). والعامية تكسر الباء وهي بالفتح».

والأمر كله يعود إلى «بس بس» وهو الصوت الذي يحدثه الانسان ليدعو الجمل أو الحمار ليشرب، أو الناقة لتدر اللبن ونحو ذلك (مادة : بسس). وهو الشيء نفسه الذي نفعله حين ندعو القطعة : «بسبس». وقد تقلب السين شيئاً : «بششش» (لذا تدعى الهرة : بسة، بشيشة، في بعض اللهجات العربية، كاللهجة الليبية)⁽⁷¹⁾.

وأما الثاني فليس إلا حكاية صوت الهر وهو «يموء». ورد في (اللسان) :

(71) قارن الأنكليزية pussy (قطعة)، وقومهم (pussy cat) تعني حرفياً : «البسة القطعة» وهو تكرار للاسم كما ترى.

«ماء السَّنور، يموء، موءاً. مءت الهرة إذا صاحت. ويقال : هرة مَووءٌ، وصوتها : المواء .
ويقال : أموا السَّنور إذا صاح . . . وتُسَمَّى الهرة : المائيَّة» .

ب ب ن ب ن ب n b n b n

كان حجراً مقدساً يعبد في مدينة «عين الشمس» باعتباره أول تجلٍّ للمعبود «أمون». وكان المعتقد أن أشعة الشمس سقطت أول مرة على هذا الحجر، وهو الشكل البدائي للمسلات جميعها، والمسلة عبارة عن حجارة أعلاها مخروطي الشكل مستدقُّه. وقد نظر إلى هذه الرموز الحجرية باعتبارها موثِّل رب الشمس، وحين تقدم القرابين من الخبز والبخور كانت تصاغ على هيئة مسلة.

يعرف هذا الحجر المقدس في المصرية بأنه «ب ن ب ن» Bnbn كما يعرف بـ «ب ن» (Budge) The Dwellers On The Nile, p. 145 . ومن الواضح أن «ب ن ب ن» مضاعفة لـ «ب ن» (أنظر مناقشة «غاردنر» لظاهرة المضاعفة في المصرية (Eg. Grammar, PP. 360, 425) . وقد لاحظ «غاردنر» (صفحة 2 من نفس المصدر) هذه الظاهرة في معرض مقارنته بين الصرف المصري والعروبي فقال :

«وتخلق الاختلافات الأهم في المعنى عن الطريق المضاعفة كلياً أو جزئياً. فكلمة «س ن» sn (أخ/صنو) مثلاً تضاعف إلى «س ن س ن» snsn (يؤاخى). وكلمة «رش» rš (يُسَرُّ، يبتهج، يفرح)⁽⁷²⁾ - تضاعف إلى «رش رش» rš rš أي : بالغ السرور والفرح». وهذه صيغة مبالغة تماثل ما في العربية : جر ← جرجر. مص ← مصمص. قر ← قرقر. زم ← زمزم . . . إلى آخر الأمثلة التي لا تكاد تحصى .

الأصل في «ب ن . ب ن» إذن هو «ب ن» ثم ضوعف للتشريف أو للدلالة على وضع خاص لهذا الـ «ب ن» المقدس . (قارن هنا «زمزم»/بثر زمزم . والأصل «زم»)⁽⁷³⁾ .

وقد عرفنا أن «ب ن» في المصرية تعني : «حجر» - ومن ذلك «ب ن و ت» (حجر الطاحون). ولاشك أن الجذر العروبي «بن» يقوم بمهمة المكافأة هنا ؛ ففي الأكادية مثلاً : «أبنو» abnu = حجر (Weir ; p. 3) . وفي الكنعانية : «إبن» eben حجر، صخر (فرجة ؛ ملاحم . . . صفحة 594) . أما في العربية فنجد :

(72) في الأكادية «راشو» rašu = فرح . وفي ظننا أنها تكافئ العربية «رشا» = صغير الغزال . كما يقال اليوم : «فرهد، مفرهد، فرهدة» - والأصل : فرهد وفرهود = صغير الغزال . على سبيل المائلة .

(73) تقول الرواية المأثورة إن بثر زمزم سميت كذلك لأن هاجر كانت تضم (= تزم) الماء بيديها حين تفجر بالوادي غير ذي الزرع تحت قدمي إسماعيل وتقول : «زم . . زم» - أي «تجمّع تجمّع» ولا تنبدد .

بَنَى : البنيُّ نقيض الهدم . بنى البناءُ البناءَ بنياً وبناءً وبنى وبنياً وبنيةً وبنايةً . وابتناه وبناه . والبناء : المبنيُّ . والجمع : أبنية . وأبنيات جمع الجمع . (والبناء أصلًا من حجن) . بون : البوان ، بالكسر ، عمود من أعمدة الخباء . والجمع : أبوتة وِبُون ، بالضم ، وبُون (والمسلة «ب ن» عبارة عن عمود في الواقع) .

بني : البنية الكعبة - لشرفها ، إذ هي أشرف مبنيٍّ . يقال : لا ورب هذه البنية ما كان كذا وكذا . وفي حديث البراء بن معروف : رأيت ألا أجعل هذه البنية مني بظهر ، يريد الكعبة ، وكانت تدعى «بنية إبراهيم» عليه السلام ، لأنه بناها .

وقد يكون صواباً أن الكعبة كانت تسمى «بنية» لشرفها ولكونها أشرف مبني ، ولكن الصفة الدينية لا ريب هي التي جعلت الكعبة تخصص بهذا الاسم تكريماً وتعظيماً . وهذا هو واقع الحال بالنسبة للمسلة «ب ن ب ن» المصرية في عين الشمس (مدينة إله الشمس) - والتي هي في الأصل «ب ن» . ومن المثير حقاً أن تخصص «ب ن» فتضعف إلى «ب ن ب ن» كما خصصت الكعبة فكانت «البنية» (بنية إبراهيم) فلا هي «بنية» ولا «بناية» . بل «بنية» ، وهو تعريف خاص كما هو واضح .

من جهة أخرى عرفنا أن هذا الـ«بن بن» كان حجراً مقدساً في «مدينة الشمس» (عين شمس) والمعتقد قديماً أن أشعة الشمس شعت عليه أول مرة ، وأنه أحد الرموز الحجرية المعتبرة موثلاً لآله الشمس . ولذا نجد في معجم اللغة المصرية كلمات من مثل :

«ب ن ن» B n n : رب النور ، إله شمسي .

«ب ن ب ن» b n b n : تقدمت من نار . نور . (Budge ; An-Eg. Hier. Dict. P. 217)

والصلة واضحة بين الجذر «ب ن» والجذر العربي الثنائي «بن» ومنه : بين ، بيان = ظهر ، ظهور ، وضع ، وضوح . وهذه هي الشمس أو نورها . كما نجد في المصرية «ب ن و» B n w - رب النور والضياء . وللقارىء أن يراجع هذه المادة الأخيرة في ما يلي لمزيد من البيان .

في لهجة بعض عرب ليبيا (منطقة مصراته بالذات) يسمى الحجر الذي يقذف به «بنيمه» وتجمع على «بنيم» . وجلي أن هذا الجمع بالميم (مثلما هو الحال في عربية اليمن القديمة) هو جمع «بن» (= حجن) ، فلما أفرد ظلت ميم الجمع فكانت «بنيمه» - وهي كلمة تكاد تنقرض في اللهجة المعاصرة .

ب ن و Benu

هو الطائر المعروف في مصر باسم «أبو قردان» (مالك الحزين) . وكان يبدو بمنقاره الطويل المستقيم ورأسه المزين بريشتين مرتفعتين كما لو أنه يبرز من تحت الماء كالشمس . وقد حظى هذا

الطائر بعبادة تساوي عبادة «رع»، وكان يُعد «روح رع» كما كان تجلياً لأوزيريس كذلك. وفي الفترة المتأخرة في الكتابة الهيروغليفية استعملت صورة لهذا الطائر لتعني «رع». وعند اليونان قرن «ب ن و» بطائر «الفوينيكس» (Phoenix) الشهر.

تعني الكلمة المصرية «ب ن و» أو «ب ي ن و» (غاردر - ص 470) : طائر «الفوينيكس» كما يقرر «ما نسفيلد لوركر» (ص 95) و«غاردر» (المصدر السابق). ومصدر اسم هذا الطائر في المصرية هو: «وب ن» ومعناها: سطح، شع، ظهر (كالشمس)، أنار (قارن معجم «بدج» صفحة 159). وقد اشتق اسمه من «ظهور» رأسه وبروزه الساطع الماء مثل بزوغ الشمس، ثم صار رمزاً للشمس ذاتها أول «رع».

الكلمة العربية التي تؤدي معنى ما سبق هي «بان» (من الجذر: ب ي ن: بان الشيء بياناً : اتضح، فهو بين (قارن: ب ي ن و). وأبنته: أوضحت. وتبين: ظهر. وفي المثل: «قد بين الصبح لذي عينين» أي: تبين. التبيان: الكشف والايضاح. ويقال: بان الحق، بين، بياناً، فهو بائن وبين. إلخ.

وهذا المعبود يرتبط بالسطوع والظهور والضياء والنور، فليس عجباً أن تدل صورته على المعبود «رع» الذي هو الشمس (النور = البيان). ويربط أغلب الباحثين بين «ب ن و» أو «ب ي ن و» وبين طائر «الفوينيكس» عند اليونان الذي يترجم اسمه في العربية إلى «العنقاء» تارة وإلى «طائر الفينيق» تارة أخرى. والترجمة الأخيرة تعود إلى الربط بينه وبين «فينيقيا» و«الفينيقيين» (الكنعانيين، أو بني كنعان). ويقول «معجم أكسفورد» The Concise Oxford Dictionary في هذا الصدد:

«هو، في الأسطورة، طائر فريد من نوعه، يحرق نفسه بعد أن يحيا خمسة أو ستة قرون في صحراء العرب، ثم ينتفض من الرماد بشباب متجدد ليعيش دورة أخرى من الزمان. جاءت الكلمة من اليونانية (Phoenix) وتعني: فينيقي، أرجواني».

وفي ظننا أن (معجم أكسفورد) أخطأ في هذه النسبة؛ فإن الأرجح عندنا أن الأصل عروبي مصري من اسم الطائر المعبود «ب ن و» وقد تحولت الباء في اللسان اليوناني إلى Ph (ف) فكانت «ف ن - كس» Phoen-ix (Phn.x). والدليل على ما نقول أن ثمة كلمات كثيرة في اليونانية تبدأ بـ«ف ن» وتدور حول معنى الظهور والبروز والضياء (= ب ن):

Phainein : سطح، لمع، شع.

Phaino : ظهر، برز.

ومنها في الأنكليزية Phantasm (ظهور الشبح، الطيف). وكذلك Phantasy (ظهور) و

Phantom (خيال، طيف) وأيضاً Phenomenon (ظاهرة) و Phenology (علم الظواهر). وبمقابلة Ph بالحرف اليوناني φ (= ف) نجد في قاموس اليونانية :

φανάρι	فَنَارِي) مصباح، سراج، منارة السنن/ فنار
φανάριος	فَنَارِاس) صانع المصابيح / فناريّ .
φανερά	فَنِيرَا) بوضوح، بجلاء/ ببيان
φανερός	فَنِيرَوِي) واضح، جلي/ بين
φανερώ	فَنِيرَوِ) أوضح، أكشف/ أبين
φανός	فَانُوس) مصباح/ فانوس

وغيرها كثير مما يبدأ بـ φav- (فان = بَان) ويدل على الظهور والنور والبياض⁽⁷⁴⁾. وهي صارت في الانكليزية phan- و pheno- . . سابقة لألفاظ وكلمات كثيرة كما سبقت الإشارة .

أخيراً . . وعلى بعد الزمان والمكان نذكر الأكاديمية، للتأكد من مقارنة على الأقل، وفيها «بانو» bānū ومعناها : سطوع، إشعاع، جمال، بهاء (Weir ; p. 50). فنجد أن دلالات الضوء والنور والإشعاع والظهور وحتى الجمال والبهاء تتصل بالمصرية «وين» التي اشتق منها اسم المعبود «بنو» والعربية «بين/بان» وهو الطائر المقدس البهي البائن من تحت سطح مياه مستنقعات الدلتا عروياً مبيئاً ا

پ ن و penu

كان الفأر والقنفذ حيوانين صغيرين مقدسين وجدت تماثيلهما في المقابر المصرية. ويقول «هيرودوت» (الكتاب الثاني - فقرة 67) إن الربة «ودت» (أنظر هذه المادة في هذه الدراسة) كانت تعتبر حامية الفئران. وتقول أسطورة مصرية إنها اتخذت مرة صورة الفأر لتنجو من يد الآله «ست» الذي كان يطلب قتل «حورس».

يرى الأستاذ «إمبير» (Ember ; Egypto-emitic Studies, 8. a. 18) أن النون في «پ ن و» المصرية مبدلة من الراء في العربية «ف ر» التي منها «فأر» (والباء المهموسة تقابل الفاء). وبذا تكون «پ ر و» = «ف ر و» = فأر.

(74) يعبر في الدارجة المصرية عن الخبز الأبيض بأنه «عيش فينو» ولعلها من هذا الباب. وفي الدارجة الليبية يدعى خبز الدقيق الأبيض «مُحور» ولاشك أن صلتها بالجنذر «حور». بمعنى «أبيض» أقوى من صلتها بـ «حور» بمعنى «دور». لاحظ صلة الصقر (حور(س)) (الحرن) بمعنى السماء، والنور، والبياض، واستعمال كلمة «حر» بمعنى «أبيض» في بعض اللهجات العربية.

وقد حدث هذا الابدال في العربية ذاتها ؛ إذ يذكر ابن منظور في (اللسان) في مادة «برر» أن «البر» : الفأرة في بعض اللغات ، أو «دوية تشبهها» . فانظر كيف أن «البر» هو «الفأر» (الفن عن طريق تعاقب الباء والفاء وسقوط الهمزة . أما عن قول ابن منظور «أودوية تشبهها» فهو يذكرنا بقول المؤرخ «بلوتارك» (Plutarch ; Symp., iv, 5) إن الفأر، أو القنفذ، كان يعتبر عند المصريين رمزاً للظلام . فلا عجب أن يختلط الأمر على عرب مصر كما اختلط على عرب الجزيرة .

أما عن كون الفأر، أو القنفذ، رمزاً للظلام فقد سجل «بدج» (The Gods of The Eg., ii. p. 370) أن هذا الحيوان كان يلقبه المصريون القدماء «ح ر . خ ن ت . ن . م ء» h r . h n t . n . m a ومعنى اللقب : «حورس الأعمى» ، أو بدقة حرفية : «حورس ساكن الظلمة» .

فلنحلل هذا اللقب كما ورد :

(1) «ح ر» hr : حر . طير الحر (الصقر = حور/حورس) .

(2) «خ ن ت» hnt : سكن (خنة . حن = سكن) .

(3) «ن» n : أداة النفي = (لا/ما) .

(4) «م ء» : رؤية/رأى (أنظر مادة «م ء و» في هذه الدراسة) .

الجملة كلها : «ح ر . خ ن ت . ن . م ء» = «حرخانت (أرض) اللامأي» = «حورس ساكن (أرض) اللارؤية» (حورس ساكن الظلمة) . أي «ساكن العماء» أو «حورس الأعمى» (Blind Horus) .

ت أ ي ت Tait

ترجم كلمة «ت أ ي ت» Tayt بأنها تعني «ربة النسيج» .

(غاردنر، صفحة 494) وقريب منها كلمة «ت أ ت ي» Taty :

صاحب الستارة، كناية عن «الوزير» (غاردنر - صفحة 599) .

بالنسبة لربة النسيج والحياكة فإن «إمبير» و«كوهن» يرجعانهما إلى العربية «طوى» . وهذا صحيح ، فإن «ت أ ي ت» Tayt جاءت من الفعل في المصرية «ت أ ي» Tay التي ترجمها «بدج» إلى : يرتدي ثياباً ، يلبس ، يكتسي حلة (An Eg. Hier. Dict., p. 818) وهي العربية : طي ، طوى ، يطوي ، طياً . وفي نفس المصدر : «ت أ ي ت» Tay.t بمعنى : قطعة من القماش أو الكتان ، شراع (كتاني) ، رداء ، ثوب ، حلة ، لفافة مومياء . وكذلك : «ت أ ي» Tay : الملفوف ، المطوي (أحد ألقاب أوزيريس) . وهذا كله يكافيء العربية «طي» . ومن ذلك : المَطْوَى ؛ شيء يُطَوَى عليه الغزل (اللسان، مادة : طوى) . وفي اللهجة الليبية : المرأة «تطوى» العباءة ، أي تنسجها ثم تلفها وتطويها لتواصل النسيج . ولا شك أن ثمة علاقة بين عملية النسيج والطي في تواليه ، ومن ذلك «طي

الثوب» فهو مطوي طيات، والمفردة : طية. وقريب من معنى النسيج : طيُّ اللَّبَنِ (أو الحجارة والأجر في البناء، كبناء النسيج خيطاً بعد خيط. والطويُّ : البثر المطوية بالحجارة) (المنسوجة بها) وجمع «الطوي» : أطواء.

أما بالنسبة لورود كلمة «ت أي ت» Tayt بمعنى «ستارة» فهذا راجع إلى أن الستارة طبعاً من النسيج (كتاناً أو غيره) وهي في العادة تكون طيات متشبية أو لأنها طيات بعضها فوق بعضه. وهذا ما جعل النسبة إليها «ت أت ي» TaTy تعني «وزير» (حرفياً : الستاري / صاحب الستارة (He of The curtain). وتمكن مقابلته بـ«الطوي». وسبب هذه النسبة ترجع إلى أن الوزير يحجب الملك عن سواه (قارن في هذا المجال كلمة «حاجب» = وزير/ من : حجب، يحجب، حجباً. حجاب = ستار. لاحظ أيضاً أن كلمة «ستارة» أو «ستار» تعود إلى «سَترَ» أي حجب ومنع).

وقد استخدم العرب هذا اللقب بالذات فقالوا عن الوزير «صاحب الستار»، كما قالوا «صاحب الشرطة» عن رئيس العسس. ويذهب جرجي زيدان (تاريخ اللغة العربية، صفحة 80) إلى أن العرب أخذوا لقب «صاحب الستار» عن الفرس. وقد يكون هذا حدث في العصر العباسي كما أورد. بيد أن وجود هذا اللقب ذاته في المصرية يدل على أنه تعبير قديم للغاية، وقد يكون الفرس نقلوه عن عرب مصر ثم استعاده عرب الجزيرة بعد ذلك.

ومن الجائز أن نقابل المصرية «ت أت ي» TaTy «وزير» بالعربية : «طاوي» - بمعنى : «كاتم السر» = وزير.

إذ يقال : إَطَوْه هذا الحديث، أي : اكتمه. وطوى كشحه على أمر، إذا أخفاه. قال زهير :
وكان طوى كشحاً على مُسْتَكْنَةٍ * فلا هو أبداها ولم يتقدم

ومن ذلك : «الطوية» = الضمير، أي المستتر، المحجوب، المطوي.

عند «فولكنر» (Faulkner ; A Conc. Dict., p. 293) نجد ترجمته لكلمة «ت أي ت» TayT أكثر دقة ؛ فهي عنده (Shroud) أي : كفن، غطاء، رداء، ستر. ويضمها في العربية الجذر «طوى».

بعد هذا تكون ربة النسيج المصرية هو «الطاوية». . . ولا نزيد!

تحت

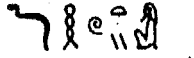
ضح وت ي Tchehu


كان مركزُ عبادة «تحت»* في الأعصر التاريخية التي عرفها اليونان باسم «هرموبوليس» Hermopolis وهي التي تعرف اليوم باسم

مدينة، «أشمون»⁽⁷⁵⁾ حيث اتحد مع معبودها المحلي «ح ض - ور»
 مثلاً في صورة القرد. ويوحى رمزه الآخر (الطائر المعروف باسم «أبو
 قردان» Ibis) بأن نشأته الأولى كانت في الدلتا حيث يتخذ الاقليم
 الخامس عشر منها هذا الطائر شعاراً له.

كان «تحت» يعتبر رباً للقمر، وفي العصور المتأخرة اكتسب
 لقب «إتن - ح ض» itn.h d (الأتون الأبيض أو الفضي). وتقول
 إحدى الأساطير إن «تحت» انبثق من رأس «ست»، ويمكن تفسير
 الخلفية الكونية لهذا التصور بأنه عبر قوة إله النور ينبثق القمر من
 «ست» ممثل قوة الظلام. وقد جعلت هذه العلاقة بالقمر «تحت»
 يسمى: «سيد الزمان» و«حاسب السنين»، ومن هنا كانت صفاته
 تمثل غالباً في لوح كتابة. وباعتباره مخترع الكتابة كان «تحت» حامي
 الكتاب، كما كان يوصف أحياناً بأنه لسان أو قلب «رع». وقد ربط
 اليونان بينه وبين معبودهم «هرمس» Hermes.

يصور «تحت» عادةً إما على هيئة رجل رأسه رأس طائر «أبو قردان» ممسكاً بقلم الكاتب ودواته
 ولوحه، أو بصورة الطائر نفسه، أو بصورة قرد، فوق رأسه قرص القمر أو الهلال.

نكتب، نحن العرب، اسم هذا المعبود عادةً: «تحت» أو «تحتوت» في محاولة لتعريب
 هذا الاسم الذي نقحره الفرنجة بطرق مختلفة، منها: Thot, Thôt, Thôth, Thôut, Tehuti.
 وقد نقله «بدج» في صورة: Tchehuti. وجعله «لوركر» Lurker في شكل: Djehuty. أما
 «غاردرنر» فقد كتبه Dh w ty. ولعل الأخيرة أقرب النسخرات إلى الأصل الذي هو بالرموز
 الهيروغليفية:  وله صور أخرى (أنظر: Budge ; Dwellers Of The Nile, p. 155 وقارن : Gardiner, Egyptian Grammar, p. 470).

والمشكلة التي واجهت الباحثين الغربيين تكمن في نقلهم الرمز الهيروغليفي  (وهو
 الحرف الأول من اسم المعبود الذي ناقشه). وهو يقابل في العربية الطاء أو الضاد وما قاربها من
 الأصوات (أنظر بحث أصول تسميات الرموز الهيروغليفية في ما سبق) ونراه هنا يقابل الضاد
 ويطابقه. واستسهالاً للأمر عمم هؤلاء الباحثون حرف التاء بدلاً له (ربما لقرب مخرج الصوتين)
 فكانت Thot في الكتب المتخصصة (h = ح) وأحياناً Thot (تحت). ولكن نقحرة «غاردرنر» (Dh w ty)
 تجعل من اليسير مقابلتها بالعربية «ض ح و ت ي» (= d = ض). وعلى هذا الأساس يمكن
 تحليل الاسم ومتابعته إلى أصوله العربية الأولى.

(75) أو «الأشمونين». في الأصل المصري «خ م ن و» h m n w وتعني: «[الاقليم] الثامن». وواضح أن الشين في
 «ش م ن» تبادلت مع الحاء في «خ م ن» في المصرية، وهما تعاقبتا مع التاء المثلثة في العربية «ث م ن» وهذا هو جذر
 «الثامن»، «الثامنة»، «ثمانية». (أنظر: Gardiner ; Eg. Gr. P. 191).

إن أحداً، فيما أعلم، لم يقدم معنىً لاسم هذا المعبود وإن قدموا ترجمة لاسم ممثله «القرد» («ح ض - ور»). وهو ما سنعود إليه بعد قليل⁽⁷⁶⁾. ونحن نعلم من متابعة الروايات المتعددة عن وضع هذا المعبود في الديانة المصرية القديمة أنه كان «رب القمر» ووزيراً للمعبود «رع»، ويلقب «أتون الفضي = الشمس الفضية»، وهو «رب النور» انبثق من رأس «ست» (إله الظلام) كما ينبثق الفجر من الليل، وشعاره الهلال والقمر بدرًا. إلى آخره.

هذه كلها تتصل بالنور، بالضياء، بل هي النور ذاته في أشكاله وصوره المختلفة. ولعلنا نضيف أن كونه مبتدع الكتابة في التصور المصري القديم يشير إلى اعتبار الكتابة نفسها «نوراً» يجلو ظلمة الجهل وضياءً إلهياً مقدساً لا ريب. أليس كذلك؟

في العربية الجذر «ضحأ» (ثنائيه: ضح) وهو يقدم لنا مادة غزيرة جداً تدور كلها حول النور والضياء، وليس من الضروري إيرادها كلها في هذا المجال، فلنكتف بقراءة القليل منها: «الضُحُوُّ وَالضُّحُوَّةُ وَالضُّحِيَّةُ: ارتفاع النهار. وَالضُّحَى: فوق ذلك. وقيل: الضحى من طلوع الشمس إلى أن يرتفع النهار وتبيض الشمس جداً، ثم بعد ذلك: الضحاء. وفي تفسير (وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا): ضحاها: نهارها أو ضياؤها. وكذلك في تفسير (وَالضُّحَى وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَا). وقد تسمى الشمس ضحىً لظهورها في ذلك الوقت (الضحى). وتقول: أتيتك ضحوة، أي ضحى. وضاحتها: أتيتك ضحاً... إلخ». وهناك تحليلات طويلة لا تهمنا هنا واستشهادات لم نأت بها لوضوح الأمر⁽⁷⁷⁾.

وليست مسألة «الضحى» و«الضحوة» قاصرةً على الشمس وحدها (حتى يتوَّجس «رع» من وزيره «تحت» ويخشى منه الانقلاب عليه!) إذ تنصرف أيضاً إلى القمر (رمز «تحت») فيقال:

«ليلة ضحيا وضحيان وضحيانة وإضحيان وإضحيانة: مضبئة لا غيم فيها، وقيل: مقمرة. وخص بعضهم بها الليلة التي يكون القمر فيها من أولها إلى آخرها (فتأمل!). وفي حديث إسلام أبي ذر: في ليلة إضحيانة، أي مقمرة - والألف والنون زائدتان (الأصل: إضحى)».

وتقول: «يوم إضحيان: مضىء لا غيم فيه. وقمر وسراج إضحيان: مضىء... ولا يقال

(76) في معجم «بدج» (صفحة 911): «ض ح ض ح» = Tchehtcheh (an ape-god) (إله قرد) وسوف يظهر للقارئ فيما يلي سبب هذه التسمية وعروبيتها. لاحظ أن «ض ح ض ح» مضاعف «ضح»، والمضاعفة تستوي فيه العربية والمصرية معاً. قارن ما في اللهجة الليبية: «القمر تضحضح» أي أن القمر مشع نوره، صافٍ، في ليلة تامه بدرًا. وفي اللهجة الليبية يكون القمر مؤنثاً معنىً: «طلعت القمر» وليس «طلع القمر» أو «طلعت القمر». «القمر غابت» وليس «غاب».

(77) من الطريف أن «الضحية» سميت كذلك لأنها عادة تذبح ضحىً، كما تسمى «الأضحية» ومن ذلك عيد «الأضحى» و«التضحية» التي صار معناها بتطور الدلالة: بذل النفس (التضحية بالنفس) ومنها «الضحايا» (ضحايا العدوان... مثلاً) ولم تعد قاصرة على وقت بعينه. أما بالنسبة لتفسير (وَالضُّحَى وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَا) فليس ثمة ما يمنع أن يكون معنى «الضحى» هنا هو «القمر» لارتباطه بالليل، ارتباط «تحت» بـ«ست».

للفرس إذا كان أبيض : أبيض . ولكن يقال له : أضحى . (ولعل هذا ما يفسر لماذا اختار عرب مصر القدماء كلمة «ضح و» ليشقوا منها اسم «ضح وت ي» رب النور، ولم يستعملوا «ب ي ض» مثلاً).

الدلالة التي تقدمها مادة «ضحأ» نجدها في مادة «ضحح» (أيضاً : جذرها الثنائي هو :

ضح) :

«الضحُّ : الشمس، وقيل : ضوءها . . . والضحُّ : نقيض الظل، وهو نور الشمس الذي في السماء على وجه الأرض . والشمس هو النور الذي في السماء يطلع ويغرب، وأما ضوءه على الأرض فيضحُّ» . (وهذا ما يقابل في المصرية : «رع» = الشمس، و«ضح ح» = ضوءها - وليست هي ذاتها . وفي الأسطورة الدينية المصرية أن «تحت» كان وزير «رع» أي أن «ضحح» يستند في وجوده وسلطته إلى «رع» . ألم نعرف أن «القمر» يستمدُّ نوره في الحقيقة من «الشمس»، وأن هذا النور ليس إلا انعكاساً لضوء الشمس في واقع الأمر؟! .

وعلى سبيل القلب هناك الجذر «وضح» (ثنائياً : وض . قارن : وضاً⁽⁷⁸⁾ . كذلك قارن المصرية «و.ض. ت» = w d. t = عين حورس = «وضيئة» / «وضيئة»).

«الوضح : بياض الصبح والقمر. والعرب تسمي النهار : الوضأح» . ومختلف اشتقاقات هذا الجذر تعني : البياض والبيان والضوء. ومنه : الوضوح، الاتضح، الاستيضاح، التوضيح . والوضح : اللبن (= الأبيض). ويقال : في وضح النهار . والوضح : الكواكب الخس إذا اجتمعت مع الكواكب المضيئة .

فهل يحتاج الأمر إلى مزيد من . . . التوضيح ؟!

اسم المعبود الذي نعرفه على شكل «تحت» هو في الأصل المصري «ضح ح وت ي» Dhwtj . فلماذا هذه الصيغة ؟ والجواب يكمن في أول الاستشهادات السابقة : فإن من «ضحح» (ضحأ) تشتق : ضحو، وضحوه (وهو الوقت الذي تبيض فيه الشمس جداً = الضحى ، الضحية = البياض). وهنا نرى «ضحو» في صيغة المذكر، و«ضحوة» في صيغة المؤنث والأصل في الصيغة الأخيرة في العربية «ضحوت» (إذ كانت تاء التانيث تنطق في لهجة طي) وهي بالضبط في المصرية «ضح وت» - والفرق وصل الأحرف وتقطيعها فقط ليس غير. وبدا تتساوى «ضح ح وت» و «ضحوت» التي تطورت تاء تانيثها إلى «ضحوة» (تاء مربوطة) = ضحو. ولن يتغير شيء رغم التذكير والتانيث في اللفظ، فإن كلمة «ضحية»، وهي مؤنثة، تتساوى «الضحو» و«الضحى» وهما مذكران . ومن العجيب أن كلمة «شمس» تأتي مؤنثة معنى إذ لا تؤنث لفظاً (شمسة) إلا إذا صغرت فيقال «شُمَيْسَة» ولا يقال «شُمَيْس» - فكأن التصغير أدى إلى التانيث اللفظي . بينما يجوز تذكير «القمر» وتانيثه رغم أنه أصلاً مأخوذ من «القمر»⁽⁷⁹⁾ وهي صيغة مؤنثة، كما رأينا المساواة بين «ضحو»

(78) من ذلك : الوضوء - وهو غسل الأطراف (= تبيضها/ تطهيرها) للصلاة.

(79) في اللهجات العامية يقال (قمر) ويقصد (القمر) ولا يقال (شمسة). وفي القرآن الكريم : «فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَأُنْزِلَنَّ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ . فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ» (الأنعام/ 77 - 78).

و«ضحوة». و«تحت» إله القمر فلا غرابة أن يُسَمَّى «ضحوة» رغم كونه ذكراً⁽⁸⁰⁾.

والسؤال الآن : من أين جاءت الياء في اسم «ضح و ت ي» بعد أن بينا أمر التاء ؟ في العربية ينسب الآن إلى المفرد المذكر عادةً (تقول : عنتره ← عنترتي . حمزة ← حمزي أو حمزاوي . عقبة ← عقبي) . أما في المصرية فتجوز النسبة إلى المؤنث (أي بدون حذف تاء التأنيث . وهي هنا أضبط وأدق ؛ إذ الأمر فيها واضح) . وبينما يسوَّى في الاسمين «ضحو» و«ضحوة» في العربية (كما يسوَّى بين «عنتر» و«عنتره») تعود النسبة إلى «ضحو» فيقال : «ضحوي» . أما في المصرية فتقول : «ضحوتي» - نسبةً إلى «ضحوة» (من باب المساواة بين الذكر والأنثى - فيما يبدو) ، ومن هنا كان اسم المعبود «ضح و ت ي» . ويؤيد ما ذكرناه أن في العربية أسماء أعلام كانت في الأصل نسبة ؛ بدري (من : بدر) ، قمري (من : قمر) ، شمسي (من : شمس) ، نجمي (من : نجم) . . . إلخ .

هل تبين اسم «تحت» - أعني «ضحوتي» (أو «ضحوي») الآن ؟

إضافة

تظل بعد هذا ثلاث مسائل تتصل بهذا المعبود نود أن نناقشها قبل تركه وشأنه . أولاًها : لماذا اختير «القرد» رمزاً له ؟ وثانيها : لماذا كان طائر «أبو قردان» رمزاً آخر له ؟ وثالثها : لماذا سمي «أبو قردان» بهذا الاسم بالذات في مصر ؟

1 - يدعى القرد عموماً في المصرية : «ق ف» qf أو «ق ء ف» qaf أو «ق ي ف» qif . وهو يسمى في الكنعانية «قوف» ويذكر أن اسمه يرمز إلى حرف «القاف» فيها ، وكذلك الأمر في العربية . ويسمى القرد في المصرية أيضاً «ق ن د» qnd - وتعني نفس الكلمة : الغضب ، الاحتياج ، الشراسة (معجم «بدج» ، صفحة 774) ويدخل رسم القرد في هذه الكلمات ، دليل الصلة بينها وبين القرد الثائر . (في العربية : قند ← قندأو = الحادُّ ، السبيُّ الخلق . مقلوبها : نقد ← انتقاد . قارن : كند ← كنود <> نكدُ / نكدُ . إلخ . على سبيل الأبدال والقلب . قارن أيضاً : قرد) .

أما القرد الخاص بالمعبود «تحت» فيسمى في المصرية «إع ن» in . وفي حين تترجم «ق ف» (قوف) و«ق ن د» إلى الأنكليزية (monkey) (= قرد طويل الذنب ، نسناس ، سعدان) يدعى «إع ن» في الأنكليزية (ape) (= قرد قصير الذنب) كما يدعى (baboon) . ويقول (معجم أكسفورد) الاشتقاق إن (baboon) جاءت من الأنكليزية الوسيطة والفرنسية القديمة (babuin) ، من اللاتينية الوسيطة (babewynus) ويقرر أن أصلها غير معروف . لكن الواقع أنها جاءت من العربية «مأمون» (التي صارت : ميمون)⁽⁸¹⁾ .

(80) هذا الباب في العربية معروف . فإن ثمة أسماء مؤنثة لفظاً مذكرة معنى من مثل : معاوية ، مسيلمة ، عقبة ، مُرّة ، حمزة ، طلحة . ولا شك في ذكورة ، أو حتى فحولة ، هؤلاء جميعاً ، كما لا نشك - قطعاً - في ذكورة «عنتره» بن شداد العبيسي أو هناك أسماء إناث لا تلحقها تاء التأنيث : زينب ، هند ، أسماء . . . إلخ .

(81) أنظر : W. M. Watt ; The Influence of Islam on Medieval Europe, p. 86 .

ويرى «مونتغمري وات» إن معناها : محظوظ lucky (وهنا نقارن كلمة «ح ض» في اسم هذا القرد في المصرية =

وهذا النوع من القردة يدعى باللاتينية في المصطلح العلمي Cynocephalus hamedryas (82). ويقول «شيرني» (Anc. Eg. Religion, p. 21) إن القراءة الأصلية لاسم هذا القرد غير يقينية، وهو الذي يدعى (أو يلقب) في المصرية : «ح ض - ور» hq-d-wr أي : «الأبيض العظيم» great white أو : «أكثر الكبار بياضاً» The whitest of the great ones .

ولا ينبغي لنا أن نفزع من هذه الترجمة العجيبة، فقد شرح بما فيه الكفاية تحت مادة «ح ض - ور» hq-d-wr في هذه الدراسة . والخلاصة أن «ح ض» هي مقلوب «ضح» ← «ضحح» / «ضححا» التي عرضناها منذ قليل، بمعنى النور والضياء وهي صفة «تحت» (ض ح وت - ي) رب القمر ووزير «رع» رب الشمس . فإن لم يكن هذا كافياً فإن مادة «حضاً» العربية تقدم لنا تفسيراً جلياً وهي تقابل المصرية : «ح ض» :

«حَضَات النار حضاً : التهب . وحضأها : أوقدها .

قال الشاعر :

«ح ض - ور» بالعربية «حظ» التي تعني : نصيب، بخت . ولكن الصلة بين «ح ض» و«حظ» لا تخفى على كل حال . ونقارن أيضاً تسمية القرد في العربية «سعدان» (من : «سعد»). أما «مأمون» (ميمون) فإننا نرى صلة بينها وبين «اليمن» وأيضاً بينها وبين «اليمن» (جنوب الجزيرة - حيث كانت تكثر القردة) .

(82) الكلمة الأولى مركبة من مقطعين : Cyno = اليونانية Kuno (لاحظ التقارب بين «كلب» و«Cephalu(s) = اليونانية Kephale (رأس) . والمقصود أصلاً إنسان خرافي رأسه على هيئة رأس الكلب، ثم عني القرد الكلبى الوجه . أما الكلمة الثانية hamedrya(s) فتعني في الأسطورة اليونانية جنية تحيا وتموت في الشجرة التي تسكنها، كما تعني حية هندية سامة، وكذلك «قرد الحبشة» . وهي مكوّنة من مقطعين :

1 - hama (= With) العربية «عم» التي أصلها «عم» . قارن اللهجة الليبية : عَم = مَع . وهي كذلك في الكنعانية والمصرية والأكدية والسبائية «ع م» . وفي العبرية كذلك (قارن الاسم : عمانويل < عمنا - إل = معنا إل = الله معنا) وكما أبدلت العين في «عم» هاءً في اليونانية القديمة أبدلت همزة في اليونانية الحديثة āma ، وأبدلت (c) في اللاتينية فصارت -Com ، وتحولت الميم إلى نون فنجدها con في الإيطالية مثلا، وفي الانكليزية تقوم السابقة -com مقام -con في عدد كبير من الكلمات المركبة .

2 - dru(s) (= Tree) . شجرة «الدور» أو «الدردار» ؟

بذا تكون hamedrya(s) (وهي بالانكليزية With Tree) عربياً : «عَم الدور» = مع [شجرة] الدور . وأما الكلمة الأولى فهي - كما قلنا - مكونة من مقطعين أيضاً :

(1) Keno = كلب

(2) Kephale = رأس . العربية : قفن (القفن : قافية الرأس، وقفن كل شيء آخره . راجع مادة «قفن» في

لسان العرب) .

فالتسمية اللاتينية، المأخوذة عن اليونانية، لهذا القرد :

Genycephalus hamedryas تتكون من :

keno) ceni . العربية : كلب .

cephalus) (kephale) . العربية : قفن .

hame) (hama) . العربية : عم (= مع) .

dryas) (dru) . العربية : دور .

الترجمة الحرفية الانكليزية : (dog-head (monkey)/with tree (within) tree (fairy) .

حرفياً : «كلبي القفن/عَم الدور» . أي قرد كلبى الرأس/جنية (تحيا وتموت) مع شجرة الدور، الدردار .

باتت همومي في الصدر تحضؤها * طمحات دهرٍ كنت أدروها
وقال أبو ذؤيب :
فاطفىء ولا توقد ولا تك مُحضناً * لنار الأعادي أن تطير شداتها

وحضأت النار : سعتها - تهمز (حضا) ولا تهمز (حضا).
وحضو النار : تحريك جمرها.

وهذا ما يطابق ترجمة «غاردرنر» و«فولكنر» و«بدج» لكلمة «ق ن د» qnd المصرية إلى الأنكليزية (furious, angry, violent) . . . إلخ (= غاضب، مهتاج، ضار، ناثر، شرس، مخندم، ملتهب غضباً، متميز غيظاً. . . إلخ). وهذه هي طبيعة القرد المقصود (baboon) المعروف بشراسته وحدته، خلافاً للنسناس أو «الشمبانزي» الذي نضحك منه وبه وعليه. وسواء، بعد هذا، أاستعملت كلمة «ق ن د» (العربية : قند، نقد، كند، نكد/قرد) أو «ح ض» (العربية : حضا) فأنت في ملتهب الكلمات وساخنها وموقد نار الغيظ والغضب. . . أبعدها الله عنك !

لكن «تحت» لم يكن رباً للغضب. . . فما صلته هنا ؟

هذا ما يجعلنا نشير من جديد إلى أن القرد أصلاً كان معبوداً محلياً في مصر الوسطى، كما كان «أبو قردان» معبوداً محلياً في الدلتا، فلما توحدت أقاليم مصر أدمج المعبودان المحليان في شخص «تحت» باعتباره معبوداً قومياً لمصر كلها، مع احتفاظه برمزي المعبودين المحليين الأصليين وإضافة رمز الكتابة، وهو مبتدعها، ليعم خيره الوطن بكامله.

فهل كان القرد إلهاً للغضب في مصر الوسطى (مدينة أشمونين بالذات) ؟ هذا جائز. ولكن ما صلته بالنور والضيء ؟ كيف تحوّل رب الغضب إلى رب للنور، بل حتى للكتابة في بعض التصاوير ؟

نشير - ولا بأس من الاعادة - إلى غرام المصريين القدماء بالجناس، مثل غرام عرب الجزيرة. فكلما وجدوا لفظة تعبر عن فكرة ثم تقرر بها فكرة أخرى قريبة مما يبغون سارعوا إلى احتضانها. وهذا ما حدث للمعبود «ح ض - و ر» وعلاقته برب النور «تحت» (أو : «ضحوتي»).

دعك من المقطع الثاني «ور» فإن معناه ببساطة : العظيم، الكبير (العربية : وري)، وقد شُرح. ولنعالج المقطع الأول (ح ض) من جديد. إنه في العربية أساساً «حضو» = اللهب. وهذا الجذر (ح ض) لاشك قلب للجذر (ض ح) (حضا < > ضحا) وهو ما يؤدي بنا إلى : «ضحا»، «ضحى»، «ضحك». والأخيرة هي التي تهمنا هنا : فقد ذكرنا منذ قليل أننا «نضحك» من القردة (أو من بعضها على الأصح). . . أفليس من الجائز أنها تضحك هي منا ؟ !

إن الجذر الثلاثي (ضحك) في الأساس لا يعني ما تطورت إليه دلالته الآن، أي إلى معنى إظهار الفرح والسرور ببهجة عالية أو هادئة، وهو في البداية ابتسام، ثم ضحك صاخب يهز أحياناً أرجاء المكان ؛ إذ هو يفيد - أصلاً الجلاء والوضوح والضيء والبياض :

«الضَّحْكُ : الثغر الأبيض . والضواحك : الأسنان التي تظهر عند التبسم . والضَّحِكُ : لهور الثنايا من الفرح . الضاحك من السحاب : البارق . والضَّحْكُ : العسل الأبيض والزبد والثلج وطلع النخل حين ينشق . وأضحكت النخلة أخرجت الضَّحْكُ . والضَّحْكُ : النور (قارن : النور) . والضاحك : حجر أبيض يبدو في الجبل . والضحوك : الطريق الواسع (اللين = الواضح) . وطريق ضحَّاك : مستين . ورأيُّ ضاحك : ظاهر غير ملتبس . ويقال : إن رأيك إيضاحك المشكلات ، أي : تظهر عنده المشكلات حتى تعرف» .

وأهم ما يتصل بموضوعنا ما يذكره ابن منظور :

«ويقال : القرد يضحك ؛ إذا صَوَّت» .

ولعل المقصود بَرُوز الأسنان والإبانة عنها . وهذا لا يعني إعلان السرور فحسب ، بل يكون أيضاً عند الغضب والهياج وفي حالة التكثير . وبيت المتنبي السائر معروف :

إذا رأيت نيوب الليث بارزة * فلا تظنن أن الليث يبتسم

أي : إذا رأيت أنياب الأسد ضاحكة (مكشراً عنها) فهو قطعاً لا يبتسم ، بل هذه علامة الغضب والهياج . وتفسير بيت الشعر القائل :

تضحك الضبع لقتلي هذيل * وترى الذئب بها يستهل

أن الضباع تكشر عن أنيابها لتأكل من قتلي بني هذيل كما يستهل (بأتمدم) الذئب منهم .

و«ضحك القرد» لا يعني فقط صوته أو صواته بل يشير إلى ظهور الأسنان ووضوحها ، وقد يكون ضحكاً لفرح أو ضحكاً لغضب ، فإن «الضَّحَّاك مدح ، والضَّحْكَة . دم ، والضَّحْكَة أذم» كما جاء في (اللسان) . ونحن نقول : «فلان أضحوكة» أي موضع هزؤ وسخرية . وهذا ما يبين عن أن الجذر «ضحك» يحمل معنى الضدين ، ولكن الأصل : ظهور الأسنان⁽⁸³⁾ . والأسنان بيضاء ؛ في العادة ، فمعناه إذن : البياض ، الوضوح ، الضحك(ك) . من الجذر الثنائي «ضح» ، ومقلوبه «حض» . وهذا لقب القرد في المصرية أو كنيته : الضَّحَاء (= الضَّحَّاك) أو «الحضاء» . وخصص رمز المعبود «تحت» بلقب «ح ض - ور» الذي يترجم «الأبيض الكبير» ويمكن ترجمته : «الضَّحَّاك الكبير» والمعنى واحد ، مرتبط بالبياض والنور والضوء . وهذا ما يوضح صلته بآله النور «تحت» (ضحوتي) .

2 - في الهيروغليفية تستعمل ثمان وخمسون صورة كاملة لمختلف أنواع الطيور وأوضاعها ، إلى جانب عدد كبير من أطرافها ، تعبر كل صورة عن كلمة معينة . وهذا ما يعرف بصورة الفكرة - idio-gram (أنظر : Gardiner ; Eg. Gr., p. 470) . وهناك أربع صور لأشكال وأوضاع مختلفة للطائر

(83) وتسمى الأسنان في العربية : الواضحة . وأنشد :

كل خليل كنت صافيته * لا ترك الله له واضحة

كلهم أروغ من ثعلب * ما أشبه الليلة بالبارحة !

وفي الحديث : «حتى ما أضحوا بضاحكة» أي : ما طلعا بضاحكة ولا أبدها .

المعروف في اليونانية باسم ibis (ويعرف في مصر باسم : أبو قردان . ويسمى في بعض الأقطار العربية الأخرى : أبو حنش، أبو منجل، حارس، عنز). وهو أنواع وضروب، والذي يهمننا هنا ذلك المعروف في اللاتينية باسم (Ibis religiosa) = Sacred Ibis (إبيس المقدس)، وهو الذي يُسمَّى في المصرية القديمة «ه ب» h b (عند «غاردرنر» و«بدج». عند «فولكنر» h by). ومن الواضح جداً أن اليونانية ibi(s) منقولة عن المصرية بإبدال الهاء همزة والحاق السين الزائدة في آخر الكلمة.

فماذا كان هذا الطائر رمزاً للمعبود «تحت» رب الضياء ؟

لقد حدث له ما حدث بالنسبة للقرد ؛ كان هذا الطائر معبوداً محلياً في الدلتا، فلما توحدت مع بقية الأقاليم احتفظت بمعبودها وأدمجته في «تحت» معبود مصر الكبرى، كما فعلت مدينة «أشمونين» بمعبودها (الضحك).

فما علاقته بالضياء ؟

نشير هنا إلى الاستفادة من طائر آخر يسمى في المصرية «ب ن و» b n w أو «ب ي ن و» by n w رمز ظهور الشمس والنور، وقد صار اسمه في اليونانية «فوينكس» (Phoenix)، وهو في العربية من الجذر «ي ن ن» أي : ظهر وأتضح . وقد تحدثنا عنه بتفصيل في هذه الدراسة . . فليراجع لمزيد من . . البيان .

وليس من قبيل الصدفة أن يكون طائر «تحت» أبيض اللون، رغم أنه من فصيلة صُنُوهِ أسود اللون الذي يسمى في المصرية «ق م ت» (gmt) ⁽⁸⁴⁾. وأن يدعى في اللاتينية (bis religiosa) ((إبيس المقدس) لبياضه الساطع الرامز إلى الصفاء والنقاء . . شأن الأشياء المقدسة الطاهرة .

من البياض ذاته ربط «إبيس» الأبيض بـ«تحت» وصار رمزاً له كما صار القرد من قبل . وكان هذا الطائر يصوّر في الغالب الأعم متسماً سارية يقف عليها بكل جلاله الإلهي، تمييزاً له عن بقية «الابيسات» وتقديراً . وهذه السارية، بالمناسبة، تُسمَّى في المصرية «إء ت» i at وتعني كذلك : علامة، رمز، علم، عربيته : «آية» .

فهل رأيت كيف بانث صلة المجل «أبو قردان» برب النور «تحت» ؟

3 - السؤال الثالث : لماذا سمي «أبو قردان» بهذا الاسم - في مصر بالذات ؟

في اللغة المصرية القديمة، كما ذكرنا، يدعى هذا الطائر الأبيض «ه ب» h b أو «ه ب ي» h b y - على النسبة . فما هو المكافئ في العربية ؟

لقد سبقت الإشارة إلى سبب تسمية طائر «مالك الحزين» heron في المصرية باسم «ب ن و» أو «ب ي ن و» لأنه يبرز برأسه التاجي الأبيض، أو يبينه، من سطح الماء في الصباح خاصة كما تبرز الشمس في الأفق عند شروقها، فهو «الين» أو «البيان» . كذلك هذا «الابيس» الأبيض يظهر في

(84) قارن «ك م ت» في هذه الدراسة = أسود . (قارن معجم «بدج»، صفحة 807 - 808).

برك الدلتا يشع ببياضه ويبرز رمزاً للمعبود «تحت». وليس في الجزيرة العربية كثير برك ومستنقعات كالدلتا ولا «إيسات»، بل فيها الصحراء وسرابها في النهار والنجوم البراقة الساطعة في لياليها الصافيات. ومن هنا كان استعمال «هب» في وضع مختلف ولكنه ينطبق على الطائر الأبيض . . «إيس» :

«يقال : ههب السراب ههبة : إذا تفرق». (أي لمع وتماوج في لمعانه).

«والههباب : اسم من أساء السراب».

«ويقال : هَبَّ النجم إذا طلع».

(لسان العرب، مادة : هب)

وهكذا نجد أن «هب» المصرية تقابل «هب» العربية ومضاعفها «ههب»، وتؤدي المعنى المقصود في اللغتين في هذا المقام . . البياض والصفاء والبيان . . والحديث لا يزال متصلاً . .

فقد أدت «هب» hb المصرية إلى «هب ن ي» hbny و«هب ب ي ن» hbyn (معجم «بدج»، صفحة 445-446) التي نقلتها اليونانية في شكل ebenos وأخذتها عنها اللاتينية في شكل (ebanu)، وكانت في الأنكليزية الوسيطة اسماً (hebeny)، وفي القرن الخامس عشر كانت صفة (ebon) وأخذ منها الاسم (ebony). وهو ما نعرفه في العربية باسم «أبنوس» (عن الصيغة اليونانية ebenos). و«الأبنوس» - كما تعرف - هو ذلك الخشب الصلب الأسود. فكيف حدث هذا ؟

يقول (معجم أكسفورد) الاشتقاقي The Con. Ox. Dict. إن الانكليزية ebony (أبنوس) قد تكون تحريفاً لكلمة (ivory) (عاج). والعاج - باتفاق - مادة بضاء، ناصعة البياض أحياناً، تكوّن الجزء الأكبر من سن الفيل وكذلك فرس النهر وكركدن البحر وفيله أيضاً. وكلمتا (ebon) و (ebony) - كما يذكر المعجم ذاته - في الأصل خشب أسود صلب، ثم أصبحت الكلمتان تعنيان السواد بإطلاق. فإذا كان (معجم أكسفورد) خلط ما بين «السواد» و«البياض» بهذا الشكل فلا بد إذن أن خلطاً من هذا القبيل وقع في كلمة (ebenos) اليونانية.

فإذا بحثنا عن منشأ كلمة (ivory) الانكليزية (= عاج) وجدناها تُرْجَعُ إلى اللاتينية (ebur)، وهذه - كما قيل - من السنسكريتية (ibhos). وهنا نشير إلى المصرية «أ ب و» abw التي تعني «فيل» كما تعني «عاج» (معجم «فولكنر»، صفحة 2). وفي الكنعانية «إب» تعني : صافٍ (والعاج رمز البياض والصفاء). وفي الأكادية «إبو» (ebbu) تعني : صافٍ، ساطع (معجم «غوردن»، رقم 9). وهي عندنا ذات صلة بالمصرية «وأب» wab (طاهر، نقي، أبيض، حوري) - العربية : «أب» (ماء)، «أوب» (طاهر، نقي) - كما ذكرنا في مادة «و ب» في هذه الدراسة . . فلتنظر.

في العبرانية يُسَمَّى العاج «شِنُّ هَبَّين» (shen habbīn) (محمد يوسف ؛ الألفاظ الهندية

عربية، مجلة اللسان العربي، 1/10 صفحة 606). وهي تترجم إلى «سن الفيل»، وقد نترجمها السن البيضاء» أو «سن العاج» لتقابل «هين» العبرانية ما في الأكادية (إبنو) والكنعانية (إب) المصرية (ب و) = عاج. كما تقابل المصرية «هب» hb (العربية: هب) بمعنى «أبيض» التي سبق بيانها.

ويذكر (معجم أكسفورد العالمي) (The Universal Ox. Dict.) أن العبرانية «هينيم» (hobnim) مأخوذة عن اليونانية (ebenos) (= أبنوس) وهي مذكورة في الآية (15) من الاصحاح (27) من «سفر حزقيال». وحين رجعت إلى المصدر المشار إليه وجدت الحديث موجهاً إلى مدينة (صور) لكنعانية:

«يا صور... أدوا هديتك قروناً من العاج والأبنوس» (الترجمة العربية).

وهذا التركيب «قروناً من العاج والأبنوس» يشير إلى وحدة الشيتين في كونها معاً «قروناً» (سن الفيل أو غيره) إذ لم يميز «الأبنوس» بأنه خشب أسود أو غير أسود، وربط العاج (الأبيض) بالأبنوس يفيد أنهما مشتركان في صفة واحدة (القرنية) أو حتى في صفتين (القرنية والبياض) - ولا صلة للأبنوس بالسواد هنا، بل صلته بالبياض أمتن. فالواضح إذن أن حديث «حزقيال» عن «الأبنوس» لم يكن يشير إلى الخشب «الأسود» الصلب كما تعرف المعاجم الانكليزية (ebony) وتتبعها إلى اللاتينية (hebenus) واليونانية (ebenos) - بل إلى شيء قريب من العاج الأبيض. ويؤكد لنا هذا الرأي أن «حزقيال» يتحدث عن أنواع الخشب التي عرفت في (صور) ولا يذكر «الأبنوس» من بينها:

«يا صور! أنت قلت أنا كاملة الجمال. بناؤوك تمموا جمالك. عمل كل ألواحك من سرو سفير. أخذوا أرزاً من لبنان ليصنعوه لك سوارى. صنعوا من بلوط باشان مجاديفك. صنعوا مقاعدك من عاج مطعم في البقس من جزائر كيتيم».

ولا ذكر مطلقاً للأبنوس الذي يأتي بعد ذلك مرتبطاً بالعاج وليس بالخشب. فمن أين ارتبط السواد بالخشب الصلب هذا الذي نسميه «الأبنوس»؟

من المدهش حقيقة أنني لم أعثر في المعاجم العربية المعتمدة التي بين يدي (مثل «تاج العروس»، «القاموس المحيط»، «لسان العرب») ولا في «تكملة المعاجم العربية» للأستاذ «رناهرت دوزى» ولا حتى في «المنجد»، على أثر لكلمة «أبنوس». وهي لا ترد في شعر ولا نثر معروف مما يستشهد به. وهذا يعني أن الكلمة دخلت العربية حديثاً جداً، ربما مع ترجمة «التوراة» إلى العربية حيث استعمل مترجموها الصيغة اليونانية (ebenos)، المأخوذة عن المصرية hbny (رجعت في اللاتينية (hebenus)). فهل تحولت «هب - ن ي» المصرية (= بياض) إلى الضد في اليونانية (= سواد)؟

قد تكون المسألة راجعة إلى قول «أرسطو» الفيلسوف والعالم اليوناني الأشهر في مؤلفه (تاريخ الحيوان). (Aristotle; Historia animalium, 617 B, 30) إن «هناك نوعين من (الابيس) ibis المصري: أبيض وأسود». وسبب هذا القول أنه كان يوجد فعلاً الأسود والأبيض في لون هذا

الطائر⁽⁸⁵⁾. الفرق أن اليونان أسموا كليهما ibis (عن المصرية hb) بينما اسماى المصريون الأبيض : hb - (العربية «هب») والأسود : gmt (قارن : كم ت = كميت = أسمر، أسود).

فإذا كانت مسألة الأضداد، أي الألفاظ التي تحمل معنى ما وتحمل في الوقت نفسه ضده، واردةً فهي قضية معروفة لها أسبابها التي فصلها الدكتور صبحي الصالح (دراسات في فقه اللغة العربية، صفحة 309-312)، وذلك كأن يُسمى الأعمى بصيراً، والعطشان رياناً، والجون : مبيض والأسود، وكما يعبر عرب ليبيا عن الفحم (الأسود) بتسميته «البياض». وهنا نجد في العربية مادة «أبن». ورد في (اللسان) :

«أبانان : جبلان، أحدهما أسود والآخر أبيض. فالأبيض لبنى أسد والأسود لبنى فزارة، بينهما نهر يقال له الرمة، بتخفيف الميم، وبينهما نحو من ثلاثة أميال، وهو اسم علم لهما . . . قال ابن جني : وأما قولهم للجبلين المتقابلين (أبانان) فإن (أبانان) اسم علم لهما بمنزلة زيد وخالد . . . قال مهلهل :

لوبأبانين جاء يخطبها * رُمْلُ ما أنف خاطب بدم
. وقد يفرد فيقال : «أبان». قال امرؤ القيس :

كان أباناً في أفانين ودقه * كبير أناس في بجادٍ مزْمَلٍ

ويقال : أبن الجرح، أي اسودّ.

فهل ثمة تكافؤ أبين من هذا ؟

ونعود إلى الإنكليزية، فنجد في قاموسها كلمة eboe التي دخلتها (كما يقول «معجم أكسنورد عالمي») سنة 1834 م. قال : «وهي لفظة كان يستعملها سكان جزر الهند الغربية تطلق على زنوج بنين»⁽⁸⁶⁾ Benin. وتطلق على شجر ينمو في أمريكا الوسطى أسود لون الخشب يدعى في اللاتينية «Dipteryx eboensis». ويخيل إلينا أن ثمة خلطاً (أو لعله صلة) بين eboe التي نجدها عند سكان جزر الهند الغربية و Benin، وما في الأنكليزية : ebonite, ebony, ebon . . إلخ. من جهة وبين اليونانية ebenos (المصرية hbny) من جهة أخرى، وهذا ما يقابل العربية «أبن» التي تحمل ضددين⁽⁸⁷⁾. أما «أبنوس» فليست سوى الصيغة اليونانية كما هي .

يدعم هذا الرأي أن ما نعرفه بشجر «الأبنوس» ينمو في سيلان ومدغشقر وجزر الموريشيوس

(85) يقول (معجم أكسفورد العالمي) إن طائر الـ ibis المصري المقدس «مختلط» ريشه الأبيض باللون الأسود. فيه إذن البياض والسواد معاً.

(86) جمهورية «بنين» حالياً. كانت تسمى «داهومي» - وقد استعادت أخيراً اسمها القديم. ولعل القارئ أدرك الصلة بين زنوج «بنين» وما نعالجه من أمر الأبنوس(س) وبذا يمكن إرجاع اسم هذه الجمهورية الأفريقية إلى العنصر البساطي.

(87) تقول «أبن» بمعنى : (1) مدح. (2) عاب. راجع (لسان العرب).

وجامايكا، وهي مناطق يسكنها السود من البشر، ولم يكن معروفاً في مصر ولا في بلاد اليونان ولا في جزر البحر المتوسط كله شجر بهذا الاسم، أسود أو غير أسود. و«الأبنوس» الوارد على لسان «حزقيال» يعني شيئاً شبيهاً بالعاج، أو لعله ضرب من أنياب الحيوان الأخرى باعتبار العاج خاصاً بالفيلة⁽⁸⁸⁾. فإن كان لابد من اعتبار «الأبنوس» معروفاً - كما ورد في (التوراة) - على أساس كونه خشباً أسود، فإن تسميته من باب الأضداد.

وخلاصة هذا الكلام كله أن اليونانية ebenos واللاتينية hebenus مأخوذة عن المصرية hbn y بمعنى طائر «تحت» (أبو قردان) أصلاً ثم تحولت إلى اسم يطلق على الخشب الأسود الصلب.

فإذا ربطنا بين هذا كله وبين الكلمة المصرية «ب ن و» أو «ب ي ن و» (= طائر من نفس الفصيلة يسمى في العربية : مالك الحزين) وهو أيضاً طائر أبيض، رمز الشروق والضيء، وجدنا الصلة وثيقة بين الطائرين في اللون والتسمية معاً وألفينا أنفسنا أمام الجذر «بين» في العربية، أي : ظهر وبرز واتضح ووضح - وعنهما، أو عن المصرية، فالأمر واحد، أخذت اليونانية (s)ebeno.

ولكننا لم نجب بعد عن هذا السؤال : لماذا اختير اسم «أبو قردان» لهذا الطائر العجيب ؟

ولعلنا لا نكون مغالين إذا قلنا، والله أعلم، إن هذه التسمية التي تبدو كنية تجمع في حقيقتها بين المعبودين المحليين اللذين أُنحدا في المعبود القومي «تحت» : «الطائر والقرد».

فالمقطع الأول (أبو) هو ذاته «ه ب ي» h b y وإبدال الهاء همزة واقع في اليونانية (s)ibi (إبي) ولا نجد فارقاً ما بين «أبو» و«إبي» بعد إسقاط السين الزائدة في «إبيس». وهذا هو «تحت» ممثلاً في طائره المقدس «ه ب ي» أو الطائر مدججاً في «تحت». (قارن أيضاً ما سبق : «أ ب و» = a b w = فيل، أبيض، عاج = h b y).

أما المقطع الثاني (قردان) فلعله ليس سوى كلمة «قرد» التي صارت «قردان»، والأصل «قردن» - والنون في آخرها للتعريف بحسب عربية جنوب الجزيرة القديمة. (قارن : عرب ← عربن ← عربان. قحط ← قحطن ← قحطان. عدن ← عدن ← عدنان. نعم ← نعمن ← نعمان .. إلخ).

والقرد - كما علمت - هو رمز «تحت» الثاني (في المصرية «ق ن د») والاببدال بين النون والراء كثير، وبذا تكون «قرد» = «قند». فيكون اسم «أبو قردان» مركباً من «أبو» (المصرية «ء ب و» = «ه ب ي» = الطائر «إبيس» + «قرد» (الأصل : قند).

«ء ب و. ق ن د» ← a b w. q n d أبو قند ← أبو قرد ← «أبو قردان» (الطائر + القرد).

فهل بالغنا قليلاً ؟

(88) ألا نرى صلة بين «أبن» ← «أبنوس» و«ناب» (سن) ؟

قد يكون هذا رأيك . لكنها فكرة خطرت لي ولم أرد أن أتركها تمر دون تسجيل ؛ فَرَبُّ الكتابة المَبْجَل «تحت» سوف يغضب إن لم نستغل اختراعه العظيم في توثيق أفكارنا !

وقبل أن ننتهي من حديث «تحت» (أعني «ضحوتي») هناك ملاحظتان أود إبداءهما .

فالمثير فعلاً أننا حين نقرأ في اللهجة الجبالية (البربرية) نجدتها تستعمل كلمتي «إكف» ekef و«كف» cuff لتدل على الغضب والحرد . ونرى أن هاتين الكلمتين هما الكنعانية «قوف» التي معناها «قرد» كما سبق القول . والجبالية هنا تتفق مع المصرية في اتخاذ (قرد) بصورتي (كف) و(قند) للدلالة على الغضب والهياج .

لكن القرد ذاته (أي الحيوان المعروف) يُسَمَّى في الجبالية مرة «إِدِّيُو» iddew (أو «يُدِّيُو» yiddew) ويدعى مرة أخرى «أَبْدَاو» abiddaw (أنظر : Ballet ; Dictionnaire Kabyle-français, pp. 78, 161 .

إن القرد - كما مر - رمز «تحت» إله النور، وقد سبق تحليل اسمه في المصرية على هذا الأساس . ولم تخرج الجبالية عن القاعدة في اعتبار القرد رمزاً للنور . كل ما في الأمر أن المصرية استعملت كلمة «ح ض» (= حضا) للدلالة على النور بينما استعملت الجبالية كلمة «ضمو» (= ضوء . صارت «إِدِّيُو iddew . وبإشباع الدالين يمكن أن تنطق «الضمو» - معرفة) .

أما كلمة «أَبْدَاو» abiddaw (abiddaou) فقد تكون مكونة من مقطعين :

1 - «أب» ab (المصرية «ء ب و») = «هـ ب» . العربية : آب/هب) وتعني : أبيض، بياض (= طائر «تحت» الأبيض = اليونانية «إبيس» (ibis)).

2 - «إِدَاو» iddaw وتقابل العربية «ضوء(ء)» .

فالاسم إذن مركب معناه «بياض الضوء» (= طائر «تحت» + قرده) .

لكن الملاحظ أن الجبالية (كالعربية) تسبق عدداً من الألفاظ التي نجدتها في المصرية بالمقطع «أبو» (= بو) أي : ذو، صاحب⁽⁸⁹⁾ (الأنكليزية of) . فمقابل «أَبْدَاو» abiddaw في هذه الحالة عربياً : «أبو الضوء(ء)» - أي : «ذو الضياء» .

ومهما قلنا المسألة على وجوهها فإنها لا تخرج عما استعمل في العروبية المصرية والعربية من ألفاظ تختلف نطقاً وتتفق في الدلالة .

(89) قارن ما في الجبالية «أَبْنَفْرُو» abenferruw (عصفور الدوري) وهو في المصرية «ن ف ر و») ; Nfr(w) .

أنظر : Ballet ; Dictionnaire Kabyle-français, p. 29 (BNFR) .

خُلِقَتْ «ت ف ن ت» (ومعناها : بلل ، رطوبة) وأخوها «ش و» من جسد المعبود الأولي «إ ت م»، ومعهما ظهرت الثنائية من الواحدية (الوحدانية) الأزلية وبدأت دورة الجنس . وحين أُدمِجَ المعبود «إ ت م» في المعبود «رع» صارت «ت ف ن ت» و«ش و» ابني إله الشمس واعتبرا عيني «رب الجميع» . وفي البداية قرنت «ت ف ن ت» بعين القمر ولكنها ما لبثت أن تحولت ، خلال صلوات ميثولوجية متنوعة ، إلى عين الشمس ، ثم إلى شعار «اليورايوس» . وعبدت هي وأخوها «ش و» في مصر السفلى (الدلتا) باعتبارهما «ولدي ملك الدلتا» . وهذه صورة أسطورية للشمس والقمر .

يرجح «بدج» (The Gods of The Egyptians, ii, p. 87) أن اسم المعبود «ش و» مشتق من الجذر «ش و» ، ومعناها عنده في الأنكليزية : (dry, parched, withered, empty) . فإذا أردنا أن نضع الترجمة العربية وجدناها : (جف) . جوى ، شوى ، ذوى ، خوى . ومن الواضح أنها لا تبعد معنى ومبنى عن الجذر المصري «ش و» . ثم يربط «بدج» بين هذا المعبود والنور (light) (صفحة 90) . وهنا يأتي الجذر العربي «ضوا/ ضوي» لينضم إلى القائمة السابقة .

وكل هذا بحسب فهم المصدر الأول للاشتقاقات المختلفة ، وبحسب تغير مفهوم هذا المعبود المتصل بالحرارة والشمس والضوء والهواء . ولكننا نرى أن المكافئ الذي يؤدي هذه المعاني جميعها وينطبق على «ش و» هو كلمة «جو» العربية التي تغطي كل ما ذكرناه . (راجع مادة «ش و» في هذه الدراسة) .

فإذا التفتنا ، بعد هذه الملاحظة العابرة ، إلى المعبودة «ت ف ن ت» tfnt وجدناها مرتبطة بأخيها «ش و» ارتباطاً المقابل . فإن كان هو يمثل الحرارة بمختلف صورها وما يرتبط بها ، فإنها تمثل : البلل والرطوبة والطرارة ؛ فاسمها يعني في الأساس : المطر الخفيف ، الرذاذ ، أو الطل ، أو الندى . (لاحظ أن وادي النيل لا يتمتع بالمطر الدافق الوابل بل يأتيه المطر خفيفاً حيناً بعد حين) .

ويرجع الأستاذ «بدج» (صفحة 87 من نفس المصدر) اسم هذه المعبودة إلى الجذر في المصرية : «ت ف» tf ، الذي يضاعف إلى «ت ف ت ف» tftf ومعناها : بصق (spit) ، بلل (moist) . ومنه جاءت «ت ف ن ت» .

نذكر أولاً أن التاء في آخر الكلمة للتأنيث ، وتبقى «ت ف ن» فلننظر في العربية :
«تفن : طرد . تفن الشيء : طرده» .

وهذا ما يقابل البصق أو البصاق، وهو طرد الشيء، لعاباً كان في الغالب أو سواه، من الفم .
(قارن اللهجة المصرية : تَفَّ، يُتَفُّ).

وقد قلبت النون لأمماً فكانت :

«تفل : تفل، يتفل، تفلأً : بصق . قال الشاعر :

... متى يَحْسُ منه مانح القوم يتفل . ومنه : تفل الراقي . والتُّفل والتُّفال : البصاق والزَّيْد ونحوهما . والتفل بالفم لا يكون إلا ومعه شيء من الريق، فإذا كان نفحاً بلا ريق فهو النفث»
(اللسان).

وقد أبدلت التاء في «التفل» و«التفال» دالاً في اللهجة الدارجة الليبية فكانت «الدفل»،
«الدفال» والفعل : دفل، يدفل .

بذلك تكون «ت ف ن ت» هي «التافنة» أو «التافلة» أو «الداقلة» - تلك التي «تفنن» و«تفل»
و«تدفل» أي تبصق الماء، فتبلل الأرض وتكون الرطوبة . ويثبت ما ذهبنا إليه ما يرد في بعض
النصوص المصرية (The Eg. Book of The Dead, Unas, Line 453) من الحديث عن «ت ف ن ت»
ليس باعتبارها حرم الآله «ش و» بل باعتبارها عقيلة معبود آخر هو الرب «ت ف ن» T f n . (أنظر
أيضاً : Budge ; The Gods of The Eg. ii, p. 92) وهو ما يقابل :

«التافن/ التَّفَان» (مذكراً) مثلما قابلت زوجته :

«التافنة/ التَّفَانة»، وما إليها، مؤنثة .

ج ب ، Geb Geb

كان «جب» تجسيداً للأرض . وفي نص من (نصوص الأهرام)
يقرر أن الموتى يدخلون في «جب» (= الأرض) . ولكونه رباً للأرض
فقد صُوِّر وهو يحمل النباتات التي نمت على ظهره، كما نبع الماء منه
أيضاً . وطبقاً لاسطورة قديمة فإن «جب» ورثة السماء «نت» خلقا
الشمس، ولذا صار هو «أبا الأرباب» . وقد منح سلطته الأرضية
لأوزيريس ثم لحورس، وأخيراً للملك الذي كان يُدعى تبعاً لذلك
«وريث جب» . وكان رمزه الاوزة، ولذا سميت «إيزيس» : «بيضة
الاوزة» . وكان يضع على رأسه إوزة أحياناً، لكنه في الأغلب صُوِّر
متخذاً تاج مصر السفلى غطاءً للرأس .

يكتب اسم هذا المعبود في الهيروغليفية «ج ب» و«ج ب ب» . ويربط «بدج» The Gods of The Egyptians, ii, p. 98 بين المعبود «جب» والمعبود «أكر» . وهذا ربط واقعي ؛ فإن «جب» هو

«الجبوب» في العربية، و«أكر» تقابلها العربية «أكر» بمعنى : زرع، فلاح، حرث، حفر الأرض . وكذلك «أجر» ← آجر، يأجور. وأيضاً «حجر» وما اشتق منها. وأختها الأكادية : أكارو، والكنعانية : أ ج ر. وكلها متعلقة بالأرض .

أما بالنسبة لـ«جب» أو «جيب» فقد ورد في (اللسان) :
«الجبوب : وجه الأرض، وقيل : هي الأرض الغليظة، وقيل : هي الأرض الغليظة من الصخر لا من الطين، وقيل : هي الأرض عامّة .
والجبوب : التراب . قال امرؤ القيس :

فبيتن ينهشن الجبوب بها * وأبيت مرتفقاً على رحلي

والجبوبة : المدرة (الطين) . . . قال الأصمعي : الجبوب، بالفتح، الأرض الغليظة . ابن الأعرابي : الجبوب : الأرض الصلبة، الجبوب : المدر المقتت . . . قال أبو خراش يصف عقاباً أصاب صيداً :

رأت قنصاً على فوتٍ فضمّت * إلى حيزومها ريشاً رطيباً

فلاقته ببلقعةٍ براحٍ * تصادم بين عينيه الجبوباً

قال ابن شميل : الجبوب : وجه الأرض وممتها من سهل أو حزن أو جبل . قال أبو عمرو : الجبوب : الأرض . وأنشد :

لا تَسْقِه حمضاً ولا حليباً

إن ما تجده سايحاً يعبوا

ذا منعة ينتهب الجبوباً

وقال غيره : الجبوب : الحجارة والأرض الصلبة . وأنشد :

تدع الجبوب إذا انتحت * فيه طريقاً لاجباً

ج ن 𐤒 𐤍 gen

كانت حديقة فرعون التي ينشئها، وهو ابن «حورس»، تمثل حديقة أبيه الساهوي . وقد زرعت الملكة «حتشبسوت» أشجاراً فواحة حول معبدها في «دير البحري» بطيبة، على نية أن تكون بستان (أبيها «أمون»). وأهدى «رمسيس الثالث» إلى هيكل «هليوبوليس» (عين الشمس / مدينة الشمس) بستاناً زرع أشجاراً ونخيلاً إلى جانب نبات اللوتس والبردي والغاب والزهور . وفي بلد تحيط به الصحراء

كانت الحديقة ذات الظل والشم من أتمن ممتلكات الدنيا، وهي متعة
يود كل امرئ أن يضمها في حياته الآخرة. ونقرأ في أحد نصوص
طيبة : «خذ زهور اللوتس التي تأتيك من بستانك، وانعش نفسك
في ظلال أشجاره، وافعل ما بدا لك إلى أبد الأبدين». وتظهر في
تصاوير مقابر الحكام في الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة مناظر
الحدائق مرة بعد أخرى.

الكلمة العربية التي تعني «حديقة»، «بستان» - تعميمياً - هي كلمة «جَنَّة» وجذرها
«جن/جنن». وهذا الجذر يلتقي في المعنى البعيد والجذر «كن/كنن» وهما معاً يفيدان الستر والخفية
وما إليهما. وقد سميت «الجنة» جنة لأنها «تُجَنُّ» داخلها وسط أشجارها الملتفة وأعشابها الكثيفة.
في المصرية نجد الكلمات التالية :

«ج ن» sgn «ج ن ج ن ت» gngnt : نبات، عشب. وكذلك «ج ن ن» gnn (معجم بدج صفحة
808).

كما نجد :

«ك ن و» Kanw : جنة.

«ك ن ي» Kany : بستاني/جنايني (على النسبة بالياء).

«ك ن ي» Kany : جنايني. وكذلك : فاكهة على وجه العموم (وقد نقابل معنى «الفاكهة» هنا
بالعربية : جَنِي، جَنِيٌّ). (أنظر : Gardiner ; Eg. Gr., pp. 484, 497).

ومن الملفت للنظر أن يهدى «رمسيس الثالث» بستاناً زرع «أشجاراً ونخلاً»، إذ بذكرنا هذا
بقول ابن منظور :

«الجنة : الحديقة ذات الشجر والنخل، ولا تكون الجنة في كلام العرب إلا وفيها نخل
وعنب، فإن لم يكن فيها ذلك وكانت ذات شجر فهي حديقة وليست بجنة».

وكانت الحديقة عند قدماء المصريين، مصورةً على آثارهم، لا تكاد تخلو من شجر الجميز
والنخيل. . . وهذه هي «الجنة» بذاتها. وهي، باعتبارها صورة معبرة عن الحياة، صارت رمزاً للحياة
بعد الموت. وكانت «المدينة القدسية» The Divine City (أنظر : كتاب الموتى، الفصل العاشر.
Budge ; The Egyptian Book of The Dead, ch. x) من نصيب المباركين الصالحين في الدار الآخرة.
وهذه هي بالذات «الجنة» أو «جنة النعيم» حسب التصور الديني المؤمن بالبعث والنشور والحساب،
عقاباً أو ثواباً بعد ذلك.

إله فيضان النيل، وكان يعبد في جزيرة «فيلة» وجبل «السلسلة» خاصة، وهما منطقتان دفاقتا المياه بفضل الشلال الأول ودوامات النهر. وكان المعتقد أنه يقطن كهفاً كان النيل يفيض منه، وهو الفيضان السنوي الذي كان يدعى (وصول «ح پ»). وتبين الصور هذا المعبود على هيئة رجل عارٍ طويل الشعر ذي ثديين متدليين وحزمة من نبات البردي على رأسه، يحمل سلالاً قربان ملاًى.

ترجم الهيروغليفية «ح پ» hp 𐎢𐎠𐎫 بمعنى : فيضان، فيض، إغراق، طوفان، غمر، غزارة، وفرة، كثرة. إلخ. ومن هنا جاءت المصرية «ح پ ن» hp n تعني : مائة ألف - دلالة على الكثرة والوفرة (Gardiner ; Eg. Gr. P. 581). ويقول «بدج» (The Dwellers on The Nile, P. 104) إن المصريين أسموا نهر النيل منذ القدم «ح پ ي» ومعنى هذا الاسم مجهول (١) ولكن لا بد أن يكون له معنى نسبي منذ فترة مبكرة جداً (كذا!).

نقول إن «ح پ» المصرية تقابل العربية «حف» - بتعاقب الفاء والياء المهموسة. وهي الجذر الشائبي الذي تأتي منه جذور ثلاثية تتصل بالموضوع :

حفش :

«حفشت السماء : جاءت بمطر شديد ساعة ثم أقلعت» (قارن فيضان النيل في وقت معلوم ثم يقلع).

«حفش السيل الوادي : ملاءه.

«الحافشة : المسيل.

«حفشت الأرض بالماء من كل جانب : أسالته قِبَل الجانب.

«حفشت الأودية : سالت كلها.

«حَفْشُ الأداة : سيلانها.

«وحفش الحزن العين : أخرج كل ما فيها من الدمع.

«ويحفش : يسيل».

حفف :

«الأصمعي : حَفَّ الغيث : إذا اشتدت غيلته».

حفل :

«الحفل : اجتماع الماء في محفله.

«وحفل الوادي بالسيل واحتفل : جاء بملء جنبيه» (قارن فيضان النيل وصورة معبوده).
 «ضرع حفيل : ممتلئ لبناً» (قارن ثديي «ح پ» المتدليين).
 «حفلت السماء : اشتد مطرها» . . . الخ .

حفن :

«الحفنة : الحفرة يحفرها السيل في الغلظ من مجرى الماء . . .
 وهي قلتة يحفرها الماء كهيئة البرك . . . والجمع : حُفن⁽⁹⁰⁾» .

هذه المواد (حفش، حفف، حفل، حفن) المنبثقة من الجذر الثنائي «حف» تشير إلى كثرة الماء في البداية، ثم صارت تشير إلى الكثرة والوفرة بعدئذ، ومن ذلك «الحفل، والاحتفال، والتحفل» ومنه «الحفنة» (ملء اليد) ولكن «حفن» بالذات تعني : الكثير. ولا تزال في لهجة عرب سوريا تدل على الكثرة، وخاصة كثرة الدموع عند البكاء إذ يقال : بكت فلانة حفنة⁽⁹¹⁾. (وهذا له اتصال بالماء) . وفي اللهجة المالطية : حفنة = كثير. ونلاحظ أن «ح پ ن» (حفن) في المصرية تعني : مائة ألف، أي كثير. (لاحظ علاقة كلمة «مائة» العربية بالماء. أنظر المبحث الخاص بمقارنة الأعداد والأرقام في هذه الدراسة). وهذا كله من الجذر الثنائي «حف» الذي يكافئ الجذر «ح پ» في المصرية .

وقد يبدو ما سبق مقبولاً بالنسبة لاسم هذا المعبود ومعناه من تدفق الماء وتجمعه وكثرتة . ولكن هذا المعبود يصور في العادة وهو «يحمل فوق رأسه حزمة من نبات البردي» . وهنا نُشَدُّ إلى كلمة عربية أخرى أقرب ما تكون إلى «ح پ» وهي «حفاً» . فما هو «الحفاً» ؟
 قال في (اللسان) :

«الحفاً : البردي» . هكذا . ثم يأتي التفصيل :

«وقيل : هو البردي الأخضر ما دام في منبته . وقيل : ما كان في منبته كثيراً دائماً . وقيل : هو أصله الأبيض الرطب الذي يؤكل» . وقد ورد في الشعر العربي «قال :

. . . * أو ناشىء البردي تحت الحفا⁽⁹²⁾

وقال :

كذوائب الحفاً الرطيب غطا به * غَيْلٌ ومدَّ بجانيبه الطحلبُ

(90) قال ابن منظور : «في الحديث أن المقوقس أهدى إلى رسول الله (ص) مارية من حفن ؛ هي بفتح الحاء وسكون الفاء والنون : قرية في صعيد مصر، ولها ذكر في حديث الحسن بن علي مع معاوية» . ويضيف : وبنو حُفَيْن : بطن . نضيف نحن أن من «حفن» العالم ناصف الحفني، وقد كتب - رحمه الله - بحثاً عن مدينته وأصلها وكون مارية القبطية منها في أحد أعداد مجلة «الهلal» مقالاً جميلاً، ولكنه لم يشر إلى مقابلها في المصرية «ح پ ن» التي قلبت باؤها المهموسة إلى «حفن» مما ثبت ما ذهبنا إليه .

(91) أخبرني بذلك الصديق الدكتور عماد حاتم .

(92) «الحفا» - بدون همزة - هو : أصل البردي الرطب الأبيض . . كما يذكر ابن منظور نقلاً عن أبي عبيد .

غطابه به : ارتفع . الغيل : الماء الجاري على وجه الأرض . وقوله : ومدَّ بجانبه الطحلب ، قيل : إن الطحلب هنا ارتفع بفعله . . . والواحدة من الحفأ : حفأة .

ومن هذا نرى أن «الحفأ» أو «الحفا» (ح ف = ح ب) هو البردي ، الكثير ، الدائم الذي ارتفع به (حَفَل) الماء ونما الطحلب (وَفُنْ) بجانبه . فهل ثمة تطابق بين المصرية والعربية في هذا الباب أكثر من هذا التطابق ؟

إذا شئنا المقارنة مع لغة عروبية أخرى ، لزيادة التأكد ، مضيئنا إلى الأكادية ، فنجد أمامنا كلمة «أپو» apu التي تعني : غاب ، قصب ، حلفاء (Arnolt ; A Conc. Dict. P. 77) وقد أبدلت الحاء همزة والباء جاءت مهموسة كما هو الشأن في الأكادية حين تقابل بالعربية . وينبغي أن ننسبه إلى أن كلمة «حلفاء» أو «حلفاء» ذاتها هي من جذر «حفا» بإضافة اللام بعد الحاء ، وليس في الرموز المصرية من لحرف اللام ، وهي من الناحية النباتية من نفس عائلة البردي والقصب والغاب ، ومن الناحية اللغوية كذلك .


ملاحظة أخرى نضيفها تكمن في الاعتقاد المصري القديم أن «إله فيضان النيل كان يسكن كهفاً يفرض النيل منه» . فلنعد إلى الجذر «حفن» ونقارن :
«الحفنة : الحفرة يحفرها السيل في الغلظ من مجرى الماء . وقيل : هي الحفرة أينما كانت . . . وأنشد شمر :

هل تعرف الدار تَعَفَّتْ بالحُفْنِ

قال : وهي قلتات (جمع قلتة) يحفرها الماء كهيئة البرك .
وقال ابن السكيت : الحفن نُقْرُ يكون الماء فيها وفي أسفلها حَصِيٌّ وتراب . قال : وأنشدني الايادي لعلي بن الرقاع العمالي :

بِكُرِّيرِئْتِهَا آثَارُ مُنْبَعِقِ * ترى به حُفْنًا زُرْقًا وغدرانًا

فإن لم يكن هذا فلنقارن بالأكادية مرةً أخرى ، فنرى أن كلمة «أب و» apu التي سبق ذكرها تعني كذلك : حفرة ، مغارة ، كهف . (Arnolt ; A Concise Dict., p. 78) وهي - بالابدال - تكافيء «ح ب(و)» (إذ ليس هناك حاء في الأكادية) التي تقابل «حف» العربية . وقد تكون تحريفاً لكلمة «كهف» العربية (كهفو ← أهفو ← أفو = أيو) .

فإن لم تكن هذه فإن «بدج» (The Gods of the Egyptians, ii, p. 53) يشير إلى اعتقاد مصري قديم أن النيل ينبع من كهفين في جزيرة «فيلة» يمثلان بثديي إله النيل ، ويسميان «ق ر ت ي» q r t y .  . والياء في آخر الكلمة للتثنية (نفس الشيء في السبئية) . والتاء للتأنيث (نفس ما في السبئية والعربية) . والأصل «ق ر» q r . فإذا كانت القاف تعاقبت مع الغين في العربية فهي : غ ر ← «غور» ، «غار» = حفرة ، مغارة . أو هي : ق ر ← قارة (= مجتمع الماء . وقد تذكر : قار = مجتمع الماء) ، قور = غور .

وفي نفس المرجع (صفحة 44) يقول «بدج» إن المصريين القدماء اعتقدوا أن النيل كان ينبع من الأرض بين جبليين جنوبي البلاد، وهما الجبلان اللذان يسميهما «هيرودوت» في لسانه اليوناني : «كروفي» Krofi و«موفي» Mofi . ويرجع الأستاذ «بدج» هذين الاسمين إلى أصلهما المصري الذي حُرف في اليونانية : «قر - حاي» Qer-Hapi ، و«مو - حاي» mu-Hapi (وليلاحظ القارئ أن «بدج» يُنكِّلز المصرية بعد أن أغرقها اليوناني هيرودوت !). أما نحن فنرجعها إلى أرومتها العروبية : «قار (أو : قور حفي» و«ماء حفي» مكافأة للمصرية «ق ر . ح ي ي» و«م و . ح ي ي» .

وقد يسأل القارئ : من أين جئت بـ«حفي» هذه ؟

إنها من نفس مادة «حف» ، وفيها معنى المبالغة والوفرة، تقول : احتفل (من : حفل) فلان بفلان ، واحتفى به ، فهو به «حفي» . والاحتفاء هو الاحتفال . أما الياء في المصرية والعربية فهي ياء النسبة في اللغتين . (راجع مادة «حفي» في اللسان).

بقي القول ، أخيراً ، إن اسم معبود النيل العظيم وفيضانه ينقل إلى اللغات الأوروبية عادة في صورة «هاي» Hapy, Hapi و«يعرب» : «حاي» - كما يرد في كتابات المؤرخين العرب أنفسهم (!) والصواب : حَفِيء ، أو حَفِيٌّ ، أو حَفَوِيٌّ . ولا ريب في أن النيل كان «حفيًا» (كريمًا) في فيضانه ، «حفيًا» (غزيرًا) في مائه ، «حَفِلًا» (دافقًا) بخيراته ، فهو «الحفي» الذي يُحتفى به ويُحتفل بوصوله كل عام .

ح ت ح ر He-t - Her

يُترجم اسم هذه المعبودة عادةً إلى «بيت حورس» . وبطابق رمزها الهيروغليفي هذا القول ؛ إذ يظهر صقراً في بيت . وقد نظر إلى ربة السماء هذه في القديم باعتبارها أم رب الشمس حتى أخذت «إيزيس» مكانها . وقد تسبب تصوُّر السماء بقرةً ، وهو تصوُّر كان منتشرًا في الدلتا ، في أن يسبغ على هذه المعبودة صورة البقرة . كما كانت أيضاً ربة الرقص والموسيقا والغناء ، وكانت تصوّر عادةً في شكل بشري على رأسها قرص الشمس بقربي بقرة . وكانت ، بحسب أسطورة قديمة ، هي التي رفعت الشمس إلى السماء بقربنها ، ثم سُويت هي نفسها بالشمس وصارت عين الشمس ذاتها . عرفت عند اليونان باسم «هاتور» Hathor .

إذا قبلنا تفسير اسم الربة «هاتور» باعتبار أن أصله المصري «ح ت . ح ر» ht.hr بمعنى «بيت حورس» أو حتى «قلعة حورس» كما يذكر «شيرني» ، فإن المقابل العربي ببساطة هو :

(1) ح ت = حط ← حيط / حوط / حائط = مبنى (بيتاً أو نحوه كان) . فمن الجذر «ح ت» في

المصرية (بتعاقب التاء والطاء بينها وبين العربية) جاءت مشتقات من مثل : «ح و ت» (حوط) وتعني : مسكن، معبد، قبر، قرية مسورة. ونجدها في مثل ما يلي :

ح و ت . ن ث ر : حائط الرب (المعبد).

ح و ت . ع ء ت : الحائط العالي (القلعة).

ح و ت . ك ا : حائط الروح (كا).

ح ك ء . ح و ت : حاكم الحائط (شيخ القرية).

(أنظر : Gardiner ; Egyptian Grammar, p. 578 – 83).

وتدعى الربة التي عرفت لدى اليونان باسم «نفسوس» Nyphtus في المصرية أصلاً «ن ب ت . ح و ت» و«ن ب ت . ح ي ت» (عربيتها : ربة الحيط = ربة⁽⁹³⁾ البيت). وهذا يعني أنه وجد في المصرية «ح و ت» كما وجد «ح ي ت» والجذر الثنائي هو «ح ت». وبمقارنة بسيطة مع العربية نجد الشيء نفسه.

فالأصل البعيد لكلمة «حائط/ حيط/ حوط» هو الدوران، إذ كأن الحائط (أو الجدار) يدور بالمكان ومحوطه فسمي «حيطاً» وانصرف إلى معنى البيت أو أي مكان آخر محاط بسور، كالبلستان مثلاً الذي يسمّى «حائطاً». ونحن نجد أن حرف الحاء يتلوه واو أو ياء إذا زيد بعض الأحرف أفاد شيئاً من هذا القبيل.

الحوت والحيت والحيتان : دوران الطير حول الماء (وسمي «الحوت» أي السمك، كذلك لدورانه في الماء. ويقال للطير يدور (أو يحلق) في الجو : حوم).

الحوز والحيز، وجمعها : أحواز - ما يحيط بالقرية من مزارع، أو المزرعة المسورة (في اللهجة الليبية : حوازة، حيازة = مزرعة مسورة).

الحوض : مجمع الماء. وهو : الحوص - كذلك.

الحوق : الاطار المستدير المحيط بالشيء.

الحوف : ما استدار من الثوب.

الحول : نقول : حول ذلك الشيء، أي : ما أحاط به.

وإلى «حوط» و«حيط» ترجع «المحيط». نقول : البحر المحيط، أي الذي يحوط الأرض أو يحيطها كما في التصور القديم، وهو يحيط بالقارات كما هو معروف الآن.

ولا ننس «الحوش» و«الحيش» : جمع الشيء وضمه. ومن ذلك كلمة «الحوش» في اللهجة الليبية الدارجة بمعنى «البيت»، وهي في بعض اللهجات العربية الأخرى : ما سور من بناء ملحق بالبيت، للحيوان وغيره.

(93) المصرية «ن ب» تقابل الأكادية «نابو»، والعربية «رب».

لاحظ أن الجذر «ربا» في العربية يُفيد دلالة الجذر «نبا» = ارتفع. قارن : ربة = نبوة = مرتفع. راجع هاتين المادتين لمزيد من التفاصيل.

وهذا كله يقابل المصرية «ح ت» = بيت، قلعة، ونحوهما.

(2) ḥr «ح ر» : «حورس» المعبود الذي عرف عند اليونان بهذه الصيغة Horus ونقلناه عنهم هكذا. والمقابل العربي : «حُرّ» = صقر/ طائر الحرّ (راجع ما كتب عنه في هذه الدراسة).

فإذا أخذنا كلمة «ح ر» بمعنى «أبيض» فإن عربيتها موجودة بوضوح في مادة «حور» التي تفيد البياض. وبذا يمكننا أن نقابل اسم المعبودة «ح ت. ح ر» بالعربية : «حَيْطُ حُرّ = حيط الصقر = بيت الصقر (المعبود حورس)، أو : «حَيْطُ حورّ = حيط أبيض = القلعة البيضاء» - باعتبار «هاتور» ربة السماء مقر الشمس ومصدر النور والضياء.

لكن ثمة رأياً آخر يقول بأن «هاتور» لا تخرج عن معنى اسمها باعتبارها «بقرة» - فهي أنثى «ثور». والهاء في «ها - ثور» أداة التعريف في عدد من اللغات العروبية. ولكن هذا بعيد عن معنى الرمز الهيروغليفي الواضح من جهة، ولانعدام تاء التأنيث في الاسم من جهة أخرى، مما يجعله تخريجاً متعسفاً لا معنى له. والأقرب والأوضح ما ذكرناه من قبل من حيث المقابل العربي لاسم المعبودة المصرية «هاتور» كما عرفها اليونان.

ح ت - م ح ي ت

ربة أسماك ثانوية في مدينة «منديس» بالدلتا. تصوّر عادة امرأة على رأسها سمكة.

اسم هذه المعبودة، كما هو واضح، مكون من كلمتين :

(1) «ح ت» : وتعني : سمكة، أو سمكة معينة تدعى علمياً : Oxyrhynchus (غاردر - صفحة 586). يقابلها في العربية : حوت، حوتة (سمكة). وهناك كلمات أخرى في المصرية لا تبعد عن هذا اللفظ صرفت فأدت إلى معانٍ قريبة. من ذلك مثلاً.

(1) «م ح و ت» : حربون، ضارب السمك بالحربون.

العربية : مَحْوَت، مَحْوَت.

(2) «م ح ي ت» : أسماك.

العربية : حيتان، أحوات، حوتات.

هذا إذن هو المقطع الأول.

أما المقطع الثاني فهو «م ح ت». ولنا أن نفسره بأنه يعني : الضحضاح.. أو الماء الشلو الذي يوجد به السمك (الحوت). عربيته : مَحْوَت.

فكان معنى اسم المعبودة في الدلتا : «سمكة الضحضاح» أو : «حوتة المحوت» ht. mht

(94)

وقد يرد اسم المعبودة مفرداً غير مركب هكذا : «م ح ي ت» (Budge ; The Dwellers on The Nile, p. 151) فتكون عربيته : «المحوتة» أي «الحواتة». لكن كون كلمة «م ح ت» أحد أسماء الربة اللبوءة كما ذكر «شيرني» (Ancient Eg. Religion, p. 20) يجعلنا نقرنه باسم الأسد في المصرية : «م ح س». فإذا بحثنا عن مقابل له في العربية وجدناه في مادة «محص» التي تفيد القوة وشدة الخلق.

ح ر Heru

في البدء كان «حورس» رباً للسماء، صورته صورة صقر بجناحين ممدودين، وكانت عيناه الشمس والقمر. وفي بداية العصر التاريخي سُوِّي ما بين الصقر السماوي والملك الذي كان بالنسبة لشعبه مظهراً من مظاهر تجلي «حورس». وكان اسم الملك يكتب داخل «س رخ» (واجهة القصر. العربية : صرح) يعلوه صقر. ولما لم تكن السماء وحدها، بل الشمس أيضاً، ينظر إليها باعتبارها «صقراً» فإن الملك والشمس والسماء صارت متطابقة ووجد هذا تعبيره الأخير في كونه الرمز الملكي : القرص المجنح.

وبسبب النظرة الثنائية للوجود عند المصريين فقد صار لـ«حورس» منافس ممثل في عمه «ست». وفقد «حورس» إحدى عينيه في معركة بينهما، ولكن وفق في النهاية ما بين المعبودين في حكم أرض النيل. وقد برز «ست» ربا لمصر العليا و«حورس» ربا لمصر السفلى، وبعد ذلك اعتبر «حورس» مهيمناً على مصر كلها في حين ظل «ست» مجرد رب للصحراء المجذبة والأقوام البدائية. وحين سادت عبادة «أوزيريس» صار «حورس» ابناً له وابن أخ لـ«ست». وقد شب في مستنقعات الدلتا وحيداً ليتقم بعدها لأبيه «أوزيريس». عرفه اليونان باسم Harsiese أيضاً (= ابن إيزيس، أو : حور إيزيس).

(94) يكتبها «بدج» خ ت (Khati) k h. t ولكن الواقع أن رمز السمكة في الهيروغليفية ينطق صوتاً ما بين الحاء (h) والحاء (h) وهو الصوت [h] مما يقربه من الحاء.

في أثناء مناقشته لموضوع العلاقات اللغوية والدينية بين مصر والجزيرة العربية تعرض الدكتور أحمد فخري (دراسات في تاريخ الشرق القديم، صفحة 139-141) لـ «حورس» باعتباره اسماً غربياً (كذا) على اللغة المصرية. «ولكنه موجود في اللغة (السامية) وبعبارة أدق في اللغة العربية» - كما قال. ثم نقل ما يقوله الديميري عن ابن سيده في (حياة الحيوان): «الحُرّ: طائر صغير أنمر أصقع، قصير الذنب عظيم المنكين والرأس، وقيل إنه يضرب إلى الخضرة، وهو يصيد». وذلك تفريقاً له عن «الصقر» الذي هو كلمة عامة لكل طير يصيد من البازي والشواهين.

أما ابن منظور في (لسان العرب) فقد نقل ما أورده الديميري وأضاف أن «الحُرّ: هو الصقر» - كما قال ابن الأعرابي.

في لهجة عرب ليبيا حتى اليوم يُسمّى الصقر «الطير الحُرّ» (طير الحُرّ) وفي أمثالهم: «الذي لا يعرف الطير الحُرّ يذبحه ويشويه» كناية عن قيمته الرفيعة ومكانته العالية بين الطيور.

في المصرية يفيد الجذر «ح ر» معانٍ كثيرة مرتبط بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً:

ح r ح r : على، فوق.

ح r y ح r y : الأعلى.

ح r w ح r w : الأجزاء العليا، قمة.

ح r t ح r t : سماء.

ح r ح r : وجه (قارن العربية: حُرّ الوجه؛ ما ارتفع منه/الوجنة) والأصل: ح ر =

(طائر) الحُر = المرتفع، المتسامي، المحلق في الجو عالياً.

ومن الجائز جداً مقابله بالعربية «حَوْر» بمعنى دار وحلق في الفضاء، أي «حَوَم». ونذكر هنا أن كلمة «بو حَوَام» (أبو حَوَام = المحَوَم) لا تزال تطلق في ليبيا على ضرب من الصقور تفريقاً له عن «بوشراقة» (= الشقوق، الشقوق).

في ظننا أيضاً أن كلمة «حُرّية» في العربية ترجع إلى هذا. فهي مجموع معاني الانطلاق والسمو والارتفاع عن المعوقات، شأن طائر «الحُرّ» في سبائه العريضة، ولا ننسى أن «الحرية» نسبة إلى «الحُرّ» ثم صارت اسماً مصدرياً بعدئذ، واشتق منها: التحرر، التحرير، والصفة: حُرّ، أحرار، والجمع: حُرّيات... إلخ.

أما الاسم الذي عرف به اليونان هذا المعبود فهو «حورس» من جهة، والسين زائدة لغوية وقد أبدلت الحاء هاءً، و«هرسيس» Hersiese من جهة أخرى، أي: «حورس بن إيزيس» مأخوذة عن المصرية «ح ر. س. إ س» - hr. sa. is وعربيتها:

ح ر = حُرّ (الحُرّ).

س = ذو (ابن، ولد. الأكادية šu)

إ س = إز (عزّ، عزّة) = (عزّي).

(راجع إسم «إيزيس» وتحليله في هذه الدراسة) Hersiese = «حر ذو عزّي»/حر بن عزّي.

رمز الكلمة المصرية «أخ ت» في الميروغليفية كان جبلا ذا قمتين تغرب الشمس بينها. وكان الأفق أيضا موقع شروق الشمس وغروبها. وكان «أخ ت» موطن رب الشمس الذي كان يدعى «ح.ر. أخ ت ي» hr. Ahty، والمعنى: «حورس الأفق» (Hours of The Horizon).

من الواضح أن هذا اللقب مكون من كلمتين: «ح ر» hr (راجع المادة السابقة) + «أخ ت» a ht = الأفق (والنسبة إليه: «أخ ت ي» ahty) (Belonging to the Horizon) (أنظر: Gardiner; Eg. Gr., p. 550) - أي: «حورس الأفقي».

وإذا كانت «أخ ت» تترجم عادة بأنها تعني «أفق» فإن من معانيها أيضا: «قبر» (المصدر نفسه) وكذلك: «مشرق الشمس» (نفس المصدر، صفحة 489). وأغلب الظن أن المقابل العربي هو «خط» بتعاقب الطاء والتاء، نجده في مادة «خطط» في (لسان العرب) ويجمع على «أخطاط»: «الخط: الطريقة المستقيمة في الشيء». (وهذا هو شأن الأفق).

«التخطيط: التسطير». (ومن الواضح أن الأفق هو سطر على وجه الأرض).

«الخط - بالكسر: الأرض... والخط، وجمعها: خطط».

«خطة نائية: مقصد بعيد» (كأنه الأفق في بعده).

«خط: شق. خطه بالسيف نصفين، أي: شقه نصفين».

(وهذه تقابل «أخ ت» بمعنى «قبر» أي شق في الأرض).

«الخط: سيف البحرين، أو عُمان، أو هجر. وإليه تنسب الرماح الخطية». (والسيف:

ساحل البحر والجمع: أسياف. وواضح أن ساحل البحر يعني: الأفق).

«الخط: الأرض. والدار يخطها الرجل في أرض غير مملوكة ليتحجرها ويبنى فيها» (وهذا

هو الوضع بالنسبة للقبر).

وقد صارت كلمة «أخ ت» المصرية أخيرا كناية عن «المعبد» أو «القصر الملكي» (Luker; The

Gods..., p. 25). وفي (اللسان):

«واختط فلان خطة إذا تحجر موضعا (جعل حوله حجارة) وخط عليه بجدار» - أي بناه دارا

له، مثلما بنى المصريون القدماء المعبد أو القصر وهما من جملة الدور طبعاً.

ومهما قلنا الجذر «خطط» وجدنا أنفسنا تجاه: الأرض، الشق، البعد، الاستطالة

والاستقامة، وما إليها. وهذه جملة معاني «أخ ت» (= خ ت = خط) في المصرية، ومنها: «ح.ر.

أخ ت ي» التي هي «حورس الأفقي» أو «حر الخطي» بالضبط.

ولعله من المناسب هنا أن نذكر أن الفرعون «أخناتون» (أ.خ. ن. أتون) مجدد مذهب التوحيد في الديانة المصرية القديمة، ابنتى مدينة أسماها «أخ.ت. أت.ن» (تل العمارنة، الآن) ويترجم اسمها إلى «أفق أتون» (The Horizon of Aten). ولعل الصواب أن تكون «خطة أتون» بمعنى: دار، مسكن، أو مدينة أتون. قارن «خطة» تعني «مدينة» ومنها الجمع: خطط - خطط الكوفة، خطط البصرة، وغيرهما. وكتب «الخطط»، أي المدن، كثيرة جدا في التراث العربي منها، على سبيل المثال، «خطط المقرئزي». وكلها تعود إلى الجذر «خطط».

وقد دعا «أخناتون» المعبد الذي بناه للرب «أت.ن» باسم: «ح.ت. ب.ن.ب.ن» ht. Bnbn (أنظر: Budge; The gods..., ii. p. 73) ومعناه: «بيت المسلة» (House of the Obelisk) إشارة إلى الصلة بين الشمس (أت.ن) والمسلة (ب.ن.ب.ن). والمقابل العربي هو: «حيط البنية». (راجع مادة «ب.ن.ب.ن» في هذه الدراسة).

ح ر ش ف

ر ش ب و

يرجع الاسم الذي ذكره «بلوتارخ» بصيغة «أرسفيس» Arsaphes إلى الاسم المصري القديم «حرفش» Herishef وهو رب إخصاب بدائي في صورة كبش. وقد ظهر «حرفش» في مدينة هيراكليوبوليس Herakleopolis صورة لرب الشمس، وفي الأسرتين التاسعة والعاشره جعل نذًا للاله «رع» وحصل على قرص الشمس يعلو رأسه. ويمكن تتبع حقيقة أن «حرفش» عظيم باعتباره قيومًا (مانح مقوم الحياة) وأنه كان في مقدمة الأرباب، إلى وظيفته الأصلية وكونه رب إخصاب. وثمة صلة محتملة أيضاً بين لقبه «مولى الرعب» ورأس الكبش الذي كان رمزاً للعبادة والحشية المبحجة. وطبقاً للتفسير اليوناني فإن هذا المعبود شبه بهرقل.

كتب الغربيون اسم هذا المعبود بصور كثيرة مختلفة تكاد حقيقة الأصل تضيع معها. فعند «بدج» مثلاً (The Eg. Gods, p. 130) نجده Hershif، ونجده في كتاب آخر له (The Gods of The Egyptians, p. 401) في صورة Heri-sep-f. وعند «شيرني» (Cerney; The Ancient Egyptian Religion, p. 126) في صورة Ershōp، ويرجعه إلى المعبود الكنعاني «رشب» Reshep.

بيد أن ثمة عدداً من الباحثين الغربيين يترجم اسم «حرفش» بمعنى «على بحيرته» أو: الذي هو «فوق بحيرته». وهذا راجع إلى تقطيع الاسم إلى:

1) «حر» ḥr : فوق/على . عربيته : حُر (قارن مادة «ح ر») في هذه الدراسة لمزيد من التفصيل).

2) «ش» أو «ش ء» š, ša : بحيرة . العربية : شِيءٌ = ماء .

3) «ف» f : ضمير المفرد الغائب (يقابل العربية : هـ . والعربية الجنوبية واللهجة الجبيلية في شمال أفريقيا : س).

ومنهم من يترجمه «فوق رماله» باعتبار «ش/ش ء» تعني «رمل» في المصرية . العربية : «سبيء»، «سبيء» = رمال .

لكن من الممكن، في رأينا، أن يكون اسم «حششف» مكوناً من اسمي معبودين ؛ أحدهما لبيبي هو الآله «حا» ḥa رب الصحراء والقمر، وأصله من المصرية ḥca وهي ذاتها ḥaa (قمر . وأقرب جذر عروبي إليها : أرح، أرخ = قمر).

(أنظر : Cerny ; Ancient Egyptian Religion, p. 59) . والآخر المعبود الكنعاني «رشف» رب اللهب والحوف والأوبئة = «حا + رشف» = حششف .

ح ض - و ر ḥetch-ur

في العصور القديمة كان ثمة قرد يدعى في المصرية ḥdj-wr ومعناه : الأبيض العظيم - اعتبر في عصر بناء الأهرام صورة من صور الآله «تحت» .

هذا الاسم مكون من مقطعين :

1) ح ض (ويكتبها العلماء الغربيون في اللاتينية ḥdj, ḥd - لانعدام حرف الضاد عندهم) وتعني : أبيض، لامع، مشع... إلخ .

2) و ر - WR وتعني : عظيم، كبير، جسيم، ضخم... إلخ .

إذا أخذنا المقطع الأول «ح ض» وجدناه يقابل العربية في جذرها «حضا» : «حضات النار حضا» : التهبت . وحضاها : أوقدها . وحضات النار : سعرتها . قال تأبط شراً :

ونارٍ قد حضاتٌ بُعيد هَدْءٍ * بدار ما أريد بها مقاماً

وفي التهاب النار وإيقادها وتسعيرها معنى السطوع واللمعان، وهو الأمر في مادة «حضا» . كما نجد الشيء نفسه في مادة «وضح» ومنها : الوضح، والوضوح . كذلك في مقلوبها «ضحو» : الضحى والضحوة، والضحى . وكلها تفيد معنى النور والضوء المتصل بالبياض .

في المصرية نجد أمثلة :

h d. d w t : نور. (حرفياً : حضاً الضوء(ة) = وضح الضوء).
h d. t a : فجر. (حرفياً : حضاً الطائفة = وضح / وضوح الأرض).
h d : فضة. (حرفياً : الحضيء = اللامع، المشع، البارق).
(أنظر : Gardiner ; Egypt. Grammar, p. 583)

ومن الطريف هنا الإشارة إلى أن الفضة تسمى في اللهجة الليبية الدارجة «فُجْرَة». ولا تفسير لذلك إلا أنها مأخوذة من «الفجر» الذي هو كما يعرفه (اللسان) : ضوء الصباح = الوضع، الوضع، الحضاً. وهذا قريب جداً من اسم الفضة في المصرية h d (ح ض). وتتعاقب الحاء والفاء نجد الأمر واحداً (ح ض = ف ض ← فضة). ولا يغيب عن البال في هذا المقام أن الجذرين «فضض» و«فجر» (ومنها : فضة، وفجرة) يؤديان معنى الانفتاح والانبلاج (الفضّ والفجر). وكما أرجعنا «فجرة» إلى «فجر» يمكن القول بأن «فضة» تعود إلى فضّ الصبح أو شق نور الشمس للظلمة.

في مادة «ضح» (ضحح) وهي مقلوب «حض» h d نقراً : «الضحّ : الشمس. والضحّ : نقيض الظل، وهو نور الشمس. قال ذو الرمة :

غدا أهب الأعلى وراح كأنه * من الضحّ واستقباله الشمس أخضر

وأصله : الضحّي، فاستثقلوا الياء مع سكون الحاء فثقلوها وقالوا : الضحّ. ومن أمثال العرب :
جاء بالضحّ والريح. وضحضح الأمر : إذا تبين. والضحّ : الضوء».

(اللسان، مادة : ضحح).

أما المقطع الثاني «ور» (عظيم، كبير، جسيم، ضخم) فإن ما يقابله في العربية هو الجذر «وري». قال في (اللسان) :

«ورت الابل ورياً : سمت فكثر شحمها ونقيها وأوراها السمن. وأنشد أبو حنيفة :

وكانت كِناز اللحم أوري عظامها * بوهين آثار العهد البواكر

والواري : الشحم السمين، صفة غالبية، وهو الوري.

والواري : السمين من كل شيء... ولحم وري : سمين».

فالعظم وكبر الجثة والجسامة والضحامة مرتبطة بالسمن، أو السمنة، التي هي «الوري» في العربية، «ور» في المصرية. بل تعدى الجذر «وري» في العربية معنى السمنة إلى الضحامة عامة، فإن «الوراء : الضخم العريض الألواح» كما ورد في (اللسان).

إذا قابلنا، بعد هذا كله، تسمية القرد المعبود في المصرية «ح ض ور» h d. w r (الأبيض

العظيم) بالعربية «الحضاً الوري» (يحذف أداة التعريف : حضاً وري⁽⁹⁶⁾) لم نجاوز الصواب .

وعلى ذكر القردة نجد اسم القرد عامة في المصرية كما يورد «غاردر» : Gwf, Gif, Gf. (Eg.Gr. p. 598) ويذكر الدكتور محمد يوسف (مجلة اللسان العربي 10 / 1 صفحة 110) في مقالة له بعنوان «الألفاظ الهندية المعربة» أن «قرد» بالعبرية «كاف» kaph وبالمصرية «كافو» kafu وكتلتاهما ترجعان إلى السنسكريتية «كابي» Kapi - كما يقول . ولم يورد المقابل العربي . فإن سلمنا بأن Gwf, Gif (kafu أو Gf) المصرية هي ذاتها Kapi السنسكريتية فلسنا ندري كيف تصل الكلمة من الهند إلى مصر ، دون أن تمر ببلاد العرب فتعرب قبل أن تمصر ؟ والمرجع لدينا أن تكون الكلمة عروبية الأصل ، ثم انتقلت شرقاً إلى الهند وغرباً إلى مصر . أو لعلها ظهرت في مصر ثم انتشرت شرقاً ، وليس العكس . ودليلنا على هذا وجود الكلمة في اللغة الكنعانية : «قاف» qaf - ومعناها : «قرد» . وبها سمي حرف القاف الكنعاني Q القريب اسماً وشكلاً من القاف العربية . فإذا علمنا أن الحروف الكنعانية ليست إلا الحروف ، أو الأصوات ، الأولى من أسماء مسميات (الفاء : فو = فم . الكاف : كف . الميم : ماء . العين : عين . السين : سن . الياء : يد . . الخ) أدركنا أن القاف (= القوف) بمعنى «قرد» عروبية ، أو عربية ، لاشك فيها . (أنظر : نسيب الخازن ؛ من الساميين إلى العرب ، صفحة 39) .

ويذكرنا حديث الكلمات التي يقال إنها سنسكريتية (هندية) بكلمة مصرية أخرى هي كلمة «أبو» abw (فيل) . ويقول الدكتور محمد يوسف (المصدر السابق) إن في العبرية تعبير Shen Habbin أي : سن الفيل (الماء في «هين» للتعريف . بين = فيل . ومن المرجح أن المعنى الأصلي لـ«بين» هذه هو : عاج ، أبيض . قارن العربية : بين = ظهر ، شع ، وضح / بان) . وهذا التعبير يقابل السنسكريتية ibha danto (سن الفيل) .

وما يهمننا هنا هو كلمة ibha الهندية (فيل) التي تقابل المصرية «أ ب و» abw (فيل) التي جاءت منها تسمية «جزيرة أبو» في النيل عند الشلال الأول وترجمت إلى الأنكليزية Elephantine وسميت بالعربية «جزيرة فيلة» والصواب «جزيرة الفيلة» جمع «فيل» وتعريفها . وليس من الصواب الادعاء بأن العربية أخذت عن السنسكريتية ، فالكلمة مصرية قديمة للغاية . ومن المعروف للجميع أن الهنود أخذوا عن العروبية الأرامية ليس المفردات فحسب بل الكتابة المعروفة باسم «خاروستي» (أنظر : الخازن ؛ من الساميين إلى العرب ، صفحة 85) . والحق إذن أن كلمة «أبو» (فيل) وما قاربها (ibha الهندية ، habbin العبرية) ترجع إلى العروبية ولا تأتي من أقاصي الهند .

نلاحظ كذلك أن المصرية «أبو» تعني «فيل» ، ولكنها تعني كذلك «عاج» ivory (فولكنر

(96) لاحظ أن الهمزة في «حضاً» هي التي تلت الثنائي «حض» وهو الأصل الذي يقابل بالضبط المصرية «ح ض» h d . وكذا الأمر في الثلاثي «وري» بالنسبة للياء والأصل الثنائي هو «ور» الذي يكافئ بالضبط المصرية «ور» wr . ودليل أصالة الثنائي «حض» أنك تثلثه : حضاً ، حضب ، حضج ، حضاً - والدلالة واحدة . ودليل أصالة الثنائي «ور» تثليثه : ورش ، ورف ، ورم - وتربيعه : ورشن ، ورغم - والدلالة الأولية واحدة . (راجع : لسان العرب : ورش) .

صفحة 2). وهذه نقطة مهمة جداً إذ يبدو أن معنى «العاج» أسبق من معنى «الفيل» هنا، فهو من باب اطلاق الجزء على الكل لاشتهار الفيل بالعاج الذي هو نابه أو سنه. وعلينا هنا أن نأخذ القارئ إلى بعض المقارنات.

أولاً : في قاموس اللغة الكنعانية هناك كلمة «أن ه ب» التي يورد لها أنيس فريجة (ملاحم . . . صفحة 601) جملة مدلولات غير واثق من صوابها. من هذه المدلولات :

1) حيوان بري فيه، أو له رائحة جميلة.

2) رائحة، عطر.

3) أرنب.

4) أسلاب.

ويشاركه «غوردون» (Gordon ; Ugaritic Handbook, p. 212) في ترجمتها إلى «أرنب بري» hare ويقابلها بالأكادية «أنابو» annābu .

أما كونها تعني «أسلاب» فإن مقابلها العربي الجذر «نهب»/«أنهاب»، وصلتها بالأمر صلة الجذر «خلب» بكلمة «خلاب» التي صارت «خنب»/«خناب» (لص، سارق- في اللهجة الليبية الدارجة) وقد تكون الكنعانية «أن ه ب» مقابلة للعربية «أرنب» بتعاقب وقلب بين الراء والنون والهاء. وهذه من جذر آخر هو «رنب». وأما أن تكون بمعنى رائحة جميلة أو عطر فلا أدري ما جذرها (أنف ٢). ويقتضى القول بأن «أن ه ب» تعني حيواناً برياً وليس بالضرورة أن تكون له رائحة جميلة، اللهم إلا إذا اعتبرناه قطعاً برياً مما يأتي بالزباد الطيب الريح. وهذا ما يقربنا من كلمة مصرية أخرى هي كلمة aby (أ ب ي) وقد ترجمها «فولكنر» (ص 2) بالإنكليزية panther (فهد). وفي تصورنا أنها أقرب إلى قط الزباد القريب جداً في شكله من الفهد، بل هما من فصيلة واحدة.

هذا يدل على أن الكلمتين المصريتين «أ ب و» و«أ ب ي» تشتركان في الدلالة على حيوان بري، يقابلها في الكنعانية «أن ه ب». وكثيراً ما تضيف الكنعانية حرف الهاء وتدخله ضمن الكلمة كما تفعل السبئية (العربية الجنوبية). ولعل الأصل هو «أن ب» ومقابلته الأكادي «أنابو» وجذرهما معا : «ن ب».

إن الفيل والقط البري، أو الفهد، وإن شئت الأرنب البري كذلك، تتفق في أنها جميعها ذات «ناب» - أي «سن» - ولا تتفق في كونها جميعاً ذات مخلب. فإذا عرفنا أن «أ ب و» المصرية تعني «العاج» (= سن الفيل = ناب) استطعنا الربط بين هذه الألفاظ وقلنا إن «أ ب و» هي ذاتها «أ ب ي» وتتبعناها هكذا :

المصرية : أ ب و/ أ ب ي (النون ساقطة).

الأكادية : أنابو (النون مشددة).

الكنعانية : أن ه ب (الهاء زائدة).

العربية : نب ← ناب = سن الفيل، العاج، الفيل نفسه (بإطلاق الخاص على العام أو الجزء على الكل).

وقد يضايقنا هذا النمط من إسقاط الحروف في لغة وإضافة حروف إلى لغة أخرى حتي يُحسب أننا نتعسف الأمر تعسفاً. ولكن هذه طبيعة تطور اللغات على كل حال. ولنضرب لهذا مثلاً بورده جرجي زيدان (تاريخ اللغة العربية، صفحة 52) حتى يدرك القارئ الغاية. قال :

«أنبو كانت تدل في اللغة (السامية) الأصلية على الثمر عموماً، وما زالت تدل عليه في اللغة الأشورية والآرامية. أما في العبرية فقد أدغمت النون في الباء وعُوِّض عنها بالتشديد، فصارت «أبه». . . . وأما في السريانية فقد صارت «أبا» وهي تدل على الفاكهة. . . . وأما في العربية فقد حدث نحو ذلك ولكن «الأب» صار عندهم (يقصد : عند العرب) للدلالة على الكلاً والمرعى أو ما أنبتت الأرض. ولذلك قالوا : الأبُّ للبهائم كالفاكهة للناس. وتحولت «أنبو» بالابدال إلى «عنبو»، ومنها «عنب» للدلالة على نوع واحد من الشار هو ثمر الكرم. وهذه دلالتها في اللغات العربية والعبرانية والسريانية بعد أن كانت تدل في أقدم زمانها على الثمر عموماً».

فليُنظر القارئ ما حدث من تطور لفظي على «أنبو» فصارت «أبه» و«أبا» و«أب» ثم تحولت إلى «عنبو» ثم صارت في العربية «عنب»، وليتأمل ما جرى عليها من تطور الدلالة، ما بين الثمر عموماً والفاكهة بمختلف أصنافها، وما بين الدلالة على العشب الذي ترعاه البهائم، والدلالة على نوع خاص من الفاكهة - فهي تتقلب بين الخاص والعام، والسعة والضيق. وهذا ما حدث للكلمة المصرية «أبو» في مختلف تشكلاتها اللفظية والمعنوية كما رأينا.

إضافة صغيرة نورد هنا لمعرفة الصلات اللغوية العروبية الوثيقة ؛ إذ عرفنا أن المصرية «أ ب و» تعني «عاج». . . وهو مادة ناصعة البياض. . . أليس كذلك ؟ يقابلها في الكنعانية كلمة «إ ب» ومعناها : ذرة، جوهرة - كما ترجمها «غوردون» (Ug. Handbook, p. 202) - حجر كريم gem. كما تعني : لماع، صافٍ (فريجة ؛ ملاحم. . . صفحة 593). وهنا تستوي «أ ب و» المصرية و«إ ب» الكنعانية في الدلالة على البياض الناصع والصفاء واللمعان، عاجاً كانت مادته أو حجراً من الأحجار الكريمة(*).

(*) يذكر (معجم اللغة اللاتينية الاشتقاقي) *Dictionnaire étymologique de la langue latine* أن اليونان استعملوا كلمة *elefas* للدلالة على الفيل والعاج (ناب الفيل) معاً. والكلمة عنده مكونة من مقطعين *el-fas* وهو يرجع المقطع الثاني *fas* إلى القبطية (بنت المصرية القديمة) *ebu, ebou* والسين في *fas* زائدة يونانية، ويختار في أصل المقطع الأول *el* ومنشأه، ونحن نراه إما «ال» التعريف العربية، أو من الجذر العروبي «إل/أل» بمعنى : لمع، أشع، سطع، وبدا تكون *elfas* اليونانية تعني حرفياً «الناب اللامع» = العاج.

بيد أن الطريف في المسألة أن هذه الكلمة ذاتها «ح ق ت» - h q.t - (beer) وقد استبدلت صورة الضفدع المحددة بمحدّد آخر هو صورة دِن الخمر) تعني كذلك «جعة» (beer) وهي المخمر من المسكر (في مقابل المقطر) تصنع من نقيع الشعير أو الشوفان، كما تعني «مَبْرَزَة» (bre-wery) أي محل صنع الجعة (معجم يدج - صفحة 514).
وهي هنا تقابل العربية «غَقَّة» و«مغَقَّة» - مما يوضح ما ذهبنا إليه. ولا أجد شاهداً أنسب مما ورد في (اللسان).. قال :

«غَقَّت القِدْر، تَغِقُّ غَقًّا وغَقِيْقًا : غلت فسمعت صوتها. وغَقِيْق القدر : صوت غليانها. وغِقُّ غِقٌّ : لحكاية صوت الغليان».
فكان قِدْر الجعة في مصر القديمة كانت تَغِقُّ غَقًّا شديدًا حتى ليسمع صوت غَقِّها. فسميت الجعة «غَقَّة».. أعني : «ح ق ت» !

(2) «ق ر ر» Qrr

يذكر الأستاذ «إمبير» كذلك، وهو على صواب، أن المكافئ العربي هو الجذر «ق ر ر» (Ember ; 12.A. 41). وقد جاء في هذه المادة في (لسان العرب) :

«القُرَّة : الضفدعة» - هكذا بكل جلاء. والأصل : صوت الضفدع، مثلما هو الحال في «ح ق ت»، حين يصيح : قَرَرَرَر. قال ابن منظور :
«والعرب تخرج من آخر حروف الكلمة حرفاً مثلها، كما قالوا : رماد رَمَدَد، ورجل رعش رعشيش، وفلان دخيل دخلل. وأنشد يصف إبلاً وشربها :
كان صوت جرعهن المنحدر * صوت شِقْرَاقٍ إذا قال : قِرْرُ»

أليس صوت الضفدع في قرقرته أقرب من صوت الشقراق (= شقْرَاق) (ضرب من الصقور)⁽⁹⁷⁾ وأوضح حين تسمعه : قِرْرُ ؟ وهذا ما جعل اسمه في المصرية «ق ر ر» - qrr - حذو النعل للنعل، أو الصوت للصوت. والراء المكررة في «ق ر ر» هي ذاتها الراء المشددة في «قُرَّة» (الضفدعة). الفرق الوحيد أن «قُرَّة» مؤنثة و«قِرْر» مذكر. ويبدو أن الغلبة في صراع الآلهة الضفادع كانت، بعد الأسرة العشرين، للذكور منها ؛ فكان للمعبود «ق ر ر» بعد أن كانت للمعبودة «ح ق ت» من قبل !

إضافة صغيرة، للفائدة العامة : ففي اللغة النوبية يسمّى الضفدع «أَمْن كَرَكِ aman Karki» (بدر؛ اللغة النوبية، صفحة 149). وهو اسم مكوّن من كلمتين :

(97) في اللهجة الليبية الدارحة يدعى نوع من الطيور : «نِقْر» - nqrr - وقد تكون النون أصلاً نون الملكية أو الاضافة كما هي في الليبية القديمة والمصرية، بمعنى «ذو» أو «صاحب» (ن. قر. أي : ذو قر. ذو الصوت/المصوت). ولكن الطيور كلها مصوّنة. فلعل التخصيص جاء من طبيعة صوت هذا الطائر «قِرْر» (مثل الشقراق).. صوت مزعج لا تطرب فيه ولا تغريد.

وقد فسّر ابن منظور «الحُكل» بأنه : العجم من الطيور والبهائم ، في شرح قول الشاعر :
لو أنني أُعْطيت علم الحُكلِ * علم سليمان كلام النمل
وليس ثمة ما يمنع من فهم «علم الحُكل» على أساس أنه «علم السحر» أو «علم السِّحرة»
- أي العلم الغامض المبهم ، ومنه علم لغة الحيوان وكلام النمل الذي اشتهر به سليمان .
ويبدو أن مادة «حكل» في الأساس تدل على الغموض والابهام كما تشير إلى الظلمة والسواد
وكل ما لا يتبين .

وحين نقلب حروف هذه المادة نجد :

حلك . الحُلُكة : السواد . حالك الليل : مظلم الليل . الظلام الحالك .
كحل . الكحل : مادة سوداء تظلل بها العين . وكحل عينه : سوّدها ، واكتحل كذلك .
كلح . الوجه الكالح : ضد المضيء . الكالح : العابس المسوّد .

هذا من حيث مقابله «ح ك ء» بـ«حكل» . لكننا نجد في مادة «حكأ» في العربية شيئاً لافتاً
للنظر :

«حكأ العقدة : شدّها وأحكمها .

احتكأ الشيء في الصدر : ثبت . ومنه : احتكأت العقدة . يقال : سمعت أحاديث فما
احتكأ منها في صدري شيء ، أي : ما تحالج .»

ومن المعروف الصلة بين السحر والعقد ، أو الحكأ = إحكام العقد . ومن ذلك «النفاثات في
العقد» أي الساحرات ، كما ورد في القرآن الكريم (سورة الفلق / 4) .

وإذا كان «الحكأ» يعني أصلاً : العقد والشد والثبات والاختلاج ، كما هو مقرر ، فإن الصلة
بين هذه كلها وبين السحر واضحة ، خاصة أن «الحكأ» يستعمل أصلاً للدلالة على «شدّ العقدة» ،
وهو سلوك سحري قديم معروف . وقريب من هذا مادة «حوك» و«حيك» ومعناها : نسج . حاك ،
يحيك ، ويحوك ، حياكة . ومنها الحائك : الناسج . وهذه متعلقة بالعقد ؛ إذ ينسج الساحر سحره
نسجاً ، أو «يجوكه» ، فهو «حائك» السحر . ومن ذلك قولنا : حائك المؤامرة - وذلك في مجال تدبير
الشر والاعداد له . وما السحر - في الغالب الأعم - إلا تدبير للأمر (أو المؤامرة) بالسوء .

وبهذه الكلمة «ح ك ء» ترتبط كلمة أخرى في المصرية هي «ح و» h w التي يقول عنها «شيرني»
(Cerny ; Ancient Egyptian Religion, p. 51) إنها إحدى صفات المعبود «تحت» باعتبارها نطقه الخلاق
Creative utterance إلى جانب قوته السحرية magic power «ح ك ء» . ويقول «غاردنر»
(Eg. Gr., pp. 463, 580) إن «ح و» h w تمثل النطق السلطوي الجازم (authoritative utterance) .

وما دام الأمر متعلقاً بالسحر وبالنطق السلطوي الجازم ، فإن من الواضح أن «ح و» المصرية
ليست إلا «وحي» العربية عن طريق القلب (و ح < ح و) :

☞ وهذا يعني ارتباط السُّحر بالليل والظلام (السُّحر) على وجه الخصوص ، مما يؤكد الصلة المعنوية بين «الحكل»
و«السحر» .

«الوحي : الاشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي» .
وهذه من صفات المعبود «تحت» ذي الكلمة الخلافة ومخترع الكتابة، أو الموحى بها، عند
قدماء المصريين .

ح.م.ك.ع h e m k a

لقب يعني «العاقل» أو «الحكيم» . وقد عرف به رجل عاش في
عصر الأسرة الأولى على عهد الملك «سمتي» . وهو يعادل اللقب
المطول «س د.ع. ت ي - ب ي . ت ي» «s d a . T y - b y . t y» الذي
يترجم بـ «المستشار الملكي» * أو «خازن ملك مصر السفلى» **. وكان
ذا نفوذ عظيم .

اسم الفرعون «سمتي» معروف في عصر الأسرة الأولى، وهو عصر توحيد شطري مصر، وهو
أصلاً «س م . ت ي و ي» (زأم، أو ضأم، الطأتين = موحد الأرضين) .

أما اللقب المطول «س د.ع. ت ي - ب ي . ت ي» فهو مكون من كلمتين : «س د.ع.
ت ي» + «ب ي . ت ي» . وقد ترجمها «بدج» : المستشار الملكي (Royal Chancellor) . وترجمة
«ييفين» : خازن ملك مصر السفلى (The Treasurer of The king of Lower Egypt) . وكلمتا «ملكي»
و«ملك» (مصر السفلى) جاءتا ترجمة للكلمة الثانية في اللقب : «ب ي ت ي» «b y t y» ، وأصلها
«ب ي» «b y» ، أثنت فصارت «ب ي ت» «b y t» وألحقت إليها ياء النسبة فكان «ب ي ت ي» «b y t y» .
وهي تعني : ملك، وبالتحديد : ملك مصر السفلى، أي الدلتا . وقد وفيناها حقها من البيان في
مادة «ب ت» من هذه الدراسة . فليرجع القارئ إليها .

وتبقى لدينا الكلمة الأولى «س د.ع. ت ي» . وهي كرفقتها : التاء للتأنيث، والياء للنسبة،
في آخرها . وتبقى «س د.ع.» «s d a» التي ترجمها «بدج» : مستشار (Chancellor) وترجمها «ييفين» :
«خازن» (Treasurer) . والترجمتان قريبتان بعضهما من بعض . فكيف ذاك ؟

في «معجم فولكنر» (صفحة 258) نقرأ :

«س د.ع. ي ت» «s d a y t» : خاتم، طابع .

«س د.ع. و» «s d a w» : حامل الأختام (وهي نفسها «خ ت م و» «h t m w»)

«س د.ع. و ت» «s d a w t» : كنوز، أشياء ثمينة .

«س د.ع. و ت ي و» «s d a w t y w» : خزانة (جمع خازن) .

* Budge ; The Gods of The Egyptians, II, p. 114 .
** S. Yeivin ; The Ceremonial Stale-palette of King Narmer, (Studies in Egyptology and Linguistics), p. 42 .

وهذا يعني أن الجذر «س د» يدل على الحفظ والمنع، كالحتم والطبع والكنز والخزء ونحوها.

في العربية نجد الجذر الثنائي «سد» ومنه الثلاثي :

سدود : السدء : الغلق

سدر : السءدار : الكلة (الحجاب).

سدف : السءدفة : الظلمة.

سدل : السءدل : الستر.

سدم : سدم الباب، وسطمه : أغلقه.

سذن : السذن والسذانة : الحجابة. الساذن : الحاجب - وهو : خادم الكعبة والأصنام (في

الجاهلية).

بهذا يتضح أن «س د ت ي» نسبة مؤنثة إلى «س د» التي تفيد الحجب، فهو «الحاجب» (أي الوزير، أو المستشار) وهو «الحاجب» (أي خازن المال، صاحب الخزانة، أو حامل أختام الخزان الملكية التي تحوي نفائس الملك ومقتنياته الثمينة). . أعني أنه : الساءء، السءدار، السادف، السادل، السادم، أو. . الساذن. وكل ما في الأمر أن الهمزة في المصرية حلت محل حروف أخرى في الجذر الثنائي «س د» - كما فعلت العربية بالضبط. . والمعنى واحد.

فهل اتضح الآن اللقب «س د ت ي . ب ي ت ي» الذي بدا لنا غريباً في البداية ؟

فلنمض إلى «ح م ك ء» h m k a وننظر في أمره. وقد نقرأه «ح م ك» بدون إيراد الهمزة، ومعناه : عاقل، حكيم. فنرى أنه مقلوب «ح ك م» العربية التي أدت إلى «حكيم»⁽⁹⁹⁾. ولكن

(99) كتب «هـ. ر. هول» في كتابه (تاريخ الشرق الأدنى القديم، صفحة 108) (H.R. Hall ; The Ancient History of The Near East, P. 108) عن شخصية مهمة في ذلك العصر البعيد (عصر الأسرة الأولى) اسمها لديه (Hemaka) أو (Hekama) كما يكتبها بالحرف اللاتيني (قارن القلب المكاني هنا). وقد اكتشف في قبر صاحبها تسجيلات دينية كثيرة. وفيما تلا من الزمان صارت هذه الشخصية في التراث المصري ملكاً تقياً مثقفاً (أي : حكيماً). ويرجح أن في عهده كتبت فصول من (كتاب الموتى).

وفي عهده - كذلك - نرى أول ذكر لمهرجان «س د» Festival of Sed.

ويترجم «هول» كلمة «س د» بمعنى «الغاية» أو «النهاية» The End وهي حرفياً : «الذيل» The Tail.

وقد كتب الكثير عن «مهرجان الذيل» هذا (راجع مثلاً Wainwright ; The Sky-Religion) وهو احتفال كان يقوم فيه الملك بأداء رقصة للآلهة مرتدياً ذيل حيوان (طوطم) كل ثلاثين عاماً - إذا ما طال عمره - أو بعد الأحداث الكبرى، طلباً أن تطيل الآلهة عمره (أنظر (Budge ; An. Eg. Hier., p. 714). وما يهمننا هنا هو كلمة «س د» sd (التي تكتب كذلك sty و sd). وهي - في ظننا - ذات صلة بكلمة «سد» العربية ؛ فإن ذيل الحيوان في الواقع ليس إلا «سداً» مانعاً أو سترأ واقياً - كما تعرف. وهذه من مادة «سدد» (ثنائياً «س د»). فإذا لم تكن القراءة st و sd (جذر sty من باب تنوع نطق sd)، فإننا واجدون في مادة «سسط» (ثنائياً «س ط») العربية معنى الاختفاء. كذلك في «س ت» التي أدت إلى الثلاثي «سته» و«است» (عما يقابل «الذيل» عند الحيوان) كما أدت إلى الثلاثي «ستر» ومعنى الاختفاء فيه لا يخفى !

الكاف تقرأ أحياناً قافاً فهي إذن «ح م ق ء» h m q a (وطبيعي ألا يكون لها صلة بالحمق الذي هو ضد الحكمة بالطبع!) فلا بد من مراجعة تبين جلية الأمر. وهذا ما نجده في الأكادية. . إذ نقرأ في تلك اللغة العروبية :

إميقو : وتعني «قوي» كما تعني «يصلي بحرارة». ومنها «بعل إموقي» (= الرجل القوي). ولها معنى ثالث هو : «حكمة». (Weir ; pp. 81, 247).

ومن الواضح في العربية الصلة بين «الحكمة» بمعنى الرزانة في العقل، والانقطاع للنظر العقلي (تقابل الصلاة بحرارة في الأكادية) و«الحكم» بمعنى التحكم والملك والسلطة. وفي الأخيرة - كما في الأولى - معنى «القوة». والشيء نفسه يحدث في الأكادية ؛ فإن الجذر الذي اشتقت منه المفردات ذات الصلة بالأمر هو «إ م ق» - والعين في تلك اللغة تبدل همزة كما هو معروف ؛ فهو يقابل الجذر في العربية «عمق».

فإذا أخذنا «عمق» وجدنا منها : العُمق - أي بعد الغور. عمق، يعمق، عمقاً وعموقاً، فهو «عميق». وهذه صفة الحكيم عميق الفكر والنظر في المسائل، فهو «يتعمق» فيها عادة.

لكن الجذر «عمق» يؤدي بنا من ناحية ثانية إلى الرباعي «عملق» والصفة منه «عَمَلِقٌ» و«عَمَلِاقٌ» و«عَمَلِيقٌ» . . . أي القوي الشديد⁽¹⁰⁰⁾. وهو ذاك «الحكيم» (من الجذر : حَكَم).

يؤيد ما ذهبنا إليه ما في اللغة العروبية الكنعانية ؛ إذ تعني «ع م ق» في تلك اللغة : «حكيم» - كما تعني : المكان العميق، أو الوادي. (فريجة ؛ ملاحم وأساطير. . . صفحة 648).

ولم ينته القول بعد . . .



إن النظر في رسم هذا اللقب بالهيروغليفية قد يفتق لنا معنى آخر. فهو عند «بدج» ولكننا نجده عند «فولكنر» (صفحة 169) في صورتين :

𐎗𐎍𐎗𐎍 hm-ks soul-priest

كاهن الروح.

𐎗𐎍𐎗𐎍 hm-ks soul-service

خدمة الروح.

ونرى أن «سادن» و«سدانة» تقابلان بالضبط معنى «كاهن الروح» و«خدمة الروح» حسب ترجمة «فولكنر» لـ «ح م . ك ء»، الأولى حسية محدّدها صورة الرجل الجاثي على ركبته الماديده ابتهالاً (= خادم) والثانية مجردة محدّدها علامة التجريد في الهيروغليفية .

واللقب هنا ينقسم إلى مقطعين :

(1) «ح م» h m : خادم، خدمة. (= حمو/حمي. قارن مادة «ح م . ن ت ر» في هذه الدراسة).

(100) تختلط مادتا «عمق» و«عملق» في العربية، فإن «العملقة» تعميح الكلام. وقد تقلب «عمق» إلى «معق» ؛ ففي قوله تعالى : (وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) قال الفراء : لغة أهل الحجاز معيق. (اللسان، مادة : عمق). ونرى أن الجذر الثنائي «عم» يدل - في مجموعه - على القوة في أي شيء (راجع مادة «ع م و» في هذه الدراسة).

(2) «كء» k3 : نفس، روح. (أنظر مادة «كء» في هذه الدراسة) وقد قابلناها بالعربية «جاه» أو «قوي».

وعلى هذا نكافئ «ح م. كء» (أو: «ح م. قء» h m. qa) بالعربية «حمو جاه»، «حمو الجاه» - أي «عبد الجاه». أو «حمو قوي»، «حمو القوي» = «عبد القوي». والله أعلم بالصواب!

ح م - ن ت ر h m - n e t e r

لقب يطلق على الطبقة العليا من كهنة المعبد، ويعني حرفياً:

«عبد الرب» (Budge ; The Gods of The Egyptians, ii, p. 26)

هذا اللقب يتكون من كلمتين:

(1) «ح م» h m (ويرمز للكلمة هيروغليفيًا بالعصا): عبد، خادم. (غاردر: Eg. Gr., p. 581). عربيتها: «حمو»، «حمي». وهي تعود إلى «الحماية» أي المنع: إذ يكون العبد في حمى مولاه، فهو محمي به.

ونلاحظ أن «ح م» h m في المصرية تعني العظمة والجلال. وهي كذلك في العربية، فمن الجذر «حما» تشتق «الحمية» أي الأنفة والعزة. (أنظر مادة «حما» في «اللسان» لمزيد من التفصيل عن المشتق من هذا الجذر ومعانيه المختلفة وقارن: «مولى» إذ تأتي بمعنى «سيد» وتأتي بمعنى «عبد» كذلك).

نلاحظ أيضاً أن التفرقة بين المعاني المشتقة من «ح م» في الكتابة الهيروغليفية تكون بوضع ما يسمى «المحدّد» أي الصورة المناسبة بجانب الرمز 𓄀 (العصا التي ترمز إلى الحماية = الدفع) لتدل على المقصود. فإذا كان المعنى «خادم» أو «عبد» وضعت صورة رجل جاثٍ على ركبتيه باسطاً يديه متضرعاً. وعندما يراد الجلال والملك تكون صورة فرعون جالساً بيده صولجان. وللتعبير عن المؤنث (ح م. ت) أي: خادمة، أمة، أو حتى: زوجة - تصور امرأة جالسة. وتسمى الملكة «ح م. ت - ن س و» h m. t-n s w (عربيتها: «حمية نشأ» = زوجة الملك)، كما تسمى كذلك «س ت. ح م ت» s t. h m t (عربيتها: الست⁽¹⁰¹⁾ الحمية). وهناك كلمات كثيرة تعود إلى الجذر «ح م» غير هذه.

(2) «ن ت ر» n t r : الرب، الآله، المعبود. (عربيتها: ناظر. راجع مادة «ن ت ر» في هذه الدراسة لمزيد من البيان).

(101) أي «السيدة». وكلمة «ست» بهذا المعنى أصيلة في المصرية، وهي في الكنعانية (ش ت). والأصل تأنيث بالتاء لـ«س»، «ش» بمعنى: إنسان، رجل.

بذا يكون «ح م . ن ت ر» يكافئ : حمو نظر = حمو ناظر/«حمو الناظر» = عبد الرب .

وهذا اللقب يقابل اللقب البابلي المشهور «حمو - رابي» (حوربي/حمو - راب) أي «حمو الرب» أو «عبد الرب». وقد يكون المقصود «المحمي بالرب» (حمي الرب) - كما استعمل خلفاء بني العباس : المعتصم بالله ، الواثق بالله ، المعتضد بالله . إلخ . كل ما في الأمر أن المصريين القدماء استعملوا كلمة «ن ت ر» والبابليين استخدموا كلمة «رب» والعباسيين اتخذوا كلمة «الله» والمعني في جميع الأحوال واحد .

أما غير «الكاهن الأكبر» من هذه الطبقة العليا من الكهنة في المعبد المصري القديم فيحمل لقباً آخر هو «ح م - ك ء» h m - k a . والرمز الهيروغليفي له : عصا (العبودية) ويدان مرفوعتان (الرفعة والسمو والمنزلة العظمى = جاه . أنظر مادة «ك ء» في هذه الدراسة) . ويقابل هذا اللقب عربياً : «حمو الجاه» .

وأما رئيس الكهنة فيدعى : «ح م . ن ت ر . ت پ ي» h m . n t r . t p y . وهو لقب يعني : «رئيس خدام (سدنة) الرب» . حرفياً : «خادم الرب الرئيسي» .

جاء في (لسان العرب) :

«التابُّ (قارن : ت پ - t p) : الكبير من الرجال . والأُنثى : تَابَةٌ» . (مادة «ت ب»).

وقد سبق شرح «ح م» ، وينظر شرح «ن ت ر» في موطنه . فإذا أردنا المكافأة بالعربية قلنا إنها : «حمو الناظر التابُّ» .

أخيراً نذكر أن «ح م . ن ت ر» h m . n t r ظلت لقباً مستخدماً في الكنيسة القبطية في صيغة «هُنْت» hont⁽¹⁰²⁾ . وهذا ما يظهر كيف تجرى صروف الزمان على الألفاظ فتتحول صورها وتبديل حتى تتشوه تشوهاً يخفى معه أصلها الأصيل ، فتحسب من جملة الدخيل وهي العربية القححة .

ح ن ب ي Henbi

معبود قد يكون ربا لغللال الأرض وتساؤها . وترد كلمة «ح ن ن ب ت» في (كتاب الموتى) لتعني ثمار الأرض والفاكهة . وتذكر صلة هذا المعبود بمدينة «حنن - سو» (حاليا : أهناسيا) في «لوح حورس» الذي غرس قرباناً له مزرعتي كرم ، ويسمى أحياناً «ح ن ب ي» h n b y⁽¹⁰³⁾ .

Budge ; The Gods of Egyptians ; p. 22 (102)

(103) المصدر السابق ، ص 63 .

يترجم «بدج» (ح ن ب ت) «h n b t بأنها تعني «أرض الحَبِّ، ميرة» (Corn-land, provision) . وهذا يجعل المكافئ العربي لها : حَب، حبوب . والنون زائدة (حنيبي = حَبِيٌّ) .

لكن غرس مزرعتي الكرم (two vineyards) وورود «ح ن ب» ملازمة للكرم تجعل المقابل العربي «عنب» أقرب . وبذا تكون : «ح ن ب» = «عنب» . «ح ن ب ت» = «عنبَة (مؤنثة)» . «ح ن ب ي» = «عنبي (الصفة بياء النسبة)» . وكل هذا بتعاقب العين والحاء .

وقد وردت «عنب» في القرآن الكريم مرتين مفردةً، وفي إحداهما مقترنة بالحَبِّ : «فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنْبًا وَقَضْبًا» (عبس/28) . وجاءت تسع مرات بصيغة الجمع «أعناب» ، مقترنة في أغلب الأحوال بالجنان والحداثق والنخل والزيتون والفاكهة والحَبِّ والزرع ، مما هو من ثمار الأرض وفاكهتها .

فإذا كانت كلمة «عنب» تدل الآن على ضرب معين من الشجر ذي العناقيد التي يتخذ من عصيرها الخمر المعروفة، فإن الجذر «ح ن ب» تقلب به الحال بحسب الزمان والمكان . فهو كان في الأكادية (الأشورية) والآرامية «أنبو» ويعني الثمر عموماً . وأدغمت النون في العبرية وشدّدت الباء فصار «آبه» - واشتقوا من هذه اللفظة الفعل «أبب» أي «أثمر» . ونجدته في السريانية «أبا» وهي الفاكهة على التعميم، كالتين والبطيخ والزبيب واللوز والرمان . . . إلخ . وفي العربية هي «أب» (وَفَاكِهَةٌ وَأَبًا) وفسرت على أساس أنها تعني المرعى والكلاء أو ما أنبتت الأرض . (جرجي زيدان ؛ تاريخ اللغة العربية، صفحة 52) .

ويبدو أن الأكادية «أنبو» تطورت في العربية إلى التجاهين، أحدهما حذف النون وشدّدت الباء فكانت «أب» (نبت، مرعى، كلاء) والآخر أبدل الهمزة عيناً واحتفظ بالنون فكانت «عنب»⁽¹⁰⁴⁾ . وقد تعاقبت العين مع الحاء في المصرية «ح ن ب» وفيها المعنيان : النبت أياً كان، والفاكهة، وخصص نتاج الكرم . فهي من جهة تقابل «أب» (= حَبِّ) وتقابل من جهة أخرى «عنب» - وكلها مرتبط بعضها ببعض .

ح و ه ه Hu

عرف عند اليونان باسم «سفنكس» Sphinx وهي كلمة يقصد بها في الأصل كائن له جسم حيوان ورأس إنسان . وقد عرفت تماثيله عند اليونان والمصريين ، وأشهرها ذلك الموجود بالقرب من أهرام الجيزة يكون جزءاً من مدفن الفرعون «خفرع» (حوالي 2450 ق. م)

(104) الواقع أن العين في «عنب» هي التي أبدلت همزة في الأكادية «أنبو» أو على الأصح في الكتابة المسارية ولعلها كان تلفظ عيناً ؛ إذ من المعروف أن الأكادية أبدلت العين همزة في الكتابة المسارية السومرية الأصل التي لا تحوى رمزا للعين .

وله جسم أسد ورأس إنسان لعله تمثيل لوجه «خفرع» ذاته، يواجه الشمس. ويقال إن هذا التمثال كانت طمرته الرمال فظهر صاحبه في حلم للأمر «تحتمس» واعدأ إياه بحكم مصر إن أزاح عنه الرمل. وقد فعل، فحكم وادي النيل تحت اسم «تحتمس الرابع» (1425-1417 ق.م). وكان ينظر لهذه التماثيل باعتبارها حامية دافعة للشر في مصر، بينما كانت في بلاد اليونان شراً يستعاذ منه.

يسمى هذا التمثال الشهير عند أهرام الجيزة «أبو الهول» في العربية. ويؤكد «بدج» (The Gods of The Egyptians, ii, p. 361) الفرق الكبير بين «السفنكس» اليوناني والمصري، فقد جاء الأول في الأساطير باعتباره ابن «تيفون» و«خميرا» وكان مجنحاً برأس امرأة ذات ثديين دائماً، بينما يشبه الثاني الأسد برأس رجل دائماً. ويقول: «إن (سفنكس) الجيزة كان يقصد به أن يكون حارساً وحامياً للأموال ومدافعهم، ولا شيء آخر. وما رده «بلوتارك» وغيره من كونه يمثل الحكمة الغامضة عند المصريين مجرد خيال. وقد اعتقد صانعو (السفنكس) في مصر (أي: أبو الهول) أنهم يقدمون مأوىً ضخماً لروح رب الشمس، ينتظرون أن تسكنه لتحمي موتاهم».

وتدفعنا طبيعة الحماية والقوة والحراسة في «السفنكس» المصري إلى النظر في دلالة اسمه الذي يشير إلى هذه الخصائص ويحمل معناها لا ريب، ومقارنته بما في العربية.

نلاحظ أولاً أن هذا الاسم يكتب بالرموز الهيروغليفية هكذا: أو وهو يقرأ عادة «ح و» (hw) - وترجم بمعنى القوة أو الحماية («بدج»؛ نفس المصدر السابق). ويقول «بدج» إن «سفنكس» الجيزة (أي: أبو الهول) قد يكون شديد في وقت عمت فيه عبادة الأسد في الدلتا أو مصر السفلى، ولذا وضعت صورة الأسد الرابض على يمين رمزي «ح و» في الهيروغليفية لهذه الغاية. وقد يكون هذا مقبولاً، ولكن المقبول والمنطقي اعتبار الأسد الرابض حرفاً ثالثاً هو، في هذا الموطن، حرف اللام⁽¹⁰⁵⁾. وبذا تكون «ح و» الثنائية «ح و ل» الثلاثية.

كلمة «حول» العربية المكافئة تقدم المعنى المقابل للقوة Strength والحماية/المنعة Protection (كما ترجم «بدج» (hw)). فالحول هو القوة، وهو «الحيل» كذلك وتشير الاشتقاقات من «حول» إلى القوة والنشاط والحركة مما يقابل Strength. كما تشير إلى المنعة والحماية: -حَال، يحول، حولاً وحيلولة: منع ودفع Protect. ومن هنا نرى أن «الحول» تؤدي معنيي القوة والحماية وهي الفكرة من «السفنكس» المصري (أعني: أبا الهول) الذي نرى في الأصل: أبو الحول - وقد تعاقبت الحاء والهاء وهما من منفذ صوت واحد تقريباً. أما «أبو» (أبو الهول) فهي ما يقابل: «أحو»، «ذو» بمعنى تلازم الصفة (الاسم المضاف). نقول: أبو الفضل، أخو الفضل، ودو الفضل = صاحب

(105) لا يوجد في ما اصطلاح عليه من «الأبجدية» المصرية حرف اللام، وهو يبدل غالباً راءً أو همزة، أو يسقط. لكن الأسد الرابض اعتبره «شامبلون» لأمأ عند فكه رموز الهيروغليفية في تحليل اسمي «بطليموس» و«كليوباترة». وهذا الرمز ذاته يقرأ راءً في مواطن أخرى.

(أنظر: (Budge; Egyptian Language, p. 19. Gårdiner; Eg. Grammar, p. 14).

الفضل/أبو المروءة، أخو المروءة، ذو المروءة = صاحب المروءة/أبو الحول، أخو الحول، ذو الحول = صاحب الحول (القوي، الحامي)⁽¹⁰⁶⁾.

لكن لا نستبعد أن تكون «أبو» التي تسبق «الهل» (الحول) أصلاً هي أداة التعريف في المصرية «بء» pa (= با) التي انتقلت إلى القبطية pa, pe. فيكون الأصل المصري القديم «بء ح و (ل)» (با حول = بو الحول - أي القوة، أو القوي) وصارت: أبو الحول. (أنظر في أداة التعريف: Budge; Egyptian Language, p. 112). وقد نقابل - من باب التسهيل - المصرية «با حول» (paḥw(ا) بالعربية: «باحول» التي تأتي بمعنى «أبو» (با عزيز، با سليم، با خليل) في بعض اللهجات العربية.

هذا ما نراه. لكن للدكتور أحمد بدوي (في موكب الشمس، الجزء الأول، صفحة 223) رأياً يرجع فيه نشأة اسم «أبي الهول» إلى الكنعانيين من الأسرى الذين «من الراجح أنهم أقاموا حول منطقة أبو الهول يعبدون إلهمهم (حورون) وكان يرمز إليه بطائر في هيئة الصقر ثم ينطلقون إلى أبو الهول ولا يجدون حرجاً في خلق الصلة بين معبودهم ذلك وبين الشمس التي قدست في صنم أبو الهول... والغالب أن يكونوا قد أسموا المكان كله من حول الصنم «بوحول»، «بي حول» بمعنى «بيت حول» وأن يكون ذلك قد حُرِّف مع الزمان إلى كلمة «أبو الهول» التي يحملها التمثال اليوم علماً عليه. والله وحده يعلم الغيب من كل أمر». انتهى نص الدكتور بدوي.

وواضح أن العالم الكبير أحسّ، فيما يبدو، بعروبية اسم «أبو الهول» وحاول تأصيله، عن طريق التخريج والترجيح. وما نظن أن قد فاتته أن (حورون) معبود الكنعانيين هو ذاته «ح ر» (حور، حورس) المصري أي الصقر، طائر «الحر» العربي (ويرمز لحورون الكنعاني بطائر في هيئة الصقر). ولكننا عرفنا أن «أبو الهول» (السفنكس المصري) غير ذي جناح، ولا صلة له بهيئة الصقر، ووجود الأسد الرابض في رسم اسمه الهيروغليفي، حرفاً كان أو محدداً، ألصق بمعنى القوة فيه (الحول، الحيل). أما أن يكون الأصل «بي حور» (= بيت حول) أو «بي حول» (= «بيت حول» فذلك بعيد لانعدام الصلة بين «حور» والتمثال... اللهم إلا أن نجعله بمعنى «بيت القوة (الحيل)»؟

ولقد رأينا ما ذهب إليه الدكتور بدوي معتمداً على التخريج المعتمد على التشابه اللفظي دون دليل من نقش أو أثر يثبت ما يقول. وهذا ما يجعلنا نميل إلى الأخذ بما سبق ذكره من بيان.

(106) نستصوب المقارنة هنا باسم مشهور في عصرنا هذا هو اسم إمبراطور الحبشة المطاح «هياسلاسي» فإن اسمه يعني «مثلث القوة» (Triple-power) أو: «القوة الثلاثية» (هيل = حيل + قوة) + سلاسي = ثلاثي. هياسلاسي = حيل ثلاثي). وكذلك اسم «هيلامريام» (هيل = حيل + مريم. حيل مريم، قوة مريم «العذراء»). ولعل هذا يوضح للقارئ كيف تعاقبت الحاء والهاء في «أبو الحول/أبو الهول» كما فعلت في «هيل» الحبشية، وهي لغة عروبية كذلك.

خ ب س . ت ء — khebs-ta

كان مهرجان «حرث الأرض» حفلاً سنوياً اشتهرت به مدينة
(أهناسيا) في بداية موسم الحرث بعد موسم الفيضان. وقد اتخذ اسم
المهرجان من «خ ب س . ت .» hbs.ta بمعنى «حرث
الأرض»⁽¹⁰⁷⁾.

هذه التسمية مكوّنة من كلمتين :

(1) «خ ب س» hbs حرث .

العربية : خبش . الفصحى : خمش = خدش . أي : جرح وحفر أخاديد في الوجه أو الجسم ، أو
الأرض = حرث . و«خمش» ذات صلة بـ«خمس» (الرقم 5 والأصابع التي يخبش / يخبس / يخبش
بها . قارن بحث الأعداد والأرقام في هذه الدراسة) . ويقال في اللهجة الدارجة : «يخبش» (كما
يفعل الهر مثلاً) . ومنه : التخبيش . والخبش : الخط . والخبشة كذلك ، وهو التوقيع (خبشة
السلطان = توقيع . أي كتابته وخطه) .

(2) «ت ء» ta : أرض .

العربية : طاة ، طاءة ، طائة ، تأط (وطا = أرض) . وكذلك : طية ، تيه .
وحرف التاء في «ت ء» يقابل حرف الطاء الذي يدخل في : «طين ، وطن ، طوب ، طود» وكلها
متصل بالأرض .

وكذلك : «وط ء» = المشي على الأرض . والطية = الأرض .

«خ ب س . ت ء» = خبش الطاة (حرث الأرض) .

خ ب س و Khabsu

حرفياً : الآلهة النجمية (Starry dieties) . وترد في (ترنيمه

أوزيريس) ، أحد فصول (كتاب الموتى) ، يوجه إليها الخطاب بهذه
الصفة تمجيداً . والمقصود : أيتها الآلهة الساطعة أو النارية .

(Budge ; The Gods..., p. 154)

. Budge ; The Gods of the Egyptians, ii, p. 63. (107)

لنطالع الجذر «قبس» في (اللسان) (وقد تعاقبت الحاء في «خ ب س و» مع القاف في «بس»):

«القبس: النار، والشعلة من النار. قال الكسائي: واقتبست منه علماً وناراً سواء. وفي الحديث: من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر».

وفي القرآن الكريم:

﴿أَنْظُرُوا نَقْتَبِسُ مِنْ نُورِكُمْ﴾ الحديد/ 12

﴿لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ طه/ 10

﴿سَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ النمل/ 7.

ويرى «جرجي زيدان» (تاريخ اللغة العربية، صفحة 46) أن العرب «أخذوا هذه الكلمة عن اللغة المصرية القديمة الهيروغليافية⁽¹⁰⁸⁾». ويضيف أن العرب أخذوا بعض تلك «الاقْتِباسات»⁽¹⁰⁹⁾ رأساً عن أصحابها والبعض الآخر حُمِلت (الصواب: حُمِلَ) إليهم على يد الأمم الأخرى، كما نقل اليهود لفظ «نبي» من اللغة المصرية القديمة الهيروغليافية (كذا!) وأصل معناها: رئيس العائلة، أو: رب المنزل. إهـ.

وزيدان يشير إلى كلمة «ن ب» nb ومعناها: رئيس، رب، وما إليها. وليست خاصةً برب العائلة أو المنزل. والواقع أن اليهود لم ينقلوا لفظ «نبي» إلى العرب من المصرية القديمة كما ذهب، فإن هذه الكلمة موجودة في اللغات العروبية كلها بمعنى واحد؛ ففي الأكادية «نابو» nabu ومعناها: سيد، رب، إله، مولى. إلخ. وهذا نفس معناها في المصرية (أنظر أي معجم للغة المصرية، وكذلك في الأكادية).

وفي العربية يفيد الجذر «نبا»: الشرف، والارتفاع، والعلو، والسمو (صفة النبي). ومنه نبوة = مرتفع من الأرض. ويتبادل الباء والراء، فنجد «رنا» الذي أدى إلى «نبوة» (= نبوة). والفعل: ربا، يربو = زاد، طال، ارتفع - كالفعل: نبا، ينبو = عظم، كبر. إلخ.

وكما دلت «ن ب» في المصرية على «رب» «نبا = ربا» بالمعنى المجرد، نجدتها في كلمة «ن ب و ت» nbwt بمعنى «جزيرة» - أي: مرتفع من الأرض (في الماء) = (نبوة).

أما قول زيدان إن العرب «أخذوا» عن أهل مصر كلمة «خبسو» وحولوها إلى «قبس» فلا دليل عليه. ولعل أهل مصر أخذوا «قبس» وحولوها إلى «خبس» ومنها «خبسو». وقرينة ذلك ما نلاحظه في لهجة أهل مصر الحديثة؛ إذ هم يسمون وصلة الكهرباء «كُْبَس». وأصلها من «قبس» (القابس) أي الذي «يقبس» تيار الكهرباء من سلكه الرئيسي إلى فروع ليستخدم في منافع الكهرباء. فلا

(108) يسميها (اللغة الهيروغليافية). وهذا خطأ؛ فإن الهيروغليافية هي صورة الكتابة (من اليونانية حرفياً: النقش المقدس). أما اللغة فهي «المصرية» أو «المصرية القديمة».

(109) لاحظ كيف استعمل «اقتباسات» من «قبس» دون شعور!

عجب أن تبدل القاف خاءً عند المصريين القدماء كما أبدلت كافاً وضُمَّت عند المصريين المعاصرين.

خ پ ر kheper

هذا هو الجُعَلُ المعبود الذي يشار إليه باعتباره رباً، وهو «الذي وُجِد من نفسه». وقد حسب في القديم مظهراً من مظاهر الآلهة «أتم»، ثم سُوي بينه وبين «رع». ولهذا المعبود صلة قوية بفكرة البعث؛ إذ هو رمز له كما جاء في (كتاب الموتى): «لقد حوت كما يحوم الآلهة الأول وصرت «خ پ ر». لقد نموت كما ينمو النبات. أنا نتاج كل معبود».

في المصرية «خ پ ر» hpr - ورمزها الرئيسي في الهيروغليفية صورة «الجعل». ويقدم «بدج» في معجمه لها معاني كثيرة منها:

«يكون، يوجد، يكون له وجود، يعين، يبقى، يستمر، يأتي للوجود، يحدث، يصوغ، يشكّل، يصوّر، يخلق، يصنع، يوجد، يتمثل في صورة شخص أو شيء ما، يحوّل نفسه»... الخ . (Budge ; An Eg. Hieroglyphic Dictionary, p. 542).

وقد ورد في (اللسان) عن الجعل:

«والجعل: دابة سوداء من دواب الأرض، قيل: هو أبو جعران، بفتح الجيم، وجمعه: جعلان... وفي الحديث: كما يدهده الجعل بأنفه. وهو حيوان معروف كالخنفساء... وأعظم الجعلان ذو رأس عريض ويداه ورأسه كالمأشير... ويقال للجعل: أبو وجزة، بلغة طيء... قالت الأعراب: لنا لعبة يلعب بها الصبيان نسميها (جبي جعل) يضع الصبي رأسه على الأرض ثم ينقلب على الظهر».

«أبو وجزة» كما يعرفه عرب طيء هو ما يدعوه عرب ليبيا «بُودرنة» (أبو درنة) ولا شك في أن كلمة «دُرنة» ترجع إلى العربية «درن» الذي هو الوسخ والقدر، وهو ما يتعامل به الجعل كما نعرف. ولعل ارتباطه بفكرة البعث عند المصريين القدماء حتى صار رمزها جاء من كونه ينقل القدر، الميت عديم الحياة، يدفعه كرة في حفرة ثم يبيض فيه، فيفقس البيض ليخرج فراخه، خروج الحياة من الموت. كما نلاحظ أن الجعل في دحرجته لكرة القدر التي صاغها هو وشكلها في شكل دائري (وهو أكمل الأشكال وأتمها حتى عند فلاسفة اليونان، ونرى أن من هنا جاءت صلته بالمعبود «تم» أو «أتم» الذي يعني «الكامل»/«التام») نلاحظ أنه يستخدم أرجله الخلفية في عمله ذلك دائماً، وفي هذا معنى «الورائية» أو «العودة» أو «الأولية» - كما سيتضح بعد قليل. فلنأخذ مقارنتنا خطوة خطوة:

يرى الأستاذ «إمبير» Ember أن كلمة «خ پ ر» h pr في المصرية ليست شيئاً سوى العربية «خلف»، أبدلت اللام راءً مما يحدث كثيراً جداً في المصرية لسقوط اللام فيها فكانت «خرف»، ثم قلبت فكانت «خفر» وكتبت «خ پ ر» - بالباء المهموسة لقربها من الفاء في مخرج الصوت. ومن رأيه أن هذا راجع لصلة الكلمة بمعنى البعث وتعاقب الوجود أي: الخلف.

وقد يكون هذا ممكناً، فإن من معاني «خ پ ر»: يوجد «وجود»، يصير (صبرورة)، يحدث (حدوث). كما أن من معانيها: يخلق، يصور، يصير، يحول/صورة، هيئة، شكل، مراحل النمو/يمرر، يعاقب، يتعاقب، و... يخلق (أنظر: Gardiner; Egyptian Grammar, p. 584).

والجذر «خلف» في العربية يفيد: التشكل، والتصوّر والتنوع، كما يفيد التعاقب. ففي القرآن الكريم: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾. ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلَفُونَ﴾. ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَاللَّهُ يَخْلُفُهُ﴾. ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾. ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَفَكَ آيَةً﴾. ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾.

ثم هناك الآية الكريمة:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾. وهي الآية التي أثارت جدلاً حاداً وانقساماً سياسياً ودينياً بين المسلمين على مدى عصور طويلة وحتى يومنا هذا. فقد يكون من معاني «جاعل»: «خالق» في الأرض خلقاً (= خليفة/خلف). وهنا نقارن المصرية «خ پ ر» (= خلف) مما قد يفتح باباً جديداً للاجتهاد وتفسير الآية على ضوء الدراسة اللغوية المقارنة للعربية والمصرية، أو غيرها من اللغات العروبية الأخرى.

ومن الواضح أن للجذر «خلف» صلة قوية بالجذر «خلق» بمعنى: صنع وصور. (كلاهما من الجذر الثنائي: خل) - ولهما معانٍ كثيرة هي جماع ما تصوره المصريون القدماء في «أبي جعران» أعني الجعل.

هنا ينبغي التنبيه إلى الاسم العربي «جعل» - وجذره: «جَعَلٌ». ومن معاني «جَعَلٌ» الكثيرة القريب بعضها من بعض: «جعله: صنعه، وجعله: صيره، وجعل: عمل، وجعل الطين خزفاً: صيره إياه، وجعل: عمل وهياً». وهذه جملة الدلالات التي ترجمت إليها «خ پ ر» h pr المصرية (قارن: بدج) التي تقابل العربية: خالَفُ (من: خَلَفَ) أي «الخالق» أو «الجاعل» (= الصانع، المصير، العامل، المهيب - أي مشكّل الهيئة، أعني الصورة والشكل - كما ورد في مدلولات «جعل»). وهذا ما يوصلنا إلى «جَعَلٌ» في مختلف صورته وما اشتق من اسمه من دلالات ومعانٍ.

كل ما سبق نظرنا إليه متابعة لقول «إمبير» إن «خ پ ر» تقابل «خلف» عن طريق تعاقب الراء واللام لتصير «خ ف ل» وتقلب إلى «خ ل ف». بيد أن لدينا جذراً عربياً آخر يخالف رأي الأستاذ «إمبير» ونراه أقرب إلى القصد وأوضح، وهو الجذر «حفر» الذي يقابل «خ پ ر» بتعاقب الحاء والحاء، والباء المهموسة والفاء، لقرب مخرج الصوت فيها.

نشير أولاً إلى أن من «حَفَرَ» الفعل المعروف بمعنى النقب، و«الحفرة» - وهما من فعل الجُعل ليدفن كرة القذر التي يدحرجها عادة لتستقر في «الحفرة». غير أن مادة «حفر» تؤدي إلى اشتقاق كلمة موحية ذات صلة وثيقة من حيث اللفظ والدلالة على الخلق وإعادته. بل إنها وردت في القرآن الكريم في موضع الرد على منكري البعث بالذات وهو الذي يمثل الجُعل رمزه الشهير في الديانة المصرية القديمة - أعني كلمة «الحافرة».

يقول القرآن الكريم في سورة (النازعات) :

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ . تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ . قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ . أَبْصَارُهُمْ تَخِشَعُهُ . يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرُدُّوْنَ فِي الْحَافِرَةِ . أَئِنَّا لَكُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً . قَالُوا تِلْكَ إِذْ نَكَّرَ خَاسِرَةً﴾ الآيات 6 - 12 .

فما هي «الحافرة» ؟

يقول (اللسان) :

«الحافرة : الحلقة الأولى . وفي التنزيل (أئِنَّا لَمَرُدُّوْنَ فِي الْحَافِرَةِ) أي : في أول أمرنا . قال الفراء في قوله تعالى (في الحافرة) معناه : أئِنَّا لمرودون إلى أمرنا الأول أي الحياة . وقيل : معنى قوله (أئِنَّا لَمَرُدُّوْنَ فِي الْحَافِرَةِ) أي : في الخلق الأول بعدما نموت» .

ويستشهد ابن منظور بشعر ابن الأعرابي :

أحافرة على صلح وشيب ؟ * معاذ الله من سفه وعار !

«يقول : أارجع إلى ما كنت عليه في شبابي وأمري الأول بعدما شبت وصلعت ؟» .

ويضيف : «الحافرة : العودة إلى الشيء حتى يرد آخره على أوله . وفي الحديث : إن هذا الأمر لا يترك على حاله حتى يردَّ على حافرته ، أي : على أول تأسيسه» .

وماذا كان «خ پ ر» يعني سوى رمز الخلق ، أو إعادة الخلق ، إعادة الحياة ، إعادة الشيء حتى يرد آخره على أوله - أي : البعث ؟

من كل ما تقدم نرى أن الجذر «حفر» هو «خ پ ر» لغةً ومضموناً . ولا يهم بعد ذلك أن يكون الأصل البعيد يرجع إلى حافر الدابة أو إلى الحفر في الأرض وما إليها مما يمكن تتبعه واستقصاؤه ؛ فإن تطور الألفاظ من المحسوس إلى المجرد أمر مسلم به ولا يحتاج إلى نقاش . المهم أن اللغتين متطابقتان في هذا المجال تطابقهما في غيره من المجالات .

فإذا رام القارىء أن يستزيد شيئاً عن هذا «خ پ ر» (أو : الحفر) العجيب ، بمعنى «جُعل» أو «جعران» أو «بودرنة» ، فإن «معجم أكسفورد الوجيز» . The Concise Ox., Dict يقدمه لنا في اللغة الأنكليزية في صورة Chofer (= Kind of beetles) . وهو انحدر إلى الأنكليزية المعاصرة من الأنكليزية القديمة Ceafor, Cefer . وهذه أخذتها عن السلافية القديمة Kever ، عن الجرمانية العتيقة العليا Chevar ، عن الجرمانية الغربية Kabhr و Kebhr .

أليست هذه الصور كلها هي ذاتها «خ پ ر» المصرية ، «حفر» العربية ؟

هذه واحدة . أما الأخرى فصيغة توجد في الأنكليزية بشكل مقطعي - Copro (ومثله التعبير المعروف (Coprology) ومعناه : معالجة المسائل القذرة في الأدب). ويقول المعجم المذكور إن Coprc في الأنكليزية جاءت من اليونانية Kepro(s) ومعناها : روث، غائط، دمن، جَلَّة. وهي موجودة في المصطلح العلمي Coprolite والصفة منه (Coprolic) - أي : روث الأحافير والروث الأحفوري.

والظن أن Kopro(s) (وجذرها KPR) التي عنت في اليونانية «الروث» أو «الغائط» كانت تعني «الجعل» الذي يتعامل مع القذر كما هو مشهور معروف. ونرجح كثيراً أنها منقولة عن المصرية «خ ب ر»/العربية «حفر» كما حدث بالنسبة لكلمة Chafer المذكورة آنفاً. وهذا كله على سبيل تعاقب الحروف القريبة مخرج الصوت مع الاحتفاظ بالجذر الأصلي في جميع الأحوال.

هل رأيت إلى أين بلغ أثر هذا «الجعل» المدهش ؟

بيد أن أطرف ما في الموضوع ما يقرره معجم أكسفورد من أن ثمة قرابة محتملة بين ما قدمناه وبين الكلمة الويلزية Jowl بالمعنى ذاته . وهو لم يجد عن الصواب ؛ فإن هذه الكلمة بالذات تقابل العربية «جعل» ، أسقطت العين - بالطبع - وأبدلت واواً فكانت (جُول = جُعَل). ذلك كما أبدلت اللام راء في العربية ذاتها فتحولت «جعل» إلى «جعر» ثم نُوتت ومُدَّت ، كما في عدد كبير من الأسماء ، فكانت «جعران» وأضيفت إليها «أبو» فصارت «أبو جعران» (إذ غيَّرت حركة الجيم من الضم إلى الفتح ، وهو تغييرٌ يلاحظ في العربية كثيراً ، ربما أوحى به هنا طبيعة الجعل المتغيرة المتعاقبة المتلاحقة في صور الخلق والبعث المنوعة ، حسب المعتقد القديم ا).

خ ت ح khet

لقبُ ثلاثة من ملوك الأسرتين التاسعة والعاشرة (أواخر الألف الثالثة ق. م) - وهو عهد تميز بسيادة الاقطاعيين . وهو كذلك لقب كبير حجَّاب الفرعون . أنظر :

(Budge ; The Dwellers on the Nile, An. Eg. Hier. Dictionary, p.

921).

«خ ت ي» (أو : ح ت) جزء من ألقاب ملوك الحثيين في النصوص
المصرية (Gardiner ; Eg. of The Pharoahs, p. 263).

يورد الدكتور محمد التونجي (عبقرية العرب... صفحة 17) رأياً حول الألفاظ الكثيرة المتشابهة بين اللغات تدل على صلة حتمية من نوع ما كانت موجودة بينها. ويقدم مجموعة من الألفاظ منها «خدا» - وهي فارسية تعني «الله» أو «الآله» - باعتبار «الله» صار تعبيراً إسلامياً محضاً بصرف النظر عن أصله اللغوي المعروف⁽¹¹⁰⁾.

«خدا» في الفارسية هي «خودا» في الكردية. وهي في السغدية «خديفي» Khadive ، وفي البهلوية «خوتايا» Khawataya ، ثم تحولت في التركية إلى «خديو». ومن هنا جاء اللقب المشهور في تاريخ مصر الحديث : «خديو»، «خديو» (الخديو إسماعيل، الخديو سعيد، الخديو توفيق... إلى آخر القائمة) ومعناها هنا : ملك، سلطان، مولى، سيد - ونحوها.

ويربط الدكتور التونجي بين الفارسية «خدا» والأنكليزية god والألمانية gott⁽¹¹¹⁾ بمعنى «إله»، أو «الله»⁽¹¹²⁾. وفي هذا الربط كثير من الصواب، وما ينقصه هو العودة إلى الأصل البعيد في المصرية «خ ت» t h ومكافئها العروبي الذي نأمل أن يتضح. فما معنى «خ ت» أولاً ؟

الأصل البعيد الأول لـ«خ ت» : خشب، شجرة، عُصن، عصا، عكاز، صولجان. (معجم «بدج» صفحة 566). وهناك ألفاظ أخرى كثيرة مشتقة من هذه المعاني التي يبدو أنها تطورت من معنى الخشب إلى دلالة القوة والملك والقهر والسلطان، حتى سمي بها فراعين الأسرتين التاسعة والعاشر «خ ت ي» بمعنى «حاكم» (فان : خديو) - لامتلاكهم عصا الحاكم وصولجان السلطان (الباء في «خ ت ي» للنسبة).

ويبدو أن هذه الكلمة (خ ت) نفسها تطورت عن كلمة أخرى هي «خ ء» h a التي تفيد أصلاً معنى «النبت» ثم دلت على الحكم والسلطة (معجم «بدج»، صفحة 526) وهي مقلوب «أخ» h a التي تدل على النبت وعلى القوة في الوقت نفسه (راجع هذه المادة في هذه الدراسة).

وعن «خ ت» يقول «غاردنر» (Eg. Gr., p. 52) إنها من «الكلمات الأجنبية والأسماء ذات

(110) في (اللسان) في مادة (أله) : كان حقه «إلاه» ، أدخلت الألف واللام تعريفاً فقيل : «الالاه» ، وحذفت الهمزة فقيل «أللاه» ، ثم أدغمت فكانت «الله» . وقد سمت العرب الشمس لما عبدوها : إلهة، ألهة. وفي مادة «ألل» : الأل : الله عز وجل. (وهذا هو الاسم الذي عرف به المعبود الأعظم عند العربيين). والمعنى الأصلي : النور (فان : آل ، لالاء ، لؤلؤ، تلالاً ، وغيرها) - ومادة «أله» تقدم معنى النور كما تقدمها مادة «هلل» (هالة = شمس). وفي كل الأديان كانت فكرة «النور» مسيطرة في تصور الآلهة الأعظم (رع) في المصرية، «زيوس» في اليونانية = ضوء). «إل» عند البابليين. ولا يزال «الله» يدعى في النبوة حتى اليوم : «نور». (أنظر : محمد متولي بدر ؛ اللغة النبوية).

(111) الجرمانية العليا got والقوطية guth .
(112) في الأنكليزية إذا عني «الله» كتبت g كبيرة : God ، و«إله» صغيرة : god .

الاشتقاق الغامض». وواضح أن الأستاذ «غاردنر» لم يهتم بمقارنة بسيطة بما هو معروف في اللغات العروبية، كما لم يهتم بالمقارنة السابقة التي عرضناها بما يسمى اللغات الآرية.

في الكنعانية تأتي كلمتان :

«خ ت» و«خ ت أ» - ومعناها : القاهر، الغالب. (فريجة ؛ ملاحم وأساطير. . .

ص 618).

وهذا ما يباثل المصرية : «خ ت ي و» h ty w (الغالب، السائد) وتأتي في تعبير مشهور : «خ ت ي و. ت ء وى» h ty w. tawy (= سيد الأرضين / خديوى الطيئين). والياء والواو في آخر الكلمتين زائدتان لغويتان، والأصل «خ ت».

في الأكادية نجدتها في صورة «حَطُو» hattū بمعنى : عصا، صولجان الملك. وفي صورة «حَتُو» hattū بمعنى : رعب، خوف، هلع - أي الرهبة من السلطان أو من العصا أو من السيف وصولجان الحكم. أنظر : (Arnolt ; A Concise Dictionnary...)

في الكنعانية، مرة أخرى، نقرأها «خ ط» (بالطاء) ومعناها : عصا، هراوة (فريجة ؛ ملاحم وأساطير. . . صفحة 620).

ونلاحظ أن الرمز الهيروغليفي الذي يدل على هذه الكلمة «خ ت» حيناً ويدخل في اشتقاقاتها حيناً آخر، عبارة عن غصن شجرة (ح ح) وهو الذي يدعى «خ ت» بمعنى : خشب / شجرة («غاردنر» (Eg. Gr., p. 479).

وهنا تتطابق المصرية والكنعانية والأكادية في دلالة «خ ت / خ ط» على ما يتخذ من الشجر من عصي وهراوات ونحوها، والدلالة في الوقت نفسه على السلطان، وعلاقة هذه بذلك واضحة دون ريب - خاصة في العصور الأولى حين كان الملك الأكبر الناس هراوة وأصلبهم عصاً وأقساهم عوداً. والانتقال من الحسي إلى المعنوي واضح في هذا المجال.

فأين العربية ؟

مهلاً. لم يحن الوقت بعد. فهل ننسى تتبع هذه الكلمة قبل الفصل ؟

لقد عرفت في الحبشية، والحبشية لغة عروبية كما تعرف. ففي كتابه (في علم اللغة التاريخي) يتحدث الدكتور البدراوي زهران عن كلمة «حَطِي»، وأورد نص المقريري في مؤلفه (السلوك في معرفة دول الملوك) الذي يقول فيه :

«وقدم كتاب متملك الحبشة وهي (كذا - والمفروض : وهو) الحِطَى (لعل المقصود : الحِطَى) يعني الخليفة، يخاطب السلطان». وكذا نص ابن أبي الفضل في كتابه (النهج السديد) حيث يقول : «صاحب بلاد الحبشة هذا يسمى حطى، يعني الخليفة، وكل من يملكها يلقب بهذا اللقب».

ويضيف الدكتور زهران أن كلمة «الخطى» لقب صاحب بلاد «أحمرا» (أمهرا) أكبر بلاد الحبيشة، وصاحبها يحكم أكثر الحبيشة. (المصدر المذكور، صفحة 191).

وتعليقنا أن استعمال كلمة «حطى» بمعنى «ملك»، أو كما عبر المبريزي وابن أبي الفضل «خليفة» في عصر متأخر نسبياً (عصر الحروب الصليبية) يطابق تمام المطابقة استعمالها في صور متقاربة في بقية اللغات العروبية بالمعنى ذاته، سواء كانت «خ ت» أو «خ ط» وما إليها.

العجيب أن هذه الكلمة لا تزال مستعملة في مصر حتى يومنا هذا، ولا نستبعد أن تكون باقية من عصر الأستين التاسعة والعاشرة. . أعني كلمة «خط».

و«الخط» يقصد به ذلك الخارج على القانون، المعتصم بالجبل غالباً في بلاد الصعيد، يثير الخوف ويفرض الاتاة ويدوخ الشرطة. وهو في العادة «زعيم» عصابة و «رئيس» جماعة من المتمردين، صاحب جولة وصولية. . ضد الدولة. فهو «أمير» زمرة وصاحب الكلمة فيهم. . فهو «الخط» أو «الخت» - «خديوى» الجبل في الصعيد الجواني !

بعد هذا تأتي إلى المكافئ العربي. ولدينا هنا جذران هما «خت» (ختت) و«خط» (خطط). فلننظر فيهما.

في مادة «ختت» في (اللسان) ورد :
«أخت الرجل فهو مَحْتٌ : إذا انكسر.
المُحْتُ : المنكسر. ورجل مُحْتٌ : خاضع.
والمحْتى : نحو المخت : المتصاغر».

وقد يبدو هذا القول بعيداً ؛ إذ أن مادة «ختت» (خت) تفيد الضعف والخضوع والصغار وهي ضد السلطة والسؤدد. ولكن لينتبه القارئ إلى دخول الهمزة على «خت» فصارت منها «أخت» ومنها اشتق «المخت» و«المختي» (وقد تكون : المَحْتُ والمُحْتى - نائب فاعل). ونستطيع أن نفهم معنى الاخضاع، وليس الخضوع فقط، والاضعاف وليس الضعف فحسب، في الذي وقع عليه «الخت» (أي الغلبة والقهر) فأخت فهو مُحْتٌ ومَحْتٌ، مثل خاضع ومخضع - تماماً كما يصرف الجذر «قهر» مثلاً : قاهر، مقهور. وغلب : غالب، مغلوب. ومعنى القهر والغلبة في التصريفين معاً كما هو في «المخت» و«المختي» - والمصدر «خت» أي القوة والغلبة.

كذلك نعرف في العربية أن بعض الجذور يفيد معانٍ متضادة، والناتج ما يعرف بالأضداد. وهناك مثل قريب ؛ فالجذر «سخت» يقدم معنى القوة والبطش (قارن المصرية : «س خ ت») ولكنه يعطي معنى الضعف كذلك فإن «السخت»⁽¹¹³⁾ هو «الضعيف المهزول». والجذر «أدم»

(113) ليس من المستبعد صلة «سخت» العربية بالمصرية «خ ت» التي تتحول بسبب التعدية إلى «س خ ت». وفي معجم

«بدج» (صفحة 694) :

«س. خ ت ي» s. b t y : رد، دفع.

«س. خ ت خ ت» s. b t t (مضاعف) : رد على عقبه، صد.

يعني السواد والبياض معاً، وكذلك «جون» .
ولماذا نبعد ؟

إن المصرية ذاتها تقدم لنا مثلاً واضحاً في هذه المادة «خ ت» التي ندرسها . فإلى جانب ما ذكرناه من معاني القوة والسلطة نجد كلمة «خ ت و» h t w ومعناها : حقراء، أدنياء . وهذه بصيغة الجمع ، والمفرد «خ ت» = دنيء، صغير . (معجم «فولكنر» ، صفحة 198) .
ومقابلها العربي الفصيح : «ختيث» (= خسيس) . ومن هنا جاء التعبير المصري القديم :
«خ ت ت . ب پ» h t t . p r (خادم البيت / عبد الدار = ختيت البيت) .

هل رأيت كيف تتقابل اللغتان العربية والمصرية حتى في أسماء الأضداد ؟

فلنترك «الختيت» بمعنى الضعيف أو المستضعف ولنعد إلى الجذر «خ ت» بمعنى القوة والسلطان من جديد .

نلاحظ أن هذا الجذر يفيد القوة أيّاً كانت - وأهمها في القديم الضرب بالعصا والقتال حتى بأغصان الشجر (قارن «الفلقة» في عصرنا هذا، و«درة» ابن الخطاب، أي هراوته، كما لك أن تقارن عصا موسى . . إن شئت) . ثم تطورت العصي إلى الطعن بالرماح الأسيلة⁽¹¹⁴⁾ . ونعود إلى معانٍ أخرى للمصرية «خ ت» فنجد أنها تعني كذلك : «حربة» (harpoon) (تقرأ أيضاً نفس الكلمة : «دع» d e و«عربيتها» : دَعَّ⁽¹¹⁵⁾ = دفع . كما تقرأ «دع ر» d e r و«عربيتها» : ذعر = خاف / ذعر = أخاف) . («غاردر» Eg. Gr., p. 479) - أو الطعن بالحربة (to spear . نفس المصدر) أو بمعنى «ضرب» (معجم «بدج» ، صفحة 902) .

وفي العربية نجد في مادة «ختت» :

«الختُّ : الطعن بالرماح مداركاً» - أي متوالياً بدون هواده، وهذا هو «خ ت» في المصرية التي هي نفسها «دع» (= دَعَّ - العربية) .

فهل ننسى أننا قابلنا «خ ت» المصرية بالكنعانية «خ ط» بتعاقب التاء والطاء وهما كثيراً ما تفاعلان ؟

إن «خ ط» الكنعانية، ومعناها كما سبق : عصا، هراوة، قضيب . . . إلخ - تذكرنا بكلمة عربية مشهورة بمعنى «رمح» . وقد يكون المعنى الأصلي متطابقاً مع ما في الكنعانية، فإن الرماح الحديدية كانت أساساً مجرد عصي وهراوات وقضبان شجر وأغصان، قبل أن تتطور على يد الانسان

= «س . خ ت» s . h t : قَلَبَ، رأساً على عقب (= أخضع) .

«س . خ ت» s . h t : سقط، أسقط .

وكل هذه الاشتقاقات تتصل بالغلبة والقهر من جانب، والضعف من الجانب الآخر .

(114) أسيلة - من «الأسل» . وهو شجر صلب العود تتخذ منه الرماح .

(115) في القرآن الكريم : ﴿فذلك الذي يدعُ اليتيم﴾ (الماعون، 2) . أي : يدفع .

﴿يوم يدعون إلى نار جهنم دعا﴾ (الطور، 13) . أي : يدعون دفعا .

سلاحاً من حديد (قارن : الرماح «الأسيلة» من «الأسل» - وهو شجر) . تلك الكلمة الشهيرة هي «خطي» .

وفي مادة «حطط» (ثنائياً «خط») يقدم ابن منظور تعريفاً مفصلاً عن «الخطي» الذي هو الرمح ، وينسبه إلى «خط» عمان أو «سيف البحرين أو عمان» . . . وكل سيف خط ، ولكن «الخط» ، معرّفًا ، مرفأً للسفن بالبحرين تنسب إليه الرماح «الخطية» . بيد أن ما يلفت النظر هو قوله : «وليس الخطي الذي هو الرماح من نبات أرض العرب . وقد كثر مجيئه في أشعارها . قال الشاعر في نباته :

وهل ينبت الخطي إلا وشيجه * وتغرس إلا في منابتها النخل ؟

والخطي - بالفتح : الرمح المنسوب إلى الخط . الجوهري : الخط موضع باليمامة ، وهو خط هجر تنسب إليه الرماح الخطية ، لأنها تحمل من بلاد الهند فتقوم به» .

وليس من العدل أن نثقل على القارئ بتتبع التفاصيل والجزيئات ، على أهميتها ، ويمكنه أن يتبعها بنفسه إن رغب . لكن لا بد من إبداء بعض الملاحظات على هذا النص :

(1) اختلف في أصل نسبة «الخطي» إلى عمان أو البحرين أو اليمامة أو هجر . وقيل إنه يأتي أصلاً من الهند ، وهذا مقبول باعتبار أن «الخطي» ليس من نبات بلاد العرب .

(2) نرى بوضوح أن «الخطي» - رغم الاختلاف في نسبته - متفق على كونه نباتاً ، أي شجراً ، في أساسه ، ثم أطلق على الرمح حين صار من حديد .

(3) ألا يلاحظ القارئ الصلة الوثيقة جداً بين هذا «الخطي» وبين ما مضى من معاني الشجر والقضبان والأغصان والهاواوات وما إليها بسبيل ، وهي كلها في المصرية «خ ت» تقابل الكنعانية «خ ط» والعربية «خطي» ؟ والأخيرة - كما نلاحظ - مزيدة ياء النسبة ، كما في المصرية «خ ت ي» hty التي أطلقت لقباً للفرعاعين وحجّاهم ، باختلاف العهود ، وهي ذاتها «حطي» (بالحاء) في الحبشية (خليفة/ملك) . أي : صاحب «الخط» (خ ت) = صاحب العصا ، ذو الصولجان (عصا الحكم) - على النسبة .

رحلة طويلة لهذه الـ«خ ت» . في مصر ، وعند الحثيين⁽¹¹⁶⁾ ، وفي الحبشة ، وأرض كنعان ، وبلاد العرب ، وفي بابل وفي فارس وعند الأتراك ، تصرفت بها الأيام ما بين «خ ت» ، «خ ط» ، «خطو» ، «ختو» ، «خطي» ، «حطي» - حتى كانت «الخط» زعيم العصابة في الصعيد . كانت أيضاً

(116) هل هناك صلة بين «حث» و«خ ت» ؟ هذا جائز . نحن نعرفهم باسم «الحثيين» من الانكليزية Hittites ولكنهم في «التوراة» يعرفون باسم «بني حث» . هل كان «حث» هذا هو «خ ت ي» أي «الحاكم» ؟ (وقارن بقية أشكال الكلمة فيما سبق) . من هو «حث» هذا ؟ اسم ؟ لقب ؟ كما نقول «فراعة» أو «فرعونيون» ونقصد أهل مصر الأقدمين والأصل «فرعون» (ف ر . ع = البيت العالي) ولم يكن أهل مصر جميعاً «فراعة» (بيوتاً عالية) ؟ هذا ممكن . والأمر يحتاج إلى مزيد من البحث على كل حال .

«خودا»، «خواتايا»، «خديث»، «خديو»، «خديوي». كما كانت god, gott, got, goth أخيراً في الأنكليزية⁽¹¹⁷⁾ - بمعنى : إله = حاكم، رب، سيد. إلخ.

خزر 𐎧𐎺𐎠 hetcher

اعتبر المصريون القدماء الخنزير حيواناً قذراً ورجساً ومنكراً فظيماً، وهو ما حدث في اليهودية والاسلام. وقد ربطوا بينه وبين إله الشر «ست» ويقول (كتاب الموتى) إن «ست» هجم على «حورس» متنكراً في شكل خنزير أسود، فجرح عينه، أو في رواية أخرى : التهمها. وفي رسم بمعبد «إدفو» نرى «حورس» يطارد «ست» في صورة خنزير. كما ربطوا بينه وبين القمر ؛ فكان يذبح ليلة تمام القمر بدماء، فيقدم قرباناً لـ «إيزيس» و«أوزيريس» ربي القمر. وتحكي أسطورة كيف أن «نت» ربة السماء اتخذت هيئة خنزير والتهمت أبناءها النجوم، ولكنهم كانوا يولدون كل ليلة من هذه الخنزيرة السواوية. وصارت هي وأبنائها تعويذة منتشرة عند قدماء المصريين باعتبارها رمزاً للخصوبة الأمومية ورمز الحياة المتجددة.

يجعل «مارسيل كوهن» (Essai Comparatif, p. 107) كلمة «ح ج ر» h ġ r المصرية (التي تترجم عادة : ضبع) مقابلة للأكادية «مُخْصِرُو» humsīru والآرامية «حازير» hāzīr والكنعانية «خ زر» والعربية «خنزير».

ونحن نضرب رأياً «كوهن» هذا ونشير إلى أن قدماء المصريين لم يفرقوا كثيراً بين عدد من

(117) تطورت الأنكليزية god كما ذكرنا من الجرمانية العليا got والقوطية guth، وهي في الألمانية الحديثة gott وفي السويدية gud.

ونجرو على القول بأن هذه الكلمة وردت في القرآن الكريم في صورة «جَدَّ» - gadd un - الجيم كانت أصلاً تنطق جيماً قاهرة (ga) : «وَأِنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا» (الجن/3). قال في (اللسان) : «الجَدُّ : العظمة. وفي التنزيل العزيز : (وَأِنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا) - قيل : جَدُّه : عظمته. وقيل : غناه. وقال مجاهد : جد ربنا : جلال ربنا. وقال بعضهم : عظمة ربنا. وهما قريبان من السواء. . . وفي حديث الدعاء : تبارك اسمك وتعالى جدُّك، أي : علا جلالك وعظمتك. . . وخص بعضهم بالجَدُّ عظمة الله عز وجل. . . وجَدُّ فلان : عظم».

الجَدُّ إذن : العظمة والغنى والجلال - خصت الله سبحانه بحكم التطور. وما من ريب في أن (god) المتطورة عن (got) (وهناك صور أخرى تتبادل فيها الحروف المتقاربة) تعني أساساً العظمة. وهذا معنى «خ ت/خ ط» بالضبط. (لاحظ أن خ = ح، ج. وأن ت = ط، د/عن طريق التعاقب). ملاحظة أخيرة : سمي «الجَدُّ» (والد الوالد) - في رأينا - كذلك من باب الاحترام والتوقير والتعظيم والإجلال.

الحيوانات، البرية خاصة، كما حدث بالنسبة للكلب والذئب وابن اوى والثعلب. كما نشير إلى أن اسماً ما قد يكون يدل على حيوان معين في مكان، أو في زمان، ما، بينما يطلق على حيوان آخر في مكان وزمان غيرهما.

في العربية نقراً في مادة (خزر) :

«الخنزير من الوحش العاديّ.

وقال كراع : هو من الخزر، بالعين، لأن ذلك لازم له. قال : فهو على ذلك ثلاثي». وهذا يعني أن «خنزير» جاءت من «خزر» وهو ما يقابل المصرية «ح ج ر» بتعاقب الحاء والحاء والزاي والجيم، قريبة من مخرج الصوت⁽¹⁷⁸⁾.

خ ن س و Khensu

معنى اسم هذا المعبود الطّيبى (نسبة إلى مدينة طيبة) : الرّحال . وهو يشير إلى رحلته في السماء ؛ إذ كان «خنس» رباً للقمر، وكان يصوّر شاباً في شكل مومياء يقدمين مربوطتين يحمل على رأسه قرص القمر أو الهلال. وإذ هو طفل مقدس (أبوه «أمون» وأمه «مت») فقد وُصِلَ «خنس» بولدين مقدسين آخرين هما «شو» الذي كان يمسك بالسماء، و«حورس»، ومن الأخير أخذ رمز السلطة ؛ المحجن ومدقة الخنطة. وإشارة إلى صقر الرب «حورس» كان لـ«خنس» غالباً رأس صقر، وتحوّل قرص القمر الذي يعلو الهلال إلى قرص الشمس. وهو يدعى عند اليونان (Chespsichis).

يقول «غاردرنر» (Eg. Gr., p. 584) إن «خ ن س» h n s في المصرية تعني : يسافر، يرحل، يعبر. و«خ ن س و» هورب القمر في الكرنك.

وقد ورد في القرآن الكريم : ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ ، الْجَوَارِ الْكُنُوسِ﴾ (التكوير : 15 ، 16).

في (لسان العرب) :

«الكواكب الخُنُوسُ : الدراري الخمسة تخنس في مجراها وترجع وتكنس كما تكو وهي : زحل والمشتري والزهرة وعطارد، لأنها تخنس أحياناً في مجراها حتى تما الشمس، وتكنس أي تستتر كما تكنس الأطباء في المغار، وهي الكناس. وخنوسه

(178) في معجم بدج (ص 524) نجدته ينقحرها hetcher ، والحروف tch تنطق صوتاً يشبه «تش» حرف الزاي، ويقول إن الكلمة تعني حيواناً ما قد يكون النمس (ichneomon) ويضع أمامها إش

بالنهار بينما نراها في آخر البرج كرت راجعة إلى أوله. ويقال : سميت خَنَساً لأنها الكواكب المتحيرة التي ترجع وتستقيم. ويقال : هي الكواكب السَّيَّارة منها دون الثابتة».

«قال الزجاج : الكُنْسُ : النجوم التي تطلع جاريةً، وكنوسها : أن تغيب في مغارها التي تغيب فيها... وقال الفراء في الخنس والكنس : هي النجوم الخمسة تخنس في مجراها وترجع... وقال الليث : هي النجوم التي تَسْتَرُّ في مجاريها فتجري وتكنس في محاورها فيتحوَّى لكل نجم حويُّ يقف فيه ويستدير ثم ينصرف راجعاً... الكنس : الكواكب... وقيل : هي الخنس السَّيَّارة. وفي الحديث أنه كان يقرأ في الصلاة بالجوارى الكنس. الجوارى : الكواكب».

نقلت هذا النص الطويل نسبياً عن ابن منظور عمداً حتى يتبين معنى «الخَنَس» و«الكنس». ومن الواضح ، رغم الاختلاف بين الأقوال ، أن «الخنس» (بالحاء) هي الكواكب السَّيَّارة التي عرفها القرآن الكريم بأنها «الجوار الكنس» أي تلك التي تجري في قبة السماء ثم «تكنس» أي تختفي فترة لتعود من جديد مسارها الأول. هذه «الجوارى» (من : جَرَى) هي التي تسافر وترحل وتعبر وتغيب وترجع مرة أخرى ، وهذا هو معنى «خ ن س» في المصرية كما سبق بيانه. وليس غريباً - بل طبيعي جداً - أن يُسمَّى رب القمر (أو القمر ذاته) «خ ن س و» أي «الخانس» ؛ فهو إما المسافر أبداً⁽¹¹⁹⁾ ليلاً في السماء يطلع ويغيب ويطلع من جديد ، أو «الخانس» بمعنى الذي يخفى نهاراً أو يخفى آخر الشهر القمري. وفي جميع الأحوال لا تخرج «خنس» المصرية عن «خنس» العربية لفظاً ومعنىً.

متابعة :

يذكر جرجي زيدان (تاريخ اللغة العربية، ص 50) أننا إذا قابلنا كلمة «شهر» في العربية مع أخواتها رأينا الأصل فيه الدلالة على الاستدارة ثم سَمَّوا القمر به لأنه مستدير، ثم أطلقوه على الشهر لأنهم كانوا يوقتون بالقمر، وهو في السريانية «سهرًا» تدل عندهم على الشهر والقمر. وغاب عن جرجي زيدان الجذر في العربية : «سَهَر» أي ظل الليل لم ينم ، وهي ذاتها «سَمَر» بتعاقب الهاء والميم ، أي ظل يقطأ حارساً. وفي ظننا أن هاتين تقابلان المصرية «س پ ر» spr بتعاقب الباء المهموسة مع الميم كما تعاقبت هذه مع الهاء في «سمر» و«سهر» - ومعناها في المصرية : قمر. وهي قريبة من مادة «سَفَر» العربية التي تؤدي إلى : سافر، سفر، مسافر. فنرجع إلى نفس معنى «خ ن س» (خَنَس - العربية) أي : الرِّحَال ، المسافر. وكل لفظ يجر أخاه إلى جانبه كما نرى في أمثلتنا هذه.

يذكر زيدان كذلك (نفس المرجع والصفحة) أن للقمر في العبرانية لفظاً مشتقاً من مادة أخرى هي (يرح) والأصل في معناها «الدوران» فاشتقوا منها «يارح» للدلالة على القمر والشهر، ومن هذه المادة في العربية «رواح» أي العشي ، فكانوا يقولون : راح فلان ، أي جاء أو ذهب في العشي بغير تقييد بالذهاب أو المجيء مثل قولهم : أصبح وأمسى . ثم غلبت فيها الدلالة على الذهاب في

(119) يسمى القمر أيضاً في المصرية «أ ب د» abd كما يسمى «الشهر» كذلك «أ ب د». قارن العربية : أ ب د = زمن متطول، شهر = هلال، وحدة من الزمن.

العشي، ثم صارت للدلالة على مطلق الذهب. ويضيف زيدان :

«ومن بقايا (يرح) في العربية مادة أشكل على أئمة اللغة معرفة أصلها، فعدها بعضهم فارسية وعدها آخرون يونانية، واكتفى غيرهم بأنها غير عربية (كذا!) وهي في الحقيقة (سامية) الأصل نعتي بها لفظ: «أراخ» أو «ورخ» أو «أرخ» بمعنى «وقت». والأظهر عندنا أنها من بقايا اسم الشهر عندهم «يرح» - والاببدال بين الحاء والحاء هين - ومنه «التاريخ» = تعريف الوقت، ثم تنوع معنى هذه اللفظة فصاروا يدلون بها على علم التاريخ، أي ذكر الوقائع والأحداث». (انتهى نص زيدان).

وأئمة اللغة، كما هو جرجي زيدان، معذورون في هذه الحيرة⁽¹²⁰⁾؛ إذ لم يعرفوا أن ما جاء في ما يسمونه «السامية» بصيغ: يرح، آراخ، ورخ، أرخ، وغيرها، بالحاء المهملة وبالحاء المعجمة، هي في المصرية بصيغ: «إح» ih، «إأح» iah، ونحوها بمعنى «قمر» (أنظر: «غاردرنر» Eg. Gr. و: «بدج» An Eg. Hier. Dict.) ومن الجلي أن الراء سقطت في الأولى وأنها أبدلت همزة في الثانية⁽¹²¹⁾، تماماً كما وقع الابدال بين الحاء والحاء في «أرح» و«أرخ» حسبما قرره زيدان. وتدل على عروبتها نذكر أنها في السبئية «ورخ» (بالواو - مما يبين كثرة الابدال الذي وقع على هذه الكلمة الدوارة الحائرة!) وتعني: شهر، كما تعني: قمر. (Biella; Dictionary of old South Ara- bic, p. 149)

ومن هنا أجاز ابن منظور أن نقول: أرَّخ، كما نقول: ورَّخ. والتأريخ هو التوريب. وهي في الأكادية: «أرخو» arhu (Weir; p. 32).

فإذا كانت وردت في السبئية (العربية الجنوبية) وفي العربية الفصحى بالحاء فإن ظننا أنها أصلاً على الأرجح بالحاء، والأصل - كما قال زيدان - في دلالتها الدوران، الذي هو من شأن القمر - أعني الدوران في الفلك وليس من الاستدارة شكلاً كما ذهب. والدليل على ذلك أن مادة «ورح» هي مقلوب «ح ور» (بمعنى: دار) وهي ذاتها «ح ي ر» ومنها الحيرة (الدوران دون تحديد هدف) والحيرة - بكسر الحاء (ما يحيط من المنازل والبيوت، وسميت «الحيرة» كذلك لهذا). ومقلوب «حير» هو «حري». فلنقرأ هذا النص من ابن منظور في هذه المادة الأخيرة. قال:

«الحري: النقصان بعد الزيادة. يقال: إنه يجرى كما يجرى القمر حرياً ينقص الأول منه فالأول، وأنشد شمر:

ما زال مجنوناً على است الدهر * في بدنٍ ينمو وعقلٍ يجرى

... والحرّاء: الكيناس. التهذيب: الحرّاء: كل موضع لطبي يأوي إليه.»

(120) الحيرة: التردّد قداماً وخلفاً، عدم القطع في الأمر، الدوران حول المسألة دون جزم فيها، وهي من مادة «حير» ذات الصلة بمادة «حور» = دار، ومشتقاتها. وهي مقلوب «روح».

(121) تبدل الراء عيناً في كلمات كثيرة منها مثلاً «ع خ م» (صقر. العربية: رخم). أنظر: Ember, 5. G. 1 وورد في (اللسان): «الرحمة طائر أصقع على شكل النسر خلقة إلا أنه مبقع بسواد وبياض». مادة: رخم.

ومن المهم الانتباه هنا إلى ارتباط الحري بـ «القمر» الذي «يحري حرياً» وإن دل على النقصان بعد الزيادة، نقصان «دائرة» القمر ونقصان «دورته» كذلك بعد منتصف الشهر، كما أن المهم الالتفات إلى «الحرأ» بمعنى «الكناس» فإن هذا يعيدنا إلى «الخنس الجوّاري الكنس» من جديد ويبرهن على الصلات القوية بين اللغتين العربية والمصرية في الألفاظ التي أوردنا من قبل. فقد رأينا أن المصرية «خ ن س و» تقابلها العربية «خنس / خانس» وهو اسم رب القمر المعبود، وأن المصرية iaḥwih هي العربية «أرح / أرخ» وأخيراً وجدنا العربية «حري» متصلة بالقمر، ومنها «الحرأ» التي عرفنا أنها «الكناس»، و«الكنس» و«الخنس» شيء واحد في بعض أوجه الدلالة، من ذلك مثلاً: «الوسواس الخناس» - الذي يعني عند أغلب المفسرين الشيطان الخفي، أو المختفي، يوسوس للإنسان ليظهر عند استجابة بعض البشر لوسوسته - فأنت ترى أن الدلالات وإن تباعدت ظاهراً ذات صلة بعضها ببعض عند تتبعها. ولا عليك بعد ذلك من تحوّل اسم المعبود «الخناس» أو «الخناس» (خ ن س و) في لسان الإغريق إلى «خسبسيخس» (chespisichis) فهذا مثل من أمثلة تحريف اللغة العروبية عند اليونان ومن جاء بعدهم من الأوربيين.

خ ن م Khnem

عبد هذا الرب في صورة كبش في الفترة المبكرة من المملكة الحديثة، وكان يصوّر آنذاك رجلاً ذا رأس كبش، وكان يعتبر حارس منابع النيل يأتي بالفيضانات، ولكن وظيفته الأهم كانت الخلق؛ إذ كان يصوغ جسد الوليد على عجلة فخاري ويزرعه بذرة في رحم الأم، وهو خلق الآلهة بهذه الطريقة. كان يسمّى «أبا الآباء» و«أم الأمهات». وفي (إسنا) بجنوب مصر كان «خنم» خالق كل الكائنات، بل كان في الواقع تجسيدا للوجود كله. وفيه اتحد «رع» (الشمس) و«شو» (الجو) و«أوزيريس» (العالم السفلي) و«جب» (الأرض) - وهذا ما يفسر تصويره بأربعة رؤوس. وقد يعني اسم هذا المعبود (الكبش). وفي العصور التاريخية صورت رؤوس كباش متنوعة جمعت إلى حد بعيد بعضها إلى بعض.

يرجع كثير من الباحثين (مثل «كوهن» و«إمبير») اسم المعبود «خنم» إلى العربية «حَمَل» على سبيل الإبدال بين الخاء والحاء، والنون والميم، والميم واللام (خ ن م = ح م ل). ولكن العثور على الكلمة العربية المقابلة لاسم هذا المعبود الشهير لا تستوجب كبير عناء؛ إذ هو ليس سوى «غنم» - أبدلت الغين خاءً لقرب مخرج الصوتين.

يقول (اللسان) في مادة «غنم»:

«الغنم : الشاء (جمع شاة) لا واحد له من لفظه . . . والجمع : أغنام وغنوم . . . وقد تجمع على : أغانم .»

وعجيب أن يقرر ابن منظور أن «الغنم» لا واحد له من لفظه ؛ فإننا يمكننا أن نقول «غنمة» - كما يفعل عرب الشام اليوم - إذ هي واحدة من اسم جنس، كما نقول : بقر، بقرة. شجر، شجرة. زهر، زهرة. زيتون، زيتونة. إلخ. وقد اتخذ من «غنم» أسماء عربية منها : بنو غنم - قبيلة من تغلب، وهو غنم بن تغلب بن وائل. ويغنم : أبو بطن. وغنم وغانم وغنيم : أسماء. وغنامة : اسم امرأة (قارن : غنمة). وحتى كلمة «الغنم» بمعنى الريح والفوز - في مقابل «الغرم» أي الخسران - ترجع في الأساس إلى «غنم»، وكذلك «الغنيمة» و«المغنم» ؛ إذ تعود أصلاً إلى وفرة الخير. كثرة الشاء والغنم. وللاستاذ عبد الحق فاضل في كتابه (مغامرات لغوية) بحث لطيف حول ما اشتق من الجذر «غنم» من معانٍ ودلالات تحت عنوان : «التطور الحي في اللغة العربية. آثار حيوانية في اللغة» فليرجع إليه من أحب أن «يغنم» فوائدها !

د ب ٥ ٤ ٣ ٢ ١ teb

منذ المملكة القديمة كان يُحتفل في مهرجان كبير في الدلتا بذبح «فرس النهر» (hippopotamus) كل عام، يذبحه الفرعون (مثل «حورس») نفسه رمزاً لقتل «حورس» إله الشر «ست» المتخذ شكل هذا الحيوان. وهناك تصاوير كثيرة من عصر المملكة الحديثة تظهر «حورس» وهو يقتل إله الشر ممثلاً في فرس النهر، برمح. ولكن هذا الحيوان قد يظهر في صور حسنة أحياناً كثيرة. وكان يعتبر رمزاً لخصوبة الأنثى التي ظهرت في الربة الحامية «ت. ورت» Ta-wrt. وثمة رسوم جميلة لمنظر صيد فرس النهر في عصر المملكة الوسطى.

في المصرية يسمى فرس النهر «دب» db. ولا حاجة للشرح والتطويل في هذا الاسم فهو واضح بذاته ؛ فهو من «دب»، يدب، دبا، ديبياً. ومنه : الدواب جمع «دابة»، وتطلق على كل حيوان. ثم خصصت ضخام الحيوان، فكان «الدب» - ضرب من السباع، ويجمع على : دباب ودببة، والأنثى : دببة. وأرض مدببة : كثيرة الدببة. وإذا كانت «الدب» تدل على الحيوان المعروف الذي يسكن الأبيض منه في القطب الشمالي ويوجد ضرب منه في غابات الهند، فإن في المصرية تعني «دب» db : فرس النهر، كما تعني : الخنزير (معجم «بلدج» صفحة 873) - وهذا كله من «الدبيب» (دابة). وقد تنوعت الدلالة. ولم لا ؟ ألا نطلق نحن الآن كلمة «دبابة» على الآلة الحربية فينصرف الذهن إلى ضخامتها وليس إلى ديبها على الأرض ؟

يدلل على معنى الضخامة أن أنثى فرس النهر تدعى في المصرية «ت. ء. ورت» Ta-wrt ومعناها الحرفي : «الحمأة (قطعة الطين) الضخمة». ونحللها كما يلي :

(1) «ت. ء.» Ta : أرض، طين.

في العربية : طاعة، طأة، طائة، نطأة، شأط : الحمأة، أو الطين حمأة كان أو غير ذلك. أنظر هذه المواد في مواطنها من (اللسان). «قال أمية يذكر حمامة نوح :

فجاءت بعدما ركضت بقطفٍ * عليه الشأط والطين الكبار»

(2) «ورت» wrt : مؤنث «ور» wr (أنظر هذه المادة في هذه الدراسة) = عظيمة (ورئية).

فلقب أنثى فرس النهر «ت. ء. ورت» (الحمأة العظيمة) تكافئ بالضبط : «الشأطة الورية» أو «الطية الوارية».

ولعمري لقد وُفقَ قداماء المصريين في هذا اللقب الذي أطلقوه عليها أيما توفيق، فما هي في الواقع حجماً ولوناً سوى قطعة ضخمة (ورئية) من الطين الأسود أو الحمأة (طائة) تدب على ضفة النيل ثم تعود لتغطس من جديد في الماء أو تطفو على وجهه مثل كتلة الحمأ السوداء. من جهة أخرى أورد (اللسان) :

«الطائة : دويبة (دابة/دبة) لم يحكها غير صاحب (العين)⁽¹²²⁾. فإذا كان هذا فإن لقب أنثى فرس النهر «ت. ء. ورت» (طائة ورئية) يعني : «الدابة العظيمة» بالضبط.

ختاماً، نحب أن نشير إلى أن فرس النهر هذا، أو هذه، يسمى في مصر المعاصرة «سيد إشطه». وقد تعود الناس على كتابتها «سيد قشطة» بالقاف ظناً منهم بأن نطق الهمزة بدل من القاف كما هي في لهجة بعض عرب مصر. ونرجح أن الهمزة في «إشطه» أصلية وأصلها «ثأطة» (قلبت : أنشطه). ولثقل توالي الشاء المثلثة والطاء قلبت الأولى إلى شين «أشطه» وكسرت الهمزة فكانت «إشطه» ؛ إذ لا معنى مطلقاً لكتابتها «قشطة» (وهي الزبد المقشوط = قشدة/قشطة) ولا صلة لها بهذا الحيوان.

ندلل على ما نقول بورود كلمة «سيد» التي تصاحب «إشطه» (سيد إشطه). وفي تصورنا أنها المرادف الآخر لكلمة «ور» wr المصرية (معناها : عظيم، كبير، رئيس، سيد قارن ما أوردنا من تحليل في «ور») وهي العربية : «وري».

وبذا يتضح معنى «سيد إشطه» : الشأطة العظيمة، أو الكبيرة. تماماً مثل «ت. ء. ورت»، مؤنث «ت. ء. ور» = الحمأة العظيمة، أو «عظيم الحمأة».

(122) يعني الخليل بن أحمد الفراهيدي. وكتاب (العين) هو أول معجم عربي فيما يقال.

دوءت 𐤃𐤅𐤁 Dawat

يقول (والس بدج) :

«إن معنى كلمة «دوءت» dwat صعب التفسير؛ إذ تعني عالم «أوزيريس» الأخرى. وهي ليست «جهنم» المسلمين، ولا «شيول» العبريين، ولا «هيدس» اليونان، ولا «الجحيم».. فهي تحوى هذه المسميات كلها. وهي مكان غيب unseen وبها مهاوي الظلمة وحفر النار التي يلقي فيها أعداء «أوزيريس» وبها كل صور العذاب. وعلى الجملة فإن أفضل ترجمة للكلمة هي (العالم الآخر) The Other World أو (العالم السفلي) (Underworld). وعند تحديد مكان هذه الـ«دوءت» فقد اعتقد المصريون أن الدنيا يحيط بها جبل، يشبه ما عند كتاب المسلمين من حديث عن جبل «قاف»، ومن بعده تأتي «دوءت» في سهل منبسط مواز لهذا الجبل⁽¹²³⁾».

الأستاذ «غاردنر» يترجم هذه الكلمة إلى (Netherworld) (العالم السفلي، أو العالم الواطىء). وهي وردت في (نصوص الأهرام) «دءت» dat ومن الواضح، كما يقول، أن الواو ساقطة هنا والصيغة الصحيحة كما هو معروف «دوءت» dwat، والمعنى الدقيق للكلمة عنده (مكان غبش الصبح) (the place of the morning twilight). وهي معروفة في القبطية القديمة في صيغة «تي» Tei و«تبي» Tei.

هناك جملة ملاحظات أولية :

أولاًها أن كلمة «دوءت» هذه مؤنث «دوء» dwa. وترجم في العادة : صبح (غاردنر). وفي معجم «فولكنر» (A. Con. Dict of M. Eg) : نقرأ :

«دوء» dwa : ينهض مبكراً.

«دوءو» dwaw : فجر، صباح.

«دوءيت» dwayt : صباح.

كما نقرأ فيه :

«دوءت» dwat : العالم السفلي.

(123) The Egyptian Heaven and Hell, p. 87. وفي معجمه An Eg. Hier. Dict يقول إن Dw at اسم قديم جدا لأرض الأموات والعالم الآخر. وفي كتابه The Dwellers on The Nile, p. 277 يقول إن معنى «دوءت» غير معروف «ولكن بعض النصوص تشير إلى أنها تقع تحت الأرض (under the earth)».

«دوء تى و» dwatyw : سكان العالم السفلي .

وكذلك :

«دوء» dwa : يمجّد، يعبد .

«دوءت» : عبادة .

(أنظر صفحة : 310 . وهناك مشتقات كثيرة أخرى) .

وكذلك الأمر بالنسبة لمعجم «بدج» An Eg. Hier. Dict (صفحة 870 وما بعدها) . أما «غاردرنر» (Eg. Gr., p. 487) فإن «دوء» dwa تعني لديه الصلاة (صلاة الصبح خاصة) . وقد نقول ، بتسرّع ، إن «دوء» بمعنى «صلاة» هي «دعاء» في العربية ، وقد يكون هذا صحيحاً ، وما يمنعنا هو ثنائية هذه الملاحظات وهي أن معاني «دوء» ومشتقاتها تدور حول الفجر والصبح والبكور ، وحتى الصلاة كانت صلاة الصبح بصفة خاصة . وهذا كله مرتبط بالنور وظهوره . أي بـ«الضوء» . ومن هنا نرى أن «دوء» هي «ضوء» بالضبط ، بتبادل الدال والضاد كما هو واضح .

نؤيد هذا الرأي بثلاثة الملاحظات وهي أن الرمز المهيروغليفي الدال على «دوء» ومشتقاتها يعتمد أساساً على صورة نجم * في جميع ما يتصل به من قريب أو بعيد ، مع إضافة الرموز الأخرى طبعاً لتؤدى إلى اختلاف الأصوات الضرورية لتنوع الاشتقاق . ومعنى هذا أن فكرة النور (الضوء) هي المسيطرة هنا . يستوى الأمر في ذلك ما بين معاني «الصبح» و«العبادة» وما ترجم بـ«العالم السفلي» («دوءت» dwat) .

ورابع الملاحظات أن المصريين ، في بعض عهودهم ، اعتبروا أن عالم الأموات هو «عالم النور» وليس «عالم الظلمة» كما عند اليونان . فهو عالم «رع» (الشمس) الرحيب . فلا عجب أن تسمى أرض الموتى («دوءت» = ضوءة . أرض الضوء ، المضيئة ، أو الضوئية) ، فترجمتها بالعالم السفلي ، أو بما سبق ذكره ، ترجمة غير دقيقة حرفياً وإن كانت تعنيه ، والأولى القول : «عالم الضوء» .

هذا من جانب . أما من جانب آخر فإننا نلاحظ أن الدال في «دوءت» كان إبدالاً للضاد في «ضوءة» وهما قريباً مخرج الصوت ، والقريب منها كذلك التاء المثلثة النقط . ولذا وردت «ثوءت» (معجم «بدج» ، صفحة 871) . وقد نقابل هذه بالعربية : «ثوى» و«الثوي» القبر - وهو «المثوى» = عالم الموتى .

لكن «بدج» (صفحة 870) يقابل «دوءت» بالحبشية الأمهرية «طيت» . فإذا كانت التاء في آخرها للتأنيث ، كما هو الحال في «دوءت» المصرية و«ضوءة» (ضوءت) العربية ، فمعنى هذا أن الأصل في الأمهرية «طِي» ، والطاء تعاقبت مع الدال والضاد في المصرية والعربية . وعلى هذا فإن من الجائز القول بأن «دوءت» تقابل «طوءت» كما قابلت «ضوءت» .

وقد ذكر «بدج» أن «دوءت» عنت عند المصريين «المكان الخفي» ، غير المرئي ، الغيب Un-seen . فما هو المكافئ العربي هنا ؟ إنه الجذر «طوي/طوا» . ومنه «الطوية» (الضمير/المضمرة) و«طي الغيب» أي «عالم الغيب» = مخفي ، غير منظور . وهذا ما يقابل الأمهرية (وهي اللغة

العروبية) : «طي»، مؤنثها : «طيت» = طيبة . ومع هذا لا يغيب عن بالنا التقليد المصرية المعروف في تخنيط أجساد الموتى و«طيها» في المومياءات، فهي «الطوية» (المطوية).

هذا كله جائز، لمعرفتنا بميزة اللغة المصرية، كالعربية، في استخدامها ألفاظاً تؤدي جملة معانٍ مرتبط بعضها ببعض وإن بعدت في الظاهر.

وقد كان المصريون يعتقدون أن أرض الأموات (مهما كان أصل تسميتها «دوءت») عبارة عن «سهل» يقع خلف جبل محيط بالدنيا يشبه تصور بعض كتاب المسلمين عن جبل قاف، كما ذكر «بدج».

هنا ينصرف الذهن إلى كلمة جاءت في القرآن الكريم ودعيت «الوادي المقدس»، وهي كلمة «طوى». إذ وقف موسى بالوادي المقدس فخطب :

﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَأَخْلَعُ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طَوَّى﴾ (طه/12).

﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طَوَّى﴾ (النازعات/16).

ويتفق معظم المفسرين على أن «طوى» اسم للوادي المقدس الذي خطب فيه موسى . ولكنهم يختلفون في أصل التسمية ذاتها⁽¹²⁴⁾. فلننظر في بعض ما جاء عنها في (لسان العرب) تحت مادة «طوي» :

قال الجوهري : طوى اسم موضع بالشام، تكسر طاءه وتضم ويصرف ولا يصرف، فمن صرفه جعله اسم وإد ومكان وجعله نكرة ومن لم يصرفه جعله اسم بلدة وجعله معرفة . . . ابن سيده : وطوى ووطوى : جبل بالشام . وقيل : هو وادٍ في أصل الطور⁽¹²⁵⁾. وفي التنزيل : ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طَوَّى﴾ . قال أبو إسحاق : طوى اسم الوادي، ويجوز فيه أربعة أوجه : طوى، بضم الطاء بغير تنوين وبتنوين . . . وإذا كسر فنون فهو طوى . . . ومن لم ينون جعله اسماً للبقعة . قال : ومن قرأ طوى بالكسر فعل معنى المقدسة مرة بعد مرة . . . وقالوا في قوله تعالى ﴿بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طَوَّى﴾ أي طوي مرتين أي قدس . وقال الحسن : ثبت فيه البركة والتقدیس مرتين .

ويضيف ابن منظور : «ذو طوى» : واد بمكة . قال ابن الأثير : ذو طوى، بضم الطاء وفتح الواو المخففة، موضع عند باب مكة يستحب لمن دخل مكة أن يغتسل به» .

فهل يفوتنا هنا أن نلاحظ صلة «طوى» بطور سيناء، وكونه وادياً بمكة، أو عند بابها، يستحب لمن دخلها أن يغتسل به ؟ هل تفوتنا هذه الصلة اللغوية والدينية ذات الدلالة السيئة ؟

(124) اختصر محمد اسماعيل ابراهيم في مؤلفه (معجم الألفاظ والأعلام القرآنية) القول فأورد : «قال بعضهم ؛ هي كلمة عبرية». ولم يعين «بعضهم» هؤلاء، ولم يذكر معنى الكلمة أو تعريفها، لكن معرفتنا بعلاقة العبرية والعربية تأذن بالقول إن المعنى كان واحداً أو متقارباً على الأقل .

(125) أي «طور سيناء» .

لقد رأينا «طوى» اسماً لموضع، ولجبل، بالشام، ولوادي في أصل الطور، واسماً للبلدة وبقعة، مما يعني أن اللفظ كان معروفاً عند العرب تسمى به الأماكن. فهل تكون «دوءت» هي «طوى» مضافاً إليها تاء التأنيث؟ وقد تعاقبت الدال والطاء كما حدث في الأمهرية؟ ولا بأس من وجود الهزمة؛ فقد وردت «طواء» عند ابن منظور كذلك (= طوء) فإذا أنثت كانت «طواءة» (= طوءت = دوءت).

وتبقى الإشارة الأخيرة إلى علاقة القدسيّة والتقدّيس بـ«طوى»، وهي «الوادي المقدس». ونحن نعرف أي حدّ من التقديس كان لـ«دوءت»، بل نقول إن هذا التقديس لا حدّ له في الواقع. فذاك هو مكان الآلهة العظيمة في نظر المصريين، بعالم الأموات والأرواح الخالدة، محل الحساب والثواب والعقاب، وهو ما كان يشغل ذهن المصري القديم منذ ولادته حتى مماته، فهو أقدس المواقع على الإطلاق. ذاك ما عنّ لنا عرضه... والله أعلم بالصواب.

رشب و Reshpu

معبود سوري الأصل كان إلهاً للحرب والرعد، يصور وهو يلوح بمختلف الأسلحة. وهو يلبس تاج المصعيد الأبيض يتدلى منه شريط، وعند قاعدة التاج فوق الجبهة يوجد قرنان أو رأس غزال كامل.

من الجذر «رشب» Ršp في الأكادية جاءت كلمة «رشبو» rašbu ومعناها: يلتهب، المخيف (Weir ; P. 279) وكذلك «رشبو» rašbu أي: التوقير المرتبط بالأمر، أو المهابة (Commanding res-pect) (Reimschneider, p. 26).

في الكنعانية «رش ف» وهورب الوباء واللهيب والبرق، يقابل اسمه في (التوراة) Reshef (فريجة؛ ملاحم وأساطير... صفحة 55).

وعلى هذا يمكننا مقابلته في العربية بالجذر «رجف»:

«الرجفان»: الاضطراب الشديد. رجف الشيء، يرجف، رجفاً ورجوفاً ورجفاناً ورجيفاً. والرجفة: الزلزلة. ورجف القلب: اضطرب من الجزع. والرجفة في القرآن: كل عذاب أخذ قوماً. والرعد يرجف رجفاً ورجيفاً. ورجفت الأرض: إذا تزلزلت. والرجاف: البحر، وقيل: الرجاف يوم القيامة. (لسان العرب، مادة: رجف).


هذه الاشتقاقات تنطبق كلها على «رشب» - بتعاقب الشين والجيم والباء المهموسة والباء

المفردة - الذي هو : «رجف»، أو «رَجَّاف» أي المرجف المخيف المرعب، رب الوباء والحرب والحمم وجميع صور البلاء.

وقد يكون هذا مقبولاً. وهناك جذر آخر في العربية قريبٌ لفظاً ودلالة من «رش ب»، أعني «رجب» الذي جاء عنه في (لسان العرب) :

«رَجَبَ الرجل رَجَباً : فزع . ورَجَبَ ورَجَّبَ فلان فلاناً : هابه وعظمه . ومنه سمي (شهر) رجب . ورجب : شهر سموه بذلك لتعظيمهم إياه في الجاهلية وامتناعهم عن القتال فيه . والترجيب : التعظيم . وإن فلاناً لمرَجَّب ، ومنه ترجيب العتيرة⁽¹²⁶⁾ وهو ذبحها في رجب ، وهي التي كانوا يسمونها الرجيبية ، كانوا يذبحون في شهر رجب ذبيحة وينسبونها إليه . والترجيب : ذبح النسائك في رجب . يقال : هذه أيام ترجيب وتعتار⁽¹²⁶⁾ . وكانت العرب ترَجَّب ، وكان ذلك لهم نسكاً أو ذبائح في رجب» .

ويستطيع القارئ أن يستخلص من هذا النص مكانة «رجب» الرفيعة عند عرب الجاهلية، والتعظيم الذي أحيط به، وما ذبح النسائك في رجب إلا بقايا قرابين كانت تقدم لآله هذا اسمه، وما امتناعهم عن القتال في الشهر المسمى باسمه إلا ذكريات عبادته رباً للحرب والقتال، تماماً كما هو حال «رش ب» الكنعاني/المصري القديم .

وقد تعرض الأستاذ «بدج» (Budge ; The Gods of The Egyptians, ii, p. 282) بتفصيل لهذا المعبود باعتباره (دخيلاً) على وادي النيل، وذكر أن مركز عبادته كان بالدلتا في موقع يدعى «ح ت . رش ب»  (عربيته : حيط رجب/أورجب) . ويورد أشكال رسم اسمه وينقحها بثلاث صور : رشپ Reshep ، رشپو Reshpu ، رَشْف/رَشَاف Rashshaf . وهو يترجم الصورة الأخيرة إلى الأنكليزية (he who shoots out fire and lightning) أي : «قاذف النار والبرق» . ويرى أن كلمة البرق (lightning) تكفي للدلالة عليه، فهو إذن «البراق» . لكن كلمة «الرجَّاف» العربية أقرب معنىً ومبنىً . يقول ابن منظور في (اللسان) :

«الرعْد يرجف رجفاً ورجيفاً، وذلك لتردد هدهدته في السحاب» .

وهذا يؤيد أن الرجاف (الرعَّاد) أقرب من حيث صلته بقذف النار والبرق ودلالته على الربح والرهبة . (لاحظ أن كلمة «الرعْد» ذاتها تعود أساساً إلى هذين المعنيين : رَعَدَ، رَعَشَ، رَعَفَ . . إلخ . وكذلك : رَعَبَ . وهذه الأخيرة وكلمة «رهب» موصولة بـ«رجب» بتعاقب الحرف الأوسط بين العين والهاء والجيم، يسبقها راء ويعقبها باء، وهي ذاتها «رجف» بتعاقب الباء والفاء . ولعل القارئ لاحظ أن الباء المهسوسة في المصرية «ب» تقابل في العربية إما الباء المفردة أو الفاء . وهذا ما يوضح أن «رش ب» (رج ب) تكافيء «رجف» مرة كما تكافيء «رجب» مرة أخرى) .

(126) في مسألة «العتيرة» و«التعتار» (الجدل : ع ت ر) قارن المعبود السبأي : «عشر»، والبابلية : «عشتر»، الكنعانية «عشتار»/«عشترت» . وانظر الأخيرة في هذه الدراسة .

نشير أولاً إلى أن اسم هذا المعبود «رع» ^{Re} كان يعني في المصرية الجرم السماوي المعروف باسم «الشمس» (عند «غاردنر» مجرد قرص الشمس وإشارة تدل على الواحدية هكذا \odot). وكان لـ«رع» في العصور الأولى مركز عبادة في مدينة «أن» (إوان) التي عرفها اليونان باسم «هليوبوليس» Heliopolis (عربياً : بلد هالة = مدينة الشمس). تعرف اليوم باسم «عين شمس» - ضاحية من ضواحي القاهرة. أصلاً : عون (مدينة) شمس (الشمس) = «عين الشمس» وليس : «عين شمس»). ثم وُحِدَ مع المعبود «حرختي» hr. hty (حورس، باعتباره «شمس الصباح». حرفياً : حورس الأفق. عربياً : «حر خطي» أو «حور الخط» = نور الأفق) وأخذ عنه شعار رأس الصقر الذي يصور به فوق جسد بشر. وبسبب اتحاد «رع» والمعبود الخالق «أت م» atm (الأتم، التأم = الكامل) صار الأخير مظهراً للشمس الغاربة (التامة).

بعد «خضع»، من الأسرة الرابعة، لُقِبَ ملوك مصر أنفسهم بلقب «ابن رع» («س. رع» = s.r. ذو رع). وحين احتل «أمون» المنزلة الأولى في مجمع الآلهة المصرية في المملكة الوسطى لم يكن من الممكن تجاهل «رع»، وبدا قوي المعبودان مكانة عن طريق الاندماج في معبود واحد يُسمى «أمون - رع».

وكان معبود الشمس هذا يعبرُ الفلكَ السماوي في فلكه (قاربه. قارن صلة «فلك»، «فلك») باعتباره ممسك دفة الكون، يصحبه وزيره «تحت» وابنته «مأت» اللذان يمثلان النظام الكوني («تحت» = النور. «مأت» = الحق). وكانت الشمس تعتبر الجرم المرئي لرب السماء (أو مظهر شهوده) كما اعتبرت عينه كذلك.

يكتب اسم هذا المعبود في النقحرات اللاتينية Rē, Re, Ra, Rā وأحياناً، Re° و Rē° وقد نُقحر إلى العربية : «رع» - اتباعاً للغريين الذين يستعيضون عن حرف العين بالاشارة (°) أو (ā) أو بحذفها تماماً لعدم وجودها في أبجدياتهم. وظلت هذه الصيغة مستعملة لدى جميع الباحثين. وهذه أقرب صورة للمصرية التي تكتب دون الصوائت (vowels) وتكتفي بالصوامت (consonants) كالعربية.

وقد رأينا أن اسم هذا المعبود «رع» يعني أساساً «الشمس»، أي الجرم السماوي ذاته، كما يعني «عينه» (عين الشمس أو عين المعبود نفسه). وتصور عين الشمس أو قرصها في الكلمات الدالة على زمن أو وقت (مثل : «هـ رو» نهار (وهـ). «س و» : يوم - بالنسبة للتواريخ (ضو/ضوء). «ش و» : ظهيرة (شوي). «وب ن» : ظهور النهار (بان). «س ف» : أمس (سلف). «ون ء ت» : ساعة (آونة) «ع ح ع و» : فترة من الزمان (عهد) . . . إلخ. (أنظر : «غاردنر» (Eg. Gr., p. 485).

إن الارتباط الوثيق بين عين الشمس التي هي عين المعبود الخفي، وخاصة بعد التوحيد ما بين «أمون» (أمن = خفي) و«رع» يجعل من الأخير رقيباً سواوياً دائماً من الصباح ممثلاً في صفته «حرختي» حتى المساء ممثلاً في «أتم». فإذا غابت هذه العين الرقبية كان الوزير «تحت» (= «ضحوة» أي النور. وهو إله القمر = النور. راجع هذه المادة في هذه الدراسة) يقوم بواجب الرقابة ويحمل عن «رع» أعباءه في أثناء راحته اليومية.

كل هذا يؤدي بنا إلى الجذر العربي «رعي» (ثنائيه : رع) الذي يشير أصلاً إلى المراقبة والملاحظة :

«الرعاية : الحفظ. وراعي القوم : عينهم على العدو. وفي الحديث : كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، أي : حافظ مؤتمن (قارن صلة «رع» بـ«أمون») . . . لا تراعه : لا تشهد عليه. والراعي : الذي يرعى المشية أي يحوطها ويحفظها. والراعي : الوالي. ورعى الأمير رعيته رعيّاً ورعايةً : حفظها. وفي المثل : من استرعى الذئب فقد ظلم، أي من ائتمن خائناً فقد وضع الأمانة في غير موضعها. ورعى النجوم وراعاها : راقبها. والمراعاة : المراقبة والمناظرة (قارن مادة «ن ت ر» في هذه الدراسة)، والتأمل والملاحظة. وفلان يراعى أمر فلان أي ينظر إلى ما يصير إليه أمره». (اللسان).

نرى من هذا أن الجذر «رعي» في العربية يقابل «رع» في المصرية بمعنى المراقبة والملاحظة وأن يكون عيناً تنظر وتأمل وتحفظ كذلك. والجذر «رعي» هو نفسه الجذر «رأى» بتعاقب العين والهمزة، إذ يفيد أحدهما ما يفيد الآخر⁽¹²⁷⁾. وهذه وظيفة «رع» الذي تمثله الشمس. ولا يغيب عن بالنا هذا التعبير العربي المعروف : «رائعة النهار» - أي في وضوح الشمس وجلالها (ولا ننس أن «رع» تطلق على الشمس في وضوحها. أما اسمها عند الشروق فهو «حرختي» وعند الغروب : «أتم»).

وتأخذنا «رائعة النهار» (المصرية : «رع. هـ رو» = $r^c. hrw$ = شمس النهار)⁽¹²⁸⁾ إلى جذر

(127) في اللهجة الليبية الدارجة يقال : «إزع» = أنظر. ويقال : «رعيته» = رأيته.

(128) يلفت نظرنا هذا التعبير : «شمس النهار». فهل هناك شمس لليل حتى يقال «شمس النهار»؟

الواقع أن كلمة «نهار» من «نهر» أي «ظَهَرَ» (قارن : نَهَرَ، جَهَرَ، زَهَرَ . إلخ). ولكن كلمة «شمس» في العربية لا ترجع إلى جذر بمعنى الظهور أو النور وما أشبهها. وهي في البابلية «شمش» بشينين (وفي اللهجات =

عربي آخر يخرج عن سبيل القلب والابدال : «روع» :
«الروعة : المَسْحَةُ من الجمال . الرائع : الحَسَن الوجه .

وامرأة رائعة : حسناء . والأروع : الرجل ذو الجهارة» . (قارن : الشمس في حسنها وجهارتها) .
ثم هناك الجذر «ريع» :

«الريع : العَوْد والرجوع .

راع يريع ، وراه يرِيه (لاحظ الابدال بين العين والهاء) : رجع . وترَيَع السراب وترِيه : إذا جاء وذهب» . وهنا نقارن التصور المصري القديم عن الشمس في رحلتها اليومية ، تجيء كل صباح وتذهب كل مساء ، ثم تجيء من جديد ، وهكذا إلى ما لا نهاية (أنظر الهامش (128)) .

ومن الجذر «ريع» : الريعان : ومعناه الأصلي : اللألاء واللمعان . «ريعان السراب . ما اضطرب منه (أي تلاًلاً) وريعان الشباب : نضرتة وصفائه . وريعان كل شيء : أفضله» . وهذا ما يوصف به «رع» المعبود في صورة الشمس المتلألئة .

والريع : الطريق . ومعروف أن للشمس طريقاً واحداً تسلكه كل يوم في رحلتها ، يستقل «رع» فلكه السماوي ويسبح في قبة السماء . ولعل الصدفة هي التي جعلت ابن منظور يستشهد بيت للمسيب بن علس يقول فيه :

في الآل⁽¹²⁹⁾ يخفضها ويرفعها * ريع يلوح كأنه سحل

ويعلق : «الريع : السبيل - شبه الطريق بثوب أبيض» . وهذه هي طريق «رع» البيضاء .

والريع : المكان المرتفع ، أو الجبل ، وفي تفسير قوله تعالى : ﴿أَتَبْنُون بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً﴾ معناه : المكان المرتفع . والشمس ، طبعاً ، مرتفعة - بل هي رمز الارتفاع (قارن : ح ر = مرتفع) .

ولا يستغربن القارىء من هذه الاستطرادات والتخریجات ؛ فإن من المسلم به في اللغة العربية أن للجذر الواحد دلالات كثيرة تتنوع لكنها في النهاية مرتبطة بعضها ببعض بحيث يجمعها . كما أن من المعروف جداً وله المصريين القدماء بالجناس في الألفاظ بحيث يدل الجذر على معانٍ متعددة لكنها متصلة بالمعنى الأصلي المراد . وهذه صفة تشترك فيها اللغتان الشقيقتان .

== العربية الحديثة نجدها : «شمس» ، «سمس» - الأولى في صعيد مصر والثانية في اللهجة الليبية) . فمن أين جاءت هذه «الشمس» ؟

في المصرية : «ش م س» sms (ومشتقاتها كثيرة) تعني : «تبع ، تلا ، مضى في إثر» (معجم «فولكنر» صفحة 267 ، ومعجم «بدج» ، صفحة 742) . وفيها : «ش م» sm بمعنى : ذهب ، سار ، «مشى» (م ش < ش م) . (فولكنر ، صفحة 266 ، وبدج ، صفحة 739) . والصلة واضحة بين السير (المشي) والاتباع والمضي في الأثر . و«الشمس» عبارة عن كوكب سيار (مشاء) . وليس ثمة في العربية من جذر اشتقت منه «الشمس» (كما رأينا في «نهار» من «نهر») ولا يبقى إلا إرجاعها للمصرية «ش م س» ذات الصلة بالجذر الثنائي «ش م» الذي هو مقلوب «م ش» (العربية : مشى = سار) .

(129) الآل : السراب (المتلألئ) .

ولنعد إلى المادة الأصلية (رعى). ونشير هنا إلى الآية القرآنية الكريمة التي تقول: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنًا وَقُولُوا آنظُرْنَا﴾ (البقرة/104). وذلك - كما يقول المفسرون - لأن اليهود حاولوا استغلال الجنس اللفظي واللعب بالألفاظ فكانوا يقولون للنبي (ﷺ): «رَاعِنًا» ويقصدون «رَاعِنًا» - من الرعونة - وقرأها أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود: «راعونا». وفي ذلك محاولة للانتقاص من الرسول (ﷺ) وسبّه علناً دون خشية العقاب، فأمر الله المؤمنين باستبدال كلمة «راعنا» بكلمة «أنظرننا». وهذا يدل على أن الكلمتين بمعنى واحد، وجاء الاستبدال لتفويت الفرصة على أعداء النبي حتى لا يسيئوا الأدب معه⁽¹³⁰⁾. وهذا ما يثبت أن الجذر «رع» يقابل تماماً الجذر «ن ظ ر» (أنظر مادة «ن ت ر» في هذه الدراسة).

فإذا قلنا، بعد هذا، إن «رع» هو «الراعي» - بكل معاني الكلمة - لم نأت عن «ريع» الصواب وسواء السبيل، ذلك الذي «يريع» فيه «رع» و«يرعى».

ذلك هو رب الشمس، أو المعبود المرموز له بالشمس. وقد جعل قدماء المصريين له رفيقة ربةً للشمس أيضاً. فماذا نتوقع أن يكون اسمها؟ إنه «رع.ت» وقد نقابلها بـ«راعية»، ومن الممكن جداً أن تكون «الرائعة» مبنياً ومعنى⁽¹³¹⁾، وهو لقب يناسب السيدة الجهيرة الحسنة كل المناسبة. ليس هذا أمراً رائعاً؟!

س ع ت

كانت الوزه تنتمي، بسبب من رمزية البيضة، إلى عالم أساطير الخلق، خاصة أن الدجاج لم يعرف في مصر حتى عهد «تحتس الثالث» وحملته في سوريا. وقد ساد الاعتقاد بأن أول الألهة خرج من بيضة طائر يدعى «القراق العظيم». وقرنت هوية الأزمنة الكونية القديمة بالآله «أمون» الذي كان هو نفسه يمثل على شكل وزه، ثم صارت هذه رمزاً للحرب «حورس الولد»⁽¹³²⁾ H.r.hrd. ولا كانت القرابين تحسب محوياً لأعداء الأرباب وكانت الوزه إحدى أكثر القرابين شعبية، فقد صارت تجسيداً لقوى الشر واعتبرت حيواناً يرمز لرب الشر «ست».

(130) في القرآن الكريم مثل آخر لتحريف اليهود الكلمات لعباً بالألفاظ. فقد أمروا: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً﴾ (البقرة/58. قارن: الأعراف/161). ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾. (131) هو في العبرانية اسم أنثى بصورة «راعوث». ونجده في الأنكليزية اسماً للاناث في شكل Ruth. (132) «خرده» في العربية تؤدي إلى «خريدة» = الفتاة البكر العذراء الحبيبة. أي «الصغيرة» - وهي مؤنث «خريد» الذي يعني، قياساً: الفتى، الصبي، الولد.

ترمز صورة الوزه في النقوش الهيروغليفية إلى صَوْتَيْن هما : «س» (S) و«ز» (Z) . ودلت مره على «ج» (G) (راجع كلمة «ج ب ب» Gardiner ; Eg. Gr., p. 410. Gbb) وهذه الأصوات قريبة المخارج مما يكثر الابدال بينها . وهي (أعني صورة الوزه) وردت في كلمات منها : «س ت» st (وأحيانا «ز ت» zt ولعلها «ز ت» zat) : ببلول ، نوع من البط ، وزه (pintail) . «س ء» Sa (وأيضاً : «زء» Za) : ابن ، ذ = ذو (السبئية) . «س ء و» Saw : شعاع ، ضوء (س = ض) . «س ء ت ء» Sa.Ta : ثعبان/حرفيا : ابن الأرض (العربية : ذو طاة ، طاعة ، طائة) = ذو طية (ابن الأرض) . «ح ر . س ء» ḥr.sa : فوق الظهر (راجع : «ح ر» = فوق . السأو = الظهر) .

هذه الكلمات ، وأمثالها كثير ، تقرأ بصوت السين أو الزاي حين نجد فيها صورة الوزه المستدقة طرف الذيل pintail ، ولكنها تنطق بأشكال مختلفة إذا فقدت الوزه فيها طرف ذيلها المستدق . . وهذه ، لعمرى ، منتهى الدقة !

نجدها عريضة الذيل مثلاً في كلمة «إ ب ط» (تقرأ أحياناً : أ ب د) وترجم إلى الأنكليزية (bird, goose) - وهي العربية «بَطُّ» . كما نجدها كذلك في كلمة «ن ع و» n c w وترجم إلى الأنكليزية ostrich - وعربيتها : نع(م) ← «نعام» . وهاتان ذاتا دلالة على الطير . بيد أننا نعثر على الوزه العزيزة في كلمة أخرى قريبة من حيث الاشتراك في الطيران ، بعيدة عن فصيلة الطير ، فهي من عالم الحشرات ، أعني كلمة «س ن ح م و» sn ḥ m w وترجم إلى «جراد» (locusts) بصيغة الجمع وعلامته الواو ، والمفرد «س ن ح م» S n ḥ m .

وقد نعتبر السين في أول الكلمة للتعدية ، فتظل «ن ح م» n ḥ m ، وهي تترجم بمعاني : يأخذ بعيداً ، يحمل إلى بعيد ، يسرق ، وما إليها (قارن معجم «بدج» و«فولكنر» مادة n ḥ m) وقد نقابلها بالعربية «نهب» - بتعاقب الحاء والهاء والميم والباء . فتكون «س ن ح م» بمعنى : «الناهب» ، «النهاب» ، وهي صفة الجراد الذي يأخذ كل شيء يقع عليه .

ولكننا نجد نفس الكلمة مقروءة بالزاي بدلاً من السين في أولها «ز ن ح م» z n ḥ m كما وردت في «نصوص الأهرام» (غاردرنر ، صفحة 477) . فنكافء «ز» هنا بالعربية «ذو» = صاحب . وقد نكافء «ن ح م» n ḥ m بالعربية «نهم» . فتكون «ذونهم» أي «النهم» ذاك الذي لا يشبع (ولا يمنع هذا أن يكون : «ذونهب» - كذلك) . ويرجع هذا القول أن الجراد يدعى في الأكادية «خاريبو» ḥa-rebu ، ومن البين أن هذا الاسم/الصفة جاء من التخريب أو الخراب الذي يتركه الجراد من بعده أينما حل (الجزر : خرب) . ويؤيده كذلك ما جاء في العربية السبئية : «أ ر ب ي» ar by التي ترجمتها السيدة «ج . بيلا» : جراد (مهاجر) (migratory) locust (Biella ; Dict of S. Arabic, p. 26) .

وقد خلطت «بيلا» بين السبئية «أ ر ب ي» (= خ ر ب ي) والأكادية «أ ر ب ي» بمعنى «هاجر» (قارن العربية : هرب ، غرب ، عرب) فذهبت إلى أن المقصود هو الجراد المهاجر تخصيصاً ، ولكننا

نرى أن المقصود : المخرب (الجذر : خرب) فإن الجراد مهاجرٌ كله وليس هناك جراد مهاجر وآخر مقيم ليتم التمييز بينهما. (قارن العبرية : أرْبَة arbeh ، والمهرية : هَرْبِي harbi = جراد. المصدر نفسه).

يأتي الأستاذ «امبير» (Ember ; I. B. 23) فيقابل «س ن ح م» snhm المصرية (جراد) بالعبرية «سلعام» sel'am (جندب/جراد). وهنا نلجأ إلى العربية فنجد فيها ثلاث كلمات قريب بعضها من بعض ، والأخيرة أقربها لفظاً وإن كانت الدلالة أوسع :

(1) سلطم : السلطم : الذي يتلغ كل شيء.

(2) سلعف : سلعت الشيء إذا ابتلغته.

(3) سلعم : السلعم : الواسع الفم.

والجراد، كما تعلم، يتلغ كل شيء، وفمه أوسع ما يكون.. نسبياً - أعني بالنسبة إلى جسده.

فإذا رمنا مزيداً من التحقق والتحقيق نظرنا في كلمة أخرى في اللغة المصرية تعني «جراد» وهي كلمة «س ح ت م ت ي» shtmt y (معجم «بدج» صفحة 589). ولا تحيرنا هذه الكلمة فإنها أصلاً من الفعل «ح ت م» htm بمعنى : دمر، خرب، أهلك (العربية : حطم) سبقتها سين التعدية فصارت «س ح ت م» shtm (بدج - المعجم، صفحة 520)، ثم أنثت بإلحاق تاء التأنيث فكانت «س ح ت م ت» shtmt ، وزيدت ياء النسبة في آخرها (وهي في العربية تسبق تاء التأنيث) فكانت «س/ح ت م/ت/ي» s.htm.t.y .

وطبيعة الجراد : التخريب، والبلع⁽¹³³⁾، والتحطيم. فهو : «الخطمي» وأنثاه، أو جماعته، «الخطمية» (تماماً كما نذكر بنار جهنم الأكلة كل شيء : الحطمة). فهل نسينا أن كلمة «جراد» في العربية جاءت من الجذر «جرد» وهو يفيد التعرية وإزالة الورق من النبت والشجر؟ ولعل من ذلك «الجُرْدُ» - بالذال المعجمة - وهو الذُّكر الكبير من الفئران، فإن «جَرْدَ» و«جَرْدَ» قريباً الدلالة⁽¹³⁴⁾، والفأر (الجرذ) كالجراد لا يفتأ يجرد كل ما يقع أمامه ويقرضه ويخربه ويحطمه.

ها نحن نجد أنفسنا نتحدث عن الجراد والجردان، وكانت البداية الوزه المعبودة. ولكن لا بأس.. فقد دفعنا إلى هذا أن صورة هذه الوزه الكريمة تبرز في جميع الكلمات المصرية التي أوردناها، في تصاويرها الهيروغليفية. ثم إننا نجدها في كلمة «ح ت م» htm (العربية : حطم) ومعناها - كما سبق القول : يدمر، يهلك (أنظر : Gardiner ; Eg. Gr., p. 471). فماذا تفعل هذه الوزه هنا يا ترى ؟

(133) في الدارجة الليبية يقال : «صلعم» و«صلعب» أي ابتلع لقمة كبيرة بسرعة، كما يقال «سلحب» أي ازدرد بسرعة ويسر طعاماً. قارن «س ن ح م» (= سلحب).

(134) يقال : رجل جَرْدٌ - أي الذي ذهب ماله = تجرّد، أو جَرْدٌ، من ماله.

إنها موجودة باعتبارها «تعبيراً عن قوى الشر» والتدمير والتحطيم، مجسدةً المعبود «ست» رب الشرور كلها، المحطم. وقد استغل كتاب الهيروغليفية هذه الصلة فقرنوها بالجراد، وهو شر محيق لا ريب.

وإذا كان كتاب الهيروغليفية مئزواً بين «الوزة» و«البطة» بتحديد طرف ذيل الأولى وتدقيقه، فإن الأمر يبدو مختلفاً عند عرب الجزيرة⁽¹³⁵⁾، ولا بأس من جولة في (اللسان) لنرى الأمر كيف كان. قال:

«الوزة: البطة. وجمعها: وز. وهي: الإوزة - أيضاً. والجمع: إوز، وإوزون».

وهذا ما يقابل المصرية «ز» و«زء ت» عن طريق القلب. («تأزت المرأة: مشت وحركت أعطافها كمشية القصار») تشبيهاً للمرأة بالوزة (البطة) في مشيتها):

«تأزأ منه: هابه وتصاغر له، وزأزه الخوف» (هنا يبرز «ست» إله الشر وشيطانه المخيف).

«تأزأت من الرجل تأزواً شديداً إذا تصاغرت له وفرت (خفت) منه».

وهذا كله في مادة «زأ» (المصرية نفسها «زء» za) فإذا قلبت كانت «أز»، فنقرأ:

«أزت القدر، تؤز وتؤز، أزا وأزيراً وأزاً، واثترت اثترأ: إذا اشتد غليانها».

«الأزيز: الالتهاب والحركة، كالتهاب النار في الحطب».

«الأزيز: صوت الرعد»

«في التنزيل: ﴿إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا﴾... الأزاز: الشياطين الذين يؤزون الكفار».

ومن الجلي أن الغليان والالتهاب والحركة والاهتياج والحدة هي من صفات الشياطين الذين «يؤزون» الكفار. وهذه هي صفات «ست» رب الشرور عند المصريين القدماء، وهو «الشیطان» نفسه (راجع مادة «ست» في هذه الدراسة للتفصيل).

وهكذا نرى أن العربية والمصرية تشتركان اشتراكاً كاملاً في تطور دلالة اللفظ واختلاف معناه حتى ليبدو الفرع أبعد ما يكون عن الأصل الأول الذي انبثق منه، أو اشتق. وإلا فكيف نفسر صلة الوزة بالشیطان «ست» عند المصريين القدماء إذا لم نبحث عن «الوزة» في مادة «زأ» ومقلوبها «أز» حتى نصل إلى «أن» الشيطان «الأزاز»؟!

(135) هذا الخلط وقع فيه كبار العلماء كذلك. فقد ترجم الأستاذ «غاردرن» (Eg. Gr., p. 428) الكلمة القبطية (أبت) öbet (وهي من المصرية القديمة (a b d/a b t) إلى الانكليزية (goose) - وكان ينبغي أن يترجمها (duck)؛ فإن الأولى تعني «وزة» والثانية تعني «بطة» وهي المقابل الصحيح. ولكن العذر أن الطائرين لا يبعدان كثيراً بعضهما عن بعض.

يعني اسم هذا المعبود في المصرية القديمة «تمساح». مركز عبادته كان في ما عرفه الاغريق باسم «كروكوديلوبوليس» - Crocodiopolis (مدينة التمساح). كان رباً من أرباب الماء، نبع النيل من عرقه، وهو الذي «جعل العشب أخضر» - فكان له بهذا جانب من صفات «أوزيريس». عرفه اليونان باسم «سوخوس» - Suchos.

يذهب «كوهن» (Essai Comparatif) و«إمبير» (Semito-Eg. Studies) إلى أن «س ب ك» المصرية تكافئ العربية «سمك» بتبادل الباء والميم، وذلك باعتبار الآلهة المعني رباً من أرباب الماء. ويقول «هيرودوت» إن المصريين في عصره كانوا يطلقون على الرب «س ب ك» اسماً آخر هو عنده «خبساي» Khampsai وهذا في الواقع تحريف للمصرية «م س ح» أو «م س ح و» كما يقرر (بدج) (Budge ; The Gods of the Egyptians, II, p. 355).

وفي معجم «بدج» نفسه (An Eg. Hier. Dictionary, p. 325) نجد ما يلي :
 «م س ح» m s h : تمساح (crocodile)
 «م س ح ت» m s h t : أنثى التمساح / تمساحة (female crocodile)
 «م س ح» : ذبح، قطع، قسم (to slay, to cut, to divide)

فأين هذا من العربية ؟

إنها العربية ذاتها في جذرها «مسح»، ومن دلالاته : قطع، ضرب، قتل ﴿فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾⁽¹³⁶⁾ أي : قطعاً وضرباً للسيقان والرقاب. ومن هنا جاء تعبير «مسحه بالسيف» أي ضربه وقتله، ومنه «الماسح» أي القاتل (وهذا شأن التمساح). والتمسح والتمساح من الرجال : المارد (القوي) والخبيث. والأخيرة من «مسح» بمعنى : دهن. ومنه «الماسحة» أي الملاينة في القول والمعاشرة والقلوب غير صافية (= المداهنة). والتمساح : التصادق، عن خبث طوية. والتمسح : الذي يلائنك بالقول وهو يغشك، والمسح : القول الحسن من الرجل وهو في ذلك يخدعك (ولعل الدلالة ترجع إلى خبث التمساح حين يختبئ على ضفة النهر بين الأعشاب أو في الماء الضحل ينتظر فريسته لينهشها أو يضرها بذييله حين تطمئن إلى سكونه أو لا تراه. وهذا ما يذكرنا بالتعبير الحديث «دموع التماسيح» كناية عن الكذب والنفاق، إظهار غير الباطن). ومن هنا كانت «التمساح» (مصدر) تعني : الكذب - وأنشد ابن الأعرابي :

قد غلب الناس بنو الطاح * بالافك والتكذاب والتمساح

(136) قرآن كريم، الآية 33 من سورة (ص).

التكذاب من : كذب . والتمساح من : مسح .

وكما أدى الجذر «مسح» في العربية إلى «التمساح» - الحيوان المعروف - من جهة وإلى «المسح» (الدهن) وما اشتق منها من جهة أخرى، نجد الشيء نفسه في المصرية؛ فقد رأينا «م س ح» (الحيوان) وهناك «م س خ» (بتعاقب الحاء والخاء) بمعنى «دهن» (anoit)، «دهون» (unguent).
(أنظر : Budge ; An Eg. Hier., Dict. pp. 287, 325) وهكذا نجد المصرية والعربية تتفقان حتى في الاشتقاق الذي قد يكون متباعد الدلالة من الجذر الواحد.

أخيراً . . نشير إلى أن الاسم الذي عرف به الاغريق هذا المعبود التمساح Suchos يرجع إلى المصرية «س ا ق» sa q ومعناها أيضاً «تمساح» (Budge ; An Eg. Hier. Dic. p. 589) وهي قد تكافئ العربية «ساق» بالضبط، باعتبار ذيل التمساح ساقاً له وهي أبرز وأظهر ما فيه، أو قد تقابل «سحق» بسقوط الحاء، إذ هو يسحق بذيله عدوه سحقاً لا يبقى ولا يذر. أو قد تناظر «صك» أي ضرب ضربة قوية ساحقة بساقه الماردة . . والله أعلم !

س ب ء

تقول (نصوص الأهرام) إن «الأفعى في السماء» (س ب ء .
ح ر) على الأرض . . وكان يُعبَدُ في «عين الشمس» ويدعى تعويذةً
ضد الحيوانات الضارة وأعداء الأرباب . وقد ألحقت عبادته بالمقابر،
وسوي بينه وبين «أوزيريس» باعتباره رباً للمدافن .

يترجم اسم هذا المعبود إلى الأنكليزية (Centipede) (حرفياً : مائة قدم) وهي الحشرة متعدِّد
الأرجل الصغيرة التي نعرفها باسم «أم أربعة وأربعين» (قديماً) (أنظر : Gardiner ; Eg. Gr., p. 589)

وفي معجم «بدج» (An Eg. Hier. Dict., p. 596) نجد :

- «س ب ء» Sp : دودة، أفعى .
- «س ب ء» Spa : الآله / الأفعى، رئيس الأرواح السبعة التي كانت تحرس «أوزيريس» .
- «س ب ء . و» Spa.wr : إله .
- «س ب ء . ح ر» Spa.hr : معبود قبيح الوجه مثل «س ب ء» .
- «س ب ء . ح ر» Spa.Hr : أفعى «حورس» .

وهذا ما يدعوننا إلى مقارنة ما جاء في (نصوص الأهرام) بين «أفعى السماء» و«س ب .
حورس» على الأرض ليس باعتبار هذا المعبود مجرد حشرة «أم أربعة وأربعين» (وهي تأتي في بعض
رموزه الهيروغليفية) فحسب بل بـ «س ب» ضرباً من الحيات ساكنة المقابر . فهو «أفعى»

حورس» على وجه الأرض ولا بد أن يكون عدواً للحيوانات الضارة، آكلة الأموات كالضباع مثلاً، مدوياً مخيفاً مرعباً يبعد أعداء الآلهة عن عالم الموتى الهادئين، فهو إذن ضرب من الأفاعي اللصيقة بالتراب والأرض في مقابل الأفعى السواوية - حسب التصور المصري القديم .

إذا رجعنا إلى العربية وجدناه في صيغة «سَف» (وقد تعاقبت الفاء والباء المهموسة)، وهو «السَّف» و«السَّف»، من الحيات : الشجاع (الصل)، والسَف : الحية على التعميم . كما أورد ابن منظور في مادة «سفف» .

في نفس المادة يضيف ابن منظور : «السَّف : حية تطير في الهواء . وأنشد الليث :

وحتى لو ان السَّف ذا الريش عضنى * لما ضرني من فيه ناب ولا ثعر

قال : والثعر : السَّم، وربما حُصَّ به الأرقم» .

وهذا القول، ومسألة «السف ذي الريش» وأنه حية تطير في الهواء، تهمنا من حيث الأسطورة ومن حيث اللفظ . إذ يبدو أن حكاية «الحيات الطائرة» هذه بلغت سمع «هيرودوت» (القرن الخامس ق. م .) وهو ربما سمعها تتردد على ألسنة أهل مصر حين زارها فأثبتها في تاريخه (الكتاب الثالث، فقرة 107 - 113) عند حديثه عن بلاد العرب الجنوبية وعطورها الفوَّاحة . قال :

«وهم، لكي يجمعوا اللبان، يحرقون تحت أشجاره نوعاً من الصمغ يدعى ستيراكس Styrax (المية) - وهو الصمغ الذي يأتي به الكنعانيون إلى بلاد الأغر يق - لكي يطردوا أسراباً كثيرة من لحيات الطائرة المختلفة الأنواع التي تحرس أشجار اللبان، فتتجه تلك الحيات بمجموعها شطر مصر ولا تبرح مكائنها إلا بواسطة دخان المية» . (قارن : ولفنسون ؛ تاريخ اللغات السامية، صفحة 233) .

وهذه الأسطورة عن «الحية الطائرة» القادمة من بلاد العرب (أرض الأرباب - كما كان يسميها المصريون القدماء، وموطن طائر الحر الأصلي (حورس) المعبود الشهيبي هي نتاج، أو سبب، للربط ما بين «حورس» و«سب» (سف) في المعتقد المصري، وهذا ما يجعل «سب» المصري هو «سف» العربي، الحية الطائرة، لا جدال .

أما عن صلة «سب» بـ «أم أربعة وأربعين» فينبغي ألا ننسى أن هذه الحشرة تشبه في تكوين جسمها الدودة، ولا نبعد إن قلنا : الحية (قارن : «دود» بـ «طوط» = حية، شجاع، ثعبان الماء . إلخ) ولكن لها أرجلاً هي بمثابة الأجنحة أو صفيين من الأجنحة، وهي تعيش في «السفساف» (مضاعف «سف») . فهي إذن جمعت عدداً من الدلالات في ذاتها الكريمة . فإذا قلبت السين إلى صاد كانت «صف» - والصف هو الطيران دون تحريك الأجنحة، يحمل الهواء الطائر فينزلق محوماً دون أن يصفق جناحيه⁽¹³⁷⁾، ومن هنا جاءت علاقة «سب» بالطائر «حورس» (الصقر = حر) .

﴿137﴾ قارن الآية الكريمة : ﴿وَالطَّيْرُ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ . النور/ 41 .

وكذلك : ﴿وَالصَّافَاتِ صَفًّا . فَالزَّجْرَاتِ زَجْرًا﴾ . الصافات/ 1 - 2 .

فإذا كانت «السَّف» حية طيَّارة في الهواء، حسب الأسطورة المصرية، وبحسب ما ينقله ابن منظور فإن «السَّف» أيضاً تعني الأرض (أو لنقل : التَّأْرُضُ، أي الدنو من الأرض) ومنها الفعل «أسَفٌ» (138) :

«أسَفٌ الطائر والسحابة وغيرهما : دنا من الأرض .

قال أوس بن حجر يصف سحاباً تدلَّى حتى قرب من الأرض :

دانٍ مُسَفٌّ فويق الأرض هَيْدَبُهُ * يكاد يدفعه من قام بالراح

أسَفٌ الطائر : إذا دنا من الأرض في طيرانه .

والسفساف : ما دَقَّ من التراب . والسفساف : التراب الهابي . وقال لبيد :

وإذا دفنت أباك فاجـ*ـعل فوقه خشباً وطنينا

ليقين وجه الأرض سفـ*ـسافاً ولن يقينا»

ومن المعجب أن يتعلق شعر لبيد بالمدافن والسفساف، كما ألحق «س پ ء» (سف) المعبود

المصري بالمقابر والأموات . ولا ننس أن نذكر هنا أن في المصرية كلمة «س پ ي» sp y التي يترجمها

بدج إلى الأنكليزية (Crusts of bread) (فئات الخبز) (An Eg. Hier. Dict., p. 596) ولعل الأصوب أن

تكون «السدقيق» (= السف، السفوف : أو حتى السفى) وفي اللهجة الدارجة الليبية هناك :

«السافي» وهو دقيق التراب الذي تعيش فيه حشرة «أم أربعة وأربعين» .

س ت Set (Setesh - Sutekh

يعتبر «س ت»، الذي عرف عند اليونان في صورة «سيث»

Sēth واحداً من أكبر المعبودات المصرية القديمة . ويذكر أحد

(نصوص الأهرام) أن قوة الملك مستمدة من قوته . وهو ظهر في

الصعيد رقيقاً لمعبود الدلتا «حورس» . وكان الملك وريثاً لسلطان

هذين المعبودين . وفي الأسطورة القديمة قاتل «س ت» الحية

«أ ف ف» (139) (أبب = app) حين اعترضت سبيل قارب الشمس .

وأيضاً : «أولم يروا إلى الطير فوقهم صافاتٍ ويقبضن» . الملك / 19 .

(138) ومنه «الإسفاف» أي الدناءة في القول والفعل .

(139) يذهب الدكتور لويس عوض في كتابه (مقدمة في فقه اللغة العربية) إلى أن اسم «عفيفي» يعود إلى «أ ف ف»

هذه . وهذا غير لازم، فإن «عفيفي» نسبة إلى «عفيف» من الجذر العربي «عفف» / عفاف .

في اللهجة الشامية : «الآفية، والآفة : خبيث .

ومن كلامهم في حلب : ها المرا آفية ملفلفة .

ومن أمثالهم : صينية كنافه وجنبا آفة»

وأيضاً :

وفي عصر «الهكسوس» كان «ست» شيخ الأرباب وزعيمها، وفي عهد الأسرتين التاسعة عشر والعشرين كان راعياً للرعامسة ومن هنا كثر لقب «ستي» Sty في أسماء فراعين تينك الأسرتين.

كان «ست» في البداية معبوداً محبوباً حتى وقع الخلاف، حسب الأسطورة، بينه وبين «أوزيريس» زوج «إيزيس» فقتله «ست» وكانت قصة صراعه مع «حورس» ابن «إيزيس» و«أوزيريس» الذي انتقم لوالده من «ست»، وبذا تحول الأخير إلى رمز لقوى الشر ضد قوى الخير وأصبح إلهاً لعالم الظلام والنار والظوفان والرياح الحارة والصحراء، رب الليل الجهنمي وسيد عالم الشرور بكل تمثيلاتها ومعانيها، وصار إلهاً «أحمر» ملتهباً ينفث الدخان وينشر الموت في كل مكان. وقد وقع هذا الانقلاب بُعْدَ عصر «الهكسوس» وبخاصة في أثناء الغزو الآشوري لمصر، وتحول من معبود مقدس جليل إلى عدو يتقَى ورمز لكل شر⁽¹⁴⁰⁾.

نحن هنا أمام معبود مهم جداً. وإذا كان بحثنا يتعلق بالناحية اللغوية في هذه الدراسة فإنه لا مناص من الحديث، ولو اختصاراً، عن ثلاثة جوانب؛ من الناحية الأسطورية (الميثولوجية)، ومن حيث التحليل اللغوي، ثم صورة هذا المعبود.

كان «ست» أحياناً «أوزيريس» كما كان في الوقت نفسه أحياناً «إيزيس». كان ابناً لـ «جب» (إله الأرض = جوب/جبوب) من زوجته «نوت» (إلهة السماء = نوة). وقد تزوج من أخته الثانية «نفثوس» (نبت حت = ربة الحيط). وكانت عبادته أقدم كثيراً من هذا التسلسل الأسطوري، كما أن صفاته كانت مغايرة، بل مناقضة، لصفاته بعد ذلك. كان «ست» مُعيناً ومساعداً للأموات يأخذ بأيديهم إلى طريق الخلاص واللجنة، كما أعان «أوزيريس» نفسه في الصعود إلى السماء؛ إذ كان أخاه وصديقه الحميم، كما كان رفيق «حورس الأكبر» أحد أقدم المعبودات. فجأة حدث نزاع بين «ست» من جهة و«أوزيريس» (أو «حورس الأكبر») من جهة ثانية، فصل الأمر فيه المعبود «تحت» - ولذا سمي هذا «ح ف. رح وى» أي: «قاضى الخصيمين» (= حافي الرحويين، أو المتراحيين). ثم

== يطلقون الآفة على الحية والخنش ==

(أنظر: م. فخر الدين الأسدي؛ موسوعة حلب المقارنة، إعداد محمد كمال، مطبعة جامعة حلب، المجلد الأول، ص 17).

وفي المثليين اللذين نجدهما في لهجة حلب يظهر واضحاً أن «الآفة» و«الآفة» هي الحية، كما يطلقون الآفة على الحية والخنش.

وهذه هي ذاتها «أ ف ف»، الحية التي قاتلها «ست».

Wainwright ; The Sky Religion, p. 110

Budge ; The Gods of The Egyptians, II, p. 241-252

Lurker ; The Gods and Symbols of Ancient Egypt, p. 109

(140) للقارىء أن يعود للاستزادة إلى :

قتل «ست» أخاه «أوزيريس» وألقى أطراف جسده مبعثرة في كل إقليم من أقاليم مصر، وظلت «إيزيس» تبكيه وتندبه حتى استطاعت أن تبعثه للحياة من جديد. وهنا يدخل «حورس الأصغر» (ابن «أوزيريس») لينتقم لأبيه، ويتغلب على «ست»، لكن «إيزيس» ترأف بحال أخيها وتعفو عنه. ومنذ ذلك اليوم يصبح «ست» رباً لليل والظلام وللفوضى والموت والشر في مواجهة «حورس» رب النهار والنور والخير والنظام.

صفات من هذه ؟

تاريخ مَنْ هذا الذي انقلب من الخير إلى الشر ؟

إنها صفات وتاريخ «الشیطان» ؛ كان ملاكاً ثم صار رمزاً للشر. وفي جميع الديانات نجد الواقعة بذاتها : التحول من النورانية إلى النارية (ولا يغيب عن بالنا هذا القرب الشديد بين «النور» و«النار»)، والانقلاب من عالم الخير والضياء إلى دنيا الشرور والظلمة. (لاحظ أن «حورس» من «ح ر» ومن مدلولاتها : البياض، الاشرار، النور. العربية : حَوْر).

هذه إذن واقعة «إبليس»⁽¹⁴¹⁾ بذاتها الذي يُسمى «الشیطان» في القرآن الكريم، وقد تردد اللفظ بالافراد سبعين مرة وبصيغة الجمع (شياطين) ثماني عشرة مرة. ومن الواضح أن الحديث بالافراد (شیطان) يعني كائناً بذاته (وهو المسمى : إبليس) وأن الحديث بالجمع يعني «قوى الشر» التي قد تقابل صور «ست» المختلفة المتعددة، والمتفقة في أنها صور شريرة⁽¹⁴²⁾.

هذا من حيث الأسطورة.

أما من حيث اللفظ فهنما الاشارة أولاً إلى أن اليونان عرفوا «ست» أيضاً باسم «تيفون» (أو «توفون» Typhon) - وهورب السحب والضباب والمطر والرعد والبرق والأعاصير والعواصف والزلازل والكسوف والخسوف، وكل مظاهر الاضطراب في الطبيعة ومسببات الموت والمهلك. وقد ذهب العالمان الانكليزي «بدج» والألماني «برغش» إلى أن الكلمة العربية «طوفان» مأخوذة عن «توفون» هذه⁽¹⁴³⁾ (Budge ; The Gods of The Eg. ii, p. 247). وهذا لا شك خطأ وإهم ؛ فإن

(141) يرجع الباحثون، ومنهم الأستاذ العقاد في كتابه عن «إبليس»، اسم الشيطان الأكبر هذا إلى اليونانية «ديابولوس» (diabolos) (ومنها بقية المشتقات في اللغات الأوروبية الحديثة) ومعناها : المفترى، الواشي، النمام (الانكليزية Slanderer). ولكننا نقترح أن اليونانية نفسها نقلت من العروبية dia «نور» = «ضياء» + bolo(s) (= سيد، رب، «بعل») أي : «رب + النور» (صورة الشيطان الأولى) = بعل الضياء < ضياء - بعل / ضيا بال ← ديابل ← ديابولوس) (بحسب نظام الاضافة في اليونانية).

(142) ليس من باب «اتفاق اللغات» طبعاً أن يكون أحد ألقاب «ست» المعروفة في المصرية : «م ر» mr (أي : الملعون - كما يترجمها «بدج» في معجمه، صفحة 314). قارن لقب إبليس في العربية : «أبو مزة» ! وهو لقب يستعمل، كما نلاحظ، في موطن الحديث عن إبليس باعتباره مغرباً بارتكاب المفاصد الخلقية والمعاصي الدينية عند كتاب المسلمين وشعرائهم.

(143) (معجم أكسفورد) الاشتقاقي The Con. Ox. Dict كان أمعن في التخرير ؛ ففي تعريفه لكلمة Typhoon قال إنها جزئ من العربية «طوفان» - ولعلها من اليونانية Tupon (الريح الدوامة) وجزئياً من الصينية (I) Tai fung

واضح أن اليونان هم الذين نقلوا عن العرب، ذلك لأن مادة «طوف» تقدم لنا «طوفاناً» من لاشتقاق تدور حول معنى الموت والدمار والمطر الغزير والفيضان، وما إليها، وهي مادة لا شك في أصالة جذرها في العربية⁽¹⁴⁴⁾.

أما في القرآن الكريم فقد وردت في آيات كثيرة من مثل :

- ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ﴾ الأعراف/ 133 .
 ﴿فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾ . العنكبوت/ 14 .
 ﴿فَطَافَ عَلَيْهِمُ طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ . القلم/ 19 .
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾ . الأعراف/ 201 .

ولعل القارئ لاحظ الربط بين «طائف» و«الشیطان» في الآية الأخيرة. وهذه تأتي في مادة «طيف» (الجذر الثنائي الأصلي لـ«طوف» و«طيف» هو «طف». ومن ذلك : الطيف = الخيال، الشبح - والشیطان شبح أرواح شريرة، كما يعبر في لغتنا الحديثة. ومن مادة «طف» : طفا - ضد «غرق» في العربية، وفي المصرية «ت ب» Tb = غرق. ولا تزال هذه في اللهجة المصرية اليوم : «طب» = وقع، غرق. ولكن وجود «طوفان» العربية من الثنائي «طف» بمعنى «الغرق» يرجح أن «طفا» كانت تعني أصلاً الغرق ثم صارت بمعنى مضاد، كما حدث في عشرات الكلمات الأخرى⁽¹⁴⁵⁾.

فلنعد إلى المعبود «ست» .

ومع اعتراف الأستاذ «بدج» (المصدر السابق، صفحة 243) بأنه من العسير تحديد معنى هذا الاسم فقد ذهب إلى معارضته باسم «حورس» (ح ر) الذي يعطي جذره معنى : «فوق» أو «أعلى» وبذا يكون معنى «س ت» هو «الأسفل» (he who is below) كما يعبر «بدج» في الأنكليزية. ويدعم رأيه بقول الأستاذ «برغش» إن في القبطية كلمة «سراي» Srai (فوق) وكلمة «إست» eset (تحت). والأخيرة، في رأيه، منشأ اسم المعبود «س ت» (السفلي، المنحط، أو : ساكن الأرض، في مقابل «ح ر» ساكن السماء). وهذا وهم آخر من الأستاذين الجليلين ؛ فإن اللفظتين «القبطيتين» عربيتان : الأولى (سراي) من الجذر «سرا» الذي يفيد الارتفاع أو الفوقية حساً ومعنى (قارن : سري : سيد رفيع القدر. سارية : عمود مرتفع. راجع مادة «سرا» في (اللسان) لمزيد من البيان). والثانية (إست) من مادة «س ت» الثنائية الموجودة في مادتي «سته» و«است» في (اللسان) وتقدمان

= (الريح العظيمة). وإلى Tupon اليونانية أرجع كلمات من مثل Typhoid (الحمى المعوية. (عربناها) : «تيفود» أو : «حمى تيفودية») و Typhus (الحمى المحرقة. (عربناها) : «تيفوس»!). فلورجع القارئ إلى مادة «طوف» العربية لوجد فيها معنى المرض المهلك والحمى والاعراق والموت وما إليها بسبيل.

(145) قارن : جون = أبيض، أسود. مولى : سيد، عبد. ويقال : بصير = أعمى. وفي اللهجة الليبية : بياض = فحم، وهاب = متسول، شحاذ.

وفي الأكادية هنا Tebum (جذرها «طب» Tb) بمعنى : غطس، غرق. (معجم Weir).

مدلولات التحتية (وفي كلا المادتين «سته» و«است» يذكر ابن منظور أن الألف في الأولى مزيدة وكذلك الهاء في الثانية وأن الأصل هو «ست»). ولا حاجة للتفصيل لوضوح الأمر⁽¹⁴⁶⁾.

هذه مجرد إشارة عابرة ترينا كيف نظر الباحثون إلى هذا الاسم. أما في معجم اللغة المصرية فقد ورد اسم هذا المعبود بصيغ مختلفة قليلاً منها: «س ت» st | - واضحة السين. وجاءت st والحرف الأول هنا أقرب إلى الصاد، أو هو بين الصاد والزاي. وكذلك «س د» sd | كما وردت «س ت ش» stš | بشين في آخرها، و«س ت ح» St h | (والحرف الثالث بين الحاء والحاء)، وبخاء واضحة وزيادة حرف الواو بعد السين «س و ت خ» Swt h |. ومن العادة أن يرسم يمين اسم هذا المعبود صورة رجل جالس، رمز الربوبية، أو صورة حيوان تأتي على ذكره بعد حين. أما الاختلاف في كتابة اسم «س ت» فيرجع إلى اختلاف نطقه، فيما يبدو، بين مناطق وادي النيل وتوالي الأعصر التاريخية.

يذهب الأستاذ «بدج» في حديثه عن «ست» إلى أنه معبود الجنوب (أي الصعيد). و«الجنوب» في المصرية يسمى «س و ت» s w t - ومن هنا جاء اسم «ست» مناظراً لاسم «حورس» (ح ر) (h r).

وهذا، من حيث الصلة، قد يكون صحيحاً. ومن «س و ت» (الجنوب) جاءت «س و ت ي» (= ز و ت ي) على النسبة أي «أسيوط» التي نعرفها اليوم (= الجنوبية). وتعرف في بعض المصادر العربية على شكل «سيوط» (وإليها النسبة: سيوطي). وفي المصرية تسمى بلاد النوبة «ت ع. س ت ي» Ta-sty (أرض الجنوب) ويسمى أهلها «س ت ي و» Styw (= الجنوبيون/النوبيون). وكلها تقابل الأكادية «شتو» štu - أي: الجنوب. أو بدقة أكبر: ربح الجنوب.

والعربية؟

إن الجنوب هو مصدر الحرارة، بل بلاد الحر. وللحر في العربية تسميات معروفة تأتي من الجذر الثنائي «شط» (← شاط، شوط، شيط) ومنه: «الشياط، والشواط، وشوْط يشوط تشويطاً». و«شط» يتعاقب الطاء والظاء هو نفسه «شط» (← «شوط، شواظ»). وفي القرآن

(146) في المصرية: «س ت ت» stt : أرض. و«س ت» st : مكانة، موقع. وتعبير «س ت. ح ر» st. h r : إشراف (معناه الحرفي: «تحت - فوق»). كأنه النظر من أسفل إلى أعلى والعكس، وهو تعبير جامع مانع. (أنظر معجم «فولكنر»، صفحة 206).

ومن المغربي هنا المقارنة بالفرنسية Sur (أعلى = سر ← سرا) و Sous (تحت. الإيطالية Sotto). والأولى تُرجع إلى اللاتينية Supra, super، والثانية إلى اللاتينية Subtus. فلم لا تكون p في الأولى و b في الثانية مزيدة والأصل Sura (Sutu) (العربية: «س ر» و«س ت»)؟
قارن أيضاً ما في الأنكليزية من معاني القعود والأرضية وال التحتية وتطورها إلى معاني الثبات والبقاء وعدم الحركة ونحوها، مثل: Sit, Seat, Site, Situation, State, Static, Stable, Stand, Statue, Standard, Still, Stick, Stock, Stop, Stiff, Stay, etc.. (س ت).

الكريم : ﴿يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ شَوَاطِئَ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٍ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ (الرحمن/35). وفي اللهجة الليبية تستعمل كلمة «قبلي»، وتعني «جنوبي» نسبة إلى «القبلة» - أي متجه الصلاة ؛ إذ يولّى المصلون في ليبيا وجههم نحو الكعبة في اتجاه الجنوب الشرقي في الواقع ولكن صفة الجنوب غلبت على كلمة القبلة⁽¹⁴⁷⁾ - بيد أن كلمة «قبلي» صارت تعني «الحر القادم من الجنوب» أي من الصحراء. وفي بعض المناطق تطورت الدلالة إلى مطلق الحر⁽¹⁴⁸⁾.

فكأن مصدر الأكادية «شوتو» والمصرية «س و ت» من العربية : «شوط»/«شوظ» أي شدة الحر، أو العكس، وانصرف المعنى إلى «الجنوب».

هذا من ناحية، ونجد من ناحية أخرى أن من معاني «س و ت» s w t في المصرية : «قوة الريح» force of wind (معجم «فولكنر»، صفحة 215) - ولعل المقصود «الريح الجنوبية». وهنا نجد المقابل العربي «سوط» ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوَاطِئَ عَذَابٍ﴾ / (الفجر، 13)⁽¹⁴⁹⁾. والسوط يحمل معنى «القوة» إلى جانب معنى «حرارة» العذاب. ومقلوبه «سطو» ← «سطوة» يفيد السلطان والقوة والملك. وقد استغل عرب مصر الأقدمون هذا التلاعب باللفظ فكانت كلمة «س و ت» s w t و«س ت ت» st t لتعني «ملك» و«ملكي» (أنظر : Budge ; The Egyptian Book of the Dead, p. CXLIX). وهي تكتب في الهيروغليفية (𓆎) أو (𓆏) (تقابل العربية : سطا، ساط، سوط). وفي العربية الجنوبية (السبئية) : «وص ت» w s . t : أمر، فرض - وأيضاً : حرق، إحراق. (Biella, Dict. of O. S. Arabic, p. 141-2) وهي مقلوب المصرية «ص و ت» s w t التي هي ذاتها «س و ت» s w t. وهذا ما يوضح فكرة إبدال الحروف المتشابهة المخرج : ش، س، ص، ز. إلخ. كما يبين فكرة قلب الكلمة مكانياً وبقاء المعنى واحداً تقريباً.

كلمة «س و ت» المصرية تعني أصلاً نباتاً اشتهر به جنوب مصر يقول عنه «فولكنر» (المعجم، صفحة 215) لعله العسلوج Scirpus-reed. أو لعله الحلفاء Sedge أو نبات الأسفل rush حسب تفسير «غاردرنر» (Eg. Gr., p. 73). ولم يمكن الاتفاق على فصيلة هذا النبات الذي اتخذته فراعين مصر شعاراً لجنوبها (الصعيد).

(147) إلى عهد ترويس كانت جميع تسجيل الأراضي تُحَدُّ : شرقاً كذا، وغرباً كذا، وبعراً (والمقصود : شمالاً) كذا، وقيلاً (والمقصود : غرباً) كذا.

(148) هذا، على الأقل : في منطقة مصراته. يقولون : «اليوم قبلي». والمقصود : «اليوم سحر» - حتى إن كان قادماً من جهة أخرى غير الجنوب. وفي بعض المناطق الأخرى من ليبيا يُسمَّى الحر «نوء» (عربيته : نوء). وفي مناطق غيرها تفيد «نوء» الريح العاصفة (نوءة = نوءة). وأصل «نوء» يعني : نجم - لارتباط مواسم المطر والريح والحر بالنجوم.

(149) لاحظ أن الحديث عن عاد، وثمود، وفرعون ذي الأوتاد. ويتردد في القرآن الكريم أن عاداً أهلكت «بريح صرصر عاتية»، أو هي «الريح العقيم».

ونلاحظ أن «العسلوج» الذي اقترحه «فولكنر» لتحديد هذا النبات، ضرب من فصيلة «الكراث». وفي العربية فقرأ :

«السياط : قضبان الكراث الذي عليه معاليقه... وسوَّط الكراث : إذا أخرج [معاليقه]». (اللسان ؛ مادة : سوط). فقارن هنا، أيها القارئ، الرمز الهيروغليفي لكلمة «س و ت» swt ووجود هذا الرمز المحدد 𐤋𐤍 أليست هذه هي «معاليق» الكراث التي أخرجها، أي «سوَّطها» ؟ (ت = ط).

وقد يحل «الكراث» (ويكتب أيضاً : كرات) مشكلة الباحثين في فصيلة نبات الشعير الملكي في جنوب مصر قديماً إذا أمعنوا النظر على ضوء المقارنة اللفظية والدلالية بين المصرية والعربية⁽¹⁵⁰⁾.

هذا هو تحليلنا للرمز الهيروغليفي المحدد 𐤋𐤍 (سياط الكراث). ولعل من الحكمة أن نتوقف قليلاً عند الرمز الذي يقابل صوتياً عند النقحرة : «س و ت» swt، وهو عبارة عن نبت برز أوسطه وانثى عن كل جانب منه فُرَيْعَان صغيران هكذا : 𐤋𐤍 كأنهما هما في بداية الطلع. فلماذا كان هذا الرمز بالذات وما علاقته بالموضوع ؟

إننا نرجعه إلى الجذر العربي الثنائي «شط» الذي سنعود إليه بعد قليل. ومن هذا الجذر الثنائي كان الثلاثي «شطاً» الذي نقرأ فيه :

«الشطء : فرخ الزرع أو النخل، وقيل : هو ورق الزرع. وشطاً الزرع والنخل : أخرج شطأه. أشطأ الزرع : خرج شطؤه».

فهل نستبعد، بعد هذا، أن يكون عرب مصر الأقدمون عرفوا النبت في بداية الطلع بهذه التسمية (شطء) [ش ت ء > س ت > س و ت] واستغلوها في دلالتها الرمزية 𐤋𐤍 والصوتية ؟ إن ما يؤكد هذا القول أن كلمة «ش ت ء» sta (= شطء) في المصرية تعني : «نبت، شجيرة -

(150) نقترح في هذا المسار صلة لفظية بين «كراث» (أو كرات) والجذر العروبي «ك ر ت» الذي يفيد : القطع، الفصل، الحكم، الزعامة، السيطرة (والأخيرة رباعية الجذر «سيطر» من «سيط» + «ر»). قارن : بعث = بعث + ر). ونحن نلاحظ أن دلالات القوة والسلطة في اللغات العروبية، وأولها العربية طبعاً، ترجع إلى أساء النبات قبل الحيوان. ولعل هذا يرجع إلى أن أهل الجزيرة، منبع هجرات العروبيين، كانوا يعبدون النبات قبل عبادتهم الحيوان. أنظر في هذا : محمد عبد المعيد خان ؛ الأساطير والحرفات عند العرب. وأنظر عن تأصيلنا لليونانية Kratia (حكيم) كتابنا : بحثاً عن فرعون العربي. وللتثبت، وحتى يرى القارئ الصلة التي لا تنفصم بين العربية والمصرية، نذكر ما في المصرية : ك ر ت krt : جبل، رباط، سير السوط. (معجم «بدج»، صفحة 790) «ق ر د ن» qrdn : فأس (معجم «بدج»، صفحة 764 ومعجم «فولكنر»، صفحة 281). قارن العربية : كرت = قطع. الكرتيم : الفأس العظيمة لها رأس واحدة. والكردن والكردين، والكرزم والكرزيم، والكرزن والكرزين : الفأس - ومن دلالاتها : الشدة، والثقل.

بالتصغير) (معجم «فولكنر»، صفحة 273) (151) وهي هنا واضحة بالشين المعجمة، والتاء تكافيء الطاء، والهمزة في آخرها (ش ت ء = شطاء).

فماذا بعد؟ لندعم قولنا بما ورد في القرآن الكريم:

﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ، فَأَزَرَهُ، فَاسْتَعْلَطَ، فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ﴾
(الفتح/29).

وليس ثمة أوضح من هذا بياناً.

هذه ملاحظة عابرة. والمهم أن «سياط» الكراث (أو سواه من النبات) أي قضبانته (152) أو معاليقه في بداية إخراجه لها تسمى في المصرية «س وت»، وهي تعني كذلك «السطوة» كما أنها «الجنوب» و«الحر» أيضاً. والأمور، كما ترى، متداخلة بيد أنها تخرج من مصدر واحد. والجذر «شوط» في العربية يؤدي دلالة «شوط» كما كان «سوط». فإين هذا كله من «ست» المعبود المصري القديم؟

لقد رأيناها يكتب «س ت». ومن هنا جاءت كلمات من مثل:

«س ت ي» Sti: أوقد النار، أشعل، شيط.

«س ت ي» Sty: حدق، برق، نظر بحرارة.

«س ت ء» Sta: حرارة، شياط، شواظ.

«س ت ء ت» Stat: مصباح، موقد نار، سطع.

ورأينا أيضاً أن الاسم يكتب بصيغ مختلفة؛ بالسین وبما يقارب الصاد أو الشين ذوبالزاي. وفي معجم «بلدج» نجده مكتوباً «س د» (153) sd - وهذا ما يسمى الابدال. وكتب

(151) في الأنكليزية: (brush wood, Scrub, copse). فلو انتبه للعربية لقال: «شطاء». . . وكفى. أو الانكليزية نفسها (Shoot), (Shot) (طلع النبات) وهي تقدم نفس دلالة «شطاء» العربية بالضبط!

(152) لاحظ أن «القضب» علامة الملك - وهو يُسمى «الصولجان» (من «الصولقة؟») وهو كان يستعمل لقباً للامارة. في السبابة «ق ض ب». وفي الليبية (حجر مسنن) يأتي في صورة «ق ز ب». لاحظ أيضاً أن «القضب» نبات. ومعنى «قَضَب»: قطع. قارن «قصب» ← نبات القضب، قَصَب = قطع. قَصَاب = جزار، قاطع. ولعل هذا ما يؤيد ما ذهبنا إليه في علاقة «كرت» (اليونانية Kratia) بنبات «الكراث»، كَرَت = قطع.

(153) في مقالة للدكتور حسن ظاظا عن «اليهود والسيطان» (مجلة الهلال، مايو 1974) ذكر أن الشيطان قد تحدد في بعض ما ورد في «التلمود» بأنه يطلع أحياناً بين قرني ثور أسود، و«اللغة البابلية تسمى الثور «شيد» ونفاجاً بأن نجد كلمة «شيد» نفسها في التوراة بمعنى «عفريت». وهذه الكلمة هي التي اختارها «سعديا الفيومي» لترجمته العربية كلمة «شيطان» كمقابل لها، ذلك أن الكلمة بالعربية ترد أكثر ما ترد في الجمع «شيديم» التي يترجمها بلفظة «الشياطين». وهنا يعرض لنا سؤال لم تتوافر بعد عناصر إجابة قاطعة عليه. فعندما يقول العوام، في مصطلح السحر والخرافة والزّار وتحضير الجن، إن فلاناً أو فلانة عليها «أسياد»، بمعنى أنها قد لمستهما العفاريت. هل يكون أصل هذه الكلمة من السيادة، بالمعنى العربي، وهي السيطرة، وتكون الأسياد كناية عن الجن المسيطرة على أولئك المعفرتين؟ أم أن تجارة الخرافة على يد اليهود والأراميين والنبط في منطقة الشرق الأوسط كلها هي التي حملت كلمة «شيد» العربية إلى السوق، وفي الجمع فقط «أسياد» تماماً كاستعمالها المألوف في العربية؟ هذا أمر يحتاج في الإجابة عنه إلى تحضير العفاريت وسؤالهم، وهو أمر لا نشغل به ولا نعتقد فيه. انتهى نص الدكتور ظاظا: ❧

بزيادة حرف الشين «س ت ش»، وحرف الخاء «س ت خ» - وهذا يعني أن الحرفين الأولين هما الجذر الثنائي الأصل.

فما هي الكلمة العربية التي يمكن أن تؤدي كل هذه الغايات لفظاً ودلالة ؟

«شيطان» . . أليس كذلك ؟

حسن . إن كلمة «شيطان» ذاتها توجد في مادة «شطن» . فلننظر ماذا تقول هذه المادة :

«الشطن : الحبل . وقيل : الحبل الطويل الشديد القتل يُسْتَقَى به وتُشَدُّ به الخيل . . .

والشطن : البُعد .»

وقد يبدو هذا بعيداً عن «الشيطان» . ولكن ابن منظور لا يلبث أن يضيف :

«والشيطان : حَيَّةٌ له عُرفٌ . والشاطن : الخبيث . والشيطان - فَيْعَالٌ - من (شطن) إذا بعد

عند من جعل النون أصلاً . . . وقيل : الشيطان - فَعْلَانٌ - من (شاط، يشيط) إذا هلك واحترق ،

مثل : هيان وغيان ، من : هام وغام .»

وثمة مناقشة مسهبة لمنشأ كلمة «شيطان» نستطيع أن نستخلص منها أن النشأة كانت من

«شاط» أي : احترق - ومنها جاءت «استشاط» غضباً إذا احتدَّ في غضبه والتهب . وتقدم لنا مادة

«شيط» (وتقلب الياء وأواً : شوط) معانٍ ومشتقاتٍ تدور حول الإحراق بالنار، والشواء،

والإهلاك، والذبح، وسفك الدم، وإراقته، والالتهاب، والغبار الساطع في السماء (يسمى :

شيطياً) . . إلى آخره . ونخلص إلى أن «شيطان» - فَعْلَانٌ - من : شاط، يشيط . «وفي الحديث :

أعوذ بالله من شر الشيطان وفتونه، وشيطاه وشجونه» .

إن «شاط» و«شيط» و«شوط» تعود أصلاً إلى الجذر الثنائي «شط» بعد حذف حروف الإعلال

الثلاثة من هذا الجذر الثنائي «شط» . أما وقد رأينا مدلولاتها ومشتقاتها فإننا نستطيع القول بأنها

تقابل في المصرية «س ت» (وهي الصورة المشهورة من جملة صيغ أخرى : «ز ت» ، «ص ت» ،

«ش ت» ، «س د» - حسب الإبدال الذي ذكرناه) . وبحسبه أيضاً رأينا السين زائلاً وصاداً وشيناً،

والتاء دالاً . وفي اليونانية كانت التاء في «س ت» مثلثة «سيث» Seth . أليس صواباً أن تتعاقب

الشين في المصرية مع السين ومبدلاتها، وتتعاقب الطاء مع التاء ومبدلاتها، فتكون «س ت» =

«ش ط» ؟

يؤيد ما نذهب إليه ما يذكره «القديس أفرام» St. Ephraim من أن عبادة «ست» كانت لاتزال

موجودة في هليوبوليس (مدينة الشمس = عين شمس) في مصر في القرن الرابع بعد الميلاد تحت اسم

= وهذه ملاحظة دقيقة تأتي من أستاذ متخصص متمكن مشهود له بالكفاءة، فلعل كلمة «أسيا» في تعبير

(تستور يا اسيادي) فعلاً ذات صلة بـ«شيد» البابلية العبرانية . وهي في المصرية «س د» (سيد - بالتحريك

المفترض) كما أنها «س ت» وسواها من صور الكتابة والنطق . ولعل ما فات الدكتور ظاناً أن كلمة «شيد» البابلية

قد تعني «سيد» (مفرد : أسيا) . والثور في المصرية يدعى «م ر» (= سيد . عربيتها : مر) و«س ت» يلقب

أيضاً «م ر» (سيد - وقارن العربية : أبومرة = إبليس) . ولا يمتنع ، بل المفضل عند الأقدمين والمصريين خاصة،

أن تؤدي اللفظة الواحدة جملة معانٍ مترابطة من باب الجناس وتنوع الدلالة ، على كل حال .

«شيطا» أو «شيضا» أو «شيذا» sēdhā حسبها يورده «وَيُنْرَأَيْتُ» (Wainwright ;The Sky-Religion, p. 100) ويسميتها «ديانة الشياطين» (The Cult of Demons) - مما يؤكد أن هذه الصيغ كلها ليست سوى العربية «شط» (← شاط، شيط. شوط، شيط) التي اشتقت منها «شيطان».

وماذا عن النون التي أضيفت في آخر اسم الشيطان؟

لقد عُلِّت بأنها صيغت على وزن (فعلان) وقدمت أمثلة لذلك مما هو كثير في العربية : (نعم > نعمان. زيد > زيدان. فيض > فيضان. طوف > طوفان. إلخ). وهي ليست أصلية كما تبين. ويؤكد هذا إضافة حرف الشين في المصرية «س ت ش» والحاء «س ت خ» إلى اسم «س ت» دون الخروج على الأصل كما رأينا فيما مضى.

خلاصة القول أن «ست» معبود مصر القديمة، مثل الشرور كلها بحسب تطوره في الأسطورة، وبحسب التحليل اللغوي، ليس سوى «الشيطان» في العربية من حيث الذات والصفات.

تبقى بعد ذلك صورة هذا المعبود الخطير في مصر القديمة وكيف مثله وبها رمزوا إليه.

في القرآن الكريم ورد حديث عن عذاب شجرة «الزقوم» : ﴿أَذَلِكْ خَيْرٌ نَزْلاً أَمْ شَجَرَةٌ الزُّقُومِ . إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ . إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ . طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رِئُوسُ الشَّيَاطِينِ . فَإِنَّهُمْ لَا يَكُلُونَ مِنْهَا فَمَا لَيْسُوا مِنْهَا بِطُورِينَ . ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْباً مِنْ حَمِيمٍ .﴾ (الصفات/62-67).

وقد اختلف المفسرون لهذه الصورة المعبرة عن عذاب جهنم في تشبيه شجرة «الزقوم» برؤوس الشياطين. قال بعضهم : إنه نبات يسمى بهذا الاسم هو نبات «اليقطين»⁽¹⁵⁴⁾. وقال البعض

(154) ورد «اليقطين» في القرآن الكريم عند حديثه عن النبي يونس : ﴿فَنَبِّدْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ . وَأَبْنَيْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾ . (الصفات/146) وهذا ما قد يوحى بشيء من القداسة لهذه الشجرة.

وفي (اللسان، مادة : فطن) : «اليقطين : كل شجر لا يقوم على ساق، نحو الذَّبَاءِ والقرع والبطيخ الخنظل . . . واليقطينة : القرعة الرطبة. التهذيب : اليقطين ؛ شجر القرع . . . وكل شيء ذهب بسطاً في لأرض : يقطين . . . ومنه : القرع والبطيخ والقثاء والشريان».

وفي المصرية نجد كلمة «ب د د و ك» = bd dw k العربية بطيخ، بطوخ (ب ط ط و خ . بتعاقب الدال المشددة والطاء المشددة كذلك، والكاف والحاء. أنظر معجم «فولكنر»، صفحة 86. وراجع مادة «بطخ» في (لسان العرب). وقارن «معجم بدج»، صفحة 227. وهو يكتبها «ب د د ك» bd dka - ولعل هذا ما يفسر صيغتي : بطوخ، وبطيخ، في العربية).

ونعود إلى «اليقطين» الذي صار يعني بالتحخيص : «القرع الأحمر» أو «الذَّبَاء» (الأنكليزية pumpkin . قارن اللهجة الليبية : بَكْوَة، بَكِيوَة bakwa, bkēwa) ونبحث عن تسميته في المصرية فيبدو لنا اسماً غريباً هو : «ق ر ق ن ت س ي» grgnts y ويقارنه «بدج» في معجمه (صفحة 802) باليونانية «كولوكونتوس» Kolokun- thus والقبطية «كالاكاثي» Kalakanthi . ويبدو لنا، والله أعلم، أن حرف السين الوارد في المصرية يقابل حرف السين في اليونانية التي ربما تأثرت بها المصرية في فترة وجود اليونان بوادي النيل (عصر البطلمة خاصة)، وأن الأصل هو : «ق ر ق ن ت س ي» (يقابل القبطية «كالاكاثي»). فإن كان الأمر كذلك فإن إرجاع التسمية إلى

العربية أمر سهل : «ق ر = gr ق ر(ع) - بسقوط العين + ق ن ت gnt (مقلوب «ق ت ن» = قَطَنَ ← يقطين) = قرع يقطين + ياء النسبة = «قرع يقطيني» (أو : يقطين قرع/يقطين قرعي - تفريقاً له عن البطيخ والقثاء والشريان ونحوها من فصيلة اليقطين). (ملاحظة : الواقع أن المقطع «ق ر» (= قارا، كالا) يدخل في اسم البطيخ في لغات كثيرة : اليونانية Karpouzi الفارسية Kharbuz لهجة صقلية Caravazza الاسبانية Calabaza الفرنسية Calabasse الانكليزية Calabash وفي العربية : «خرين»، «جرين» بإبدال القاف المعقودة خاءً وحيماً معطشة. ومنها : كلبز (كلبظ)، مكلبز (مكلبظ) أي : مدور، مكور، مدرج - اللهجة الدارجة).

فهل بعدنا عن الموضوع ؟ كلا . إننا لا نزال فيه . وقد أشرنا إلى ذكر اليقطين الذي أنبته الله على يونس النبي . والمحننا إلى أن في ذكره شيئاً من المعنى الخفي ، قد يكون قدسياً في هذا المقام . وهذا الخفاء ، أو القدسية ، لا يزال موجوداً حتى اليوم عند نصارى الغرب ؛ ففي «عيد كل القديسين» All Saints Day (الذي يسمى «الهلويين» Halloween في أمريكا واسكتلندا خاصة) يحتفل القوم بتجويف قرعة حمراء وحفر شكل عينين وأنف وفم فيها، ووضع شمعة وسطها لطرد «الأرواح الشريرة» كل عام . . وتخويفاً لها حتى لا تدخل البيت طيلة السنة .

هذه العلاقة بين القرع والقدسية موجودة في الكلمة الانكليزية zuchetta أو zuchetto وهي قلنسوة قس الكنيسة، سوداء اللون للكاهن وأرجوانيته للقمص، وهي حمراء على رؤوس الكرادلة وبيضاء فوق هامة البابا (الخير الأعظم). وهي كلمة إيطالية تصغير zucca ومعناها «قرع». فما صلة «القرع» بهذه الرؤوس المججلة، وهي رؤوس ليست بالضرورة «قرعاء» ؟ (لاحظ أن الرأس يسمى في العربية قرعاً وقرعة - على التشبيه، وكلمة «قرعاء» - أي صلعاء - من ذلك أيضاً ؛ إذ لا شعر على القرع، وخاصة البطيخ، يغطيه . وهذا حال الهامة القرعاء).

الصلة تكمن في كلمة أخرى هي gourd (وفرنسيتها gourde) التي تعني أيضاً «يقطين» ويرجعها معجم أكسفورد) الاشتقاقي إلى اللاتينية cucurbita (فإن لم تكن هذه تحريفاً للمصرية «ق ر ق ن ت ي» g(u)rg(u)nty(a) التي أرجعناها إلى العربية منذ قليل . . فإن أقرب كلمة إلى gour(d) هي العربية «قرع») بإبدال العين المنعدمة في اللغات الأوربية دالا).

ويعرف (معجم أكسفورد) الاشتقاقي هذه الـ gourd بأنها : «نبت شحمي كبير، يفرغ غلافه ويجفف، ويتخذ منه آنية ومواعين». وهذا ما يعرف في العربية باسم «الزَّق». قال في (اللسان) : «الزَّق الذي يُسَوَّى سقاءً أو وطباً أو حميماً . . . والمزَّق : محذوف شعر الرأس كله، وهو من الزَّق : الجلد يجز شعره ولا ينتف تنف الأديم . . . والترقيق : سلخ الجلد من الرأس كله .»

فانظر إلى هذا التطابق في التسمية والاشتقاق ما بين «قَرَع» ← «قَرَع» (قرعة/أقرع، قرعاء) و«زَق» (الإناء = السقاء، الوطب، الحميت) و«زَقَق» (سلخ). ثم انظر كيف دخلت الايطالية في صورة zucca (قرع - زق) ثم تصبح zuchetto, zuchetta (طاقية الراهب، أو «زقه» الموضوع على قمة قرعته). فهل يزيد ؟

في المصرية «سق» Sq (= وعاء، إناء، وأيضاً : غطاء الرأس . فلا تعجب انظر معجم «بدج»، صفحة 701). ونرى أن العربية «سقاء» لا تتعلق بالشراب والسقاية بل هي أقرب إلى معنى «الإناء» مطلقاً. وقارن - إن شئت - الإيطالية Sacco والانكليزية Sac (أو Sock) وغيرها كثير.

فهل عرف العرب استعمال القرع آنية ؟

نعم . دون شك . وإلى عهد قريب جداً كان الكاتب يرى في طفولته أهل بلده (مصراته) من القرويِّين خاصةً يتخذون من القرع المجوف المجفف آنية لحفظ بعض ما لديهم من طعام يحفظونه . وفي اللهجة التونسية لا تزال بقية محرقة لهذا ؛ ففي تلك اللهجة يعبر عن «القنينة» باسم «دبوزة» - فإذا نظرنا إلى القرع الأحمر رأينا يُعرف «بالدبَاء». أما كيف صارت «الدبَاء» «دبوزة» فذلك من الاضافة والتحريف عبر العصور . فهل تحب أن تعود إلى تسمية القرع في المصرية (عربيته «قرع يقطين» أو «يقطين قرع») فكان «ق ر ق ن ت س ي» ؟ أم ترى هذا القدر كافياً لهذا الهامش الصغير ؟

الآخر: هي الحيات، تسمى الشياطين⁽¹⁵⁵⁾. لكن الرأي الأصوب كان القول بأن الشيء إذا استُقبِح شُبّه بالشياطين فيقال: كأنه وجه شيطان، وكأنه رأس شيطان. والشيطان لا يُرى ولكن يستشعر أنه أقبح ما يكون من الأشياء، ولورؤي لرؤي في أقبح صورة. ومن هنا كان التشبيه بالشيطان وبالغول.

قدماء المصريين مثَّلوا «ست» بحيوان حارت البرية فيه، كما يقال. ومثلها اختلف المفسرون العرب في أمر «رؤوس الشياطين» داخ علماء المصريين في رمز «ست» الحيواني؛ قال «غاردرنر» (Eg. Gr., p. 460): «هو حيوان لعله نوع من الخنازير». وقال «شورتر» (The Eg. Gods, p. 141): «حيوان غير محقق النوع، قد يماثل الكلب بشكل ما، ذو فرطوسة طويلة وأذنين منتصبتين، وقد يشبه الخنزير». واحترار «بدج» (The Gods of The Eg. ii, p. 243) حتى قال إنه «يشبه الجمل، أو لعله حيوان انقرض لكثرة ما صيد لكونه رمز «ست» المكروه، ففضى عليه قضاءً مبرماً! أما «لوركر» (The Gods and Symbols of Anc. Eg., p. 110) فعنده أنه «كلب، أو وعل، أو لعله حمار». ثم جعله يشبه حيواناً يدعى «آرفارك»، وجعله مرة أخرى يشبه حيواناً يسمّى «أوكابي».

هذه الصورة المحيرة رمزاً للمعبود «ست» تحقق بالضبط أنه (لا صورة له). فكأن المصريين «تخليلوا» حيواناً غير موجود أصلاً، أو كونوا صورة متعددة الأطراف مما هو موجود، للدلالة على «الشيطان» الذي لا يُرى وإنما يُستشعر، فإذا صُوِّر كان في أغرب أو أقبح صورة.

لكن الشيء المثير للاهتمام يكمن في «ذيل» هذا الحيوان الخرافي؛ فهو يصوّر دائماً مرتفعةً نهايته على شكل سهم. ولعل الإشارة تعود إلى الحربة التي استعملها «ست» في بداية أمره لقتال الحية «أب ب» app ولا يغيب عن بالنا أن الشيطان، حتى عصرنا الحاضر، حين يصوّر يُرسم ذيله على شكل سهم منبثق منه⁽¹⁵⁶⁾.

ثم هناك القرون. وفي حين يرى عدد من الباحثين أن لـ«ست» أذنين مشرعتين منتصبتين، يرى «بدج» أمهما عبارة عن قرنين في الأصل، خاصة إذا ربطنا بينه وبين زوجته «نفثوس» (ن ب ت ح ت = ربة البيت/ القلعة/ المحيط) التي تصوّر وعلى رأسها قرنان يحملان قرص الشمس. والقرون ملازمان لصورة الشيطان كذلك. وينسب في الأثر حديث يقول:

«إن الشمس تطلع بين قرني الشيطان».

(155) الحية والشيطان مرتبطان في التصورات الدينية والأسطورة. وفي التراث العبراني لا يذكر الشيطان غاوياً لأدم وحواء، بل هي الحية التي أغوتها، وفي بعض تفاسير التوراة أن الشيطان تلبس صورة الحية متمثلاً فيها.

(156) في المصرية: st (ست) وsd (سد) = ذيل. والمثير للاهتمام ما يوجد في اللهجة الليبية المعاصرة: «عُضِيمُ زَاط» (عُظِيمُ زَاط - تصغير عَظْم) والمقصود الفقرة السفلى من العمود الفقري (= العصعص) وفي المأثور الشعبي أنه لا يبلى بعد الموت وهو الذي يبني عليه جسد الإنسان يوم النشور. وعند التطورين أن هذا «العُظِيم» بقية الذيل الذي تلاشى من الإنسان في أثناء تطوره. «زَاط» هذه تقابل تماماً «س ت»، «س د» (= سات، ساد - بالتحريك) وذلك بتعاقب الزاي مع السين والطاء مع التاء المثلثة والبدال.

«قال الحري : هذا مثل . وكذلك قوله : إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم - إنما هو مثل ؛ أي يتسلط عليه فيوسوس له لا أن يدخل في جوفه . . . قال الخطابي : قوله «بين قرني الشيطان» من ألفاظ الشرع التي أكثرها ينفرد هو بمعانيها، ويجب علينا التصديق بها والوقوف عند الاقرار بأحكامها والعمل بها». (اللسان، مادة : شطن).

المسألة إذن لا تخرج عن كونها «تصوُّراً» لشيء لم يُر، ولا يُرى. أي «فكرة»، والفكرة ليست إلا تصوراً خيالياً مستمداً تركيبه من الواقع في شكل يخالف هذا الواقع. ومجالنا ليس الفلسفة طبعاً - فلنسأل كيف «تصوُّر» العرب الشيطان ؟

الدكتور محمد عبد المعين خان ناقش هذا الأمر بشيء من التفصيل في كتابه (الأساطير والخرافات عند العرب) ونحب أن نستفيد مما عرضه ونرى إن كان بين التصور العربي والتصور المصري للشيطان من صلوات .

نجد أولاً الاعتقاد السائد عند العرب في الجاهلية أن الشياطين (وهم الأبالس، جمع إبليس) من «الجان» الذي خلقه الله من نار السموم - كما يقول المسعودي في كتابه (مروج الذهب) - وخلق منه زوجته التي غشيها فحملت منه «وباضت إحدى وثلاثين بيضة»، وأن بيضة تفلقت (فخرجت) من تلك البيضة قطربة هي أم القطارب وأن القطربة⁽¹⁵⁷⁾ على صورة الهرة، وأن الأبالس من بيضة أخرى منهم الحارث أبو مرة، وأن مسكنهم الجزائر، وأن الغيلان من بيضة أخرى مسكنهم الخرابات والفلوات وأن السعالي من بيضة أخرى وسكنوا الحمامات والمزابيل، وأن الهوام من بيضة أخرى وسكنوا الهواء في صورة الحيات ذوات أجنحة يطرون هنالك، وأن الحماميص من بيضة أخرى» .

والذي يهنا الآن أن إبليس (الملقب بأبي مرة . قارن لقب «ست» في المصرية «م ر» (m r) خرج من بيضة ولدتها أمه بعد أن غشيها زوجها (الجان) وهي التي خلقت منه - كما خلقت «حواء» من «آدم» .

وفي قصة خلق «ست» أنه ابن «جب»⁽¹⁵⁸⁾ (إله الأرض) من زوجته «نوت» (ربة السماء) . والملفت للنظر أن اسم «ست» يكتب في الهيروغليفية محددًا بصورة «إوزة» ويقرأ الرمز : zatotst («غاردنر» (Eg. Gr., p. 471) . وصورة الاوزة وحدها تؤدي الصوت «زء» za وتعنى :

(157) في (اللسان) «قطرب» و«قطروب» بدون تاء التأنيث، له تعريفات كثيرة منها أنه : ذكر الغيلان، أو الذكر من السعالي . وهو : دوية لا تهدأ حركتها، والقطرب : الجاهل، السفیه . وهو : اللص . وكذلك : الذئب الأمعطي والصغير من الكلاب . (قارن هنا صورة «ست» في شكل حيوان ذئبي كليبي، يشبه ابن أوى) .

(158) يذكر الدكتور سيد نوفل في مقالة له بعنوان «الجن والشياطين في الأدب العربي القديم» (مجلة الهلال، مايو 1974) أن «الروايات العربية تسير بأن الجن سبقوا الانسان في سكني الأرض وأن أباهم (سويبا) أو (شويبا) سبق أبانا آدم بسنين تعد بالعشرات أو الألوف، على اختلاف الروايات» . ونلاحظ أن جذري «سويبا» و«شويبا» هما : «س ب» و «ش ب» وهما مقابلان لاسم الآله المصري «ج ب» (والد الشيطان «ست» حسب الرواية المصرية، وأبى الجن حسب الروايات العربية، وهو «الجان» الذي أفرخ من بيضة زوجته الأبالسة الذين منهم «أبو مرة» = م ر) . فهل كل هذا مجرد اتفاق ؟ !

ابن (العربية : ذ ← ذا، ذي، ذو) كما تدخل هذه الصورة باعتبارها محمداً في كلمات من مثل «ح ت م» htm (العربية : حطم) و«س ن ح م» snhm (جراد. راجع هذه المادة في ما سبق) مما يوحي بصلتها بمعنى الدمار والهلاك، صفة المعبود «ست»، رب التحطيم والتدمير ومختلف أنواع الشرور⁽¹⁵⁹⁾.

حسب التصور العربي الجاهلي : «إبليس» خرج من بيضة. وفي الاسطورة المصرية : «ست» ابن «جب» (إله الأرض. عرف عند العرب باسم : سويبا، شويبا). وفي الهيروغليفية تمثل صورة الوزه لفظه «زء» (= ذو = ابن) وتدخل في اسم «ست». وهنا نعود إلى الأستاذ «غاردر» (Eg. Gr., p. 474) في حديثه عن «البيضة» 0 باعتبارها رمزاً هيروغليفياً فنجده يقول : «إن صورة البيضة 0 ليست إلا اختصاراً، أو هي تقليص، في القلم المصري الهيراطيقي لصورة الوزه 𐩔 المعبرة عن النسبة الأبوية، ولعلها انحدرت من رمز أقدم يعبر عن، أو يصور، قطعة من الطين (الأرض)»⁽¹⁶⁰⁾.

المسألة صارت واضحة :

صورة الوزه تعبر صوتياً عن «زء» (أو «س ء») وتعني : «ابن» (ذو). قُلِّصَتْ إلى صورة بيضة 0 لتقوم بنفس المهمة (= ابن). وهي ذات صلة بصورة قطعة من الطين أو الأرض أصلاً. وهذا ما يطابق المصرية «ح ب»⁽¹⁶¹⁾ (راجع هذه المادة في هذه الدراسة) وهو والد «ست» (إبليس، الشيطان). والمدهش أن تدخل صورة الوزه في اسمي «ست» و«جب» كليهما في المصرية.

لا بد أن هناك سراً آخر، وقد عرفنا - فيما نحسب - سر صلة «البيضة» التي ولد منها «إبليس» بالمعبود «ست» (هما معاً = الشيطان). وهو ما يكمن في دلالة الجذر «ز أ أ» في العربية (المصرية «زء») وفيه معنى «الخوف» و«الفرق»⁽¹⁶²⁾. وهو مقلوب «أز» (ثنائيه : «أز») ومنه : الأز والأزير :

(159) على ذكر «الجراد» وصلته بآله الشر المصري قارن الآية الكريمة :

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ﴾. الأعراف/33.

(160) تسمى البيضة في المصرية «س وح ت» swht 𐩔 𐩠 𐩨 𐩩 التاء في آخرها للتأنيث والأصل «س وح». في العربية : «صوح : الصُّوْحُ ؛ الجص - وهو قطع من الأرض بيضاء تبيض به الجدر». لاحظ أن كلمة «بيضة» في العربية من الجذر «بيض» وصلتها بالبياض معروفة. بدأ تكون «س وح ت» مقابلة للعربية «صوح» (بتعاقب السين والصاد) = حصّة = بيضة (بيضاء). تأمل علاقة «صوح» العربية بالبياض وبالأرض، كعلاقة «س وح ت» بها معاً كما ذكر «غاردر» أن صورة البيضة كانت أصلاً قطعة من الطين (لعله يقصد الطين الأبيض = صوح - أي : جص).

(161) العربية : «جوب» وفي المصرية أيضاً : «ج ب ب» - العربية : «جوب» = الأرض.

(162) إلى جانب أن منه : وز، إوز، وزّة، إوزة = الطائر المعروف. ويذكر «غاردر» (Eg. Gr., G 38, p. 471) أن الوزه غردقيقة الذيل تدخل في رسم اسم إله الأرض «ح ب» و«ج ب ب». وفي (معجم بدج - ص 805 - 806) مشتقات كثيرة من «ج ب» منها :

ج ب : إله الأرض، والد «ست»، ج ب : المعبود الذي ظهر من أحفاد «ست»، ج ب : خازوق تعذيب طرفه على صورة ابن أوى (رمز «ست»)، ج ب أ : يسحر، يسيء، يدعو بالشر، ج ب : طوفان... إلخ.

هذه كلها، وكثير غيرها، ذات صلة ب «ست» (= الشيطان). فإذا أضيفت تاء التأنيث إلى «ج ب» صارت =

الغليان، والالتهاب، وصوت الرعد، والحركة الشديدة، والاهتياج، والحِدَّة. وهذه صفات «ست» (الشیطان). وفي القرآن الكريم :

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُذُهُمْ أَرْأُكُمْ﴾ (مريم/83). والأَرْأُ: الشياطين الذين يُؤْزُونَ الكُفَّارَ. (اللسان، مادة «أز»).

نضيف هنا معلومتين صغيرتين مفيدتين ؛ أولاهما أن صورة البيضة تأتي أيضاً في اسم المعبودة «إيزيس» ست st كذلك، ولكن بمعنى مختلف. ولها صلة بمسألة الخلق في بعض الأساطير. كما لا ننس أن «إيزيس» في الأسطورة المصرية هي أخت «ست» (فهما من «بيضة» واحدة). وقد قرن الدكتور محمد عبد المعين خان (المصدر المذكور، صفحة 128) بين «العُزَى» العربية وكلمة «عزو» (= أزو) البابلية بمعنى «النار». والثانية أن «إبليس» في أخبار الاسلاميين كان يُسَمَّى، قبل عصيانه⁽¹⁶³⁾، «عزازيل» (أحمد الشرباصي ؛ الشيطان كما يصوره القرآن، مجلة «الهلالة»، مايو 1974). وقد نرجع هذا الاسم إلى «ع ز. إل» العروبية بمعنى «عزيز الله» أي «القوي» بالله، أو «الحبيب» إلى الله، كما يمكن إرجاعه إلى «ع زو. إل» (= أزو. إل/أز. إل) بمعنى : «نار الله» - ولا ننس أن إبليس خلق من نار، حسب التصوير القرآني ذاته.

هذا جانب من الحديث.

وقد رأينا كيف صَوَّرَ المصريون المعبود «ست» في شكل حيوان غريب. فهل كان الشيطان حيواناً أم روحاً لا ترى، عند العرب، يا ترى ؟

لا يتمتع الأمران ؛ فهو «روح»، وهو خُلِقَ من «نار» ولكنه خرج من «بيضة» وهذا شأن الحيوان (كله من «بيض» إما نراه - كما في الطير - أو هو من بيضة في الرحم كما في الثدييات). ويذكر الألوسي في (بلوغ الأرب) أن العرب «يعتقدون في الديك والغراب والحمامة والورل وساق حر والقنفذ

«ج ب ت»، باعتبار الوجة (رمز «ست») مؤنثة. ونرى أن ثمة صلة وثيقة بينها وبين ما ورد في القرآن الكريم عن «الجبت» :

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحاً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ (النساء : 51).

ويُفسر «الجبت» بأنه كل ما عبد من دون الله، وقيل : هي كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر، والجبت : السحر. وفي الحديث : الطيرة والعيافة والطرق من الجبت. قال الجوهري : وليس هذا من محض العربية، لاجتماع الجيم والتاء في كلمة من غير حرف دُوْلَقِي.

«وعن ابن عباس : الطاغوت : كعب بن الأشرف، والجبت : حيي بن أخطب» (اللسان، مادة : جبت). والجوهري على صواب في قوله «ليس من محض العربية» إن كان المقصود عربية الحجاز، وهي - كما بينا من الجذر «جب» والتاء ليست أصيلة بل هي تاء التانيث، والجذر «جب» عربي محض. أما الكلام المنسوب إلى ابن عباس فهو عن شخصيتين أسطورتين لا شك. والمهم أن نذكر صلة «الجبت» (= g b. t) بعبادة الأصنام والكهانة والسحر وما إليها وهي متعلقة بـ«ست» الذي هو ابن «جب» أو هو ذاته «ج ب ت» (= شوب/سوب) كما مر. والأمر في هذا راجع إلى الخلط الواقع في الميثولوجيا الدينية المصرية حسب مر العصور واختلاف الزمان مما هو معروف جداً لدى الدارسين.

(163) أي قبل رفضه أمر السجود لآدم/الانسان.

والأرنب والظبي واليربوع والنعام والحية اعتقاداتٍ عجيبةً ؛ فمنهم من يعتقد أن للجن بهذه الحيوانات تعلقاً ومنهم من يزعم أنها نوع من الجن». وهم اعتقدوا في الشياطين على شكل حيات بيضاء (لاحظ أن «الحية» تسمى «الشيطان»). وكان العربي يخاف من السباع ويظن أنها مسكونة بالأرواح الشريرة، ولا ريب في أن الغول والسعلاة والجن كانت من الحيوان في صميم الفكرة العربية، حتى قال القزويني في (عجائب المخلوقات) إن «الغول حيوان شاذ» (خان ؛ الأساطير والخرافات... . صفحة 82). وهذا ما يوافق تصور المصريين للشيطان (ست).

وفي الأساطير العربية يتردد إسمان لشيطانين شهيرين في خرافات الجاهليين ؛ أولهما «شق» الذي يقول عنه الألوسي في (بلوغ الأرب) : «كان الشق بن أنهار بن نزار هذا شقّ إنسان له يدٌ واحدة ورجل واحدة وعين واحدة» - وقد قاتله علقمة بن صفوان بن أمية وضرب كل منهما صاحبه فخرًا ميتين. والآخر هو «سطيح» وهو «مازن بن غسان، وكان يدرج كما يدرج الثوب ولا عظم فيه إلا الجمجمة» - كما يقول الألوسي (خان ؛ الأساطير والخرافات... . صفحة 82-83).

والذي يهمننا من هذه الخرافة الجانب اللفظي . ألا نحسُّ شيئاً من اسم «ست» (= شت، شد) في اسم «شق» هذا الذي تلمس الألوسي تفسيراً لاسمه في كونه «شقّ إنسان، أي نصفه ؟

أما الاسم الثاني «سطيح» (وقد نقرأه : سَطِيح ، سَطِيح ، سَطِيح) فإنه لا يبعد في جذره «س ط ح» عن اسم المعبود «ست» عند «الهكسوس» (وهم عرب) في صورة «س ت ح» sth ، وكذلك في صورة «س ت ح» sth - والحرف الأخير بين الحاء والخاء. (وهذه الأحرف في الهيروغليفية ساكنة دون حركات، وقد نحركها فتكون : «ستيح»، «ستيح» = العربية «سطيح»⁽¹⁶⁴⁾).

في (اللسان) أورد ابن منظور تحت مادة «سطح» حديثاً جديراً بالتمعن. قال :

«وسطیح : هذا الكاهن الذئبي، من بنى ذئب، كان يتكهن في الجاهلية، سُمِّيَ بذلك لأنه كان إذا غضب قعد منبسطاً فيما زعموا، وقيل : سُمِّيَ بذلك لأنه لم يكن له بين مفاصله قَصْبٌ تَعْمِدُهُ فكان أبداً منبسطاً منسطحاً على الأرض لا يقدر على قيام ولا قعود، ويقال : كان لا عظم فيه سوى رأسه».

وسطیح هنا ليس شيطاناً أو من الجن، كما عند الألوسي، ولكنه مع هذا «كاهن ذئبي» مما يقرب صورته من صورة «ست» (= س ت ح) الذئبية، وتفسير صفة «ذئبي» بأنه من «بنى ذئب» محاولة تلفيقية كمحاولة تفسير اسمه «سطيح» تفسيراً «سطحياً» - كما نعبر في أسلوبنا الحديث. وَرَأَيْنَا أَنَّ «سطيح» (الشيطان) و«سطيح» (الكاهن الذئبي) من أصل واحد هو «س ط ح» (= س ت ح). والدليل على هذا الرأي ما يضيفه ابن منظور من حديث طويل بعد ذلك عن «سطيح» هذا نجترىء منه ما يلي :

(164) لاحظ تفسير «بديح» و«برغش» بأن اسم «ست» يعني : الأرضي، السفلي. وقارن العربية : «سطح» ودلالاتها على الأرضية والسفلية.

«وأنت له خمسون ومائة عام. قال : لما كانت الليلة التي وُلد فيها سيدنا رسول الله (ﷺ) ارتجس إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة، وخذت نار فارس ولم تحمد قبل ذلك مائة عام، وغاضت بحيرة ساوة، ورأى الموبدان إبلاً صعباً تقود خيلاً عراباً قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها. فلما أصبح كسرى أفرعه ما رأى... فبعث إلى النعمان بن المنذر : أن ابعث إليّ برجل عالم يخبرني عما أسأله، فوجه إليه بعبد المسيح بن عمرو بن نفيلة الغساني، فأخبره بما رأى، فقال : علم هذا عند خالي سطيح. قال : فَأَتَهُ وَسَلَهُ وَأَتَنِي بِالْجَوَابِ. فقدم على سطيح وقد أشفى على الموت... (فقال) سطيح : ... يا عبد المسيح ! إذا كثرت التلاوة، وبعث صاحب الهراوة، وغاضت بحيرة ساوة... يملك منهم ملوك وملكات، على عدد الشرفات، وكل ما هو آت آت. ثم قُبِضَ سطيح مكانه».

ولعل القارئ لاحظ هذا الربط (الدرامي) المتين ما بين جملة عناصر متشابهة : مولد الرسول (ﷺ)، ووقوع عدد من «المعجزات» ليلة مولده ؛ ارتجاس إيوان كسرى وسقوط شرفاته، وخمود نار فارس، وغيض بحيرة ساوة ورؤيا الموبدان للخيول العربية تطأ أرض فارس (وهذا موجه ضد الخصم القومي التقليدي للعرب). ويستنجد كسرى بحليفه العربي (النعمان) فيرسل إليه بشخص اسمه «عبد المسيح» (وهذا اسم نصراني صرف). فيذهب هذا إلى «خاله» (سطيح) - والرمز هنا واضح بين فتكون النبوءة أنه «إذا كثرت التلاوة» (القرآن) «وبعث صاحب الهراوة» (النبي محمد. والهراوة رمز السلطة = العصا، الصولجان) «فيملك منهم» (من الفرس) ملوك وملكات (وهذا مجرد سجع الكهان) على عدد الشرفات (أربع عشرة شرفة) وكل ما هو آت آت ا». وأخيراً :

«ثم قُبِضَ (مات) سطيح مكانه».

فلماذا قُبِضَ سطيح مكانه ؟

ذلك لأنه يمثل الشر، رمز الشيطان، الذي أوجعه مولد الرسول الكريم، وكان لا بد له أن يموت، ما دام «الخير» - ممثلاً في رسول الهدى - قد ولد. وهكذا كان ؛ مات «سطيح» مكانه... أعني مات «س ط ح» أو «س ت ح» أو «س ت خ» أو «س ت».. الشيطان الغريب الخلقة، الخالي من العظام سوى جمجمته المليئة بالأفكار الشريرة الجهنمية !

بعد هذا تظل لدينا بضع إشارات نحب أن نضيفها حتى تكتمل الصورة. ففي كتب الاخباريين الاسلاميين مثلاً ذكر أن إبليس، قبل عصيانه، كان عابداً صالحاً (وهذا نفس حال «ست» الذي كان معبوداً طيباً محبوباً قبل خصامه مع «حورس الأكبر» وقتاله «أوزيريس») حتى كان يلقب بـ«طاووس العباد». والذي يعيننا هنا الجانب اللغوي في كلمة «طاووس» ؛ فإن المعنى العام الذي نفهمه الآن من هذه الكلمة أنها اسم ذاك الطائر الزاهي الذيل الساطع الألوان، وأنها تدل على الخيلاء والعجب - وليس هذا من طبيعة العباد قطعاً. فلماذا وصف بهذا الوصف ؟

إن الجذر «طوس» مقلوب الجذر «سوط»، وكذلك الجذر «سطو» (يقابل المصرية «س و ت» هي إحدى صور كتابة اسم إله الشر، كما سبق البيان). ويذكر ابن منظور في مادة «طوس» :

«طاس الشيء، طَوْساً : وطئه
والطوس : الحُسن».

ففي هذه المادة معنى القوة والسيادة (قارن : دوس ؛ داس، يدوس، دوساً < «دس»
مقلوب «س د» > «سيد». و«س د» صورة من صور كتابة اسم «ست». قارن ما ذكرناه نقلاً عن
الدكتور ظاظا : «أسياد» = عفاريت، شياطين = البابلية «شيد»). كما أن فيها معنى الجمال. فإذا
اجتمع هذان (القوة الجمال) كان الملك والسلطان. «طاووس العباد» إذن = ملك/ سيد العباد.
لذا كان عرش فارس يوصف بأنه «عرش الطاووس»، أي : عرش القوة والجمال. . فيما
مضى من الزمان !

وما دام الحديث أعادنا إلى فارس القديمة فإننا نشير إلى أن المجوسية الفارسية العتيقة قسمت
ولاءها بين إلهين إثنين : أحدهما إله الظلام «أهرريان» والآخر إله النور «هرمز». فهل ثمة علاقة
بين «هرمز» هذا والمصري «ح ر. م س» hr.ms بمعنى «ابن ح ر (حورس)» . . . أو «ابن النور» ؟
ألا نحس صلة بين «ح ر. م س» و«هرمز» من جهة والاسم الشهير عند الاسلاميين
«هرمس» ؟

لقد سَوَّى اليونان بين من أسموه «هرمس» Hermes وبين المعبود المصري المعروف «تحت»
(راجع هذه المادة في ما سبق)، وجعلوه كاتب الأرباب، ومبتدع فن الكتابة، وراعي الفنون المتصلة
بها بما فيها الطب والتنجيم والسحر والسيماء وكان له أثر كبير في الأوساط الشعبية، وعند الخاصة،
وكان يدعى «أعظم العظاء» (نقلاً عن المصرية «ع. ع. و» = أعلى العالين. الهمزة = ل/ع ل.
ع ل و). وقد ازدهرت «المهرسية» Hermetism (كما تقول دائرة المعارف البريطانية، مادة Hermes
) على أيدي العرب، ووصلت عبرهم إلى كبار علماء أوروبا في القرون الوسطى وكانت هناك إشارات
كثيرة إلى «هرمس» في أدب هذه القرون وعصر النهضة.

فما الذي جعل اليونان يسمون «تحت» باسم «هرمس» ؟

نحن نرى أن التسمية واحدة ؛ فإن «تحت» هو رب النور والضياء والقمر وفي اسمه هذا
المعنى (ضحوت = ضحوة) وفي اسم «هرمس» (بالمصرية «ح ر. م س» hr.ms) هذا المعنى كذلك
فهو «ابن النور» - صار «هرمس» في اليونانية و«هرمز» في الفارسية . . . والأصل واحد. وانتقل إلى
الكتاب العرب أيضاً في صورته اليونانية «هرمس»⁽¹⁶⁵⁾.

(165) كان «بودا» أميراً نبذ المذات وسخط على مساوىء الأخلاق وقرر الجلوس عند شجرة مقسماً ألا يتحرك حتى يظفر
بما يهديه سواء السبيل. غير أن القسم الذي أقسمه بعث الحزن والضيق في نفس الشيطان «مارا» (قارن اسم
الشيطان في المصرية «م» و«العربية» «أبو مرة») روح الشر وعدو الحقيقة، فحاول أن يغريه باللذات ولكن «بودا»
رفض الانقياد «فغضب (مارا) وأثار عاصفة هوجاء أظلم لها الجو وطفنت مياه البحار وهدرت أمواج المحيطات»
ولكن «بودا» صمد، ولم يجد «مارا» في النهاية إلا الانصراف. (مصطفى الشهايي ؛ الشيطان في عقائد بودا
وكونفوشيوس. مجلة «الهلال»، مايو 1974).

ولا حاجة إلى تعليق !

فهل نغفل، وقد أغرانا شيطان الكلام فيما يبدو، عن ذكر اسم شهير آخر في التراث التفسيري لليهودية ونقله المفسرون والاختباريون في الاسلام؟
إنه «شيث».

وقد ورد ذكره في (العهد القديم) في «سفر التكوين» مرتين؛ إحداهما باعتباره «أكبر» أولاد آدم؛ (الاصحاح الخامس): «وولد (آدم) ولداً على شبهه كصورته ودعا اسمه شيثاً» (التكوين؛ الاصحاح الخامس). ومرة باعتباره «ثالث» أبنائه؛ فبعد أن قتل قابيل (قايين) هابيل «عرف آدم امرأته أيضاً، فولدت ابناً ودعت اسمه شيثاً»⁽¹⁶⁶⁾. (التكوين؛ الاصحاح الرابع). وهذا من جملة الخلط في هذا الكتاب الذي تتناقض أقواله بين سطر وآخر.

وعلى كل حال، فإن «شيثاً» ولد ولداً اسمه «أنوش» - حسب رواية التوراة - ومنه نسل البشر حتى نوح الذي منه: سام وحام وياث (قارن: أخبار الأيام الأول).

أما في (العهد الجديد) فقد ذكر «شيث» (بالتاء المثناة في الترجمة العربية) عند الحديث عن «نسب» يسوع في (إنجيل لوقا): «ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة، وهو على ما كان يظن ابن يوسف بن هالي بن لاوى... بن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم... بن سام بن نوح... بن أنوش بن شيث بن آدم ابن الله» (لوقا؛ الاصحاح الثالث).

ونفهم من هذا السرد التوراتي أنه كان لأدم ثلاثة أبناء: «هابيل» و«قابيل» و«شيث». أما الأول فقد مات إذ قتله «قابيل» (وهو ما يذكرنا بقتل المعبود «ست» لأخيه «أوزيريس» - وإن اختلفت الأدوار). وأما الثاني فقد نسل له نسل هلك، فيما يظهر في الطوفان أيام نوح. وأما الثالث فهو جد نوح أبي البشر الثاني. وهو في التوراة مجرد ولد لآدم عوضاً به عن فقد «هابيل» ابنه الأثير. ولكننا نجد في التراث التفسيري الاسلامي المتأثر بالاسرائيليات يتميز بشيء مهم هو نزول «صحائف» عليه عددها في بعض الأقوال مائة وفي بعضها الآخر خمسون صحيفة... و«الصحائف» (التي تقابل الأنكليزية (Scriptures) هي أيضاً ما يسمى «الألواح» وهذا هو «الوحي» بعد ذلك - أي «الكتابة» - ولعل مقارنة بين «هرمس» (أو «تحت») مبتدع الكتابة عند المصريين واليونان من جهة، و«ست» إله المعرفة الغامضة والذي كان في بدايته لهاً نورانياً من جهة ثانية، ومقابلة الثلاثة بـ«شيث» صاحب «الصحائف» الأولى، تظهر شيئاً من الصلة بين الجميع... خاصة في ما يتعلق باسم «شيث» وتشابهه مع اسم «ست» في مختلف صورته⁽¹⁶⁷⁾.

وكما حدث للإله المصري «ست» حدث لـ«شيث» (أو «شيث») التوراتي بطريقة ما. فقد كان الأول معبوداً خيراً ثم تحول إلى رمز للشر. كذلك الثاني؛ بدأ أحد أبناء «آدم» ومنه نسل البشر والأنبياء، ثم انقلب نسله (أو فريق من نسله على الأقل) إلى رمز للشر ممثلاً في «الموآبيين» أعداء

(166) نلاحظ في الترجمة العربية أن الاسم يكتب «شيث» (بالتاء المثناة) في «العهد القديم» و«شيث» (بالتاء ذات النقطتين) في «العهد الجديد» - وهما سواء بسواء.

(167) أنظر «معجم بدج» في حرفي «السين» المهملة و«الشين».

اليهود الذي أسموهم «بنى شيث» (في الترجمة الأنكليزية Sons of Sheth . أما في الترجمة العربية فهم «بنو الوغى»⁽¹⁶⁸⁾ أي أولاد الحرب وأصحاب القتال، أو أبناء الشر - ترجمة للعبرانية (Shēth). فكأن اسم «شيث» صار يعني «الشر» بعد أن كان يفيد الخير. وهذا بالضبط ما جرى للمعبود «ست».

ولا تنتهي المقارنات. فقد عرفنا، مثلاً، أن العقلية العربية تصوّرت «الجان» أباً لكل من : إبليس، والغول (وهما ذكران) والسعلاة والهامة (وهما أنثيان). وعند المصريين كان «جب» أباً لكل من : «ست» و«أوزيريس» (وهما ذكران) و«إيزيس» و«نفثوس» أختيهما (وهما أنثيان). وهذا يقابل ذلك.

أما بالنسبة للتوراة فإن المشكلة تكمن في وجود أخ ثالث إلى جانب الأخوين المتخاصمين، وهو «قاييل». ولكننا نبدي هنا ملاحظتين : الأولى أن قاييل «عرف امرأته» وولد له أولاد ينتهون عند «لامك»، وولّد «شيث» أولاداً ينتهون عن «لامك» أيضاً. وبينما ينتهي ذكر نسل «قاييل» يستمر نسل «شيث» في «نوح» ابن «لامك» (المشترك) هذا. والملاحظة الثانية تكمن في اختلاف رواية التوراة عن ولادة «شيث»، فهو مرة أول الأبناء وأخرى ثالثهم. فهل كان «قاييل» هو نفسه «شيث»؟ هل أضيفت هذه الشخصية (قاييل) لتقوم بتمثيل دور ما؟

لنضع الصورة هكذا : كان لآدم ابنان (قارن «ست» و«أوزيريس») أحدهما «شيث» والآخر «هابيل» (لاحظ أن «شيث» هو الابن الأكبر كما ذكر مرة). قتل «شيث» «هابيل» (اسم «شيث» هنا : «قاييل»). ولابد، حسب الأسطورة، أن يُبعث المقتول، فليكن في صورة «قاييل» أيضاً - ليعيش «أخوان» وليس «ثلاثة» في جميع الأحوال. فقاييل هنا مجرد «صورة» تتمثل مرة في شكل القاتل (الذي هو أصلاً شيث) ومرة أخرى في صورة الحي العائش⁽¹⁶⁹⁾ (هابيل - الذي يائث أوزيريس).

هذه مجرد فكرة خطرت أرجو أن يغفر القارئ عرضها - رغم أن المجال لا يسمح بالاسترسال.

فلنعد إلى «شيث»، أو «ست» معبوداً؛ إذ يبدو أنه استمر يُعبَد حتى عهد قريب نسبياً، إذ يذكر «نياندر» (Neander, Ch. History, Vo. ii, p. 115) أنه كانت في مصر في القرن الرابع الميلادي فرقة من «الغنوصيين» تسمى نفسها «الشيثيين» Sethians كانت ترى في «شيث» (ست) فيضاً إلهياً، أي منبثقاً من الخالق ذاته (أنظر : Hughes ; A Dictionary of Islam, p. 596 . وقارن : Wainwright ; The Sky Religion, p. 110). ولا تزال هناك فرقة في العراق هي ما يسمى «عُباد

(168) سفر العدد، الاصحاح 17/24. في المصرية «إح أ» ih a (= قتال). والأصل في «الوغى» الصوت والصياح الذي يطلقه المقاتلون.

(169) في التراث التوراتي نجد «أنوش» ابناً لـ«شيث». وثمة صلة واضحة بين «أنوش» و«عنش» (= عنخ = حياة). أنظر مادة «ع ن خ» في هذه الدراسة.

الشيطان» - والطريف الذي يروى عنهم أنهم لا ينطقون حرف الشين في كلامهم مطلقاً احتراماً للمعبود الخطير، مما يشبه ما عرف في تاريخ الديانات من التحرز من نطق اسم المعبود بل يعبر عنه بصفة من الصفات .

والحديث عن «ست» لا ينتهي . وليست الغاية دراسته من الناحية الدينية أو الأسطورية، فهذه مسألة تتشعب وتطول .

وإنما الغاية تتبعه من الوجهة اللغوية خاصة ومن حيث الرضع والصورة والشكل . ولا بأس هنا من تلميح لما عرف به عند أهل العرب .

فقد عرف في الأنكليزية باسم devil المتطورة عن صيغ أخرى ترجع إلى اليونانية diabolos) وقد بينا أمرها فيما سبق . والصفة منها devilish وهناك devilism (عبادة الشيطان) - وكذلك diabo- lism والصفة diabolic و diabolical . . إلخ . وعرف «الشيطان» باسم Lucifer (من اللاتينية Luci = ضوء، نور + fer = يحضر، يجلب = محضر النور⁽¹⁷⁰⁾) . كما عرف باسم Satan ، ومنها الصفة Sata- nic و Satanism (مذهب وجد في فرنسا في القرن التاسع عشر . . يعود بنا إلى عبادة «ست» . و Satanology (علم الشيطان - علم الشيطنة !) .

ونجد أن (معجم أكسفورد) الاشتقاقي يعيد Satan إلى العبرانية «سطن» Satan (بمعنى : عدو⁽¹⁷¹⁾) كما يرجع بقية الألفاظ المذكورة إلى اللاتينية والجرفمانية ونحوهما، والأصوب أن تعود إلى العربية (أو على الأقل العروبية من مصرية وبابلية ونحوهما) التي أخذت أوروبا عنها عن طريق اليونان الآخذين عن الحضارات العربية القديمة .

والجذر الثنائي «شط» أدى إلى «شطاً» (براعم النبات) . التي قابلناها بها في الأنكليزية Shoot, Shot - من ناحية - وأدى إلى «شيط» / «شوط» / «شياط» من ناحية أخرى . أليس غريباً أن نجد في الأنكليزية كلمات من مثل : Stew = يطهو الطعام على نار هادئة بهاء قليل (اللهجة المصرية : يسبّك . هل هناك صلة بين Stew والدارجة «يسوّي» الأكل . . أي يطهوه ؟) . وهناك : Seethe = يطبخ عن طريق التفوير بهاء كثير (ضد Stew) . وكذلك : Soot = هباء، أو سخام الفحم المشتعل . ذلك هو الجذر العربي «شوط» ← شواظ (شط = شط) وهو «ست» المعبود الأسود السخامي الفحامي المشتعل غضباً وناراً كئار الله الموقدة .

فلنقف عند هذا الحد حتى لا تضيع الابرة بطول الخيط . . . كما يقولون !

(170) هذه التسمية تعود إلى صورة الشيطان النورانية في بدايته، عندما كان ملاكاً طيباً قبل أن «يتشيطان» !

واللاتينية Luci (نور) تعود إلى اليونانية Luke (العربية : ألق، لقق) .

(171) قارن القرآن الكريم الذي تكرر فيه وصف الشيطان بأنه «عدو» لآدم وأبنائه .